(قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبتكم وفيم أرسلتم (أيها المرسلون) أرسلتم بالبشارة خاصة أو لأمر آخر أولهما
(قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) أى قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين) أريد السجيل وهو طين طبخ
كالطبخ الآجر حتى صار
فى صلابة الحجارة (مسومة)
معلمة من السومة وهى العلامة
على كل واحد منها اسم من
يهلك به (عند ربك) فى ملكه
وسلطانه (للمسرفين) سماهم
مسرفين كما سماهم عادين
اى لاسرافهم وعدوانهم
فى عملهم حيث لم يقتنعوا
بما أبيح لهم (فأخرجنا
من كان فيها) فى القرية
ولم يجر لها ذكر لكونها
معلومة (من المؤمنين) يعنى
لوطا ومن آمن به (فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين)
أى غير أهل بيت وفيه
دليل على ان الايمان
والاسلام واحد لان
الملائكة سموهم مؤمنين

الجزء السابع والعشرون

اللهم اجرنا من عذابك

﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون﴾ لما علم انهم ملائكة عليه وعليهم الصلاة والسلام وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه ﴿قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾ يعنون قوم لوط ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ يريد السجيل فانه طين متحجر ﴿مسومة﴾ مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهى العلامة ﴿عند ربك للمسرفين﴾ المجاوزين الحد فى الفجور ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة ﴿من المؤمنين﴾ ممن آمن بلوط ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ غير اهل بيت من المسلمين واستدل به

﴿قال فما خطبكم﴾ أى فما شأنكم وما طلبكم ﴿أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين﴾ يعنى قوم لوط ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ قيل هو الآجر ﴿مسومة﴾ أى معلمة قيل على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا ﴿عند ربك للمسرفين﴾ قال ابن عباس يعنى المشركين لان الشرك أسرف الذنوب وأعظمها ﴿فأخرجنا من كان فيها﴾ أى فى قرى قوم لوط ﴿من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت﴾ أى أهل بيت ﴿من المسلمين﴾ يعنى لوطا وابنتيه وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام

(قال) ابراهيم (فما خطبكم)
شأنكم وما بالكم وبما ذا
جئتم (أيها المرسلون قالوا
انا أرسلنا الى قوم مجرمين)
مشركين اجترموا الهلاك
على أنفسهم بعملهم الخبيث
يعنون قوم لوط (لنرسل
عليهم حجارة من طين)
مطبوخ كالآجر (مسومة)
مخططة بالسواد فى الحمرة
(عند ربك) من عند ربك
تأتى تلك الحجارة (للمسرفين) على المشركين (فأخرجنا من كان فيها) من قريات لوط (من المؤمنين) ﴿جميع﴾
من الموحدين (فما وجدنا فيها) فى قريات لوط (غير بيت) غير أهل بيت (من المسلمين) من المقرين وهو لوط وابنتاه

ومسلمين هنا (وتركنا فيها) فى قراهم (آية للذين يخافون العذاب الاليم) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قيل هى ماء أسود منتن (وفى موسى) معطوف على وفى الارض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله ه علفتها تبنا وماء باردا ه (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة ظاهرة وهى اليد والعصا (فتولى) فاعرض عن الايمان (بركنه) بما كان يتقوى به من جنوده وملكه والركن مايركن اليه الانسان من مال وجند (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون فاخذناه ﴿٨٣﴾ وجنوده فنبذناهم فى اليم {سورة والذاريات} وهو مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده وانما وصف يونس عليه السلام به فى قوله فالتقمه الحوت وهو مليم لان موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكفر ملوم على مقداره وراكب الكبيرة والصغيرة والزلة كذلك والجملة مع الواو حال عن الضمير فى فاخذناه (وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) هى التى لاخير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها والاظهر انها الدبور لقوله عليه السلام نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور

على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لايقتضى الاصدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لايقتضى اتحاد مفهوميهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة ﴿ وتركنا فيها آية ﴾ علامة ﴿ للذين يخافون العذاب الأليم ﴾ فانهم المعتبرون بها وهى تلك الاحجار او صخر منضود فيها اوماء اسود منتن ﴿ وفى موسى ﴾ عطف على وفى الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله

علفتها تبنا وماء باردا

﴿ اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين ﴾ هو معجزاته كاليد والعصا ﴿ فتولى بركنه ﴾ فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه اوفتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشئ ويتقوى به وقرئ بضم الكاف ﴿ وقال ساحر ﴾ اى هو ساحر ﴿ او مجنون ﴾ كأنه جعل ماظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد فى انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما ﴿ فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ﴾ فاغرقناهم فى البحر ﴿ وهو مليم ﴾ آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير فى فاخذناه ﴿ وفى عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم اولانها لم تتضمن منفعة وهى الدبور او الجنوب او النكباء

جميعا لانه مامن مؤمن الاوهو مسلم لان الاسلام أعم من الايمان واطلاق العام على الخاص لامانع منه فاذا سمى المؤمن مسلما لايدل على اتحاد مفهوميهما ﴿ وتركنا فيها ﴾ أى فى مدينة قوم لوط ﴿ آية ﴾ أى عبرة ﴿ للذين يخافون العذاب الاليم ﴾ والمعنى تركنا فيها علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل ﴿ وفى موسى ﴾ أى تركنا فى ارسال موسى آية وعبرة ﴿ اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين ﴾ أى بحجة ظاهرة ﴿ فتولى ﴾ أى أعرض عن الايمان ﴿ بركنه ﴾ أى بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم ﴿ وقال ساحر أو مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ﴾ أى فاغرقناهم فى البحر ﴿ وهو مليم ﴾ أى آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل ﴿ وفى عاد ﴾ أى وفى اهلاك عاد أيضا آية وعبرة ﴿ اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ يعنى التى لاخير

زاعورا وريثا (وتركنا فيها) يعنى وتركنا فى قريات لوط (آية) علامة وعبرة (للذين يخافون العذاب الاليم) فى الآخرة فلا يقتدون بفعلهم (وفى موسى) أيضا عبرة (اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين) بحجة بينة اليد والعصا (فتولى بركنه) فاعرض فرعون عن الايمان بالآية وبموسى بركنه بجنوده (وقال ساحر أو مجنون) يختنق (فاخذناه وجنوده) جموعه (فنبذناهم) فاغرقناهم (فى اليم) فى البحر (وهو مليم) مذموم عند الله يلوم نفسه (وفى عاد) فى قوم هود أيضا عبرة (اذ أرسلنا) سلطنا (عليهم الريح العقيم) الشديدة التى لافرج لهم فيها وهى الريح الدبور

(ماتذر من شئ أتت عليه الاجعلته كالرميم) هو كل مارم أى بلى وتفتت من عظم اونبات أوغير ذلك والمعنى ماتترك من شئ هبت عليه من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم الا أهلكته (وفى ثمود) آية أيضا (اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله (فاخذتهم الصاعقة) العذاب وكل عذاب مهلك صاعقة الصعقة على وهى المرة مصدر صعقتهم الصاعقة (وهم ينظرون) لانها كانت نهارا يعاينونها (فالاستطاعوا من قيام) أى هرب اوهو من قولهم مايقوم به اذا عجز عن دفعه (وما كانوا منتصرين) ممتنعين من العذاب أولم يمكنهم مقابلتها بالعذاب لان معنى الانتصار المقابلة (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح لان ماقبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح وبالجر أبو عمرو وعلى وحمزة أى وفى قوم نوح آية ويؤيده قراءة عبدالله وفى قوم نوح (من قبل) هؤلاء المذكورين (انهم كانوا فاسقين) كافرين (والسماء) نصب بفعل يفسره (بنيناها بايد) بقوة والايد القوة (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهو

﴿ماتذر من شئ اتت عليه﴾ مرت عليه ﴿الاجعلته كالرميم﴾ كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت ﴿وفى ثمود اذقيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ تفسيره قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة ايام ﴿فعتوا عن امر ربهم﴾ فاستكبروا عن امتثاله ﴿فاخذتهم الصاعقة﴾ اى العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائى الصعقة وهى المرة من الصعق ﴿وهم ينظرون﴾ اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار ﴿فالاستطاعوا من قيام﴾ كقوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم مايقوم به اذاعجز عن دفعه ﴿وما كانوا منتصرين﴾ ممتنعين منه ﴿وقوم نوح﴾ اى واهلكنا قوم نوح لان ماقبله يدل عليه اواذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل فى عاد ويؤيده قراءة ابى عمرو وحمزة والكسائى بالجر ﴿من قبل﴾ من قبل هؤلاء المذكورين ﴿انهم كانوا قوما فاسقين﴾ خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان ﴿والسماء بنيناها بايد﴾ بقوة ﴿وانا لموسعون﴾

فيها ولابركة فلا تلقح شجرا ولاتحمل مطرا ﴿ماتذر من شئ أتت عليه﴾ أى من أنفسهم واموالهم وأنعامهم ﴿الاجعلته كالرميم﴾ أى كالشئ الهالك البالى وهو مايبس وديس من نبات الارض كالشجر والتين ونحوه وأصله من رم العظم اذا بلى ﴿وفى ثمود اذقيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ يعنى الى وقت انقضاء آجالهم وذلك انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ أى تكبروا عن طاعة ربهم ﴿فاخذتهم الصاعقة﴾ أى بعد مضى ثلاثة أيام من بعد عقر الناقة وهى الموت فى قول ابن عباس وقيل أخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك ﴿وهم ينظرون﴾ أى يرون ذلك العذاب عيانا ﴿فمااستطاعوا من قيام﴾ أى فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولاقدروا على نهوض من تلك الصرعة ﴿وما كانوا منتصرين﴾ أى ممتنعين مناوقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من أمر الله ﴿وقوم نوح﴾ قرئ بكسر الميم ومعناه وفى قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه وأغرقنا قوم نوح ﴿من قبل﴾ أى من قبل هؤلاء وهم عاد وثمود وقوم فرعون ﴿انهم كانوا قوما فسقين﴾ أى خارجين عن طاعة قوله تعالى ﴿والسماء بنيناها بايد﴾ أى بقوة وقدرة ﴿وانا لموسعون﴾ قيل هو من السعة أى أوسعنا

(ماتذر) ماتترك (من شئ) منهم ولهم (أتت عليه) مرت عليه الريح (الاجعلته كالرميم) كالتراب (وفى ثمود) أى فى قوم صالح أيضا عبرة (اذقيل لهم) قال لهم صالح بعد عقرهم الناقة (تمتعوا) عيشوا (حتى حين) الى حين العذاب (فعتوا) فأبوا (عن أمر ربهم) عن قبول أمر ربهم (فاخذتهم الصاعقة) الصيحة [illegible] بالعذاب (وهم ينظرون) الى العذاب نازلا عليهم (فما استطاعوا من قيام) لم يقدروا ان يقوموا من عذاب الله (وما كانوا منتصرين) ممتنعين بابدانهم من العذاب (وقوم نوح) أهلكناهم (من قبل) من قبل قوم صالح (انهم كانوا قوما فاسقين) كافرين (والسماء بنيناها) خلقناها (بأيد) بقوة (وانا لموسعون) لها ما نشاء ويقال انا لموسعون

الطاقة والموسع القوى على الانفاق أو لموسعون مابين السماء والارض (والارض فرشناها) بسطناها ومهدناها وهى منصوبة بفعل مضمر أى فرشنا الارض فرشناها (فنعم الماهدون) أى نحن (ومن كل شئ) من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكروا واثنى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقل كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج لتتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أى من الشرك الى الايمان بالله أو من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن أو مما سواه اليه (انى لكم منه نذير مبين ولاتجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين) والتكرير للتوكيد والاطالة فى الوعيد أبلغ (كذلك) الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا أو مجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله

لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق اولموسعون السماء اومابينها وبين الارض اوالرزق ﴿ والارض فرشناها ﴾ مهدناها لتستقروا عليها ﴿ فنعم الماهدون ﴾ اى نحن ﴿ ومن كل شئ ﴾ من الاجناس ﴿ خلقنا زوجين ﴾ نوعين ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لايقبل التعدد والانقسام ﴿ ففروا الى الله ﴾ من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة ﴿ انى لكم منه ﴾ اى عذابه المعد لمن اشرك اوعصى ﴿ نذير مبين ﴾ بين كونه منذرا من الله بالمعجزات اومبين مايجب ان يحذر عنه ﴿ ولا تجعلوا مع الله الها آخر ﴾ افراد لاعظم مايجب ان يفر عنه ﴿ انى لكم منه نذير مبين ﴾ تكرير للتأكيد اوالاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك ﴿ كذلك ﴾

السماء بحيث صارت الارض ومايحيط بها من السماء والفضاء بالنسبة الى سعة السماء كالحلقة الملقاة فى الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون أى الرزق على خلقنا وقيل معناه وانا ذوو السعة والغنى ﴿ والارض فرشناها ﴾ أى بسطناها ومهدناها لكم ﴿ فنعم الماهدون ﴾ أى نحن ﴿ ومن كل شئ خلقنا زوجين ﴾ أى صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتاء والجن والانس والذكر والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والحامض ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أى فتعلموا ان خالق الازواج فرد لانظير له ولاشريك معه ﴿ ففروا الى الله ﴾ أى قل يا محمد ففروا الى الله أى فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة له وقال ابن عباس ففروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال سهل بن عبدالله ففروا مما سوى الله الى الله ﴿ انى لكم منه نذير ﴾ أى مخوف ﴿ مبين ﴾ أى بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان القاطع ﴿ ولا تجعلوا مع الله الها آخر ﴾ أى وحدوه ولاتشركوا به شيأ ﴿ انى لكم منه نذير مبين ﴾ قيل انما كرر قوله انى لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم ان الايمان لاينفع الامع العمل كما ان العمل لاينفع الامع الايمان وانه لايفوز عند الله الا الجامع بينهما ﴿ كذلك ﴾ أى كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك

بالرزق (والارض فرشناها) على الماء (فنعم الماهدون) الفارشون (ومن كل شئ خلقنا زوجين) لونين فى الارض (لعلكم تذكرون) لكى تتعظوا فيما خلق الله (ففروا الى الله) ففروا من الله الى الله ويقال من معصية الله الى طاعة الله ويقال من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن (انى لكم منه) من الله (نذير مبين) رسول مخوف مبين بلغة تعرفونها (ولاتجعلوا مع الله الها آخر) لاتقولوا لله ولد ولاشريك (انى لكم منه) من الله (نذير مبين) مخوف بلغة تعرفونها (كذلك) كما قيل لك قومك ساحر او مجنون

(ماأتى الذين من قبلهم) من قبل قومك (من رسول الاقالوا) هو (ساحر أومجنون) رموهم بالسحر أوالجنون لجهلهم (أتواصوا به) الضمير للقول أى أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هوالحامل عليه (فتول عنهم) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا عنادا (فما أنت بملوم) فلالوم عليك فى اعراضك بعدما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة (وذكر) وعظ بالقرآن (فان الذكرى تنفع المؤمنين) بان تزيد فى عملهم (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) العبادة ان حملت على حقيقتها فلا تكون الآية عامة بل المراد بها المؤمنون من الفريقين دليله السياق أعنى وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقراءة ابن عباس رضى الله عنهما وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وهذا لانه لايجوز أن يخلق الذين علم منهم انهم لايؤمنون للعبادة لانه اذا خلقهم للعبادة وأراد منهم العبادة فلابد ان توجد منهم فاذا لم يؤمنوا علم انه خلقهم لجهنم كما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل الا لآمرهم بالعبادة وهو منقول عن على رضى الله عنه وقيل الا ليكونوا عبادا لى ويوجد

اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا ومجنونا وقوله ﴿ ماأتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر اومجنون ﴾ كالتفسير له ولايجوز نصبه بأتى ومافسره لان مابعدما النافية لايعمل فيما قبلها ﴿ اتواصوابه ﴾ اى هل الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه ﴿ فتول عنهم ﴾ فاعرض عن مجادلتهم بعدما كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاصرار والعناد ﴿ فما انت بملوم ﴾ على الاعراض بعد مابذلت جهدك فى البلاغ ﴿ وذكر ﴾ ولا تدع التذكير والموعظة ﴿ فان الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ من قدر الله ايمانه اومن آمن فانه يزداد بها بصيرة ﴿ وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ لما خلقهم على صورة متوجهة

﴿ ماأتى الذين من قبلهم ﴾ أى من قبل كفار مكة والامم الخالية ﴿ من رسول ﴾ يعنى يدعوهم الى الايمان والطاعة ﴿ الاقالوا ساحر أومجنون ﴾ قال الله تعالى ﴿ أتواصوابه ﴾ أى أوصى أولهم آخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤا عليه وفيه توبيخ لهم ﴿ بل هم قوم طاغون ﴾ أى لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا على زمن واحد بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهى الطغيان وهوالحامل لهم على ذلك القول ﴿ فتول عنهم ﴾ أى أعرض عنهم ﴿ فما أنت بملوم ﴾ أى لالوم عليك فقد أديت الرسالة وبذلت المجهود وماقصرت فيما أمرت به قال المفسرون لمانزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد على أصحابه وظنوا ان الوحى قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ أمر النبى صلى الله عليه وسلم ان يتولى عنهم فأنزل الله عزوجل ﴿ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ﴾ فطابت نفوسهم بذلك والمعنى عظ بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله انه يؤمن منهم وقيل معناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم ﴿ قوله عزوجل ﴿ وماخلقت الجن والانس ﴾ أى من المؤمنين ﴿ الا ليعبدون ﴾ قيل هذا خاص باهل طاعته من الفريقين يدل عليه

(ماأتى الذين من قبلهم) من قبل قومك (من رسول) دعاهم الى الله (الاقالوا) لذلك الرسول (ساحر اومجنون أتواصوا به) أتوافق كل قوم على ان قالوا لرسولهم ساحر أومجنون (بل هم قوم طاغون) كافرون (فتول عنهم) فأعرض عنهم يامحمد (فما أنت بملوم) بمذموم عندنا قد أعذرت وأبلغت ثم أمر بعد ذلك بالقتال (وذكر) عظ بالقرآن (فان الذكرى) العظة بالقرآن (تنفع المؤمنين) تزيد المؤمنين صلاحا (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) ليطيعون وهذا أمر خص لاهل طاعته ويقال لوخلقهم للعبادة ماعصوا ربهم طرفة عين وقال على بن أبى طالب ماخلقتهم الا لآمرهم وأكلفهم ويقال ماخلقت الجن

{ قراءة }

ان تحمل العبادة على التوحيد فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة فى القرآن فهى توحيد والكل يوحدونه فى الآخرة لما عرف ان الكفار كلهم مؤمنون موحدون فى الآخرة دليله قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين نعم قد أشرك البعض ﴿ ٨٧ ﴾ فى الدنيا لكن مدة الدنيا { سورة والذاريات } بالاضافة الى الابد أقل من يوم ومن اشترى غلاما وقال ما اشتريته الا للكتابة كان صادقا فى قوله اشتريته الا للكتابة وان استعمله فى يوم من عمره لعمل آخر (ما أريد منهم من رزق) ما خلقتهم ليرزقوا أنفسهم أو واحدا من عبادى (وما أريد أن يطعمون) قال ثعلب ان يطعموا عبادى وهى اضافة تخصيص كقوله عليه السلام خبرا عن الله تعالى من أكرم مؤمنا فقد أكرمنى ومن آذى مؤمنا فقد آذانى (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الشديد القوة والمتين بالرفع صفة لذو وقرأ الاعمش بالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار (فان للذين ظلموا) رسول الله بالتكذيب من أهل مكة (ذنوبا

الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنا فى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لنأمرهم بالعبادة وليكونوا عبادا لى ﴿ ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ﴾ اى ما اريد ان اصرفكم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معائشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ﴿ ان الله هو الرزاق ﴾ الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى انا الرزاق ﴿ ذو القوة المتين ﴾ شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة ﴿ فان للذين ظلموا ذنوبا ﴾ اى للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب

قراءة ابن عباس وما خلقت الجن والانس من المؤمنين الا ليعبدون وقيل معناه وما خلقت السعداء من الجن والانس الا لعبادتى والاشقياء منهم الا لمعصيتى وهو ما جبلوا عليه من الشقاوة والسعادة وقال على بن أبى طالب الا ليعبدون أى الا لآمرهم ان يعبدونى وادعوهم الى عبادتى وقيل معناه الا ليعرفونى وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا الى ويتذللوا لان معنى العبادة فى اللغة التذلل والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضاء الله متذلل للمشيئة لا يملك أحد لنفسه خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدونى فاما المؤمن فيوحده اختيارا فى الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحده اضطرارا فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء ﴿ ما أريد منهم من رزق ﴾ أى ما أريد أن يرزقوا أحدا من خلقى ولا ان يرزقوا أنفسهم لانى أنا الرزاق المتكفل لعبادى بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها ﴿ وما أريد ان يطعمون ﴾ أى ان يطعموا أحدا من خلقى وانما أسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه لما صح من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال اما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت انك لو سقيته وجدت ذلك عندى أخرجه مسلم ثم بين أن الرزاق هو لا غيره فقال تعالى ﴿ ان الله هو الرزاق ﴾ أى لجميع خلقه ﴿ ذو القوة المتين ﴾ يعنى هو القوى الشديد المقتدر البليغ القوة والقدرة الذى لا تلحقه فى أفعاله مشقة ﴿ فان للذين ظلموا ﴾ أى من أهل مكة ﴿ ذنوبا ﴾ أى نصيبا من

والانس الا ليعبدون الا لآمرهم ان يوحدونى ويعبدونى (ما أريد منهم من رزق) لم أخلقهم أن يرزقوا أنفسهم (وما أريد ان يطعمون) وما خلقتهم أن يطعمونى على أرزاقهم (ان الله هو الرزاق) لعباده (ذو القوة) على أعدائه (المتين) الشديد العقوبة لهم (فان للذين ظلموا) كفار مكة (ذنوبا) عذابا

مثل ذنوب أصحابهم) نصيبا من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون المهلكة قال الزجاج الذنوب في اللغة النصيب (فلا يستعجلون) نزول العذاب وهذا جواب للنضر وأصحابه حين استعجلوا العذاب (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) أي من يوم القيامه وقيل من يوم بدر ليعبدوني أن يطعموني فلا يستعجلوني بالياء في الحالين يعقوب وافقه سهل في الوصل ﴿الجزء السابع والعشرون﴾ الباقون بغير ياء ﴿٨٨﴾ والله أعلم ﴿سورة الطور مكية وهي تسع وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والطور) هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بمدين (وكتاب مسطور) هو القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين سائر الكتب أو اللوح المحفوظ أو التوراة (في رق) هو الصحيفة أو الجلد الذي يكتب فيه (منشور) مفتوح لا ختم عليه أو لائح

نصيبا من العذاب ﴿مثل ذنوب اصحابهم﴾ مثل نصيب نظائرهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملو ﴿فلا يستعجلون﴾ جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ من يوم القيامة او يوم بدر • عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

سورة الطور مكية وآيها تسع او ثمان واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والطور﴾ يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى صلى الله عليه وسلم كلام الله تعالى والطور بالسريانية الجبل او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد او من عالم الغيب الى عالم الشهادة ﴿وكتاب مسطور﴾ مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله في اللوح المحفوظ او في الواح موسى او في قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة ﴿في رق منشور﴾ الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار

العذاب ﴿مثل ذنوب اصحابهم﴾ اى مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود ﴿فلا يستعجلون﴾ أي بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل ﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله تعالى أعلم بمراده

تفسير سورة الطور مكية وهي تسع وأربعون آية

وثلاثمائة واثنتا عشرة كلمة والف وخمسمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

• قوله عز وجل ﴿والطور﴾ أراد به الجبل الذي كلم الله موسى عليه الصلاة والسلام عليه بالارض المقدسة وقيل بمدين ﴿وكتاب مسطور﴾ أي مكتوب ﴿في رق﴾ يعني الاديم الذي يكتب فيه المصحف ﴿منشور﴾ أي مبسوط واختلفوا في الكتاب فقيل هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير الاقلام وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة تخرج اليهم يوم القيامة منشورا فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وقيل

بعضه على اثر بعض (مثل ذنوب أصحابهم) مثل عذاب الذين كانوا من قبلهم (فلا يستعجلون) بالعذاب والهلاك (فويل) شدة عذاب (للذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (من يومهم الذي يوعدون) يخوفون فيه من العذاب الذي بين في سورة الطور

﴿ومن السورة التي يذكر فيها الطور وهي كلها مكية آياتها ثمان وأربعون وكلماتها ثلاثمائة واثنتا عشرة كلمة وحروفها ألف وخمسمائة﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (والطور) يقول اقسم الله بجبل زبير وكل جبل فهو طور بلسان السريانية والقبط ولكن عنى الله به الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو جبل مدين واسمه زبير أقسم الله به (وكتاب مسطور) وأقسم باللوح المحفوظ مكتوب فيه أعمال بني آدم (في رق) يعني أديما (منشور) مكتوب في صحف مفتوحة يقرأها بنو آدم يوم القيامة وهو (هو)

(والبيت المعمور) أى الضراح وهو بيت فى السماء حيال الكعبة وعمرانه بكثرة زواره من الملائكة روى انه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ويخرجون ثم لايعودون اليه أبدا وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار (والسقف المرفوع) أى السماء أو العرش (والبحر ﴿٨٩﴾ المسجور) المملوء أو المؤقد(?) سورة والطور والواو الاولى للقسم والبواقى للعطف وجواب القسم (ان عذاب ربك) أى الذى أوعد الكفار به (لواقع) لنازل قال جبير ابن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه فى الاسارى فلقيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (ماله من دافع) لايمنعه مانع والجملة صفة لواقع أى واقع غير مدفوع

بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس ﴿ والبيت المعمور ﴾ يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة اوقلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص ﴿ والسقف المرفوع ﴾ يعنى السماء ﴿ والبحر المسجور ﴾ اى المملو وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روى ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا تسجر بها جهنم والمختلط من السجير وهو الخليط ﴿ ان عذاب ربك لواقع ﴾ لنازل ﴿ ماله من دافع ﴾ يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته

هو القرآن ﴿ والبيت المعمور ﴾ يعنى بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت فى السماء السابعة قدام العرش بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الارض وصح فى حديث المعراج من افراد مسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور فى السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه وفى رواية أخرى قال فانتهيت الى بناء فقلت للملك ماهذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون يسبحون الله ويقدسونه وفى افراد البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ﴿ والسقف المرفوع ﴾ يعنى السماء ﴿ والبحر المسجور ﴾ يعنى الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ماروى ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها فى نار جهنم وجاء فى الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملوء وقيل هو اليابس الذى ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروى عن على انه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كما بين سبع سموات الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه أربعين صباحا فينبتون من قبورهم أقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظم قدرته وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ان عذاب ربك لواقع ﴾ يعنى انه لحق وكائن ونازل بالمشركين فى الآخرة ﴿ ماله من دافع ﴾ أى مانع قال جبير ابن مطعم قدمت المدينة لأكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسارى بدر فدفعت له وهو يصلى باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع فكأنما صدع قلبى حين سمعت ولم يكن أسلم يومئذ فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت أظن أنى أقوم من مكانى حتى يقع بى العذاب

ديوان الحفظة (والبيت المعمور) أقسم بالبيت المعمور بالملائكة وهو فى السماء السادسة بحيال الكعبة ما بينه وبين الكعبة الى تخوم الارضين السابعة حرم يدخل فى كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه أبدا وهو البيت الذى بناه آدم ورفع الى السماء السادسة من الطوفان وهو يسمى الضراح وهو مقابل الكعبة (والسقف المرفوع) وأقسم بالسماء المرفوعة فوق كل شئ (والبحر المسجور) وأقسم بالبحر الممتلئ (قا و خا ١٢ س) السابعة تحت عرش الرحمن يسمى [illegible] وهو بحر فوق السماء الحيوان يحيي الله به الخلائق يوم القيامة ويقال البحر المسجور هو بحر حار يصير نارا ويفتح(?) فى جهنم يوم القيامة أقسم الله بهذه الاشياء (ان عذاب ربك) يوم القيامة (لواقع) الكائن نازل على قريش (ماله) للعذاب (من دافع) من مانع

والعامل في يوم لواقع أي تقع في ذلك اليوم أواذكر (يوم تمور) تدور كالرحى مضطربة (السماء مورا وتسير الجبال سيرا) في الهواء كالسحاب لأنها تصير هباء منثورا (فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون) غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين ويبدل (يوم يدعون الى نار جهنم دعا) من يوم تمور والدع الدفع العنيف وذلك ان خزنة النار ... يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا في أقفيتهم فيقال لهم (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا (أفسحر هذا) هذا مبتدأ وسحر خبره يعني كنتم تقولون للوحي هذا سحر افسحر هذا يريد أهذا المصدق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لاتبصرون) كما كنتم لاتبصرون في الدنيا يعني أم أنتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (اصلوها فاصبروا أولاتصبروا

(يوم تمور السماء) تدور السماء (مورا) بأهلها دورانا كدوران الرحا وتموج الخلائق بعضهم في بعض من الهول (وتسير الجبال) على وجه الارض (سيرا) كسير السحب في الهواء (فويل) شدة العذاب (يومئذ) وهو يوم القيامة (للمكذبين) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهو أبو جهل وأصحابه (الذين هم في خوض يلعبون) في باطل يخوضون (يوم يدعون) يدفعون (سواء) (الى نار جهنم دعا) دفعا تدفعهم الملائكة وتجرهم على وجوههم الى جهنم وتقول لهم الزبانية (هذه النار التي كنتم بها) في الدنيا (تكذبون) أنها لاتكون (أفسحر هذا) هذا اليوم وهذا العذاب لانكم قلتم في الدنيا للانبياء هم سحرة (أم أنتم لاتبصرون) لاتعقلون يقول الله (اصلوها) ادخلوها يعني النار (فاصبروا) على عذابها (أولاتصبروا) على عذابها

وصدق خبره وضبط اعمال العباد للمجازاة ﴿ يوم تمور السماء مورا ﴾ تضطرب والمور تردد في المجيء والذهاب وقيل تحرك في تموج ويوم ظرف ﴿ وتسير الجبال سيرا ﴾ اي تسير عن وجه الارض فتصير هباء ﴿ فويل يومئذ للمكذبين ﴾ اي اذا وقع ذلك فويل لهم ﴿ الذين هم في خوض يلعبون ﴾ اي في الخوض في الباطل ﴿ يوم يدعون الى نار جهنم دعا ﴾ يدفعون اليها بعنف وذلك بان يغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور اوظرف لقول مقدر محكي ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ اي يقال لهم ذلك ﴿ افسحر هذا ﴾ اي كنتم تقولون للوحي هذا سحر افهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ ﴿ أم انتم لاتبصرون ﴾ هذا ايضا كما كنتم لاتبصرون في الدنيا ما يدل عليه وهذا تقريع وتهكم ام سد ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا ﴿ اصلوها فاصبروا اولاتصبروا ﴾ اي ادخلوها على اي

﴿ ثم بين أنه متى يقع فقال تعالى ﴿ يوم تمور السماء مورا ﴾ أي تدور كدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف أجزاؤها بعضها من بعض وتضطرب ﴿ وتسير الجبال سيرا ﴾ أي تزول عن أماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة في مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لارجوع ولاعود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني آدم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها أزالها الله تعالى وذلك لخراب الدنيا وعمارة الآخرة ﴿ فويل ﴾ أي شدة عذاب ﴿ يومئذ للمكذبين ﴾ أي يوم القيامة ﴿ الذين هم في خوض ﴾ أي يخوضون في الباطل ﴿ يلعبون ﴾ أي غافلون لاهون عما يراد بهم ﴿ يوم يدعون ﴾ أي يدفعون ﴿ الى نار جهنم دعا ﴾ يعني دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون أيدي الكفار الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزخا في أقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها ﴿ هذه النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ أي في الدنيا ﴿ أفسحر هذا ﴾ وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر والى انه يغطي على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم أفسحر هذا ﴿ أم أنتم لاتبصرون اصلوها ﴾ أي قاسوا شدتها ﴿ فاصبروا ﴾ أي على العذاب ﴿ أو لاتصبروا ﴾ أي عليه

سواء عليكم) خبر سواء محذوف أى سواء عليكم الأمران الصبر وعدمه وقيل على العكس وعلل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم تعملون) لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بان يجزى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (ان المتقين فى جنات) فى أية جنات (ونعيم) أى وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة (فاكهين) حال من الضمير فى الظرف والظرف خبر أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) وعطف قوله (ووقاهم ربهم) على فى جنات أى ان المتقين استقروا فى جنات ووقاهم ربهم أو على آتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم (عذاب الجحيم) أو الواو للحال وقد بعدها مضمرة يقال لهم ﴿حزب ٩١﴾ (كلوا واشربوا هنيأ {سورة والطور} بما كنتم تعملون) أى كلا وشربا هنيأ أو طعاما وشرابا هنيأ وهو الذى لا تنغيص فيه (متكئين) حال من الضمير فى كلوا واشربوا (على سرر) جمع سرير (مصفوفة) موصول بعضها ببعض (وزوجناهم) وقرناهم (بحور) جمع حوراء (عين) عظام الاعين حسانها (والذين آمنوا) مبتدأ وألحقنا بهم خبره (واتبعتهم) وأتبعناهم أبو عمرو (ذريتهم) أولادهم (بايمان) حال

وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها ﴿سواء عليكم﴾ اى الامر ان الصبر وعدمه ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع ﴿ان المتقين فى جنات ونعيم﴾ فى اية جنات واى نعيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بهم ﴿فاكهين﴾ ناعمين متلذذين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾ عطف على آتاهم ان جعل ما مصدرية او فى جنات او حال باضمار قد من المستكن فى الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او منهما ﴿كلوا واشربوا هنيأ﴾ اى اكلا وشربا هنيأ او طعاما وشرابا هنيأ وهو الذى لا تنغيص فيه ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسببه أو بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيأ والمعنى هنا كما كنتم تعملون اى جزاؤه ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ مصطفة ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ الباء لما فى التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن ولما فى التزويج من معنى الالصاق والقران ولذلك عطف ﴿والذين آمنوا﴾ على حور اى قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله ﴿واتبعتهم ذريتهم بايمان﴾ اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع

﴿سواء عليكم﴾ أى الصبر والجزع ﴿انما تجزون ما كنتم تعملون﴾ أى من الكفر والتكذيب فى الدنيا * قوله تعالى ﴿ان المتقين فى جنات ونعيم فاكهين﴾ أى معجبين بذلك ناعمين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ أى من الخير والكرامة ﴿ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا﴾ أى يقال لهم كلوا ﴿واشربوا هنيأ﴾ أى مأمون العاقبة من التخمة والسقم ﴿بما كنتم تعملون﴾ أى فى الدنيا من الايمان والطاعة ﴿متكئين على سرر مصفوفة﴾ أى موضوعة بعضها الى بعض ﴿وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعناهم ذريتهم بايمان﴾ يعنى ألحقنا أولادهم الصغار فالكبار بايمانهم والكبار بايمانهم بانفسهم والصغار بايمان

(سواء عليكم) الجزع والصبر (انما تجزون ما كنتم تعملون) وتقولون فى الدنيا ثم بين مستقر المؤمنين أبى بكر وأصحابه فقال (ان المتقين) الكفر والشرك والفواحش (فى جنات) فى بساتين (ونعيم) دائم (فاكهين) معجبين (بما آتاهم ربهم) بما أعطاهم ربهم فى الجنة (ووقاهم) دفع عنهم (ربهم عذاب الجحيم) عذاب النار فيقول الله لهم (كلوا) من ثمار الجنة (واشربوا) من أنهارها (هنيأ) بلا داء ولا اثم ولا موت (بما كنتم تعملون) وتقولون فى الدنيا (متكئين) جالسين (على سرر مصفوفة) قد صف بعضها الى بعض (وزوجناهم) قرناهم فى الجنة (بحور) بجوار بيض (عين) عظام الاعين حسان الوجوه (والذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن وصدقوا بايمانهم (واتبعتهم ذريتهم بايمان) اى ان الذرية فى الذمة

من النازل (ألحقنا بهم ذريتهم) أى نلحق الاولاد بايمانهم وأعمالهم درجات الآباء وان قصرت أعمال الذرية عن أعمال الآباء بذل الذرية عن الدرجات ٩٢ يكون منهم الاعمال استدلالا و اذ تقنوا منهم

تقييد فهم لاحقون بالآباء ذرية ذريتهم مدنى ذريتهم ذرياتهم أبو عمرو ذرياتهم ذرياتهم شامى (وما ألتناهم من عملهم من شئ) وما نقصناهم من ثواب عملهم من شئ ألتناهم مكى ألت يألت والت يالت لغتان من الاولى متعلقة بالتناهم والثانية زائدة (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرهون فنفس المؤمن مرهونة بعمله وتجازى به (وأمددناهم) وزدناهم فى وقت بعد وقت (بفاكهة ولحم مما يشتهون) وان لم يقترحوا (يتنازعون

(ألحقنا بهم) بالآباء (ذريتهم) فى الآخرة فى درجة آبائهم ويقال والذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن ندخلهم الجنة واتبعتهم ذريتهم الصغار فى درجاتهم بايمان بايمان الذرية يوم الميثاق ألحقنا بهم بالآباء يقول ألحقنا بدرجات الآباء ذريتهم المدركين اذا كانت درجة آبائهم ارفع (وما ألتناهم من عملهم من شئ) يقول لم ننقص من درجة الآباء وثوابهم لاجل الحاق الذرية بهم (كل امرئ بما كسب) من الذنوب (رهين) مرتهن فيعدل لنفسه عليه ما شاء (وأمددناهم) (ويقولون) أعطيناهم يعنى أهل الجنة فى الجنة (بفاكهة) بألوان الفاكهة (ولحم) اى لحم طير (مما يشتهون) يتمنون (يتنازعون

وضم الدال بعد ذكرهم والتصريح بأن الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم والاشعار بانه يكفى فى الالحاق المتابعة فى اصل الايمان ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ فى دخول الجنة والدرجة لما روى مرفوعا انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقربهم عينه ثم تلا هذه الآية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم ﴿وما ألتناهم﴾ وما نقصناهم ﴿من عملهم من شئ﴾ بهذا الالحاق فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الآباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد ﴿كل امرئ بما كسب رهين﴾ بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها ﴿وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون﴾ اى وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع النعم ﴿يتنازعون

آبائهم فى المولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد أبويه ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ يعنى المؤمنين فى الجنة بدرجات آبائهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات آبائهم تكرمة لآبائهم لتقر بذلك أعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفى رواية أخرى عنه ان معنى الآية والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم يعنى البالغين بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان آبائهم أخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المؤمن ذريته فى الجنة كما كان يحب فى الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمله من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيأ وذلك قوله تعالى ﴿وما ألتناهم من عملهم من شئ﴾ يعنى وما نقصنا الآباء من أعمالهم شيأ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه فى العمل لتقربهم عينه ثم قرأ والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم الى آخر الآية عن على قال سألت خديجة النبى صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما فى النار فلما رأى الكراهة فى وجهها قال لو رأيت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدى منك قال فى الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين وأولادهم فى الجنة وان المشركين وأولادهم فى النار ثم قرأ النبى صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم أخرج هذين الحديثين البغوى باسناد الثعلبى ﴿كل امرئ﴾ أى كافر ﴿بما كسب﴾ أى عمل من الشرك ﴿رهين﴾ أى مرتهن بعمله فى النار والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى ﴿وأمددناهم بفاكهة﴾ يعنى زيادة على ما كان لهم ﴿ولحم مما يشتهون﴾ أى من أنواع اللحم ﴿يتنازعون﴾ أى يتعاطون

فيها كأسا) خمرا يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم يتناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا (لا لغو فيها) في شربها (ولا تأثيم) أي لا يجري بينهم ما يلغى يعني لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه اثم لو فعله فاعل في دار التكليف من الكذب والشتم ونحوهما كشاربي خمر الدنيا لان عقولهم ثابتة فيتكلمون بالحكم والكلام الحسن لا لغو فيها ولا تأثيم مكي وبصري (ويطوف عليهم غلمان لهم) مملوكون لهم مخصوصون بهم (كأنهم) من بياضهم وصفائهم (لؤلؤ مكنون) في الصدف لانه رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي القيمة في الحديث ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه

(وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استحق به نيل ما عند الله (قالوا انا كنا قبل) أي في الدنيا (في أهلنا مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله أو خائفين من نزع الايمان وفوت الامان أو من رد الحسنات والاخذ بالسيآت (فمن الله علينا) بالمغفرة والرحمة (ووقانا عذاب السموم) هي الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة (انا كنا من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه

فيها ﴾ يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب ﴿ كأسا ﴾ خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير في قوله ﴿ لا لغو فيها ولا تأثيم ﴾ اى لا يتكلمون بلغو الحديث في اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين في الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصريان بالفتح ﴿ ويطوف عليهم ﴾ اى بالكأس ﴿ غلمان لهم ﴾ اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم ﴿ كأنهم لؤلؤ مكنون ﴾ مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿ واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله ﴿ قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ﴾ خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة ﴿ فمن الله علينا ﴾ بالرحمة والتوفيق ﴿ ووقانا عذاب السموم ﴾ عذاب النار النافذة في المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد ﴿ انا كنا من قبل ﴾ من قبل ذلك في الدنيا

ويتداولون ﴿ فيها ﴾ أي في الجنة ﴿ كأسا لا لغو فيها ﴾ أي لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا ﴿ ولا تأثيم ﴾ أي لا يكون فيها ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو واثم كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا يأثمون في شربها ﴿ ويطوف عليهم ﴾ أي للخدمة ﴿ غلمان لهم كأنهم ﴾ أي في الحسن والبياض والصفاء ﴿ لؤلؤ مكنون ﴾ أي مخزون مصون لم تمسه الايدي قال عبد الله بن عمرو ما من أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿ قوله تعالى ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ يعني يسأل بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من الخوف والتعب في الدنيا ﴿ قالوا انا كنا قبل في أهلنا ﴾ أي في الدنيا ﴿ مشفقين ﴾ أي خائفين من العذاب ﴿ فمن الله علينا ﴾ أي بالمغفرة ﴿ ووقانا عذاب السموم ﴾ يعني عذاب النار وقيل هو اسم من أسماء جهنم ﴿ انا كنا من قبل ﴾

فيها) يتعاطون في الجنة (كأسا) خمرا (لا لغو فيها) لا وجع للبطن من شربها (ولا تأثيم) لا اثم عليهم في شربها ويقال لا لغو فيها لا باطل فيها ولا حلف في الجنة ولا تأثيم لا يشتم ولا يكذب بعضهم بعضا (ويطوف عليهم) في الخدمة (غلمان) وصفاء (لهم كأنهم) في الصفاء (لؤلؤ مكنون) قد كن من الحر والبرد والقر (وأقبل بعضهم على بعض) في الزيارة (يتساءلون) يتحدثون من أمر الدنيا (قالوا انا كنا قبل) قبل دخول الجنة (في أهلنا) مع أهلنا في الدنيا (مشفقين) خائفين من عذاب الله (فمن الله علينا) بالمغفرة والرحمة ودخول الجنة (ووقانا) دفع عنا (عذاب السموم) عذاب النار (انا كنا من قبل) من قبل المغفرة والرحمة

يعنون في الدنيا (ندعوه) نعبده ولا نعبد غيره ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذى اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب أنه بالفتح الكسائى ونافع وعلى أى بانه أولانه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم (فما أنت بنعمت ربك) برحمة ربك وانعامه عليك بالنبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما زعموا وهو فى موضع الحال والتقدير لست كاهنا ولا مجنونا متلبسا بنعمة ربك (أم يقولون) هو (شاعر نتربص به ريب المنون) حوادث الدهر أى ننتظر نوائب

الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة (قل تربصوا فانى معكم من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (أم تأمرهم أحلامهم) عقولهم (بهذا) التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الاحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم واسناد الامر الى الاحلام مجاز

﴿ندعوه﴾ نعبده اونسأله الوقاية ﴿انه هو البر﴾ المحسن وقرأ نافع والكسائى بفتح همزة انه ﴿الرحيم﴾ الكثير الرحمة ﴿فذكر﴾ فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم ﴿فما أنت بنعمت ربك﴾ بحمد الله وانعامه ﴿بكاهن ولا مجنون﴾ كما يقولون ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون﴾ ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه ﴿قل تربصوا فانى معكم من المتربصين﴾ اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى ﴿أم تأمرهم احلامهم﴾ عقولهم ﴿بهذا﴾ بهذا التناقض فى القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وأمر الاحلام به مجاز عن اداتها اليه ﴿أم هم قوم طاغون﴾ مجاوزون الحد فى العناد وقرئ بل هم

أى فى الدنيا ﴿ندعوه﴾ أى نخلص الدعاء والعبادة له ﴿انه هو البر﴾ قال ابن عباس اللطيف وقيل يعنى الصادق فيما وعد وقيل البر العطوف على عباده المحسن اليهم الذى عم بره جميع خلقه ﴿الرحيم﴾ بعبيده قوله عز وجل ﴿فذكر﴾ يعنى فعظ يا محمد بالقرآن كفار مكة ﴿فما أنت بنعمت ربك﴾ أى برحمته وعصمته وقيل بانعامه عليك بالنبوة ﴿بكاهن ولا مجنون﴾ الكاهن هو الذى يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر بما فى غد من غير وحى والمعنى انك لست كما يقول كفار مكة انه كاهن او مجنون انما تنطق بالوحى نزلت فى الذين اقتسموا أعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة والسحر والشعر والجنون ﴿أم يقولون﴾ يعنى هؤلاء المقتسمين ﴿شاعر﴾ أى هو شاعر ﴿نتربص به﴾ أى ننتظر به ﴿ريب المنون﴾ يعنى حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء او يتفرق عنه أصحابه وان أباه مات وهو شاب ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه والمنون اسم للموت وللدهر وأصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل ﴿قل تربصوا﴾ أى انتظروا بى الموت ﴿فانى معكم من المتربصين﴾ أى من المنتظرين حتى يأتى أمر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل والسبى ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ أى عقولهم ﴿بهذا﴾ وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل ﴿أم هم قوم طاغون﴾ أى يتجاوزون الحد فى الطغيان والكفر

(ندعوه) نعبده ونوحده (انه هو البر) الصادق فى قوله فيما وعدنا (الرحيم) بعباده المؤمنين اذ رحمنا (فذكر) فعظ يا محمد (فما أنت بنعمة ربك) بالنبوة والاسلام (بكاهن) تخبر بما فى الغد (ولا مجنون) لا تختنق (أم يقولون) بل يقولون كفار مكة أبو جهل والوليد بن المغيرة وأصحابه (شاعر) يقوله من تلقاء نفسه (نتربص به) ننتظر به (ريب المنون) وجع الموت (قل) يا محمد لابى جهل والوليد بن المغيرة وأصحابه (تربصوا) انتظروا موتى (فانى معكم من المتربصين) من المنتظرين بكم العذاب فعذبوا يوم بدر (أم تأمرهم) تأمرهم (أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) التكذيب والشتم والاذى لمحمد عليه السلام وهذه طعنة لهم من الله (أم هم) بل هم (قوم طاغون) كافرون عالون فى معصية الله

(أم يقولون تقوله) اختلقه محمد من تلقاء نفسه (بل) رد عليهم أى ليس الامر كما زعموا (لايؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب (فليأتوا بحديث) مختلق (مثله) مثل القرآن (ان كانوا صادقين) فى أن محمدا تقوله من تلقاء نفسه لانه بلسانهم وهم فصحاء (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم (من غير شئ) من غير مقدر (أم هم الخالقون) أم هم الذين خلقوا أنفسهم ﴿٩٥﴾ حيث لايعبدون الخالق (سورة والطور) وقيل أخلقوا من أجل لاشئ من جزاء ولاحساب أم هم خالقون فلا يأمرون (أم خلقوا السموات والارض) فلا يعبدون خالقهما (بل لايوقنون) أى لايتدبرون فى الآيات فيعلموا خالقهم وخالق السموات والارض (أم عندهم خزائن ربك) من النبوة والرزق وغيرهما فيخصوا من شاؤا بما شاؤا (أم هم المصيطرون) الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية

﴿ أم يقولون تقوله ﴾ اختلقه من تلقاء نفسه ﴿ بل لايؤمنون ﴾ فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم ﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾ مثل القرآن ﴿ ان كانوا صادقين ﴾ فى زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدى ويجوز ان يكون ردا للتقول فان سائر الاقسام ظاهر الفساد ﴿ أم خلقوا من غير شئ ﴾ أم احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لايعبدونه اومن اجل لاشئ من عبادة ومجازاة ﴿ أم هم الخالقون ﴾ يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ﴿ أم خلقوا السموات والارض ﴾ وأم فى هذه الآيات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ﴿ بل لايوقنون ﴾ اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله اذلو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ﴿ أم عندهم خزائن ربك ﴾ خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ﴿ أم هم المسيطرون ﴾

﴿ أم يقولون تقوله ﴾ أى اختلق القرآن من تلقاء نفسه والتقول التكلف ولا يستعمل الا فى الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا ﴿ بل لايؤمنون ﴾ أى بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة فقال تعالى ﴿ فليأتوا بحديث مثله ﴾ أى مثل القرآن فى نظمه وحسنه وبيانه ﴿ ان كانوا صادقين ﴾ يعنى ان محمدا تقوله من قبل نفسه ﴿ أم خلقوا من غير شئ ﴾ قال ابن عباس من غير رب خالق والمعنى أم خلقوا من غير شئ خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لايجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق ﴿ أم هم الخالقون ﴾ أى لانفسهم وذلك فى البطلان أشد لان ما لاوجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل فى معنى الآية أخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون أم هم الخالقون أى لانفسهم فلا يجب عليهم لله أمر ﴿ أم خلقوا السموات والارض ﴾ يعنى ليس الامر كذلك ﴿ بل لايوقنون ﴾ أى بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى هو خالقهم وخالق السموات والارض فيؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم ﴿ أم عندهم خزائن ربك ﴾ يعنى النبوة ومفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤا وقيل خزائن المطر والرزق ﴿ أم هم المسيطرون ﴾ أى المسلطون الجبارون وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت أمر ولا نهى ويفعلون ما شاؤا

(أم تقولون) بل يقولون كفار مكة (تقوله) تخلق وكذب محمد عليه السلام القرآن من تلقاء نفسه (بل لايؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فى عليته (فليأتوا بحديث مثله) فليجيؤا بقرآن مثل قرآن محمد عليه السلام من تلقاء أنفسهم (ان كانوا صادقين) ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه (أم خلقوا من غير شئ) من غير أب وقيل من غير رب (أم هم الخالقون) غير المخلوقين (أم خلقوا السموات والارض) بل الله خلقهما (بل لايوقنون) بل لايصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (أم عندهم) أعندهم (خزائن ربك) مفاتيح خزائن ربك بالمطر والرزق والنبات والنبوة (أم هم المسيطرون) المسلطون على ذلك

ويبنوا الامور على مشيئتهم وبالسين مكي وشامي (أم لهم سلم) منصوب يرتقون به الى السماء (يستمعون فيه) كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما يزعمون قال الزجاج يستمعون فيه أي عليه (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم (أم له البنات ولكم البنون) ثم سفه أحلامهم حيث اختاروا لله ما يكرهون وهم حكماء عند أنفسهم (أم تسئلهم أجرا) على التبليغ والانذار (فهم من مغرم مثقلون) المغرم أن يلتزم الانسان ما ليس عليه أي لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك في اتباعك (أم عندهم الغيب) أي اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لانبعث وان بعثنا لم نعذب (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله والمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة اليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله تعالى (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته (أم لهم اله غير الله) يمنعهم من عذاب الله

(أم لهم سلم يستمعون فيه) يصعدون فيه الى السماء (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة بينة على ما يقولون (أم له البنات) ترضونها وأنتم تكرهونها (ولكم البنون) تختارونهم (أم تسألهم) يا محمد (أجرا) جعلا على الايمان (فهم من مغرم) من غرم (مثقلون) بالاجابة (أم عندهم الغيب) بأنهم لا يبعثون (فهم يكتبون) أي عندهم كتب يكتبون منها ما شاؤا من اللوح المحفوظ فهم كانوا منه ما يقولون ويعملون (أم يريدون) بل يريدون (كيدا) قتلك يا محمد (فالذين كفروا) كفار مكة أبو جهل وأصحابه الذين أرادوا قتل محمد عليه السلام (هم المكيدون) المقتولون يوم بدر لهم (أم لهم آله غير الله) يمنعهم من عذاب الله

{سحن}

الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاء والباقون بالصاد خالصا ﴿ أم لهم سلم ﴾ مرتقى الى السماء ﴿ يستمعون فيه ﴾ صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن ﴿ فليأت مستمعهم بسلطان مبين ﴾ بحجة واضحة تصدق استماعه ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾ فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا عن ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ﴿ أم تسألهم اجرا ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿ فهم من مغرم ﴾ من التزام غرم ﴿ مثقلون ﴾ محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ﴿ أم عندهم الغيب ﴾ اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات ﴿ فهم يكتبون ﴾ يحكمون منه ﴿ أم يريدون كيدا ﴾ وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله ﴿ فالذين كفروا ﴾ يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور ﴿ هم المكيدون ﴾ هم الذين يحيق بهم الكيد ويعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ﴿ أم لهم اله غير الله ﴾

﴿ أم لهم سلم ﴾ يعني مرقى ومصعدا الى السماء ﴿ يستمعون فيه ﴾ أي يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون أن ما هم عليه حق فهم به متمسكون ﴿ فليأت مستمعهم ﴾ أي ان ادعوا ذلك ﴿ بسلطان مبين ﴾ أي بحجة بينة ﴿ أم له البنات ولكم البنون ﴾ هذا انكار عليهم حيث جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم ﴿ أم تسئلهم أجرا ﴾ أي جعلا على ما جئتهم به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين ﴿ فهم من مغرم مثقلون ﴾ يعني أثقلهم ذلك المغرم الذي سألتهم فمنعهم عن الاسلام ﴿ أم عندهم الغيب ﴾ أي علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا أن ما يخبرهم به الرسول من أمر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى أعلموا ان محمدا يموت قبلهم ﴿ فهم يكتبون ﴾ أي يحكمون قال ابن عباس معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به ﴿ أم يريدون كيدا ﴾ أي مكرا بك ليهلكوك ﴿ فالذين كفروا هم المكيدون ﴾ أي المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر ﴿ أم لهم اله غير الله ﴾ يعني يرزقهم وينصرهم

(سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب) الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب (مركوم) قد ركم أى جمع بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا انه كسف ساقط للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) بضم الياء عاصم وشامى الباقون بفتح الياء يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعقة (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة ٩٧ (عذابا دون ذلك) دون {سورة والطور} يوم القيامة وهو القتل يوم بدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك ثم أمره بالصبر الى أن يقع بهم العذاب فقال (واصبر لحكم ربك) بامهالهم وبما يلحقك فيه من المشقة (فانك باعيننا) أى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ الجماعة ألا ترى الى قوله ولتصنع على عينى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) للصلاة وهو ما يقال بعد التكبير سبحانك اللهم وبحمدك أو من أى مكان

يعينهم ويحرسهم من عذابه ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ عن اشراكهم او شركة ما يشركون به ﴿ وان يروا كسفا ﴾ قطعة ﴿ من السماء ساقطا يقولوا ﴾ من فرط طغيانهم وعنادهم ﴿ سحاب مركوم ﴾ هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ﴾ وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبنى للمفعول من صعقه او اصعقه ﴿ يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ﴾ اى شيأ من الاغناء فى رد العذاب ﴿ ولاهم ينصرون ﴾ يمنعون من عذاب الله تعالى ﴿ وان للذين ظلموا ﴾ يحتمل العموم والخصوص ﴿ عذابا دون ذلك ﴾ اى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة فى الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ ذلك ﴿ واصبر لحكم ربك ﴾ بامهالهم وابقائك فى عنائهم ﴿ فانك باعيننا ﴾ فى حفظنا بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ من اى مكان

﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ المعنى انه نزه نفسه عما يقولون * قوله تعالى ﴿ وان يروا كسفا من السماء ساقطا ﴾ هذا جواب لقولهم فأسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم ﴿ يقولوا ﴾ لمعاندتهم هذا ﴿ سحاب مركوم ﴾ أى بعضه على بعض يسقينا ﴿ فذرهم حتى يلاقوا ﴾ أى يعاينوا ﴿ يومهم الذى فيه يصعقون ﴾ أى يموتون ويهلكون ﴿ يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولاهم ينصرون ﴾ أى لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع ﴿ وان للذين ظلموا ﴾ أى كفروا ﴿ عذابا دون ذلك ﴾ أى عذابا فى الدنيا قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر ﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ أى ان العذاب نازل بهم * قوله عز وجل ﴿ واصبر لحكم ربك ﴾ أى الى أن يقع بهم العذاب الذى حكمنا عليهم به ﴿ فانك باعيننا ﴾ أى بمرأى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه انك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون اليك بمكروه ﴿ وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴾ أى وقل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له

(سبحان الله) نزه نفسه (عما يشركون) به من الاوثان (وان يروا) كفار مكة (كسفا) قطعا (من السماء ساقطا) نازلا (يقولوا سحاب مركوم) هذا سحاب مركوم بعضه على بعض من تكذيبهم (فذرهم) اتركهم يا محمد (حتى يلاقوا) يعاينوا (يومهم الذى ﴿ قا و خا ١٣ س ﴾ فيه يصعقون) يموتون (يوم) وهو يوم القيامة (لا يغنى عنهم) عن أبى جهل وأصحابه (كيدهم) لا ينفعهم صنعهم من عذاب الله (شيأ ولاهم ينصرون) يمنعون مما يراد بهم (وان للذين ظلموا) أشركوا كفار مكة (عذابا) فى القبر (دون ذلك) دون عذاب جهنم (ولكن أكثرهم) كلهم (لا يعلمون) ذلك لا يصدقون (واصبر لحكم ربك) على تبليغ رسالة ربك ويقال ارض بقضاء ربك فيما يصيبك فى طاعته (فانك باعيننا) بمنظر منا (وسبح بحمد ربك) صل بأمر ربك (حين تقوم) من فراشك صلاة الفجر

قت اومن منامك اوالى الصلاة ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد من الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدمه على الفعل ﴿ وادبار النجوم ﴾ واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت او خفيت * وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته

سورة والنجم مكية وآيها احدى او ثنتان وستون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والنجم اذاهوى ﴾ اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه اذا غرب او انتثر

---

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكرك الله باللسان حين تقوم من الفراش الى أن تدخل فى الصلاة وعن عاصم بن حميد قال سألت عائشة باى شئ كان يفتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله عشرا وسبح عشرا وهلل عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لى وارحمنى واهدنى وارزقنى وعافنى وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائى وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه ماروى عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك أخرجه الترمذى وأبو داود وقد تكلم فى أحد رواته * وقوله تعالى ﴿ ومن الليل فسبحه ﴾ أى فصل له يعنى صلاة المغرب والعشاء ﴿ وأدبار النجوم ﴾ يعنى الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر النجوم أى تغيب بضوء الصبح هذا قول أكثر المفسرين يدل عليه ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هى فريضة صلاة الصبح (ق) عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى المغرب بالطور والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة النجم وهى مكية وهى اثنتان وستون آية

وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربعمائة وخمسة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ والنجم اذا هوى ﴾ قال ابن عباس يعنى الثريا اذا سقطت وغابت

قت أو من منامك (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وأدبار زيد أى فى أعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول سبحان الله وبحمده فى هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر وبالله التوفيق

﴿ سورة النجم اثنتان وستون آية مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(والنجم) أقسم بالثريا أو بجنس النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو انتثر يوم

(ومن الليل) والى الليل وبعد دخول الليل (فسبحه) فصل له صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء (وادبار النجوم) ركعتين بعد الفجر وادبار النجم اذاهوى

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها النجم وهى كلها مكية الا الآية التى نزلت فى عثمان وعبدالله بن سعد ابن أبى سرح فانها مدنية آياتها ستون وكلماتها ثلاثمائة وحروفها ألف وأربعمائة وخمسة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وباسناده عن ابن عباس فى قوله جل ذكره (والنجم اذاهوى) يقول أقسم الله بالقرآن اذا نزل به جبريل على محمد نجوما آية وآيتين وثلاثا وأربعا وكان من أوله الى آخره عشرون

{ والعرب }

القيامة وجواب القسم (ماضل) عن قصد الحق (صاحبكم) اى محمد صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش (وماغوى) فى اتباع الباطل وقيل الضلال نقيض الهوى والغى نقيض الرشد أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى) وما آتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحى من عند الله يوحى اليه ﴿٩٩﴾ ويحتج بهذه الآية من (سورة والنجم) لا يرى الاجتهاد للانبياء عليهم السلام ويجاب بان الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد وقررهم عليه كان كالوحى لا نطقا عن الهوى (علمه) اى محمدا عليه السلام (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل

يوم القيامة اوانقض اوطلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد اوبالنجم من نجوم القرآن اذا نزل اوالنبات اذا سقط على الارض اواذا نما وارتفع على قوله ﴿ ماضل صاحبكم ﴾ ماعدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم ﴿ وماغوى ﴾ وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفى ماينسبون اليه ﴿ وماينطق عن الهوى ﴾ ومايصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ﴿ ان هو ﴾ ما القرآن اوالذى ينطق به ﴿ الا وحى يوحى ﴾ الا وحى يوحيه الله اليه واحتج به من لم يرالاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده ومايستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لا الوحى ﴿ علمه شديد القوى ﴾ ملك شديد قواه وهو جبرائيل فانه الواسطة فى ابداء الخوارق روى انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا

والعرب تسمى الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء وجاء فى الحديث عن أبى هريرة مرفوعا ماطلع النجم قط وفى الارض من العاهة شئ الارفع أراد بالنجم الثريا وقيل هى نجوم السماء كلها وهويها غروبها فعلى هذا لفظه واحد ومعناه الجمع وروى عن ابن عباس انه الرجوم من النجوم وهى ماترمى به الشياطين عند استراق السمع وقيل هى النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل أراد بالنجم القرآن سمى نجما لانه نزل نجوما متفرقة فى عشرين سنة وهو قول ابن عباس أيضا وقيل النجم هو النبت الذى لا ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم وهويه نزوله ليلة المعراج من السماء وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ماضل صاحبكم ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ماضل عن طريق الهدى ﴿ وماغوى ﴾ أى ماجهل وقيل الفرق بين الضلال والغى ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا أصلا والغواية ان لا يكون له طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال أكثر استعمالا من الغواية ﴿ وماينطق عن الهوى ﴾ أى بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القرآن من تلقاء نفسه ﴿ ان هو ﴾ أى ماهو يعنى القرآن وقيل نطقه فى الدين ﴿ الا وحى ﴾ من الله ﴿ يوحى ﴾ اليه ﴿ علمه شديد القوى ﴾ يعنى جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ماأوحى الله اليه عزوجل وكونه شديد القوى انه اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحى على الانبياء أسرع من رجعة الطرف

سنة فلما نزلت هذه الآية سمع عتبة بن أبى لهب ان محمدا عليه السلام يقسم بنجوم القرآن فقال أبلغوا محمدا صلى الله عليه وسلم انى كافر بنجوم القرآن فلما بلغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم سلط عليه سبعا من سباعك فسلط الله عليه أسدا قريبا من حران فأخرجه من بين أصحابه غير بعيد ومزقه من رأسه الى قدمه ولم يذقه لنجاسته ولكن تركه كما كان لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال أقسم الله بالنجوم اذا غابت (ماضل صاحبكم) ولهذا كان القسم ما كذب نبيكم محمد عليه السلام فيما قال لكم (وماغوى) لم يخطئ ولم يضل فى قوله (وماينطق عن الهوى) لم يتكلم بالقرآن بهوى نفسه (ان هو) ماهو يعنى القرآن (الا وحى) من الله (يوحى) اليه جبريل حتى جاء اليه وقرأه عليه (علمه) أى أعلمه جبريل (شديد القوى) وهو شديد القوة بالبدن

عليه السلام عند الجمهور ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين (ذومرة) ذومنظر حسن عن ابن عباس (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وكان ينزل فى صورة دحية، ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الافق الاعلى وهو أفق الشمس فملأ الافق وقيل ماراه أحد من الانبياء عليهم السلام فى صورته الحقيقية سوى محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء (وهو) أى جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى) (ثم دنى) جبريل من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فزاد فى القرب والتدلى هو النزول بقرب الشئ (فكان قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع ومنه لاصلاة ولا كلام الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا ومافيها والقد السوط وتقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت المضافات (أوأدنى) أى على تقديركم كقوله أو يزيدون وهذا لانهم

جاذبين ﴿ ذومرة ﴾ حصافة فى عقله ورأيه ﴿ فاستوى ﴾ فاستقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها قيل مارآه احد من الانبياء فى صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض وقيل استولى بقوته على ماجعل له من الامر ﴿ وهو بالافق الاعلى ﴾ افق السماء والضمير لجبرائيل ﴿ ثم دنا ﴾ من النبى ﴿ فتدلى ﴾ فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول عليه الصلاة والسلام وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله وتقريرا لشدة قوته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة ويقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالى الثمر المعلق ﴿ فكان ﴾ جبريل كقولك هومنى معقد الازار او المسافة بينهما ﴿ قاب قوسين ﴾ مقدارهما ﴿ اودنى ﴾ على

﴿ ذومرة ﴾ أى ذوقوة وشدة وقال ابن عباس ذومنظر حسن وقيل ذوخلق طويل حسن ﴿ فاستوى ﴾ يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام ﴿ وهو ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج ﴿ بالافق الاعلى ﴾ عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعنى جبريل وهو كناية عن جبريل أيضا أى قام فى صورته التى خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك أن جبريل عليه الصلاة والسلام كان يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورة الآدميين كما كان يأتى الانبياء قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه على صورته التى جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء فاما اتى فى الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحراء فطلع له جبريل عليه الصلاة والسلام من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورة الآدميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه وهو قوله تعالى ثم دنا فتدلى وأما اتى فى السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء على تلك الصورة التى خلق عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قوله تعالى ﴾ ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أوأدنى ﴾

(ذومرة) ذوشدة ويقال ذوقوة وكانت قوته حيث أدخل يده تحت قريات لوط فقلعهامن الماء الاسود ورفعها الى السماء وقلبها فأقبلت تهوى من السماء الى الارض وكانت شدته حيث أخذ بعضادتى باب انطاكية فصاح فيها صيحة فمات من فيها من الخلائق ويقال كانت شدته حيث نفخ ابليس نفخة بريشة من جناحه على عقبة من اعقاب بيت المقدس فضربه على أقصى حجر بالهند (فاستوى) جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها ويقال فاستوى فى صورة خلق حسن (وهو بالافق الاعلى) بمطلع الشمس ويقال فى السماء السابعة (ثم دنا) جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ويقال محمد الى ربه (فتدلى) فتقرب (فكان قاب قوسين) من قسى العرب (أوأدنى) بل ﴿اختلف﴾

تقديركم كقوله تعالى اويزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس ﴿ فأوحى ﴾ جبريل ﴿ الى عبده ﴾ عبدالله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها ﴿ ماأوحى ﴾ جبريل وفيه تفخيم

اختلف العلماء فى معنى هذه الآية فروى عن مسروق بن الاجدع قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أوأدنى قالت ذلك جبريل كان يأتيه فى صورة الرجل وانه أتاه فى هذه المرة فى صورته التى هى صورته فسدالافق أخرجاه فى الصحيحين وعن زربن حبيش فى قوله تعالى فكان قاب قوسين أوأدنى وفى قوله ماكذب الفؤاد مارأى وفى قولى لقدرأى من آيات ربه الكبرى قال فيها كلها ان ابن مسعود قال رأى جبريل عليه الصلاة والسلام له ستمائة جناح زاد فى رواية أخرى رأى جبريل فى صورته أخرجه مسلم والبخارى فى قوله تعالى فكان قاب قوسين أوأدنى فاوحى الى عبده ماأوحى فعلى هذا يكون معنى الآية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان منه قاب قوسين أوأدنى أى بل أدنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير تقديره ثم تدلى فدنا لان التدلى سبب الدنو وقال آخرون ثم دنا الرب عزوجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى أى فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين أوأدنى وقد ورد فى الصحيحين فى حديث المعراج من رواية شريك بن عبدالله بن أبى نمر عن أنس ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أوأدنى وهذه رواية أبى سلمة عن ابن عباس والتدلى هو النزول الى النبى صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبدالحق فى كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر حديث أنس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة وأتى فيه بالفاظ غيرمعروفة وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البنانى وقتادة يعنى عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى به وفى رواية شريك قدم واخر وزاد ونقص فيحتمل ان هذا اللفظ من زيادة شريك فى الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى أى فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين أو أدنى والقاب القدر والقوس الذى يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فخبر انه كان بين جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تأكيد القرب وأصله ان الحليفين من العرب كانا اذا أرادا عقد الصفاء والعهد بينهما خرجا بقوسيهما فالصقا بينهما يريدان بذلك انهما متظاهران يحامى كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبدالله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع التى يقاس بها من قاس يقيس أوأدنى بل أقرب ﴿ فأوحى ﴾ أى فاوحى الله ﴿ الى عبده ﴾ محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ماأوحى ﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال أوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأوحى اليه ربه عز وجل وقال سعيد بن جبير أوحى اليه ألم يجدك يتيما فآوى الى قوله ورفعنا لك

خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وهم يقولون هذا قدر رمحين أو أنقص وقيل بل أدنى (فأوحى) جبريل عليه السلام (الى عبده) الى عبدالله وان لم يجر لاسمه ذكر لانه لايلتبس كقوله ماترك على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحى الذى أوحى اليه قيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك

أدنى بنصف قوس (فأوحى الى عبده) جبريل (ماأوحى) الى عبده محمد عليه السلام ويقال فأوحى جبريل الى الى عبده محمد عليه السلام ما أوحى الذى أوحى ويقال فأوحى الى عبده محمد الذى أوحى

لموحى به اوالله اليه وقيل المتدلى كالهاللهتعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله هوالرزاق ذوالقوةالمتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ ما رأى ببصره من صورة جبرائيل اوالله تعالى اى ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر اوماقال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولوقال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره اوما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل هل رأيت ربك فقال رأيته بفؤادي وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك فيه ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ أفتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة فان كلا من المتجادلين يمرى ماعند صاحبه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب افتمرونه اى افتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته اوافتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى لتضمين الفعل معنى الغلبة فان المماري والجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم

ذكرت وقيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها أنت وعلى الامم حتى تدخلها أمتك * قوله عزوجل ﴿ما كذب الفؤاد﴾ قرئ بالتشديد أى ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ما رأى﴾ أى بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف أى ما كذب فؤاد محمد الذى رآه بل صدقه والمعنى ما كذب الفؤاد فيما رأى واختلفوا فى الذى رآه فقيل رأى جبريل وهو قول ابن عباس وابن مسعود وعائشة وقيل هوالله عزوجل ثم اختلفوا فى معنى الرؤية فقيل جعل بصره فى فؤاده وهو قول ابن عباس (م) عن ابن عباس ما كذب الفؤاد ما رأى ولقد رآه نزلة أخرى قال رآه بفؤاده مرتين وذهب جماعة الى انه رآه بعينه حقيقة وهوقول أنس بن مالك والحسن وعكرمة قالوا رأى محمد ربه عزوجل وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله عزوجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمدا بالرؤية وقال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين أخرجه الترمذى باطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الآية على رؤية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة يا أمه هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن حدثك انه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت ومن حدثك أن محمدا كتم أمرا فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين أخرجاه فى الصحيحين (م) عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور انى اراه * قوله عزوجل ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ يعنى أفتجادلونه على ما يرى وذلك انهم جادلوه حين أسرى به وقالوا صف

أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولوقال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعنى رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى ان ما رآه حق وقيل المرئى هوالله سبحانه رآه بعين رأسه وقيل بقلبه (أفتمارونه) أفتجادلونه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمرى ماعند صاحبه أفتمرونه حمزة وعلى وخلف ويعقوب أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة قال (على ما يرى) فعدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين

(ما كذب الفؤاد) فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم (ما رأى) الذى رأى ربه بقلبه ويقال رأى ربه بفؤاده ويقال ببصره وهذا جواب القسم فلما أخبرهم النبى عليه السلام كذبوه فنزل (أفتمارونه) أفتكذبونه (على ما يرى) على ما قد رأى محمد عليه السلام وان قرأت بالالف يقول أفتجادلونه على ما قد رأى

﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية فى هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام فى المرئى والدنو ماسبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد بدنفى الريبة عن المرة الاخيرة ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ التى ينتهى اليها علم الخلائق واعمالهم اومايتزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهى شجرة النبق لانهم يجتمعون فى ظلها وروى مرفوعا انها فى السماء السابعة ﴿ عندها جنة المأوى ﴾ الجنة التى يأوى اليها المتقون اوارواح الشهداء ﴿ اذيغشى السدرة مايغشى ﴾ تعظيم وتكثير

لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا فى الطريق وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى أفتجادلونه جدالا ترومون به دفعه عما رآه وعلمه ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ يعنى رأى جبريل فى صورته التى خلق عليها نازلا من السماء نزلة اخرى وذلك انه رآه فى صورته مرتين مرة فى الارض ومرة عند سدرة المنتهى (م) عن أبى هريرة ولقد رآه نزلة أخرى قال رأى جبريل وعلى قول ابن عباس يعنى نزلة أخرى هو انه كانت للنبى صلى الله عليه وسلم فى تلك الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فرأى ربه عزوجل فى بعضها وروى عن ابن عباس انه رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه رآه بعينه ﴿ عند سدرة المنتهى ﴾ (م) عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة واليها ينتهى مايعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط من فوقها فيقبض منها وقال اذيغشى السدرة مايغشى قال فراش من ذهب وفى رواية الترمذى اليها ينتهى علم الخلائق لاعلم لهم فوق ذلك وفى حديث المعراج المخرج فى الصحيحين ثم صعد بى الى السماء السابعة ثم قال رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كآذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى وفى أفراد مسلم من حديث أنس قال ثم عرج بنا الى السماء السابعة وذكره الى ان قال فيه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من نور الله ماغشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها وقال هلال بن يساف سأل ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وأنا حاضر فقال كعب انها سدرة فى أصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهى علم الخلائق وماخلفها غيب لايعلمه الاالله عزوجل وعن أسماء بنت أبى بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب فى ظل الفنن منها مائة سنة أوقال يستظل بظلها مائة ألف راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال أخرجه الترمذى وقال مقاتل هى شجرة تحمل الحلى والحلل والثمار من جميع الالوان ولو أن ورقة وضعت منها فى الارض لاضاءت لاهل الارض وهى شجرة طوبى التى ذكرها الله فى سورة الرعد ﴿ عندها جنة المأوى ﴾ قال ابن عباس جنة يأوى يأوى اليها جبريل والملائكة وقيل تأوى اليها أرواح الشهداء ﴿ اذيغشى السدرة مايغشى ﴾

من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج (عند سدرة المنتهى) الجمهور على انها شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كانها فى منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولايعلم أحد ماوراءها وقيل تنتهى اليها أرواح الشهداء (عندها جنة المأوى) أى الجنة التى يصير اليها المتقون وقيل تأوى اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى السدرة مايغشى)

(ولقد رآه) يعنى رأى محمد عليه السلام جبريل وقيل ربه بفؤاده وقيل ببصره (نزلة أخرى) مرة أخرى غير التى أخبركم بها (عند سدرة المنتهى) التى ينتهى اليها كل ملك مقرب ونبى مرسل وقيل ينتهى اليها علم كل ملك مقرب ونبى مرسل وعالم راسخ (عندها) عند السدرة (جنة المأوى)

أوى اليها أرواح الشهداء (اذ يغشى) يعلو (السدرة مايغشى) مايعلو من فراش من ذهب ...

ما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ﴿ مازاغ البصر ﴾ ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه ﴿ وما طغى ﴾ وما تجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التى امر برؤيتها وما جاوزها ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ اى والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اى شيأ من آيات ربه او من مزيدة

قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة أمثال الغربان وقيل أمثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها نور الخلاق وغشيتها الملائكة من حب الله تعالى أمثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة ويروى فى الحديث قال رأيت على كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله عزوجل ﴿ مازاغ البصر وما طغى ﴾ أى ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام وفى تلك الحضرة المقدسة الشريفة يمينا وشمالا ولا جاوز ما رأى وقيل ما أمر به وهذا وصف أدبه صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام الشريف اذ لم يلتفت به الى شئ سوى ما امر به وفى معنى الآية ان قلنا ان الذى يغشى السدرة فراش من ذهب أى لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان ادبه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذى يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه وجهان أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت عنه يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك النور الوجه الثانى مازاغ البصر بصعقة ولا غشية كما أخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا وذلك أنه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على جبل قطع نظره وغشى عليه ونبينا صلى الله عليه وسلم ثبت فى ذلك المقام العظيم الذى تحار فيه العقول وتزل فيه الاقدام وتميل فيه الابصار فوصف الله عزوجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك المقام العظيم بقوله تعالى مازاغ البصر وما طغى وقوله تعالى ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ يعنى رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات العظام وقيل أراد ما رأى تلك الليلة فى مسيره ورجوعه وقيل معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى (م) عن عبد الله بن مسعود قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل فى صورته له ستمائة جناح (خ) عنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى رفرفا أخضر سد أفق السماء

فصل

من كلام الشيخ محيي الدين النواوى فى معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى وهل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه عزوجل ليلة الاسراء قال القاضى عياض اختلف السلف والخلف هل رأى نبينا صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسراء فانكرته عائشة كما وقع فى صحيح مسلم وجاء مثله عن أبى هريرة وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروى عن ابن عباس أنه رآه بعينه

أى رآه اذ يغشى السدرة ما يغشى وهو تعظيم وتكبير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله أشياء لا يحيط بها الوصف وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يغشاها فراش الذهب (مازاغ البصر) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها (وما طغى) وما جاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه الكبرى) الآيات التى هى كبراها عظماها يعنى حين رقى به الى السماء فأرى عجائب الملكوت

(مازاغ البصر) ما مال البصر بصر محمد عليه السلام يمينا ولا شمالا عما رأى (وما طغى) ما تجاوز عما رأى رأى جبريل له ستمائة جناح (لقد رأى) محمد صلى الله عليه وسلم (من آيات ربه الكبرى) من عجائب ربه الكبرى أى العظمى

ومثله عن أبي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكى مثله عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل وحكى أصحاب المقالات عن أبي الحسن الاشعري وجماعة من أصحابه انه رآه ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل في الدنيا جائزة وسؤال موسى اياها دليل على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز أو يمتنع على ربه واختلفوا في ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الاسراء بغير واسطة أم لا فحكي عن الاشعري وقوم من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول الى جعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك اختلفوا في قوله ثم دنا فتدلى فالاكثر على أن هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم أو مختص باحدهما من الآخر أو من سدرة المنتهى وذكر ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم أنه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه أو من الله فعلى هذا القول يكون الدنو والتدلي متأولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود فيكون معنى دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه واشراق أنوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه وأسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى قاب قوسين أو أدنى هنا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا آخر كلام القاضي عياض. قال الشيخ محيي الدين وأما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج في المسئلة وان كانت كثيرة ولكن لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس أتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين وعن عكرمة قال سئل ابن عباس هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد روى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال رأى محمد ربه عز وجل وكان الحسن يحلف لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل والاصل في المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة وعالمها والمرجوع اليه في المعضلات وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة وراسله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فاخبره أنه رآه ولا يقدح في هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم أر ربي وانما ذكرت ما ذكرت متأولة لقول الله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ولقوله لا تدركه الابصار والصحابي اذا قال قولا وخالفه غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة باثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها لانها ليست مما يدرك بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز أحد أن يظن بابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا باعلم من

﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾

من ابن عباس ثم ان ابن عباس أثبت مانفاه غيره والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير في اثبات الرؤية قال الشيخ محيي الدين فالحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الاسراء لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم واثبات هذا لا يأخذونه الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ثم ان عائشة لم تنف الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وانما اعتمدت على الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها فنقول أما احتجاج عائشة رضي الله تعالى عنها بقوله تعالى لا تدركه الابصار فجوابه ظاهر فان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره وأما احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية فالجواب عنه من أوجه أحدها انه لا يلزم مع الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الوجه الثاني انه عام مخصوص بما تقدم من الادلة الوجه الثالث ماقاله بعض العلماء ان المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا القول وان كان محتملا لكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الالهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا عن موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة في أول الحديث لقد قف شعري فمعناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال تقول العرب عند انكار الشيء قف شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر نوراني أراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في أني وتشديد النون المفتوحة ومعناه حجابه نور فكيف أراه قال الماوردي الضمير في أراه عائد على الله تعالى والمعنى أن النور يمنعني من الرؤية كما جرت العادة باغشاء الانوار الابصار ومنعها من ادراك ما حلت بين الرائي وبينه وفي رواية رأيت نورا معناه رأيت النور فحسب ولم أر غيره وفي رواية ذاته نوراني أراه ومعناه هو خالق النور المانع من رؤيته فيكون من صفات الافعال ومن المستحيل أن تكون ذات الله نورا اذ النور من جملة الاجسام والله يتعالى عن ذلك هذا مذهب جميع أئمة المسلمين والله أعلم * قوله عز وجل ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ﴾ هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها واشتقوا لها أسماء من اسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى وقيل العزى تأنيث الاعز والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء وكان اللات بالطائف وقيل بنخلة كانت قريش تعبده

(أفرأيتم اللات والعزى

(أفرأيتم) أفتظنون يا أهل مكة أن (اللات والعزى) الاخرى

﴿وقرئ﴾

ومناة الثالثة) أى أخبرونا عن هذه الاشياء التى تعبدونها من دون الله عز وجل هل لها من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة اللات والعزى ومناة ﴿١٠٧﴾ أصنام لهم وهى {سورة والنجم} مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة والعزى كانت لغطفان وهى سمرة وأصلها تأنيث الاعز وقطعها خالد بن الوليد ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق ومناءة مكى مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها (الاخرى) هى صفة ذم أى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت أخراهم لاولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات وكراهتهم

ومناة الثالثة الاخرى) تنفعكم فى الآخرة بل لاتنفعكم ويقال أفتظنون أن عبادتكم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة فى الدنيا تنفعكم فى الآخرة بل لاتنفعكم أما اللات فكانت صنما بالطائف لثقيف يعبدونها واما العزى فكانت شجرة ببطن النخلة لغطفان يعبدونها وأما مناة الثالثة فكانت صنما بمكة لهذيل

ومناة الثالثة الاخرى ﴾ هى اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليه اى يطوفون وقرأ هبة الله عن البزى ورويس عن يعقوب اللات بالتشديد على انه سمى به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله عليه الصلاة والسلام خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهى فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء كأنهم يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير

وقرئ اللات بالتشديد (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان اللات رجلا يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان فى رأس جبل له غنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الاقط ويجمع رسلها ثم يتخذ حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وكان يسلأ السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به أسوقتهم فلما مات الرجل حولتها ثقيف الى منازلها فرت الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هى شجرة بغطفان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل يضربها بالفأس ويقول

يا عز كفرانك لا سبحانك ۞ انى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بويلها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالدا رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال ما رأيت فقال ما رأيت شيأ فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقتلها ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال تلك العزى ولن تعبد أبدا وقيل هى صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفانى وقيل انه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى اهل مكة يطوفون بينهما فرجع الى بطن نخلة فقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال انا أصنع لكم كذلك فأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما الى نخلة فوضع الذى أخذ من الصفا فقال هذا الصفا ثم وضع الذى أخذ من المروة وقال هذه المروة ثم اخذ ثلاثة أحجار وأسندها الى شجرة وقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين و يعبدون الحجارة الثلاث حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد بالعزى فقطعها وقيل هى بيت بالطائف كان تعبده ثقيف قوله ﴿ ومناة ﴾ قيل هى لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فى الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل هى بيت بالمشلل كانت تعبده بنو كعب وقيل مناة صنم لهذيل وخزاعة وكانت تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من الحجارة كانت فى جوف الكعبة يعبدونها ﴿ الثالثة الاخرى ﴾ الثالثة نعت لمناة هى الثالثة

لهن فقيل لهم (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) أى جعلكم لله البنات ولكم البنين قسمة ضيزى أى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه وضيزى فعلى اذ لا فعلى فى النعوت فكسرت الضاد لياء كما قيل بيض وهو بوض مثل حمر وسود ضئزى بالهمز مكى من ضأزه مثل ضازه (ان هى) ماالاصنام (الا أسماء) ليس تحتها فى الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالهية لما هو أبعد شئ منها وأشد منافاة لها (سميتموها) أى سميتم بها يقال سميته زيد وسميته بزيد (أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان) حجة (ان يتبعون الا الظن) الا توهم ان ماهم عليه حق (وماتهوى الانفس) وما تشتهيه أنفسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) الرسول والكتاب فتركوه

بجناحيه والاخرى من التأخر فى الرتبة ﴿ألكم الذكر وله الانثى﴾ انكار لقولهم الملائكة بنات لله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته اوهيا كل الملائكة وهو المفعول الثانى لقوله أفرأيتم ﴿تلك اذا قسمة ضيزى﴾ جائرة حيث جعلتم له ماتستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل فى بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذ ظلمه على انه مصدر نعت به ﴿ان هى الا اسماء﴾ الضمير للاصنام اى ماهى باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية او للصفة التى تصفونها بها من كونها آلهة وبنات وشفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين ﴿سميتموها انتم﴾ سميتم بها ﴿وآباؤكم﴾ بهواكم ﴿ما نزل الله بها من سلطان﴾ برهان يتعلقون به ﴿ان يتبعون﴾ وقرئ بالتاء ﴿الا الظن﴾ الا توهم ان ماهم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا ﴿وماتهوى الانفس﴾ وماتشتهيه انفسهم ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ الرسول او الكتاب فتركوه

فى الذكر وأما الاخرى فان العرب لاتقول الثالثة الاخرى هنا نعت للثلاثة قال الخليل قالها لوفاق رؤس الآى كقوله مآرب أخرى ولم يقل آخر وقيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم اللات والعزى الاخرى ومناة الثالثة وقيل هى صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالاصنام ترتب مراتب وذلك لان اللات كان صنما على صورة آدمى والعزى شجرة فهى نبات ومناة صخرة فهى جماد وهى فى أخريات المراتب ومعنى الآية هل رأيتم هذه الاصنام حق الرؤية واذا رأيتموها علمتم انها لاتصلح للعبادة لانها لاتضر ولاتنفع وقيل أفرأيتم أيها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر وله الانثى وقيل كان المشركون بمكة يقولون الاصنام والملائكة بنات الله وكان الرجل منهم اذا بشر بالانثى كره ذلك فقال الله عزوجل منكرا عليهم ﴿ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى﴾ قال ابن عباس أى قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ماتكرهون لانفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة ﴿ان هى﴾ أى ماهذه الاصنام ﴿الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ والمعنى انكم سميتموها آلهة وليست بآلهة حقيقة ولا معبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها ولايكون لها مسمى حقيقة ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ أى حجة بما تقولون انها آلهة ﴿ان يتبعون الا الظن﴾ أى فى قولهم انها آلهة ﴿وماتهوى الانفس﴾ يعنى هو مازين لهم الشيطان من عبادة الاصنام وقيل وضعوا عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذى ينبغى ان تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بتابعة هوى النفس ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ أى البيان بالكتاب المنزل والنبى المرسل أن الاصنام ليست بآلهة وان العبادة لاتصلح

وخزاعة يعبدونها من دون الله (ألكم الذكر) ياأهل مكة ترضونه لانفسكم (وله الانثى) وأنتم تكرهونها ولا ترضونها لانفسكم (تلك اذا قسمة ضيزى) جائرة (ان هى) ماهى اللات والعزى ومناة الثالثة (الا أسماء) أصنام (سميتموها أنتم وآباؤكم) الالهة ويقال صنعتموها أنتم وآباؤكم لانفسكم (ماأنزل الله بها) بعبادتكم لها وتسميتكم لها (من سلطان) من كتاب فيه حجتكم (ان يتبعون) مايعبدون اللات والعزى ومناة الثالثة وما يسمونها الالهة (الا الظن) لا بظن بغير يقين (وماتهوى الانفس) يهوى الانفس (ولقد جاءهم) يعنى أهل مكة (من ربهم الهدى) البيان فى القرآن بان ليس

ولم يعملوا به (أم للانسان ما تمنى) هى أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أى ليس للانسان يعنى الكافر ما تمنى من شفاعة الاصنام أو من قوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبى (فلله الآخرة والاولى) أى هو مالكهما وله الحكم فيهما يعطى النبوة والشفاعة من شاء وارتضى لا من تمنى (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) يعنى ان أمر الشفاعة ضيق فان الملائكة مع قربهم وكثرتهم لو شفعوا باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة

لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه لعبدتهم (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة) أى كل واحد منهم (تسمية الانثى) لانهم اذا قالوا للملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى (ومالهم به من علم) أى بما يقولون وقرئ بها أى بالملائكة أو بالتسمية (ان يتبعون الا الظن) هو

﴿أم للانسان ما تمنى﴾ أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما تمناه والمراد نفى طمعهم فى شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها ﴿فلله الآخرة والاولى﴾ يعطى منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه فى شئ منهما ﴿وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ﴾ وكثير من الملائكة لا تغنى شفاعتهم شيأ ولا تنفع ﴿الا من بعد ان يأذن الله﴾ فى الشفاعة ﴿لمن يشاء﴾ من الملائكة ان تشفع او من الناس ان يشفع له ﴿ويرضى﴾ ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة﴾ اى كل واحد منهم ﴿تسمية الانثى﴾ بان سموه بنتا ﴿ومالهم به من علم﴾ أى بما يقولون وقرئ بها اى بالملائكة او التسمية ﴿ان يتبعون الا الظن

الا الله الواحد القهار * قوله تعالى ﴿أم للانسان ما تمنى﴾ معناه أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهى من شفاعة الاصنام أى ليس الامر كما يظن ويتمنى ﴿فلله الآخرة والاولى﴾ أى لا يملك أحد فيهما شيأ أبدا الا باذنه وقيل معناه أن الانسان اذا اختار معبودا على ما تمناه واشتهاه فلله الآخرة والاولى يعاقبه على فعله ذلك ان شاء فى الدنيا والآخرة وان شاء امهله الى الآخرة ﴿وكم من ملك فى السموات﴾ أى ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله ﴿لا تغنى شفاعتهم شيأ﴾ يعنى ان الملائكة مع علو منزلتهم لا تغنى شفاعتهم شيأ وكيف تشفع الاصنام مع حقارتها ثم أخبر ان الشفاعة لا تكون الا باذنه فقال تعالى ﴿الا من بعد أن يأذن الله﴾ أى فى الشفاعه ﴿لمن يشاء ويرضى﴾ أى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة الا لمن رضى الله عنه وقيل الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء من الملائكة فى الشفاعة لمن شاء الشفاعة له ﴿ان الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ يعنى الكفار الذين أنكروا البعث ﴿ليسمون الملائكة تسمية الانثى﴾ أى بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث • قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمناسبته رؤس الآى وقيل ان كل واحد من الملائكة يسمونه تسمية انثى وذلك لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية لانثى ﴿ومالهم به من علم﴾ أى بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملائكة اناث ﴿ان يتبعون الا الظن﴾ اى فى تسمية الملائكة بالاناث

لله ولد ولا شريك (ام للانسان) لاهل مكة (ما تمنى) ما يشتهون أن الملائكة والاصنام يشفعون لهم (فلله الآخرة) باعطاء الثواب والكرامة والشفاعة (والاولى) باعطاء المعرفة والتوفيق (وكم من ملك فى السموات) ممن زعمتم أنهم بنات الله (لا تغنى شفاعتهم شيأ) لا يشفعون لاحد (الا من بعد أن يأذن الله) يأمر الله بالشفاعة (لمن يشاء) لمن كان أهلا لذلك من المؤمنين (ويرضى) عنهم بالتوحيد (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) بالبعث بعد الموت يعنى كفار مكة (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) يجعلونهم بنات الله (ومالهم به) بما يقولون (من علم) من حجة ولا بيان (ان يتبعون الا الظن) ما يقولون الا الظن يعنى بغير يقين يفترون

تقليد الآباء (وان الظن لايغنى من الحق شيأ) أى انما يعرف الحق الذى هو حقيقة الشئ وما هو عليه بالعلم والتيقن لابالظن والتوهم (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا) فاعرض عن رأيته معرضا عن ذكر الله أى القرآن (ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك) أى اختيارهم الدنيا ولرضاها (مبلغهم من العلم) منتهى علمهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو عالم بالضال والمهتدى ومجازيهما (ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء أو بسبب ما عملوا من السوء (ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بسبب الاعمال الحسنى والمعنى ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذا الملكوت ليجزى المحسن من المكلفين والمسىء منهم اذ الملك أهل لنصر الاولياء وقهر

﴿وان الظن لايغنى من الحق شيأ﴾ فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لايدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له فى المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات وما يكون وصلة اليها ﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا﴾ فاعرض عن دعوته والاهتمام بشأنه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لاتزيده الدعوة الا عنادا واصرارا على الباطل ﴿ذلك﴾ اى امر الدنيا او كونها شهية ﴿مبلغهم من العلم﴾ لاتتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور هممهم بالدنيا وقوله ﴿ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى﴾ تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم الله من يجيب ممن لايجيب فلاتتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ﴿ولله ما فى السموات وما فى الارض﴾ خلقا وملكا ﴿ليجزى الذين اساؤا بما عملوا﴾ بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله او بسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اى خلق الله العالم وسواه للجزاء او ميز الضال عن المهتدى وحفظ احوالهم لذلك ﴿ويجزى الذين احسنوا بالحسنى﴾ بالمثوبة الحسنى وهى الجنة او باحسن من اعمالهم او بسبب الاعمال الحسنى

﴿وان الظن لايغنى من الحق شيأ﴾ أى لايقوم الظن مقام العلم الذى هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشئ بالعلم واليقين لابالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لاتستخرج بالظنون ﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا﴾ يعنى القرآن وقيل عن الايمان ﴿ولم يرد الا الحيوة الدنيا﴾ يعنى انهم لايؤمنون بالآخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رأيهم فقال تعالى ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ أى ذلك نهاية علمهم وقلة عقولهم أن آثروا الدنيا على الآخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم أن الملائكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن والايمان ﴿ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ أى هو عالم بالفريقين ويجازيهم باعمالهم ﴿ولله ما فى السموات وما فى الارض﴾ وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الآية الاولى وبين قوله ﴿ليجزى الذين أساؤا بما عملوا﴾ والمعنى اذا كان أعلم بهم جازى كل أحد بما يستحقه فيجزى الذين أساؤا أى أشركوا بما عملوا من الشرك ﴿ويجزى الذين أحسنوا﴾ أى وحدوا ربهم ﴿بالحسنى﴾ يعنى بالجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسىء اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما فى السموات وما

(وان الظن) وان عبادة الظن وقول الظن (لايغنى من الحق) من عذاب الله (شيأ فأعرض) وجهك يا محمد (عمن تولى) أعرض (عن ذكرنا) عن توحيدنا وكتابنا (ولم يرد) بعمله (الا الحيوة الدنيا) ما فى الحياة الدنيا يعنى أبا جهل وأصحابه (ذلك مبلغهم من العلم) هذا غاية علمهم وعقلهم ورأيهم اذ قالوا ان الملائكة والاصنام بنات الله وان الآخرة لاتكون (ان ربك) يا محمد (هو أعلم بمن ضل عن سبيله) عن دينه يعنى أبا جهل وأصحابه (وهو أعلم بمن اهتدى) لدينه يعنى أبا بكر (ولله ما فى السموات) من الخلق (وما فى الارض) من الخلق كلهم عبيد الله (ليجزى الذين أساؤا) أشركوا (بما عملوا) فى شركهم (ويجزى الذين أحسنوا) وحدوا (بالحسنى) بالتوحيد الجنة ثم بين عملهم فى الدنيا فقال

﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم﴾ مايكبر عقابه من الذنوب وهو مارتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ماوجب الحد وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك ﴿والفواحش﴾ وما فحش من الكبائر خصوصا ﴿الا اللمم﴾ الا ماقل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة او المدح او الرفع على انه خبر محذوف

فى الارض ثم وصف المحسنين فقال عز وجل ﴿الذين يجتنبون كبائر الاثم﴾ قيل الاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطئة عن الثواب وقيل هو فعل مالايحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر وجمعه آثام والكبيرة متعارفة فى كل ذنب تعظم عقوبته وجمعه كبائر ﴿والفواحش﴾ جمع فاحشة وهى ماعظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل هى مافحش من الكبائر ﴿الا اللمم﴾ أى الا ماقل وصغر من الذنوب وقيل هى مقاربة المعصية من قولك الممت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا فى معنى الآية فقيل هذا استثناء صحيح واللمم من الكبائر والفواحش ومعنى الآية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب أو يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول أبى هريرة ومجاهد والحسن ورواية عن ابن عباس وقال عبدالله بن عمرو بن العاص اللمم مادون الشرك وقال أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لايعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال أعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس فى قوله عز وجل الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان تغفر اللهم تغفر جما ٭ وأى عبدلك لا ألما

أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب وقيل أصل اللمم والالمام مايعمله الانسان الحين بعد الحين ولايكون له اعادة ولااقامة وقيل هو استثناء منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكبائر والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقيل هو ماسلف فى الجاهلية فلايؤاخذهم به فى الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله عز وجل هذه الآية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن أسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وأبى هريرة ومسروق والشعبى والرواية الاخرى عن ابن عباس (ق) عن ابن عباس قال مارأيت شيأ أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه ولمسلم قال كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه وقيل اللمم على وجهين أحدهما انه كل ذنب لم يذكر الله

الاعداء (الذين) بدل أو فى موضع رفع على المدح أى هم الذين (يجتنبون كبائر الاثم) اى الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى يكبر عقابها كبير حمزة وعلى اى النوع الكبير منه (والفواحش) مافحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة قيل الكبائر ماأوعد عليه النار والفواحش ماشرع فيها الحد (الا اللمم) أى الصغائر والاستثناء منقطع لانه ليس من الكبائر والفواحش وهو كالنظرة والقبلة واللمسة والغمزة

(الذين يجتنبون كبائر الاثم) يعنى الشرك بالله والعظائم من الذنوب (والفواحش) الزنا والمعاصى (الا اللمم) الا النظر والغمزة والمزة يلوم بها نفسه ويتوب عنها ويقال الا التزويج

تعالى عليه حدا في الدنيا ولا عذابا في الآخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان مالم يبلغ الكبائر والفواحش الوجه الثاني هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما لم على القلب أي خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان أعاد النظر فليس بلمم فهو ذنب والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فصل ﴾

في بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة قال العلماء أكبر الكبائر الشرك بالله وهو ظاهر لاخفاء به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق فأما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور وأكل مال اليتيم بغير حق والسحر وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وأكل الربا وغير ذلك من الكبائر التي ورد بها النص فلها تفاصيل وأحكام تعرف بها مراتبها ويختلف أمرها باختلاف الاحوال والمفاسد المرتبة عليها فعلى هذا يقال في كل واحدة منها هي من أكبر الكبائر بالنسبة الى مادونها وقد جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر أسبع هي قال هي الى السبعين اقرب وفي رواية الى سبعمائة أقرب وقد اختلف العلماء في حد الكبيرة وتمييزها عن الصغيرة فجاء عن ابن عباس كل شيء نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ أبو اسحق الاسفرائني وحكاه القاضي عياض عن المحققين واحتج القائلون بهذا بان كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر وقد تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة واستعمال سلف الأئمة واذا ثبت انقسام المعاصي الى صغائر وكبائر فقد اختلف في ضبطها فروى عن ابن عباس انه قال الكبائر كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة او عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هي ماوعد الله عليه بنار في الآخرة أوحد في الدنيا وقال الغزالي في البسيط الضابط الشامل في ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف أو استحداث ندم كالمتهاون في ارتكابها والمتجرئ عليها اعتياد فما أشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما تحمل عليه فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولاينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لايمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في كتابه القواعد اذا أردت معرفة الفرق بين الكبيرة والصغيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها فان نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر وان ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو زادت عليه فهي من الكبائر فمن أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها أو أمسك مسلما لمن يقتله فلاشك ان مفسدة ذلك أعظم ممن أكل درهما من مال اليتيم مع كونه من الكبائر وكذلك لو دل الكفار على عورة المسلمين مع علمه بانهم يستأصلونهم بدلالته فان تسببه الى هذه المفسدة أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه

(من)

﴿ ان ربك واسع المغفرة ﴾ حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر اوله ان يغفر مايشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى ﴿ هو اعلم بكم ﴾ اعلم باحوالكم منكم ﴿ اذ انشأكم من الارض واذ أنتم اجنة فى بطون امهاتكم ﴾ علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم فى الارحام ﴿ فلا تزكوا انفسكم ﴾ فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير أو بالطهارة من المعاصى والرذائل ﴿ هو اعلم بمن اتقى ﴾ فانه يعلم التقى وغيره منكم قبل ان

من الكبائر وكذلك لو كذب على انسان كذبا يعلم انه يقتل بسببه ولو كذب على انسان كذبا يعلم انه يؤخذ منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكبائر وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح فى فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما بحيث يصح معه ان يطلق عليه اسم الكبيرة ويوصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها أمارات منها الحد ومنها الابعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها فى الكتاب أو السنة ومنها ماوصف فاعلها بالفسق أو يضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله أعلم * وقوله تعالى ﴿ ان ربك واسع المغفرة ﴾ قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب وأناب وروى عن عمر بن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة فى الاسلام أى لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار ومعناه ان الكبيرة أيضا تمحى بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار عليها وقيل فى حد الاصرار هو أن يتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ هو أعلم بكم ﴾ أى قبل أن يخلقكم وهو قوله ﴿ اذ أنشأكم من الارض ﴾ أى خلق أباكم آدم من التراب ﴿ واذ أنتم أجنة ﴾ جمع جنين ﴿ فى بطون أمهاتكم ﴾ سمى جنينا لاستتاره فى بطن أمه ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ قال ابن عباس لاتمدحوها وقال الحسن علم الله من كل نفس ماهى صانعة والى ماهى صائرة فلا تزكوا أنفسكم فلا تبرؤها من الآثام ولا تمدحوها بحسن الاعمال وقيل فى معنى الآية هو أعلم بكم أيها المؤمنون علم حالكم من أول خلقكم الى آخر يومكم فلا تزكوا أنفسكم رياء وخيلاء ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته أنا خير منك أو أنا أزكى منك أو أتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقوى وهو قوله تعالى ﴿ هو أعلم بمن اتقى ﴾ اى بمن بر وأطاع وأخلص العمل وقيل فى معنى الآية فلا تزكوا أنفسكم أى لاتنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لاتنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب أبيكم آدم وقيل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم قيل نزلت فى ناس كانوا يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الآية من قوله عز وجل

(ان ربك واسع المغفرة) يغفر مايشاء من الذنوب من غير توبة (هو أعلم بكم اذ انشأكم) أى أباكم (من الارض واذ أنتم أجنة) جمع جنين (فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات أو الى الزكاء والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم عليه السلام وقبل ان تخرجوا من بطون أمهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب أو الرياء لا على سبيل الاعتراف بالنعمة فانه جائز لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (هو أعلم بمن اتقى) فاكتفوا بعلمه عن علم الناس وبجزائه عن ثناء الناس

(ان ربك واسع المغفرة) لمن تاب من الكبائر والصغائر (هو أعلم بكم) منكم من أنفسكم (اذ أنشأكم) خلقكم (من الارض) من آدم وآدم من تراب والتراب من الارض (واذ أنتم أجنة) صغار (فى بطون أمهاتكم) قد علم الله فى هذه الاحوال مايكون منكم (فلا تزكوا أنفسكم) فلا تبرؤا (ق و خا ١٥ س) أنفسكم من الذنوب (هو أعلم بمن اتقى) من المعصية وأصلح

(أفرأيت الذي تولى) عرض عن الايمان (واعطى قليلا واكدى) قطع عطيته وامسك واصله من كداء الحافر وهو ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر عن ابن عباس رضى الله عنهما فمن كفر بعد الايمان وقيل في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض الكافرين وقال له تركت دين الاشياخ وزعمت انهم في النار قال اني خشيت عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيأ من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل واعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه (أعنده علم الغيب فهو يرى) أهو يعلم ان ما ضمنه من عذاب الله حق (أم لم ينبأ) يخبر (بما في صحف موسى) اى التوراة (وابراهيم) اى وفي صحف ابراهيم (الذى وفى) اى وفر واتم كقوله

(أفرأيت الذى تولى) أعرض عن نفقته وصدقته على فقراء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (وأعطى قليلا) يسيرا في الله (وأكدى) قطع نفقته وصدقته في سبيل الله (أعنده علم الغيب) اللوح المحفوظ (فهو يرى) صنعه فيدانه كما صنع نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان وكان كثير النفقة والصدقة على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلقيه عبد الله بن سعد ابن أبي سرح فقال له أراك تنفق على هؤلاء مالا كثيرا فاخاف ان لا يبقى لك شيء فقال له عثمان لي خطايا وذنوب كثيرة أريد تكفيرها ورضا الرب فقال له عبد الله أعطني زمام ناقتك وأحمل عنك ما يكون عليك من الذنوب والخطايا في الدنيا والآخرة فأعطاه زمام ناقته وقصر عن نفقته وصدقته فنزلت فيه هذه الآية (أم لم ينبأ) يخبر في القرآن (بما في صحف موسى وابراهيم) يقول بما كان في التوراة وصحف ابراهيم (الذى وفى) يعنى ابراهيم الذى بلغ رسالات ربه وعمل بما أمر به ويقال وفى رؤياه

يخرجكم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام ﴿أفرأيت الذى تولى﴾ عن اتباع الحق والثبات عليه ﴿واعطى قليلا واكدى﴾ وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهي الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت في الوليد بن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه الصلاة والسلام فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقي ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ يعلم ان صاحبه يتحمل عنه ﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذى وفى﴾ وفر واتم ما التزمه او امر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى اتاه جبريل عليه السلام حين القي في النار فقال ألك حاجة فقال أما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لان صحفه وهي التوراة كانت اكثر واشهر عندهم

﴿أفرأيت الذى تولى﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا أتركت دين الاشياخ وضللتهم قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذى عاتبه ان أعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك وأعطى الذى عيره بعض الذى ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله أفرأيت الذى تولى أي أدبر وأعرض عن الايمان ﴿وأعطى﴾ أي لصاحبه الذى عيره ﴿قليلا وأكدى﴾ أي بخل بالباقي وقيل أعطى قليلا أي من الخير بلسانه وأكدى أي قطعه وأمسك ولم يتم بالعطية وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقيل نزلت في أبي جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله وأعطى قليلا وأكدى أي لم يؤمن به ومعنى الآية أكدى أي قطع وأصله من الكدية وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر ﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ أي ما غاب عنه أي أن صاحبه يتحمل عنه عذابه ﴿أم لم ينبأ﴾ أي يخبر ﴿بما في صحف موسى﴾ يعني اسفار التوراة ﴿وابراهيم﴾ أي ويخبر بما في صحف ابراهيم ﴿الذى وفى﴾ أي كمل وتمم ما أمر به وقيل عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل

فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفيفه وقرئ مخففا والتشديد مبالغة في الوفاء وعن الحسن ما أمره الله بشئ الا وفى به وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف في النار قال له جبريل ألك حاجة فقال أما اليك فلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلاة الضحى وروى الا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا أصبح واذا أمسى ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ ١١٥ سورة والنجم الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة في التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنين قد أفلح المؤمنون ثم أعلم بما في صحف موسى وابراهيم فقال (ألا تزر وازرة وزر أخرى) تزر من وزر يزر اذا اكتسب وزرا وهو الاثم وان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان ومابعدها الجر بدلا مما في صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كان قائلا قال ومافى صحف موسى وابراهيم فقيل ألا تزر وازرة وزر أخرى أى لا تحمل نفس ذنب نفس (وأن ليس للانسان الا ما سعى) أى سعيه وهذه أيضا مما في صحف ابراهيم وموسى وأما ماصح في الاخبار من الصدقة عن الميت والحج عنه فقد قيل ان سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو ان يكون مؤمنا كان سعى غيره كانه سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه ولان سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه

﴿ألا تزر وازرة وزر اخرى﴾ ان هى المخففة من الثقيلة وهى بما بعدها فى محل الجر بدلا مما فى صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كأنه قيل ما فى صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله تعالى كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذى هو وزره ﴿وان ليس للانسان الا ما سعى﴾

وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح ولده وقيل استكمل الطاعة وقيل وفى بما فرض عليه فى سهام الاسلام وهو قوله واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى شأن المناسك ❊ وروى البغوى بسنده عن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذى وفى عمله كل يوم باربع ركعات أول النهار ❊ عن أبى الدرداء وأبى ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى أنه قال ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ثم بين ما فى صحفهما فقال تعالى ﴿ألا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس أخرى والمعنى لا تؤخذ نفس باثم غيرها وفى هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال ابن عباس كانوا قبل ابراهيم يأخذون الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده حتى كان ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴿وأن ليس للانسان الا ما سعى﴾ أى عمل وهذا فى صحف ابراهيم وموسى أيضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم فى هذه الشريعة بقوله تعالى ألحقنا بهم ذرياتهم فادخل الابناء الجنة بصلاح الآباء وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلهم ما سعوا وما سعى لهم غيرهم لما روى عن ابن عباس ان امرأة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج قال نعم ولك أجر أخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمى توفيت أينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفى رواية أن سعد بن عبادة أخا بنى ساعدة وذكر نحوه وأخرجه البخارى وعن عائشة رضى الله عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أمى افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها أجر ان تصدقت عنها قال نعم أخرجاه فى الصحيحين وفى حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعى ومالك وأحمد وجمهور العلماء ان حج الصبى منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه

(ألا تزر وازرة وزر اخرى) يقول لا تحمل حاملة حمل اخرى ما عليها من الذنب ويقال لا تعذب نفس بذنب نفس اخرى (وان ليس للانسان) يوم القيامة (الا ما سعى) الا ما عمل من الخير والشر فى الدنيا

وان سعيه سوف يرى ﴾ الا سعيه اى كما لا يؤاخذ احد بذنب غيره لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه ﴿ ثم يجزاه الجزاء الاوفى ﴾ اى يجزى العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا وان يكون الهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء بدله ﴿ وان الى ربك المنتهى ﴾ انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده

عن حجة الاسلام بل تقع تطوعا وقال أبو حنيفة لا تصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الآخرين دليل على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلماء وكذلك أجمعوا على وصول الدعاء وقضاء الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح الحج عن الميت حجة الاسلام وكذا لو أوصى بحج تطوع على الاصح عند الشافعي واختلف العلماء في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي ان قراءة القرآن لا يصله ثوابها وقال جماعة من أصحابه يصله ثوابها وبه قال أحمد بن حنبل وأما الصلوات وسائر التطوعات فلا يصله عند الشافعي والجمهور وقال أحمد يصله ثواب الجميع والله أعلم وقيل أراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له من الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى لا يبقى له في الآخرة خير وروى ان عبد الله بن أبي ابن سلول كان أعطى العباس قميصا ألبسه اياه فلما مات أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الآخرة حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل فجائز أن يزيده الله ما يشاء من فضله وكرمه ﴿ وان سعيه سوف يرى ﴾ أى يراه في ميزانه يوم القيامة وفيه بشارة للمؤمن وذلك ان الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما ﴿ ثم يجزاه ﴾ أى السعي ﴿ الجزاء الاوفى ﴾ أى الاتم الاكمل والمعنى ان الانسان يجزى جزاء سعيه الجزاء الاوفى * قوله عز وجل ﴿ وأن الى ربك المنتهى ﴾ أى اليه منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الآخرة وهو مجازيهم باعمالهم وفي المخاطب بهذا وجهان أحدهما انه عام تقديره وأن الى ربك أيها السامع أو العاقل كائنا من كان المنتهى فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن اساءته ويزداد المحسن في احسانه الوجه الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الآية منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وروى البغوي باسناد الثعلبي عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روى عن أبي هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب اى انتهى الامر اليه لانك اذا نظرت الى سائر الموجودات الممكنة علمت انه لا بد لها من موجد واذا علمت ان موجدها هو الله تعالى فقد انتهى الامر اليه فهو اشارة الى وجوده

(وان سعيه سوف يرى) أى يرى سعيه هو يوم القيمة في ميزانه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الاوفى) أو أبدله عنه (وأن الى ربك المنتهى) هذا كله في الصحف الاولى والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أى ينتهى اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير

(وان سعيه) عمله (سوف يرى) في ديوانه وميزانه (ثم يجزاه الجزاء الاوفى) الاوفر بالحسن حسنا وبالسيء سيأ (وأن الى ربك المنتهى) مرجع الخلائق بعد الموت ومصيرهم في الآخرة

﴿ وانه هواضحك وابكي وانه هوامات واحيي ﴾ لايقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة ﴿ وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى ﴾ تدفق فى الرحم اوتخلق اويقدر منها الولد من منى اذاقدر ﴿ وان عليه النشأة الاخرى ﴾ الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ ﴿ وانه هو اغنى واقنى ﴾ واعطى القنية وهى مايتأثل من الاموال وافرادها لانها اشف

ووحدانيته سبحانه وتعالى ﴿ وانه هواضحك وابكى ﴾ اى هوالقادرعلى ايجاد الضدين فى محل واحد الضحك والبكاء وفيه دليل على ان جميع مايعمله الانسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء قيل اضحك اهل الجنة فى الجنة وابكى اهل النار فى النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السماء بالمطر وقيل افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال جالست النبى صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امرالجاهلية وهوساكت وربما تبسم معهم اذاضحكوا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وفى رواية سماك بن حرب فيضحكون ويتبسم معهم اذاضحكوا يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان فى قلوبهم اعظم من الجبل ﴿ ق ﴾ عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ماسمعت مثلها قط فقال لوتعلمون مااعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين هو بالخاء المعجمة اى بكاء مع صوت يخرج من الانف ﴿ وانه هوامات واحيي ﴾ اى امات فى الدنيا واحيي للبعث وقيل امات الآباء واحيي الابناء وقيل امات الكافر بالنكرة واحيي المؤمن بالمعرفة ﴿ وانه خلق الزوجين الذكر والانثى ﴾ اى من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التى تتوارد على النطفة فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شئ لايصل اليه فهم العقلاء ولايعلمونه وانما هو بقدرة الله تعالى وخلقه لابفعل الطبيعة ﴿ من نطفة اذا تمنى ﴾ اى تصب فى الرحم وقيل تقدر وفى هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شئ واحد خلق الله منها اعضاء مختلفة وطباعا متباينة وخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يؤكده بقوله وانه هو خلق لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر احد ان يدعى خلق السموات والارض ﴿ وأن عليه النشأة الاخرى ﴾ أى الخلق الثانى بعد الموت للبعث يوم القيامة ﴿ وانه هو اغنى واقنى ﴾ اى اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهى اصول الاموال ومايدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال ومايدخرونه بعد الكفاية وأقنى بالابل والبقر والغنم وقيل أقنى أى أخدم وقال ابن عباس أغنى وأقنى أى اعطى فارضى وقيل اغنى يعنى رفع حاجته ولم يتركه محتاجا الى شئ لان اغنى

خلق الفرح والحزن وقيل أضحك المؤمنين فى العقبى بالمواهب وأبكاهم فى الدنيا بالنوائب (وأنه هوأمات وأحيي) قيل أمات الآباء وأحيي الابناء أوأمات بالكفر وأحيي بالايمان أوأمات هنا وأحيي ثمة (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) اذا تدفق فى الرحم يقال منى وأمنى (وأن عليه النشأة الاخرى) الاحياء بعد الموت (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهى المال تأثلته وعزمت أن لاتخرجه من يدك

(وانه هواضحك) اهل الجنة بمايسرهم من الكرامة (وأبكى) أهل النار بما يحزنهم من الهوان (وأنه هو امات) فى الدنيا (واحيي) للبعث ويقال امات الآباء واحيي الابناء (وأنه خلق الزوجين) الصنفين (الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى) تهراق فى رحم المرأة ويقال تخلق (وان عليه النشأة الاخرى) الخلق الآخر بالبعث (وانه هو اغنى) نفسه عن خلقه (واقنى) افقر خلقه الى نفسه ويقال انه هواغنى ارضى خلقه واقنى اقنع ويقال انه اغنى بالمال واقنى ارضى بما اعطى ويقال انه اغنى بالذهب والفضة واقنى اقنع بالابل والبقر

(وأنه هو رب الشعرى) هو كوكب يطلع بعد الجوزاء في شدة الحر وكانت خزاعة تعبدها فأعلم الله أنه رب معبودهم هذا (وأنه أهلك عادا الأولى) هم قوم لوط زهود وعاد الأخرى ارم وقرأ نافع ومدني وبصري غير سهل بإدغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمتها إلى لام التعريف (وثمود فما أبقى) حمزة وعاصم والباقون وثمودا وهو معطوف على عادا ولا ينتصب بفما أبقى لأن ما بعد الفاء لا يعمل فيما قبله لا تقول زيدا فضربت وكذا ما بعد النفي لا يعمل فيما قبله والمعنى وأهلك ثمودا فما أبقاهم (وقوم نوح) أي وأهلك قوم نوح (من قبل) من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من عاد وثمود لأنهم كانوا يضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه (والمؤتفكة) والقرى التي ائتفكت بأهلها أي انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فأتفك (أهوى) أي رفعها إلى السماء على جناح جبريل ثم أهواها إلى الارض أي اسقطها والمؤتفكة منصوب بأهوى (فغشاها) ألبسها

والغنم (وانه هو رب الشعرى) الكوكب الذي يتبع الجوزاء كان يعبده خزاعة (وانه أهلك عادا الأولى) قوم هود (وثمود) قوم صالح (فما أبقى) فلم يترك منهم أحدا (وقوم نوح) وأهلك قوم نوح (من قبل) من قبل قوم صالح (انهم) أي قوم نوح (كانوا هم أظلم) أشد كفرهم (وأطغى) أشد في طغيانهم ومعصيتهم (والمؤتفكة أهوى) وأهلك قريات لوط سدوم وصادوم وعمورا وصوائم والمؤتفكات المخسوفات وائتفكها خسفها أهوى هوت من السماء إلى الارض (فغشاها

الاموال او ارضى وتحققه جعل الرضى له قنية ﴿ وانه هو رب الشعرى ﴾ يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه الصلاة والسلام وخالف قريشا في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه ايضا في عبادتها ﴿ وانه اهلك عادا الاولى ﴾ القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عاد لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وادغام التنوين فيه وقرأ نافع وابو عمرو كذلك مع جعل الواو همزة ﴿ وثمودا ﴾ عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين ويقفان بغير الف والباقون بالتنوين ويقفون بالالف ﴿ فما ابقى ﴾ الفريقين ﴿ وقوم نوح ﴾ ايضا معطوف عليه ﴿ من قبل ﴾ من قبل عاد وثمود ﴿ انهم كانوا هم اظلم واطغى ﴾ من الفريقين لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك ﴿ والمؤتفكة ﴾ والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط ﴿ اهوى ﴾ اسقط بعد ان رفعها فقلبها ﴿ فغشاها

عند الفقر واقنى اي رضي بما اعطي ﴿ وانه هو رب الشعرى ﴾ اي انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن ابي كبشة تشبيها له به في خلافه اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب يضيء خلف الجوزاء ويسمى كلب الجبار ايضا وهما اثنتان يمانية وشامية يقال لاحداهما العبور والاخرى الغميصاء سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما والمراد بالشعرى هنا العبور ﴿ وانه اهلك عادا الاولى ﴾ وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعني اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح ﴿ وثمود ﴾ وهم قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة ﴿ فما ابقى ﴾ يعني منهم احدا ﴿ وقوم نوح من قبل ﴾ يعني اهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود بالغرق ﴿ انهم كانوا هم اظلم واطغى ﴾ يعني لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب ﴿ والمؤتفكة ﴾ يعني قرى قوم لوط ﴿ اهوى ﴾ اي اسقط وذلك ان جبريل رفعها الى السماء ثم اهواها ﴿ فغشاها ﴾

(ماغشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأى آلاء ربك) أيها المخاطب (تتمارى) تتشكك اى بما اولاك من النعم وبما كفاك من النقم اوبأى نعم ربك الدالة على وحدانيته وربوبيته تتشكك (هذا نذير) اى محمد منذر (من النذر الاولى) من المنذرين الاولين وقال الاولى على تأويل الجماعة اوهذا القرآن نذير من النذر الاولى اى انذار من جنس الانذارات الاولى التى انذربها من قبلكم (ازفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله

﴿١١٩﴾ سورة والنجم

كاشفة) اى ليس لها نفس كاشفة اى مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو اوليس لها نفس كاشفة اى قادرة على كشفها اذ وقعت الا الله تعالى غير انه لا يكشفها (أفمن هذا الحديث) اى القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) خشوعا (وانتم سامدون) غافلون لاهون لاعبون وكانوا اذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه

ماغشى ﴾ فيه تهويل وتعميم لما اصابهم ﴿ فبأى آلاء ربك تتمارى ﴾ تتشكك والخطاب للرسول اولكل احد والمعدودات وان كانت نعما ونقما لكن سماها آلاء من قبل مافى نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين ﴿ هذا نذير من النذر الاولى ﴾ اى هذا القرآن انذار من جنس الانذارات المتقدمة اوهذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ﴿ ازفت الآزفة ﴾ دنت الساعة الموصوفة بالدنو فى نحو قوله اقتربت الساعة ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها اوالآن بتأخيرها الا الله اوليس لها كاشفة لوقتها الا الله اذ لا يطلع عليه سواه اوليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية ﴿ أفمن هذا الحديث ﴾ يعنى القرآن ﴿ تعجبون ﴾ انكارا ﴿ وتضحكون ﴾ استهزاء ﴿ ولا تبكون ﴾ تحزنا على مافرطتم ﴿ وانتم سامدون ﴾ لاهون اومستكبرون

أى ألبسها الله ﴿ ماغشى ﴾ يعنى الحجارة المنضودة المسومة ﴿ فبأى آلاء ربك تتمارى ﴾ أى تشك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى أى تكذب ﴿ هذا نذير ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ من النذر الاولى ﴾ أى رسول من الرسل المتقدمة أرسل اليكم كما أرسلت الرسل الى قومهم وقيل أنذر محمد كما أنذرت الرسل من قبله ﴿ أزفت الآزفة ﴾ أى قربت القيامة واقتربت الساعة ﴿ ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ أى مظهرة ومبينة متى تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل معناه ليس لها رد يعنى اذا غشيت الخلق أهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم أحد قوله تعالى ﴿ أفمن هذا الحديث ﴾ يعنى القرآن ﴿ تعجبون ﴾ تنكرون ﴿ وتضحكون ﴾ أى استهزاء ﴿ ولا تبكون ﴾ أى مما فيه من الوعيد ﴿ وأنتم سامدون ﴾ أى لاهون غافلون قاله ابن عباس وعنه ان السمود هو الغناء بلغة أهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وأصل السمود فى اللغة رفع الرأس مأخوذ من سمد البعير اذا رفع رأسه وجد فى سيره والسامد اللاهى والمغنى وقيل

ماغشى) يعنى الحجارة (فبأى آلاء ربك) فبأى نعماء ربك أيها الانسان غير محمد صلى الله عليه وسلم (تتمارى) تتجاحد انها ليست منه (هذا نذير) يعنى محمدا عليه السلام رسول مخوف (من النذر الاولى) كالرسل الاولى الذين أرسلناهم الى قومهم ويقال هذا نذير من النذر رسول من الرسل الاولى الذين هم مكتوبون فى اللوح المحفوظ أن أرسلهم الى قومهم (ازفت الآزفة) دنا قيام الساعة (ليس لها) لقيامها (من دون الله) غيره (كاشفة) مبين يبين قيامها ووقتها (أفمن هذا الحديث) القرآن هذا القرآن الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم يا أهل مكة (تعجبون) تسخرون ويقال تكذبون (وتضحكون) تهزؤن ويقال تسخرون (ولا تبكون) مما فيه من الزجر والوعيد والتخويف (وأنتم سامدون) لاهون عنه لا تؤمنون

من سمد البعير فى مسيره اذا رفع رأسه او مغنون اتشغلوا الناس عن سماعه من السمود وهو الغناء ﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ اى واعبدوه دون الآلهة ه عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

سورة القمر مكية وآيها خمس وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر

معناه أشرون بطرون وقال مجاهد غضاب مبرطمون قيل له وما البرطمة قال الاعراض ﴿فاسجدوا لله﴾ يعنى أيها المؤمنون شكرا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض فى الصلاة ﴿واعبدوا﴾ أى اعبدوا الله وانما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة فى الحقيقة لاتكون الا لله تعالى (ق) عن عبدالله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش أخذ كفا من حصباء أوتراب فرفعه الى جبهته وقال يكفينى هذا قال عبدالله فلقد رأيته بعد قتل كافرا زاد البخارى فى رواية له قال أول سورة نزلت فيها سجدة النجم وذكره وقال فى آخره وهو أمية بن خلف (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس (ق) عن زيد بن ثابت قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففى هذا الحديث دليل على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعى وأحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها علينا الا أن نشاء وذهب قوم الى وجوبها على القارئ والمستمع وهو قول سفيان وأصحاب الرأى والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة القمر وهى مكية وهى خمس وخمسون آية وثلاثمائة واثنتان وأربعون كلمة والف وار بعمائة وثلاثة وعشرون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزوجل ﴿اقتربت الساعة﴾ أى دنت القيامة ﴿وانشق القمر﴾ قيل فيه تقديم وتأخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ماروى عن أنس ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين أخرجه البخارى ومسلم وزاد الترمذى فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر ولهما عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله

سورة القمر خمس وخمسون آية مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اقتربت الساعة) قربت القيامة (وانشق القمر) نصفين وقرئ وقد انشق اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه قال ابن مسعود رضى الله عنه رأيت حراء بين فلقتى القمر وقيل معناه ينشق يوم القيامة والجمهور على الاول وهو المروى فى الصحيحين ولا يقال لو انشق لما خفى على اهل الاقطار ولو ظهر عندهم لنقلوه متواترا لان الطباع جبلت على نشر العجائب لانه يجوز ان يحجبه الله عنهم بغيم

(فاسجدوا لله) اى اخضعوا لله بالتوحيد والتوبة (واعبدوا) وحدوا الله فقد اقتربت الساعة

ومن السورة التى يذكر فيها القمر وهى كلها مكية آياتها خمس وخمسون وكلماتها ثلاثمائة واثنتان وأربعون وحروفها ألف وأربعمائة وثلاثة أحرف

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اقتربت الساعة) يقول دنا قيام الساعة بخروج محمد صلى الله عليه وسلم ونزول الدخان (وانشق القمر) نصفين وهو من علامات (صلى)

اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله ﴿ وان يروا آية يعرضوا ﴾ عن تأملها والايمان بها

صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفى رواية أخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذا نفلق القمر فلقتين فلقة فوق الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا ولهما عن ابن عباس قال ان القمر انشق فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (م) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهدوا * وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش سحر محمد أعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع أن يسحر الناس كلهم أخرجه الترمذى وزاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم قد رأوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وروى مسروق عن عبدالله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن أبى كبشة فسألوا السفارة فقالوا نعم قد رأيناه فانزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة العظيمة مع شهادة القرآن المجيد بذلك فانه أدل دليل وأقوى مثبت له وامكانه لايشك فيه مؤمن وقد أخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه وقال الشيخ محيي الدين النووى فى شرح صحيح مسلم قال الزجاج وقد أنكرها بعض المبتدعة المضاهين المخالفى الملة وذلك لما أعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق لله تعالى يفعل فيه مايشاء كما يفنيه ويكوره فى آخر أمره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك أهل الارض كلهم فى رؤيتهم له ومعرفته ولم يختص بها أهل مكة فاجاب العلماء عن هذا بان هذا الانشقاق حصل فى الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم مغطون بثيابهم فقل من يتفكر فى السماء أو ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف القمر وغيره مما يحدث فى السماء فى الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك يقع ولايتحدث به الا آحاد الناس ولاعلم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه وكان هذا الانشقاق آية عظيمة حصلت فى الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتأهب غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ فى بعض المجارى والمنازل التى تظهر لبعض أهل الآفاق دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف أهل بلد دون بلد والله أعلم وقيل فى معنى الآية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل لايصح وشاذ لايثبت لاجماع المفسرين على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضى وحمل الماضى على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله أو دليل يدل عليه وفى قوله تعالى ﴿ وان يروا آية يعرضوا ﴾ دليل على وجود هذه الآية العظيمة وقد كان ذلك

(وان يروا) يعنى اهل مكة (آية) تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (يعرضوا) عن الايمان به

القيامة (وان يروا آية) مثل انشقاق القمر (يعرضوا) يكذبوا بالآية

(ويقولوا سحر مستمر) محكم قوى من المراة القوة اودائم مطرد أومار ذاهب يزول ولايبقى (وكذبوا) النبى صلى الله عليه وسلم (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر) وعدهم الله (مستقر) كائن فى وقته وقيل كل ماقدر واقع وقيل كل أمر من امره واقع مستقر اى سيثبت ويستقر عند ظهور العقاب والثواب (ولقد جاءهم) اهل مكة (من الانباء) من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وماوصف من عذاب الكفار (مافيه مزدجر) ازدجار عن الكفر تقول زجرته وازدجرته اى منعته واصله ازتجر ولكن التاء اذا وقعت بعد زاء ساكنة ابدلت دالا لان التاء حرف مهموس والزاء حرف مجهور فابدل من التاء حرف مجهور وهو الدال ليتناسبا وهذا فى آخر كتاب سيبويه (حكمة) بدل من ما او على هو حكمة (بالغة) نهاية الصواب او

﴿ ويقولوا سحر مستمر ﴾ مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك اومحكم من المرة يقال امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لايبقى ﴿ وكذبوا واتبعوا اهواءهم ﴾ وهو مازين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ الماضى للاشعار بانهما من عادتهم القديمة ﴿ وكل امر مستقر ﴾ منته الى غاية من خذلان اونصر فى الدنيا وشقاوة اوسعادة فى الآخرة فان الشئ اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اى ذومستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ﴿ ولقد جاءهم ﴾ فى القرآن ﴿ من الانباء ﴾ انباء القرون الخالية اوانباء الآخرة ﴿ مافيه مزدجر ﴾ ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاء للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها ﴿ حكمة بالغة ﴾ غايتها لاخلل فيها وهى بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا مما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال

فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وان يروا آية أى تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالآية هنا انشقاق القمر يعرضوا أى عن التصديق بها ﴿ ويقولوا سحر مستمر ﴾ أى دائم مطرد وكل شئ دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات فقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر أى قوى محكم شديد يعلو كل سحر وقيل مستمر أى ذاهب سوف يبطل ويذهب ولايبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا ﴿ وكذبوا ﴾ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وماعاينوا من قدرة الله ﴿ واتبعوا أهواءهم ﴾ أى مازين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر القمر ﴿ وكل أمر مستقر ﴾ أى لكل أمر حقيقة فما كان منه فى الدنيا فسيظهر وما كان منه فى الآخرة فسيعرف وقيل كل أمر مستقر فالخير مستقر باهله فى الجنة والشر مستقر باهله فى النار وقيل يستقر قول المصدقين والمكذبين حين يعرفون حقيقته بالثواب أوالعقاب وقيل معناه لكل حديث منتهى وقيل ماقدر فهو كائن وواقع لامحالة وقيل هو جواب قولهم سحر مستمر يعنى ليس أمره بذاهب كما زعمتم بل كل أمر من أموره مستقر وان أمر محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين فيها انه حق ﴿ ولقد جاءهم ﴾ يعنى أهل مكة ﴿ من الانباء ﴾ أى من أخبار الامم الماضية المكذبة فى القرآن ﴿ مافيه مزدجر ﴾ أى منتهى وموعظة ﴿ حكمة بالغة ﴾ يعنى القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية

(ويقولوا) الآية (سحر مستمر) قوى شديد مصنوع سيذهب (وكذبوا) بالآية وقيام الساعة (واتبعوا اهواءهم) بتكذيب الآية وقيام الساعة وبعبادة الاوثان (وكل امر مستقر) ولكل قول من الله أو من رسوله فى الوعد والوعيد والبشرى بالجنة والنار أو بالرحمة أو بالعذاب فعل وحقيقة منه مايكون فى الدنيا فسيظهر ومنه ما يكون فى الآخرة فيتبين ويقال ولكل فعل (٤) وقول من العباد حقيقة وحقيقتهم فى القلب (ولقد جاءهم) أهل مكة فى القرآن (من الانباء) من اخبار الامم الماضية كيف هلكوا عند التكذيب (مافيه مزدجر) نهى وازدجار (حكمة) القرآن (بالغة) حكمة من الله ابلغهم عن الله

بالغة من الله اليهم (فاتغنى النذر) مانفى والنذر جمع نذير وهم الرسل او المنذر به او النذر مصدر بمعنى الانذار (فتول عنهم) لعلمك ان الانذار لايغنى فيهم ونصب (يوم يدع الداع) بيخرجون او باضمار اذكر الداعى الى الداعى سهل ويعقوب ومكى فيهما وافق مدنى وابو عمرو فى الوصل ومن اسقط الياء اكتفى بالكسرة عنها وحذف الواو من يدعو فى الكتابة لمتابعة اللفظ والداعى اسرافيل عليه السلام (الى شئ نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة نكر بالتخفيف مكى (خاشعا أبصارهم) عراقى غير عاصم وهو حال من الخارجين وهو فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم غيرهم خشعا على يخشعن أبصارهم وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث ويجوز أن يكون فى خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وخشوع الابصار كناية عن الذلة لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما (يخرجون من الاجداث) من القبور (كأنهم جراد منتشر) فى كثرتهم وتفرقهم فى كل جهة والجراد مثل فى الكثرة والتموج يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى بعض جاؤا كالجراد (مهطعين الى الداع) مسرعين مادى أعناقهم اليه (يقول الكافرون هذا يوم عسر) صعب شديد (كذبت قبلهم) قبل أهل مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا عليه السلام

عنها ﴿ فما تغن النذر ﴾ نفى او استفهام انكارى اى فأى غنى تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار ﴿ فتول عنهم ﴾ لعلمك بان الانذار لايغنى فيهم ﴿ يوم يدع الداع ﴾ اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر فى قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر ﴿ الى شئ نكر ﴾ فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر ﴿ خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث ﴾ اى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله ظاهر غير حقيقى التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة يشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ فى الكثرة والتموج والانتشار فى الامكنة ﴿ مهطعين الى الداع ﴾ مسرعين مادى اعناقهم اليه او ناظرين اليه ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ صعب ﴿ كذبت قبلهم قوم نوح ﴾ قبل قومك ﴿ فكذبوا عبدنا ﴾

﴿ فما تغنى النذر ﴾ يعنى أى غنى تغنى النذر اذا خالفوهم وكذبوهم ﴿ فتول عنهم ﴾ اى اعرض عنهم نسختها آية القتال ﴿ يوم يدع الداع ﴾ اى اذكر يا محمد يوم يدعو الداعى وهو اسرافيل ينفخ فى الصور قائما على صخرة بيت المقدس ﴿ الى شئ نكر ﴾ أى منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما له ﴿ خاشعا ﴾ وقرئ خشعا ﴿ أبصارهم ﴾ أى ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب ﴿ يخرجون من الاجداث ﴾ أى من القبور ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ مثل فى كثرتهم وتموج بعضهم فى بعض حيارى فزعين ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين مادى أعناقهم مقبلين ﴿ الى الداع ﴾ أى الى صوت الداعى وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لايقلعون بابصارهم ﴿ يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ أى صعب شديد وفيه اشارة الى ان ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين * قوله تعالى ﴿ كذبت قبلهم ﴾ أى قبل أهل مكة ﴿ قوم نوح فكذبوا عبدنا ﴾

(فما تغنى النذر) يعنى الرسل عن قوم لايؤمنون بالله فى علم الله (فتول عنهم) اعرض عنهم يا محمد ثم أمرهم بالقتال (يوم يدع الداع) وهو يوم القيامة (الى شئ نكر) منكر عظيم شديد أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (خشعا) ذليلة (ابصارهم يخرجون من الاجداث) من القبور فى النفخة الاخرى (كأنهم جراد منتشر) يقول يجول بعضهم فى بعض مثل الجراد (مهطعين) مسرعين قاصدين ناظرين (الى الداع) ماذا يأمرهم (يقول الكافرون) يوم القيامة (هذا يوم عسر) شديد شدد ذلك اليوم عليهم (كذبت قبلهم) قبل قومك يا محمد (قوم نوح) نوحا (فكذبوا عبدنا) نوحا

ومعنى تكرار التكذيب انهم كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (وقالوا مجنون) أى هو مجنون (وازدجر) زجر عن أداء الرسالة بالشتم وهدد بالقتل أو هو من جملة قيلهم أى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه (فدعا ربه انى) أى بانى (مغلوب) غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من اجابتهم لى (فانتصر) فانتقم لى منهم بعذاب تبعثه عليهم (ففتحنا أبواب السماء) ففتحنا شامى ويزيد وسهل ويعقوب (بماء منهمر) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها عيونا كانها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض (فالتقى الماء) أى مياه السماء والارض وقرئ الماآن أى النوعان من الماء السماوى والارضى (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وعلى أمر قد قدر فى اللوح المحفوظ انه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب

نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه آخرون مكذبون اوكذبوه بعدما كذبوا الرسل ﴿ وقالوا مجنون ﴾ هو مجنون ﴿ وازدجر ﴾ وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قولهم اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته ﴿ فدعا ربه انى ﴾ اى بانى وقرئ بالكسر على ارادة لقول ﴿ مغلوب ﴾ غلبنى قومى ﴿ فانتصر ﴾ فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ﴿ ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر ﴾ منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب ﴿ وفجرنا الارض عيونا ﴾ وجعلنا الارض كلها كأنها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة ﴿ فالتقى الماء ﴾ ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا ﴿ على امر قد قدر ﴾ على حال قدرها الله فى الازل من غير تفاوت اوعلى حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج اوعلى امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان ﴿ وحملناه على ذات الواح ﴾ ذات اخشاب عريضة ﴿ ودسر ﴾

يعنى نوحا ﴿ وقالوا مجنون وازدجر ﴾ أى زجروه على دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين ﴿ فدعا ﴾ يعنى نوحا ﴿ ربه ﴾ وقال ﴿ انى مغلوب ﴾ أى مقهور ﴿ فانتصر ﴾ أى فانتقم لى منهم ﴿ ففتحنا أبواب السماء ﴾ قيل هو على ظاهره وللسماء أبواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح فى الحديث أن للسماء أبوابا وقيل هو على الاستعارة فان الظاهر أن يكون المطر من السحاب ﴿ بماء منهمر ﴾ أى منصب انصبابا شديدا لم ينقطع أربعين يوما ﴿ وفجرنا الارض عيونا ﴾ أى وجعلنا الارض كلها عيونا تسيل بالماء ﴿ فالتقى الماء ﴾ يعنى ماء السماء وماء الارض ﴿ على أمر قد قدر ﴾ أى قضى عليهم فى أم الكتاب وقيل قدر الله أن يكون الماآن سواء فكانا على ما قدر ﴿ وحملناه ﴾ يعنى نوحا ﴿ على ذات ألواح ﴾ أى سفينة ذات ألواح وأراد بالالواح خشب السفينة العريضة ﴿ ودسر ﴾ هى المسامير التى تشد بها الالواح

(وقالوا مجنون) يختنق (وازدجر) زجروه عن مقالته وصاحوا به وقالوا انت مستطير الفؤاد ذاهب العقل (فدعا ربه انى مغلوب) مقهور (فانتصر) فادع بالعذاب (وقيل) (ففتحنا ابواب السماء) طرق السماء اربعين يوما (بماء منهمر) مطر منصب من السماء على الارض (وفجرنا)شققنا (الارض عيونا) بالماء أربعين يوما (فالتقى الماء) ماء السماء وماء الارض (على أمر قد قدر) على مقدار قد قدرنا ماء السماء وماء الارض ويقال على قضاء قد قضى بهلاك قوم نوح (وحملناه) يعنى نوحا ومن آمن به (على ذات الواح) عوارض (ودسر) مسامير وشرط وكل شئ يشد به السفينة فهو دسر

منابها و تؤدى مؤداها بحيث لايفصل بينها وبينها ونحوه ولكن قميصى مسرودة من حديد أراد ولكن قميصى درع ألاترى انك لوجمت بين السفينة وبين هذه الصفة لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذ دفعه لانه يدسر به منفذه (تجرى باعيننا) بمرأى منا أو بحفظنا أو باعيننا حال من الضمير فى تجرى أى محفوظة بنا (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء ومابعده أى فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبى نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح نعمة مكفورة (ولقد تركناها) أى السفينة أو الفعلة أى جعلناها (آية) يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بارض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ ويعتبر وأصله مذتكر بالذال والتاء ولكن التاء أبدلت منها الدال والدال والذال من موضع فادغمت الذال فى الدال (فكيف كان عذابى ونذر) جمع نذير وهو الانذار ونذرى يعقوب فيهما وافقه سهل فى الوصل غيرهما بغير ياء وعلى هذا الاختلاف مابعده الى آخر السورة (ولقد يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للادكار والاتعاظ بان شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من مدكر) متعظ يتعظ وقيل واقد

ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهى صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها يؤدى مؤداها ﴿ تجرى باعيننا ﴾ بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اى للكافرين ﴿ ولقد تركناها ﴾ اى السفينة او الفعلة ﴿ آية ﴾ يعتبر بها اذ شاع خبرها واشتهر ﴿ فهل من مدكر ﴾ معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها ﴿ فكيف كان عذابى ونذر ﴾ استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ﴿ ولقد يسرنا القرآن ﴾ سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ﴿ للذكر ﴾ للاذكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ ﴿ فهل من مدكر ﴾ متعظ

وقيل الدسر صدر السفينة وقيل هى عوارض السفينة وأضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر أصلها وطرفاها ﴿ تجرى ﴾ يعنى السفينة ﴿ باعيننا ﴾ أى بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا ﴿ جزاء لمن كان كفر ﴾ يعنى فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد أمره وقيل لمن بمعنى لما أى جزاء لما كان كفر من أيادى الله ونعمه عند الذين أغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح وأصحابه ﴿ ولقد تركناها آية ﴾ يعنى الفعلة التى فعلنا بهم آية يعتبر بها وقيل أراد السفينة قال قتادة أبقاها الله تعالى بارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها أوائل هذه الامة ﴿ فهل من مدكر ﴾ أى متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم (ق) عن ابن مسعود قال قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها على وفى رواية أخرى سمعته يقول مدكر دالا ﴿ فكيف كان عذابى ونذر ﴾ اى انذارى ﴿ ولقد يسرنا القرآن ﴾ أى سهلنا القرآن ﴿ للذكر ﴾ أى ليتذكر ويعتبر به قال سعيد بن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شئ من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القرآن ﴿ فهل من مدكر ﴾ أى متعظ بمواعظه

(تجرى) تسير السفينة (بأعيننا) بمنظر منا (جزاء لمن كان كفر) يقول جزاء قوم نوح بما كفروا به (ولقد تركناها آية) علامة للناس يعنى سفينة نوح بعد نوح ويقال مثل سفينة نوح (فهل من مدكر) فهل من متعظ يتعظ بما صنع بقوم نوح فيترك المعصية (فكيف كان عذابى ونذر) فانظر يا محمد كيف كان عذابى عليهم وكيف كان حال منذرى لمن أنذرهم نوح فلم يؤمنوا (ولقد يسرنا القرآن) هونا القرآن (للذكر) للحفظ والقراءة والكتابة ويقال هونا قراءة القرآن (فهل من مدكر) فهل من طالب علم فيعان عليه

سهلناه للحفظ وأعناعليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويروى ان كتب أهل الاديان نحو التوراة والانجيل والزبور لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر) أى وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله أو لانذاراتى فى تعذيبهم لمن بعدهم (انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا) باردة أوشديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستقر) دائم الشر فقد استمر عليهم حتى أهلكهم وكان فى أربعاء فى آخر الشهر (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذا بعضهم بايدى بعض ويتداخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كانهم) حال (أعجاز نخل منقعر) أصول نخل منقلع عن مغارسه وشبهوا باعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس فيتساقطون على الارض أمواتا وهم جثث طول كانهم أعجاز نخل وهى أصولها بلا فروع وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال كانها أعجاز نخل خاوية (فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر

﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ﴾ وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله اولمن بعدهم فى تعذيبهم ﴿ انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ باردة اوشديدة الصوت ﴿ فى يوم نحس ﴾ شؤم ﴿ مستمر ﴾ استمر شؤمه اواستمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احد اواشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر ﴿ تنزع الناس ﴾ تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى ﴿ كانهم اعجاز نخل منقعر ﴾ اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض قيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى ﴿ فكيف كان عذابى ونذر ﴾ كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر ﴾ بالانذارات

وفيه الحث على تعليم القرآن والاشتغال به لانه قد يسره الله وسهله على من يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه للصغير والكبير والعربى والعجمى وغيرهم ❊ قوله تعالى ﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر ﴾ أى انذارى لهم بالعذاب ﴿ انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا ﴾ أى شديدة الهبوب ﴿ فى يوم نحس ﴾ أى فى يوم شؤم ﴿ مستمر ﴾ اى دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسته فلم يبق منهم أحد الا هلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء فى آخر الشهر ﴿ تنزع الناس ﴾ أى الريح تقلعهم ثم ترمى بهم على رؤسهم فتدق رقابهم قيل كانت تنزعهم من حفرهم ﴿ كانهم أعجاز نخل ﴾ قال ابن عباس أصول نخل ﴿ منقعر ﴾ أى منقطع من مكانه ساقط على الارض قيل كانت الريح تبين رؤسهم من أجسامهم فتبقى أجسامهم بلا رؤس كعجز النخلة الملقاة ﴿ فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر ﴾ أى بالانذار الذى جاءهم به صالح

(كذبت عاد) قوم هود هودا (فكيف كان عذابى ونذر) انظر يا محمد كيف كان عذابى عليهم ونذر كيف كان حال منذرى لمن أنذرهم الرسول هود فلم يؤمنوا (انا أرسلنا) سلطنا (عليهم) على قوم هود (ريحا صرصرا) باردا شديدا وهو ريح الدبور (فى يوم نحس مستمر) مشؤم عليهم مستمر ذاهب على الصغير والكبير (تنزع الناس) تقلع قوم هود من أماكنهم (كأنهم أعجاز نخل) كأنهم أوراك نخل ويقال أسافل نخل (منقعر) منقلع من أصوله (فكيف كان عذابى) انظر يا محمد كيف كان عذابى عليهم (ونذر) فكيف كان حال منذرى لمن أنذرهم هود فلم يؤمنوا (ولقد يسرنا القرآن) هونا القرآن (للذكر) للحفظ والقراءة (فهل من مدكر) من متعظ يتعظ بما صنع بقوم هود فيترك المعصية (كذبت ثمود) قوم صالح (بالنذر) صالحا وجملة الرسل

فقالوا أبشرا منا واحدا) انتصب بشرا بفعل يفسره (نتبعه) تقديره أنتبع بشرا منا واحدا (انا اذا لفى ضلال وسعر) كان يقول ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون وقولهم أبشرا انكار لان تبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا أن يكون من الملائكة فقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا أو ارادوا واحدا من افنائهم وليس من اشرفهم وافضلهم ويدل عليه قوله (أألقى الذكر عليه من بيننا) اى أأنزل عليه الوحى من بيننـا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (بل هو كذاب أشر) بطر

والمواعظ او الرسل ﴿ فقالوا أبشرا منا ﴾ من جنسنا او من جملتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره مابعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام ﴿ واحدا ﴾ منفردا لاتبع له اومن آحادهم دون اشرافهم ﴿ نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر ﴾ جمع سعير كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة ﴿ أألقى الذكر ﴾ الكتاب والوحى ﴿ عليه من بيننا ﴾ وفينا من هو احق منه بذلك ﴿ بل هو كذاب أشر ﴾ حمله بطره على الترفع علينا بادعائه ﴿ سيعلمون غدا ﴾ عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة ﴿ من الكذاب الاشر ﴾ الذى حمله أشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل أصالح ام من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات او حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كحذر فى حذر والاشر اى الابلغ فى الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير ﴿ انا مرسلوا الناقة ﴾ مخرجوها وباعثوها ﴿ فتنة لهم ﴾ امتحانا لهم ﴿ فارتقبهم ﴾ فانتظرهم وتبصر ما يصنعون ﴿ واصطبر ﴾ على اذاهم ﴿ ونبئهم ان الماء قسمة بينهم ﴾ مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم

﴿ فقالوا أبشرا منا واحدا ﴾ يعنى آدميا واحدا منا ﴿ نتبعه ﴾ أى ونحن جماعة كثيرون ﴿ انا اذا لفى ضلال ﴾ أى خطأ وذهاب عن الصواب ﴿ وسعر ﴾ قال ابن عباس عذاب وقيل شدة عذاب وقيل انا لفى عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفى جنون وقيل لفى بعد عن الحق ﴿ أألقى الذكر عليه ﴾ يعنى أأنزل عليه الوحى ﴿ من بيننا بل هو كذاب أشر ﴾ أى بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة ﴿ سيعلمون غدا ﴾ أى حين ينزل بهم العذاب وقيل يعنى يوم القيامة وانما ذكر الغد للتقريب ﴿ من الكذاب الاشر ﴾ أى صالح أم من كذبه ﴿ انا مرسلوا الناقة ﴾ أى باعثوها ومخرجوها من الهضبة التى سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة ﴿ فتنة ﴾ أى محنة واختبارا ﴿ لهم فارتقبهم ﴾ أى فانتظر ما هم صانعون ﴿ واصطبر ﴾ أى على أذاهم ﴿ ونبئهم ﴾ أى أخبرهم ﴿ ان الماء قسمة بينهم ﴾ أى بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم كما قال تعالى بينهم تقاسما

متكبر حمله بطره وطلبه التعظم علينا على ادعاءه ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) أصالح أم من كذبه ستعلمون شامى وحمزة على حكاية ماقال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله على سبيل الالتفات (انا مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء وهو مفعول له أو حال (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ماهم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك امرى (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم بينهم

(فقالوا أبشرا منا) آدميا مثلنا (واحدا نتبعه) فى دينه وأمره (انا اذا) ان فعلنا (لفى ضلال) فى خطأ بين (وسعر) تعب وعناء (أألقى الذكر) اخص بالنبوة (عليه من بيننا) ونحن اشرف منه (بل هو كذاب) يكذب على الله (أشر) بطر مرح يعنون صالحا فقال لهم صالح (ستعلمون غدا) يوم القيمة (من الكذاب) على الله (الاشر) البطر المرح فقال الله لصالح (انا مرسلوا الناقة) مخرجوا الناقة من الصخرة (فتنة لهم) بلية لهم اهلاك (فارتقبهم) فانتظرهم الى خروج الناقة (واصطبر) اصبر على اذاهم وعلى قتلهم الناقة (ونبئهم) خبرهم (أن الماء) ماء البئر (قسمة بينهم) وبين الناقة يومها ويومهم

لها شرب يوم ولهم شرب يوم وقال بينهم تغليبا للعقلاء (كل شرب محتضر) محضور يحضر القوم الشرب يوما وتحضر الناقة يوما (فنادوا صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له (فعقر) الناقة أو فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى السيف وانما قال فعقروا الناقة فى آية أخرى لرضاهم به أو لانه عقر بعونهم (فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم) فى اليوم الرابع من عقرها (صيحة واحدة) صاح بهم جبريل عليه السلام (فكانوا كهشيم المحتظر) الهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذى يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم) على قوم لوط (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (الا آل لوط) ابنتيه ومن

(كل شرب محتضر) كل شارب لحضور صاحبه فأخبرهم صالح فرضوا بذلك ومكثوا على ذلك زمانا فغلب عليهم الشقاء (فنادوا صاحبهم) نادى مصدع وقدار بن سالف بعد مارماها مصدع بن دهر بسهم (فتعاطى) فتناول قدار بسهم آخر (فعقر) فقتلوا الناقة وقسموا لحمها (فكيف كان عذابى ونذر) فانظر يا محمد كيف كان عذابى عليهم وكيف كان حال منذرى لمن أنذرهم صالح فلم يؤمنوا (انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة) أى صيحة جبريل بالعذاب بعد ثلاثة أيام من قتل الناقة (فكانوا كهشيم المحتظر) فصاروا كالشئ الذى داسته الغنم فى الحظيرة (ولقد يسرنا القرآن) هونا القرآن (للذكر) للعظة والحفظ والقراءة (فهل من مدكر) فهل من متعظ فيتعظ بما صنع بقوم صالح فيترك المعصية ويقال فهل من طالب علم فيعان عليه (كذبت قوم لوط بالنذر) لوطا وجملة الرسل (انا أرسلنا) أنزلنا (عليهم حاصبا) حجارة (الا آل لوط) الا على لوط وابنتيه زاعورا وريثا {وابنتيه}

لتغليب العقلاء ﴿كل شرب محتضر﴾ يحضره صاحبه فى نوبته او يحضر عنه غيره ﴿فنادوا صاحبهم﴾ قدار بن سالف احيمر ثمود ﴿فتعاطى فعقر﴾ فاجترأ على تعاطى قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشئ بتكلف ﴿فكيف كان عذابى ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ صيحة جبرائيل ﴿فكانوا كهشيم المحتظر﴾ كالشجر اليابس المتكسر الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء وقرئ بفتح الظاء اى كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا﴾ ريحا حاصبا تحصبهم بالحجارة اى ترميهم ﴿الا آل لوط

للعقلاء ﴿كل شرب﴾ أى نصيب من الماء ﴿محتضر﴾ أى يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعنى يحضرون الماء اذا غابت الناقة فاذا جاءت حضروا اللبن ﴿فنادوا صاحبهم﴾ يعنى قدار بن سالف ﴿فتعاطى﴾ أى فتناول الناقة بسيفه ﴿فعقر﴾ يعنى الناقة ﴿فكيف كان عذابى ونذر﴾ ثم بين عذابهم فقال تعالى ﴿انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ يعنى صيحة جبريل ﴿فكانوا كهشيم المحتظر﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يحظر لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم وقيل هو الشجر البالى الذى يهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر اذا بلى وتحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ قوله تعالى ﴿كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا﴾ يعنى الحصباء وهى الحجارة التى دون ملء الكف وقد يكون الحاصب الرامى فعلى هذا يكون المعنى انا أرسلنا عليهم عذابا يحصبهم أى يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى ﴿الا آل لوط﴾ يعنى لوطا

آمن معه (نجيناهم بسحر) من الاسحار ولذا صرفه ويقال لقيته بسحر اذا لقيته فى سحر يومه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه (نعمة) مفعول له أى انعاما (من عندنا كذلك نجزى من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) أى لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا بالنذر) فكذبوا بالنذر متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) طلبوا الفاحشة من أضيافه (فطمسنا أعينهم) أعميناهم وقيل مسحناها وجعلناها كسائر الوجه لايرى لها شق روى انهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون ولا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذاقوا على ألسنة الملائكة (عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة) أول النهار (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضى بهم الى عذاب الآخرة وفائدة تكرير (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) أن يجددوا عند استماع كل

نجيناهم بسحر ﴿ فى سحر وهو آخر الليل او سحرين ﴿ نعمة من عندنا ﴿ انعاما منا وهو علة لنجينا ﴿ كذلك نجزى من شكر ﴿ نعمتنا بالايمان والطاعة ﴿ ولقد انذرهم ﴿ لوط ﴿ بطشتنا ﴿ اخذتنا بالعذاب ﴿ فتماروا بالنذر ﴿ فكذبوا بالنذر متشاكين ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴿ قصدوا الفجور بهم ﴿ فطمسنا اعينهم ﴿ فمحناها وسويناها كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرائيل صفقة فاعماهم ﴿ فذوقوا عذابى ونذر ﴿ فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او ظاهر الحال ﴿ ولقد صبحهم بكرة ﴿ وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين ﴿ عذاب مستقر ﴿ يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار ﴿ فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴿ كرر ذلك فى كل قصة اشعارا بان تكذيب

وابتليه ﴿ نجيناهم ﴿ يعنى من العذاب ﴿ بسحر نعمة من عندنا ﴿ اى جعلناه نعمة منا عليهم حيث نجيناهم ﴿ كذلك نجزى ﴿ أى كما أنعمنا على آل لوط كذلك نجزى ﴿ من شكر ﴿ يعنى ان من وحد الله لم يعذبه مع المشركين ﴿ ولقد أنذرهم ﴿ أى لوط ﴿ بطشتنا ﴿ يعنى أخذنا اياهم بالعقوبة ﴿ فتماروا بالنذر ﴿ أى شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا ﴿ ولقد راودوه عن ضيفه ﴿ أى طلبوا منه أن يسلم اليهم أضيافه ﴿ فطمسنا أعينهم ﴿ وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا عليهم فقالت الرسل للوط خل بينهم وبين الدخول فانا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لايهتدون الى الباب وأخرجهم لوط عميا لايبصرون ومعنى فطمسنا أعينهم أى صيرناها كسائر الوجه لايرى لها شق وقيل طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رأيناهم حين دخلوا فأين ذهبوا فلم يروهم ﴿ فذوقوا عذابى ونذر ﴿ يعنى ما أنذركم به لوط من العذاب ﴿ ولقد صبحهم بكرة ﴿ أى جاءهم وقت الصبح ﴿ عذاب مستقر ﴿ أى دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم الى عذاب الآخرة ﴿ فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴿

(نجيناهم بسحر) عند السحر (نعمة) رحمة (من عندنا كذلك) هكذا (نجزى من شكر) من وحد وشكر نعمة الله بالنجاة (ولقد أنذرهم) خوفهم لوط (بطشتنا) عذابنا (فتماروا بالنذر) فجحدوا بالرسل أى كذبوا لوطا بما قال لهم (ولقد راودوه عن ضيفه) أرادوا أضيافه جبريل ومن معه (قا و خا ١٧ س) من الملائكة بعملهم الخبيث (فطمسنا) فقأنا (أعينهم) أعمى جبريل أعينهم (فذوقوا عذابى ونذر) فقلت لهم ذوقوا عذابى ونذر منذرى (ولقد صبحهم) أخذهم (بكرة) وهى طلوع الفجر (عذاب مستقر) دائم موصول بعذاب الآخرة (فذوقوا عذابى ونذر) فقلت لهم ذوقوا عذابى ونذر منذرى من أنذرهم لوط فلم يؤمنوا (ولقد يسرنا القرآن) هونا القرآن (للذكر) للحفظ والقراءة والكتابة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ بما صنع بقوم لوط فيترك المعصية

نبأ من أنباء الاولين ادكارا واتعاظا وان يستأنفوا تيقظا وانتباها اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وهذا حكم التكرير فى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها وكذلك تكرير الانباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان (ولقد جاء آل فرعون النذر) موسى وهرون وغيرهما من الانبياء أوهو جمع نذير وهو الانذار (كذبوا بآياتنا كلها) بالآيات التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) لايغالب (مقتدر) لايعجزه شئ (أكفاركم) ياأهل مكة (خير من اولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أى أهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا أوأقل كفرا وعنادا يعنى ان كفاركم مثل اولئك بل شر منهم (أم لكم براءة فى الزبر) أم أنزلت اليكم ياأهل مكة براءة فى الكتب المتقدمة ان من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (أم يقولون نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لانرام ولانضام (سيهزم الجمع) جمع أهل مكة (ويولون الدبر) اى الادبار كما قالوا كلوا فى بعض بطنكم تعفوا اى ينصرفون منهزمين يعنى يوم بدر وهذه من

كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ﴾ اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك ﴿ كذبوا بآياتنا كلها ﴾ يعنى الآيات التسع ﴿ فأخذناهم اخذ عزيز ﴾ لايغالب ﴿ مقتدر ﴾ لايعجزه شئ ﴿ أكفاركم ﴾ يامعشر العرب ﴿ خير من اولئكم ﴾ الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله تعالى ﴿ أم لكم براءة فى الزبر ﴾ أم انزل لكم فى الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو فى امان من عذاب الله ﴿ أم يقولون نحن جميع ﴾ جماعة امرنا مجتمع ﴿ منتصر ﴾ ممتنع لانرام اومنتصرين من الاعداء لانغلب اومتناصرين ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجميع ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ اى الادبار وافراده لارادة الجنس اولان كل احد يولى دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضى الله

﴿ قوله عزوجل ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ﴾ يعنى موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام وقيل النذر الآيات التى أنذرهم بها موسى ﴿ كذبوا بآياتنا كلها ﴾ يعنى الآيات التسع ﴿ فأخذناهم ﴾ أى بالعذاب ﴿ أخذ عزيز مقتدر ﴾ أى غالب فى انتقامه قادر على اهلاكهم لايعجزه عما أراد ثم خوف كفار مكة فقال تعالى ﴿ أكفاركم خير من أولئكم ﴾ يعنى أقوى وأشد من الذين أحللت بهم نقمتى مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون وهذا استفهام انكار أى ليسوا باقوى منهم ﴿ أم لكم براءة ﴾ يعنى من العذاب ﴿ فى الزبر ﴾ أى فى الكتب انه لن يصيبكم ماأصاب الامم الخالية ﴿ أم يقولون ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ نحن جميع ﴾ أى أمرنا ﴿ منتصر ﴾ أى من أعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون ممن عادانا ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الآى وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم أى كل واحد منهم عالم قال الله تعالى ﴿ سيهزم الجميع ﴾ يعنى كفار مكة ﴿ ويولون الدبر ﴾ أى الادبار فوحد لاجل رؤس الآى وقيل فى الافراد اشارة الى انهم فى التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف أحد عن الهزيمة ولا يثبت أحد للزحف فهم فى ذلك كرجل واحد (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة يوم بدر اللهم انى أنشدك عهدك

(ولقد جاء آل فرعون النذر) الى فرعون وقومه موسى وهرون (كذبوا بآياتنا كلها) التسع (فأخذناهم أخذ عزيز) منيع قوى بالعقوبة (مقتدر) قادر بالعذاب (أكفاركم) يامحمد ويقال ياأهل مكة (خير من أولئكم) من الذين قصصنا عليكم (أم لكم براءة فى الزبر) نجاة فى الكتب من العذاب (أم يقولون) كفار مكة (نحن جميع منتصر) ممتنع من العذاب (سيهزم الجمع) جمع الكفار يوم بدر (ويولون الدبر) منهزمين يعنى أبا جهل وأصحابه فمنهم من قتل يوم بدر ومنهم من هزم

﴿ووعدك﴾

علامات النبوة (بل الساعة موعدهم) موعد عذابهم بعد بدر (والساعة أدهى) أشد من موقف بدر والداهية الامر المنكر الذى لايهتدى لدوائه (وأمر) مذاقا من عذاب الدنيا أوأشد من المرة (ان المجرمين فى ضلال) عن الحق فى لدنيا (وسعر) ونيران فى الآخرة أوفى هلاك ونيران (يوم يسحبون فى النار) يجرون فيها (على وجوههم) ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) كقوله وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا أصابتهم بحرها فكأنها تمسهم مسا بذلك وسقر غير منصرف للتأنيث والتعريف لانها علم لجهنم من سقرته النار اذا لوحته (انا كل شئ خلقناه بقدر) كل منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ بالرفع شاذا والنصب أولى لانه لو رفع لامكن أن يكون خلقناه فى موضع الجر وصفا لشئ ويكون الخبر مقدرا وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا كائن بقدر ويحتمل ان يكون خلقناه هو الخبر وتقديره انا كل شئ مخلوق لنا بقدر فلما تردد الامر فى الرفع عدل الى النصب وتقديره انا خلقنا كل شئ بقدير

عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ماهى فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته ﴿بل الساعة موعدهم﴾ موعد عذابهم الاصلى ومايحيق بهم فى الدنيا فمن طلائعه ﴿والساعة ادهى﴾ اشد والداهية امر فظيع لايهتدى لدوائه ﴿وامر﴾ مذاقا من عذاب الدنيا ﴿ان المجرمين فى ضلال﴾ عن الحق فى الدنيا ﴿وسعر﴾ ونيران فى الآخرة ﴿يوم يسحبون فى النار على وجوههم﴾ يجرون عليها ﴿ذوقوا مس سقر﴾ اى يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته ﴿انا كل شئ خلقناه بقدر﴾ اى انا خلقنا كل شئ مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة اومقدرا مكتوبا فى اللوح قبل وقوعه وكل شئ منصوب

ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد بعد هذا اليوم أبدا فاخذ أبو بكر بيده فقال حسبك يارسول الله فقد الححت على ربك فخرج وهو فى الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لاأدرى أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعلمت تأويلها بل الساعة موعدهم يعنى جميعا والساعة أدهى وأمر أى اعظم داهية واشد مرارة من الاسر والقتل يوم بدر * قوله عز وجل ﴿ان المجرمين﴾ يعنى المشركين ﴿فى ضلال وسعر﴾ قيل فى بعد عن الحق وسعر اى نار تسعر عليهم وقيل فى ضلال فى الدنيا ونار مسعرة فى الآخرة وقيل فى ضلال اى عن طريق الجنة وسعر اى عذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى ﴿يوم يسحبون﴾ اى يجرون ﴿فى النار على وجوههم﴾ ويقال لهم ﴿ذوقوا مس سقر﴾ اى ذوقوا ايها المكذبون لمحمد صلى الله عليه وسلم مس سقر ﴿انا كل شئ خلقناه بقدر﴾ اى مقدور مكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شئ من خلقه قدره الذى ينبغى له وقال ابن عباس كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك

فصل

فى سبب نزول الآية وماورد فى القدر وماقيل فيه (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها

(بل الساعة) بل قيام الساعة (موعدهم) بالعذاب (والساعة) بالعذاب (أدهى) أعظم (وأمر) أشد من عذاب يوم بدر (ان المجرمين) المشركين أباجهل وأصحابه (فى ضلال) فى خطأ بين فى الدنيا (وسعر) تعب وعناء فى النار (يوم) وهو يوم القيامة (يسحبون) يجرون (فى النار) يجرهم الزبانية (على وجوههم) الى النار فتقول لهم الزبانية (ذوقوا مس سقر) عذاب سقر (انا كل شئ) من أعمالكم (خلقناه بقدر) فجحدتم ذلك نزلت هذه الآية فى أهل القدر

بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة فى الدلالة على ان كل شئ مخلوق بقدر ولعل اختيار

قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة قال وعرشه على الماء (م) عن ابى هريرة قال جاءت مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين فى ضلال وسعر الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر (م) عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت عبدالله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس اوالكيس والعجز * عن على ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذى * وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبدالله بن ميمون وهو منكر الحديث * وفى حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت ففيه ذم القدرية * عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوه وهم من شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابو داود * وله عن ابى هريرة مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم فى الكلام * وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتى ليس لهما فى الاسلام نصيب المرجئة والقدرية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا فينادى نداء يسمعه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم القدرية فيأمر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال ابن الجوزى وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون فى انه لا يجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها وروى عن الحسن قال والله لوان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر ثم اخذ ظلما حتى يذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه فى سقر ثم قيل له ذق مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر * قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله اعلم أن مذهب أهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب ما قدرها الله تعالى وأنكرت القدرية هذا وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم

فيكون الخلق عاما لكل شئ وهو المراد بالآية ولا يجوز فى النصب أن يكون خلقناه صفة لشئ لانه تفسير الناصب والصفة لا تعمل فى الموصوف والقدر والتقدير أى بتقدير سابق أو خلقنا كل شئ مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه قال أبو هريرة جاء مشركو قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت الآية وكان عمر يحلف انها نزلت فى القدرية

(يتقدم)

النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود

يتقدم علمه بها وأنها مستأنفة العلم أى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى عن أقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال أصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه وصارت القدرية فى الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا • وحكى أبو محمد بن قتيبة فى كتابه غريب الحديث وأبو المعالى امام الحرمين فى كتابه الارشاد فى أصول الدين ان بعض القدرية قالوا لسنا بقدرية بل أنتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر قال ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان أهل الحق يفوضون أمورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه الى أنفسهم ومدعى الشئ لنفسه ومضيفه اليها أولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر فى حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى أهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرجه أبو داود فى سننه والحاكم أبو عبد الله فى المستدرك على الصحيحين وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع ابى حازم عن ابن عمر وقال الخطابى انما جعلهم صلى الله عليه وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس فى قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون أن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق كل شئ الخير والشر جميعا لا يكون شئ منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابى وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد وقهره على ماقدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر يقال قدرت الشئ وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء فى هذا معناه الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات أى خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين أحسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية والله أعلم ✲ وأما معانى الاحاديث المتقدمة • فقوله جاء مشركو قريش الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر المراد بالقدر هنا القدر المعروف وهو ماقدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر فى الازل

(وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة أى وما أمرنا لشئ نريد تكوينه الا أن نقول له كن فيكون (كلمح بالبصر) على قدر ما يلمح أحدكم ببصره وقيل المراد بأمرنا القيامة كقوله وما أمر الساعة الا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أشباهكم فى الكفر من الامم (فهل من مدكر) متعظ (وكل شئ فعلوه) أى أولئك الكفار أى وكل شئ مفعول لهم ثابت (فى الزبر) فى دواوين الحفظة وفعلوه فى موضع جر نعت لشئ وفى الزبر خبر لكل (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور فى اللوح (ان المتقين فى جنات ونهر) وأنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء ومنه النهار (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى (عند مليك) عندية منزلة

(وما أمرنا) بقيام الساعة (الا واحدة) كلمة واحدة لا تثنى (كلمح بالبصر) فى السرعة كطرف البصر ويقال انا كل شئ خلقنا بقدر يقول خلقنا لكل شئ شكله وما يوافقه من الثياب والمتاع (ولقد أهلكنا أشياعكم) أهل دينكم وأشباهكم يا أهل مكة (فهل من مدكر) متعظ يتعظ بما صنع بهم فيترك المعصية (وكل شئ فعلوه) فى الشرك بالله من المعصية والجفاء بالانبياء (فى الزبر) فى الكتب مكتوب ويقال

﴿ وما امرنا الا واحدة ﴾ الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة اوالا كلمة واحدة وهو قوله كن ﴿ كلمح بالبصر ﴾ فى اليسر والسرعة وقيل معناه قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ﴿ ولقد اهلكنا اشياعكم ﴾ اشباهكم فى الكفر ممن قبلكم ﴿ فهل من مدكر ﴾ متعظ ﴿ وكل شئ فعلوه فى الزبر ﴾ مكتوب فى كتب الحفظة ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ من الاعمال ﴿ مستطر ﴾ مسطور فى اللوح ﴿ ان المتقين فى جنات ونهر ﴾ انهار واكتفى باسم الجنس اوسعة اوضياء من النهار وقرئ بضم الهاء جمع نهر كأسد واسد ﴿ فى مقعد صدق ﴾ فى مكان مرضى وقرئ مقاعد صدق ﴿ عند مليك

معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله كتب الله مقادير الخلائق قبل أى يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة فى اللوح المحفوظ أو غيره لا أصل القدر فان ذلك أزلى لا أول له وقوله وعرشه على الماء أى قبل أن يخلق السموات والارض وقوله كل شئ بقدر حتى العجز والكيس أو قال الكيس والعجز العجز عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز عن الطاعات ويحتمل العموم فى أمور الدنيا والآخرة والكيس ضد العجز وهو النشاط والحذق بالامور ومعنى الحديث ان العاجز قدر عجزه والكيس قدر كيسه * قوله تعالى ﴿ وما أمرنا الا واحدة ﴾ أى وما أمرنا الا مرة واحدة وقيل معناه وما أمرنا للشئ اذا أردنا تكوينه الا كلمة واحدة كن فيكون لا مراجعة فيه فعلى هذا اذا أراد الله سبحانه وتعالى شيأ قال له كن فيكون فهنا بان فرق بين الارادة والقول فالارادة قدر والقول قضاء * وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرير القول بل هو اشارة الى نفاذ الامر ﴿ كلمح بالبصر ﴾ قال ابن عباس يريد ان قضائى فى خلق أسرع من لمح البصر وعن ابن عباس أيضا معناه وما أمرنا بمجئ الساعة فى السرعة الا كطرف البصر ﴿ ولقد أهلكنا أشياعكم ﴾ أى أشباهكم ونظراءكم فى الكفر من الامم السالفة ﴿ فهل من مدكر ﴾ أى متعظ بان ذلك حق فيخاف ويعتبر ﴿ وكل شئ فعلوه ﴾ يعنى الاشياع من خير وشر ﴿ فى الزبر ﴾ أى فى كتب الحفظة وقيل فى اللوح المحفوظ ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ أى من الخلق وأعمالهم وآجالهم ﴿ مستطر ﴾ أى مكتوب * قوله عز وجل ﴿ ان المتقين فى جنات ﴾ أى بساتين ﴿ ونهر ﴾ أى أنهار وانما وحده لموافقة رؤس الآى وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه فى ضياء وسعة ومنه النهار والمعنى لا ليل عندهم ﴿ فى مقعد صدق ﴾ أى فى مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل فى مجلس حسن وقيل فى مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فمن وصل اليه امتنع عليه الكذب فهو فى مقعد صدق ﴿ عند مليك ﴾ قيل معناه

فى اللوح المحفوظ نزلت هذه الآية فى أهل القدر أيضا (وكل صغير وكبير) من الخير والشر (مستطر) مكتتب ﴿قرب﴾
فى اللوح المحفوظ نزلت هذه الآية أيضا فى أهل القدر وجحدوا ذلك (ان المتقين) الكفر والشرك والفواحش (فى جنات) بساتين (ونهر) أنهار كثيرة ويقال فى رياض وسعة (فى مقعد صدق) فى ارض كريمة أرض الجنة (عند مليك) ملك عليهم

وكرامة لامسافة ومماسة (مقتدر) قادر وفائدة التنكير فيها ان يعلم ان لاشئ الاهو تحت ملكه وقدرته وهو على كل شئ قدير ﴿ سورة الرحمن ١٣٥ جل وعلا وهى ست {سورة الرحمن} وسبعون آية ﴾

مقتدر ﴾ مقربين عند من تعالى امره فى الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذوو الافهام
* عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر

﴿ سورة الرحمن مكية اومدنية اومتبعضة وآيها ست وسبعون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ماهو اصل النعم الدنيوية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحى واعز الكتب اذهو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله ﴿ خلق الانسان علمه البيان ﴾ ايماء بان خلق البشر وماعيزبه عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير

قرب المنزلة والتشريف لا معنى المكان ﴿ مقتدر ﴾ أى قادر لايعجزه شئ وقيل مقربين عند مليك أمره فى الملك والاقتدار أعظم شئ فلاشئ الاوهو تحت ملكه وقدرته فاى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها قال جعفر الصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلايقعد فيه الاأهل الصدق والله أعلم

﴿ تفسير سورة الرحمن علا وعز وجل وهى مكية ﴾

﴿ وذكر ابن الجوزى انها مدنية فى قول من قولين ﴾

﴿ عن ابن عباس وهى ست وسبعون آية ﴾

﴿ وثلاثمائة واحدى وخمسون كلمة والف ﴾

﴿ وستمائة وستة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

* قوله عزوجل ﴿ الرحمن علم القرآن ﴾ قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار مكة وماالرحمن فانكروه وقالوا لانعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعنى الذى أنكرتموه هوالذى علم القرآن وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال تعالى الرحمن علم القرآن يعنى علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله عزوجل عدد نعمه على عباده فقدم أعظمها نعمة وأعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لانه أعظم وحى الله الى أنبيائه وأشرفه منزلة عند أوليائه واصفيائه وأكثره ذكرا وأحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على أفضل البرية ﴿ خلق الانسان ﴾ يعنى آدم عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس ﴿ علمه البيان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (الرحمن علم القرآن خلق الانسان) أى الجنس أو آدم أو محمدا عليهما السلام (علمه البيان) عدد الله عزوجل آلاءه فاراد ان يقدم أول شئ ماهو أسبق قدما من ضروب آلائه وصنوف نعمائه وهى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ماهو سنام فى أعلى مراتبها

(مقتدر) قادر بالثواب والعقاب على عباده

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الرحمن وهى كلها مكية آياتها ست وسبعون وكلماتها ثلاثمائة واحدى وخمسون وحروفها ألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن قال كفار مكة أبوجهل والوليد وعتبة وشيبة وأصحابهم مانعرف الرحمن الامسيلمة الكذاب الذى يكون باليمامة فمن الرحمن يامحمد فانزل الله (الرحمن علم القرآن) جبريل وجبريل محمدا ومحمد أمته معناه بعث الله جبريل بالقرآن الى محمد صلى الله عليه وسلم محمدا الى أمته (خلق الانسان) يعنى آدم من أديم الارض (علمه البيان) ألهمه الله بيان كل شئ وأسماء كل دابة تكون على وجه الارض

وأقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحي الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وقدم ما خلق الانسان من أجله عليه ثم ذكر ماتميزه عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد باحد فما تنكر من احسانه (الشمس والقمر بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى يجريان في بروجهما ومنازلهما وفي ذلك منافع للناس منها علم السنين والحساب (والنجم) النبات الذي ينجم من الارض لا ساق له كالبقول (والشجر) الذي له ساق وقيل النجم نجوم السماء (يسجدان) ينقادان لله تعالى فيما خلقا له تشبيها بالساجد من المكلفين في انقياده واتصلت هاتان الجملتان بالرحمن بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ولم يذكر العاطف في الجمل الاول ثم جيء به بعد لان الاول وردت على سبيل التعديد تبكيتا لمن أنكر آلاءه كما يبكت منكر أيادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال المذكور ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل مايجب وصله للتناسب والتقارب بالعطف وبيان التناسب أن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومسكن ملائكته الذين يهبطون {ووضع}

عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعداد ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما ويتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب ﴿والنجم﴾ النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له ﴿والشجر﴾ الذي له ساق ﴿يسجدان﴾ ينقادان الله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له ليتطابقا ماقبلهما ومابعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان مايحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره ﴿والسماء رفعها﴾

يعني أسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها فكان آدم يتكلم بسبعمائة لغة أفضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس وأراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان أي النطق الذي يميزه عن سائر الحيوانات وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف مايقول ومايقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل أراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم علمه البيان يعني بيان مايكون وما كان لانه صلى الله عليه وسلم ينبئ عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام والحدود والاحكام ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يتعديانها وقيل يعني بهما حساب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب مايريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحى وهو مايدور الحجر بدورانه ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ قيل النجم ماليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ماله ساق يبقى في الشتاء وسجودهما سجود ظلهما وقيل النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه والقول الاول أظهر لانه ذكره مع الشجر في مقابلة الشمس والقمر ولانهما أرضيان في مقابلة سمائيين ﴿والسماء رفعها﴾ أي فوق الارض

الشمس والقمر يجريان ... [illegible] ... معلقان بين السماء والارض ويقال عليهما حساب ولهما آجال كآجال الناس (والنجم والشجر يسجدان) للرحمن والنجم ماانبتت الارض وهو كل نبت لا يقوم على الساق والشجر مايقوم على الساق (والسماء رفعها)

بالوحي على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) أى كل ماتوزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا على الارض حيث علق به أحكام عباده من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم (ألا تطغوا ﴿١٣٧﴾ فى الميزان) لئلا ﴿ سورة الرحمن ﴾ تطغوا أوهى ان المفسرة

خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ أقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿ ووضع الميزان ﴾ العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض اومايعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة التى هى من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويسوى به الحقوق والمواجب ﴿ أن لا تطغوا فى الميزان ﴾ لان لا تطغوا فيه اى لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول ﴿ واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾ ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة فى التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار واوصل الفعل ﴿ والارض وضعها ﴾ خفضها مدحوة ﴿ للانام ﴾ للخلق وقيل الانام كل ذى روح ﴿ فيها فاكهة ﴾ ضروب مما يتفكه به ﴿ والنخل ذات الاكمام ﴾ اوعية الثمر جمع كم او كل مايكم اى يغطى من ليف وسعف و كفرى فانه ينتفع به كالمكموم كالجذع والجمار

﴿ ووضع الميزان ﴾ قيل أراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى انه أمر بالعدل يدل عليه قوله ﴿ ألا تطغوا فى الميزان ﴾ أى لا تجاوزوا العدل وقيل أراد به الآلة التى يوزن بها للتوصل الى الانصاف والانتصاف وأصل الوزن التقدير ان لا تطغوا فى الميزان أى لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق فى الميزان ﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ﴾ أى بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ﴿ ولا تخسروا ﴾ أى لا تنقصوا ﴿ الميزان ﴾ أى لا تطففوا فى الكيل والوزن أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه ﴿ والارض وضعها ﴾ أى خفضها مدحوة على الماء ﴿ للانام ﴾ أى للخلق الذين بثهم فيها وهو كل ماظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها ﴿ فيها ﴾ أى فى الارض ﴿ فاكهة ﴾ أى من أنواع الفاكهة وقيل مايتفكهون به من النعم التى لا تحصى ﴿ والنخل ذات الاكمام ﴾ يعنى الاوعية التى يكون فيها الثمر لان ثمر النخل يكون فى غلاف وهو الطلع مالم ينشق وكل شئ ستر شيأ فهو كم وقيل اكمامها ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين سائر الشجر لانه أعظمها وأكثرها

(وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه (والارض وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ماعلى ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فيها فاكهة) ضروب مما يتفكه به (والنخل ذات الاكمام) هى أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف أو كل مايكم أى يغطى من ليفه وسعفه

(ووضع الميزان) فى الارض بين العدل بالميزان (ألا تطغوا) ألا تجوروا ولا تميلوا (فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط) لسان الميزان بالعدل ويقال لسان أنفسكم بالصدق (ولا تخسروا الميزان) لا تنقصوا الميزان ﴿ قا وخا ١٨ س ﴾ فتذهبوا بحقوق الناس (والارض وضعها) بسطها على الماء (للانام) للخلق كلها الاحياء والاموات منهم (فيها) فى الارض (فاكهة) ألوان الفاكهة (والنخل) ألوان النخل (ذات الاكمام) ذات الغلف والكفرى مالم تنشق فهى كم

وكفراء وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه (والحب ذو العصف) هو ورق الزرع أو التبن (والريحان) الرزق وهو مب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر نخل وما يتغذى به وهو الحب والريحان بالجر حمزة وعلى أى والحب ذو العصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو مطعم الانام والرفع على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم والحب ذا العصف والريحان شامى أى وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان (فبأى آلاء) أى النعم مما عدد من أول السورة جمع ألى والى (ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين لدلالة الانام عليهما (خلق الانسان من صلصال) طين يابس له صلصلة (كالفخار) أى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ولا اختلاف فى هذا وفى قوله من حمأ مسنون من طين لازب من تراب لاتفاقها معنى لانه يفيد

والثمرة ﴿ والحب ذو العصف ﴾ كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن ﴿ والريحان ﴾ يعنى المشموم او الرزق من قولهم خرجت اطلب ريحان الله تعالى وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اى وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد ذا الريحان بحذف المضاف وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان فقلب واوه ياء للتخفيف ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايه الثقلان ﴿ خلق الانسان من صلصال كالفخار ﴾ الصلصال الطين اليابس الذى له صلصلة والفخار

بركة ﴿ والحب ﴾ يعنى جميع الحبوب التى يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوهما وانما أخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى الاعلى لان الحب أنفع من النخل وأعم وجودا فى الاماكن ﴿ ذو العصف ﴾ قال ابن عباس يعنى التبن وعنه انه ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤسه ويبس وقيل هو ورق كل شئ يخرج منه الحب يبدو صلاحه ولا ورق وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث الله فيه أكماما ثم يحدث فى الاكمام الحب ﴿ والريحان ﴾ يعنى الرزق قال ابن عباس رضى الله عنهما كل ريحان فى القرآن فهو رزق وقيل هو الريحان الذى يشم وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس فقال تعالى ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ يعنى أيها الثقلان يريد هذه الاشياء المذكورة وكرر هذه الآية فى هذه السورة فى احدو ثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتأكيدا فى التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه وفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن أحسن اليه وتابع اليه بالايادى وهو ينكرها ويكفرها ألم تكن فقيرا فأغنيتك أفتنكر هذا ألم تكن عريانا فكسوتك أفتنكر هذا ألم تكن خاملا فعززتك أفتنكر هذا ومثل هذا الكلام شائع فى كلام العرب حسن تقريرا وذلك لان الله تعالى ذكر فى هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان وخلق الشمس والقمر والسماء والارض الى غير ذلك مما أنعم به على خلقه وخاطب الجن والانس فقال فبأى آلاء ربكما تكذبان من الاشياء المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم ✽ عن جابر رضى الله تعالى عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها الى آخرها فسكتوا فقال لقد قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم كنت كلما أتيت على قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان قالوا لا بشئ من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى رواية غيره كانوا أحسن منكم ردا وفيه ولا بشئ ✽ قوله تعالى ﴿ خلق الانسان من صلصال ﴾ يعنى من طين يابس له صلصلة وهو الصوت عند اذا نقر ﴿ كالفخار ﴾ يعنى الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف ✽ فان قلت

(والحب) الحبوب كلها (ذو العصف) ذو الورق (والريحان) السنبلة والثمر (فبأى آلاء) فبأى نعماء (ربكما تكذبان) أيها الجن والانس غير محمد عليه السلام تجحدان أنها ليست من الله وهذا كل ما فى هذه السورة (قد) من قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان (خلق الانسان) يعنى آدم (من صلصال) من طين سائل قد أنتن يتصلصل (كالفخار) كالذى

انه خلقه من تراب ثم جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا (وخلق الجان) أبا الجن قيل هو ابليس (من مارج) هو اللهب الصافي الذي لادخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب واختلط (من نار) هو بيان للمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم نارا تلظى (فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين) أراد مشرقي الشمس في الصيف والشتاء ومغربيهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان) أي أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين في مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لايبغيان) لايتجاوزان حديهما ولا يبغي أحدهما على الآخر

الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه ﴿وخلق الجان﴾ الجن او أبا الجن ﴿من مارج﴾ من صاف من الدخان ﴿من نار﴾ بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما افاض عليكما في اطوار خلقتكما حتى صيركما افضل المركبات وخلاصة الكائنات ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ مما في ذلك من الفوائد التي لاتحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك ﴿مرج البحرين﴾ ارسلهما من مرجت الدابة ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذاب ﴿يلتقيان﴾ يتجاوران وتتماس سطوحهما او بحرى فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه ﴿بينهما برزخ﴾ حاجز من قدرة الله او من الارض ﴿لايبغيان﴾ لايبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية اولايتجاوزان

قد اختلف العبارات في صفة خلق الانسان الذي هو آدم فقال تعالى من تراب وقال من حمأ مسنون وقال من طين لازب وقال من ماء مهين وقال هنا من صلصال كالفخار قلت ليس في هذه العبارات اختلاف بل المعنى متفق وذلك ان الله تعالى خلقه أولا من تراب ثم جعله طينا لازبا لما اختلط بالماء ثم حمأ مسنونا وهو الطين الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا كالفخار ﴿وخلق الجان﴾ وهو أبو الجن وقيل هو ابليس ﴿من مارج من نار﴾ يعني الصافي من لهب النار الذي لادخان فيه وقال هو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا أوقدت ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين﴾ يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتاء وهو غاية انحطاط الشمس ﴿ورب المغربين﴾ يعني مغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل يعني مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرب الشمس ومغرب القمر ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين﴾ يعني أرسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لافصل بين الماءين لان من شأنهما الاختلاط وهو قوله ﴿يلتقيان﴾ لكن الله تعالى منعهما عما في طبعهما بالبرزخ وهو قوله ﴿بينهما برزخ﴾ أي حاجز من قدرة الله ﴿لايبغيان﴾ اى يبغي أحدهما على صاحبه وقيل لايختلطان ولايتغيران وقيل لايطغيان على الناس بالغرق وقيل مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وأنتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ يعني الجزائر وقيل بحر السماء وبحر الارض يلتقيان في كل عام

يتخذ منه الفخار (وخلق الجان) أبا الجن والشياطين (من مارج من نار) لادخان لها (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فبأى نعماء ربكما تتجاحدان (رب المشرقين) مشرق الشتاء ومشرق الصيف (ورب المغربين) مغرب الشتاء ومغرب الصيف وهما مشرقان ومغربان مشرق الشتاء ومشرق الصيف لهما مائة وثمانون منزلا وكذلك للمغربين وكذلك للقمر ويقال لمشرق الشتاء والصيف مائة وسبعة وسبعون منزلا وكذلك للمغربين تطلع الشمس في سنة يومين في منزل واحد وكذلك تغرب يومين في منزل واحد (فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين) أرسل البحرين العذب والمالح (يلتقيان) لايختلطان (بينهما) بين العذب والمالح (برزخ) حاجز من الله (لايبغيان) لايختلطان ولايغير كل واحد منهما طعم صاحبه

بالممازجة (فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج) يخرج مدنى وبصرى (منهما اللؤلؤ) بلاهمز أبوبكر ويزيد وهو كبار الدر (والمرجان) صغاره وانما قال منهما وهما يخرجان من الملح لانهما لماالتقيا وصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما

كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله) ولله (الجوار) السفن جمع جارية قال الزجاج الوقف عليها بالياء والاختيار وصلها وان وقف عليها بغيرياء فذا جائز على بعد ولكن بروم الكسر فى الراء ليدل على حذف الياء (المنشآت) المرفوعات الشرع المنشآت بكسر الشين حمزة ويحيى الرافعات الشرع أواللاتى ينشئن الامواج بجريهن (فى البحر كالاعلام) جمع علم وهو الجبل الطويل (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) على الارض (فان ويبقى وجه ربك)

حديثهما باغراق مابينهما ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ كبار الدر وصغاره وقيل المرجان الخرز الاحمر وان صح ان الدر يخرج من الملح فعلى الاول انما قال منهما لانه يخرج من مجتمع الملح والعذب اولانهما لما اجتمعا صارا كالشئ الواحد فكان المخرج من احدهما كالمخرج منهما وقرأ نافع وابوعمرو ويعقوب يخرج وقرئ نخرج ويخرج بنصب اللؤلؤ والمرجان ﴿ وله الجوار ﴾ السفن جمع جارية وقرئ بحذف الياء ورفع الراء كقول الشاعر

لها ثنايا اربع حسان ❊ واربع فكلها ثمان

﴿ المنشآت ﴾ المرفوعات الشرع اوالمصنوعات وقرأ حمزة وابوبكر بكسر الشين اى الرافعات الشرع اواللاتى ينشئن الامواج اوالسير ﴿ فى البحر كالاعلام ﴾ كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها فى البحر باسباب لايقدر على خلقها وجمعها غيره ﴿ كل من عليها ﴾ من على الارض من الحيوانات والمركبات ومن للتغليب اومن الثقلين ﴿ فان ويبقى وجه ربك ﴾ ذاته ولواستقريت جهات الموجودات وتفحصت

﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما ﴾ قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب فهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل أراد يخرج من أحدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرج منهما كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ماء السماء وماء البحر قيل اذا أمطرت السماء تفتح الاصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة ❊ وقوله تعالى ﴿ اللؤلؤ ﴾ قيل هو ما عظم من الدر ﴿ والمرجان ﴾ صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار ﴾ يعنى السفن الكبار ﴿ المنشآت ﴾ أى المرفوعات التى يرفع خشبها بعضه على بعض وقيل هى مارفع قلعها من السفن اما مالم يرفع قلعها فليست من المنشآت وقيل معنى المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات ﴿ فى البحر كالاعلام ﴾ أى كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل شبه السفن فى البحر بالجبل فى البر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ❊ قوله عزوجل ﴿ كل من عليها ﴾ أى على الارض من حيوان وانما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلاء ﴿ فان ﴾ أى هالك لان وجود الانسان فى الدنيا عرض فهو غير باق وماليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾

(فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما) من المالح خاصة (اللؤلؤ) ما كبر (والمرجان) ما صغر منه (فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت) السفن المنشآت المخلوقات المرفوعات (فى البحر كالاعلام) كالجبال اذا رفع شراعهن (يعنى) (فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها) على وجه الارض (فان) يموت ويقال كل من عليها فان يفنى ويقال كل من عمل لغيرالله يفنى (ويبقى وجه ربك) حى لا يموت ويقال ما أبتغى به وجه ربك من الاعمال الصالحة

ذاته (ذوالجلال) ذوالعظمة والسلطان وهوصفة الوجه (والاكرام) بالتجاوز والاحسان وهذه الصفة من عظيم صفات الله وفى الحديث ألظوابيا ذا الجلال والاكرام وروى انه عليه السلام مر برجل وهويصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى الفناء باعتبار أن المؤمنين به يصلون الى النعيم السرمد وقال يحيي بن معاذ حبذا الموت فهو الذى يقرب الحبيب الى الحبيب (يسئله من فى السموات والارض) وقف عليها نافع كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات مايتعلق بدينهم وأهل الارض مايتعلق بدينهم ودنياهم وينتصب (كل يوم) ظرفا بما دل عليه (هو فى شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى انه عليه السلام تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله يومان أحدهما اليوم الذى هو مدة الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لايقضى يوم السبت شأنا وسأل بعض الملوك وزيره عن الآية فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يامولاى اخبرنى ماأصابك لعل الله يسهل لك على يدى فاخبره فقال أنا أفسرها للملك فاعلمه فقال أيها الملك شأن الله انه يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافى ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يامولاى هذا من شأن الله وقيل سوق المقادير الى المواقيت وقيل ان عبدالله ابن طاهر دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله

وجوهها وجدتها باسرها فانية فى حد ذاتها الا وجه الله تعالى اى الوجه الذى يلى جهته ﴿ ذوالجلال والاكرام ﴾ ذوالاستغناء المطلق والفضل العام ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ مما ذكرنا قبل اى من بقاء الرب وابقاء مالايحصى مما هو على صدد الفناء رحمة وفضلا اومما يترتب على افناء الكل من الاعادة والحياة الدائمة والنعيم ﴿ يسئله من فى السموات والارض ﴾ فانهم مفتقرون اليه فى ذواتهم وصفاتهم وسائر مايهمهم ويعن لهم والمراد بالسؤال مايدل على الحاجة الى تحصيل الشئ نطقا كان اوغيره ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ كل وقت يحدث اشخاصا ويجدد احوالا على ماسبق به قضاؤه وفى الحديث من شأنه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وهورد

يعنى ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفى المخاطب وجهان أحدهما انه كل واحد والمعنى يبقى وجه ربك أيها الانسان السامع والوجه الثانى انه يحتمل ان الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ذوالجلال ﴾ أى ذو العظمة والكبرياء ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه ﴿ والاكرام ﴾ أى المكرم لانبيائه وأوليائه وجميع خلقه بلطفه واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾ عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوابيا ذاالجلال والاكرام أخرجه الترمذى وقال الحاكم حديث صحيح الاسناد ومعنى ألظوا الزموا هذه الدعوة وأكثروا منها * قوله تعالى ﴿ يسئله من فى السموات والارض ﴾ يعنى من ملك وانس وجن فلا يستغنى عن فضله أهل السموات والارض قال ابن عباس فاهل السموات يسئلونه المغفرة وأهل الارض يسئلونه الرزق والمغفرة وقيل كل أحد يسئله الرحمة ومايحتاج اليه فى دينه أودنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى وان كل مخلوق وان جل وعظم فهوعاجز عن تحصيل مايحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى ﴿ كل يوم هو فى شأن ﴾ قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لايقضى يوم السبت شيأ قال المفسرون من شأنه أنه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفى مريضا ويمرض صحيحا ويفك

(ذوالجلال) ذوالعظمة والسلطان (والاكرام) التجاوز والاحسان (فبأى آلاء ربكما تكذبان يسئله من فى السموات) من الملائكة (والارض) من المؤمنين فاهل الارض يسئلونه المغفرة والتوفيق والعصمة والكرامة والرزق (كل يوم هو فى شأن) منه شأن شأنه ان يحيي ويميت ويعز ويذل ويولد مولودا ويفك أسيرا وشأنه أكثر من ان يحصى

فاصبح من النادمين وقد صح الندم توبة وقوله كل يوم هو فى شأن وصح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله وأن ليس الانسان الا ما سعى فبطل لا تضعف

الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة فى تلك الامم ويكون الندم فى هذه الامة توبة ولكن على جهله وكذا قيل وأن ليس الا ما الامام مخصوص بقوم ابراهيم وموسى عليهما السلام وأما قوله كل يوم هو فى شأن فانها شؤن يبديها لا شؤن يبتديها فقام عبدالله وقبل رأسه وسوغ خراجه (فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤن الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل سيفرغ حمزة وعلى أى الله تعالى (أيه الثقلان) الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض (فبأى آلاء ربكما

لقول اليهود ان الله تعالى لا يقضى يوم السبت شيأ ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ اى مما يسعف به سؤالكما او ما يخرج لكما من مكمن العدم حينا فحينا ﴿ سنفرغ لكم ايه الثقلان ﴾ اى سنتجرد لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل فيه غيره وقيل تهديد مستعار من قولك لمن تهدده سأفرغ لك فان المتجرد للشئ كان اقوى عليه واجد فيه وقرأ حمزة والكسائى بالياء وقرئ سنفرغ اليكم اى سنقصد اليكم والثقلان الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض اولرزانة رأيهما وقدرهما او لانهما مثقلان بالتكليف ﴿ فبأى آلاء ربكما

عانيا ويفرج عن مكروب ويجيب داعيا ويعطى سائلا ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداثه فى خلقه ما يشاء سبحانه وتعالى * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو فى شأن قال سفيان بن عيينة الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخر يوم القيامة والشأن الذى هو فى اليوم الذى هو مدة أيام الدنيا الاختبار بالامر والنهى والاحياء والاماتة والاعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل كتب ما يكون فى كل يوم وقدر ما هو كائن فاذا جاء ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل فيوجده فى ذلك الوقت وقال أبو سليمان الدارانى فى هذه الآية له فى كل يوم الى العبيد بر جديد وقيل شأنه تعالى انه يخرج فى كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم يرتحلون جميعا الى الله تعالى ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم أيه الثقلان ﴾ قيل هو وعيد من الله تعالى للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغا عن شغل لان الله تعالى لا يشغله شأن من شأن فهو كقول القائل لمن يريد تهديده لافرغن لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن ذكر هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن وقيل معناه سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ فى أمركم فهو كقول القائل الذى لا شغل له قد فرغت لك وقيل معناه ان الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على طريق المثل وأراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقل على الارض أحياء وأمواتا وقيل كل شئ له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى فجعلهما ثقلين اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمى الانس والجن ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب ﴿ فبأى آلاء ربكما

(فبأى آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم) سنحفظ عليكم أعمالكم فى الدنيا ونحاسبكم بها يوم القيامة (أيه الثقلان) الجن والانس (فبأى آلاء ربكما (تكذبان)

تكذبان يامعشر الجن والانس) هو كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا) أي ان قدرتم أن تخرجوا من جوانب السموات والارض هربا من قضائي فاخرجوا ثم قال (لا تنفذون) لا تقدرون على النفوذ (الا بسلطان) بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك وقيل دلهم على العجز عن قوتهم للحساب غدا بالعجز عن نفوذ الاقطار اليوم وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة حين تحدق بهم الملائكة فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احتاطت به (فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار) وبكسر الشين مكي وكلاهما اللهب الخالص (ونحاس) أي دخان ونحاس مكي وأبو عمرو فالرفع عطف على شواظ والجر على نار والمعنى اذا خرجتم من قبوركم يرسل عليكما لهب خالص من النار ودخان يسوقكم الى المحشر (فلا تنتصران) فلا تمتنعان منهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان

تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض ﴾ ان قدرتم ان تخرجوا من جوانب السموات والارض هاربين من الله فارين من قضائه ﴿ فانفذوا ﴾ اى فاخرجوا ﴿ لا تنفذون ﴾ لا تقدرون على النفوذ ﴿ الا بسلطان ﴾ الا بقوة وقهر وانى لكم ذلك اوان قدرتم ان تنفذوا لتعلموا ما فى السموات والارض فانفذوا لتعلموا لكن لا تنفذون ولا تعلمون الا ببينة نصبها الله فتعرجون عليها بافكاركم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ اى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو مع كمال القدرة او مما نصب من المصاعد العقلية والمعارج النقلية فينفذون بها الى ما فوق السموات العلى ﴿ يرسل عليكما شواظ ﴾ لهب ﴿ من نار ونحاس ﴾ ودخان قال

تضئ كضوء سراج السليط ۞ لم يجعل الله فيه نحاسا

اوصفر مذاب يصب على رؤسهم وقرأ ابن كثير شواظ بالكسر وهو لغة ونحاس بالجر عطفا على نار ووافقه فيه ابو عمرو ويعقوب فى رواية وقرئ نحس وهو جمع كصحف ﴿ فلا تنتصران ﴾ فلا تمتنعان ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ فان التهديد لطف والتمييز بين المطيع

تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا ﴾ أى تخرجوا ﴿ من اقطار السموات والارض ﴾ أى جوانبهما وأطرافهما ﴿ فانفذوا ﴾ أى فاخرجوا والمعنى ان استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا منها فحيثما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم أن تخرجوا من أقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل معناه ان استطعتم أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكى ومن سمائى وأرضى فافعلوا وقدم الجن على الانس فى هذه الآية لانهم أقدر على النفوذ والهرب من الانس وأقوى على ذلك ۞ ثم قال تعالى ﴿ لا تنفذون الا بسلطان ﴾ يعنى لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك لانكم حيثما توجهتم كنتم فى ملكى وسلطانى وقال ابن عباس معناه ان استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان أى بينة من الله تعالى ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادى يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض الآية فذلك قوله تعالى ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ﴾ قال أكثر المفسرين هو اللهب الذى لا دخان فيه وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع من النار ﴿ ونحاس ﴾ قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال ابن مسعود والنحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز أن يرسلا معا من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر ﴿ فلا تنتصران ﴾ أى فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان

تكذبان) ويقول لكم (يامعشر الجن والانس ان استطعتم) قدرتم (أن تنفذوا) تخرجوا (من أقطار) أطراف (السموات والارض) وصفوف الملائكة (فانفذوا) فاخرجوا وفروا (لا تنفذون) لا تقدرون ان تخرجوا (الا بسلطان) بعذر وحجة (فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما) اذا خرجتم من القبور أيها الجن والانس (شواظ) لهب (من نار) لا دخان لها (ونحاس) دخان يسوقانكما الى المحشر (فلا تنتصران) فلا تمتنعان من السوق (فبأى آلاء ربكما تكذبان

فاذا انشقت السماء) انفك بعضها من بعض لقيام الساعة (فكانت وردة) فصارت كلون الورد الاحمر وقيل أصل لون السماء الحمرة ولكن من بعدها ترى زرقاء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن وقيل الدهان الاديم الاحمر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ) أى فيوم تنشق السماء (لايسئل عن ذنبه انس ولاجان) أى ولاجن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده والتقدير لايسئل انس ولاجان عن ذنبه والتوفيق بين هذه الآية وبين قوله فوربك لنسئلنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون ان ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون فى موطن ولا يسئلون فى آخر وقال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لايسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل للتوبيخ (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) بسواد وجوههم وزرقة عيونهم

والعاصى بالجزاء والانتقام من الكفار من عداد الآلاء ﴿ فاذا انشقت السماء فكانت وردة ﴾ اى حمراء وقرئت بالرفع على كان التامة فيكون من باب التجريد كقوله

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم او يموت كريم

﴿ كالدهان ﴾ مذابة كالدهن وهو اسم لما يدهن به كالحزام او جمع دهن وقيل هو الاديم الاحمر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ اى مما يكون بعد ذلك ﴿ فيومئذ ﴾ اى فيوم تنشق السماء ﴿ لايسئل عن ذنبه انس ولاجان ﴾ لانهم يعرفون بسيماهم وذلك حين ما يخرجون من قبورهم ويحشرون الى الموقف ذودا ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين ونحوه فحين يحاسبون فى المجمع والهاء للانس باعتبار اللفظ فانه وان تأخر لفظا تقدم رتبة ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ اى مما انعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم ﴿ يعرف المجرمون بسيماهم ﴾ وهو ما يعلوهم

فاذا انشقت السماء ﴾ أى انفرجت فصارت أبوابا لنزول الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء وذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى أهل الارض ذكر فى هذه الآية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه اشارة ماهو أعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وذوبانها وهو قوله تعالى ﴿ فكانت وردة كالدهان ﴾ جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون الفرس الورد وهو الابيض الذى يضرب الى الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ ألوانا كألوان الفرس الورد يكون فى الربيع أصفر وفى أول الشتاء أحمر فاذا اشتد البرد صار أغبر فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه وقيل كالدهان أى كعصير الزيت لانه يتلون فى الساعة ألوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصلها حر جهنم وقيل كالدهان أى كالاديم الاحمر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولاجان ﴾ قيل لايسئلون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى علمها منهم وكتبتها الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس وعنه لاتسأل الملائكة المجرمين لانهم يعرفون بسيماهم دليله ما بعده وعن ابن عباس أيضا فى الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون قال لايسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه أعلم بذلك منهم ولكنه يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسئل فى بعضها ولا يسئل فى بعضها وعن ابن عباس أيضا قال لايسئلون سؤال شفقة ورحمة انما يسئلون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل لايسئل غير المجرم عن ذنب المجرم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم ﴾

فاذا انشقت السماء) بنزول الملائكة وهيبة الرب (فكانت وردة) فصارت ملونة (كالدهان) كالوان الدهن ويقال وردة كالوان الورد ويقال كالاديم المغربى أى حمرة مع السواد (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ) وهو يوم القيامة بعد الفراغ من الحساب (يعنى) (لايسئل عن ذنبه) عن عمله (انس ولاجن) المؤمن يعرف ببياض وجهه أغر محجل ويقال لايسئل عن ذنب الانس الجن وعن ذنب الجن الانس (فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم) المشركون بسواد وجوههم وزرقة أعينهم

(فيؤخذ بالنواصى والاقدام) أى يؤخذ تارة بالنواصى وتارة بالاقدام (فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها ﴿١٤٥﴾ وبين حميم آن) { سورة الرحمن } ماء حار قد انتهى حره أى يعاقب عليهم التصلية بالنار وبين شرب الحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) والنعمة فى هذا نجاة الناجى منه بفضله ورحمته وما فى الانذار به من التنبيه (ولمن خاف مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة فترك المعاصى أو وأدى الفرائض وقيل هو مقحم كقوله ونفيت عنه مقام الذئب أى نفيت عنه الذئب (جنتان) جنة الانس وجنة الجن لان الخطاب للثقلين وكانه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة

من الكآبة والحزن ﴿ فيؤخذ بالنواصى والاقدام ﴾ مجموعا بينهما وقيل يؤخذون بالنواصى تارة وبالاقدام اخرى ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها ﴾ بين النار يحرقون بها ﴿ وبين حميم ﴾ ماء حار ﴿ آن ﴾ بلغ النهاية فى الحرارة يصب عليهم او يسقون منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه ﴾ موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب او قيامه على احواله من قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين فاضاف الى الرب تفخيما وتهويلا او ربه ومقام مقحم للمبالغة كقوله

زعرت به القطا ونفيت عنه • مقام الذئب كالرجل اللعين

﴿ جنتان ﴾ جنة للخائف الانسى والاخرى للخائف الجنى فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعة واخرى لترك المعاصى اوجنة يثاب بها واخرى يتفضل بها عليه اوروحانية وجسمانية

يعنى بسواد وجوههم وزرقة عيونهم ﴿ فيؤخذ بالنواصى والاقدام ﴾ قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصى من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم فى أصابع أرجلهم مربوطة وقيل يسحب بعضهم بالنواصى وبعضهم بالاقدام ثم يلقون فى النار ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم ﴾ أى يقال لهم هذه جهنم ثم يلقون فيها ﴿ التى يكذب بها المجرمون ﴾ يعنى المشركين ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ يعنى قد انتهى حره والمعنى أنهم يسعون بين الحميم وبين الجحيم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآنى الذى قد صار كالمهل وقال كعب الاحبار آن وادمن أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ فان قلت هذه الامور المذكورة فى هذه الآيات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست نعما فكيف عقبها بقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان • قلت المذكور فى هذه الآيات مواعظ وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصى فصارت نعما فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فبأى آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما أعده لمن اتقاه وخافه من عباده المؤمنين فقال تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه ﴾ يعنى مقامه بين يدى ربه للحساب فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعنى اطلاعه عليه وهو الذى يهم بالمعصية فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله فى السر والعلانية بعمله فما عرض له من محرم تركه من خشيته وما عمل من خير أخلصه لله ولا يحب أن يطلع عليه أحد وقيل ان المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودأبوا الليل والنهار ﴿ جنتان ﴾ يعنى جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة

(فيؤخذ بالنواصى والاقدام) فيجمع النواصى بالاقدام فيطرحون فى النار (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ويقول لهم الزبانية (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) المشركون فى الدنيا انها لاتكون (يطوفون بينها) بين النار (وبين حميم آن) ماء حار قد انتهى حره (فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف) عند المعصية (مقام ربه) بين يدى ربه مقامه فانتهى عن المعصية فله (قا و خا ١٩ س) (جنتان) بستانان فى بساتين جنة عدن وجنة الفردوس

للخائف الجنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان) اغصان جمع فنن وخص الافنان لانها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى اثمار أو ألوان جمع فن أى له فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين قال • ومن كل أفنان اللذاذة والصبا لهوت به والعيش أخضر ناضره (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى الجنتين (عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان) صنفان صنف معروف وصنف غريب (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على المدح للخائفين أوحال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (على فرش) جمع فراش (بطائنها) جمع بطانة (من استبرق) ديباج ثخين وهو معرب قيل ظهائرها من سندس وقيل لايعلمها

(فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى البساتين (عينان تجريان) على أهل الجنة بالخير والرحمة والكرامة والبركة والزيادة من الله (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى البساتين (من كل فاكهة) من ألوان كل فاكهة (زوجان) لونان فى المنظر والمطعم (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) جالسين ناعمين (وترك) (على فرش بطائنها) ظواهرها (من استبرق) ماثخن من الديباج وبطائنها من سندس مالطف من الديباج

وكذا ماجاء مثنى بعده ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان ﴾ انواع من الاشجار والثمار جمع فن او اغصان جمع فنن وهى الغصنة التى تتشعب من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التى تورق وتثمر وتمد الظل ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان ﴾ حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل قيل احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ صنفان غريب ومعروف او رطب ويابس ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من استبرق ﴾ من ديباج ثخين واذا كانت البطائن كذلك فماظنك بالظهائر ومتكئين مدح

بترك شهوته • عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف أدلج ومن ادلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله غالية ألا ان سلعة الله الجنة أخرجه الترمذى • قوله أدلج الادلاج مخففا سير أول الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد فى أول الامر فان من سار أول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل • وروى البغوى بسنده عن أبى ذر أنه سمع صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنى وان سرق فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثالثة وان زنى وان سرق يارسول الله فقال وان زنى وان سرق على رغم أنف أبى ذر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ثم وصف الجنتين فقال ﴿ ذواتا أفنان ﴾ أى أغصان واحدها فنن وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا ظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال ابن عباس ذواتا ألوان يعنى ألوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال فى كل غصن فنون من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ماسواهما ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان ﴾ قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان ﴾ أى صنفان ونوعان وقيل معناه أن فيهما من كل مايتفكه به رطبا ويابسا قال ابن عباس مافى الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة الا وهى فى الجنة حتى الحنظل الا أنه حلو ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش ﴾ جمع فراش ﴿ بطائنها ﴾ جمع بطانة وهى التى تلى الارض من تحت الظهارة ﴿ من استبرق ﴾ وهو ماغلظ من الديباج قال ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فماظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هى مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين وعنه أيضا قال بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن

للخائفين او حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ قريب يناله القاعد والمضطجع وجنى اسم بمعنى مجنى وقرئ بكسر الجيم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن ﴾ فى الجنان فان جنتان تدل على جنان هى للخائفين او فيما فيهما من الاماكن والقصور او فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش ﴿ قاصرات الطرف ﴾ نساء قصرن ابصارهن على ازواجهن ﴿ لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ﴾ لن يمس الانسيات انس والجنيات جن وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرأ الكسائى بضم الميم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ فى حمرة الوجنة وبياض البشرة وصفائهما

وترك الظواهر لانه ليس فى الارض أحد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر أن بطائنها من الاستبرق ولابد أن تكون الظهائر خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر ﴿ وجنى الجنتين دان ﴾ يعنى أن ثمرهما قريب يناله القائم والقاعد والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولى الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لا يرد أيديهم منها بعد ولا شوك ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن ﴾ فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال الجنتين على مساكن وقصور ومجالس ﴿ قاصرات الطرف ﴾ أى غاضات الاعين قصرن أطرافهن على أزواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة ربى ما أرى فى الجنة شيأ أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجى وجعلنى زوجتك ﴿ لم يطمثهن ﴾ أى لم يجامعهن ولم يفرعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسهن ومنه قول الفرزدق

خرجن الى لم يطمثن قبلى • وهن أصح من بيض النعام

أى لم يمسسن والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن ﴿ انس قبلهم ﴾ أى قبل أزواجهن من أهل الجنة ﴿ ولا جان ﴾ قيل انما نفى الجن لان لهم أزواجا فى الجنة منهم وفى الآية دليل على أن الجنى يغشى كما يغشى الانسى وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد فى هذه الآية اذا جامع ولم يسم انطوى الجنى على احليله فجامع معه واختلف فى هؤلاء اللواتى لم يطمثن فقيل هن الحور العين لانهن خلقن فى الجنة فلم يمسهن أحد قبل أزواجهن وقيل انهن من نساء الدنيا أنشئن خلقا آخر ابكارا كما وصفهن لم يمسهن منذ أنشئن خلقا آخر احد وقيل هن الآدميات اللاتى متن أبكارا ومعنى الآية المبالغة فى نفى الطمث عنهن لان ذلك أقر لاعين أزواجهن اذا لم يغشهن أحد غيرهم ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ أراد صفاء الياقوت فى بياض المرجان وهو صغار اللؤلؤ وأشده بياضا وقيل شبه لونهن ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان أحسن

(فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس أو فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن الى غيرهم (لم يطمثهن) بكسر الميم الدورى وعلى بضم الميم والطمث الجماع بالتدمية (انس قبلهم ولا جان) وهذا دليل على ان الجن يطمثون كما يطمث الانس (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت) صفاء (والمرجان) بياضا فهو أبيض من اللؤلؤ

(وجنى الجنتين دان) اجتناء البستانين دان قريب يناله القاعد والقائم (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنان كلها (قاصرات الطرف) جوار غاضات الطرف قانعات بازواجهن لا ينظرن الى غير أزواجهن (لم يطمثهن) لم يجامعهن ويقال لم يطمثهن لم يجنبهن (انس) للانس انس (قبلهم) قبل أزواجهن (ولا جان) ولا للجن جن قبل أزواجهن (فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن) فى الصفاء (الياقوت) كالياقوت (والمرجان) كالمرجان فى البياض

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان﴾ في العمل ﴿الا الاحسان﴾ في الثواب وهو الجنة ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان﴾ ومن دون تينك الجنتين الموعودتين

(فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان) في العمل (الا الاحسان) في الثواب وقيل ماجزاء من قال لا اله الا الله الا الجنة وعن ابراهيم الخواص فيه هل جزاء الاسلام الا دار السلام (فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين

الالوان البياض المشوب بحمرة والاصح أنه شبهن بالياقوت لصفائه لانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت السلك من ظاهره لصفائه وقال عمرو بن ميمون ان المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ماروى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت والمرجان فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته من ورائه أخرجه الترمذي قال وقد روى عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو أصح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء اضاءة لايبصقون فيها ولايمتخطون ولايتغوطون آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لااختلاف بينهم ولاتباغض قلوبهم قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد فيه ولايسقمون قوله مجامرهم الالوة يعني بخورهم العود ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان﴾ أي ماجزاء من أحسن في الدنيا الا أن يحسن اليه في الآخرة وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوي باسناد الثعلبي عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال هل تدرون ماقال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية يقول الله عزوجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا أن أسكنه جنتي وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الآية هل جزاء من أتى بالفعل الحسن الا أن يؤتى في مقابلته بفعل حسن وفي الآية اشارة الى رفع التكليف في الآخرة لان الله وعد المؤمنين بالاحسان وهو الجنة فلو بقي التكليف في الآخرة وتركه العبد لاستحق العقاب على ترك العمل والعقاب ترك الاحسان اليه فلاتكليف ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان﴾ أي ومن دون الجنتين الاولين جنتان أخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال أبو موسى الاشعري جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هن أربع جنان جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما

(فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان) يقول هل جزاء من انعمنا عليه بالتوحيد الا الجنة (فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما) من دون البستانين الاولين (جنتان) اخريان فالاوليان افضل منهما وهاتان دونهما جنة النعيم وجنة المأوى

{فاكهة}

للخائفين المقربين جنتان لمن دونهم من اصحاب اليمين ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ﴿ مدهامتان ﴾ خضراوان تضربان الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على وجه الارض وعلى الاولين الاشجار والفواكه دلالة على مابينهما من التفاوت ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان ﴾ فوارتان بالماء وهو ايضا اقل مما وصف به الاولين وكذا مابعده ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ عطفهما على الفاكهة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاكهة وغذاء وثمرة الرمان فاكهة ودواء احتج به ابو حنيفة على ان من حلف لايأكل فاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات ﴾ اى خيرات فخففت لان خير الذى بمعنى اخير لايجمع وقد قرئ على الاصل ﴿ حسان ﴾ حسان الخلق والخلق

فاكهة ونخل ورمان (ق) عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ومابين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن وقال الكتانى ومن دونهما جنتان يعنى امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاوليان من ذهب وفضة والجنتان الاخريان من ياقوت وزبرجد وهما أفضل من الاولين ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ثم وصف الجنتين فقال تعالى ﴿ مدهامتان ﴾ أى سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان ﴾ أى فوارتان بالماء لاينقطعان وقال ابن عباس والضحاك ينضخان بالخير والبركة على أهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والكافور على أولياء الله وقال أنس بن مالك ينضخان بالمسك والعنبر فى دور أهل الجنة كطش المطر ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان ﴾ يعنى فيهما من أنواع الفواكه كلها وانما عطف النخل والرمان بالواو وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما وشرفهما على سائر الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين وأهل اللغة قالوا انما فصلهما بالذكر للتخصيص والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال خصهما بالذكر وان كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال أبو حنيفة اذا حلف لايأكل الفاكهة فاكل رطبا أو رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه وهذا القول خلاف قول أهل اللغة ولاحجة له فى الآية وروى البغوى بسنده عن ابن عباس موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لاهل الجنة منها حللهم وثمرها مثل القلال أو الدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس له عجم وروى ان الرمانة من رمان الجنة مثل البعير المقتب وقيل ان نخل أهل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نزعت منها واحدة عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن ﴾ أى فى الجنان الاربع ﴿ خيرات حسان ﴾

ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان) فوارتان بالماء لاتنقطعان (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة) ألوان الفواكه (ونخل ورمان) والرمان والتمر ليسا من الفواكه عند أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه للعطف ولان التمر فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه وهما قالا انما عطفا على الفاكهة لفضلهما كأنهما جنسان آخران لمالهما من المزية كقوله وجبريل وميكال (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان) أى خيرات فخففت وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق

(فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان) خضراوان يضرب لونهما الى السواد لكثرة ريهما (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى الجنتين (عينان نضاختان) فوارتان ويقال ممتلئتان بالخير والبركة والرحمة والكرامة والزيادة من الله (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما) فى الجنتين (فاكهة) ألوان الفاكهة (ونخل) ألوان النخل (ورمان) ألوان الرمان فى الطعم والمنظر (فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن) فى الجنان الاربع ويقال فى الجنان كلها (خيرات حسان) جوار خير لازواجهن حسان الوجوه ويقال حسان الاعين

(فباى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام) أى مخدرات يقال امرأة قصيرة ومقصورة أى مخدرة قيل الخيام من الدر المجوف (وبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم) قبل أصحاب الجنتين ودل عليهم ذكر الجنتين (ولاجان فباى آلاء ربكما تكذبان متكئين) نصب على الاختصاص (على رفرف) هو كل ثوب عريض وقيل الوسائد خضر وعبقرى حسان) ديباج أوطنافس (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وانما تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاولين حتى قيل ومن دونهما لان مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور

(فبأى آلاء ربكما تكذبان حور) بيض (مقصورات) محبوسات على أزواجهن (فى الخيام) فى خيام الدر المجوف (فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن) لم يجامعهن ويقال لم يجنبهن (انس قبلهم) للانس انس قبل أزواجهن (ولاجان) ولا للجن جن قبل أزواجهن (فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين) جالسين ناعمين (على رفرف) مجالس ويقال رياض (خضر وعبقرى) طنافس مخملة مونة (حسان) ويقال زرابى حسان مونة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فبأى نعماء ربكما أيها الجن والانس غير محمد عليه السلام تكذبان تجاحدان انها ليست

﴿وبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات ﴾ قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة اومقصورات الطرف على ازواجهن ﴿ فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان ﴾ كحور الاولين وهم لاصحاب الجنتين فانهما تدلان عليهم ﴿ وبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف ﴾ وسائد اونمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط اوذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض رفرف ﴿ خضر وعبقرى حسان ﴾ العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان

روى عن أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنى عن قوله خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه ﴿ وبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات ﴾ أى مخدرات مستورات لايخرجن لكرامتهن وشرفهن روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا ومافيها وقيل قصرن أطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلايبغين بهم بدلا ﴿ فى الخيام ﴾ قيل هى البيوت قال ابن الاعرابى الخيمة لاتكون الا من أربعة أعواد ثم تسقف بالثمام ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا أقام بها وتظلل فيها وقيل كل خيامها من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور فى الجنة (ق) عن أبى موسى الاشعرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان للمؤمن فى الجنة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها فى السماء وفى رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلايرى بعضهم بعضا ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان ﴾ تقدم تفسيره ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر ﴾ قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة ويروى هذا عن ابن عباس وقيل ان الرفرف البسط وعن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هى مجالس خضر فوق الفرش وقيل هى المرافق وقيل الزرابى وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف ﴿ وعبقرى حسان ﴾ قيل هى الزرابى والطنافس الثخان وقيل هى الطنافس الرقاق وقيل كل ثوب موشى عند العرب فهو عبقرى وقال الخليل كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقرى عند العرب ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عمر فلم أر عبقريا يفرى فريه وأصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهى أرض يسكنها الجن فصار مثلا لكل منسوب الى شئ رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد فى الجن كل صفة عجيبة وانهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كانت عبقر معروفة بسكنى الجن نسبوا اليها كل شئ عجيب بديع ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان

والمتكأ (تبارك اسم ربك ذى الجلال) ذى العظمة ذوالجلال شامى صفة للاسم (والاكرام) لاوليائه بالانعام روى جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سورة الرحمن فقال مالى أراكم سكوتا الجن كانوا أحسن منكم ردا ماأتيت على قول الله فبأى آلاء ربكما تكذبان الاقالوا ولا بشئ من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد ولك الشكر وكررت هذه الآية فى هذه السورة احدى وثلاثين مرة ذكر ثمانية منها عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الخلق ومعادهم ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها على عدد أبواب جهنم وبعد هذه السبعة ثمانية فى وصف الجنتين وأهلهما على عدد أبواب الجنة وثمانية أخرى بعدها ﴿١٥١﴾ للجنتين اللتين دونهما فمن {سورة الواقعة} اعتقد الثمانية الاولى وعمل بموجبها فتحت له أبواب الجنة وأغلقت عنه أبواب جهنم نعوذ بالله منها والله أعلم ﴿ سورة الواقعة سبع وتسعون آية مدنية ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (اذا وقعت الواقعة) قامت القيامة وقيل وصفت بالوقوع لانها تقع لامحالة فكانه قيل اذا وقعت الواقعة التى لابد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله وانتصاب اذا باضمار اذكر

من الله (تبارك اسم ربك) ذو بركة ورحمة ويقال تعالى وتبرأ عن الولد والشريك (ذى الجلال) ذى العظمة والسلطان (والاكرام) والتجاوز والاحسان اذا قامت القيامة

﴿تبارك اسم ربك﴾ تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما فى قوله

الى الحول ثم اسم السلام عليكما

﴿ذى الجلال والاكرام﴾ وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم • عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه

﴿ سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿اذا وقعت الواقعة﴾ اذا حدثت القيامة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب

تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام ﴾ قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وفيه اشارة الى أن الباقى هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيده وتحميده (م) عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام • وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم من الصلاة لم يقعد الامقدار مايقول اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام أخرجه أبو داود والنسائى غير قولها لم يقعد الامقدار مايقول والله أعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الواقعة ﴾

وهى مكية وسبع وتسعون آية وثلاثمائة وثمان وسبعون كلمة وألف وسبعمائة وثلاثة أحرف روى البغوى بسنده عن ابى ظبية عن عبدالله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا وكان أبو ظبية لايدعها أبدا وأخرجه ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول ولم يعزه والله تعالى أعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

• قوله عزوجل ﴿ اذا وقعت الواقعة ﴾ أى اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الواقعة وهى كلها مكية غير قوله أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقوله ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فهؤلاء الآيات نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم فى سفره الى المدينة آياتها تسع وتسعون وكلماتها ثلثمائة وثمان وسبعون وحروفها ألف وتسعمائة وثلاثة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله جل ذكره (اذا وقعت الواقعة) يقول اذا قامت القيامة

(ليس لوقعتها كاذبة) نفس كاذبة أي لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات واللام مثلها في قوله تعالى ياليتني قدمت لحياتي (خافضة رافعة) أي هي خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين (اذا رجت الارض رجا) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء وهو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال (وبست الجبال بسا) وفتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (فكانت هباء) غبارا (منبثا) متفرقا (وكنتم أزواجا) أصنافا يقال للاصناف التي بعضها من بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (ثلثة) صنفان في الجنة وصنف في النار ثم فسر الازواج

اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ﴿ليس لوقعتها كاذبة﴾ اى لايكون حين تقع نفس تكذب على الله اوتكذب في نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها في قوله قدمت لحياتي اوليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدق اوليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه ﴿خافضة رافعة﴾ تخفض قوما وترفع آخرين وهو تقرير لعظمتها فان الوقائع العظام كذلك اوبيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه اوازالة الاجرام عن مجازها بنثر الكواكب وتسيير الجبال في الجو وقرئتا بالنصب على الحال ﴿اذا رجت الارض رجا﴾ حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم مافوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة رافعة اوبدل من اذا وقعت ﴿وبست الجبال بسا﴾ فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته اوسيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها ﴿فكانت هباء﴾ غبارا ﴿منبثا﴾ منتشرا ﴿وكنتم ازواجا﴾ اصنافا ﴿ثلثة﴾

صيحة القيامة وهى النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة ﴿ليس لوقعتها﴾ أى لمجيئها ﴿كاذبة﴾ أى ليس لها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قصة كاذبة أي كل ما أخبر الله عنها وقص من خبرها قصة صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس لوقعتها نفس كاذبة أى ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس أخبرت عن وقوعها ﴿خافضة رافعة﴾ أى تخفض أقواما الى النار وترفع أقواما الى الجنة وقال ابن عباس تخفض أقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع أقواما كانوا في الدنيا متضعين وقيل تخفض أقواما بالمعصية وترفع أقواما بالطاعة ﴿اذا رجت الارض رجا﴾ أى اذا حركت وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا أوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال المفسرون ترج كما يرج الصبي في المهد ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل مافيها من جبال وغيرها وهو قوله تعالى ﴿وبست الجبال بسا﴾ أى فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه قلعت من أصلها وسيرت على وجه الارض حتى ذهب بها ﴿فكانت هباء منبثا﴾ أى غبارا متفرقا كالذى يرى في شعاع الشمس اذا دخل الكوة وهو الهباء ﴿وكنتم أزواجا﴾ أى أصنافا ﴿ثلثة﴾

(ليس لوقعتها) لقيامها (كاذبة) راد ولا خلف ولا مثنوية (خافضة) تخفض قوما بأعمالهم فتدخلهم النار (رافعة) ترفع قوما بأعمالهم فتدخلهم الجنة ويقال انما سميت واقعة لشدة صوتها يسمع القريب والبعيد (اذا رجت الارض رجا) اذا زلزلت الارض زلزلة حتى ينطمس كل بنيان وجبل عليها فيعود فيها (وبست الجبال بسا) سيرت الجبال عن وجه الارض كسير السحاب ويقال قلعت قلعا (ثم)
ويقال جنت جنا ويقال فتت فتا تبس كما يبس السويق أو علف البعير (فكانت) صارت (هباء) غبارا كالغبار الذى يسطع من حوافر الدواب أو كشعاع الشمس يدخل في كوة تكون في البيت أو خرق يكون في الباب (منبثا) يجور بعضه في بعض (وكنتم) صرتم يوم القيامة (أزواجا) أصنافا (ثلثة)

فقال (فأصحاب الميمنة) مبتدأ وهم الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم (ماأصحاب الميمنة) مبتدأ وخبر وهما خبر المبتدأ الاول وهو تعجيب من حالهم فى السعادة وتعظيم لشأنهم كانه قال ماهم وأى شئ هم (وأصحاب المشأمة) أى الذين يؤتون صحائفهم بشمائلهم أوأصحاب المنزلة السنية

الدنية الخسيسة من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال (ماأصحاب المشأمة) أى أى شئ هم وهو تعجيب من حالهم بالشقاء (والسابقون) مبتدأ (السابقون) خبره وتقديره السابقون الى الخيرات السابقون الى الجنات وقيل الثانى تأكيد للاول والخبر

وكل صنف يكون اويذكر مع صنف آخر زوج ﴿فأصحاب الميمنة ماأصحاب الميمنة واصحاب المشأمة مااصحاب المشأمة﴾ فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل اواصحاب الميمنة واصحاب المشأمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم اواصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجيب من حال الفريقين ﴿والسابقون السابقون﴾ والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان اوسبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات اوالانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرف مآلهم كقول ابى النجم

انا ابوالنجم وشعرى شعرى

ثم فسر الازواج فقال تعالى ﴿فأصحاب الميمنة﴾ يعنى أصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذبهم ذات اليمين الى الجنة وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله تعالى هؤلاء الى الجنة ولا ابالى وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين أى مباركين على أنفسهم وكانت اعمالهم صالحة فى طاعة الله وهم التابعون باحسان ﴿ماأصحاب الميمنة﴾ تعجيب من حالهم فى السعادة والمعنى أى شئ هم ﴿واصحاب المشأمة ماأصحاب المشأمة﴾ يعنى أصحاب الشمال وهم الذين يؤخذبهم ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على شمال آدم عنداخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولاابالى وقيل هم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على انفسهم وكانت أعمالهم فى المعاصى لان العرب تسمى اليداليسرى الشؤمى ﴿والسابقون السابقون﴾ قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة السابقون فى الآخرة الى الجنة وقيل هم السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل هم المسارعون الى التوبة والى مادعاالله اليه من أعمال البر والخير وقيل هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة ٭ فان قلت لم أخر ذكر السابقين وكانوا أولى بالتقديم على أصحاب اليمين ٭ قلت فيه لطيفة وذلك ان الله تعالى ذكر فى أول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده فامامحسن فيزداد رغبة فى الثواب واما مسئ فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك قدم أصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر أصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم الذين لايحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد أصحاب اليمين فى القرب من درجتهم ثم أثنى على السابقين

فأصحاب الميمنة) وهم أهل الجنة الذين يعطون كتابهم بيمينهم وهم الذين قال الله لهم هؤلاء فى الجنة ولا ابالى (ماأصحاب الميمنة) يعجب نبيه بذلك يقول ومايدريك يامحمد مالاهل الجنة من النعيم والسرور والكرامة (وأصحاب المشأمة) وهم أهل النار الذين يعطون كتابهم بشمالهم وهم الذين قال الله لهم هؤلاء فى النار ولا ابالى (مأصحاب المشأمة) يعجب نبيه بذلك يقول ومايدريك يامحمد مالاهل النار فى النار (قا و خا ٢٠ س) من الهوان والعقوبة والعذاب (والسابقون) فى الدنيا الى الايمان والهجرة والجهاد والتكبيرة الاولى والخيرات كلها هم (السابقون) فى الآخرة الى الجنة

(أولئك المقربون) والاول أوجه (فى جنات النعيم) أى هم فى جنات النعيم (ثلة من الاولين وقليل من الا خرين) أى هم ثلة والثلة الامة من الناس الكثيرة والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى نبينا محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتى (على سرر) جمع سرير ككثيب وكثب (موضونة) مرمولة ومنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت (متكئين) حال من الضمير فى على وهو العامل فيها أى استقروا عليها متكئين (عليها متقابلين) ينظر بعضهم فى وجوه بعض ولا ينظر بعضهم فى اقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق وصفاء المودة ومتقابلين حال ايضا (يطوف عليهم) يخدمهم (ولدان) غلمان جمع وليد (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان لايتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيآت فيعاقبوا عليها وفى الحديث أولاد الكفار خدام اهل الجنة

(أولئك المقربون) الى الله (فى جنات النعيم) نعيمها دائم (ثلة من الاولين) جماعة من أوائل الامم كلها قبل أمة محمد عليه السلام (وقليل من الآخرين) من أواخر الامم كلها وهى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويقول كلتاهما امة محمد صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية اغتم النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه بذلك حتى نزل قوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين (على سرر) جالسين على سرر (موضونة) وضونة بقضبان الذهب والفضة منسوجة بالدر والياقوت (متكئين) ناعمين (عليها) على السرر (متقابلين) فى الزيارة (يطوف عليهم) فى الخدمة (ولدان) وصفاء ويقال هم أولاد الكفار جعلوا خدما لاهل الجنة (مخلدون) خلدوا لايموتون فيها ولايخرجون منها ويقال يحلون فى الجنة يطوف عليهم

اوالذين سبقوا الى الجنة ﴿ اولئك المقربون فى جنات النعيم ﴾ الذين قربت درجاتهم فى الجنة واعليت مراتبهم ﴿ ثلة من الاولين ﴾ اى هم كثير من الاولين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ يعنى امة محمد عليه السلام ولايخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتى يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقى هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لاتنافى اكثرية احدهما وروى مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع ﴿ على سرر موضونة ﴾ خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت اوالمتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع ﴿ متكئين عليها متقابلين ﴾ حالان من الضمير فى على سرر ﴿ يطوف عليهم ﴾ للخدمة ﴿ ولدان مخلدون ﴾ مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم

فقال تعالى ﴿ أولئك المقربون ﴾ أى من الله فى جواره وفى ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله ﴿ فى جنات النعيم ﴾ قوله تعالى ﴿ ثلة ﴾ أى جماعة غير محصورة العدد ﴿ من الاولين ﴾ أى من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا ﴿ وقليل من الآخرين ﴾ يعنى من هذه الامة وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية أكثر ممن عاين النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعنى التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار وقليل من الآخرين أى ممن جاء بعدهم من الصحابة ﴿ على سرر موضونة ﴾ أى منسوجة من الذهب والجوهر وقيل موضونة يعنى مصفوفة ﴿ متكئين عليها ﴾ أى على السرر ﴿ متقابلين ﴾ يعنى لاينظر بعضهم فى قفا بعض وصفوا بحسن العشرة فى المجالسة وقيل لانهم صاروا أرواحا نورانية صافية ليس لهم أدبار وظهور ﴿ يطوف عليهم ﴾ أى للخدمة ﴿ ولدان ﴾ أى غلمان ﴿ مخلدون ﴾ لايموتون ولايهرمون ولايتغيرون ولاينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق فى الاذن واختلفوا فى هؤلاء الولدان فقيل هم أولاد المؤمنين الذين ماتوا أطفالا وفيه ضعف لان الله أخبر أنه ألحقهم بآبائهم ولان من المؤمنين من لاولد له فو خدمه ولد غيره كان منقصة بأبى الخادم وقيل هم صغار الكفار الذين ماتوا

(باكواب) جمع كوب وهى آنية لاعروة لها ولا خرطوم (وأباريق) جمع ابريق وهو ماله خرطوم وعروة (وكأس) وقدح فيه شراب وان لم يكن فيه شراب فليس بكأس (من معين) من خمر تجرى من العيون (لايصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لايصدر صداعهم عنها أولا يفرقون عنها (ولا ينزفون) ولا يسكرون نزف الرجل ذهب عقله بالسكر ولا ينزفون بكسر الزاء كوفى أى لاينفد شرابهم يقال انزف القوم اذا فنى شرابهم (وفاكهة مما يتخيرون) يأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) يتمنون (وحور) جمع حوراء (عين) جمع عيناء أى وفيها حور عين أوولهم حور عين ويجوز أن يكون عطفا على ولدان وحور يزيد وحمزة وعلى عطفا على جنات النعيم كانه قال هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور ان قرأت بخفض الزاء (وفاكهة) والوان الفاكهة (مما يتخيرون) مما يشتهون (ولحم طير) وأوان لحم طير (مما يشتهون) مما يتمنون (وحور) ويطوف عليهم جوار بيض (عين) عظام الاعين حسان الوجوه

﴿باكواب وأباريق﴾ حال الشرب وغيره والكوب اناء بلا عروة ولا خرطوم له والابريق اناء له ذلك ﴿وكأس من معين﴾ من خمر ﴿لايصدعون عنها﴾ بخمار ﴿ولا ينزفون﴾ ولا ينزف عقولهم اولا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاء وقرئ لايصدعون بمعنى لايتصدعون اى لايتفرقون ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ اى يختارون ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ يتمنون ﴿وحور عين﴾ عطف على ولدان اومبتدأ محذوف الخبر اى وفيها اولهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اى هم فى جنات ومصاحبة حور اوعلى اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون

قبل التكليف وهذا القول أقرب من الاول لانه قد اختلف فى أولاد المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم فى النار تبعا لآبائهم وتوقف فيهم طائفة والمذهب الثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون انهم من أهل الجنة ولكل مذهب دليل ليس هذا موضعه وقيل هم أطفال ماتوا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولاسيآت فيعاقبوا عليها ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذى لامعدل عنه ان شاء الله انهم ولدان خلقوا فى الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور وان لم يولدوا ولم يحصلوا عن ولادة أطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمى الغلام وليدا مالم يحتلم والامة وليدة وان أسنت ﴿باكواب﴾ جمع كوب وهى الاقداح المستديرة الافواه لاآذان لها ولاعرا ﴿وأباريق﴾ جمع ابريق وهى ذوات الخراطيم والعرا سميت أباريق لبريق لونها من الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها ﴿وكأس من معين﴾ أى من خمرة جارية ﴿لايصدعون عنها﴾ أى لاتصدع رؤسهم من شربها وعنها كناية عن الكأس وقيل لايتفرقون عنها ﴿ولا ينزفون﴾ أى لايغلب على عقولهم ولايسكرون منها وقرئ بكسر الزاى ومعناه لاينفد شرابهم ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ أى يأخذون خيارها ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين يديه على مااشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فيأكل منه مايشتهى ثم يطير * فان قلت هل فى تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة * قلت نعم وكيف لا وفى كل حرف من حروف القرآن بلاغة وفصاحة والذى يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان تميل نفسه الى الفاكهة فالجائع مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار وأهل الجنة انما يأكلون لامن جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة أكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت فى مواضع كثيرة من القرآن بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على مايشتهيه فتميل نفسه اليه أدنى ميل ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله أعلم ﴿وحور عين﴾ أى

(باكواب) بكيزان لا آذان لها ولاعرا (وأباريق) مالها آذان وعرا وخراطيم (وكأس من معين) خمر طاهر تجرى (لايصدعون عنها) يقول لايصدع رؤسهم من شربها ويقال لايصدع الخمر رؤسهم كخمر الدنيا ويقال لايعنون عنها (ولا ينزفون) ولا يسكرون بشربها ويقال لاتسكرهم الخمر ويقال لاينفد شرابهم

(كأمثال اللؤلؤ) فى الصفاء والنقاء (المكنون) المصون وقال الزجاج كأمثال الدر حين يخرج من صدفه لم يغيره الزمان
واختلاف أحوال الاستعمال (جزاء بما كانوا يعملون) جزاء

باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ المصون عما يضر به فى الصفاء والنقاء ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ اى يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم ﴿ لايسمعون فيها لغوا ﴾ باطلا ﴿ ولا تأثيما ﴾ ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال لهم اثمتم ﴿ الا قيلا ﴾ الا قولا ﴿ سلاما سلاما ﴾ بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية ﴿ واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود ﴾ لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه اومثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب ﴿ وطلح ﴾ وشجر موز اوام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين ﴿ منضود ﴾ نضد

ويطوف عليهم حور عين وقيل ولهم حور عين وجاء فى تفسير حور أى بيض عين أى ضخام العيون ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ أى المخزون فى الصدف المصون الذى لم تمسه الايدى ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون فى نهاية الصفاء روى انه سطع نور فى الجنة فقيل ما هذا قيل ضوء ثغر حوراء ضحكت وروى ان الحوراء اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت يضحك من نحرها وفى رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصران بالتسبيح ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾ أى فعلنا ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون فى الدنيا بطاعتنا ﴿ لا يسمعون فيها ﴾ أى فى الجنة ﴿ لغوا ﴾ قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح من القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع ﴿ ولا تأثيما ﴾ قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض أثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به أهل الدنيا وقيل معناه لا يأتون تأثيما أى ما هو سبب التأثيم من قول أو فعل قبيح ﴿ الا قيلا ﴾ معناه لكن يقولون قيلا أو يسمعون قيلا ﴿ سلاما سلاما ﴾ يعنى يسلم بعضهم على بعض وقيل تسلم الملائكة عليهم أو يرسل الرب بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال تعالى ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ﴾ لما بين حال السابقين شرع فى بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى ﴿ فى سدر مخضود ﴾ أى لا شوك فيه كأنه خضد شوكه أى قطع ونزع منه وهذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا قيل ثمرها أعظم من القلال وهو النبق قيل لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره فقالوا ليت لنا مثل هذا فأنزل الله هذه الآية ﴿ وطلح ﴾ هو الموز عند أكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد طيب وقيل هو شجر أم غيلان له شوك ونور طيب الرائحة فخوطبوا ووعدوا بمثل ما يحبون ويعرفون الا ان فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا ﴿ منضود ﴾ أى متراكم قد نضد

مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء أعمالهم أو مصدر أى يجزون جزاء (لايسمعون فيها) فى الجنة (لغوا) باطلا (ولا تأثيما) هذيانا (الا قيلا سلاما سلاما) الا قولا ذا سلامة والاستثناء منقطع وسلاما بدل من قيلا او مفعول به لقيلا اى لا يسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود) السدر شجر النبق والمخضود الذى لا شوك له كأنما خضد شوكه (وطلح منضود) الطلح شجر الموز

(كأمثال اللؤلؤ المكنون) قد كن من الحر والبرد (جزاء) هذا ثواب لاهل الجنة (بما كانوا يعملون) ويقولون من الخيرات فى الدنيا (لايسمعون فيها) فى الجنة (لغوا) باطلا ولا حلفا كاذبا (ولا تأثيما) لا شتما ويقال لا اثم عليهم فيه (الا قيلا) قولا (سلاما سلاما) يحيي بعضهم بعضا بالسلام والتحية وتحييهم الملائكة بالسلام والتحية من الله (وأصحاب اليمين) أهل الجنة (ما أصحاب اليمين) ما يدريك يا محمد ما لاهل الجنة من النعيم والسرور (فى سدر) فى ظلال سمر ثم بين ذلك فقال (مخضود) موقر بلا شوك (وطلح منضود) موز مجتمع ويقال

(بالحمل)

والمنضود الذي نضد بالحمل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط كظل مابين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) جار بلا حد ولاخد أي تجرى على الارض في غير أخدود (وفاكهة كثيرة) أي كثيرة الاجناس (لامقطوعة) لاتنقطع في بعض الاوقات كفواكه الدنيا بل هي دائمة (ولا ممنوعة) لا تمنع عن متناولها بوجه وقيل لامقطوعة بالازمان ولاممنوعة بالاثمان (وفرش مرفوعة) رفيعة القدر أو نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله (انا أنشأناهن انشاء) ابتدأنا خلقهن ابتداء من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن أو اللاتي اعيد انشاؤهن وعلى غير هذا التأويل أضمر لهن لان ذكر الفرش وهي المضاجع

حمله من اسفله الى اعلاه ﴿ وظل ممدود ﴾ منبسط لايتقاص ولايتفاوت ﴿ وماء مسكوب ﴾ يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب اومصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين في التنعم بأكمل مايتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين بأكمل مايتمناه اهل البوادي اشعارا بالتفاوت بين الحالين ﴿ وفاكهة كثيرة ﴾ كثيرة الاجناس ﴿ لامقطوعة ﴾ لاتنقطع في وقت ﴿ ولاممنوعة ﴾ ولاتمنع عن متناولها بوجه ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ رفيعة القدر اومنضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله ﴿ انا انشأناهن انشاء ﴾ اى ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداء اواعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن

بالحمل من أوله الى آخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى أغصانه ثمر وليس شيء من ثمر الجنة في غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها مأكول ومشروب ومشموم ومنظور اليه ﴿ وظل ممدود ﴾ أي دائم لاتنسخه الشمس كظل أهل الدنيا وذلك لان الجنة ظل كلها لاشمس فيها (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة واقرؤا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق يخرج اليها أهل الجنة فيتحدثون في أصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عزوجل ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا ﴿ وماء مسكوب ﴾ أي مصبوب يجري دائما في غير أخدود ولاينقطع ﴿ وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولاممنوعة ﴾ قال ابن عباس لاتنقطع اذا جنيت ولاتمتنع من أحد اذا اراد أخذها وقيل لامقطوعة بالازمان ولاممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في الشتاء ولايوصل اليها الا بالثمن وقيل لايحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء في الحديث ماقطعت ثمرة من ثمار الجنة الا بدل الله عزوجل مكانها ضعفين ﴿ وفرش مرفوعة ﴾ قال على مرفوعة على الاسرة وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة ◦ عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة مابينهما خمسمائة عام أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاعها كما بين السماء والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات مابين كل درجتين كما بين السماء والارض وقيل أراد بالفرش النساء والعرب تسمي المرأة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا القول يكون معنى مرفوعة أي رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التأويل قوله في عقبه ﴿ انا أنشأناهن انشاء ﴾ أي خلقناهن خلقا جديدا

دائم لاينقطع (وظل) ظل الشجر ويقال ظل العرش (ممدود) دائم عليهم بلا شمس (وماء مسكوب) مصبوب من ساق العرش (وفاكهة كثيرة) ألوان الفاكهة الكثيرة (لامقطوعة) لاتنقطع عنهم في حين وتجيء في حين (ولاممنوعة) عنهم اذا نظروا اليها (وفرش مرفوعة) في الهواء لاهلها (انا أنشأناهن) خلقنا نساء أهل الدنيا (انشاء) خلقا بعد العجز والعمش والمرض والموت

وجدوهن ابكارا * فجعلناهن ابكارا عربا * متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وابو بكر وروى عن نافع وعاصم مثله ﴿ اترابا ﴾ فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن ﴿ لاصحاب اليمين ﴾ متعلق بانشأنا او جعلنا او صفة لابكارا او لاترابا او خبر لمحذوف مثل هن او لقوله ﴿ ثلة من الاولين وثلة من الآخرين ﴾

قال ابن عباس يعنى الآدميات العجائز الشمط يقول خلقنا هن بعد الكبر والهرم خلقا آخر ﴿ فجعلناهن أبكارا ﴾ يعنى عذارى * عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء قال ان المنشآت اللاتى كن فى الدنيا عجائز عمشا رمصا أخرجه الترمذى وقال حديث غريب وضعف بعض رواته * وروى البغوى بسنده عن الحسن قال أتت عجوز النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكى قال أخبروها أنها لا تدخلها وهى عجوز ان الله تعالى قال انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا هذا حديث مرسل * وروى باسناد الثعلبى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله انا أنشأناهن انشاء قال عجائز كن فى الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن أبكارا وقال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا أنشأهن الله بقدرته خلقا جديدا كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا وقيل انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن فى الدنيا وقيل هن الحور العين أنشأهن الله لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن أبكارا عذارى وليس هناك وجع ﴿ عربا ﴾ جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس فى رواية عنه وعنه أنها الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن أبيه عربا قال حسان الكلام ﴿ أترابا ﴾ يعنى أمثالا فى الخلق وقيل مستويات فى السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين * عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين أبناء ثلاثين أو قال ثلاث وثلاثين سنة أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ﴿ لاصحاب اليمين ﴾ يعنى أنشأناهن لاصحاب اليمين وقيل هذا الذى ذكرنا لاصحاب اليمين ﴿ ثلة من الاولين ﴾ يعنى من المؤمنين الذين هم قبل هذه الامة ﴿ وثلة من الآخرين ﴾ يعنى من مؤمنى هذه الامة يدل عليه ما روى البغوى باسناد الثعلبى عن عروة بن رويم قال لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يا نبى الله آمنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة ولا يستتمها الا سودان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرأيت النبى ومعه الرهيط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه أحد اذ رفع الى سواد عظيم فظننت انهم

دل عليهن (فجعلناهن أبكارا) عذارى كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا (عربا) عربا حمزة وخلف ويحيى وحماد جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن كذلك واللام فى (لاصحاب اليمين) اى صلة أنشأنا (ثلة) من أصحاب اليمين ثلة (من الاولين وثلة من الآخرين) فان قلت كيف قال قبل هذا وقليل من الآخرين ثم قال هنا وثلة من الآخرين قلت ذاك فى السابقين وهذا فى أصحاب اليمين وانهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا وعن الحسن سابقوا الامم اكثر من سابقى امتنا وتابعوا الامم مثل تابعى هذه الامة

(فجعلناهن أبكارا) عذارى (عربا) شكلات غنجات عاشقات متحببات الى أزواجهن (أترابا) مستويات فى السن والميلاد على مقدار ثلاثة وثلاثين سنة (لاصحاب اليمين) لاهل الجنة وكلهم أهل الجنة (ثلة من الاولين) جماعة من أوائل الامم كلها قبل أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وثلة من الآخرين) جماعة من أواخر الامم كلها وهى أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويقال كلتا الثلتين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (امتى)

وهى على الوجوه الاول خبر محذوف ﴿ واصحاب الشمال مااصحاب الشمال فى سموم ﴾ فى حر نار ينفذ فى المسام ﴿ وحميم ﴾ وماء متناه فى الحرارة ﴿ وظل من يحموم ﴾

أمتى فقيل لى هذا موسى وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لى انظر الى الافق الآخر فاذا سواد عظيم فقيل لى هذه أمتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض القوم فى اولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا فى الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماالذى تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين لايرقون ولايسترقون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال أنت منهم فقام رجل آخر فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة *الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين (ق) عن عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة نحوا من أربعين فقال أترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة قلنا نعم قال أترضون ان تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذى نفس محمد بيده انى لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك ان الجنة لايدخلها الانفس مؤمنة مسلمة وما أنتم فى أهل الشرك الا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الاحمر *وعن بريدة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وذهب جماعة الى أن الثلثين جميعا من هذه الامة وهو قول أبى العالية ومجاهد وعطاء بن أبى رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابق هذه الامة وثلة من الآخرين من هذه الامة أيضا فى آخر الزمان يدل على ذلك ماروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس فى هذه الامة ثلة من الاولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من امتى وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وعاينه وجماعة ممن آمن به وكان بعده ولم يعاينه *فان قلت كيف قال فى الآية الاولى وقليل من الآخرين وقال فى هذه الآية وثلة من الآخرين *قلت الآية الاولى فى السابقين الاولين وقليل ممن يلحق بهم من الآخرين وهذه الآية فى أصحاب اليمين وهم كثيرون من الاولين والآخرين *وحكى عن بعضهم ان هذه ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه والقول بالنسخ لايصح لان الكلام فى الآيتين خبر والخبر لايدخله النسخ *قوله تعالى ﴿وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال﴾ قد تقدم انه بمعنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ثم بين منقلبهم وما أعدلهم من العذاب فقال تعالى ﴿ فى سموم ﴾ أى فى حر النار وقيل فى ريح شديد الحرارة ﴿ وحميم ﴾ أى ماء حار يغلى ﴿ وظل من يحموم ﴾ يعنى فى ظل من دخان شديد السواد قيل ان النار سوداء وأهلها سود وكل شئ فيها أسود

(وأصحاب الشمال ماأصحاب الشمال) الشمال والمشأمة واحدة (فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء حار متناه الحرارة (وظل من يحموم من دخان أسود

(وأصحاب الشمال) أهل النار (ماأصحاب الشمال) مايدريك يامحمد مالاهل النار من الهوان اوالعذاب (فى سموم) فى لهب النار ويقال لفح النار ويقال فى ريح باردة ويقال حارة (وحميم) ماء حار (وظل) عليهم (من يحموم) من دخان جهنم أسود

(لا بارد ولا كريم) نفى لصفتى الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوى اليه من اذى الحر وكذلك كرمه ليمحق ما فى مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار (انهم كانوا قبل ذلك) أى فى الدنيا (مترفين) منعمين فمنعهم ذلك من الانزجار وشغلهم عن الاعتبار (وكانوا يصرون) يداومون (على الحنث العظيم) أى على الذنب العظيم أو على الشرك لانه نقض عهد الميثاق والحنث نقض العهد المؤكد باليمين أو الكفر بالبعث بدليل قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت (وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) تقديره أنبعث اذا متنا وهو العامل فى الظرف وجاز حذفه اذ مبعوثون يدل عليه ولا يعمل فيه مبعوثون لان اذ والاستفهام يمنعان ان يعمل ما بعدهما فيما قبلهما (أو آباؤنا الاولون) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف وحسن العطف على المضمر فى لمبعوثون من غير توكيد بنحن للفاصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفى أو اباؤنا مدنى وشامى (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشئ أى حد ومنه مواقيت الاحرام وهى الحدود التى لا يجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (ثم انكم أيها الضالون) عن الهدى

من دخان اسود يحموم من الحمة ﴿لا بارد﴾ كسائر الظل ﴿ولا كريم﴾ ولا نافع نفى بذلك ما اوهم الظل من الاسترواح ﴿انهم كانوا قبل ذلك مترفين﴾ منهمكين فى الشهوات ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون﴾ كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطفة فى قوله ﴿أو آباؤنا الاولون﴾ للدلالة على ان ذلك اشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر او بالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف ما دل عليه مبعوثون لا هو للفصل بان والهمزة ﴿قل ان الاولين والآخرين لمجموعون﴾ وقرئ لمجمعون ﴿الى ميقات يوم معلوم﴾ الى ما وقتت به الدنيا وحدت من يوم معين عند الله معلوم له ﴿ثم انكم ايها الضالون

وقيل اليحموم اسم من اسماء النار ﴿لا بارد ولا كريم﴾ يعنى لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك لان فائدة الظل ترجع الى أمرين أحدهما دفع الحر والثانى حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل أهل النار بخلاف هذا لانهم فى ظل من دخان أسود حار ثم بين بم استحقوا ذلك فقال تعالى ﴿انهم كانوا قبل ذلك﴾ يعنى فى الدنيا ﴿مترفين﴾ يعنى منعمين ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ يعنى على الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا فى ذلك يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى ﴿وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون﴾ فرد الله تعالى عليهم بقوله ﴿قل ان الاولين والآخرين﴾ يعنى الآباء والابناء ﴿لمجموعون الى ميقات يوم معلوم﴾ يعنى انهم يجمعون ويحشرون ليوم الحساب ﴿ثم انكم أيها الضالون﴾

(لا بارد) مقيلهم (ولا كريم) حسن ويقال لا بارد شرابهم ولا كريم عذب (انهم كانوا قبل ذلك) فى الدنيا (مترفين) مسرفين ويقال متنعمين ويقال متحيرين (وكانوا يصرون) (يعنى) فى الدنيا يقيمون ويمكثون (على الحنث العظيم) على الذنب العظيم يعنى الشرك بالله ويقال اليمين الغموس (وكانوا يقولون) اذا كانوا فى الدنيا (أئذا متنا وكنا) صرنا (ترابا) رميما (وعظاما) بالية (أئنا لمبعوثون) لمحيون فقال لهم الانبياء نعم فقالوا للانبياء (أو آباؤنا الاولون) قبلنا (قل) يا محمد لاهل مكة (ان الاولين والآخرين لمجموعون الى ميقات) ميعاد (يوم معلوم) معروف يجتمع فيه الاولون والآخرون وهو يوم القيامة (ثم انكم أيها الضالون) عن الايمان والهدى

(المكذبون) بالبعث وهم اهل مكة ومن فى مثل حالهم (لآكلون من شجر) من لابتداء الغاية (من زقوم) من لبيان الشجر (فمالؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم) انث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ فى منها وعليه (فشاربون شرب) بضم الشين مدنى وعاصم وحمزة وسهل وبفتح الشين غيرهم وهما مصدران (الهيم) هى ابل عطاش لاتروى جمع اهيم وهيماء والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع مايضطرهم الى اكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذاملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش مايضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وانما صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتين متفقتين لان كونهم شاربين للحميم على ماهو عليه من تناهى الحرارة وقطع الامعاء امر عجيب وشربهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين (هذا نزلهم) هو الرزق الذى يعد لنازل تكرمة له (يوم الدين) يوم الجزاء (نحن خلقناكم فلولا) فهلا (تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انه لما كان مذهبهم خلاف مايقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا (افرأيتم ماتمنون) ﴿ قاوخا ٢١ س ﴾ ماتمنونه اى تقذفونه

المكذبون ﴾ اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم ﴿ لاكلون من شجر من زقوم ﴾ من الاولى للابتداء والثانية للبيان ﴿ فمالؤن منها البطون ﴾ من شدة الجوع ﴿ فشاربون عليه من الحميم ﴾ لغلبة العطش وتأنيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه على معنى الشجر ولفظه وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ الابل التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذوالرمة

فاصبحت كالهيماء لاالماء مبرد * صداها ولايقضى عليها هيامها

وقيل الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذى لايتماسك جمع على هيم كسحب ثم خفف وفعل به مافعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأنافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين ﴿ هذانزلهم يوم الدين ﴾ يوم الجزاء فماظنك بما يكون لهم بعدما استقروا فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم لان النزل مايعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ﴾ بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليه او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة ﴿ أفرأيتم ماتمنون ﴾ اى ماتقذفونه

يعنى عن الهدى ﴿ المكذبون ﴾ اى بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام مع كل ضال مكذب ﴿ لآكلون من شجر من زقوم ﴾ تقدم تفسيره ﴿ فمالؤن منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم ﴾ يعنى الابل العطاش وقيل ان الهيام داء يصيب الابل فلا تروى معه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض ذات الرمل التى لاتروى بالماء قيل يلقى على أهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون ﴿ هذا نزلهم ﴾ يعنى ماذكر من الزقوم والحميم أى رزقهم وغذاؤهم وما أعدلهم ﴿ يوم الدين ﴾ يعنى يوم يجازون بأعمالهم ثم احتج عليهم فى البعث بقوله تعالى ﴿ نحن خلقناكم ﴾ يعنى ولم تكونوا شيأ وانتم تعلمون ذلك ﴿ فلولا ﴾ اى فهلا ﴿ تصدقون ﴾ يعنى بالبعث بعد الموت * قوله عز وجل ﴿ أفرأيتم ماتمنون ﴾ يعنى ماتصبون فى الارحام من النطف

(المكذبون) بالله والرسول والكتاب يعنى اباجهل واصحابه (لآكلون من شجر من زقوم) من شجر الزقوم (فمالئون منها البطون) من شجر الزقوم البطون وهى شجرة نابتة فى اصل الجحيم (فشاربون عليه) على الزقوم (من الحميم) الماء الحار (فشاربون شرب الهيم) شرب الابل الظماء اذا اخذها الداء الهيام لاتكاد ان تروى ويقال كشرب الابل العطاش اذا اكلت الحمض ويقال الهيم هى الارض السهلة (هذا نزلهم) طعامهم وشرابهم (يوم الدين) يوم الحساب (نحن خلقناكم) يااهل مكة (فلولا تصدقون) فهلا تصدقون بالرسول (افرايتم ماتمنون) ماتهريقون فى

فى الارحام من النطف (أأنتم تخلقونه) تقدرونه وتصورونه وتجعلونه بشرا سويا (ام نحن الخالقون نحن قدرنا
بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الارزاق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت اعماركم من قصير
وطويل ومتوسط قدرنا بالتخفيف مكى سبقته بالشئ اذا اعجزته عنه وغلبته
عليه فمعنى قوله (ومانحن
بمسبوقين على ان نبدل
امثالكم) انا قادرون على
ذلك لا تغلبوننا عليه
وامثالكم جمع مثل اى على
ان نبدل منكم ومكانكم
اشباهكم من الخلق
(وننشئكم فيما لاتعلمون)
وعلى ان ننشئكم فى خلق
لاتعلمونها وما عهدتم بمثلها
يعنى انا نقدر على الامرين
جميعا على خلق مايماثلكم
ومالايماثلكم فكيف نعجز
عن اعادتكم ويجوز ان
يكون امثالكم جمع مثل
اى على ان نبدل ونغير
صفاتكم التى انتم عليها
فى خلقكم واخلاقكم
وننشئكم فى صفات لا
تعلمونها (ولقد علمتم النشأة
الاولى) النشاءة مكى وابو

فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها ﴿أأنتم تخلقونه﴾ تجعلونه بشرا سويا ﴿أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت﴾ قسمناه عليكم واقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال ﴿ومانحن بمسبوقين﴾ لايسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته اولايغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه ﴿على ان نبدل امثالكم﴾ على الاول حال اوعلة لقدرنا وعلى بمعنى اللام ومانحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل ﴿وننشئكم فيما لاتعلمون﴾ فى خلق اوصفات لاتعلمونها ﴿ولقد علمتم النشأة الاولى

﴿أأنتم تخلقونه﴾ اى انتم تخلقون ماتمنون بشرا ﴿ام نحن الخالقون﴾ اى انه خلق النطفة وصورها واحياها فلم لاتصدقون بانه واحد قادر على ان يعيدكم كما انشأكم احتج عليهم فى البعث بالقدرة على ابتداء الخلق ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾ يعنى الآجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا اوشابا وغير ذلك من الآجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السماء واهل الارض فيه سواء شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا ﴿ومانحن بمسبوقين﴾ يعنى لايفوتنى شئ اريده ولايمتنع منى احد وقيل معناه ومانحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى ﴿على ان نبدل أمثالكم﴾ أى نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم فى أسرع حين ﴿وننشئكم﴾ اى نخلقكم ﴿فيما لاتعلمون﴾ اى من الصور والمعنى نغير حليتكم الى ماهو اسمج منها من اى خلق شئنا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم أى ان أردنا ان نفعل ذلك بكم مافاتنا وقال سعيد بن المسيب فيما لاتعلمون فى حواصل طيور سود كأنها الخطاطيف تكون برهوت وهو واد باليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى انه لوشاء ان يبدلهم بامثالهم من بنى آدم قدر ولوشاء ان يمسخهم فى غير صورهم قدر وقال بعض اهل المعانى هذا يدل على النشأة الثانية يكونها الله تعالى فى وقت لايعلمه العباد ولايعلمون كيفيته كما علموا الانشاء الاول من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على ان ننشئكم فى وقت لاتعلمونه يعنى وقت البعث والقيامة وفيه فائدة وهو التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشاء هو الموت والبعث واذا كان ذلك واقعا فى الازمان ولا يعلمه احد فينبغى ان لايتكل الانسان على طول المدة ولايغفل عن اعداد العدة ﴿ولقد علمتم النشأة الاولى﴾ اى الخلقة الاولى ولم تكونوا

ارحام النساء (أأنتم) يا
اهل مكة (تخلقونه) نسما
فى الارحام ذكرا او انثى
شقيا اوسعيدا (ام نحن
الخالقون) بل نحن الخالقون
لا انتم (نحن قدرنا بينكم
الموت) سوينا بينكم
بالموت تموتون كلكم ويقال قسمنا بينكم الآجال الى الموت فمنكم من يعيش مائة سنة وثمانين سنة (شيأ)
اوخمسين سنة اواقل اواكثر من ذلك (ومانحن بمسبوقين) بعاجزين (على ان نبدل امثالكم) نهلككم ونأتى بغيركم خيرا
منكم واطوع لله (وننشئكم) نخلقكم يوم القيامة (فيما لاتعلمون) فى صورة لاتعرفون سود الوجوه زرق الاعين ويقال فى
صورة القردة والخنازير ويقال نجعل ارواحكم فيما لاتعلمون فيما لاتصدقون وهى النار (ولقد علمتم) يااهل مكة (النشأة الاولى)

عمرو (فلولا تذكرون) ان من قدر على شئ مرة لم يمتنع عليه ثانيا وفيه دليل صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (افرأيتم ما تحرثون) ماتحرثونه من الطعام اى تثيرون الارض وتلقون فيها البذر (أانتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا (ام نحن الزارعون) المنبتون وفي الحديث لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت (لو نشاء لجعلناه حطاما) هشيما متكسرا قبل ادراكه (فظلتم تفكهون) تعجبون او تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على مااقترفتم من المعاصي التي اصبتم بذلك من اجلها (انا) اى تقولون انا ائنا ابو بكر (لمغرمون) لملزمون غرامة ماانفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محارفون محدودون لا مجدودون لاحظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى

الخلق الاول في بطون الامهات ويقال خلق آدم (فلولا تذكرون) فهلا تتعظون بالخلق الاول فتؤمنوا بالخلق الآخر (افرأيتم ما تحرثون) تبذرون من الحبوب (أأنتم يا اهل مكة (تزرعونه) تنبتونه (ام نحن الزارعون) المنبتون (لو نشاء لجعلناه) يعني الزرع (حطاما) يابسا بعد خضرته (فظلتم تفكهون) فصرتم تعجبون من يبوسته وهلاكه وتقولون (انا لمغرمون) معذبون بهلاك زروعنا (بل نحن محرومون) حرمنا منفعة زروعنا ويقال محاربون

فلولا تذكرون ﴾ ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس ﴿ أفرأيتم ماتحرثون ﴾ تبذرون حبه ﴿ أأنتم تزرعونه ﴾ تنبتونه ﴿ ام نحن الزارعون ﴾ المنبتون ﴿ لو نشاء لجعلناه حطاما ﴾ هشيما ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على مااصبتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل ﴿ انا لمغرمون ﴾ لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر ائنا على الاستفهام ﴿ بل نحن ﴾ قوم ﴿ محرومون ﴾ حرمنا رزقنا او محدودون لامجدودون

شيأ وفيه تقرير للنشأة الثانية يوم القيامة ﴿ فلولا تذكرون ﴾ اى بانى قادر على اعادتكم كما قدرت على ابتدائكم اول مرة * قوله تعالى ﴿ افرأيتم ماتحرثون ﴾ لما ذكر الله تعالى ابتداء الخلق ومافيه من دلائل الوحدانية ذكر بعده الرزق لان به البقاء وذكر امورا ثلاثة المأكول والمشروب ومابه اصلاح المأكول والمشروب ورتبه ترتيبا حسنا فذكر المأكول اولا لانه هو الغذاء واتبعه المشروب لان به الاستمراء ثم النار التي بها الاصلاح وذكر من انواع المأكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الماء لانه ايضا هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها اصلاح اكثر الاغذية فقوله افرأيتم ماتحرثون اى ماتثيرون من الارض وتلقون فيه البذر ﴿ أأنتم تزرعونه ﴾ اى تنبتونه وتنشؤنه حتى يشتد ويقوم على سوقه ﴿ أم نحن الزارعون ﴾ معناه أانتم فعلتم ذلك ام الله ولاشك في ان ايجاد الحب في السنبل ليس بفعل احد غير الله تعالى وان كان القاء البذر من فعل الناس ﴿ لو نشاء لجعلناه ﴾ يعني ماتحرثونه وتلقون فيه من البذر ﴿ حطاما ﴾ اى تبنا لاقمح فيه وقيل هشيما لاينتفع به في مطعم ولاغيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرثه وهو بنفسه يصير زرعا لابفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطاما فهل تقدرون انتم على حفظه اوهو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات التي تصيبه ولايشك احد في ان دفع الآفات ليس الا باذن الله وحفظه ﴿ فظلتم تفكهون ﴾ اى تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ماسلف منكم من المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على مافات ﴿ انا لمغرمون ﴾ اى وتقولون فحذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لموقع بنا وقال ابن عباس رضي الله عنهما لمعذبون يعني انهم عذبوا بذهاب اموالهم بغير فائدة والمعنى انا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب بغير عوض ﴿ بل نحن محرومون ﴾ اى ممنوعون والمعنى

علينا هذا (افرأيتم الماء الذى تشربون) اى الماء العذب الصالح للشرب (ائتم انزلتموه من مزن) السحاب الابيض وهو اعذب ماء (ام نحن المنزلون) بقدرتنا (لو نشاء جعلناه اجاجا) ملحا او مرا لا يقدر على شربه (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون ودخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه هنا لان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جملتيها ان الثانى امتنع لامتناع الاول افتقرت فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك ولما شهر موقعه لم يبال باسقاطه عن اللفظ لعلم كل احد به وتساوى حالى حذفه واثباته على ان تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ولان هذه اللام تفيد معنى التأكيد لامحالة فادخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (افرأيتم النار التى تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك احدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (ائتم انشأتم شجرتها) التى منها الزناد (ام نحن المنشؤن) الخالقون لها ابتداء (نحن جعلناها) اى النار (تذكرة) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ﴿والمقوى﴾

﴿أفرأيتم الماء الذى تشربون﴾ أى العذاب الصالح للشرب ﴿أأنتم انزلتموه من المزن﴾ من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ﴿ام نحن المنزلون﴾ بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام ﴿لو نشاء جعلناه اجاجا﴾ ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه امام السامع بمكانه او الاكتفاء بسبق ذكرها وتخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب لمزيد التأكيد ﴿فلولا تشكرون﴾ امثال هذه النعم الضرورية ﴿أفرأيتم النار التى تورون﴾ تقدحون ﴿أأنتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشؤن﴾ يعنى الشجرة التى منها الزناد ﴿نحن جعلناها﴾ جعلنا نار الزناد ﴿تذكرة﴾ تبصرة فى امر البعث كما مر فى سورة يس اوفى الظلام او تذكيرا وانموذجا لنار جهنم

حرمنا الذى كنا نطلبه من الريع فى الزرع ﴿افرأيتم الماء الذى تشربون ائتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون﴾ ذكرهم الله تعالى نعمه عليهم بانزال المطر الذى لا يقدر عليه الا الله عز وجل ﴿لو نشاء جعلناه اجاجا﴾ قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل مرا لا يمكن شربه ﴿فلولا﴾ اى افلا ﴿تشكرون﴾ يعنى نعمة الله عليكم ﴿افرأيتم النار التى تورون﴾ يعنى تقدحون من الزند ﴿ائتم انشأتم شجرتها﴾ يعنى التى تقدح منها النار وهى المرخ والعفار وهما شجرتان تقدح منهما النار وهما رطبتان وقيل اراد جميع الشجر الذى توقد منه النار ﴿ام نحن المنشؤن نحن جعلناها﴾ يعنى نار الدنيا ﴿تذكرة﴾ اى للنار الكبرى اذا رأى الرائى هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزأ من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزأ كلها مثل حرها ﴿ومتاعا﴾ اى بلغة ومنفعة ﴿للمقوين﴾ يعنى للمسافرين

(أفرأيتم الماء) العذب (الذى تشربون) وتسقون دوابكم وجناتكم (أأنتم) يا اهل مكة (أنزلتموه) الماء العذب (من المزن) من السحاب عليكم (ام نحن المنزلون) بل نحن المنزلون عليكم لا انتم (لو نشاء جعلناه) يعنى الماء العذب (اجاجا) مرا مالحا زعاقا (فلولا تشكرون) فهلا تشكرون عذوبته فتؤمنوا به (افرأيتم النار التى تورون) تقدحون عن كل عود غير العناب وهو الشجر الاحمر (أأنتم) يا اهل مكة (انشأتم) خلقتم (شجرتها) شجرة النار (ام نحن المنشؤن) الخالقون (نحن جعلناها) هذه النار (تذكرة) عظة لنار الآخرة

ما اوعدوا به (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للمسافرين فى القواء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من قولهم اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها بدأ بذكر خلق الانسان فقال افرأيتم ما تمنون لان النعمة فيه سابقة على جميع النعم ١٦٥ ثم بما به قوامه {سورة الواقعة} وهو الحب فقال افرأيتم ما تحرثون ثم بما يعجن به ويشرب عليه وهو الماء ثم بما يخبز به وهو النار فحصول الطعام بمجموع الثلاثة ولا يستغنى عنه الجسد مادام حيا (فسبح باسم ربك) فنزه ربك عما لا يليق به ايها المستمع المستدل او اراد بالاسم الذكر اى فسبح بذكر ربك (العظيم) صفة للمضاف او للمضاف اليه وقيل قل سبحان ربى العظيم وجاء مرفوعا انه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها فى ركوعكم (فلا أقسم) اى فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وقرئ فلاقسم ومعناه فلانا اقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهى انا اقسم ثم حذف المبتدأ ولا يصح ان تكون اللام لام القسم لان حقها ان تقرن بها النون المؤكدة (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها بموقع حمزة وعلى ولعل لله تعالى فى آخر

﴿ ومتاعا ﴾ ومنفعة ﴿ للمقوين ﴾ للذين ينزلون القوآء وهى القفر اوللذين خلت بطونهم اومزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذاخلت من ساكنيها ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ فأحدث التسبيح بذكر اسمه اوبذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم اوالرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته اوللتعجب من امرهم فى غمط نعمه اوللشكر على ماعدها من النعم ﴿ فلااقسم ﴾ اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم اوفأقسم ولامزيدة للتأكيد كما فى قوله لئلا يعلم اوفلأنا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قراءة فلاقسم او فلارد لكلام يخالف المقسم عليه ﴿ بمواقع النجوم ﴾ بمساقطها وتخصيص المغارب لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لايزول تأثيره اوبمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها

والمقوى النازل فى الارض القواء وهى القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى انه ينتفع بها اهل البوادى والسفار فان منفعتهم اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع ويهتدى بها الضال الى غير ذلك من المنافع هذا قول اكثر المفسرين وقيل المقوين الذين يستمتعون بها فى الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها فى الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع وقيل المقوى من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغنى مقو لقوته على مايريد والمعنى ان فيها متاعا ومنفعة للفقراء والاغنياء جميعا لاغنى لاحد عنها ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ لما ذكر الله مايدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك اى برئ الله ونزهه عما يقول المشركون فى صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح بذات ربك العظيم * قوله عز وجل ﴿ فلا اقسم ﴾ قال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل لا على اصلها وفى معناها وجهان احدها انها ترجع الى ماتقدم ومعناها النهى وتقديره فلا تكذبوا ولا تجحدوا ماذكرته من النعم والحجج الوجه الثانى ان لا رد لما قاله الكفار فى القرآن من انه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل ان لا هنا معناها النفى فهو كقول القائل لا تسأل عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهى عن السؤال ﴿ بمواقع النجوم ﴾ قال ابن عباس اراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل اراد مغارب النجوم ومساقطها وقيل اراد منازلها وقيل انكدارها وانتشارها يوم القيامة

(ومتاعا) منفعة (للمقوين) للمسافرين فى الارض القواء وهى القفر الذين فنى زادهم (فسبح باسم ربك العظيم) فصل باسم ربك العظيم ويقال اذكر توحيد ربك العظيم (فلا اقسم) يقول اقسم (بمواقع النجوم) بنزول القرآن على محمد عليه السلام نجوما نجوما ولم ينزله جملة واحدة

وقرأ حمزة والكسائى بموقع ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ لما فى القسم من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض فى اعتراض فانه اعتراض بين القسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة ﴿ انه لقرآن كريم ﴾ كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش والمعاد اوحسن مرضى فى جنسه ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ مصون وهو اللوح المحفوظ ﴿ لا يمسه الا المطهرون ﴾ لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة اولا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهى اولا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون

وقيل مواقعها فى اتباع الشياطين عند الرجم ﴿ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ قيل هذا يدل على ان المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والمعنى ان القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو تعلمون اى فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فأقسم بمواقع النجوم ﴿ انه لقرآن كريم ﴾ اى ان الكتاب الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم لقرآن كريم اى عزيز مكرم لانه كلام الله تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذى من شأنه ان يعطى الكثير وسمى القرآن كريما لانه يفيد الدلائل التى تؤدى الى الحق فى الدين وقيل الكريم اسم جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى به فكل عالم يطلب اصل علمه منه وقيل سمى كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكى وبليد بخلاف غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا يسأمه السامعون ويهون فى الاعين وتمله الآذان والقرآن عزيز كريم لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الترداد ولا يمله السامعون ولا يثقل على الالسنة بل هو غض طرى يبقى ابد الدهر كذلك ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ اى مصون مستور عند الله تعالى فى اللوح المحفوظ من الشيطان من ان يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول اصح ﴿ لا يمسه ﴾ اى ذلك الكتاب المكنون ﴿ الا المطهرون ﴾ وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث يروى هذا القول عن ابن عباس وانس وهو قول سعيد بن جبير وابى العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى القول الثانى من ان المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون اى من الشرك وكان ابن عباس ينهى ان تمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من آمن به وقيل معناه لا يقرؤه الا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث والجنابات وظاهر الآية نفى ومعناها نهى قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث حمل

عبادات موصوفة اولانه وقت قيام المتهجدين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وهو اعتراض فى اعتراض لانه اعترض به بين القسم والمقسم عليه وهو قوله (انه لقرآن كريم) حسن مرضى او نفاع جم المنافع او كريم على الله واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته (فى كتاب) اى اللوح المحفوظ (مكنون) مصون عن ان يأتيه الباطل او من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم (لا يمسه الا المطهرون) من جميع الادناس ادناس الذنوب وغيرها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغى ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس والمراد مس

(وانه) يعنى القرآن (لقسم لو تعلمون عظيم) لو تصدقون ويقال فلا اقسم يقول اقسم بمواقع النجوم بمساقط النجوم عند الغداة وانه والذى ذكرت لقسم عظيم لو تعلمون لو تصدقون (انه لقرآن كريم) شريف حسن (فى كتاب مكنون) فى اللوح المحفوظ مكتوب ولهذا (المصحف) كان القسم (لا يمسه) يعنى اللوح المحفوظ (الا المطهرون) من الاحداث والذنوب فهم الملائكة ويقال لا يعمل بالقرآن

والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم اوغيرهم بالاستغفار لهم والالهام ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ صفة ثالثة اورابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا ﴿ أفبهذا الحديث ﴾ يعنى القرآن ﴿ انتم مدهنون ﴾ متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ اى شكر رزقكم ﴿ انكم تكذبون ﴾ اى بمانحه حيث تنسبونه الى الانواء

المصحف ولامسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك والشافعى واكثر الفقهاء يدل عليه ماروى مالك فى الموطأ عن عبدالله بن ابى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم ان فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لاتمس القرآن الا طاهرا أخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن ابى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطنى بسنده عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايمس القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واراد به المصحف وقال الحكم وحماد وابوحنيفة يجوز للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه فان قلت اذا كان الاصح ان المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ وان المراد من لايمسه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد نفى الحدث لقال لايمسه الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعى لايصح للمحدث مس المصحف قلت من قال ان الشافعى اخذه من صريح الآية حمله على التفسير الثانى وهو القول بان المراد من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من طريق الاستنباط قال المس بطهر صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة وهذا لايليق بمباشرة المصحف الكريم والصحيح انه اخذه من السنة ودليله ماتقدم من الاحاديث والله اعلم * قوله تعالى ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ صفة للقرآن أى القرآن منزل من عند رب العالمين سمى المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال ان القرآن شعر اوسحر اوكهانة فقال الله تعالى بل القرآن تنزيل من رب العالمين * قوله عز وجل ﴿ افبهذا الحديث ﴾ يعنى القرآن ﴿ انتم ﴾ اى يااهل مكة ﴿ مدهنون ﴾ قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن والمداهن الكذاب والمنافق والادهان الجرى فى الباطل على الخلاف الظاهر هذا اصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر ﴿ وتجعلون رزقكم ﴾ اى حظكم ونصيبكم من القرآن ﴿ انكم تكذبون ﴾ قال الحسن فى هذه الآية خسر عبد لايكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى بنعمة الله عليكم وهذا فى الاستسقاء بالانواء وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوء كذا ولايرون ذلك المطر من فضل الله

المكتوب منه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن اى منزل (من رب العالمين) اووصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله فكانه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق به التنزيل او هو تنزيل على حذف المبتدأ (أفبهذا الحديث) اى القرآن (انتم مدهنون) متهاونون به كمن يدهن فى بعض الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) اى تجعلون شكر رزقكم التكذيب موضع الشكر اى وضعتم التكذيب موضع الشكر وفى قراءة على رضى الله عنه وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون شكركم انكم تكذبون اى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم

الا الموفقون (تنزيل) تكليم (من رب العالمين) على محمد عليه السلام (أفبهذا الحديث) اى القرآن الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (انتم) يااهل مكة (مدهنون) مكذبون انه

ليس كما قال من الجنة والنار والبعث والحساب (وتجعلون رزقكم) تقولون للمطر الذى سقيتم (انكم تكذبون) تقولون

وقرئ شكركم اى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وتكذبون اى بقولكم عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم اى شكركم بما رزقكم التكذيب في نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمه وكذب بما جاء به القرآن والمعنى اتجعلون بدل الشكر التكذيب (ق) عن زيد بن خالد الجهنى قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية فى اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب رواه مسلم وفيه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعناه وزاد فنزلت هذه الآية فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وفيه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون الكوكب كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا وفى رواية بكوكب كذا وكذا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب *قوله فى اثر سماء اى اثر مطر* والنوء الكوكب يقال ناء النجم ينوء اذا سقط وغاب وقيل ناء اذا نهض وطلع واختلف العلماء فى معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنوء كذا على قولين احدهما انه كفر بالله تعالى سالب لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشئ للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك فى كفره وهذا القول هو الذى ذهب اليه جماهير العلماء منهم الشافعى وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوء كذا وكذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النوء ميقات له ومراده انا مطرنا فى وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جاء عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقى من نوء الثريا فقال ان العلماء يزعمون انها تعترض فى الافق سبعا بعد وقوعها فوالله مامضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد عمر كم بقى من الوقت الذى جرت العادة انه اذا تم اتى الله بالمطر فهذا جائز لا كفر فيه واختلفوا فى كراهية هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيها ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيساء الظن بقائلها ولانها من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثانى فى تأويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكواكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكواكب ويؤيد هذا التأويل حديث ابى هريرة ما انزل الله من السماء من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين فقوله بها يدل على انه كفر بالنعمة والله اعلم *قوله تعالى

تكذبون به وقيل نزلت فى الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر اى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم

سقينا بالنوء الفلانى

(فلولا اذا بلغت) النفس اى الروح عند الموت (الحلقوم) ممر الطعام والشراب (وانتم حينئذ تنظرون) الخطاب لمن حضر الميت تلك الساعة (ونحن اقرب اليه) الى المحتضر (منكم ولكن لا تبصرون) لا تعقلون ولا تعلمون (فلولا ان كنتم غير مدينين) مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم (ترجعونها) تردون النفس وهى الروح الى الجسد بعد بلوغ الحلقوم (ان كنتم صادقين) انكم غير مربوبين مقهورين فلولا فى الآيتين للتحضيض يستدعى فعلا وذا قوله ترجعونها و اكتفى بذكره مرة وترتيب الآية فلو لا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين وفلولا الثانية مكررة للتأكيد وبحن اقرب اليه منكم ياأهل الميت بقدرتنا وعلمنا او بملائكة الموت والمعنى انكم فى جحودكم آيات الله فى كل شئ ان انزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثمة قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدئ المعيد (فاما ان كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة فى اول السورة (فروح) فله

فى القرآن انه سحر وشعر اوفى المطر انه من الانواء ﴿فلولا اذا بلغت الحلقوم﴾ أى النفس ﴿وانتم حينئذ تنظرون﴾ حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ﴿ونحن اقرب﴾ اى ونحن اعلم ﴿اليه﴾ الى المحتضر ﴿منكم﴾ عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع ﴿ولكن لا تبصرون﴾ لا تدركون كنه ما يجرى عليه ﴿فلولا ان كنتم غير مدينين﴾ اى مجزيين يوم القيامة اومملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد ﴿ترجعونها﴾ ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتوكيد وهى بما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم بآياته ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى تعطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم ﴿فاما ان كان من المقربين﴾ اى ان كان المتوفى من السابقين ﴿فروح﴾ فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة

﴿فلولا﴾ اى فهلا ﴿اذا بلغت الحلقوم﴾ اى النفس اوالروح الى الحلقوم عند الموت ﴿وانتم﴾ يعنى يا اهل الميت ﴿حينئذ تنظرون﴾ يعنى الى الميت متى تخرج نفسه وقيل تنظرون الى امرى وسلطانى لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيأ ﴿ونحن اقرب اليه منكم﴾ اى بالعلم والقدرة والرؤية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت منكم ﴿ولكن لا تبصرون﴾ اى الذين حضروه من الملائكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون اى لا تعلمون ذلك ﴿فلولا ان كنتم غير مدينين﴾ اى مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين ﴿ترجعونها ان كنتم صادقين﴾ اى تردون نفس هذا الميت الى جسده بعد ما بلغت الحلقوم فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازى فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فآمنوا به ثم ذكر طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال تعالى ﴿فاما ان كان من المقربين﴾ يعنى السابقين ﴿فروح﴾

(فلولا اذا بلغت) الروح (الحلقوم) يعنى نفس الجسد الى الحلقوم (وأنتم) يا اهل مكة (حينئذ تنظرون) متى تخرج نفسه (ونحن أقرب اليه) ملك الموت واعوانه اقرب الى الميت (منكم) من اهله (ولكن لا تبصرون) ملك الموت واعوانه (فلولا) فهلا (ان كنتم غير مدينين) غير ملومين وغير مجازين ومحاسبين (ترجعونها) روح الجسد الى الجسد (ان كنتم صادقين) انكم غير مدينين (فأما ان كان من المقربين) الى جنة عدن (فروح) فراحة لهم فى

استراحة (وريحان) ورزق (وجنة نعيم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين) اى فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اصحاب اليمين اى يسلمون عليك كقوله الا قيلا سلاما سلاما (واما ان كان من المكذبين الضالين) هم الصنف الثالث من الازواج الثلاثة

وهم الذين قيل لهم فى هذه السورة ثم انكم ايها الضالون المكذبون (فنزل من حميم وتصلية جحيم) اى ادخال فيها وفى هذه الآيات اشارة الى ان الكفر كله ملة واحدة وان اصحاب الكبائر من اصحاب اليمين لانهم غير مكذبين (ان هذا) الذى انزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) اى الحق الثابت من اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) روى ان عثمان بن عفان رضى الله عنه دخل على

لانها كالسبب لحياة المرحوم وحياة الدائمة ﴿وريحان﴾ ورزق طيب ﴿وجنة نعيم﴾ ذات تنعم ﴿واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك﴾ يا صاحب اليمين ﴿من اصحاب اليمين﴾ اى من اخوانك يسلمون عليك ﴿واما ان كان من المكذبين الضالين﴾ يعنى اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به ﴿فنزل من حميم وتصلية جحيم﴾ وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها ﴿ان هذا﴾ اى الذى ذكر فى السورة او فى شان الفرق ﴿لهو حق اليقين﴾ اى حق الخبر اليقين ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ فنزهه بذكر اسمه تعالى عما لا يليق بعظمة شانه

اى فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة ﴿وريحان﴾ اى وله استراحة وقيل رزق وقيل هو الريحان الذى يشم قال ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه ﴿وجنة نعيم﴾ اى وله جنة نعيم يفضى اليها فى الآخرة قال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان رضوان دار القرار ﴿واما ان كان﴾ يعنى المتوفى ﴿من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين﴾ اى فسلامة لك يا محمد منهم والمعنى فلا تهتم لهم فانهم سلموا من عذاب الله او انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله يتجاوز عن سيآتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه مسلم لك انهم من اصحاب اليمين او يقال لصاحب اليمين مسلم لك انك من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين ﴿واما ان كان من المكذبين﴾ اى بالبعث ﴿الضالين﴾ اى عن الهدى وهم اصحاب الشمال ﴿فنزل من حميم﴾ اى الذى يعد لهم حميم جهنم ﴿وتصلية جحيم﴾ اى وادخال نار عظيمة ﴿ان هذا﴾ يعنى ما ذكر من قصة المحتضرين ﴿لهو حق اليقين﴾ اى لا شك فيه وقيل ان هذا الذى قصصناه عليك فى هذه السورة من الاقاصيص وما اعد الله لاوليائه من النعيم وما اعد لاعدائه من العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته يقين لا شك فيه ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ اى فنزه ربك العظيم عن كل سوء وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبامره * عن عقبة بن عامر الجهنى قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم اخرجه ابو داود * عن حذيفة انه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فكان يقول فى ركوعه سبحان ربى العظيم وفى سجوده سبحان ربى الاعلى وما اتى على آية رحمة الا وقف وسأل وما اتى على آية عذاب الا وقف وتعوذ اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وله عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

القبر ويقال رحمة ان قرأت بضم الراء (وريحان) اذا خرجوا من القبور ويقال رزق (وجنة نعيم) يوم القيامة لا يفنى نعيمها (وأما ان كان من اصحاب اليمين) من اهل الجنة فكانهم اصحاب اليمين (فسلام لك من اصحاب اليمين) فسلامة لك وامن لك من اهل الجنة قد سلم الله امرهم ونجاهم ويقال يسلم عليك اهل الجنة (وأما ان كان من المكذبين) بالله والرسول والكتاب (الضالين) عن الايمان (فنزل) فطعامهم من زقوم وشرابهم (من حميم) ماء حار (وتصلية جحيم) (من) دخولهم فى النار (ان هذا) الذى وصفنا لهم (لهو حق اليقين) حقا يقينا كائنا (فسبح باسم ربك العظيم) فصل بامر

ابن مسعود رضي الله عنه في مرض موته فقال له ماتشتكي فقال ذنوبي فقال ماتشتهي قال رحمة ربي قال افلا ندعو الطبيب قال الطبيب امرضني فقال الانأمر بعطائك قال لاحاجة لي فيه قال ندفعه الى بناتك قال لاحاجة لهن فيه قد امرتهن ان يقرأن سورة الواقعة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وليس في هذه السور ﴿١٧١﴾ الثلاث ذكر الله {سورة الحديد} اقتربت الرحمن الواقعة والله اعلم

عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

﴿ سورة الحديد مدنية وقيل مكية وآيها تسع وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سبح لله ما في السموات والارض ﴾ ذكر ههنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شأن ما اسند اليه ان يسبحه في جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لاتختلف باختلاف الحالات ومجيئ المصدر مطلقا في بني اسرآئيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شيئ وفي كل حال وانما عدى باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحت له في نصحته اشعارا بان

من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة (م) عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله تعالى قال سبحان الله وبحمده (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث آخر حديث في صحيح البخاري والله اعلم

﴿ تفسير سورة الحديد وهي مدنية وتسع وعشرون آية وخمسمائة ﴾
﴿ واربع واربعون كلمة والفان واربعمائة وستة وسبعون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ سبح لله ما في السموات والارض ﴾ يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلاء تنزيه الله عز وجل عن كل سوء وعما لايليق بجلاله وتسبيح غير العقلاء من ناطق وجماد اختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكأنه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لاتفقهون تسبيحهم اي قولهم

﴿ سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله) جاء في بعض الفواتح سبح بلفظ الماضي وفي بعضها بلفظ المضارع وفي بني اسرائيل بلفظ المصدر وفي الاعلى بلفظ الامر استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها وهي اربع المصدر والماضي والمضارع والامر وهذا الفعل قد عدى باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله وتسبحوه واصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته من السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام اما ان تكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد بسبح لله اكتسب التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (ما في السموات والارض) مايتأتى منه التسبيح ويصح

ربك العظيم وقال اذكر توحيد ربك العظيم اعظم من كل شيئ

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الحديد وهي كلها مكية او مدنية آياتها تسع وعشرون وكلماتها خمسمائة واربع واربعون وحروفها الفان واربعمائة وست سبعون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس في قوله جل ذكره (سبح لله) يقول صلى الله ويقال ذكر الله (ما في السموات) من الخلق (والارض)

ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه ﴿وهو العزيز الحكيم﴾ حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح ﴿له ملك السموات والارض﴾ فانه الموجد لهما والمتصرف فيهما ﴿يحيي ويميت﴾ استئناف او خبر لمحذوف اوحال من المجرور فى له ﴿وهو على كل شئ﴾ من الاحياء والاماتة وغيرهما ﴿قدير﴾ تام القدرة ﴿هو الاول﴾ السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها ﴿والآخر﴾ الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذاتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذى تبتدئ منه الاسباب وتنتهى اليه المسببات اوالاول خارجا والاخر ذهنا ﴿والظاهر والباطن﴾ الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول اوالغالب على كل شئ

والحق ان التسبيح هو القول الذى لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وماسوى العاقل فى تسبيحه وجهان احدهما انها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثانى ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان حملنا التسبيح المذكور فى الآية على القول كان المراد بقوله مافى السموات والارض من فى السموات وهم الملائكة ومسبحى الارض وهم المؤمنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح على التسبيح المعنوى فجميع اجزاء السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وغير ذلك وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست اسماؤه وصفاته منقادة له يتصرف فيها كيف يشاء فان قلت قد جاء فى بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضى وفى بعضها يسبح بلفظ المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشياء مسبحة لله ابدا غير مختص بوقت دون وقت بل هى كانت مسبحة ابدا فى الماضى وستكون مسبحة ابدا فى المستقبل ﴿وهو العزيز﴾ اى الغالب الكامل القدرة الذى لا ينازعه شئ ﴿الحكيم﴾ اى الذى جميع افعاله على وفق الحكمة والصواب ﴿له ملك السموات والارض﴾ اى انه الغنى عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه ﴿يحيي ويميت﴾ اى يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء فى الدنيا ﴿وهو على كل شئ قدير﴾ قوله عز وجل ﴿هو الاول والآخر والظاهر والباطن﴾ يعنى هو الاول قبل كل شئ بلا ابتداء كان هو ولم يكن شئ موجودا والآخر بعد فناء كل احد بلا انتهاء يفنى الاشياء ويبقى هو والظاهر الغالب العالى على كل شئ والباطن العالم بكل شئ والباطن العالم بكل شئ هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول بوجوده ليس قبله شئ والآخر ليس بعده شئ وقيل هو الاول بوجوده فى الازل وقبل الابتداء والآخر بوجوده فى الابد وبعد الانتهاء والظاهر بالدلائل الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن العقول ان تكيفه وقيل هو الاول الذى سبق وجوده كل موجود والآخر الذى يبقى بعد كل مفقود وقال الامام ابوبكر بن الباقلانى معناه انه تعالى الباقى بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التى كان عليها فى الازل ويكون كذلك بعد موت الخلائق وذهاب علومهم

(وهو العزيز) المنتقم من مكلف لم يسبح عنادا (الحكيم) فى مجازاة من سبح له انقيادا (له ملك السموات والارض) لا لغيره وموضع (يحيي) رفع اى هو يحيي الموتى (ويميت) الاحياء او نصب اى له ملك السموات والارض محييا ومميتا (وهو على كل شئ قدير هو الاول) هو القديم الذى كان قبل كل شئ (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس وان كان مرئيا والواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الظهور والخفاء واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاولين ومجموع الصفتين الاخريين

من الخلق (وهو العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) فى امره وقضائه امر ان لا يعبد غيره (له ملك السموات والارض) خزائن السموات المطر والارض النبات (يحيي) للبعث (ويميت) فى الدنيا (وهو على كل شئ) من الاحياء والاماتة (قدير هو الاول) قبل كل شئ (والآخر) بعد كل شئ (والظاهر) على كل شئ (والباطن) بكل شئ

(وقدرهم)

والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين ﴿ وهو بكل شئ عليم ﴾ يستوى عنده الظاهر والخفى

وقدرهم وحواسهم وتفرق اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا لمذهبهم فى فناء الاجسام وذهابها بالكلية قالوا معناه انه الباقى بعد فناء خلقه ومذهب اهل الحق يعنى اهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الاخر بصفاته بعد ذهاب صفاتهم كما يقال آخر من بقى من بنى فلان فلان يراد حياته ولا يراد فناء اجسام موتاه وذهابها بالكلية هذا آخر كلام ابن الباقلانى وقيل هو الاول السابق للاشياء والاخر الباقى بعد فناء الاحياء والظاهر بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذى احتجب عن ابصار الخلق فلا تستولى عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والاخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والآخر بجوده اذ عرفك طريق التوبة عما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والآخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن بعلم الغيوب وسأل عمر كعبا عن هذه الآية فقال معناها ان علمه بالاول كعلمه بالآخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن ﴿ وهو بكل شئ عليم ﴾ (م) عن سهيل بن ابى صالح قال كان ابو صالح يأمرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن اعوذ بك من شر كل شئ انت آخذ بناصيته وفى رواية من شر كل دابة انت آخذ بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شئ وانت الآخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن فليس دونك شئ اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروى ذلك عن ابى هريرة عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابى هريرة ايضا قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذه العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ وموج مكفوف ثم قال هل تدرون كم بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سماآن بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سماءين كما بين السماء والارض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء بعد ما بين السماءين ثم قال هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الارض ثم قال هل تدرون ما الذى تحت ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها ارضا اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة حتى عد سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسمائة سنة ثم قال

فهو مستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شئ اى علم باطنه (وهو بكل شئ عليم

(وهو بكل شئ عليم) معناه هو الاول الحى القديم الازلى كان قبل كل حى احياه الله والآخر هو الحى الباقى الدائم يكون بعد كل حى اماته والظاهر الغالب على كل شئ والباطن هو العالم بكل شئ ويقال هو الاول هو القديم بلا اقدام احد والآخر هو الباقى بلا ابقاء احد والظاهر هو الغالب بلا اغلاب احد والباطن هو العالم بالظاهر والباطن بلا اعلام احد ويقال هو الاول قبل كل اول بلا غاية الاولية والآخر بعد كل آخر بلا غاية الآخرية ويقال هو الاول مؤول كل اول والآخر مؤخر كل آخر كان قبل شئ خلقه ويكون بعد كل شئ افناه هو الحى الباقى الدائم بلا موت ولا فناء ولا زوال وهو بكل شئ من الاول والآخر والظاهر والباطن عليم

هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) عن الحسن من ايام الدنيا ولو اراد ان يجعلها فى طرفة عين لفعل ولكن جعل الستة اصلا ليكون عليها المدار (ثم استوى) استولى (على العرش يعلم مايلج فى الارض) ما يدخل فى الارض من البذر والقطر والكنوز والموتى (ومايخرج منها) من النبات وغيره (ومايتزل من السماء) من الملائكة والامطار (ومايعرج فيها) من الاعمال والدعوات (وهو معكم اينما كنتم) بالعلم والقدرة عموما وبالفضل والرحمة خصوصا (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على حسب اعمالكم (له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار) يدخل الليل فى النهار بان ينقص من الليل ويزيد فى النهار (ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وانفقوا) يحتمل الزكاة والانفاق فى سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) يعنى ان الاموال التى فى ايديكم انما هى اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما

﴿ هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض ﴾ كالبذور ﴿ ومايخرج منها ﴾ كالزروع ﴿ ومايتزل من السماء ﴾ كالامطار ﴿ ومايعرج فيها ﴾ كالابخرة ﴿ وهو معكم اينما كنتم ﴾ لاينفك علمه وقدرته عنكم بحال ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه ﴿ له ملك السموات والارض ﴾ ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما ﴿ والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور ﴾ بمكنوناتها ﴿ آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ من الاموال التى جعلكم الله خلفاء فى التصرف فيها فهى فى الحقيقة له لالكم او التى استخلفكم عمن قبلكم فى تملكها

والذى نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرأ هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم اخرجه الترمذى وقال حديث غريب قال الترمذى قال بعض اهل العلم فى تفسير هذا الحديث انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف نفسه فى كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم السماء وقيل هو اسم السماء الدنيا * قوله عز وجل ﴿ هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها ومايتزل من السماء ومايعرج فيها ﴾ تقدم تفسيره ﴿ وهو معكم اينما كنتم ﴾ اى بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من تعليق علم الله تعالى وقدرته به اينما كان من ارض او سماء برا وبحرا وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله تعالى ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ يدل على صحة القول الاول ﴿ له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور ﴾ تقدم تفسيره * قوله تعالى ﴿ آمنوا بالله ورسوله ﴾ لما ذكر انواعا من الدلائل الدالة على التوحيد والعلم والقدرة شرع يخاطب كفار قريش ويأمرهم بالايمان بالله ورسوله ويأمرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة فى جميع وجوه البر وهو قوله تعالى ﴿ وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ يعنى المال الذى كان

(هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام) من ايام اول الدنيا طول كل يوم الف سنة اول يوم منها يوم الاحد وآخر يوم منها يوم الجمعة (ثم استوى) استقر ويقال امتلأ (على العرش) وكان الله قبل ان خلق السموات والارض على العرش بلا كيف (يعلم مايلج فى الارض) مايدخل فى الارض من الامطار والكنوز والاموات (ومايخرج منها) من الارض من الاموات والنبات والمياه والكنوز (ومايتزل من السماء) من الرزق والمطر والملائكة والمصائب (ومايعرج فيها) وما يصعد اليها من الملائكة والحفظة والاعمال (وهو معكم) عالم بكم (أينما كنتم) فى بر اوبحر (والله بما تعملون) من الخير والشر (بصير له ملك السموات والارض) خزائن السموات المطر والارض النبات (والى الله ترجع الامور) عواقب الامور فى الآخرة (يولج) يدخل ويزيد (الليل فى النهار ويولج) يدخل ويزيد (النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور) بما فى القلوب من الخير والشر (آمنوا بالله) يا اهل مكة (ورسوله) محمد عليه السلام (وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) مالكين

مولكم اياها للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى باموالكم فى الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها فى حقوق الله تعالى وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل الانفاق من مال غيره اذا اذن له فيه او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى ايديكم بتوريثه اياكم وسينقله منكم الى من بعدكم فاعتبروا بحالهم ولا تبخلوا به (فالذين آمنوا) بالله ورسله (منكم وانفقوا لهم اجر كبير ومالكم لاتؤمنون بالله) هو حال من معنى الفعل فى مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ماتصنع قائما اى ومالكم كافرين بالله والواو فى (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلان والمعنى واى عذر لكم فى ترك الايمان

(لتؤمنوا بربكم وقداخذ

والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس ﴿فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير﴾ وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبير ﴿ومالكم لا تؤمنون بالله﴾ اى وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك مالك قائما ﴿والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾ حال من ضمير لاتؤمنون والمعنى اى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والآيات ﴿وقد اخذ ميثاقكم﴾ اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعوكم وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول ورفع ميثاقكم ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ بموجب ما فان هذا موجب لامزيد عليه ﴿هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم﴾ اى الله او العبد ﴿من الظلمات الى النور﴾ من ظلمات الكفر الى نور الايمان ﴿وان الله بكم لرؤف

يد غيركم فاهلكهم واعطاكم اياه فكنتم فى ذلك المال خلفاء عمن مضى ﴿فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ومالكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾ يعنى واى عذر لكم فى ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان والحجج ﴿وقداخذ ميثاقكم﴾ اى اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر آدم عليه السلام بان الله ربكم لااله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة والبراهين والحجج التى تدعو الى متابعة الرسول ﴿ان كنتم مؤمنين﴾ اى يوما ما فالآن احرى الاوقات ان تؤمنوا لقيام الحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قوله تعالى ﴿هو الذى ينزل على عبده﴾ يعنى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿آيات بينات﴾ يعنى القرآن ﴿ليخرجكم﴾ يعنى الله بالقرآن وقيل الرسول بالدعوة ﴿من الظلمات الى النور﴾ اى من ظلمات الشرك الى نور الايمان ﴿وان الله بكم لرؤف

ميثاقكم) وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بقوله ألست بربكم او بما ركب فيكم من العقول ومكنكم من النظر فى الادلة فاذا لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فمالكم لاتؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لامزيد عليه اخذ ميثاقكم ابو عمرو (هو الذى ينزل على عبده) محمد صلى الله عليه وسلم (آيات بينات) يعنى القرآن (ليخرجكم) الله تعالى او محمد بدعوته (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر الى نور الايمان (وان الله بكم لرؤف) بالمد والهمزة حجازى وشامى وحفص

عليه فى سبيل الله (فالذين آمنوا منكم) يااهل مكة

(وانفقوا) مالهم فى سبيل الله (لهم اجر كبير) ثواب عظيم فى الجنة بالايمان والنفقة (ومالكم) يااهل مكة (لاتؤمنون بالله) لاتوحدون بالله (والرسول) محمد صلى الله عليه وسلم (يدعوكم) الى التوحيد (لتؤمنوا بربكم) لكى توحدوا بربكم (وقداخذ ميثاقكم) اقراركم بالتوحيد (ان كنتم) اذ كنتم (مؤمنين) يوم الميثاق (هو الذى ينزل على عبده) محمد عليه السلام (آيات بينات) جبريل بآيات مبينات بالامر والنهى والحلال والحرام (ليخرجكم) لكى يخرجكم بالقرآن ودعوة النبى صلى الله عليه وسلم (من الظلمات الى النور) من الكفر الى الايمان ويقال قداخرجكم من الكفر الى الايمان (وان الله بكم) يامعشر المؤمنين (لرؤف

(رحيم) الرأفة اشد الرحمة (ومالكم ألا تنفقوا) فى ان لا تنفقوا (فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما لايبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعنى واى غرض لكم فى ترك الانفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث اموالكم وهو من بلغ الحث على الانفاق فى سبيل الله ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل) اى فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس فى دين الله افواجا ومن انفق من بعد الفتح فحذف لان قوله من الذين انفقوا من بعد يدل عليه (اولئك) الذين انفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا مابلغ مد احدهم ولا نصيفه (اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا) اى كل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) اى المثوبة

رحيم ﴾ حيث نبهكم بالرسول والآيات ولم يقتصر على مانصب لكم من الحجج العقلية ﴿ ومالكم ألا تنفقوا ﴾ واى شئ لكم فى ألا تنفقوا ﴿ فى سبيل الله ﴾ فيما يكون قربة اليه ﴿ ولله ميراث السموات والارض ﴾ يرث كل شئ فيهما ولايبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى ﴿ لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة ﴾ بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحرى الحاجات حثا على تحرى الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة مابعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق ﴿ من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ اى من بعد الفتح ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهى الجنة وقرأ ابن

رحيم ﴾ قوله تعالى ﴿ ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض ﴾ يقول اى شئ لكم فى ترك الانفاق فيما يقربكم من الله تعالى وانتم ميتون تاركون اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها انتم فيما يقربكم الى الله تعالى وتستحقون به الثواب ثم بين فضل من سبق بالانفاق فى سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى ﴿ لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ يعنى فتح مكة فى قول اكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى لا يستوى فى الفضل من انفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة مع من انفق ماله وقاتل بعد الفتح ﴿ اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ﴾ قال الكلبى ان هذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لانه اول من اسلم واول من انفق ماله فى سبيل الله وذب عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود اول من اظهر اسلامه سبع منهم النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ابو بكر وعليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فنزل جبريل فقال مالى ارى ابا بكر عليه عباءة قد خلها فى صدره بخلال فقال انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض انت عنى فى فقرك هذا ام ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ان الله يقرئك السلام ويقول لك اراض انت فى فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر أأسخط على ربى انى على ربى راض انى على ربى راض ﴿ وكلا وعد الله الحسنى ﴾ يعنى الجنة قال عطاء درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا قبل الفتح فى افضلها

رحيم) حين اخرجكم من الكفر الى الايمان (ومالكم) يامعشر المؤمنين (ألا تنفقوا فى سبيل الله) فى طاعة الله (ولله ميراث السموات والارض) ميراث اهل السموات واهل الارض يموت اهلها ويبقى هو ويرجع الامر كله اليه (لا يستوى منكم) يامعشر المؤمنين عند الله فى الفضل والطاعة والثواب (من انفق (والله) من قبل الفتح) فتح مكة (وقاتل) العدو مع النبى صلى الله عليه وسلم (اولئك) اهل هذه الصفة (اعظم درجة) فضيلة ومنزلة عند الله بالطاعة والثواب وهو ابو بكر الصديق (من الذين انفقوا من بعد) من بعد فتح مكة (وقاتلوا) العدو فى سبيل الله مع النبى صلى الله عليه وسلم (وكلا) كلا الفريقين من انفق وقاتل من قبل الفتح وبعد الفتح (وعد الله الحسنى) الجنة بالايمان

الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وكلا مفعول اول لوعد والحسنى مفعول ثان وكل شامى اى وكل وعده الله الحسنى نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق فى سبيل الله وفيه دليل على فضله وتقدمه (والله بما تعملون خبير) فيجازيكم على قدر اعمالكم (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) بطيب نفسه والمراد الانفاق فى سبيله واستعير لفظ القرض ليدل على التزام الجزاء (فيضاعفه له) اى يعطيه اجره على انفاقه اضعافا مضاعفة من فضله (وله اجر كريم) اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه

عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه ﴿والله بما تعملون خبير﴾ عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والآية نزلت فى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فانه اول من آمن وانفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك ﴿من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا﴾ اى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحرى اكرم المال وافضل الجهات له ﴿فيضاعفه له﴾ اى يعطى اجره اضعافا ﴿وله اجر كريم﴾ اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه ينبغى ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكانه قال أيقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير فيضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب فيضعفه منصوبا ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات﴾ ظرف لقوله وله او فيضاعفه او مقدر باذكر ﴿يسعى نورهم﴾ ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة ﴿بين ايديهم وبايمانهم﴾ لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين

﴿والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا﴾ اى صادقا محتسبا بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض قال بعض العلماء القرض لا يكون حسنا حتى تجمع فيه اوصاف عشرة وهى ان يكون المال من الحلال وان يكون من اجود المال وان تتصدق به وانت محتاج اليه وان تصرف صدقتك الى الاحوج اليها وان تكتم الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائى بها الناس وان تستحقر ما تعطى وتتصدق به وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لا ترى عز نفسك وذل الفقير فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت فى الصدقة كانت قرضا حسنا ﴿فيضاعفه له﴾ يعنى يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا ﴿وله اجر كريم﴾ يعنى وذلك الاجر كريم فى نفسه * قوله عز وجل ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات﴾ يعنى على الصراط ﴿يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم﴾ اى عن ايمانهم وقيل اراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين

فيضعفه مكى فيضعفه شامى فيضاعفه عاصم وسهل فيضاعفه غيرهم فالنصب على جواب الاستفهام والرفع على فهو يضاعفه او عطف على يقرض (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله وله اجر كريم او منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم (يسعى) يمضى (نورهم) نور التوحيد والطاعات وانما قال (بين ايديهم وبايمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ووراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى بسعيهم ذلك النور وتقول لهم الملائكة

(والله بما تعملون) بما تنفقون ﴿قا وخا ٢٣ س﴾ (خبير من ذا الذى يقرض الله) فى الصدقة (قرضا حسنا) محتسبا صادقا من قلبه (فيضاعفه له) يقبله ويضاعف له فى الحسنات ما بين سبع الى سبعين الى سبعمائة الى الفى الف الى ما شاء الله من الاضعاف (وله) عنده (اجر كريم) ثواب حسن فى الجنة نزلت هذه الآية فى ابى الدحداح (يوم) وهو يوم القيامة (ترى) يا محمد (المؤمنين) المصدقين (والمؤمنات) المصدقات بالايمان (يسعى نورهم) يضئ نورهم (بين ايديهم) على الصراط (وبايمانهم)

(بشراكم اليوم جنات) اى دخول جنات لان البشارة تقع بالاحداث دون الجثث (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول) هو بدل من يوم ترى (المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا) اى انتظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة انظرونا حمزة من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى ان يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طرد لهم وتهكم بهم اى تقول لهم الملائكة او المؤمنون ارجعوا الى الموقف الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم نقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان

وشمائلهم (بشراكم اليوم) تقول لهم الملائكة على الصراط لكم اليوم (جنات تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون فيها ولا يخرجون منها (ذلك هو الفوز العظيم) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ومافيها ونجوا من النار ومافيها (يوم) وهو يوم القيامة بعد ماطفئ نور المنافقين على الصراط (يقول المنافقون) من الرجال (والمنافقات) من النساء (للذين آمنوا) للمؤمنين المخلصين على الصراط (انظرونا) ارقبونا وانتظرونا يامعشر المؤمنين (نقتبس من نوركم) نستضئ بنوركم ونجوز به على الصراط معكم (قيل) يقول لهم المؤمنون ويقال يقول لهم الملائكة ويقال يقول الله لهم (ارجعوا وراءكم) خلفكم الى الدنيا ويقال الى الموقف حيث اعطينا النور (فالتمسوا) فاطلبوا (نورا) وهذا استهزاء من الله على المنافقين ويقال من المؤمنين على المنافقين فيرجعون فى طلب النور {فينصرفون}

﴿بشراكم اليوم جنات﴾ اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشراكم اى المبشر به جنات اوبشراكم دخول جنات ﴿تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾ الاشارة الى ماتقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات﴾ بدل من يوم ترى ﴿للذين آمنوا انظرونا﴾ انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف اوانظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور من بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم ﴿نقتبس من نوركم﴾ نصب منه ﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾ الى الدنيا ﴿فالتمسوا نورا﴾ بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة

من يضئ نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعاء ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لايضئ نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم نورا من نوره على ابهامه فيطفأ مرة ويتقد مرة وقيل فى معنى الآية يسعى نورهم بين ايديهم اى يعطون كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملائكة ﴿بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا﴾ اى انتظرونا ﴿نقتبس من نوركم﴾ اى نستضئ من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطى الله المؤمنين نورا على قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطى المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون اذ بعث الله ريحا وظلمة فاطفأت نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فاذا سبقهم المؤمنون بقوا فى الظلمة وقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم ﴿قيل ارجعوا وراءكم﴾ قال ابن عباس تقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا فيها اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لانور لكم عندنا فارجعوا وراءكم ﴿فالتمسوا﴾ اى اطلبوا لانفسكم هنالك ﴿نورا﴾ اى لاسبيل لكم الى الاقتباس من نورنا فيرجعون فى طلب النور فلا يجدون شيأ

(فضرب بينهم) بين المؤمنين والمنافقين (بسور) بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف (له) لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور او الباب وهو الشق الذي يلي الجنة (فيه الرحمة) اى النور او الجنة (وظاهره) ما ظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) اى الظلمة او النار

(ينادونهم) اى ينادي المنافقون المؤمنين (الم نكن معكم) يريدون مرافقتهم فى

فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثمة يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا آخر فانه لا سبيل لكم الى هذا او هو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة ﴿ فضرب بينهم ﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿ بسور ﴾ بحائط ﴿ له باب ﴾ يدخل فيه المؤمنون ﴿ باطنه ﴾ باطن السور او الباب ﴿ فيه الرحمة ﴾ لانه يلي الجنة ﴿ وظاهره من قبله العذاب ﴾ من جهته لانه يلي النار ﴿ ينادونهم الم نكن معكم ﴾ يريدون موافقتهم فى الظاهر ﴿ قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم ﴾ بالنفاق ﴿ وتربصتم ﴾ بالمؤمنين الدوائر ﴿ وارتبتم ﴾ وشككتم فى الدين ﴿ وغرتكم الامانى ﴾ كامتداد العمر ﴿ حتى جاء امر الله ﴾ وهو الموت ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ الشيطان او الدنيا ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾ فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء

فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين المؤمنين فذلك قوله تعالى ﴿ فضرب بينهم ﴾ اى المؤمنين والمنافقين ﴿ بسور ﴾ وهو حائط بين الجنة والنار ﴿ له ﴾ اى لذلك السور ﴿ باب باطنه فيه الرحمة ﴾ اى فى باطن ذلك السور الرحمة وهى الجنة ﴿ وظاهره من قبله العذاب ﴾ اى من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار وروى عن عبد الله بن عمر قال ان السور الذى ذكر فى القرآن هو سور بيت المقدس الشرقى باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول فى الباب الذى يسمى باب الرحمة فى بيت المقدس انه الباب الذى قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية ﴿ ينادونهم ﴾ يعنى ينادى المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور حين حجز بينهم وبقوا فى الظلمة ﴿ الم نكن معكم ﴾ اى فى الدنيا نصلى ونصوم ﴿ قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم ﴾ اى اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها فى المعاصى والشهوات وكلها فتنة ﴿ وتربصتم ﴾ اى بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه ﴿ وارتبتم ﴾ اى شككتم فى نبوته وفيما اوعدكم به ﴿ وغرتكم الامانى ﴾ اى الاباطيل وذلك ما كنتم تمنون من نزول الدوائر بالمؤمنين ﴿ حتى جاء امر الله ﴾ يعنى الموت وقيل هو القاؤهم فى النار وهو قوله تعالى ﴿ وغركم بالله الغرور ﴾ يعنى الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله فى النار ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ﴾

الظاهر (قالوا) اى المؤمنون (بلى ولكنكم فتنتم انفسكم) محنتموها بالنفاق واهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) وشككتم فى التوحيد (وغرتكم الامانى) طول الآمال والطمع فى امتداد الاعمار (حتى جاء امر الله) اى الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم او بانه لا بعث ولا حساب (فاليوم لا يؤخذ) وبالتاء شامى (منكم) ايها المنافقون (فدية)

(فضرب بينهم) يقول بنى بينهم وبين المؤمنين (بسور) بحائط (له باب باطنه فيه الرحمة) الجنة (وظاهره من قبله العذاب) من نحوه النار (ينادونهم) من وراء السور (الم نكن معكم) على دينكم يا معشر المؤمنين (قالوا بلى

ولكنكم فتنتم انفسكم) اهلكتم انفسكم بكفر السر والنفاق (وتربصتم) تركتم التوبة من الكفر والنفاق ويقال انتظرتم موت محمد صلى الله عليه وسلم واظهار الكفر (وارتبتم) شككتم بالله وبالكتاب والرسول (وغرتكم الامانى) الاباطيل والتمنى (حتى جاء امر الله) وعد الله بالموت على غير التوبة من الكفر والنفاق (وغركم بالله) عن طاعة الله (الغرور) يعنى الشيطان ويقال اباطيل الدنيا ان قرأت بضم الغين (فاليوم) وهو يوم القيامة (لا يؤخذ منكم) لا يقبل منكم يا معشر المنافقين (فدية) فداء

﴿ولا من الذين كفروا﴾ ظاهرا وباطنا ﴿مأواكم النار هى مولاكم﴾ هى اولى بكم كقول لبيد

فعدت كلا الفرجين تحسب انه * مولى المخافة خلفها وامامها

وحقيقته محراكم اى مكانكم الذى يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اى مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولى وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله

تحية بينهم ضرب وجيع

او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها فى الدنيا ﴿وبئس المصير﴾ النار ﴿الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الم يأت وقته يقال انى الامر يأنى انيا واناوانا اذا جاء اناه وقرئ الم يئن بكسر الهمزة وسكون النون من آن يأين بمعنى انى يأنى والما يأن روى ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت ﴿وما نزل من الحق﴾

اى عوض وبدل بان تفدوا انفسكم من العذاب وقيل معناه لا يقبل منكم ايمان ولا توبة ﴿ولا من الذين كفروا﴾ يعنى المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق كافرا فى الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير المنافق فحسن عطفه على المنافق ﴿مأواكم النار﴾ اى مصيركم ﴿هى مولاكم﴾ اى وليكم وقيل هى اولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى هى التى تلى عليكم لانها ملكت امركم واسلمتم اليها فهى اولى بكم من كل شئ وقيل معنى الآية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مولاه فلا مولى له ﴿وبئس المصير﴾ قوله تعالى ﴿الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ قيل نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم قالوا لسلمان الفارسى ذات يوم حدثنا عن التوراة فان فيها العجائب فنزل نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القرآن احسن من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوه مثل ذلك فنزل الله نزل احسن الحديث الآية فكفوا عن سؤاله ماشاء الله ثم عادوا فسألوه فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول يكون تأويل قوله الم يأن للذين آمنوا يعنى فى العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت فى المؤمنين وذلك انهم لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش ورفاهيته ففتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا ونزل فى ذلك الم يأن للذين آمنوا الآية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين ان عاتبنا الله بهذه الآية الا اربع سنين اخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال الم يأن يعنى اماحان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم اى ترق وتلين وتخضع قلوبهم لذكر الله اى لمواعظ الله ﴿وما نزل من الحق﴾ يعنى القرآن

بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الآية الا اربع سنين وعن ابى بكر رضى الله عنه ان هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب (للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) بالتخفيف نافع وحفص الباقون نزل وما بمعنى الذى والمراد بالذكر وما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة وانه حق نازل

(ولا من الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ولم يؤمنوا (مأواكم النار) مصيركم النار (هى مولاكم) اولى بكم النار (وبئس المصير) صاروا اليه النار قرناؤهم الشياطين وجيرانهم الكفار وطعامهم الزقوم وشرابهم الحميم ولباسهم مقطعات النيران وزوارهم الحيات والعقارب (ولا) ثم ذكر قلوبهم اذ كانوا فى الدنيا فقال (الم يأن) الم يحن وقت (للذين آمنوا) بالعلانية (ان تخشع قلوبهم) ان تلين وتذل وتخلص قلوبهم (لذكر الله) وعد الله ووعيده ويقال لتوحيد الله (وما نزل من الحق) من الامر والنهى والحلال والحرام

من السماء (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل) القراءة بالياء عطف على تخشع وبالتاء ورش على الالتفات ويجوز ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا الله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا من التحريف وغيره (فطال عليهم الامد) الاجل او الزمان (فقست قلوبهم) باتباع

الشهوات (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين اى وقليل منهم مؤمنون (اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) قيل هذا تمثيل لاثر الذكر فى القلوب وانه يحييها كما يحيي الغيث الارض (ان المصدقين والمصدقات) بتشديد الدال وحده مكى وابو بكر وهو اسم فاعل من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين الباقون بتشديد الصاد والدال وهو اسم فاعل من تصدق فادغمت التاء فى الصاد وقرئ على الاصل (واقرضوا الله قرضا حسنا) هو عطف على

اى القرآن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الآخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع وحفص ويعقوب نزل بالتخفيف وقرئ انزل ﴿ ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل ﴾ عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهى عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكى عنهم بقوله ﴿ فطال عليهم الامد فقست قلوبهم ﴾ اى فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم او آمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ خارجون عن دينهم رافضون لما فى كتابهم من فرط القسوة ﴿ اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها ﴾ تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا فى الخشوع وزجرا عن القساوة ﴿ قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ كى تكمل عقولكم ﴿ ان المصدقين والمصدقات ﴾ ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بها وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى الذين صدقوا الله ورسوله ﴿ واقرضوا الله قرضا حسنا ﴾

﴿ ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ فطال عليهم الامد ﴾ اى الزمان الذى بينهم وبين انبيائهم ﴿ فقست قلوبهم ﴾ قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا عن مواعظ القرآن والمعنى ان الله نهى المؤمنين ان يكونوا فى صحبة القرآن كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر روى عن ابى موسى الاشعرى انه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا القرآن فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم ﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ يعنى الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم * قوله عز وجل ﴿ اعلموا ان الله يحيي الارض ﴾ اى بالمطر ﴿ بعد موتها ﴾ اى يخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على احياء الموتى وقال ابن عباس يلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة وكذلك يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة والا فقد علم احياء الارض بالمطر مشاهدة ﴿ قد بينا لكم الآيات ﴾ اى الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا ﴿ لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ اى بالنفقة والصدقة فى سبيل الله

فى القرآن (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب) اعطوا العلم بالتوراة (من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن فهم اهل التوراة (فطال عليهم الامد) الاجل (فقست) غشيت ويبست وجفت (قلوبهم) عن الايمان وهم الذين خالفوا دين موسى (وكثير منهم) من اهل التوراة (فاسقون) كافرون لا يؤمنون بالله فى علم الله (اعلموا ان الله يحيي الارض) بالمطر (بعد موتها) بعد قحطها ويبوستها كذلك يحيي الله بالمطر الموتى (قد بينا لكم الآيات) احياء الموتى (لعلكم تعقلون) لكى تصدقوا بالبعث بعد الموت (ان المصدقين) من الرجال (والمصدقات) من النساء بالايمان ويقال المتصدقين من الرجال والمتصدقات من النساء (واقرضوا الله) فى الصدقة (قرضا حسنا) محتسبا

معنى الفعل فى المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى الفعل وهو اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا والقرض الحسن ان يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) يضعف مكى وشامى (ولهم اجر كريم) اى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لهم اجرهم ونورهم) اى مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم اجرهم خبره (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب)

عطف على معنى الفعل فى المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا وصدقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص ﴿ يضاعف لهم ولهم اجر كريم ﴾ معناه والقراءة فى يضاعف مامر غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ﴾ اى اولئك عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء اوهم المبالغون فى الصدق فانهم آمنوا وصدقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم اوعلى الامم يوم القيامة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد بهم الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اوالذين استشهدوا فى سبيل الله ﴿ لهم اجرهم ونورهم ﴾ مثل اجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت اوالاجر والنور الموعود ان لهم ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم ﴾ فيه دليل على ان الخلود فى النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا ﴿ اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب

﴿ يضاعف لهم ﴾ اى ذلك القرض ﴿ ولهم اجر كريم ﴾ اى ثواب حسن وهو الجنة ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون ﴾ اى الكثير والصدق قال مجاهد كل من آمن بالله ورسوله فهو صديق وتلا هذه الآية فعلى هذا الآية عامة فى كل من آمن بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة فى ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض فى زمانهم الى الاسلام وهم ابو بكر وعلى وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته ﴿ والشهداء عند ربهم ﴾ قيل اراد بالشهداء المؤمنين المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الانبياء الذين يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الذين استشهدوا فى سبيل الله ﴿ لهم اجرهم ﴾ اى بما عملوا من العمل الصالح ﴿ ونورهم ﴾ يعنى على الصراط ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم ﴾ لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بحال الكافرين * قوله عز وجل ﴿ اعلموا انما الحيوة الدنيا ﴾ اى مدة الحياة فى هذه الدار الدنيا وانما اراد من صرف حياته فى غير طاعة الله فحياته مذمومة ومن صرف حياته فى طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله ﴿ لعب ﴾ اى باطل لاحاصل له كلعب الصبيان

صادقا من قلوبهم (يضاعف لهم) يقبل منهم ويضاعف لهم فى الحسنات ما بين سبع الى سبعين الى سبعمائة الى الفى الف الى ماشاء الله من الاضعاف (ولهم اجر كريم) ثواب حسن فى الجنة (والذين آمنوا بالله ورسله) من جميع الامم (اولئك هم الصديقون) فى ايمانهم (والشهداء عند ربهم لهم اجرهم) ثوابهم (ونورهم) على الصراط ويقال والشهداء مفصول من الكلام الاول وهم الانبياء الذين يشهدون على قومهم بالتبليغ ويقال هم الشهداء الذين يشهدون للانبياء على قومهم ويقال هم الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله لهم اجرهم ثوابهم ثواب النبيين بتبليغ الرسالة ونورهم على الصراط يمشون به (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) بالكتاب والرسول (اولئك اصحاب الجحيم) اهل النار (اعلموا انما الحيوة الدنيا) ما فى الحياة الدنيا (لعب) فرح (ولهو)

كلعب الصبيان (ولهو) كلهو الفتيان (وزينة) كزينة النسوان (وتفاخر بينكم) كتفاخر الاقران (وتكاثر) كتكاثر الدهقان (فى الاموال والاولاد) اى مباهاة بهما والتكاثر ادعاء الاستكثار (كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يكون حطاما) متفتتا شبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى وقوى واعجب ﴿١٨٣﴾ به الكفار الجاحدون ﴿سورة الحديد﴾ لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث الله عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع (وفى الآخرة عذاب شديد) للكفار (ومغفرة من الله ورضوان) للمؤمنين يعنى ان الدنيا وما فيها ليست الا من محقرات الامور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر واما الآخرة فما هى الا امور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة والرضوان من الله الحميد والكاف فى كمثل غيث فى محل رفع على انه خبر بعد خبر اى الحياة الدنيا مثل غيث (وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور) لمن ركن اليها واعتمد عليها

ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد ﴾ لما ذكر حال الفريقين فى الآخرة حقر امور الدنيا اعنى ما لا يتوصل به الى الفوز الآجل بان بين انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيه انفسهم جدا اتعاب الصبيان فى الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون به انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب او تكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله ﴿ كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ﴾ وهو تمثيل لها فى سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى اعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة الابدية بقوله ﴿ وفى الآخرة عذاب شديد ﴾ تنفيرا عن الانهماك فى الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله ﴿ ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ﴾ اى لمن اقبل عليها ولم يطلب بها الآخرة

﴿ ولهو ﴾ اى فرح ساعة ثم ينقضى عن قريب ﴿ وزينة ﴾ اى منظر يتزينون به ﴿ وتفاخر بينكم ﴾ يعنى انكم تشتغلون فى حياتكم بما يفتخر به بعضكم على بعض ﴿ وتكاثر فى الاموال والاولاد ﴾ اى مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل يجمع ما لا يحل له فيتطاول بماله وخدمه وولده على اولياء الله تعالى واهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى ﴿ كمثل غيث اعجب الكفار ﴾ اى الزراع انما سمى الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر ﴿ نباته ﴾ اى ما نبت بذلك الغيث ﴿ ثم يهيج ﴾ اى ييبس ﴿ فتراه مصفرا ﴾ اى بعد خضرته ﴿ ثم يكون حطاما ﴾ اى يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى ﴿ وفى الآخرة عذاب شديد ﴾ اى لمن كانت حياته بهذه الصفة قال اهل المعانى زهد الله بهذه الآية فى العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافرين وحياة من يشتغل باللعب واللهو ورغب فى العمل للآخرة بقوله ﴿ ومغفرة من الله ورضوان ﴾ اى لاوليائه واهل طاعته وقيل عذاب شديد لاعدائه ومغفرة من الله ورضوان لاوليائه لان الآخرة اما عذاب واما جنة ﴿ وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ﴾ اى لمن عمل لها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل فى الدنيا بطلب الآخرة فهى له بلاغ الى ما هو خير منه وقيل متاع الغرور لمن لم يشتغل فيها بطلب الآخرة * قوله عز وجل

(ولهو) باطل (وزينة) منظر (وتفاخر بينكم) فى الحسب والنسب (وتكاثر فى الاموال والاولاد) يذهب ولا يبقى (كمثل غيث) مطر (اعجب الكفار) الزراع (نباته) نبات المطر (ثم يهيج) يتغير بعد خضرته (فتراه مصفرا) بعد خضرته (ثم يكون حطاما) يابسا بعد صفرته كذلك الدنيا لا تبقى كما لا يبقى هذا النبات (وفى الآخرة عذاب شديد) لمن ترك طاعة الله ومنع حق الله (ومغفرة من الله ورضوان) فى الآخرة لمن اطاع الله وادى حق الله من ماله (وما الحيوة الدنيا) ما فى بقائها وفنائها (الا متاع الغرور) كمتاع البيت من القدر والقصعة والسكرجة ثم قال لجميع الخلق

قال دوالنون يا معشر المريدين لاتطلبوا الدنيا وان طلبتموها فلاتحبوها وان الزاد منها والمقيل فى غيرها ولما حقر الدنيا وصغر امرها وعظم امر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة بقوله (سابقوا) اى بالاعمال الصالحة (الى مغفرة من ربكم) وقيل سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم فى المضمار (وجنة عرضها كعرض السماء والارض)

قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ماله عرض وطول فان عرضه اقل من طوله واذا وصف عرضه بالسعة عرف ان طوله ابسط او اريد بالعرض البسطة وهذا ينفى قول من يقول ان الجنة فى السماء الرابعة لان التى فى احدى السموات لاتكون فى عرض السموات والارض (اعدت للذين آمنوا بالله ورسله) وهذا دليل على انها مخلوقة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون وفيه دليل على انه لايدخل احد الجنة الا بفضل الله (والله ذو الفضل العظيم) ثم بين ان كل كائن بقضاء الله وقدره بقوله (ما اصاب من مصيبة فى الارض) من الجدب وآفات الزروع والثمار وقوله فى الارض فى موضع الجر اى ما اصاب من مصيبة ثابتة فى الارض

﴿سابقوا﴾ سارعوا مسارعة المسابقين فى المضمار ﴿الى مغفرة من ربكم﴾ الى موجباتها ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والارض﴾ اى عرضها كعرضيهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد به البسطة كقوله فذو دعاء عريض ﴿اعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ ذلك الموعود يتفضل به على من يشاء من غير ايجاب ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ فلايبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره ﴿ما اصاب من مصيبة فى الارض﴾ كجدب وعاهة

﴿سابقوا الى مغفرة من ربكم﴾ معناه لتكن مفاخرتكم ومكاثرتكم فى غير ما انتم عليه بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم فى طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة السابقين فى المضمار الى مغفرة اى الى ما يوجب المغفرة وهى التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى ما كلفتم به من الاعمال فتدخل فيه التوبة وغيرها ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والارض﴾ قيل ان السموات السبع والارضين السبع لو جعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة فى قدرها جميعا وقال ابن عباس ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات والارضين ولاشك ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع فى نفوسهم وافكارهم واكثر مايقع فى نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على مايعرفه الناس ﴿اعدت للذين آمنوا بالله ورسله﴾ فيه اعظم رجاء واقوى امل لانه ذكر ان الجنة اعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيأ آخر يدل عليه قوله فى سياق الآية ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ فبين انه لايدخل احد الجنة الا بفضل الله تعالى لابعمله ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم الجنة عمله قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضل رحمته وقد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون فى تفسير سورة النحل * قوله تعالى ﴿ما اصاب من مصيبة فى الارض﴾ يعنى عدم المطر وقلة

(سابقوا) بالتوبة من ذنوبكم (الى مغفرة) الى تجاوز (من ربكم وجنة) والى جنة بالعمل الصالح (عرضها كعرض السماء والارض) لو وصلت بعضها الى بعض (اعدت) خلقت وهيئت (للذين آمنوا بالله ورسله) من جميع الامم (ذلك) المغفرة والرضوان والجنة (فضل الله) من الله (يؤتيه) يعطيه (من يشاء) من كان اهلا لذلك (والله ذو الفضل) ذو المن (العظيم) بالجنة (ما اصاب من مصيبة فى الارض) من القحط والجدوبة وغلاء السعر وتتابع الجوع

(ولا فى انفسكم) من الامراض والاوصاب وموت الاولاد (الا فى كتاب) فى اللوح وهو فى موضع الحال اى الامكتوبا فى اللوح (من قبل ان نبرأها) من قبل ان نخلق الانفس (ان ذلك) اى تقدير ذلك واثباته فى كتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد ثم عالل ذلك وبين الحكمة فيه بقوله (لكيلا تأسوا) تحزنوا حزنا يطغيكم (على مافاتكم) من الدنيا وسعتها او من العافية وصحتها (ولاتفرحوا) فرح المختال الفخور (بما آتاكم) اعطاكم من الايتاء ابوعمرو اتاكم ﴿١٨٥﴾ اى جاءكم من الاتيان يعنى (سورة الحديد) انكم اذا علمتم ان كل شئ

﴿ولا فى انفسكم﴾ كمرض وآفة ﴿الا فى كتاب﴾ الامكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله تعالى ﴿من قبل ان نبرأها﴾ نخلقها والضمير للمصيبة او للارض او للانفس ﴿ان ذلك﴾ ان ثبته فى كتاب ﴿على الله يسير﴾ لاستغنائه تعالى فيه عن العدة والمدة ﴿لكيلا تأسوا﴾ اى اثبت وكتب لئلا تحزنوا ﴿على مافاتكم﴾ من نعم الدنيا ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتاكم من الاتيان ليعادل مافاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلابد لهما من سبب يوجدها ويبقيها والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله ﴿والله لايحب كل مختال فخور﴾ اذ قل من يثبت نفسه فى حالى الضراء والسراء ﴿الذين يبخلون

النبات ونقص الثمار ﴿ولا فى انفسكم﴾ يعنى الامراض وفقد الاولاد ﴿الا فى كتاب﴾ يعنى فى اللوح المحفوظ ﴿من قبل ان نبرأها﴾ اى من قبل ان نخلق الارض و الانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرأ المصيبة ﴿ان ذلك على الله يسير﴾ اى اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل ﴿لكيلا تأسوا﴾ اى تحزنوا ﴿على مافاتكم﴾ من الدنيا ﴿ولا تفرحوا﴾ اى لاتبطروا ﴿بما آتاكم﴾ اى اعطاكم قال عكرمة ليس احد الا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان قلت ما من احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لايحزن ولايفرح قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر فاما الحزن الذى لايكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما والله اعلم وقال جعفر بن محمد الصادق يا ابن آدم مالك تأسف على مفقود لايرده اليك الفوت ومالك تفرح بموجود لايتركه فى يديك الموت ﴿والله لايحب كل مختال﴾ اى متكبر بما اوتى من الدنيا ﴿فخور﴾ اى بذلك الذى اوتى على الناس ﴿الذين يبخلون

مقدر مكتوب عند الله قل اساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لان من علم ان ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله وليس احد الا وهو يفرح عند منفعة تصيبه ويحزن عند مضرة تنزل به ولكن ينبغى ان يكون الفرح شكرا والحزن صبرا وانما يذم من الحزن الجزع المنافى للصبر ومن الفرح الاشر المطغى الملهى عن الشكر (والله لايحب كل مختال فخور) لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس (الذين يبخلون) خبر مبتدأ محذوف او بدل

(ولا فى انفسكم) من الامراض ﴿قا وخا ٢٤ س﴾ والاوجاع والبلايا وموت الاهل والولد وذهاب المال (الا فى كتاب) يقول مكتوب عليكم فى اللوح المحفوظ (من قبل ان نبرأها) ان نخلقها تلك الانفس والارض (ان ذلك) حفظ ذلك (على الله يسير) هين من غير كتاب ولكن كتب (لكيلا تأسوا) لاتحزنوا (على ما فاتكم) من الرزق والعافية فتقولوا لم يكتب لنا (ولاتفرحوا) لاتبطروا (بما آتاكم) بما اعطاكم فتقولوا هو اعطانا (والله لايحب كل مختال) فى مشيته (فخور) بنعم الله ويقال مختال فى الكفر فخور فى الشرك وهم اليهود (الذين يبخلون) يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى التوراة

من كل مختال فخور كانه قال لايحب الذين يبخلون يريدون الذين يفرحون الفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به (ويأمرون الناس بالبخل) ويحضون غيرهم على البخل ويرغبونهم فى الامساك (ومن يتول) يعرض عن الانفاق اوعن اوامر الله ونواهيه ولم ينته عمانهى عنه من الاسى على الفائت والفرح بالآتى (فان الله هو الغنى) عن جميع المخلوقات فكيف عنه (الحميد) فى افعاله فان الله الغنى بترك هو ومدنى وشامى (لقد ارسلنا رسلنا) يعنى ارسلنا الملائكة الى الانبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وانزلنا معهم الكتاب) اى الوحى وقيل الرسل الانبياء والاول اولى لقوله معهم لان الانبياء ينزل عليهم الكتاب (والميزان) روى ان جبريل نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (ليقوم الناس) ليتعاملوا بينهم ايفاء واستيفاء (بالقسط) بالعدل ولايظلم احد احدا (وانزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة اشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن الحسن انزلنا الحديد خلقناه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) فى مصالحهم

ويأمرون الناس بالبخل﴾ بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ﴿ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد﴾ لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لايضره الاعراض عن شكره ولاينتفع بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى ﴿لقد ارسلنا رسلنا﴾ اى الملائكة الى الانبياء اوالانبياء الى الامم ﴿بالبينات﴾ بالحجج والمعجزات ﴿وانزلنا معهم الكتاب﴾ ليبين الحق ويميز صواب العمل ﴿والميزان﴾ لتسوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال تعالى ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل الميزان الى نوح عليه السلام ويجوز ان يراد به العدل لتقام به السياسة وتدفع به الاعداء كما قال ﴿وانزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ فان آلات الحروب متخذة منه ﴿ومنافع للناس﴾

ويأمرون الناس بالبخل﴾ قيل هذه الآية متعلقة بما قبلها والمعنى والله لايحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم يبخلون به ولاينفقونه فى سبيل الله ووجوه الخير ولايكفيهم انهم بخلوا به حتى يأمرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لاتعلق له بما قبله وانها فى صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته ﴿ومن يتول﴾ قال ابن عباس عن الايمان ﴿فان الله هو الغنى﴾ اى عن عباده ﴿الحميد﴾ اى الى اوليائه * قوله عز وجل ﴿لقد ارسلنا رسلنا بالبينات﴾ اى بالدلالات والآيات والحجج ﴿وانزلنا معهم الكتاب﴾ اى المتضمن للاحكام وشرائع الدين ﴿والميزان﴾ يعنى العدل اى وامرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان هو الآلة التى يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ اى ليتعاملوا بينهم بالعدل ﴿وانزلنا الحديد﴾ قيل ان الله تعالى انزل مع آدم عليه الصلاة والسلام لما اهبط الى الارض السندان والمطرقة والكلبتين وروى عن ابن عمر يرفعه ان الله انزل اربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح وقيل انزلنا هنا بمعنى انشأنا واحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى اخرج لهم الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه ﴿فيه بأس شديد﴾ اى قوة شديدة فمنه جنة وهى آلة الدفع ومنه سلاح وهى آلة الضرب ﴿ومنافع للناس﴾ اى ومنه

(ويأمرون الناس بالبخل) فى التوراة بكتمان صفة محمد عليه السلام ونعته (ومن يتول) عن الايمان (فان الله هو الغنى) عن الايمان (الحميد) لمن وحده ويقال المحمود فى فعاله يشكر اليسير ويجزى الجزيل (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (وانزلنا معهم الكتاب) وانزلنا عليهم جبريل بالكتاب (والميزان) بينا فيه العدل (ليقوم) ليأخذ (الناس بالقسط) بالعدل (وانزلنا الحديد)خلقنا الحديد (فيه بأس شديد) قوة شديدة لاتلينه الا النار ويقال فيه بأس شديد للحرب والقتال (ومنافع للناس)لامتهم مثل السكاكين والفاس والمبرد وغير ذلك

ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها اوما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره) بالرسالة (ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة اعداء الدين وقال الزجاج ليعلم الله من يقاتل مع رسوله فى سبيله (بالغيب) غائبا عنهم (ان الله قوى) يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته (عزيز) يربط بعزته جاش من يتعرض لنصرته والمناسبة بين هذه الاشياء الثلاثة ان الكتاب قانون الشريعة ودستور الاحكام الدينية يبين سبل المراشد والعهود ويتضمن جوامع الاحكام والحدود ويأمر بالعدل والاحسان وينهى عن البغى والطغيان واستعمال العدل والاجتناب عن الظلم انما يقع بآلة يقع بها التعامل ويحصل بها التساوى والتعادل وهى الميزان ومن المعلوم ان الكتاب الجامع للاوامر الالهية والآلة الموضوعة للتعامل بالتسوية انما تحض العامة على اتباعهما بالسيف الذى هو حجة الله على من جحد وعند ونزع عن صفقة الجماعة اليد وهو الحديد الذى وصف بالبأس الشديد (ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم) خصا بالذكر لانهما ابوان للانبياء عليهم السلام (وجعلنا فى ذريتهما) اولادهما (النبوة والكتاب) الوحى وعن ابن عباس رضى الله عنهما الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فمنهم) فمن الذرية اومن المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين (مهتد وكثير منهم فاسقون) هذا تفصيل لحالهم اى فمنهم من اهتدى باتباع الرسل ومنهم من فسق اى خرج عن الطاعة والغلبة للفساق (ثم قفينا على آثارهم) اى نوح وابراهيم ومن مضى من الانبياء (برسلنا

اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها ﴿ وليعلم الله من ينصره ورسله ﴾ باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفار والعطف على محذوف دل عليه ماقبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف اى انزله ليعلم الله ﴿ بالغيب ﴾ حال من المستكن فى ينصره ﴿ ان الله قوى ﴾ على اهلاك من اراد اهلاكه ﴿ عزيز ﴾ لايفتقر الى نصرة وانما امرهم بالجهاد لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ﴿ ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط ﴿ فمنهم ﴾ فمن الذرية اومن المرسل اليهم وقد دل عليهم ارسلنا ﴿ مهتد وكثير منهم فاسقون ﴾ خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والدلالة على ان الغلبة للضلال ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا

ماينتفعون به فى مصالحهم كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلاغنى لاحد عنه ﴿ وليعلم الله ﴾ اى وارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله ﴿ من ينصره ﴾ اى من ينصر دينه ﴿ ورسله بالغيب ﴾ اى الذين لم يروا الله ولا الآخرة وانما يحمد ويثاب من اطاع بالغيب وقال ابن عباس ينصرونه ولايبصرونه ﴿ ان الله قوى ﴾ فى امره ﴿ عزيز ﴾ فى ملكه ﴿ ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ معناه انه تعالى شرف نوحا وابراهيم بالرسالة وجعل فى ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبى الا من نسلهما ﴿ فمنهم ﴾ اى من الذرية ﴿ مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا ﴾ اى اتبعنا ﴿ على آثارهم برسلنا ﴾ والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول الى ان انتهت

(وليعلم الله) لكى يرى الله (من ينصره ورسله بالغيب) بهذه الاسلحة (ان الله قوى) بنصرة اوليائه (عزيز) بنقمة اعدائه (ولقد ارسلنا نوحا) الى قومه بعد آدم بثمانمائة سنة فلبث فى قومه الف سنة الاخمسين عاما فلم يؤمنوا فاهلكهم الله بالطوفان (وابراهيم) وارسلنا ابراهيم الى قومه بعد نوح بالف ومائتى عام واثنتين واربعين سنة (وجعلنا فى ذريتهما) فى نسلهما نسل نوح وابراهيم (النبوة والكتاب) وكان فيهم الانبياء وفيهم الكتاب (فمنهم مهتد) مؤمن بالكتاب والرسول (وكثير منهم فاسقون) كافرون بالكتاب والرسول (ثم قفينا على آثارهم) اتبعنا واردفنا بعد نوح وابراهيم فى ذريتهما (برسلنا) بعضهم

وقفينابعيسى ابن مريم و آتيناه الانجيل وجعلنافى قلوب الذين اتبعوه رأفة) مودة ولينا (ورحمة) تعطفا على اخوانهم كما قال فى صفة اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم (ورهبانية ابتدعوها) هى ترهبهم فى الجبال فارين من الفتنة فى الدين مخلصين انفسهم للعبادة وهى الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية ابتدعوها اى اخرجوها من عند انفسهم ونذروها (ماكتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فمارعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لايحل نكثه (فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم) اى اهل الرأفة والرحمة والذين اتبعوا عيسى عليه السلام اوالذين آمنوا بمحمد صلى

وقفينا بعيسى ابن مريم ﴾ اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلا اليهم ومن عاصرهما من الرسل لاللذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية ﴿ وآتيناه الانجيل ﴾ وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل لانه اعجمى ﴿ وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ﴾ وقرئ رآفة على فعالة ﴿ ورحمة ورهبانية ابتدعوها ﴾ اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها اورهبانية مبتدعة على انها من المحمولات وهى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان ﴿ ماكتبناها عليهم ﴾ مافرضناها عليهم ﴿ الا ابتغاء رضوان الله ﴾ استثناء منقطع اى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ماكتبناها عليهم بمعنى ماتعبدناهم بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها اوابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لانهم اخترعوها من تلقاء انفسهم ﴿ فمارعوها ﴾ فمارعوها جميعا ﴿ حق رعايتها ﴾ بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها اليها ﴿ فآتينا الذين آمنوا ﴾ اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا على حقوقه ومن ذلك الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿ منهم ﴾ من المتسمين باتباعه ﴿ اجرهم

الرسالة الى عيسى ابن مريم وهو قوله تعالى ﴿ وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه ﴾ اى على دينه ﴿ رأفة ورحمة ﴾ يعنى انهم كانوا متوادين بعضهم لبعض ﴿ ورهبانية ابتدعوها ﴾ ليس هذا عطفا على ماقبله والمعنى انهم جاؤا بها من قبل انفسهم وهى ترهبهم فى الجبال والكهوف والغيران والديرة فروا من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق فى العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن فى المطعم والمشرب والملبس مع التقلل من ذلك ﴿ ماكتبناها عليهم ﴾ اى مافرضناها نحن عليهم ﴿ الا ابتغاء رضوان الله ﴾ اى لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله ﴿ فمارعوها حق رعايتها ﴾ يعنى انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا فى دين ملوكهم واقام اناس منهم على دين عيسى حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنوا به فذلك قوله تعالى ﴿ فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم ﴾ وهم الذين ثبتوا على الدين الصحيح

على اثر بعض (وقفينا على آثارهم) اتبعنا واردفنا بعد هؤلاء الرسل غير محمد عليه السلام (بعيسى ابن مريم وآتيناه) اعطيناه (الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) اتبعوا دين عيسى (رأفة) رقة وتعطفا يعطف بعضهم على بعض (ورحمة) يرحم بعضهم بعضا (ورهبانية ابتدعوها) اعدوا لها الصوامع والديور ليترهبوا فيها (و) ينجوا من فتنة بولس اليهودى (ماكتبناها عليهم) مافرضنا عليهم الرهبانية (الا ابتغاء رضوان الله) الاطلب رضا الله ويقال ابتدعوها وماابتدعوها الا ابتغاء رضوان الله ماكتبناها عليهم مافرضنا عليهم الرهبانية ولو فرضنا عليهم الرهبانية (فمارعوها) فماحفظوا الرهبانية (حق رعايتها) حق حفظها (فآتينا) فأعطينا (الذين آمنوا منهم) من الرهبان (اجرهم) ثوابهم مرتين

وكثير منهم فاسقون ﴾ خارجون عن حال الاتباع

﴿ وكثير منهم فاسقون ﴾ وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى صلى الله عليه وسلم * وروى البغوى باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا فى البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل فيهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم قال صلى الله عليه وسلم من آمن بى وصدقنى واتبعنى فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بى فاولئك هم الهالكون * وعنه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى يا ابن ام عبد هل تدرى من اين اخذت بنو اسرائيل الرهبانية قلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصى فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء فتنونا ولم يبق احد يدعو اليه تعالى فتعالوا لنتفرق فى الارض الى ان يبعث الله النبى الذى وعدنا عيسى به يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا فى غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها الى فآتينا الذين آمنوا منهم اى من الذين ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد اتدرى ما رهبانية امتى قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والصلاة والجهاد والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع * وروى عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد فى سبيل الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم جماعة مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم اودخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم القتل اويتركوا قراءة التوراة والانجيل الا مابدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيه ثم اعطونا شيأ نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وطائفة قالت دعونا نسيح فى الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا فى ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا دورا فى الفيافى ونحتفر الآبار ونحترث البقول ولا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من القبائل الاوله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم ممن غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون فى مكان فلان نتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لاعلم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم فذلك قول الله عز وجل

الله عليه وسلم (وكثير منهم فاسقون) الكافرون

بالايمان والعبادة وهم الذين لم يخالفوا دين عيسى ابن مريم وبقى منهم اربعة وعشرون رجلا فى اهل اليمن جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ودخلوا فى دينه (وكثير منهم) من الرهبان (فاسقون) كافرون وهم الذين خالفوا دين

﴿ يا ايها الذين آمنوا ﴾ بالرسل المتقدمة ﴿ اتقوا الله ﴾ فيما نهاكم عنه ﴿ و آمنوا برسوله ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ يؤتكم كفلين ﴾ نصيبين ﴿ من رحمته ﴾ لايمانكم بمحمد عليه الصلاة والسلام وايمانكم بمن قبله ولايبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا فى عصره ﴿ ويجعل لكم نورا تمشون به ﴾ يريد المذكور فى قوله يسعى نورهم او الهدى الذى يسلك به الى جناب القدس ﴿ ويغفر لكم ﴾ الكفر والمعاصى ﴿ والله غفور رحيم لئلا يعلم ﴾ اى ليعلموا ولامزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكى يعلم

ورهبانية ابتدعوها يعنى ابتدعها الصالحون فمارعوها حق رعايتها يعنى الآخرين الذين جاؤ من بعدهم فآتينا الذين آمنو منهم اجرهم يعنى الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون وهم الذين جاؤا من بعدهم فلمابعث النبى صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره فآمنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته اجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم له وقال ويجعل لكم نورا تمشون به القرآن واتباعهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم ان لايقدرون على شئ من فضل الله الآية اخرجه النسائى موقوفا على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها وذلك انهم تركوا الحق فأكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فمارعوها يعنى الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وهم اهل الرأفة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى قوله ابتغاء رضوان الله على هذا التأويل ماكتبناها عليهم لكن ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما امر به دون الترهب لانه لم يأمر به * قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾ الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى وعيسى اتقوا الله فى محمد و آمنوا به وهو قوله تعالى ﴿ و آمنوا برسوله ﴾ يعنى بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ يؤتكم كفلين ﴾ اى نصيبين ﴿ من رحمته ﴾ يعنى يؤتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ق) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه و آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق مواليه وحق الله ورجل كانت عنده امة يطؤها فادبها فاحسن تأديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران ﴿ ويجعل لكم نورا تمشون به ﴾ يعنى على الصراط وقال ابن عباس النور هو القرآن وقيل هو الهدى والبيان اى يجعل لكم سبيلا واضحا فى الدين تهتدون به ﴿ ويغفر لكم ﴾ اى ماسلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ والله غفور رحيم لئلا يعلم

(يا ايها الذين آمنوا) الخطاب لاهل الكتاب (اتقوا الله و آمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (يؤتكم) الله (كفلين) نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وايمانكم بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور فى قوله يسعى نورهم الآية (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله غفور رحيم لئلا يعلم) ليعلم

عيسى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) اخشوا الله (و آمنوا برسوله) اثبتوا على ايمانكم بالله ورسوله (يؤتكم) يعطكم (كفلين) ضعفين (من رحمته) من ثوابه وكرامته (ويجعل لكم نورا تمشون به) بين الناس وعلى الصراط (ويغفر لكم) ذنوبكم فى الجاهلية (والله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (لئلا يعلم)

(اهل)

ولان يعلم بادغام النون فى الياء ﴿ اهل الكتاب الايقدرون على شئ من فضل الله ﴾ ان هى المخففة والمعنى انه لاينالون شيئا مماذكر من فضله ولايتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به اولايقدرون على شئ من فضله فضلا عن ان يتصرفوا فى اعظمه وهوالنبوة فيخصوها بمن ارادوا ويؤيده قوله ﴿ وان الفضل بيدالله يؤتيه من يشاء والله ذوالفضل العظيم ﴾ وقيل لاغير مزيدة والمعنى لئلايعتقد اهل الكتاب انه لايقدر النبى والمؤمنون به على شئ من فضل الله ولاينالونه فيكون وان الفضل عطفا على لئلايعلم وقرئ ليلايعلم ووجهه ان الهمزة حذفت وادغمت النون

اهل الكتاب ﴾ قيل لما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين قالوا للمسلمين امامن آمن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابكم وكتابنا ومن لم يؤمن فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلايعلم اى ليعلم ولاصلة اهل الكتاب يعنى الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وحسدوا المؤمنين ﴿ ألا يقدرون ﴾ يعنى انهم لايقدرون ﴿ على شئ من فضل الله ﴾ والمعنى جعلنا الاجرين لمن آمن بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به انهم لااجرلهم ولا نصيب من فضل الله وقيل لما نزل فى مسلمى اهل الكتاب اولئك يؤتون اجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة الاجر فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلايعلم اهل الكتاب يعنى المؤمنين منهم ان لايقدرون على شئ من فضل الله ﴿ وان الفضل بيدالله ﴾ يعنى الذى خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل ان يكون الاجر الواحد اكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبى يقطع الايدى والارجل فلما خرج من العرب كفروا به فانزل الله هذه الآية فعلى هذا يكون فضل الله النبوة ﴿ يؤتيه من يشاء ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيدالله اى فى ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لانه قادر مختار ﴿ والله ذوالفضل العظيم ﴾ (خ) عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم على المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كابين صلاة العصر الى غروب الشمس اوتى اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتى اهل الانجيل الانجيل فعملوا الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القرآن فعملنا الى غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اى ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله تعالى هل ظلمتكم من اجركم شيأ قالوا لا قال فهو فضلى اوتيه من اشاء وفى رواية انما اجلكم فى اجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر

(اهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (ألا يقدرون) ان مخففة من الثقيلة اصله انه لايقدرون يعنى ان الشان لايقدرون (على شئ من فضل الله) اى لاينالون شيأ مما ذكر من فضل الله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط (وان الفضل) عطف على ان لايقدرون (بيدالله) اى فى ملكه و تصرفه (يؤتيه من يشاء) من عباده (والله ذوالفضل العظيم) والله اعلم

لكى يعلم (اهل الكتاب) عبدالله بن سلام واصحابه (ألا يقدرون على شئ من فضل الله) من ثواب الله (وان الفضل) الثواب والكرامة (بيدالله يؤتيه) يعطيه (من يشاء) من كان اهلا لذلك (والله ذوالفضل) ذوالمن (العظيم) على المؤمنين بالثواب والكرامة نزلت من قوله ياايها الذين آمنوا الى ههنا فى شأن عبدالله بن سلام حيث افتخر على ابى بن كعب واصحابه بان لنا اجرين ولكم اجر واحد

فى اللام ثم ابدلت ياء وقرى ليلا على ان الاصل فى الحروف المفردة الفتح * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله اجمعين

على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر الى غروب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين يعملون من صلاة العصر الى غروب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطاء قال الله عز وجل وهل ظلمتكم من حقكم شيأ قالوا لا قال فانه فضلى اصيب به من شئت اى اعطيه من شئت (ح) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له الى الليل على اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذى شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا اعملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذى جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية عملكم فان ما بقى من النهار شئ يسير فابوا فاستأجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور

والله سبحانه وتعالى اعلم

الجزء الثامن والعشرون

﴿ سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكى والباقى مدنى ﴾
﴿ وآيها ثنتان وعشرون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها

﴿ سورة المجادلة مدنية وهى اثنان وعشرون آية واربعمائة وثلاث ﴾
﴿ وسبعون كلمة والف وسبعمائة واثنان وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها ﴾ نزلت فى خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكان به لمم وكانت هى حسنة الجسم فارادها فابت عليه فقال لها انت على كظهر امى ثم ندم على ماقال وكان الظهار والايلاء من طلاق اهل الجاهلية فقال ما اظنك الاقد حرمت على فقالت والله ماذاك طلاق فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله ان زوجى اوس بن الصامت تزوجنى وانا شابة غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالى وافنى شبابى وتفرق اهلى وكبر سنى ظاهر منى وقد ندم فهل من شئ تجمعنى واياه وتنعشنى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة المجادلة مدنية وهى اثنان وعشرون آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قد سمع الله قول التى تجادلك) تحاورك وقرئ بها وهى خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت اخى عبادة رآها وهى تصلى وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فابت فغضب فظاهر منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان اوسا تزوجنى وانا شابة مرغوب فى فلما خلا سنى ونثرت بطنى اى كثر ولدى جعلنى عليه كامه وروى انها قالت ان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فقال صلى الله عليه وسلم ماعندى فى امرك شئ وروى انه قال لها حرمت عليه فقالت يارسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدى واحب الناس الى فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتى ووجدى كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت فنزلت (فى زوجها) فى شأنه ومعناه

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها المجادلة وهى كلها مدنية غير قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الاهو رابعهم فانها مكية آياتها اثنتان وعشرون وكلماتها اربعمائة وثلاثة وسبعون وحروفها الف وتسعمائة واثنان وتسعون ﴾ (حرمت)
(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (قد سمع الله) يقول قد سمع الله قبل ان اخبرك يامحمد (قول التى تجادلك) تخاصمك وتكلمك (فى زوجها) فى شان زوجها

وتشتكي الى الله ﴾ روى ان خولة بنت ثعلبة ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ماطلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول عليه السلام اوالمجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائى وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دالها فى السين ﴿ والله يسمع تحاوركما ﴾ تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ﴿ ان الله سميع بصير ﴾ للاقوال والاحوال ﴿ الذين يظهرون منكم من نسائهم ﴾ الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء انثى محرم وفى منكم تهجين لعادتهم فيه لانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر ﴿ ماهن امهاتهم ﴾

حرمت عليه فقالت يارسول الله والذى انزل عليك الكتاب ماذكر الطلاق وانه ابو ولدى واحب الناس الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتى ووحدتى قد طالت له صحبتى ونثرت له بطنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه ولم اومر فى شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتى ووحدتى وشدة حالى وان لى صبية صغارا ان ضممتهم الى جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك فرجى وهذا كان اول ظهار فى الاسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر فى امرى جعلنى الله فداءك يانبى الله فقالت عائشة اقصرى حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى اخذه مثل السبات فلما قضى الوحى قال ادعى لى زوجك فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الآية (ق) عن عائشة قالت الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته فى جانب البيت وما اسمع ما تقول فانزل الله قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكي الى الله الآية * واما تفسير الآية فقوله تعالى قد سمع الله قول التى تجادلك اى تحاورك وتخاصمك وتراجعك فى زوجها اى فى امر زوجها ﴿ وتشتكي الى الله ﴾ اى شدة حالها وفاقتها ووحدتها ﴿ والله يسمع تحاوركما ﴾ اى مراجعتكما الكلام ﴿ ان الله سميع ﴾ اى لمن يناجيه ويتضرع اليه ﴿ بصير ﴾ اى بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار فقال تعالى ﴿ الذين يظاهرون منكم من نسائهم ﴾ يعنى يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ﴿ ماهن امهاتهم ﴾ اى ما اللواتى تجعلونهن من زوجاتهن كالامهات بامهات والمعنى ليس هن

الكلام من حور اذا رجع (ان الله سميع) يسمع شكوى المضطر (بصير) بحاله (الذين يظاهرون) عاصم يظهرون حجازى وبصرى غيرهم يظاهرون وفى (منكم) توبيخ للعرب لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (من نسائهم) زوجاتهم (ماهن امهاتهم) امهاتهم المفضل والاول حجازى

(وتشتكي الى الله) تتضرع الى الله تعالى لتبيان امرها (والله يسمع تحاوركما) محاورتكما ومراجعتكما (ان الله سميع) لمقالتها (بصير) بامرها وذلك ان خولة بنت ثعلبة بن مالك بن الدخشم الانصارية كانت تحت اوس بن الصامت الانصارى وكان به لمم اى مس من الجن فاراد ان يأتيها على حال لاتؤتى عليها النساء فابت عليه فغضب وقال ان خرجت من البيت قبل ان افعل بك فانت على كظهر امى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) وهو ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى (ماهن امهاتهم) كامهاتهم

اى على الحقيقة ﴿ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم﴾ فلاتشبه بهن فى الحرمة الامن الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهو ايضا على لغة من ينصب ﴿وانهم ليقولون منكرا من القول﴾ اذالشرع انكره ﴿وزورا﴾ محرفا عن الحق فان الزوجة لاتشبه الام ﴿وان الله لعفو غفور﴾

بامهاتهم ﴿ان امهاتهم﴾ اى ما امهاتهم ﴿الا اللائى ولدنهم وانهم﴾ يعنى المظاهرين ﴿ليقولون منكرا من القول﴾ يعنى لايعرف فى الشرع ﴿وزورا﴾ يعنى كذبا وقيل انما وصفه بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة لاتحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم صار ذلك منكرا من القول وزورا ﴿وان الله لعفو غفور﴾ عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم

فصل فى احكام الظهار وفيه مسائل المسئلة الاولى

فى معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو من ظهر الانسان اذليس الظهر بامن سائر الاعضاء التى هى مواضع التلذذ والمباضعة فثبت بهذا انه مأخوذ من الظهر الذى هو العلو لان امرأة الرجل مركب له وظهر يدل عليه قول العرب فى الطلاق نزلت عن امرأتى اى طلقتها وفى قولهم انت على كظهر امى حذف واضمار لان تأويله ظهرك على اى ملكى اياك وعلوى عليك حرام كعلوى امى وعلوه عليها حرام

المسئلة الثانية

كان الظهار من اشد طلاق اهل الجاهلية لانه فى التحريم آكد ما يمكن فان كان ذلك الحكم صار مقررا بالشرع كانت الآية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل فى الشرائع لافى احكام الجاهلية وعاداتهم

المسئلة الثالثة

فى الالفاظ المستعملة لهذا المعنى فى الشريعة وعرف الفقهاء الاصل فى هذا قوله انت على كظهر امى وانت منى اومعى اوعندى كظهر امى وكذا لوقال انت على كبطن امى او كرأس امى اوكيد امى او قال بطنك او رأسك او يدك على كظهر امى اوشبه عضوا منها بعضو من اعضاء امه يكون ذلك ظهارا وقال ابوحنيفة ان شبهها ببطن امه اوبفرجها او بفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو غير هذه الاعضاء لايكون ظهارا ولو قال انت على كامى او كروح امى واراد به الاعزاز والاكرام لايكون ظهارا حتى ينويه ويريده ولو شبهها بجدته فقال انت على كظهر جدتى يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامرأة محرمة عليه بالقرابة بان قال انت على كظهر اختى اوعمتى او خالتى اوشبهها بامرأة محرمة عليه بالرضاع يكون ظهارا على الاصح

المسئلة الرابعة

فيمن يصح ظهاره قال الشافعى الضابط فى هذا ان كل من صح طلاقه صح ظهاره

والثانى تميمى (ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم) يريد ان الامهات على الحقيقة الوالدات والمرضعات ملحقات بالوالدات بواسطة الرضاع وكذا ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيادة حرمتهن واما الزوجات فابعد شئ من الامومة فلذا قال (وانهم ليقولون منكرا من القول) اى تنكره الحقيقة والاحكام الشرعية (وزورا) وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف

(ان امهاتهم) ما امهاتهم فى الحرمة (الا اللائى ولدنهم) او ارضعنهم (وانهم ليقولون منكرا) قبيحا (من القول) فى الظهار (وزورا) كذبا (وان الله لعفو) متجاوز اذلم يعاقبه بتحريم ما احل الله له (غفور) بعد توبته وندامته ثم بين كفارة الظهار فقال

لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه ﴿والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر عنهـا فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها عنه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار

فعلى هذا يصح ظهار الذمى وقال ابو حنيفة لا يصح احتج الشافعى بعموم قوله والذين يظاهرون من نسائهم واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب للمؤمنين فيدل على ان الظهار مخصوص بالمؤمنين واجيب عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مختص بالمؤمنين * قوله تعالى ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ﴾ يعنى يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن ﴿ ثم يعودون لما قالوا ﴾ اختلف العلماء فى معنى العود فى قوله ثم يعودون لما قالوا ولابد اولا من بيان اقوال اهل العربية ثم بيان اقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لافرق فى اللغة بين ان يقال يعودون لما قالوا وفيما قالوا وقال ابو على الفارسى كلمة الى واللام تتعاقبان كقوله واوحى الى نوح وبان ربك اوحى لها واما لفظة ما فى قوله لما فهى بمعنى الذى والمعنى يعودون الى الذى قالوا اوفى الذى قالوا وفيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم يعودون الى ذلك اللفظ الوجه الثانى ان المراد لما قالوا اى المقول فيه وهو الذى حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم يعودون لما قالوا اى يعودون الى شئ وذلك الشئ هو الذى قالوا فيه ذلك القول ثم اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل اى فعله مرة اخرى وعلى الوجه الثانى يجوز ان يقال عاد لما فعل اى نقض ما فعل وذلك ان من فعل شيأ ثم اراد ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من فعل شيأ ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بان يفعلوا مثله مرة اخرى ويحتمل ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعى ان معنى العود لما قالوا هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه لما ظاهر فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على انه ندم على ما ابتدأ به من التحريم فحينئذ تجب عليه الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثانى فى تفسير العود وهو قول ابى حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر اليها بالشهوة وذلك انه لما شبهها بالام فى حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان مناقضا لقوله انت على كظهر امى الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة عن العزم

منهم (والذين يظاهرون من نسائهم) بين فى الآية الاولى ان ذلك من قائله منكر وزور وبين فى الثانية حكم الظهار (ثم يعودون لما قالوا) العود الصيرورة ابتداء او بناء فمن الاول قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم ومن الثانى وان عدتم عدنا ويعدى بنفسه كقولك عدته اذا اتيته وصرت اليه وبحرف الجر بالى وعلى وفى واللام كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ومنه ثم يعودون لما قالوا اى يعودون لنقض ما قالوا او لتداركه على حذف المضاف وعن ثعلبة يعودون لتحليل ماحرموا على حذف المضاف ايضا غير انه اراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كقوله ونرثه ما يقول اراد المقول فيه وهو المال والولد ثم اختلفوا ان النقض بما ذا يحصل فعندنا بالعزم على الوطء وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة وعند الشافعى بمجرد الامساك وهو ان لا يطلقها عقيب الظهار (والذين يظاهرون من نسائهم) يحرمون على انفسهم مناكحة نسائهم (ثم يعودون لما قالوا) يرجعون الى تحليل ماحرموا على انفسهم من المناكحة

(فتحرير رقبة) فعليه عتق رقبة مؤمنة او كافرة ولم يجز مدبر وام ولد ومكاتب الذى ادى شيأ (من قبل ان يتماسا) الضمير يرجع الى مادل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها بشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (والله بما تعملون خبير) والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت على كظهر امى واذا وضع موضع انت عضوا منها يعبر به عن الجملة او مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم محرم منه بنسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت على كظهر اختى من الرضاع او عمتى من النسب او امرأة ابنى او ابى او ام امرأتى او بنتها فهو مظاهر واذا امتنع المظاهر من الكفارة للمرأة ان ترافعه وعلى القاضى ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شئ من الكفارات يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار لانه يضربها فى ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فان مس قبل ان يكفر استغفر الله ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستأنف عند ابى حنيفة رضى الله عنه (فمن لم يجد) (اى الرقبة (فصيام شهرين) فعليه صيام شهرين

فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او بمعنى بان يحلف على ماقال وهو قول ابى مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها ﴿ فتحرير رقبة ﴾ اى فعليهم او فالواجب عتق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل ﴿ من قبل ان يتماسا ﴾ ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر عنها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ﴿ ذلكم ﴾ اى ذلكم الحكم بالكفارة ﴿ توعظون به ﴾ لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة ويردع عنه ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ لا تخفى عليه خافية ﴿ فمن لم يجد ﴾ اى الرقبة والذى غاب ماله واجد ﴿ فصيام شهرين

على وطئها وهو قريب من قول ابى حنيفة الوجه الرابع وهو قول الحسن وقتادة وطاوس والزهرى ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطأها قال العلماء والعود المذكور هنا هو انه صالح للجماع او للعزم عليه او لاستباحته الا ان الذى قاله الشافعى هو اقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعليق الحكم عليه لانه هو الذى به يتحقق مسمى العود وما بقى فزيادة لا دليل عليه واما الاحتمال الاول فى قوله ثم يعودون اى يفعلون مثل ما فعلوه فعلى هذا الاحتمال فى الآية وجوه ايضا الاول قال مجاهد والثورى العود هو الاتيان بالظهار فى الاسلام وتجب الكفارة به والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه فى الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار فى الاسلام على خلاف حكمه عندهم فمعنى ثم يعودون لما قالوا اى الى الاسلام فيقولون فى الاسلام مثل ما كانوا يقولون فى الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثانى قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد عاد وان لم يكن عود وهذا قول اهل الظاهر واحتجوا عليه بان ظاهر قوله ثم يعودون لما قالوا يدل على اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه * وقوله تعالى ﴿فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا﴾ المراد بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امرأته التى ظاهر منها ما لم يكفر ﴿ذلكم توعظون به﴾ يعنى ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه ﴿ والله بما تعملون ﴾ اى من التكفير وتركه ﴿خبير﴾ ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى ﴿ فمن لم يجد ﴾ اى الرقبة ﴿فصيام شهرين﴾

(فتحرير رقبة) فعليه تحرير رقبة (من قبل ان يتماسا) يجامعها (ذلكم) التحرير (توعظون به) تؤمرون به الكفارة الظهار (والله بما تعملون) فى الظهار من الكفارة وغيرها (خبير فمن لم يجد) التحرير (فصيام) فصوم (شهرين

(متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع) الصيام (فاطعام) فعليه اطعام (ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من بر اوصاع من غيره ويجب ان يقدمه على المسيس ولكن لا يستأنف ان جامع فى خلال الاطعام (ذلك) البيان والتعليم للاحكام (لتؤمنوا) اى لتصدقوا (بالله ورسوله) فى العمل بشرائعه التى شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك) اى الاحكام التى وصفنا فى الظهار والكفارة (حدود الله) التى لايجوز تعديها (وللكافرين) الذين لايتبعونها (عذاب اليم) مؤلم

متتابعين من قبل ان يتماسا ﴾ فان افطر بغير عذر لزمه استئناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر عنها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك رضى الله تعالى عنهما ﴿ فمن لم يستطع ﴾ الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابى المفطر ان يعدل لاجله ﴿ فاطعام ستين مسكينا ﴾ ستين مدا بمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ماقيل فى الكفارات وجنسه المخرج فى الفطرة وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الاخرين او لجوازه فى خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه ﴿ ذلك ﴾ اى ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فى قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم ﴿ وتلك حدود الله ﴾ لايجوز تعديها ﴿ وللكافرين ﴾ اى الذين لايقبلونها ﴿ عذاب اليم ﴾ هو نظير قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين

اى فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين ﴿ متتابعين من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع ﴾ اى الصيام ﴿ ف ﴾ كفارته ﴿ اطعام ستين مسكينا ذلك ﴾ اى الفرض الذى وصفناه ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله ﴾ اى لتصدقوا الله فيما امر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن الله تعالى ﴿ وتلك حدود الله ﴾ يعنى ما وصف من الكفارة فى الظهار ﴿ وللكافرين ﴾ اى لمن جحد هذا وكذب به ﴿ عذاب اليم ﴾ اى فى نار جهنم يوم القيامة

فصل فى احكام الكفارة ومايتعلق بالظهار وفيه مسائل المسئلة الاولى

اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعى قولان احدهما انه يحرم الجماع فقط والقول الثانى وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول ابى حنيفة

المسئلة الثانية

اختلفوا فيمن ظاهر مرارا فقال الشافعى وابو حنيفة لكل ظهار كفارة الا ان يكون فى مجلس واحد واراد التكرار للتأكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من ظاهر من امرأته فى مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة

متتابعين) متصلين (من قبل ان يتماسا) يجامعا (فمن لم يستطع) الصيام من ضعفه (فاطعام ستين مسكينا) لكل مسكين نصف صاع من حنطة او صاع من شعير او تمر (ذلك) الذى بينت من كفارة الظهار (لتؤمنوا بالله ورسوله) لكى تقروا بفرائض الله وسنة رسوله (وتلك حدود الله) هذه احكام الله وفرائضه فى الظهار (وللكافرين) بحدود الله (عذاب اليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم نزل من اول السورة الى ههنا فى خولة بنت ثعلبة بن مالك الانصارية وزوجها اوس ابن الصامت اخى عبادة ابن الصامت غضب عليها فى بعض شئ من امرها فلم تفعل فجعلها على نفسه كظهر امه فندم على ذلك فبين الله له كفارة الظهار وقال له رسول الله اعتق رقبة فقال المال قليل والرقبة غالية فقال صم شهرين متتابعين فقال لا استطيع وانى ان لم آكل فى اليوم مرة او مرتين كل بصرى وخفت ان اموت فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اطعم ستين مسكينا فقال لا اجد فامر النبى له بمكتل من التمر وامره ان يدفعه للمساكين فقال لا اعلم احدا بين لابتى المدينة احوج اليه منى فامره باكله واطعم ستين مسكينا فرجع الى تحليل ما حرم على نفسه اعانه على ذلك النبى عليه السلام ورجل آخر

المسئلة الثالثة

الآية تدل على ايجاب الكفارة قبل المماسة سواء اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالاطعام وعند مالك ان اراد التكفير بالاطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم بما قبل المسيس ولم يقل فى الاطعام من قبل ان يتماسا فدل على ذلك وعند الآخرين الاطلاق فى الاطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابى حنيفة والشافعى واحمد وسفيان وقال بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدى

المسئلة الرابعة

كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزى سواء كانت مؤمنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة فهذا اللفظ يفيد العموم فى جميع الرقاب دليلنا انا اجمعنا على ان الرقبة فى كفارة القتل مقيدة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى

المسئلة الخامسة

الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسى النية يجب عليه استئناف الشهرين ولو شرع فى الصوم ثم جامع فى خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب عليه استئناف الشهرين وعند ابى حنيفه يجب عليه استئناف الشهرين

المسئلة السادسة

ان عجز عن الصوم لمرض او كبر او فرط شهوة بحيث لا يصبر على الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا كل مسكين مد من الطعام الذى يقتات به اهل البلد من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر او نحو ذلك وقال ابو حنيفة يعطى لكل مسكين نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من تمر او صاعا من شعير ولو اطعم مسكينا واحدا ستين جزأ لا يجزيه عند الشافعى وقال ابو حنيفة يجزيه حجة الشافعى ظاهر الآية وهو ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الآية وحجة ابى حنيفة ان المقصود دفع الحاجة وهو حاصل واجيب عنه بان ادخال السرور على قلب ستين مسكينا اولى من ادخال السرور على قلب مسكين واحد

المسئلة السابعة

اذا كانت له رقبة الا انه محتاج الى الخدمة او له ثمن الرقبة لكنه محتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعى يلزمه الاعتاق اذا كان واجدا للرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة ان كان واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة لكنه محتاج اليه فله ان يصوم

﴿ المسئلة ﴾

﴿ ان الذين يحادون الله ورسوله ﴾ يعادونهما فان كلا من المتعاديين فى حد غير حد الآخر اويضعون اويختارون حدودا غير حدودهما

المسئلة الثامنة

قال اصحاب الشافعى الشبق المفرط والغلمة الهائجة عذر فى الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ماروى عن سلمة بن صخر البياضى قال كنت امرأ اصيب من النساء ما لايصيب غيرى فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من امرأتى شيأ تتابع بى حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما هى تخدمنى ذات ليلة اذا نكشف لى منها شئ فمالبثت ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومى فأخبرتهم الخبر قال فقلت امشوا معى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاوالله فانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذاك ياسلمة قلت انا بذاك يارسول الله مرتين وانا صابر لامر الله فاحكم بما امرك الله به قال حرر رقبة قلت والذى بعثك بالحق نبيا ماالملك رقبة غيرها وضربت صفحة رقبتى قال فصم شهرين متتابعين قال وهل اصبت الذى اصبت الا من الصيام قال فأطعم وسقا من تمر ستين مسكينا قلت والذى بعثك بالحق نبيا لقد بتنا وحشين لانملك لنا طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقه بنى زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومى فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأى ووجدت عند النبى صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الرأى وقد امرلى بصدقتكم * وبنو بياضة بطن من بنى زريق اخرجه ابو داود . قوله نزوت عليها اى وثبت عليها واراد به الجماع . وقوله تتابع بى التتابع الوقوع فى الشر واللجاج فيه . والوسق ستون صاعا . وقوله وحشين يقال رجل وحش اذا لم يكن له طعام واوحش الرجل اذا جاع * وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر منى زوجى اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلنى فيه ويقول اتقى الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القرآن قدسمع الله قول التى تجادلك فى زوجها الى الفرض فقال يعتق رقبة قالت لايجد قال فليصم شهرين متتابعين قلت يارسول الله انه شيخ كبير مابه من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قالت ماعنده شئ يتصدق به قال فانى سأعينه بعرق من تمر قالت يارسول الله وانا اعينه بعرق آخر قال قد احسنت اذهبى فاطعمى بها عنه ستين مسكينا وارجعى الى ابن عمك اخرجه ابوداود . وفى رواية قالت ان اوسا ظاهر منى وذكرت ان به لمما وقالت والذى بعثك بالحق ماجئتك الا رحمة له ان له فى منافع وذكرت نحوه . العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا . وقولها ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابى ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان به ذلك ثم ظاهر فى تلك الحال لم يلزمه شئ بل معنى اللمم ههنا الالمام بالنساء وشدة الحرص والشبق والله اعلم * قوله عز وجل ﴿ ان الذين يحادون الله ورسوله ﴾

(ان الذين يحادون الله ورسوله) يعادون ويشاقون

(ان الذين يحادون الله ورسوله) يخالفون الله ورسوله فى الدين ويعادونه

(كبتوا) اخزوا واهلكوا (كما كبت الذين من قبلهم) من اعداء الرسل (وقد انزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بمهين وباضمار اذكر تعظيما لليوم (الله جميعا) كلهم لا يترك منهم احدا غير مبعوث او مجتمعين في حال واحدة (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزى على رؤس الاشهاد (احصاه الله) احاط به عددا لم يفته منه شئ (ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه وانما تحفظ معظمات الامور (والله على كل شئ شهيد) لا يغيب عنه شئ (الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون) من كان التامة اى ما يقع (من نجوى ثلثة) النجوى التناجى وقد اضيفت الى ثلاثة اى من نجوى ثلاثة نفر (الا هو) اى الله (رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم

﴿كبتوا﴾ اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ يعنى كفار الامم الماضية ﴿وقد انزلنا آيات بينات﴾ تدل على صدق الرسول وما جاء به ﴿وللكافرين عذاب مهين﴾ يذهب عزهم وتكبرهم ﴿يوم يبعثهم الله﴾ منصوب بمهين او باضمار اذكر ﴿جميعا﴾ كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ اى على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم ﴿احصاه الله﴾ احاط به عددا لم يغب منه شئ ﴿ونسوه﴾ لكثرته وتهاونهم به ﴿والله على كل شئ شهيد﴾ لا يغيب عنه شئ ﴿الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض﴾ كليا وجزئيا ﴿ما يكون من نجوى ثلثة﴾ ما يقع من تناجى ثلثة ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهى ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد ان يطلع عليه ﴿الا هو رابعهم﴾ الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم فى الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ﴿ولا خمسة﴾ ولا نجوى خمسة ﴿الا هو سادسهم﴾ وتخصيص العددين لخصوص الواقعة فان الآية نزلت فى تناجى

اى يعادون الله ورسوله ويشاقون ويخالفون امرهما ﴿كبتوا﴾ اى ذلوا واخزوا واهلكوا ﴿كما كبت الذين من قبلهم﴾ اى كما اخزى من كان قبلهم من اهل الشرك ﴿وقد انزلنا آيات بينات﴾ يعنى فرائض واحكاما ﴿وللكافرين﴾ اى الذين لم يعملوا بها وجحدوها ﴿عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه الله﴾ اى حفظ الله اعمالهم ﴿ونسوه﴾ اى نسوا ما كانوا يعملون فى الدنيا ﴿والله على كل شئ شهيد﴾ * قوله تعالى ﴿الم تر﴾ اى الم تعلم ﴿ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا تخفى عليه خافية فى الارض ولا فى السموات ثم اكد ذلك بقوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلثة﴾ اى من اسرار ثلاثة وهى المسارة والمشاورة والمعنى ما من شئ يناجى به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا ﴿الا هو رابعهم﴾ اى بالعلم يعنى يعلم نجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع الذى يكون معهم ﴿ولا خمسة الا هو سادسهم﴾ فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة

(كبتوا) عذبوا واخزوا يوم الخندق بالقتل والهزيمة وهم اهل مكة (كما كبت) عذب واخزى (الذين من قبلهم) يعنى الذين قاتلوا الانبياء قبل اهل مكة (وقد انزلنا آيات بينات) جبريل بآيات مبينات بالامر والنهى والحلال والحرام (وللكافرين) بآيات الله (عذاب مهين) يهانون به ويقال (فات) عذاب شديد (يوم يبعثهم الله جميعا) جميع اهل الاديان (فينبئهم) يخبرهم (بما عملوا) فى الدنيا (احصاه الله) حفظ الله عليهم اعمالهم (ونسوه) تركوا طاعة الله التى امرهم الله بها (والله على كل شئ) من اعمالهم (شهيد الم تر) الم تخبر فى القرآن يا محمد (ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض) من الخلق (ما يكون من نجوى) تناجى (ثلثة الا هو رابعهم) الا الله عالم بهم وباعمالهم وبمناجاتهم (ولا خمسة الا هو سادسهم) الا الله عالم بهم وبمناجاتهم

ولاادنى) ولااقل (من ذلك ولااكثر الاهو معهم) يعلم مايتناجون به ولايخفى عليه ماهم فيه وقد تعالى عن المكان علوا كبيرا وتخصيص الثلاثة والخمسة لانها نزلت فى المنافقين وكانوا يتحلقون للتناجى مغايظة للمؤمنين على هذين العددين وقيل ما تناجى منهم ثلاثة ولاخمسة ولاادنى من عدديهم ولا

المنافقين اولان الله تعالى وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار اولان التشاور لابدله من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون اوتأويل نجوى بمتناجين ﴿ ولاادنى من ذلك ﴾ ولااقل مما ذكر كالواحد والاثنين ﴿ ولااكثر ﴾ كالستة ومافوقها ﴿ الاهو معهم ﴾ يعلم مايجرى بينهم وقرأ يعقوب ولااكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لاادنى بان جعلت لا لنفى الجنس ﴿ اينما كانوا ﴾ فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ﴿ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ﴾ تفضيحا لهم وتقريرا لما يستحقونه من الجزاء ﴿ ان الله بكل شئ عليم ﴾ لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على السواء ﴿ الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾ نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم ﴿ ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾

قلت اقل مايكفى فى المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون اثنان كالمتنازعين فى النفى والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمد تلك المشاورة ويتم ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة لابد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول وقيل ان العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا خص الله تعالى الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى ﴿ولاادنى من ذلك ولااكثر﴾ يعنى ولااقل من ثلاثة وخمسة ولااكثر من ذلك العدد ﴿ الاهو معهم اينما كانوا ﴾ اى بالعلم والقدرة ﴿ ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة ان الله بكل شئ عليم ﴾ * قوله عز وجل ﴿ الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ﴾ نزلت فى اليهود والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغامزون باعينهم ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون بما يسوءهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ماتراهم الاقد بلغهم عن اخواننا الذين خرجوا فى السرايا قتل اوهزيمة فيقع ذلك فى قلوبهم ويحزنهم فلما طال على المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لايتناجوا دون المؤمنين فلم ينتهوا فانزل الله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اى المناجاة فيما بينهم ﴿ ثم يعودون لما نهوا عنه ﴾ اى يرجعون الى المناجاة التى نهوا عنها ﴿ ويتناجون بالاثم والعدوان ﴾ يعنى ذلك السر الذى كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين اوشئ يسوءهم وكلاهما اثم وعدوان ﴿ ومعصيت الرسول ﴾ وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن

اكثر الا والله معهم يسمع مايقولون ولان اهل التناجى فى العادة طائفة من اهل الرأى والتجارب واول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى مااقتضته الحال فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال لاادنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولااكثر فدل على ما يقارب هذا العدد (اينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة) فيجازيهم عليه (ان الله بكل شئ عليم الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) كانت اليهود

(ولاادنى من ذلك) ولا اقل من ذلك (ولااكثر الاهو معهم) عالم بهم وبمناجاتهم (اينما كانوا ثم ينبئهم) يخبرهم (بما عملوا) فى الدنيا (يوم القيمة ان الله بكل شئ) من اعمالهم ومناجاتهم (عليم) نزلت هذه الآية فى صفوان بن امية وختنه وقصتهم مذكورة فى سورة حم السجدة (الم تر) الم تنظر يا محمد (الى الذين نهوا عن النجوى) دون المؤمنين المخلصين (ثم يعودون لما نهوا عنه) من النجوى دون المؤمنين المخلصين (ويتناجون) فيما بينهم (بالاثم) بالكذب (والعدوان) والظلم (ومعصيت الرسول) بمخالفة الرسول بعد نهاهم النبي عليه السلام وهم

والمنافقون يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين ويريدون ان يغيظوهم ويوهموهم فى نجواهم وتغامزهم ان غزاتهم غلبوا وان اقاربهم قتلوا فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وينتجون حمزة وهو بمعنى الاول (واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) يعنى انهم يقولون فى تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا ايها الرسول ويا ايها النبى (ويقولون فى انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) اى يقولون فيما بينهم لو كان نبيا لعاقبنا الله بما نقول فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يصلونها) حال اى يدخلونها (فبئس المصير) المرجع جهنم (يا ايها الذين آمنوا) بالسنتهم وهو خطاب للمنافقين والظاهر انه خطاب المنافقون كانوا يتناجون فيما بينهم مع اليهود فى خبر سرايا المؤمنين لكى يحزن بذلك المؤمنون (واذا جاؤك) يعنى اليهود (حيوك بما لم يحيك به الله) سلموا عليك سلاما لم يسلمه الله عليك ولم يأمرك به وكانوا يجيؤن الى النبى صلى الله عليه وسلم (ويقولون) السام عليك فيرد عليهم النبى عليه السلام عليكم السام وكان السام بلغتهم الموت ويقولون (فى انفسهم) فيما بينهم (لولا) هلا (يعذبنا الله بما نقول) نبيه لو كان نبيا (اذا) كما يزعم لكان دعاؤه مستجابا علينا حيث نقول السام عليك فيرد علينا عليكم السام فانزل الله فيهم (حسبهم) مصيرهم مصير اليهود فى الآخرة (جهنم يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) صاروا اليه النار (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن

اى بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروى عن يعقوب مثله وهو يفتعلون من النجوى ﴿واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله﴾ فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ﴿ويقولون فى انفسهم﴾ فيما بينهم ﴿لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا ﴿حسبهم جهنم﴾ عذابا ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المصير﴾ جهنم ﴿يا ايها الذين آمنوا

النجوى فعصوه وعادوا اليها وقيل معناه يوصى بعضهم بعضا بمعصية الرسول ﴿واذا جاؤك﴾ يعنى اليهود ﴿حيوك بما لم يحيك به الله﴾ وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه انهم يسلمون عليه وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم ﴿ويقولون فى انفسهم﴾ يعنى اذا خرجوا من عنده قالوا ﴿لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول من الاستخفاف به قال الله تعالى ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾ المعنى ان تقديم العذاب انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم يوم القيمة كافيهم (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم وللبخارى ان اليهود اتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع ما قالوا قال اولم تسمعى ما قلت رددت عليهم فيستجاب لى فيهم ولا يستجاب لهم فى السام الموت قال الخطابى عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو فى وعليكم وكان سفيان بن عيينه يرويه بغير واو قال وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذى قالوه مردودا عليهم بعينه واذا اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق والفحش الردئ من القول * قوله تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا

للمؤمنين (اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول) اى اذا تناجيتم فلا تشبهوا باليهود والمنافقين فى تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر) باداء الفرائض والطاعات (والتقوى) وترك المعاصى (واتقوا الله الذى اليه تحشرون) للحساب فيجازيكم بما تتناجون به من خير اوشر (انما النجوى) بالاثم والعدوان (من الشيطان) من تزيينه (ليحزن) اى الشيطان وبضم الياء نافع (الذين آمنوا وليس) الشيطان او الحزن (يضارهم شيأ الا باذن الله) بعلمه وقضائه وقدره (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) اى يكلون امرهم الى الله ويستعيذون به من الشيطان (ياايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجلس) توسعوا فيه فى المجالس عاصم ونافع والمراد مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه

اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴾ كما يفعل المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى ﴾ بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول ﴿ واتقوا الله الذى اليه تحشرون ﴾ فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه ﴿ انما النجوى ﴾ اى النجوى بالاثم والعدوان ﴿ من الشيطان ﴾ فانه المزين لها والحامل عليها ﴿ ليحزن الذين آمنوا ﴾ بتوهمهم لانها فى نكبة اصابتهم ﴿ وليس ﴾ الشيطان او التناجى ﴿ بضارهم ﴾ بضار المؤمنين ﴿ شيئا الا باذن الله ﴾ الا بمشيئته ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ ولا يبالوا بنجواهم ﴿ ياايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس ﴾ توسعوا فيه وليفسح بعضكم

اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول ﴾ فى المخاطبين بهذه الآية قولان احدهما انه خطاب للمؤمنين وذلك انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بان نهى المؤمنين ان يسلكوا مثل طريقهم وان يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما اقبح من القول والعدوان وهو ما يؤدى الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا عليه والقول الثانى وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى ياايها الذين آمنوا بالسنتهم وقيل آمنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴿ وتناجوا بالبر والتقوى ﴾ اى بالطاعة وترك المعصية ﴿ واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ﴾ اى من تزيين الشيطان وهو ما يأمرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول ﴿ ليحزن الذين آمنوا ﴾ اى انما زين ذلك ليحزن المؤمنين (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود فى رواية فان ذلك يحزنه وهذه الزيادة لابى داود ﴿ وليس بضارهم شيئا ﴾ يعنى ذلك التناجى وقيل الشيطان ليس بضارهم شيئا ﴿ الا باذن الله ﴾ اى الا بارادة الله تعالى وقيل الا باذن الله فى الضر ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ اى فليكل المؤمنون امرهم الى الله تعالى ويستعيذوا به من الشيطان فان من توكل على الله لا يخيب امله ولا يبطل سعيه * قوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس

(اذا تناجيتم) فيما بينكم (فلا تتناجوا بالاثم) بالكذب (والعدوان) بالظلم (ومعصيت الرسول) بخلاف امر الرسول كمناجاة المنافقين مع اليهود دون المؤمنين الخاصين (وتناجوا بالبر) باداء فرائض الله واحسان بعضكم الى بعض (والتقوى) ترك المعاصى والجفاء (واتقوا الله) اخشوا الله فى ان تتناجوا دون المؤمنين الخاصين (الذى اليه تحشرون) فى الآخرة (انما النجوى) نجوى المنافقين مع اليهود دون المؤمنين (من الشيطان) من طاعة الشيطان وبامر الشيطان (ليحزن الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وليس بضارهم) بضار المؤمنين مناجاة المنافقين (شيأ الا باذن الله) بارادة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله لا على غيره (ياايها الذين آمنوا اذا قيل لكم) اذا قال لكم النبى عليه السلام (تفسحوا) توسعوا (فى المجالس

وقيل هو المجالس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال مقاتل في صلاة الجمعة (فافسحوا)

فوسعوا (يفسح الله لكم) مطلق في كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه

من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (واذا قيل انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه او انهضوا الى الصلاة والجهاد وعمل

فافسحوا) وسعوا (يفسح الله) يوسع الله (لكم) في الآخرة في الجنة نزلت هذه الآية في شأن ثابت بن قيس ابن شماس وقصته في سورة الحجرات ويقال نزلت في نفر من اهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي جالسا في صفة ضيقة يوم الجمعة فلم يجدوا مكانا يجلسون فيه فقاموا على رأس المجلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمن لم يكن من اهل بدر يافلان قم ويا فلان قم من مكانك ليجلس فيه من كان من اهل بدر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم اهل بدر فعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية لمن اقامه من المجلس فنزل الله فيهم هذه الآية (واذا قيل انشزوا) (فانشزوا) ارتفعوا في الصلاة والجهاد والذكر

عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بمجلس الجنس ويدل عليه قراءة عاصم المجالس بالجمع وهي مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يتضامون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه ﴿ فافسحوا يفسح الله لكم ﴾ فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها ﴿ واذا قيل انشزوا ﴾ انهضوا وافسحوا ﴿ الآية قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا حيال النبي صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يافلان وانت يافلان فقام من المجلس بقدر اولئك النفر الذين كانوا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجوههم فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا رأوا من جاءهم مقبلا تضاموا في مجالسهم فامرهم الله ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله المؤمنين بالتواضع وان يفسحوا في المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليساوي الناس في الاخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه يفسح كل رجل في مجلسه فافسحوا اي فوسعوا في المجلس امروا ان يوسعوا في المجالس لغيرهم ﴿ يفسح الله لكم ﴾ اي يوسع الله لكم في الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر بن عبد الله قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن يقول افسحوا اذكره الحميدي في افراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدي وقيل في معنى الآية ان هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل يأتي القوم وهم في الصف فيقول توسعوا فيأبون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فامروا ان يوسعوا لاخوانهم لان الرجل الشديد البأس قد يكون متأخرا عن الصف الاول والحاجة داعية الى تقدمه فلابد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقرآن والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير والراحة وسع الله عليه خيري الدنيا والآخرة ﴿ واذا قيل انشزوا

الخير (فانشزوا) بالضم فيهما مدنى وشامى وعاصم غير حماد (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بامتثال اوامره واوامر رسوله (والذين اوتوا العلم) والعالمين منهم خاصة (درجات والله بما تعملون خبير) وفى الدرجات قولان احدهما فى الدنيا فى المرتبة والشرف والآخر فى الآخرة وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه كان

للتوسعة اولما امرتم به كصلاة اوجهاد اوارتفعوا فى المجالس ﴿ فانشزوا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم ﴾ بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوائهم غرف الجنان فى الآخرة ﴿ والذين اوتوا العلم درجات ﴾ ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى للعمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ تهديد لمن لم يمتثل الامر اواستكرهه

فانشزوا ﴾ اى اذا قيل ارتفعوا عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان رجال يتثاقلون عن الصلاة فى الجماعة اذا نودى لها فانزل الله تعالى هذه الآية والمعنى اذا نودى الى الصلاة فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فانهضوا اليه ولا تقصروا عنه ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم ﴾ اى بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال اوامره فى قيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم ﴿ والذين اوتوا العلم ﴾ اى ويرفع الذين اوتوا العلم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم ﴿ درجات ﴾ اى على من سواهم فى الجنة قيل يقال للمؤمن الذى ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف فاشفع فى الناس اخبر الله عز وجل ان رسوله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من اهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام ﴿ والله بما تعملون خبير ﴾ قال الحسن قرأ ابن مسعود هذه الآية وقال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق المؤمن الذى ليس بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعمله من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم فى اقواله وفى افعاله كلها * عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على ابى الدرداء وهو بدمشق فقال ما اقدمك يا اخى قال حديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما جئت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت فى تجارة قال لا قال ماجئت الا فى طلب هذا الحديث قال نعم قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغى فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الارض حتى الحيتان فى الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان

اذا قرأها قال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه صلى الله عليه وسلم عبادة العالم يوما واحدا تعدل عبادة العابد اربعين سنة وعنه صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطى المال والملك معه وقال صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم انى عليم احب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى اى شئ ادرك من فاته العلم واى شئ فات من ادرك العلم وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه الا

(فانشزوا) فارتفعوا (يرفع الله الذين آمنوا منكم) فى السر والعلانية فى الدرجات (والذين اوتوا العلم) اعطوا العلم مع الايمان (درجات) فضائل فى الجنة فوق درجات الذين اوتوا الايمان بغير علم اذ المؤمن العالم افضل من المؤمن الذى ليس بعالم (والله بما تعملون) من الخير والشر (خبير

﴿ياايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة﴾ فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وانتفاع الفقراء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذى ولابى داود نحوه (ق) عن معاوية بن ابى سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذى * وروى البغوى بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فى مسجده احد المجلسين يدعون الى الله ويرغبون اليه والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الى الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهؤلاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم * قوله تعالى ﴿ياايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة﴾ يعنى اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا امام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الانسان اذا وجد الشئ بمشقة استعظمه وان وجده بسهولة استحقره ونفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المقدمة قبل المناجاة قال ابن عباس ان الناس سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شق عليه فاراد الله تعالى ان يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك وامرهم ان يقدموا صدقة على مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء واهل العسرة فلم يجدوا شيأ واما الاغنياء واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الرخصة وقال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا على بن ابى طالب تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان على يقول آية فى كتاب الله لم يعمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى وهى آية المناجاة * وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت ياايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ماترى دينارا قلت لايطيقونه قال فنصف دينار قلت لايطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد قال فنزلت أاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات الآية قال فبى خفف الله عن هذه الامة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * قوله قلت شعيرة اى وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعنى قليل المال قدرت على قدر حالك قلت فى هذه الآية منقبة عظيمة لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه اذ لم يعمل بها احد

(غيره)

ذكوره الرجال والعلوم انواع واشرفها اشرفها معلوما (يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول) اذا اردتم مناجاته (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) اى قبل نجواكم وهى استعارة ممن له يدان كقول عمر رضى الله عنه افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد ياايها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (اذا ناجيتم) اذا كلمتم (الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) نزلت هذه الآية فى اهل الميسرة منهم من كانوا يكثرون المناجاة مع الرسول صلى الله عليه وسلم دون الفقراء حتى تأذى بذلك النبى صلى الله عليه وسلم والفقراء فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالصدقة قبل ان يتناجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم بكل كلمة ان يتصدقوا بدرهم على الفقراء فقيل ياايها الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن اذا ناجيتم اذ كلمتم الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم فقدموا بين يدى نجواكم صدقة قبل ان تكلموا نبيكم تصدقوا

قبل حاجته (ذلك) التقديم (خير لكم) فى دينكم (واطهر) لان الصدقة طهرة (فان لم تجدوا) ما تتصدقون به (فان الله غفور رحيم) فى ترخيص المناجاه من غير صدقة قيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ وقال على رضى الله عنه هذه آية من كتاب الله ما عمل بها احد قبلى ولا يعمل بها احد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم و سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر مسائل فاجابنى عنها قلت يا رسول الله ما الوفاء قال التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله

قلت وما الفساد قال الكفر والشرك بالله قلت وما الحق قال الاسلام والقرآن والولاية اذا انتهت اليك قلت وما الحيلة قال ترك الحيلة قلت وما على قال طاعة الله وطاعة رسوله قلت وكيف ادعو الله قال بالصدق واليقين قلت وماذا اسأل الله قال العافية قلت وما اصنع لنجاة نفسى قال كل حلالا وقل صدقا قلت وما السرور قال الجنة قلت وما الراحة قال لقاء الله فلما فرغت منها نزل نسخها (أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذى تكرهونه (فاذ لم تفعلوا) ما امرتم به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) اى خفف عنكم وازال عنكم المؤاخذة بترك تقديم الصدقة على المناجاة كما ازال المؤاخذة بالذنب عن التائب

الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب اوللوجوب لكنه منسوخ بقوله أأشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة ولم يتصل به نزولا وعن على رضى الله تعالى عنه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح فى غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا و ساعة ﴿ ذلك ﴾ اى ذلك التصدق ﴿ خير لكم واطهر ﴾ اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله ﴿ فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ﴾ اى لمن لم يجد حيث رخص له فى المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ﴿ أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات ﴾ اخفتم الفقر من تقديم الصدقة اواخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين اولكثرة التناجى ﴿ فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ﴾ بان رخص غيره قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الآية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن العمل بها وعلى تقدير اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سببا لحزن الفقراء اذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه آخر وهو ان هذه المناجاة لم تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاه ولما كانت هذه المناجاة اولى بان تترك لم يعملوا بها وليس فيها طعن على احد منهم * وقوله ﴿ ذلك خير لكم ﴾ يعنى تقديم الصدقة على المناجاة لما فيه من طاعة الله وطاعة رسوله ﴿ واطهر ﴾ اى لذنوبكم ﴿ فان لم تجدوا ﴾ يعنى الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ يعنى انه تعالى رفع عنهم ذلك ﴿ أأشفقتم ﴾ قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله ﴿ ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا ﴾ اى ما امرتم به ﴿ وتاب الله عليكم ﴾ اى تجاوز عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر

بكل كلمة درهما (ذلك) الصدقة (ق م خا ٢٧ ب) (خير لكم) من الامساك (واطهر) لقلوبكم من الذنوب ويقال لقلوب الفقراء من الخشونة (فان لم تجدوا) الصدقة يا اهل الفقر فتكلموا مع رسول الله عليه السلام بما شئتم بغير التصدق (فان الله غفور) متجاوز لذنوبكم (رحيم) لمن تاب منكم فانتهوا عن المناجاة اقبل الصدقة فلامهم الله بذلك فقال (أأشفقتم) ابخلتم يا اهل الميسرة (ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) ان تصدقوا قبل ان تكلموا النبى صلى الله عليه وسلم على الفقراء (فاذ لم تفعلوا) ان لم تعطوا الصدقه (وتاب الله عليكم) تجاوز الله

عنه (فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله) اى فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (والله خبير بما تعملون) وهذا وعد ووعيد (الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله من لعنه الله وغضب عليه وينقلون اليهم اسرار المؤمنين (ماهم منكم) يامسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود كقوله مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) اى يقولون والله انا لمسلمون لا منافقون (وهم يعلمون) انهم كاذبون منافقون (اعد الله لهم عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) اى انهم كانوا فى الزمان الماضى مصرين

عنكم امر الصدقة (فاقيموا الصلوة) اتموا الصلوات الخمس (وآتوا الزكوة) اعطوا زكاة اموالكم (واطيعوا الله) فيما امركم (ورسوله) فيما يأمركم (والله خبير بما تعملون) من الخير والشر فلم يتصدق منهم احد غير على بن ابى طالب تصدق بدينار باعه بعشرة دراهم بعشر كلمات سالهن النبى صلى الله عليه وسلم ثم نزل فى شان عبد الله ابن ابى واصحابه بولايتهم مع اليهود فقال (الم تر) الم تنظر يا محمد (الى الذين تولوا) فى العون والنصرة (قوما) يعنى اليهود (غضب الله عليهم) سخط الله عليهم (ماهم) يعنى المنافقين (منكم) فى السر فيجب لهم ما يجب لكم (ولا منهم) يعنى اليهود فى العلانية فيجب عليهم ما يجب على اليهود (ويحلفون على الكذب) بالكذب بانا مؤمنون مصدقون بايماننا (وهم يعلمون) انهم كاذبون فى حلفهم (أعد الله لهم) للمنافقين عبد الله بن ابى واصحابه (عذابا شديدا) فى الدنيا والآخرة (انهم ساء ما كانوا يعملون) بئسما كانوا يصنعون فى نفاقهم

لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا او ان ﴿ فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ﴾ فلا تفرطوا فى ادائهما ﴿ واطيعوا الله ورسوله ﴾ فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ ظاهرا وباطنا ﴿ الم تر الى الذين تولوا ﴾ والوا ﴿ قوما غضب الله عليهم ﴾ يعنى اليهود ﴿ ماهم منكم ولا منهم ﴾ لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ﴿ ويحلفون على الكذب ﴾ وهو ادعاء الاسلام ﴿ وهم يعلمون ﴾ ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه عليه الصلاة والسلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام له علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت ﴿ اعد الله لهم عذابا شديدا ﴾ نوعا من العذاب متفاقما ﴿ انهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ فتمرنوا على سوء العمل

ليال ثم نسخ وقال الكلبى ما كان الا ساعة من نهار ثم نسخ ﴿ فاقيموا الصلوة ﴾ اى المفروضة ﴿ وآتوا الزكوة ﴾ اى الواجبة ﴿ واطيعوا الله ورسوله ﴾ اى فيما امر ونهى ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ اى انه محيط باعمالكم ونياتكم * قوله عز وجل ﴿ الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ نزلت فى المنافقين وذلك انهم تولوا اليهود وناصحوهم ونقلوا اسرار المؤمنين اليهم فاراد بقوله قوما غضب الله عليهم اليهود ﴿ ماهم ﴾ يعنى المنافقين ﴿ منكم ﴾ اى من المؤمنين فى الدين والولاء ﴿ ولا منهم ﴾ يعنى ولا من اليهود ﴿ ويحلفون على الكذب وهم يعلمون ﴾ اى انهم كذبة نزلت فى عبد الله بن نبتل المنافق وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق العينين فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فانزل الله هذه الآية ﴿ اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون ﴾

على سوء العمل اوهى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة (اتخذوا ايمانهم) الكاذبة (جنة) وقاية دون اموالهم و دمائهم (فصدوا) الناس فى خلال امنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) عن طاعته والايمان به (فلهم عذاب مهين) وعدهم العذاب المخزى لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله) من عذاب الله (شيأ) قليلا من الاغناء (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) اى لله فى الآخرة انهم كانوا مخلصين فى الدنيا غير منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك (ويحسبون انهم) فى الدنيا (على شئ) من النفع اويحسبون انهم على شئ من النفع ثم بايمانهم الكاذبة كما انتفعوا ههنا (الا انهم هم الكاذبون) حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم الشيطان) استولى عليهم (فانساهم ذكر الله) قال شاه الكرمانى علامة استحواذ الشيطان على العبد ان يشغله بعمارة ظاهره من المآكل والملابس ويشغل قلبه عن التفكر فى آلاء الله ونعمائه والقيام بشكرها ويشغل لسانه عن ذكر ربه بالكذب والغيبة والبهتان ويشغل لبه عن التفكر والمراقبة بتدبير الدنيا وجمعها

(اتخذوا ايمانهم) حلفهم بالله الكاذبة (جنة) من القتل (فصدوا عن سبيل الله) صرفوا الناس عن دين الله وطاعته فى السر ﴿فلهم عذاب مهين﴾ يهانون به فى الآخرة (لن تغنى عنهم اموالهم) كثرة اموالهم اموال المنافقين واليهود (ولا اولادهم) كثرة اولادهم (من الله) من عذاب الله (شيأ اولئك) المنافقون واليهود (اصحاب النار) اهل النار (هم فيها خالدون) دائمون فى النار لا يموتون ولا يخرجون منها (يوم يبعثهم الله جميعا) يعنى المنافقين واليهود وهو يوم القيامة (فيحلفون له) بين يدى الله ما كنا كافرين ولا منافقين (كما يحلفون لكم) فى الدنيا (ويحسبون) يظنون (انهم على شئ) من الدين (الا انهم هم الكاذبون) عند الله فى حلفهم (استحوذ عليهم الشيطان) غلب عليهم الشيطان فامرهم بطاعته فاطاعوه (فانساهم ذكر الله) حتى تركوا ذكر الله طاعة الله فى السر

واصروا عليه ﴿اتخذوا ايمانهم﴾ اى التى حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه ﴿جنة﴾ وقاية دون دمائهم واموالهم ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ فصدوا الناس فى خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط ﴿فلهم عذاب مهين﴾ وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة ﴿لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون﴾ قدسبق مثله ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له﴾ اى لله تعالى على انهم مسلمون ويقولون ﴿كما يحلفون لكم﴾ فى الدنيا انهم لمنكم ﴿ويحسبون انهم على شئ﴾ فى حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الآخرة ان الايمان الكاذبة تروج الكذب على الله كما تروجه عليكم فى الدنيا ﴿الا انهم هم الكاذبون﴾ البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ استولى عليهم من حذت الابل واحزتها اذا استوليت عليها وهو مما جاء على الاصل ﴿فانساهم ذكر الله﴾ لايذكرونه

اتخذوا ايمانهم﴾ يعنى الكاذبة ﴿جنة﴾ اى يستجنون بها من القتل ويدفعون بها عن انفسهم واموالهم ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ يعنى انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم بالقتل واخذ اموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذى هو الاسلام ﴿فلهم عذاب مهين﴾ يعنى فى الآخرة ﴿لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم﴾ يوم القيامة ﴿من الله شيأ اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له﴾ يعنى كاذبين انهم ما كانوا مشركين ﴿كما يحلفون لكم﴾ اى فى الدنيا وقيل كان الحلف جنة لهم فى الدنيا فظنوا انه ينفع فى الآخرة ايضا ﴿ويحسبون انهم على شئ﴾ يعنى من ايمانهم الكاذبة ﴿الا انهم هم الكاذبون﴾ يعنى فى اقوالهم وايمانهم ﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾ اى غلب واستولى عليهم وملكهم ﴿فانساهم ذكر الله

(اولئك حزب الشيطان) جنده (الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين) فى جملة من هو اذل خلق الله تعالى لاترى احدا اذل منهم (كتب الله) فى اللوح (لاغلبن انا ورسلى) بالحجة والسيف او باحدهما (ان الله قوى) لايمتنع عليه ما يريد (عزيز) غالب غير مغلوب (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون) هو مفعول ثان لتجد او حال او صفة لقوما ... (من حاد الله) خالفه وعاداه (ورسوله) اى من الممتنع الجزء الثامن والعشرون ﴿٢١٢﴾ ... مؤمنين ... من شركين ... لا ينبغى ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى التوصية بالتصلب فى مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراز عن مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم)

بقلوبهم ولا بالسنتهم ﴿اولئك حزب الشيطان﴾ جنده واتباعه ﴿الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ لانهم فوتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلد ﴿ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين﴾ فى جملة من هو اذل خلق الله ﴿كتب الله﴾ فى اللوح ﴿لاغلبن انا ورسلى﴾ بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء ﴿ان الله قوى﴾ على نصر انبيائه ﴿عزيز﴾ لايغلب عليه شئ فى مراده ﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ اى لاينبغى ان تجدهم ... اعداء الله والمراد انه لاينبغى ان يوادوهم ﴿ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم﴾ والمراد ... اقرب الناس اليهم

اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك فى الاذلين﴾ يعنى فى جملة من يلحقهم الذل فى الدنيا والآخرة لان ذل احد الخصمين على حسب عز الخصم الآخر ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من نازعه غير متناهية ﴿كتب الله لاغلبن انا ورسلى﴾ اى قضى الله ذلك قضاء ثابتا ... على نوعين فمنهم من يؤمر بالحرب فهو غالب بالحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة ﴿ان الله قوى﴾ اى على نصر رسله واوليائه ﴿عزيز﴾ اى غالب على اعدائه *قوله تعالى ﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ اخبر الله تعالى ان ايمان المؤمنين يفسد بتوادد الكافرين وان من كان مؤمنا لايوالى من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب عدوه ... وقد اجمعت الامة على انه تجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة ... المودة المحظورة هى مناصحتهم وارادة الخير لهم دينا ودنيا مع كفرهم فاما ما سوى ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ فى الزجر عن مودتهم بقوله ﴿ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم﴾ يعنى ان الميل الى هؤلاء من اعظم انواع الميل ومع هذا فيجب ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب مخالفة الدين قيل نزلت هذه الآية فى حاطب بن ابى بلتعة حين كتب الى اهل

(اولئك) يعنى اليهود والمنافقين (حزب الشيطان) جند الشيطان (الا ان حزب الشيطان) جند الشيطان (هم الخاسرون) المغبونون بذهاب الدنيا والآخرة (ان الذين يحادون) يخالفون (الله ورسوله) فى الدين (اولئك فى الاذلين) مع الاسفلين فى النار يعنى المنافقين واليهود (كتب الله) قضى الله (لاغلبن انا ورسلى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم على فارس والروم واليهود والمنافقين (ان الله قوى) بنصرة اوليائه (عزيز) بنقمه اعدائه نزلت هذه الآية فى عبد الله بن ابى بن سلول حيث قال للمؤمنين المخلصين اتظنون ان يكون لكم فتح فارس والروم ثم نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة رجل من اهل اليمن الذى كتب كتابا الى اهل مكة بسر النبى صلى الله عليه وسلم فقال (لاتجد) يا محمد (قوما) يعنى حاطبا (يؤمنون بالله واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت (يوادون) يناصحون ويوافقون فى الدين (من حاد الله) من خالف الله (ورسوله) فى الدين يعنى اهل مكة (ولو كانوا آباءهم) فى النسب (او ابناءهم او اخوانهم) فى النسب (او عشيرتهم) او قومهم او قرابتهم

(مكة)

وبقوله (اولئك كتب فى قلوبهم الايمان) اى اثبته فيها وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان بقوله اولئك حزب الله (وايدهم بروح منه) ى بكتاب انزله فيه حياة لهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اى بروح من الايمان على انه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى انه قال كانوا يرون انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبدالعزيز بن ابى رواد انه لقيه المنصور فلما عرفه هرب منه وتلاها وقال سهل من صحح ايمانه واخلص توحيده فانه لا يأنس بمبتدع ولا يجالسه ويظهر له من نفسه العداوة ومن داهن مبتدعا سلبه الله حلاوة السنن ومن اجاب مبتدعا لطلب عز الدنيا اوغناها اذله الله بذلك العز وافقره بذلك الغنى ومن ضحك الى مبتدع نزع الله نور الايمان من قلبه ومن لم يصدق فليجرب (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم) بتوحيدهم الخالص وطاعتهم (ورضوا عنه) بثوابه الجسيم فى الآخرة او بما قضى عليهم فى الدنيا (اولئك حزب الله) انصار حقه ودعاة خلقه (الا ان حزب الله هم المفلحون) الباقون فى النعيم المقيم الفائزون بكل محبوب الآمنون من كل مرهوب

﴿اولئك﴾ ى الذين لم يوادوهم ﴿كتب فى قلوبهم الايمان﴾ اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه ﴿وايدهم بروح منه﴾ اى من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان فانه سبب لحياة القلب ﴿ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم﴾ بطاعتهم ﴿ورضوا عنه﴾ بقضائه او بما وعدهم من الثواب ﴿اولئك حزب الله﴾ جنده وانصار دينه ﴿ألا ان حزب الله هم المفلحون﴾ الفائزون بخير الدارين * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

مكة وستأتى قصته فى سورة الممتحنة وروى عن عبدالله بن مسعود فى هذه الآية قال ولو كانوا آباءهم يعنى ابا عبيدة بن الجراح قتل اباه الجراح يوم احد او ابناءهم يعنى ابابكر الصديق رضى الله تعالى عنه دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يارسول الله دعنى اكن فى الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر او اخوانهم يعنى مصعب بن عمير قتل اخاه عبدالله بن عمير او عشيرتهم يعنى عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلى بن ابى طالب وحمزة وابا عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر ﴿اولئك كتب فى قلوبهم الايمان﴾ اى اثبت التصديق فى قلوبهم فهى مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم لهم بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه ﴿وايدهم بروح منه﴾ اى قواهم بنصر منه وانما سمى نصره اياهم روحا لان به حيي امرهم وقيل بالايمان وقيل بالقرآن وقيل بجبريل وقيل برحمته ﴿ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه﴾ انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه اعظم النعم واجل المراتب ثم لما ذكر هذه النعم اتبعه بما يوجب ترك المودة لاعداء الله سبحانه وتعالى فقال ﴿اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون﴾ والله اعلم بمراده

(اولئك) يعنى حاطبا واصحابه (كتب فى قلوبهم) جعل فى قلوبهم تصديق (الايمان) وحب الايمان (وايدهم) اعانهم (بروح منه) برحمة منه ويقال اعانهم بعون منه (ويدخلهم جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون (رضى الله عنهم) بايمانهم واعمالهم وتوبتهم (ورضوا عنه) بالثواب والكرامة من الله (اولئك) يعنى حاطبا واصحابه (حزب الله) جند الله (الا ان حزب الله) جند الله (هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب وهم الذين ادركوا ووجدوا ما طلبوا ونجوا من شر مامنه هربوا وكان حاطب بن ابى بلتعة بدريا وقصته فى سورة الممتحنة

﴿سورة الحشر مدنية وهى اربع وعشرون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى ان هذه السورة نزلت باسرها فى بنى النضير وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هذا النبى الذى نعته فى التوراة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة فحالف ابا سفيان عند الكعبة فامر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة ثم خرج صلى الله عليه وسلم مع الجيش اليهم فحاصرهم احدى وعشرين ليلة وامر بقطع نخيلهم فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحاء واذرعات (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى يهود بنى النضير (من ديارهم) بالمدينة واللام فى

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الحشر وهى كلها مدنية آياتها اربع وعشرون وكلماتها سبعمائة وخمس واربعون وحروفها الف وسبعمائة واثناعشر حرفا﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سبح لله) يقول صلى لله ويقال (و) ذكر الله (ما فى السموات) من الخلق (وما فى الارض) من الخلق (وهو العزيز) فى ملكه وسلطانه (الحكيم) فى امره وقضائه امر ان لا يعبد غيره (هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى بنى النضير (من ديارهم) من منازلهم وحصونهم

﴿سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبى المنعوت فى التوراة بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله تعالى سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير ﴿هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم

﴿تفسير سورة الحشر قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر﴾

﴿فقال قل سورة النضير وهى مدنية اربع وعشرون آية واربعمائة﴾

﴿وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم﴾ قال المفسرون نزلت هذه السورة فى بنى النضير وهم طائفة من اليهود وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر على المشركين قال بنو النضير والله انه النبى الامى الذى نجد نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ونقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاقدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان فى اربعين من قريش وكعب بن الاشرف فى اربعين من اليهود المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى المدينة فنزل جبريل عليه الصلاة

والسلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما تعاقد عليه كعب وابوسفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة غيلة وقدتقدمت القصة فى سورة آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قداطلع منهم على خيانة حين اتاهم يستعينهم فى دية الرجلين المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمرى فى منصرفه من بئرمعونة فهموا بطرح حجر على النبي صلى الله عليه وسلم من الحصن فعصمه الله منهم واخبره بذلك وقدتقدمت القصة فى سورة المائدة فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بنى النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب بن الاشرف فقالوا يامحمد واعية على اثر واعية وباكية على اثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبك شجونا ثم ائتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبدالله بن ابى واصحابه اليهم ان لاتخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولانخذلكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا اليه ان اخرج الينا فى ثلاثين رجلا من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقى بمكان نصف بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فى ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا فى براز من الارض فقال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا من اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج فى ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك ثلاثة من علمائنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمنابك وصدقناك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة من اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلت امرأة ناصحة من بنى النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها سريعا حتى ادرك النبي صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من الغد صبحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف الله فى قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على مايأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهى السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر اموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ماشاؤا من متاعهم وللنبى صلى الله عليه وسلم مابقى وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاء ففعلوا ذلك وخرجوا من ديارهم الى اذرعات واريحاء من ارض الشام الا اهل بيتين منهم آل ابى الحقيق وآل حيى بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذى اخرج الذين كفروا من اهل

(لاول الحشر) تتعلق بخرج وهي اللام في قوله تعالى ياليتني قدمت لحياتي وقوله جئته لوقت كذا اي اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من اهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشام اوهذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشام او آخر حشرهم حشر يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنهما من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فهم الحشر الاول وسائر الناس الحشر الثاني وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرجوا امضوا فانكم اول الحشر ونحن على الاثر قتادة اذا كان آخر الزمان جاءت نار من قبل المشرق فحشرت الناس الى ارض الشام وبها تقوم عليهم القيامة وقيل معناه اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما ظننتم ان يخرجوا) لشدة بأسهم و منعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم من بأس الله والفرق بين هذا التركيب وبين النظم الذي جاء عليه ان في تقديم الخبر على المبتدأ دليلا على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لايبالي معها باحد يتعرض لهم ويطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم تمنعهم (فاتاهم)

﴿لاول الحشر﴾ اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك وفي اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام و آخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام او في اول حشر الناس الى الشام و آخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر ﴿ما ظننتم ان يخرجوا﴾ لشدة بأسهم ومنعتهم ﴿وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ اي ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان تكون حصونهم فاعلا لمانعتهم

الكتاب يعني بني النضير من ديارهم يعني التي كانت بالمدينة قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان ﴿لاول الحشر﴾ قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا قال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا اول حشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم يحشر الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلي من اهل الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلي آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل كان هذا اول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحاء من ارض الشام في ايام عمر وقيل ان هذا اول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ﴿ماظننتم﴾ يعني ايها المؤمنون ﴿ان يخرجوا﴾ اي من المدينة لعزتهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون وعقار ونخل كثير ﴿وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ اي وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله

(لاول الحشر) لانهم اول من حشر واخرج من المدينة الى الشام الى اريحاء و اذرعات بعد ما نقضوا عهودهم مع النبي عليه السلام بعد وقعة احد (ماظننتم) ما رجوتم يا معشر المؤمنين (ان يخرجوا) يعني بني النضير من المدينة الى الشام (وظنوا) يعني بني النضير (انهم مانعتهم حصونهم) ان حصونهم تمنعهم (من الله) من عذاب الله

(فاتاهم الله) اى امرالله وعقابه وفى الشواذ فآتاهم الله اى فآتاهم الهلاك (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه رضاعا (وقذف فى قلوبهم الرعب) الخوف (يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين) يخربون ابوعمرو والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد وكانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما اراد الله من استئصال شأفتهم وان لاتبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذى دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها افواه الازقة وان لايتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وان ينقلوا معهم ماكان فى ابنيتهم من جيد الخشب والساج واما المؤمنون فداعيهم الى التخريب ازالة متحصنهم وان يتسع لهم مجال الحرب ومعنى تخريبهم لها بايدى المؤمنين انهم لما عرضوهم بنكث العهد لذلك وكانوا السبب فيه فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه (فاعتبروا يا اولى الابصار) اى فتأملوا فيما نزل بهؤلاء والسبب الذى استحقوا به ذلك فاحذروا ان تفعلوا مثل فعلهم فتعاقبوا بمثل عقوبتهم وهو دليل على جواز القياس (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) الخروج من الوطن مع الاهل والولد

﴿ فاتاهم الله ﴾ اى عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اى فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اى العذاب او النصر ﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾ لقوة وثوقهم ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ واثبت فيها الخوف الذى يرعبها اى يملأها ﴿ يخربون بيوتهم بايديهم ﴾ ضنابها على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها ﴿ وايدى المؤمنين ﴾ فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن بغضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال اوتفسير للرعب وقرأ ابوعمرو يخربون بالتشديد وهو ابلغ لمافيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل اوترك الشئ خرابا والتخريب الهدم ﴿ فاعتبروا يااولى الابصار ﴾ فاتعظوا بحالهم فلاتغدروا فلاتعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها فى حكم لمابينهما من المشاركة المقتضية له على ماقررناه فى الكتب الاصولية ﴿ ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء ﴾

﴿ فاتاهم الله ﴾ اى اتاهم امر الله وعذابه ﴿ من حيث لم يحتسبوا ﴾ وهو ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم واجلائهم وكانوا لايظنون ذلك ﴿ وقذف فى قلوبهم الرعب ﴾ اى الخوف الشديد بقتل سيدهم كعب بن الاشرف ﴿ يخربون بيوتهم بايديهم وايدى المؤمنين ﴾ قال الزهرى وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما صالحهم على ان لهم مااقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب فى منازلهم فيهدمونها وينزعون مااستحسنوه منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا وقيل كان المسلمون يخربون مايليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها لتتسع لهم المقاتل وجعل اعداء الله ينقبون دورهم من ادبارها فيخرجون الى التى بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون مايليهم ويرمون بالتى خرجوا منها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فاعتبروا ﴾ اى فاتعظوا وانظروا مانزل بهم ﴿ يااولى الابصار ﴾ اى ياذوى العقول والبصائر ﴿ ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء ﴾ يعنى الخروج من الوطن

(فاتاهم الله) عذبهم الله واخزاهم واذلهم بقتل كعب بن الاشرف (من حيث لم يحتسبوا) لم يظنوا ولم يخافوا ان ينزل بهم مانزل بهم من قتل كعب بن الاشرف (وقذف) جعل (فى قلوبهم الرعب) الخوف من محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكانوا لايخافون قبل ذلك (يخربون بيوتهم) يهدمون بعض بيوتهم (بايديهم) ويرمون بها الى المؤمنين (وايدى المؤمنين) ويتركون بعض بيوتهم على المؤمنين حتى هدموا ورموا بها اليهم (فاعتبروا يا اولى الابصار) فى الدين ويقال بالبصر بما فعل الله بهم من الاجلاء (ولولا ان كتب الله) قضى الله (عليهم) على بنى النضير (الجلاء) الخروج من المدينة الى

(لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم) سواء اجلوا اوقتلوا (فى الآخرة عذاب النار) الذى لااشد منه (ذلك بانهم) اى انما اصابهم ذلك بسبب انهم (شاقوا الله) خالفوه (ورسوله ومن يشاق الله) ورسوله (فان الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة) هو بيان لما قطعتم ومحل مانصب بقطعتم كانه قيل اى شئ قطعتم وانث الضمير الراجع الى ما فى قوله تعالى (او تركتموها) لانه فى معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم اشتقوها من اللين (قائمة على اصولها فباذن الله) فقطعها وتركها باذن الله (وليخزى الفاسقين)

الخروج من اوطانهم ﴿ لعذبهم فى الدنيا ﴾ بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب النار ﴾ استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ﴿ ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله و من يشاق الله فان الله شديد العقاب ﴾ الاشارة الى ماذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وماهو معدلهم اوالى الاخير ﴿ ما قطعتم من لينة ﴾ اى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل من اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان ﴿ او تركتموها ﴾ الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة ﴿ قائمة على اصولها ﴾ وقرئ اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن ﴿ فباذن الله ﴾ فبامره ﴿ وليخزى الفاسقين ﴾ علة لمحذوف اى وفعلتم اوواذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما

﴿ لعذبهم فى الدنيا ﴾ يعنى بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ﴿ ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك ﴾ اى الذى لحقهم ونزل بهم ﴿ بانهم شاقوا الله ورسوله ﴾ اى خالفوا الله ورسوله ﴿ ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ﴾ قوله تعالى ﴿ ماقطعتم من لينة اوتركتموها قائمة على اصولها فباذن الله ﴾ الآية وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه انزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى انفسهم من قولهم وخشوا ان يكون ذلك فسادا واختلفوا فى ذلك فقال بعضهم لاتقطعوا فانه مما افاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان باذن الله تعالى (ق) عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فنزل ماقطعتم من لينة اوتركتموها قائمة على اصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين * البويرة اسم موضع لبنى النضير وفى ذلك يقول حسان بن ثابت

وهان على سراة بنى لؤى * حريق بالبويرة مستطير

قال ابن عباس النخل كلها لينة ماخلا العجوة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها لينة الا العجوة والبرنية وقيل اللينة النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس فى رواية اخرى عنه هى لون من النخل وقيل كرام النخل وقيل هى ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهو شديد الصفرة ويرى نواه من خارج يغيب فيه الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبه اليهم وكانت النخلة الواحدة ثمنها ثمن وصيف واحب اليهم من وصيف فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما هو لمن غلب عليه فاخبر الله ان قطعها كان باذنه ﴿ وليخزى الفاسقين ﴾ يعنى اليهود والمعنى ولاجل اخزاء اليهود اذن الله فى قطعها

الشام (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل (ولهم فى الآخرة عذاب النار) اشد من القتل (ذلك) الجلاء والعذاب (بانهم شاقوا الله) خالفوا الله (ورسوله) فى الدين (ومن يشاق الله) يخالف الله فى الدين ويعاده (فان الله شديد العقاب) له فى الدنيا والآخرة وامر النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بقطع نخيلهم بعد ما حاصرهم غير العجوة فانه لم يأمرهم بقطعها فلامهم بذلك بنو النضير فقال الله (ماقطعتم من لينة) غير العجوة (اوتركتموها قائمة على اصولها) فلم تقطعوها يعنى العجوة (فباذن الله) فبامر الله القطع والترك (وليخزى الفاسقين) لكى يذل

وليذل اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها (وما افاء الله على رسوله) جعله فيأله خاصة (منهم) من بنى النضير (فما اوجفتم عليه من خيل ولاركاب) فلم يكن ذلك بايجاف خيل اوركاب منكم على ذلك والركاب الابل والمعنى فما اوجفتم على تحصيله وتغنيه خيلا ﴿٢١٩﴾ ولاركابا ولاتعبتم فى القتال {سورة الحشر} عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم لانه على ميلين من المدينة وكان صلى الله عليه وسلم على حمار فحسب (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) يعنى انما خول الله رسوله من اموال بنى النضير شئ لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما فى ايديهم كما كان يسلط رسله على اعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء ولايقسمه قسمة الغنائم التى قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا فقسمها بين المهاجرين ولم يعط الانصار الاثلاثة منهم لفقرهم (والله على كل شئ قدير

غاظهم به روى انه عليه الصلاة والسلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا قد كنت يا محمد تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم ﴿ وما افاء الله على رسوله ﴾ وما اعاده عليه بمعنى صيره له اورده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين ﴿ منهم ﴾ من بنى النضير اومن الكفرة ﴿ فما اوجفتم عليه ﴾ فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير ﴿ من خيل ولاركاب ﴾ ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فئ بنى النضير فان قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا غير رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فانه ركب جملا اوحمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيأ الاثلاثة كانت بهم حاجة ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ﴾ بقذف الرعب فى قلوبهم ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها

احتج العلماء بهذه الآية على ان حصون الكفار وديارهم لابأس ان تهدم وتحرق وترمى بالمجانيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها * قوله عزوجل ﴿ وما افاء الله على رسوله ﴾ اى ما رده الله على رسوله ﴿ منهم ﴾ اى من يهود بنى النضير ﴿ فما اوجفتم عليه ﴾ يعنى اوضعتم وهو سرعة السير ﴿ من خيل ولاركاب ﴾ يعنى الابل التى تحمل القوم وذلك ان بنى النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى فى هذه الآية انه لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولاركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا نالوا مشقة وانما كانوا يعنى بنى النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على جمل ﴿ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء ﴾ من اعدائه ﴿ والله على كل شئ قدير ﴾ اى فهى له خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الاثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة (ق) عن مالك بن اوس النضرى ان عمر دعاه اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك يا امير المؤمنين فى عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد يستأذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك فى عباس وعلى يستأذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا امير المؤمنين اقض بينى وبين هذا فقال القوم اجل يا امير المؤمنين اقض بينهما وارح احدهما من الآخر قال مالك بن اوس يخيل الى انهم قد كانوا قدموهم لذلك فقال

الكافرين يعنى يهود بنى النضير بما قطعتم من نخيلهم (وما افاء الله على رسوله) ما فتح الله لرسوله (منهم) من بنى النضير فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دونكم (فما اوجفتم عليه) فما اجريتم اليه (من خيل ولاركاب) ابل ولكن مشيتم اليه مشيا لانه كان قريبا الى المدينة (ولكن الله يسلط رسله) يعنى محمدا عليه السلام (على من يشاء) يعنى بنى النضير (والله على كل شئ) من النصرة والغنيمة (قدير

ماأفاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وانما لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما افاء الله عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة وزيف هذا القول بعض المفسرين وقال الآية الاولى نزلت فى اموال بنى النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية فى غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفى الآية بيان مصرف خمسها فهى مبتدأة

ماافاء الله على رسوله) ما فتح الله لرسوله (من اهل القرى) قرى عرينة وقريظة والنضير وفدك وخيبر (فلله) خاصة دونكم (وللرسول) وامر الرسول فيها جائز لجعل النبى صلى الله عليه وسلم فدك وخيبر وقفا لله على المساكين فكان فى يده فى حياته وكان فى يد ابى بكر بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم وكذلك كان فى يد عمر وعثمان وعلى ابن ابى طالب على ما كان فى يد النبى عليه السلام وهكذا اليوم وقسم النبى صلى الله عليه وسلم غنيمة قريظة والنضير على فقراء المهاجرين اعطاهم على قدر احتياجهم وعيالهم (ولذى القربى) واعطى بعضه لفقراء بنى عبد المطلب (واليتامى) واعطى بعضه لليتامى غير يتامى بنى عبد المطلب (والمساكين) واعطى بعضه للمساكين غير مساكين بنى عبد المطلب (وابن السبيل) الضيف

﴿ماافاء الله على رسوله من اهل القرى﴾ بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه ﴿فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ اختلف فى قسم الفئ فقيل يسدس

عمر اتئدوا انشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ماتركنا صدقة يريد بذلك نفسه قالوا نعم ثم اقبل عمر على العباس وعلى وقال انشدكما بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض اتعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث ماتركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها احدا غيره فقال وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب الآية قال فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بنى النضير فوالله مااستأثرها عليكم ولااخذها دونكم فقد اعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقى هذا المال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم مابقى يجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم انشدكم بالله الذى باذنه تقوم السماء والارض اتعلمون ذلك قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل مانشد القوم اتعلمان ذلك قالا نعم قال فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابوبكر انا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه ابوبكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم حينئذ واقبل على على وعباس وقال تذكران ان ابابكر عمل فيه كما تقولان والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفى الله ابابكر فقلت انا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر فقبضته سنتين من امارتى اعمل فيهما بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر والله يعلم انى فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتمانى كلا كما وكلمتكما واحدة وامركما جميع فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ماتركنا صدقة قلتم ادفعها الينا فلما بدا لى ان ادفعها اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وما عملت فيه منذ وليت والا فلا تكلمان فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان منى قضاء غير ذلك فوالله الذى باذنه تقوم السماء والارض لا اقضى فيه بقضاء غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الى فانى اكفيكماه * قوله تعالى ﴿ماافاء الله على رسوله من اهل القرى﴾ يعنى من اموال كفار اهل القرى قال ابن عباس هى قريظة والنضير وفدك وخيبر وقرى عرينة ﴿فلله وللرسول ولذى القربى﴾ يعنى بنى هاشم وبنى المطلب ﴿واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ قد تقدم تفسيره فى سورة الانفال فى حكم الغنيمة وقسمتها * واما حكم الفئ فانه لرسول الله

(صلى)

لظاهر الآية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة والسلام الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور ﴿ كيلا يكون ﴾ اى الفيء الذى حقه ان يكون للفقراء وقرأ هشام فى رواية بالتاء ﴿ دولة بين الاغنياء منكم ﴾ الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيء ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية ﴿ وما آتاكم الرسول ﴾ وما اعطاكم من الفيء او من الامر ﴿ فخذوه ﴾ لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة ﴿ وما نهاكم عنه ﴾ عن اخذه منه او عن اتيانه ﴿ فانتهوا ﴾

صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على اهله منه نفقة سنتهم ويجعل ما بقى مجعل مال الله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله واختلف العلماء فى مصرف الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعى فيه قولان احدهما انه للمقاتلة والثانى هو لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا فى تخميس مال الفيء فذهب قوم الى انه يخمس فخمس لاهل خمس الغنيمة واربعة للمقاتلة او للمصالح وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرأ عمر بن الخطاب ما افاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين جاؤا من بعدهم ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض مسلم الا وله فى هذا الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم ﴿ كيلا يكون ﴾ الفيء ﴿ دولة ﴾ والدولة اسم الشئ الذى يتداوله القوم بينهم ﴿ بين الاغنياء منكم ﴾ يعنى بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك ان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفى بعده ما شاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما امره به ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ اى من مال الفيء والغنيمة ﴿ وما نهاكم عنه ﴾ اى من الغلول وغيره ﴿ فانتهوا ﴾ وهذا نازل فى اموال الفيء وهو عام فى كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم اونهى عنه من قول او عمل من واجب او مندوب او مستحب اونهى عن محرم فيدخل فيه الفيء وغيره (ق) عن عبدالله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من بنى اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقرأ القرآن فاتته فقالت ما حديث بلغنى عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال عبدالله ومالى لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى كتاب الله تعالى فقالت المرأة لقد قرأت لوحى المصحف فما وجدته فقال ان كنت قرأته لقد

(كيلا يكون دولة) تكون دولة يزيد على كان التامة والدولة والدولة ما يدول للانسان اى يدور من الجد ومعنى قوله كيلا يكون دولة (بين الاغنياء منكم) لئلا يكون الفيء الذى حقه ان يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به (وما آتاكم الرسول) اى ما اعطاكم من قسمة غنيمة اوفيء (فخذوه) فاقبلوه (وما نهاكم عنه) عن اخذه (فانتهوا) عنه ولا تطلبوه

النازل ومار الطريق (كيلا يكون دولة) قسمة (بين الاغنياء منكم) بين الاقويا منكم (وما آتاكم الرسول) من الغنيمة (فخذوه) فاقبلوه ويقال ما أمركم الرسول فاعملوا به (وما نهاكم عنه فانتهوا

(واتقوا الله) ان تخالفوه وتهاونوا بأوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم والاجود ان يكون عاما فى كل ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وامر الفئ داخل فى عمومه (للفقراء) بدل من قوله ولذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الابدال من الله وللرسول وان كان المعنى لرسول الله ان الله عز وجل اخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عز وجل (المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم) بمكة وفيه دليل على ان الكفار يملكون بالاستيلاء اموال المسلمين لان الله تعالى سمى المهاجرين فقراء مع انه كانت لهم ديار واموال (يبتغون) حال (فضلا من الله ورضوانا) اى يطلبون الجنة ورضوان الله (وينصرون الله ورسوله) اى ينصرون دين الله ويعينون رسوله (اولئك هم الصادقون) فى ايمانهم وجهادهم

واتقوا الله) اخشوا الله فيما أمركم (ان الله شديد العقاب) اذا عاقب وذلك لانهم قالوا النبى صلى الله عليه وسلم خذ نصيبك من الغنيمة ودعنا واياها فقال الله لهم هذه الغنائم يعنى سبعة من الحيطان من بنى النضير (للفقراء المهاجرين) لانهم (الذين اخرجوا من ديارهم) مكة (واموالهم) اخرجهم اهل مكة وكانوا نحو مائة رجل (يبتغون فضلا) يطلبون ثوابا (من الله ورضوانا) مرضاة ربهم بالجهاد (وينصرون الله ورسوله) بالجهاد (اولئك هم الصادقون)

عنه ﴿ واتقوا الله ﴾ فى مخالفة رسوله ﴿ ان الله شديد العقاب ﴾ لمن خالف ﴿ للفقراء المهاجرين ﴾ بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام لايسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده اوالفيئ بفئ بنى النضير ﴿ الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ﴾ فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم ﴿ يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم ﴿ وينصرون الله ورسوله ﴾ بانفسهم واموالهم ﴿ اولئك هم الصادقون ﴾ الذين ظهر صدقهم فى ايمانهم

وجدته قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا * الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة ثم يحشى بكحل * والمستوشمة هى التى تطلب ان يفعل بها ذلك * والنامصة هى التى تنتف الشعر من الوجه * والمتفلجة هى التى تتكلف تفريج مابين ثناياها بصناعة وقيل هى التى تتفلج فى مشيتها فكل ذلك منهى عنه (ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا هذا ماليس منه فهو رد * وفى رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد * عن ابى رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاالفين احدكم متكئا على اريكته يأتيه امر مما امرت به اونهيت عنه فيقول لاادرى ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه اخرجه ابو داود والترمذى وقال هذا حديث حسن * الاريكة كل ما اتكئ عليه من سرير او فراش او منصة او نحو ذلك ﴿ واتقوا الله ﴾ اى فى امر الفئ ﴿ ان الله شديد العقاب ﴾ اى على ترك ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم اونهاكم عنه ثم بين من له الحق فى الفئ فقال عز وجل ﴿ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ﴾ يعنى الجاهم كفار مكة الى الخروج ﴿ يبتغون فضلا من الله ﴾ اى رزقا وقيل ثوابا من الله ﴿ ورضوانا ﴾ اى خرجوا من ديارهم طلبا لرضا الله عز وجل ﴿ وينصرون الله ورسوله ﴾ اى بانفسهم واموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته ﴿ اولئك هم الصادقون ﴾ اى فى ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشائر وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من شدة حتى ذكر لنا ان الرجل كان يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة فى الشتاء ماله دثار غيرها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يسبقون الاغنياء يوم القيامة الى الجنة بأربعين (خريفا)

(والذين) معطوف على المهاجرين وهم الانصار (تبوؤا الدار) توطنوا المدينة (والايمان) واخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * اوو جعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك اوأراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم فى تبوئ دار الدنيا والايمان وقيل من قبل هجرتهم (يحبون من هاجر اليهم) حتى شاطروهم اموالهم وانزلوهم منازلهم ونزل من كانت له امرأتان عن احداهما حتى تزوج بها رجل من المهاجرين (ولايجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا) ولايعلمون فى انفسهم طلب محتاج اليه مما اوتى المهاجرون من الفئ وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يعنى ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم تطمح الى شئ منه تحتاج اليه وقيل حاجة حسدا مما اعطى المهاجرون من الفئ حيث خصهم النبى صلى الله عليه وسلم به وقيل لايجدون فى صدورهم مس حاجة من فقد ما اوتوا فحذف المضافان (ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) فقر واصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال اى مفروضة خصاصتهم روى

﴿ والذين تبوؤا الدار والايمان ﴾ عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثانى والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام اوتبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * وقيل سمى المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره ﴿ من قبلهم ﴾ من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوؤا الدار من قبلهم والايمان ﴿ يحبون من هاجر اليهم ﴾ ولايثقل عليهم ﴿ ولايجدون فى صدورهم ﴾ فى انفسهم ﴿ حاجة ﴾ ماتحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ ﴿ مما اوتوا ﴾ مما اعطى المهاجرون من الفئ وغيره ﴿ ويؤثرون على انفسهم ﴾ ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ حاجة من خصاص البناء وهى فرجة

خريفا * وعن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة اخرجه ابو داود * قوله عز وجل ﴿ والذين تبوؤا الدار والايمان ﴾ يعنى الانصار توطنوا الدار وهى المدينة واتخذوها سكنا ﴿ من قبلهم ﴾ يعنى انهم اسلموا فى ديارهم وآثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوؤا الدار من قبل المهاجرين وقد آمنوا لان الايمان ليس بمكان يتبوأ ﴿ يحبون من هاجر اليهم ﴾ وذلك انهم انزلوا المهاجرين فى منازلهم واشركوهم فى اموالهم ﴿ ولايجدون فى صدورهم حاجة ﴾ اى حزازة وغيظا وحسدا ﴿ مما اوتوا ﴾ اى اعطا المهاجرون من الفئ دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بنى النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيأ الا ثلاثة فطابت انفس الانصار بذلك ﴿ ويؤثرون على انفسهم ﴾ اى ويؤثر الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم على انفسهم ﴿ ولو كان بهم خصاصة ﴾ اى

المصدقون بايمانهم وجهادهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم للانصار هذه الغنائم والحيطان للفقراء المهاجرين خاصة دونكم ان شئتم قسمتم اموالكم ودياركم للمهاجرين واقسم لكم من الغنائم وان شئتم لكم اموالكم ودياركم واقسم الغنيمة بين فقراء المهاجرين فقالوا يارسول الله نقسمهم اموالنا ومنازلنا ونؤثرهم على انفسنا بالغنيمة فاثنى الله عليهم فقال (والذين تبوؤا الدار) وطنوا دار الهجرة للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه (والايمان من قبلهم) وكانوا مؤمنين من قبل مجئ المهاجرين اليهم (يحبون من هاجر اليهم) الى المدينة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (ولايجدون فى صدورهم) فى قلوبهم (حاجة) حسدا ويقال حزازة (مما اوتوا) مما اعطوا من الغنائم دونهم (ويؤثرون على انفسهم) باموالهم ومنازلهم (ولو كان بهم خصاصة) فقر وحاجة

﴿ ومن يوق شح نفسه ﴾ حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق ﴿ فاولئك هم المفلحون ﴾ الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل

فاقة وحاجة الى مايؤثرون به (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذى بعثك بالحق ماعندى الا الماء ثم ارسل به الى اخرى فقال مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامرأته هل عندك شئ قالت لا الا قوت صبيانى قال فعلليهم بشئ ونوميهم فاذا دخل ضيفنا فاريه انا نأكل فاذا اهوى بيده ليأكل فقومى الى السراج كى تصلحيه فاطفئيه ففعلت فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاويين فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله اوضحك الله من فلان وفلانة زاد فى رواية فانزل الله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (ق) عن ابى هريرة قال قالت الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا فقالوا تكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمر قالوا سمعنا واطعنا (خ) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين فقالوا لا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها فقال امالا فاصبروا حتى تلقونى على الحوض فانه سيصيبكم اثرة بعدى وفى رواية ستلقون بعدى اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض * الاثرة بفتح الهمزة والثاء والراء وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثاء والاول اشهر ومعناه الاستئثار وهو ان يستأثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم فى الامر نصيب وقيل هو من آثر اذا اعطى اراد انه يستأثر عليكم غيركم فيفضل فى نصيبه من الفئ والاستئثار الانفراد بالشئ وقيل الاثرة الشدة والاول اظهر * وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم اموالكم ودياركم ولم نقسم لكم شيأ من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فانزل الله عزوجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح فى كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلماء بين البخل والشح فقال البخل نفس المنع والشح هو الحالة النفسانية التى تقتضى ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لاجرم قال الله تعالى ﴿ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ اى الفائزون بما ارادوا وروى ان رجلا قال لابن مسعود انى اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال انى اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدى

(شى)

انه نزل برجل منهم ضيف فنوم الصبية وقرب الطعام واطفأ المصباح ليشبع ضيفه ولايأكل هو وعن انس اهدى لبعضهم رأس مشوى وهو مجهود فوجهه الى جاره فتداولته تسعة انفس حتى عاد الى الاول ابو يزيد قال لى شاب من اهل بلخ ما الزهد عندكم قلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا عندنا كلاب بلخ بل اذا فقدنا صبرنا واذا وجدنا آثرنا (ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) الظافرون بما ارادوا والشح اللؤم وان تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع واما البخل فهو المنع نفسه وقيل الشح اكل مال اخيك ظلما والبخل منع مالك وعن كسرى الشح اضر من الفقر لان الفقير يتسع اذا وجد بخلاف الشحيح

(ومن يوق شح نفسه) من دفع عنه بخل نفسه (فاولئك هم المفلحون) الناجون من السخط والعذاب

﴿ والذين جاؤا من بعدهم ﴾ هم الذين هاجروا بعد حين قوى الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيامة فلذلك قيل ان الآية قد استوعبت جميع المؤمنين ﴿ يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ﴾ اى لاخواننا فى الدين ﴿ ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾ حقدا لهم ﴿ ربنا انك رؤف رحيم ﴾ فحقيق بان تجيب دعاءنا

شئ فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذى ذكر الله فى القرآن ولكن الشح ان تأكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل وقال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمع عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذى يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم يأخذ شيأ نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيأ امره الله باعطائه فقد وقاه الله شح نفسه (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم * عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما فى الرجل شح هالع وجبن خالع اخرجه ابو داود * الهلع اشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا ويحزن على شئ يفوته او يخرج من يده * والخالع الذى خلع فؤاده لشدة خوفه وفزعه * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان فى قلب عبد ابدا اخرجه النسائى * قوله تعالى ﴿ والذين جاؤا من بعدهم ﴾ يعنى من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون لهم الى يوم القيامه ﴿ يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ﴾ اخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان ﴿ ولا تجعل فى قلوبنا غلا ﴾ اى غشا وحسدا وبغضا ﴿ للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ﴾ فكل من كان فى قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله بهذه الآية لان الله تعالى رتب المؤمنين على ثلاث منازل المهاجرين ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعون الموصوفون بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا من اقسام المؤمنين وليس له فى المسلمين نصيب وقال ابن ابى ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقراء المهاجرون والذين تبوؤا الدار والايمان والذين جاؤا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه الثلاث منازل (ق) عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه (م) عن عروة بن الزبير قال قالت عائشة يا ابن اختى امروا ان يستغفروا لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبوهم * عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله

التابعون باحسان وقيل من بعدهم الى يوم القيامة قال عمر رضى الله عنه دخل فى هذا الفئ كل من هو مولود الى يوم القيامة فى الاسلام فجعل الواو للعطف فيهما وقرئ للذين فيهما (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) قيل هم المهاجرون والانصار عائشة رضى الله عنها امروا بان يستغفروا لهم فسبوهم (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) حقدا (للذين آمنوا) يعنى الصحابة (ربنا انك رؤف رحيم) وقيل لسعيد بن المسيب ما تقول فى عثمان وطلحة والزبير قال اقول ما قولنيه الله وتلا هذه الآية ثم عجب نبيه بقوله

(والذين جاؤا من بعدهم) من بعد المهاجرين الاولين (يقولون ربنا اغفر لنا) ذنوبنا (ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) والهجرة (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) بغضا وحسدا (للذين آمنوا) من المهاجرين (ربنا انك رؤف رحيم) خافوا على انفسهم ان يقع فى قلوبهم الحسد لقبل ما اعطى النبى صلى الله عليه وسلم المهاجرين الاولين دونهم فدعوا بهذه الدعوات

(الم تر الى الذين نافقوا) اى الم تر يا محمد الى عبدالله بن ابى واشياعه (يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى بنى النضير والمراد اخوة الكفر (لئن اخرجتم) من دياركم (لنخرجن معكم) روى ان ابن ابى واصحابه دسوا الى بنى النضير حين حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لانخذلكم ولئن اخرجتم لنخرجن معكم (ولا نطيع فيكم) فى قتالكم (احدا ابدا) من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه او فى خذلانكم واخلاف ماوعدناكم من النصرة (وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون) فى مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيب (لئن اخرجوا لايخرجون معهم

(ألم تر) الم تنظر يا محمد (الى الذين نافقوا) فى دينهم وهم قوم من الاوس تكلموا بالايمان علانية واسروا النفاق (يقولون لاخوانهم) فى السر (الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى بنى قريظة قالوا لهم بعدما حاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم اثبتوا فى حصونكم على دينكم (لئن اخرجتم) من المدينة كما اخرج بنو النضير (لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا) لانعين عليكم احدا من اهل المدينة (و) (وان قوتلتم) وان قاتلكم محمد عليه السلام واصحابه (لننصرنكم) عليهم (والله يشهد) يعلم (انهم) يعنى المنافقين (لكاذبون) فى مقالتهم (لئن اخرجوا) من المدينة يعنى بنى قريظة (لايخرجون معهم)

﴿ الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب ﴾ يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة ﴿ لئن اخرجتم ﴾ من دياركم ﴿ لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم ﴾ فى قتالكم وخذلانكم ﴿ احدا ابدا ﴾ اى من رسول الله والمؤمنين ﴿ وان قوتلتم لننصرنكم ﴾ لنعاوننكم ﴿ والله يشهد انهم لكاذبون ﴾ لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما قال ﴿ لئن اخرجوا لا يخرجون معهم

الله فى اصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك ان يأخذه اخرجه الترمذى وقال مالك بن انس من انتقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان فى قلبه غل عليهم فليس له حق فى فىء المسلمين ثم تلا هذه الاية ما افاء الله على رسوله من اهل القرى الى والذين جاؤا من بعدهم الى رؤف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبى يامالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سئلت اليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وسئلت النصارى من خير اهل ملتكم قالوا حوارى عيسى وسئلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لاتقوم لهم راية ولايثبت لهم قدم ولاتجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله بسفك دمائهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهواء المضلة * وروى عن جابر قال قيل لعائشة ان ناسا يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابابكر وعمر فقالت وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فاحب الله ان لاينقطع عنهم الاجر وروى ان ابن عباس سمع رجلا ينال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له امن المهاجرين الاولين انت قال لا قال فمن الانصار انت قال لا قال فانا اشهد بانك لست من التابعين لهم باحسان * قوله عز وجل ﴿ الم تر الى الذين نافقوا ﴾ يعنى اظهروا خلاف ما اضمروا وهم عبدالله بن ابى ابن سلول واصحابه ﴿ يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب ﴾ يعنى اليهود من بنى قريظة وبنى النضير وانما جعل المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم ﴿ لئن اخرجتم ﴾ اى من المدينة ﴿ لنخرجن معكم ﴾ اى منها ﴿ ولا نطيع فيكم احدا ابدا ﴾ يعنى ان سألنا احد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم ﴿ وان قوتلتم لننصرنكم ﴾ اى لنعيننكم ولنقاتلن معكم ﴿ والله يشهد انهم ﴾ يعنى المنافقين ﴿ لكاذبون ﴾ اى فيما قالوا ووعدوا ثم اخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى ﴿ لئن اخرجوا لايخرجون معهم

ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لاينصرون) وانما قال ولئن نصروهم بعد الاخبار بانهم لا ينصرون على الفرض والتقدير كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكما يعلم مايكون فهو يعلم مالا يكون لوكان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولاينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم اولينهزمن اليهود ثم لاتنفعهم نصرة المنافقين (لانتم أشد رهبة) اى اشد مرهوبية مصدر رهب المبنى للمفعول وقوله (فى صدورهم) دلالة على

نفاقهم يعنى انهم يظهرون لكم فى العلانية خوف الله وانتم اهيب فى صدورهم (من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون) لايعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لايقاتلونكم) لايقدرون على مقاتلتكم (جميعا) مجتمعين يعنى اليهود والمنافقين (الا) كائنين (فى قرى محصنة) بالخنادق والدروب (اومن وراء جدر) جدار مكى وابو عمرو (بأسهم بينهم شديد) يعنى ان البأس الشديد الذى يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولوقاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن عند محاربة الله ورسوله

ولئن قوتلوا الاينصرونهم ﴾ وكان كذلك فان ابن ابى واصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ﴿ ولئن نصروهم ﴾ على الفرض والتقدير ﴿ ليولن الادبار ﴾ انهزاما ﴿ ثم لاينصرون ﴾ بعد بل يخذلهم الله ولاينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين ﴿ لانتم اشد رهبة ﴾ اى اشد مرهوبية مصدر للفعل المبنى للمفعول ﴿ فى صدورهم ﴾ فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين ﴿ من الله ﴾ على مايظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ﴿ ذلك بانهم قوم لايفقهون ﴾ لايعلمون عظمة الله حتى يخشونه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى ﴿ لايقاتلونكم ﴾ اليهود والمنافقون ﴿ جميعا ﴾ مجتمعين متفقين ﴿ الا فى قرى محصنة ﴾ بالدروب والخنادق ﴿ اومن وراء جدر ﴾ لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو فتحة الدال ﴿ بأسهم بينهم شديد ﴾ اى وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب

ولئن قوتلوا لاينصرونهم ﴾ وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا ولم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ﴿ ولئن نصروهم ليولن الادبار ﴾ يعنى لو قدروا نصرهم اولو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين ﴿ ثم لاينصرون ﴾ يعنى بنى النضير لايصيرون منصورين اذا انهزم ناصروهم ﴿ لانتم ﴾ يعنى يامعشر المسلمين ﴿ أشد رهبة فى صدورهم من الله ﴾ اصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم ويخافون منكم اشد من رهبتهم من الله ﴿ ذلك ﴾ اى الخوف منكم ﴿ بانهم قوم لايفقهون ﴾ يعنى عظمة الله تعالى ﴿ لايقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة ﴾ اى لايبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى والجدران وهو قوله تعالى ﴿ او من وراء جدار ﴾ وقرئ جدر ﴿ بأسهم بينهم شديد ﴾ اى بعضهم فظ على بعض اوعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل بأسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد

المنافقون (ولئن قوتلوا) قاتلهم محمد عليه السلام (لاينصرونهم) على محمد عليه السلام (ولئن نصروهم) على محمد عليه السلام (ليولن الادبار) منهزمين (ثم لاينصرون) لايمنعون مما نزل بهم ثم قال للمؤمنين (لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله) يقول خوف المنافقين واليهود من سيف محمد عليه السلام واصحابه اشد من خوفهم من الله (ذلك) الخوف (بأنهم قوم لايفقهون) امر الله وتوحيد الله (لايقاتلونكم) يعنى بنى قريظة والنضير (جميعا الا فى قرى محصنة) فى مدائن وقصور حصينة (اومن وراء جدر)او بينكم وبينهم حائط (بأسهم بينهم شديد) يقول قتالهم فيما بينهم شديد اذا قاتلوا قومهم لامع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه

(تحسبهم) اى اليهود والمنافقين (جميعا) مجتمعين ذوى الفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لاالفة بينها يعنى ان بينهم احنا وعداوات فلايتعاضدون حق التعاضد وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (ذلك) التفرق (بانهم قوم لايعقلون) ان تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على ارواحهم (كمثل الذين من قبلهم) اى مثلهم كمثل اهل بدر فحذف المبتدا (قريبا) اى استقر من قبلهم زمنا قريبا (ذاقوا وبال امرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيئ العاقبة يعنى ذاقوا عذاب القتل فى الدنيا (ولهم عذاب اليم) اى ولهم مع ذلك فى الآخرة عذاب النار (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر

الله ورسوله ﴿ تحسبهم جميعا ﴾ مجتمعين متفقين ﴿ وقلوبهم شتى ﴾ متفرقة لاالفة بينهما لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ﴿ ذلك بانهم قوم لايعقلون ﴾ مافيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم ﴿ كمثل الذين من قبلهم ﴾ اى مثل اليهود كمثل اهل بدر او بنى قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية ﴿ قريبا ﴾ فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ﴿ ذاقوا وبال امرهم ﴾ سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ فى الآخرة ﴿ كمثل الشيطان ﴾ اى مثل المنافقين فى اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان ﴿ اذ قال للانسان اكفر ﴾ اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور

فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله ﴿ تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ﴾ اى متفرقة مختلفة قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة اعمالهم مختلفة شهاداتهم وهم مجتمعون فى عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين و آراءهم يخالف دين اليهود و آراءهم ﴿ ذلك بانهم قوم لايعقلون ﴾ ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى ﴿ كمثل الذين من قبلهم قريبا ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ ذاقوا وبال امرهم ﴾ يعنى القتل ببدر وكان ذلك قبل غزوة بنى النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى بنى قينقاع وقيل مثل قريظة كمثل بنى النضير وكان بينهما سنتان ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ اى فى الآخرة ثم ضرب مثلا آخر للمنافقين واليهود جميعا فى تخاذلهم وتخلى بعضهم عن بعض فقال تعالى ﴿ كمثل الشيطان ﴾ اى مثل المنافقين مع بنى النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان ﴿ اذ قال للانسان اكفر ﴾ وذلك ماروى عن عطاء وغيره عن ابن عباس قال كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا تعبد فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين وان ابليس اعياه فى امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم يكفينى امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبياء وهو الذى تصدى للنبى صلى الله عليه وسلم وجاءه فى صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحى فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه الى اقصى ارض الهند لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين بزينة الرهبان وحلق وسط رأسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لاينفتل عن صلاته الا فى كل عشرة ايام ولايفطر الا فى كل عشرة ايام مرة فلما رأى الابيض انه لايجيبه اقبل على العبادة فى اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلى فى هيئة حسنة على هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله ندم فى نفسه اى لام نفسه حين لم يجبه فقال له انك ناديتنى

(تحسبهم) يا محمد يعنى المنافقين واليهود من بنى قريظة والنضير (جميعا) على امر واحد (وقلوبهم شتى) مختلفة (ذلك) الخلاف والخيانة (بانهم قوم لايعقلون) امر الله وتوحيده (كمثل الذين من قبلهم) يقول مثل بنى قريظة فى نقض العهد والعقوبة كمثل الذين من قبلهم من قبل بنى قريظة (قريبا) بسنتين (ذاقوا وبال امرهم) عقوبة امرهم بنقض العهد وهم بنو النضير (ولهم عذاب اليم) وجيع فى الآخرة (كمثل الشيطان) يقول مثل المنافقين مع بنى قريظة حيث خذلوهم كمثل الشيطان مع الراهب (اذ قال للانسان) الراهب برصيصا (اكفر) بالله

{وكنت}

وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتى انى جئت لاكون معك فاتأدب بادبك واقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وادعو لك قال برصيصا انى لفى شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما للمؤمنين نصيبا ان استجاب لى ثم اقبل على صلاته وترك الابيض واقبل الابيض يصلى فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعدها رآه قائما يصلى فلما رأى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ماحاجتك قال حاجتى ان تأذن لى فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه فى صومعته فاقام حولا يتعبد لايفطر الا فى كل اربعين يوما مرة ولاينفتل عن صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك ظننت انك اشد اجتهادا مما رأيت وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته لما رأى من كثرة اجتهاده ولما ودعه الابيض قال له ان عندى دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما انت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون قال برصيصا انا اكره هذه المنزلة لان لى فى نفسى شغلا وانى اخاف ان علم الناس شغلونى عن العبادة فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل فانطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء فى صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا افأعالجه قالوا نعم فعالجه فلم يقدر فقال لهم انى لااقوى على جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذى اذا دعا به اجيب قال فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عم تلك الجارية ملك بنى اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان يأتى الناس فى صورة متطبب فقال لهم اعالجها قالوا نعم فقال ان الذى عرض لها مارد لايطاق ولكن سأرشدكم الى من تثقون به تدعونها عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا ان يجيبنا الى هذا وهو اعظم شأنا من ذلك قال فانطلقوا فابنوا صومعة الى جنب صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها والا فضعوها فى صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب امانتك قال فانطلقوا فسألوه ذلك فأبى عليهم فبنوا صومعة على ماامرهم الابيض ثم انطلقوا فوضعوا الجارية فى صومعتها وقالوا يابرصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وماهى عليه من الجمال فوقعت فى قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتتعرض

﴿ فلما كفر قال انى برئ منك ﴾ تبرأ عنه مخافة ان يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال ﴿ انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما

لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال له ويحك واقعها فلم تجد مثلها وستتوب بعد ذلك فتدرك ماتريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل كذلك يأتيها حتى حملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سألوك فقل ذهب بها شيطانها فلم اقف عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته واقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيؤن فى بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا مافعلت اختنا قال قد جاء شيطانها فذهب بها ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى اكبرهم فى منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها فى موضع كذا وكذا فقال هذا حلم وهو من الشيطان ان برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث به فانطلق الشيطان الى اوسطهم فقال الاوسط مثل ماقال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لاخويه والله لقد رأيت كذا وكذا فقال الاوسط انا والله قد رأيت مثله فقال الاكبر وانا والله قد رأيت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا مافعلت اختنا فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكأنكم قد اتهمتمونى فقالوا لا والله لانتهمك واستحيوا منه وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة فى موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خرج من التراب فانطلقوا فرأوا اختهم على مارأوه فى النوم فمشوا فى مواليهم وغلمانهم معهم الفؤس والمساحى فهدموا صومعة برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به للملك فاقر على نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها ثم تكابر يجتمع عليك امران قتل ومكابرة اعترف فلما اعترف امر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال يا برصيصا اتعرفنى فقال لا قال انا صاحبك الذى علمتك الدعوات وكنت اذا دعوت بهن يستجاب لك ويحك مااتقيت الله فى امانتك خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بنى اسرائيل اما استحييت فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال فى آخر ذلك الم يكفك ماصنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت اشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح ابدا ولن يفلح احد من نظرائك قال فكيف اصنع قال تطيعنى فى خصلة واحدة حتى اخلصك مما انت فيه فآخذ بأعينهم واخرجك من مكانك قال وماهى قال تسجد لى قال مااستطيع افعل قال بطرفك افعل فسجد له برصيصا فقال يا برصيصا هذا الذى اردت منك صارت عاقبة امرك الى ان كفرت بربك ﴿ فلما كفر قال انى برئ منك انى أخاف الله رب العالمين ﴾ قال الله تعالى ﴿ فكان عاقبتهما ﴾ يعنى الشيطان

فلما كفر قال انى برئ منك انى أخاف الله رب العالمين) اى مثل المنافقين فى اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل الشيطان اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه فى العاقبة وقيل المراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برئ منكم (فكان عاقبتهما) عاقبة الانسان الكافر والشيطان

(فلما كفر) بالله خذله (قال انى برئ منك) ومن دينك (انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما) عاقبة الشيطان والراهب

انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ والمراد من الانسان الجنس
وقيل ابوجهل قال له ابليس يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم
الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على ان انهما الخبر لكان
وخالدان على انه الخبر لان وفى النار لغو

وذلك الانسان ﴿ انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ قال ابن عباس
ضرب الله هذا المثل ليهود بنى النضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله تعالى
امر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بنى النضير فدس المنافقون الى اليهود وقالوا لاتجيبوا
محمدا الى مادعاكم ولاتخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان اخرجكم خرجنا معكم
فاجابوهم ودربوا على حصونهم وتحصنوا فى ديارهم رجاء نصر المنافقين فخذلوهم
وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن
عباس فكان الرهبان بعد ذلك لايمشون فى بنى اسرائيل الا بالتقية والكتمان وطمع
اهل الفسق والفجور فى الاحبار ورموهم بالبهتان والقبيح حتى كان من امر جريج
الراهب ما كان فلما برأه الله مما رموه به من الزنا انبسطت الرهبان بعده وظهروا
للناس * وكانت قصة جريج على ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جريج وكان
جريج رجلا صالحا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلى فيها
فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان
من الغد أتته فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت
فلما كان من الغد أتته فقالت ياجريج فقال يارب امى وصلاتى فأقبل على صلاته
فقالت اللهم لاتمته حتى ينظر فى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا
وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها معهم فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال
فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت راعيا كان يأوى الى صومعته فامكنته من نفسها
فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته
وجعلوا يضربونه فقال ماشأنكم فقالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال اين
الصبى فجاؤا به فقال دعونى حتى اصلى فصلى فلما انصرف أتى الصبى فطعن فى بطنه
وقال ياغلام من ابوك قال فلان الراعى قال فاقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به
وقالوا له نبنى لك صومعتك من ذهب قال اعيدوها من طين كما كانت ففعلوا
وبيناصبى يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذوشارة حسنة فقالت امه
اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لاتجعلنى
مثل هذا ثم اقبل على ثديه فجعل يرضع قال فكانى انظر الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يحكى ارتضاعه باصبعه السبابة فى فيه فجعل يمصها قال ومر بجارية
وهم يضربونها ويقولون زنيت وسرقت وهى تقول حسبى الله ونعم الوكيل فقالت

(انهما فى النار خالدين فيها) عاقبتهما خبر كان مقدم وان مع اسمها وخبرها اى فى النار فى موضع الرفع على الاسم وخالدين حال (وذلك جزاء الظالمين

(انهما فى النار خالدين فيها) مقيمين فى النار (وذلك) الخلود فى النار (جزاء الظالمين) عقوبة الكافرين

ياايها الذين آمنوا اتقوا الله) في اوامره فلا تخالفوها (ولتنظر نفس) نكر النفس تقليلا للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة (ماقدمت لغد) يعني يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له اوعبر عن الآخرة بالغد كان الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد وتنكيره لتعظيم امره اى لغد لايعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ماعملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ماخلفنا

﴿ يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ﴾ ليوم القيامة سماه به لدنوه اولان الدنيا كيوم والآخرة كغده وتنكيره للتعظيم واماتنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة فى ذلك ﴿ واتقوا الله ﴾ تكرير للتأكيد اوالاول فى اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثاني فى ترك المحارم لاقترانه بقوله ﴿ ان الله خبير بما تعملون ﴾ وهو كالوعيد على المعاصى ﴿ ولاتكونوا كالذين نسوا الله ﴾ نسوا حقه ﴿ فانساهم انفسهم ﴾ فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا مايخلصها اواراهم يوم القيامة من الهول ماانساهم انفسهم ﴿ اولئك هم الفاسقون ﴾ الكاملون فى الفسوق ﴿ لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة ﴾ الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا للجنة والذين

امه اللهم لاتجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مررجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لاتجعلنى مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها وهم يقولون زنت وسرقت فقلت اللهم لاتجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها فقال ان ذلك الرجل كان جبارا فقلت اللهم لاتجعلنى مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها اخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخارى مفرقا حديث جريج تعليقا وحديث المرأة وابنها خاصة ◦ المومسات الزوانى جمع مومسة وهى المرأة الفاجرة ◦ والبغى الزانية ايضا ◦ وقوله يتمثل بحسنها اى يتعجب منه ويضرب به المثل ◦ وقوله ذوشارة حسنة اى صاحب جمال ظاهر فى الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك ◦ والجبار العاتى المتكبر القاهر للناس * قوله تعالى ﴿ ياايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ﴾ اى لينظر احدكم اى شئ قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه ام سيئا يوبقه والمراد بالغد يوم القيامة وقربه على الناس كان يوم القيامة يأتى غدا وكل ماهو آت فهو قريب ﴿ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ﴾ قيل كرر الامر بالتقوى تأكيدا وقيل معنى الاول اتقوا الله فى اداء الواجبات ومعنى الثانى واتقوا الله فلا تأتوا المنهيات ﴿ ولاتكونوا كالذين نسوا الله ﴾ اى تركوا امر الله ﴿ فانساهم انفسهم ﴾ اى انساهم حظوظ انفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده ﴿ اولئك هم الفاسقون لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة

(واتقوا الله) كرر الامر بالتقوى تأكيدا او اتقوا الله فى اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله فى ترك المعاصى لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد وقوله (ان الله خبير بما تعملون) فيه تحريض على المراقبة لان من علم وقت فعله ان الله مطلع على ما يرتكب من الذنوب يمتنع عنه (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) تركوا ذكر الله عز وجل وماامرهم به (فانساهم انفسهم) فتركهم من ذكره بالرحمة والتوفيق (اولئك هم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله (لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة

(ياايها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (اتقوا الله) اخشوا الله (ولتنظر نفس) كل نفس برة اوفاجرة (ماقدمت لغد) ماعملت ليوم القيامة فانما تجد يوم القيامة ماعملت فى الدنيا ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر (واتقوا الله) اخشوا الله فيما تعملون (ان الله خبير بما تعملون) من الخير والشر (ولاتكونوا) يامعشر المؤمنين فى المعصية (كالذين نسوا الله) تركوا طاعة الله فى السر وهم المنافقون ويقال تركوا طاعة الله فى السر والعلانية وهم اليهود (فانساهم انفسهم) فخذلهم الله حتى تركوا طاعة الله (اولئك هم الفاسقون) الكافرون بالله فى السر يعنى المنافقين وان فسرت على اليهود يقول هم الكافرون بالله فى السر والعلانية (لايستوى) فى الطاعة والثواب (اصحاب النار) اهل النار (واصحاب الجنة) اهل الجنة (اصحاب)

اصحاب الجنة هم الفائزون) هذا تنبيه للناس وايذان بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم فى العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لايعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين اصحابهما وان الفوز العظيم مع اصحاب الجنة والعذاب الاليم مع اصحاب النار فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لايعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذى يقتضى البر والتعطف وقد استدلت الشافعية بهذه الآية على ان المسلم لايقتل بالكافر وان الكافر لايملك مال المسلم بالاستيلاء وقد اجبنا عن مثل هذا فى اصول الفقه والكافى

استهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لايقتل بالكافر ﴿اصحاب الجنة هم الفائزون﴾ بالنعيم المقيم ﴿لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ تمثيل وتخييل كما مر فى قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله ﴿وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ فان الاشارة اليه والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام ﴿هو الله الذى لااله الاهو عالم الغيب والشهادة﴾

اصحاب الجنة هم الفائزون﴾ لما ارشد المؤمنين الى مايصلحهم بقوله ولتنظر نفس ماقدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم انفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لايستوى اصحاب النار يعنى الذين هم فى العذاب الدائم واصحاب الجنة يعنى الذين هم فى النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون ومعلوم ان من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما * قوله تعالى ﴿لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾ قيل معناه انه لو جعل فى الجبل تميزا وعقلا كما جعل فيكم وانزل عليه القرآن لخشع اى تطأطأ وخضع وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته مشفق من خشية الله وحذر من ان لايؤدى حق الله تعالى فى تعظيم القرآن والكافر مستخف بحقه معرض عما فيه من العبر والاحكام كانه لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما يتضمنه القرآن من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب مما لايجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف على هذا وفهمه اوجب له الخشوع والخشية وهذا تمثيل لان الجبل لايتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله تعالى له تميزا وعقلا يدل على انه تمثيل * قوله تعالى ﴿وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ اى الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقساوتها وغلظ طباعهم ولما وصف القرآن بالعظم اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى ﴿هو الله الذى لااله الا هو عالم الغيب والشهادة﴾ يعنى انه تعالى اعلم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه

(لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) اى من شأن القرآن وعظمته انه لو جعل فى الجبل تميز وانزل عليه القرآن لخشع اى لخضع وتطأطأ وتصدع اى تشقق من خشية الله وجائز ان يكون هذا تمثيلا كما فى قوله انا عرضنا الامانة ويدل عليه قوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وهى اشارة الى هذا المثل والى امثاله فى مواضع من التنزيل والمراد توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره ثم رد على من اشرك وشبهه بخلقه فقال (هو الله الذى لااله الاهو عالم الغيب والشهادة)

(اصحاب الجنة هم الفائزون) (قا و خا ۳۰ س) فازوا بالجنة ونجوا من النار (لو انزلنا هذا القرآن) الذى يقرأه عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (على جبل) اصم رأسه فى السماء وعرقه فى الارض السابعة السفلى (لرأيته) ذلك الجبل بقوته (خاشعا) خاضعا مستكينا مما فى القرآن من الوعد والوعيد (متصدعا) متكسرا متفسخا متشققا (من خشية الله) من خوف الله (وتلك) هذه (الامثال نضربها) نبينها (للناس) فى القرآن (لعلهم يتفكرون) لكى يتفكروا فى امثال القرآن (هو الله الذى لا اله الاهو عالم الغيب) ماغاب عن العباد ومايكون (والشهادة) ماعلمه العباد وما كان

ماغاب عن الحس من الجواهر القدسية واحواله وماحضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به اوالمعدوم والموجود او السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة ﴿ هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس ﴾ البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ﴿ السلام ﴾ ذوالسلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة ﴿ المؤمن ﴾ واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار ﴿ المهيمن ﴾ الرقيب الحافظ لكل شئ

ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه وقيل استوى فى علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة ﴿ هو الرحمن الرحيم ﴾ اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذوالرحمة ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن اشد مبالغة من الرحيم ولهذا قيل هو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى فى الدنيا يعم المؤمن والكافر وفى الآخرة يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين ﴿ هو الله الذى لا اله الا هو الملك ﴾ اى المتصرف بالامر والنهى فى جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته ﴿ القدوس ﴾ اى الطاهر عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذى كثرت بركته ﴿ السلام ﴾ اى الذى سلم من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذ التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان القدوس اشارة الى براءته عن جميع العيوب والنقائص فى الماضى والحاضر والسلام اشارة الى انه لا يطرأ عليه شئ من العيوب والنقائص فى المستقبل فان الذى يطرأ عليه شئ من ذلك تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام اى سلم خلقه من ظلمه ﴿ المؤمن ﴾ قال ابن عباس هو الذى امن الناس من ظلمه وامن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين من العذاب ﴿ المهيمن ﴾ قال ابن عباس اى الشهيد على عباده باعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه برزقه وانشد فى معناه

الا ان خير الناس بعد نبيه * مهيمنه التاليه فى العرف والنكر

اى القائم على الناس بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضى وقيل هو بمعنى الامين والمؤتمن وقيل بمعنى العلى ومنه قول العباس يمدح النبى صلى الله عليه وسلم فى ابيات منها

حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء زانها النطق

وقيل المهيمن اسم من اسماء الله تعالى هو اعلم بتأويله وانشدوا فى معناه

جل المهيمن عن صفات عبيده * ولقد تعالى عن عقول اولى النهى

راموا بزعمهم صفات مليكهم * والوصف يعجز عن مليك لا يرى

اى السر والعلانية او الدنيا والآخرة او المعدوم والموجود (هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك) الذى لا يزول ملكه (القدوس) المنزه عن القبائح وفى تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السلام) الذى سلم الخلق من ظلمه عن الزجاج (المؤمن) واهب الامن وعن الزجاج الذى امن الخلق من ظلمه او المؤمن من عذابه من اطاعه (المهيمن) الرقيب على كل شئ الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت

(هو الرحمن) العاطف على العباد البر والفاجر بالرزق لهم (الرحيم) خاصة على المؤمنين بالمغفرة ودخول الجنة (هو الله الذى لا اله الا هو الملك) الدائم الذى لا يزول ملكه (القدوس) الطاهر بلا ولد ولا شريك (السلام) سلم خلقه من زيادة عذابه على ما يجب عليهم بفعلهم (المؤمن) يقول امن خلقه من ظلم نفسه ويقال السلام سلم اولياؤه من عذابه المؤمن يقول هو آمن على اعمال العباد و آمن على مقدوره اى مقدور الله فى خلقه (المهيمن) (العزيز)

مفيعل من الامن قلبت همزته هاء ﴿ العزيز الجبار ﴾ الذى جبر خلقه على ما اراده اوجبر حالهم بمعنى اصلحه ﴿ المتكبر ﴾ الذى تكبر عن كل مايوجب حاجة اونقصانا ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ اذ لايشاركه فى شئ من ذلك ﴿ هو الله الخالق ﴾ المقدر للاشياء على مقتضى حكمته ﴿ البارئ ﴾ الموجد لها بريئا من التفاوت ﴿ المصور ﴾ الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد الاطناب فى شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتابى المسمى بمنتهى المنى ﴿ له الاسماء الحسنى ﴾ لانها دالة على محاسن المعانى ﴿ يسبح له مافى السموات والارض ﴾ لتنزهه عن النقائص كلها

﴿ العزيز ﴾ اى الذى لا يوجد له نظير وقيل الغالب القاهر ﴿ الجبار ﴾ قال ابن عباس الجبار هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو من الجبر يعنى الذى يغنى الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغنى كل فقير وقيل هو الذى يجبر الخلق ويقهرهم على ما اراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذى اذا اراد امرا فعله لايحجزه عنه حاجز وقيل الجبار هو الذى لاينال ولا يدانى والجبار فى صفة الله تعالى صفة مدح وفى صفة الناس صفة ذم وكذلك ﴿ المتكبر ﴾ فى صفة الناس صفة ذم لان المتكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا اظهر الكبر كان كذابا فى فعله فكان مذموما فى حق الناس واما المتكبر فى صفة الله تعالى فهو صفة مدح لان له جميع صفات العلو والعظمة ولهذا قال فى آخر الآية ﴿ سبحان الله عما يشركون ﴾ كأنه قيل ان بعض الخلق يتكبر فيكون ذلك نقصا فى حقه اما الله تعالى فله العلو والعظمة والعزة والكبرياء فان اظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذى تكبر بربوبيته فلاشئ مثله وقيل هو الذى تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لايليق بجماله وجلاله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو الملك سبحان الله عما يشركون اى من ادعاء الكبر لانفسهم ﴿ هو الله الخالق ﴾ اى المقدر لما يوجده فهو سبحانه وتعالى قدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل المقدر لقلب الشئ بالتدبير الى غيره ﴿ البارئ ﴾ اى المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود ﴿ المصور ﴾ اى الذى يخلق صورة الخلق على ما يريده وقيل معناه الممثل للمخلوقات بالعلامات التى يتميز بعضها عن بعض وقيل الخالق المبدئ للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد خلقه فيظهره من العدم الى الوجود المصور لما خلقه وانشاه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير التخطيط والتشكيل فاولا يكون خلقا ثم برأ ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارئ لان تأثير الارادة مقدم على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات مقدم على ايجاد الصفات ﴿ له الاسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والارض

هاء (العزيز) الغالب غير المغلوب (الجبار) العالى العظيم الذى يذل له من دونه او العظيم الشأن فى القدرة والسلطان او القهار ذو الجبروت (المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) نزه ذاته عما يصفه به المشركون (هو الله الخالق) المقدر لما يوجده (البارئ) الموجد (المصور) فى الارحام (له الاسماء الحسنى) الدالة على الصفات العلا (يسبح له مافى السموات والارض

الشهيد (العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن (الجبار) الغالب على عباده (المتكبر) على اعدائه ويقال المتبرئ عما تخيلوه (سبحان الله) نزه نفسه (عما يشركون) به من الاوثان (هو الله الخالق) للنطف فى اصلاب الآباء (البارئ) المحول من حال الى حال (المصور) مافى الارحام ذكرا اوانثى شقيا او سعيدا ويقال البارئ الجاعل الروح فى النسمة (له الاسماء الحسنى) الصفات العلى العلم والقدرة والسمع والبصر وغير ذلك فادعوه بها (يسبح له) يصلى له ويقال يذكره (ما فى السموات) من الخلق (والارض) من كل شئ حى

وهو العزيز الحكيم) ختم السورة بما بدأ به عن ابى هريرة رضى الله عنه سألت حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد على فاعدت عليه فاعاد على

﴿ سورة الممتحنة مدنية وهى ثلاث عشرة آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) روى ان مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم يقال لها سارة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها امسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت احتجت حاجة شديدة فحث عليها بنى عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فاتاها حاطب بن ابى بلتعة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى اهل مكة نسخته من حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابامرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال على والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل سيفه وقال لها اخرجى الكتاب او تضعى رأسك فاخرجته من عقاص شعرها وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هى احدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم اكن من انفسها

﴿وهو العزيز الحكيم﴾ الجامع للكمالات بأسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم* عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

﴿ سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلاث عشرة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء ﴾ نزلت فى حاطب بن ابى بلتعة

وهو العزيز الحكيم ﴾ عن معقل بن يسار رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسى كان كذلك اخرجه الترمذى وقال حديث غريب والله اعلم

﴿ سورة الممتحنة مدنية وهى ثلاث عشرة آية وثلثمائة وثمان ﴾

﴿ واربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء ﴾ الآية

(ق) وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهاليهم واموالهم غيرى فخشيت على اهلى فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل عليهم بأسه وان كتابى لا يغنى عنهم شيأ فصدقه وقبل عذره فقال عمر رضى الله عنه دعنى يا رسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم ففاضت عينا عمر رضى الله عنه فنزل (يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء)

(وهو العزيز) المنيع بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) فى امره وقضائه امر ان لا يعبد غيره ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الممتحنة وهى كلها مدنية آياتها ثلاثة عشر وكلماتها ثلثمائة وثمان واربعون وحروفها الف وخمسمائة وعشرة احرف ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا) يعنى حاطبا (لا تتخذوا عدوى) فى الدين (وعدوكم) فى القتل يعنى كفار مكة (اولياء) فى العون والنصرة

فانه لما علم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وارسل كتابه مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبرائيل عليه السلام فاعلم رسول الله فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابامرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فهموا بالرجوع فسل على رضى الله تعالى عنه السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حاطبا وقال ماحملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولاغششتك

﴿ ق ﴾ عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بناخيلنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجى الكتاب فقالت مامعى من كتاب فقلنا لتخرجى الكتاب اولتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به النبى صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابى بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة يخبرهم ببعض امر النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ماهذا فقال يارسول الله لاتعجل على انى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم واموالهم بمكة فاحببت اذ فاتنى ذلك من النسب فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ومافعلته كفرا ولاارتدادا عن دينى ولا ارضى بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعنى يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عزوجل ياايها الذين آمنوا لاتتخذو عدوى وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل * روضة خاخ موضع بقرب حمراء الاسد من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح * والظعينة المرأة المسافرة سميت بذلك لملازمتها الهودج * والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية فى حاطب بن ابى بلتعة كما جاء فى الحديث وذلك ان سارة مولاة لابى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لاقال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والعشيرة والموالى وقد ذهبت موالى وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطونى وتكسونى وتحملونى فقال لها واين انت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب منى شئ بعد وقعة بدر فحث عليها بنى عبدالمطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن ابى بلتعة حليف بنى اسد بن عبدالعزى فكتب معها الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل

عدى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوى واولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكنه على زنة المصدر اوقع على الجمع ايقاعه على الواحد وفيه دليل على ان الكبيرة لا تسلب اسم الايمان

ماقـبين (اليهم بالمودة) اومستانف بعد وقف على التوبيخ والالقـاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بهـا اليهم والبـاء فى بالمودة زائدة مـؤكدة للتعدى كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلـكة او ثابتة عـلى ان مفعـول تلقون محذوف معنـاه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسـلم بسبب المودة التى بينكم وبينهم (وقد كفروا) حال من لاتتخذوا اومن تلقون اى لاتتولوهم او توادونهم وهـذه حالهم (بمـا جاءكم من الحق) دين الاسـلام والقرآن (يخرجـون الرسـول واياكم) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم اوحال من كفروا (ان تؤمنوا) تعليـل ليخرجـون اى يخرجـونكم من مـكة لايمانكم

منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ليس لى فيهم من يحمى اهلى فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابى لايغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره ﴿ تلقون اليهم بالمودة ﴾ تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة والجملة حال من فاعل لاتتخذوا اوصفة لاولياء جرت على غير من هى له ولاحاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط فى الاسم دون الفعل ﴿ وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ حال من فاعل احد الفعلين ﴿ يخرجون الرسول واياكم ﴾ اى من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه ﴿ ان تؤمنوا

الكتاب الى اهل مكة وكتب فى الكتـاب من حاطب بن ابى بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسـول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابامرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابى بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه لكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها فى ذلك المكان الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فبحثوا وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال على والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسل السيف وقال اخرجى الكتـاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد اخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته فى شعرها فخلوا سـبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معهـا ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسـلم الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فمـا حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ سلمت ولاغششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا منهم وكان اهلى بين ظهرانيهم فخشيت على اهلى فاردت ان اتخذلى عنـدهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابى لايغنى عنهم شيأ فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يارسـول الله دعنى اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شـئتم فقد غفرت لكم فانزل الله فى شـأن حاطب بن ابى بلتعة يا ايها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم اولياء يعنى اصدقاء وانصـارا ﴿ تلقون اليهم بالمودة ﴾ اى باسـباب المحبة وقيل معنـاه تلقون اليهم اخبار النبى صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التى بينكم وبينهم ﴿ وقد كفروا ﴾ اى وحالهم انهم كفروا ﴿ بما جاءكم من الحق ﴾ يعنى القرآن ﴿ يخرجون الرسول واياكم ﴾ يعنى من مكة ﴿ ان تؤمنوا ﴾ اى لان آمنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم

(تلقون اليهم بالمودة) توجهون اليهم الكتـاب بالعون والنصرة (وقد كفروا بمـاجاءكم) يعنى حاطبا (من الحق) من الكتاب والرسـول (يخرجون الرسـول) يعنى محمدا عليه السلام من مكة (واياكم) واياك ياحاطب (ان تؤمنوا) لقبل ايمانكم (بالله)

(بالله ربكم ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا اى لاتتولوا اعدائى ان كنتم اوليائى وقول النحويين فى مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ماقبله عليه (جهادا فى سبيلى) مصدر فى موضع الحال اى ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى (وابتغاء مرضاتى) ومتبعين مرضاتى (تسرون اليهم بالمودة) اى تفضون اليهم بمودتكم سرا او تسرون اليهم اسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة وهو استئناف (وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم) والمعنى اى طائل لكم فى اسراركم وقد علمتم ان الاخفاء والاعلان سيان فى علمى وانا مطلع رسولى على ما تسرون (ومن يفعله) اى هذا الاسرار (منكم فقد ضل سواء السبيل) فقد اخطأ طريق الحق والصواب (ان يثقفوكم) اى يظفروا بكم ويتمكنوا منكم (يكونوا لكم اعداء) خالصى العداوة ولايكونوا لكم اولياء كما انتم (ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء) بالقتل والشتم (وودوا لو تكفرون) وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذا موادة امثالهم خطأ عظيم منكم والماضى وان كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع ففيه نكتة كأنه قيل ودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعنى انهم يريدون ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم يذالون لها دونه والعدو اهم شئ عنده ان يقصد اهم شئ عند صاحبه

(بالله ربكم ان كنتم) اذ كنتم (خرجتم جهادا) ان كنت ياحاطب خرجت من مكة الى المدينة للجهاد (فى سبيلى) فى طاعتى (وابتغاء مرضاتى) طلب رضائى (تسرون اليهم بالمودة) لا تسروا اليهم الكتاب بالعون والنصرة (وانا اعلم بما اخفيتم) يعنى بما اخفيت ياحاطب من الكتاب ويقال من التصديق (وما اعلنتم) يقول وما اعلنت ياحاطب من العذر ويقال من التوحيد (ومن يفعله منكم) يامعشر المؤمنين مثل مافعل حاطب (فقد ضل سواء السبيل) فقد ترك قصد طريق الهدى (ان يثقفوكم) ان يغلب عليكم اهل مكة (يكونوا لكم اعداء) يتبين لكم انهم اعداء لكم فى القتل (ويبسطوا اليكم) يمدوا اليكم (ايديهم) بالضرب (والسنتهم بالسوء) بالشتم والطعن (وودوا) تمنوا كفار مكة (لو تكفرون) ان تكفروا بالله بعد ايمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وهجرتكم الى رسول الله

بالله ربكم ﴾ بان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على مايوجب الايمان ﴿ ان كنتم خرجتم ﴾ عن اوطانكم ﴿ جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ﴾ علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لاتتخذوا ﴿ تسرون اليهم بالمودة ﴾ بدل من تلقون او استئناف معناه اى طائل لكم فى اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة ﴿ وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ﴾ اى منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ﴿ ومن يفعله منكم ﴾ اى من يفعل الاتخاذ ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ اخطأه ﴿ ان يثقفوكم ﴾ يظفروا بكم ﴿ يكونوا لكم اعداء ﴾ ولاينفعكم القاء المودة اليهم ﴿ ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ﴾ ما يسوءكم كالقتل والشتم ﴿ وودوا لو تكفرون ﴾ وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضى للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شئ

﴿ بالله ربكم ان كنتم خرجتم ﴾ هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم ﴿ جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ﴾ فلا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء * وقوله ﴿ تسرون اليهم بالمودة ﴾ اى بالنصيحة ﴿ وانا اعلم بما اخفيتم ﴾ اى من المودة للكفار ﴿ وما اعلنتم ﴾ اى اظهرتم بالسنتكم منها ﴿ ومن يفعله منكم ﴾ اى الاسرار والقاء المودة اليهم ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ اى اخطأ طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى ﴿ ان يثقفوكم ﴾ اى يظفروا بكم ويروكم ﴿ يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ﴾ اى بالضرب والقتل والشتم والسب ﴿ وودوا ﴾ اى تمنوا ﴿ لو تكفرون ﴾ اى ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان

(ان تنفعكم ارحامكم) قراباتكم (ولا اولادكم) الذين توالون الكفار من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال (يوم القيمة يفصل بينكم) وبين اقاربكم و اولادكم يوم يفر المرء من اخيه الآية فمالكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا يفصل عاصم يفصل حمزة وعلى والفاعل هو الله عز وجل يفصل ابن ذكوان غيرهم يفصل (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم على اعمالكم (قد كانت لكم اسوة) قدوة فى التبرئ من الاهل (حسنة فى ابراهيم) اى فى اقواله ولهذا استثنى منها الاقول ابراهيم (والذين معه) من المؤمنين وقيل كانوا انبياء (اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم) جمع برئ كظريف وظرفاء (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة) بالافعال (والبغضاء) بالقلوب (ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) فحينئذ نترك عداوتكم (الاقول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك) وذلك لموعدة وعدها اياه اى اقتدوا به فى اقواله ولا

وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم ﴿ لن تنفعكم ارحامكم ﴾ قراباتكم ﴿ ولا اولادكم ﴾ الذين توالون المشركين لاجلهم ﴿ يوم القيمة يفصل بينكم ﴾ يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فمالكم ترفضون ليوم حق الله لمن يفر عنكم غدا وقرأ حمزة والكسائى بكسر الصاد والتشديد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر وابو عمرو يفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وقرأ عاصم يفصل ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ فيجازيكم عليه ﴿ قد كانت لكم اسوة حسنة ﴾ قدوة اسم لما يؤتسى به ﴿ فى ابراهيم والذين معه ﴾ صفة ثانية اوخبر كان ولكم لغو او حال من المستكن فى حسنة اوصلة لها لا لاسوة لانها وصفت ﴿ اذ قالوا لقومهم ﴾ ظرف لخبر كان ﴿ انا برآء منكم ﴾ جمع برئ كظريف وظرفاء ﴿ ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ﴾ اى بدينكم او بمعبودكم اوبكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم ﴿ وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة ﴿ الاقول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك ﴾ استثناء من

اعداء الله لايخلصون المودة لاولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم انتم ولاتوادوهم ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ولا اولادكم ﴾ اى لايدعونكم ولايحملنكم ذوو ارحامكم وقراباتكم واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة اعدائهم فانه لاتنفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين عصيتم الله لاجلهم ﴿ يوم القيمة يفصل بينكم ﴾ اى يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ * قوله تعالى ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم ﴾ يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ والذين معه ﴾ اى من اهل الايمان ﴿ اذ قالوا لقومهم ﴾ يعنى المشركين ﴿ انا برآء منكم ﴾ جمع برئ ﴿ ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم ﴾ اى جحدناكم وانكرنا دينكم ﴿ وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ والمعنى ان ابراهيم عليه السلام واصحابه تبرؤا من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمؤمنين ان يتأسوا بهم ﴿ الاقول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك ﴾

(لن تنفعكم ارحامكم) بمكة ان كفرتم بالله (ولا اولادكم يوم القيمة) من عذاب الله (يفصل بينكم) يفرق بينكم وبين المؤمنين يوم القيامة ويقال يقضى بينكم على هذا (والله بما تعملون) من الخير والشر (بصير قد كانت لكم) قد كانت لك يا حاطب (اسوة حسنة) اقتداء صالح (فى ابراهيم) فى قول ابراهيم (والذين معه) وفى قول الذين معه من المؤمنين (اذ قالوا) (يعنى) لقومهم) لقرابتهم الكفار (انا برآء منكم) من قرابتكم ودينكم (ومما تعبدون من دون الله) من الاوثان (كفرنا بكم) تبرأنا منكم ومن دينكم (وبدا) ظهر (بيننا وبينكم العداوة) بالقتل والضرب (والبغضاء) فى القلب (ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده) حتى تقروا بواحدانية الله (الاقول ابراهيم) غير قول ابراهيم (لابيه لاستغفرن لك) لانه كان عن موعدة وعدها اياه فلما مات على الكفر تبرأ منه فقال له

تأسوابه فى الاستغفار لابيه الكافر (وماأملك لك من الله من شئ) اى من هداية ومغفرة وتوفيق وهذه الجملة لا تليق بالاستثناء الاترى الى قوله قل فمن يملك لكم من الله شيأ ولكن المراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد الى موعد الاستغفارله ومابعده تابع له كانه قال استغفرلك وما فى طاقتى الا الاستغفار (ربنا عليك توكلنا) متصل بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة وقيل معناه قولوا ربنا فهو ابتداء امر من الله للمؤمنين بان يقولوه (واليك انبنا) اقبلنا (واليك المصير) المرجع (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) اى لاتسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب (واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم) اى الغالب الحاكم (لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) ثم كرر الحث على الاتساء بابراهيم عليه السلام وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذا جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية فى التأكيد وابدل من قوله لكم قوله لمن كان يرجوالله اى ثوابه اى يخشى الله وعقبه بقوله (ومن يتول) يعرض عن امرنا ويوال الكفار (فان الله هو الغنى) عن الخلق (الحميد) المستحق للحمد فلم يترك نوعا من

قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغى ان تأتسوا به فانه كان قبل النهى اولموعده وعدها اياه ﴿ وما املك لك من الله من شئ ﴾ من تمام قوله المستثنى ولايلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ﴿ ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ﴾ متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ﴿ ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾ بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لاتحمله ﴿ واغفر لنا ﴾ مافرط منا ﴿ ربنا انك انت العزيز الحكيم ﴾ ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعى ﴿ لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة ﴾ تكرير لمزيد الحث على التأسى بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله ﴿ لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾ من لكم فانه يدل على انه لاينبغى لمؤمن ان يترك التأسى بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ﴿ ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد ﴾ فانه جدير بان يوعد به الكفرة

يعنى لكم ان تتأسوا بابراهيم فى جميع اموره الا فى الاستغفار لابيه المشرك فلا تتأسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرأ منه ﴿ وما املك لك من الله من شئ ﴾ هذا من قول ابراهيم لابيه يعنى مااغنى عنك ولا ادفع عنك عذاب الله ان عصيته واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المؤمنين ﴿ ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا ﴾ اى لاتظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لاتعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لوكان هؤلاء على الحق مااصابهم ذلك ﴿ واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم ﴾ يعنى فى ابراهيم ومن معه ﴿ أسوة حسنة ﴾ اى اقتداء حسن ﴿ لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾ اى ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة ﴿ ومن يتول ﴾ اى يعرض عن الايمان ويوال الكفار ﴿ فان الله هو الغنى ﴾ اى عن خلقه ﴿ الحميد ﴾

(وما املك لك من الله) من عذاب الله (من شئ) ثم علمهم كيف يقولون فقال قولوا (ربنا) ياربنا (عليك توكلنا) وثقنا (واليك أنبنا) اقبلنا الى طاعتك (واليك المصير) المرجع فى الآخرة (ربنا) قولوا ياربنا (لاتجعلنا فتنة) بلية (للذين كفروا) كفار مكة يقولون لاتسلطهم علينا فيظنوا انهم على الحق ونحن على الباطل فتزيدهم بذلك جراءة علينا (واغفر لنا) ذنوبنا (ربنا) ياربنا (انك أنت العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن بك (الحكيم) بالنصرة لمن آمن بك (لقد كان لكم) لقد كان لك يا حاطب (فيهم) فى قول ابراهيم وفى قول الذين معه من المؤمنين (اسوة حسنة) اقتداء صالح (لمن كان يرجوالله) يخاف الله (واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت فهلا قلت يا حاطب مثل ماقال ابراهيم ومن آمن به (ومن يتول) يعرض عما أمره الله (فان الله هو الغنى) عنه وعن خلقه (الحميد) المحمود فى فعاله ويقال الحميد

التأكيد الاجابه ولما نزلت هذه الآيات وتشدد المؤمنون فى عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم من المشركين اطمعهم فى تحول الحال الى خلافه فقال (عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) اى من اهل مكة من اقربائكم (مودة) بان يوفقهم للايمان فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله بامنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم التحاب وعسى وعد من الله على عادت الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى اولعل فلاتبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك او اريد به اطماع المؤمنين (والله قدير) على تقليب القلوب وتحويل الاحوال وتسهيل اسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن اسلم من المشركين (لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم) تكرموهم وتحسنوا اليهم قولا وفعلا ومحل ان تبروهم جر على البدل من الذين لم يقاتلوكم وهو بدل اشتمال والتقدير عن بر الذين (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم واذا نهى عن الظلم فى حق المشرك فكيف فى حق المسلم (ان الله يحب المقسطين

﴿ عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة ﴾ لما نزل لاتتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤا عنهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء ﴿ والله قدير ﴾ على ذلك ﴿ والله غفور رحيم ﴾ لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ﴾ اى لاينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ﴿ ان تبروهم ﴾ بدل من الذين ﴿ وتقسطوا اليهم ﴾ تفضوا اليهم بالقسط اى العدل ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر

اى الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون اقرباءهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك فانزل الله تعالى ﴿ عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم ﴾ اى من كفار مكة ﴿ مودة ﴾ ففعل الله تعالى ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابى سفيان ولان لهم ابو سفيان ﴿ والله قدير ﴾ اى على جعل المودة بينكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ اى لمن تاب منهم واسلم ثم رخص فى صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى ﴿ لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم ﴾ اى لاينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم ﴿ وتقسطوا اليهم ﴾ اى وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم والبر ﴿ ان الله يحب المقسطين ﴾ اى العادلين قال ابن عباس نزلت فى خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لايقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله فى برهم وقال عبدالله بن الزبير نزلت فى امه وهى اسماء بنت ابى بكر وذلك ان امها قتيلة بنت عبدالعزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا وقرصا وسمنا وهى مشركة فقالت اسماء لااقبل منك هدية ولاتدخلى على بيتا حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فانزل الله تعالى

لمن وحده ويقال الحميد يشكر اليسير من اعمالهم ويجزى الجزيل من ثوابه (عسى الله) عسى من الله واجب (أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم) خالفتم فى الدين (منهم) من اهل مكة (مودة) صلة وتزويجا فتزوج النبى صلى الله عليه وسلم عام فتح مكة ام حبيبة بنت ابى سفيان فهذا كان صلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله قدير) بظهور نبيه على كفار قريش (والله غفور) متجاوز لمن تاب منهم من الكفر وآمن بالله (رحيم) لمن مات منهم على الايمان والتوبة (لاينهاكم الله عن الذين) عن صلة ونصرة الذين (لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) مكة ولم يعينوا احدا على اخراجكم من مكة (ان تبروهم) ان تصلوهم وتنصروهم (وتقسطوا اليهم) تعدلوا بينهم بوفاء العهد (ان الله يحب المقسطين) العادلين بوفاء العهد وهم خزاعة قوم هلال بن عويمر وخزيمة وبنو مدلج صالحوا النبى قبل عام الحديبية على ان لايقاتلوه ولا يخرجوه من مكة ولايعينوا احدا على اخراجه فلذلك لم ينهه الله عن صلتهم

(هذه)

رضى الله عنهما بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت ﴿ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ﴾ كمشركى مكة فان بعضهم سعوا فى اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ﴿ان تولوهم﴾ كمشركى مكة بدل من الذين بدل الاشتمال ﴿ ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون ﴾ لوضعهم الولاية فى غير موضعها ﴿ ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن لسانهن فى الايمان

هذه الآية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها (ق) عن اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما قالت قدمت على امى وهى مشركة فى عهد قريش اذعاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ان امى قدمت على وهى راغبة افأصلها قال نعم صليها زاد فى رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ثم ذكر الله الذين نهى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى ﴿ انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ﴾ وهم مشركو مكة ﴿ ان تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ * قوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ﴾ الآية (خ) عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة يخبران عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبى صلى الله عليه وسلم انه لايأتيك منا احد وان كان على دينك الارددته الينا وخليت بيننا وبينه وكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبى صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم يأته احد من الرجال الارده فى تلك المدة وان كان مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهى عاتق فجاء اهلها يسألون عنها النبى صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى انزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن قال عروة فاخبرتنى عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية ياايها النبى اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قال عروة قالت عائشة فمن اقرت بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله مامست يده يد امرأة قط فى المبايعة ولا بايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا كان بالحديبية صالحه مشركو مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من اصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافر من بنى

اخراجكم ان تولوهم) هو بدل من الذين قاتلوكم والمعنى لاينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولى هؤلاء (ومن يتولهم) منكم (فاولئك هم الظالمون) حيث وضعوا التولى غير موضعه (ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لنطقهن بكلمة الشهادة اولا نهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (مهاجرات) نصب على الحال (فامتحنوهن) فابتلوهن بالنظر فى الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وعن ابن عباس امتحانها ان تقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

(انما ينهاكم الله عن الذين) عن صلة الذين (قاتلوكم فى الدين) وهم اهل مكة (واخرجوكم من دياركم) من مكة (وظاهروا) عاونوا (على اخراجكم) من مكة (ان تولوهم) ان تصلوهم (ومن يتولهم) فى العون والنصرة (فأولئك هم الظالمون) الضارون لانفسهم (ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) المقرات بالله (مهاجرات) من مكة الى الحديبية او الى المدينة (فامتحنوهن) فاسألوهن واستحلفوهن لماذا جئتن

(الله اعلم بايمانهن) منكم فانكم وان رزتم احوالهن لاتعلمون ذلك حقيقة وعندالله حقيقة العلم به (فان علمتموهن
مؤمنات) العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بظهور الامارات وتسمية الظن علما يؤذن بان الظن الغالب وما يفضى
اليه القياس جار مجرى العلم وصاحبه غير داخل فى قوله ولاتقف ماليس لك به علم (فلاترجعوهن الى الكفار)
فلاتردوهن الى ازواجهن المشركين (لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن) ى
لاحل بين المؤمنة والمشرك لوقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة (وآتوهم ما انفقوا) واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا اليهن من المهور نزلت الاية بعد صلح الحديبية وكان الصلح قد وقع على

﴿الله اعلم بايمانهن﴾ فانه المطلع على مافى قلوبهن ﴿فان علمتموهن مؤمنات﴾ العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم فى وجوب العمل به ﴿فلاترجعوهن الى الكفار﴾ اى الى ازواجهن الكفرة لقوله ﴿لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾ والتكرير للمطابقة والمبالغة اوالاول لحصول الفرقة والثانى للمنع عن الاستئناف ﴿وآتوهم ماانفقوا﴾ مادفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهى عنه لزمه رد مهورهن اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان بعد

مخزوم وقيل هو صيفى بن الراهب فى طلبها وهو كافر فقال يامحمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا وهذه طية الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله ياايها الذين آمنوا اذاجاءكم المؤمنات مهاجرات اى من دار الكفر الى دار السلام فامتحنوهن قل ابن عباس امتحانها ان تستحلف ماخرجت من بعض زوج ولارغبة عن ارض الى ارض ولالحدث احدثته ولا التماس دنيا وماخرجت الارغبة فى الاسلام وحبالله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فلم يردها واعطى زوجها مهرها ومالنفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب قال المفسرون المراد بقوله ياايها الذين آمنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هوالذى تولى امتحانهن بنفسه فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطى ازواجهن مهورهن ويرد من جاء من الرجال واختلف العلماء هل دخل ردالنساء فى عقد الهدنة لفظا اوعموما فقيل قدكان شرط ردهن فى عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه فى الرجال على ما كان فى العقد وقيل لم يشترط ردهن فى العقد لفظا صريحا وانما اطلق العهد فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم العقد وفرق بينهن وبين الرجال فى الحكم ﴿الله اعلم بايمانهن﴾ اى هذا الامتحان لكم والله اعلم بايمانهن ﴿فان علمتموهن مؤمنات فلاترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن﴾ اى اذا اقررن بالايمان فلاتردوهن الى الكفار لان الله لم يبح مؤمنة لكافر ﴿وآتوهم﴾ يعنى ازواجهن ﴿ماانفقوا﴾ اى عليهن

(الله اعلم بايمانهن) بمستقر قلوبهن على الايمان (فان علمتموهن مؤمنات) بالامتحان (فلاترجعوهن) لاتردوهن (الى الكفار) الى ازواجهن الكفار (لاهن) يعنى المؤمنات (حل لهم) لازواجهن الكفار (ولاهم) يعنى الكفار (يحلون لهن) للمؤمنات يقول لاتحل مؤمنة لكافر ولا كافرة لمؤمن (وآتوهم ماانفقوا) اعطوا ازواجهن ماانفقوا عليهن من المهر نزلت هذه الآية فى سبيعة بنت الحرث الاسلمية جاءت
الى النبي عليه السلام عام الحديبية مسلمة وجاء زوجها مسافر فى طلبها فاعطى النبي صلى الله عليه (من)
وسلم لزوجها مهرها وكان قدصالح النبي عليه السلام اهل مكة عام الحديبية قبل هذه الآية على ان من دخل منا
فى دينكم فهو لكم ومن دخل منكم فى ديننا فهو رد اليكم وايما امرأة دخلت منا فى دينكم فهى لكم وتؤدون مهرها
الى زوجها وايما امرأة منكم دخلت فى ديننا فنؤدى مهرها الى زوجها فلذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم مهر سبيعة

ان يرد على اهل مكة من جاء مؤمنا منهم فانزل الله هذه الآية بيان ان ذلك فى الرجال لا فى النساء لان المسلمة لا تحل للكافر وقيل نسخت هذه الآية الحكم الاول (ولا جناح عليكم ان تنكحوهن) ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات (اذا آتيتموهن اجورهن) اى مهورهن لان المهراجر البضع وبه احتج ابوحنيفة رضى الله عنه على ان لا عدة على المهاجرة (ولاتمسكوا) ولاتمسكوا بصرى (بعصم الكوافر) العصمة مايعتصم به من عقد وسبب والكوافر جمع كافرة وهى التى بقيت فى دار الحرب او لحقت بدار الحرب مرتدة اى لايكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه (واسئلوا ما انفقتم) من مهور ازواجكم اللاحقات بالكفار ممن تزوجها (وليسئلوا ماأنفقوا) من

بالحديبية اذجاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ماانفق وتزوجها عمر رضى الله تعالى عنه ﴿ولاجناح عليكم ان تنكحوهن﴾ فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار ﴿اذا آتيتموهن اجورهن﴾ شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان مااعطى ازواجهن لايقوم مقام المهر ﴿ولاتمسكوا بعصم الكوافر﴾ بمايعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولاتمسكوا بالتشديد ﴿واسئلوا ماانفقتم﴾ من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿وليسئلوا ماانفقوا﴾ من مهور

من المهر الذى دفعوه اليهن ﴿ولاجناح عليكم ان تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن﴾ اى مهورهن اباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج كفار فى دار الحرب لان الاسلام فرق بينهن وبين ازواجهن الكفار ووقعت الفرقة بانقضاء عدتها فان اسلم الزوج قبل انقضاء عدتها فهى زوجته وبه قال الاوزاعى والليث بن سعد ومالك والشافعى واحمد وقال ابوحنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين ﴿ولاتمسكوا بعصم الكوافر﴾ جمع عصمة وهى مااعتصم به من العقد والسبب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات يقول الله تعالى وان كانت له امرأة كافرة بمكة فلايعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهرى لما نزلت هذه الآية طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت ابى امية ابن المغيرة فتزوجها معاوية بن ابى سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهى ام ابنه عبيدالله فتزوجها ابو جهم بن حذافة ابن غنم وهما على شركهما وكانت اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبدالمطلب تحت طلحة بن عبيدالله فهاجر طلحة وبقيت هى على دين قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده فى الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن امية قال الشعبى وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة ابى العاص بن ربيع فاسلمت وهاجرت ولحقت بالنبى صلى الله عليه وسلم واقام ابوالعاص بمكة مشركا ثم اتى المدينة فاسلم فردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿واسئلوا﴾ اى ايها المؤمنون ﴿ما انفقتم﴾ يعنى ان لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ماانفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم ﴿وليسئلوا﴾ يعنى المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم ﴿ماأنفقوا﴾

لزوجها مسافر (ولاجناح) لاحرج (عليكم) يامعشر المؤمنين (ان تنكحوهن) ان تتزوجوهن يعنى اللاتى دخلن فى دينكم من الكفار (اذا آتيتموهن) اعطيتموهن (أجورهن) مهورهن يقول ايما امرأة اسلمت وزوجها كافر فقد انقطع مابينها وبين زوجها من عصمة ولا عدة عليها من زوجها الكافر وجازلها ان تتزوج اذا استبرأت (ولاتمسكوا بعصم الكوافر) لا تأخذوا بعد الكوافر يقول ايما امرأة كفرت بالله فقد انقطع مابينها وبين زوجها المؤمن من العصمة ولاتعتدوا بها من ازواجكم (واسئلوا ماانفقتم) يقول اطلبوا من اهل مكة ماانفقتم على ازواجكم ان دخلن فى دينهم (وليسئلوا) ليطلبوا منكم (ماأنفقوا)

ازواجهم المهاجرات ﴿ ذلكم حكم الله ﴾ يعنى جميع ماذكر فى الآية ﴿ يحكم بينكم ﴾ استيناف اوحال من الحكم على حذف الضمير اوجعل الحكم حاكما على المبالغة ﴿ والله عليم حكيم ﴾ يشرع ماتقتضيه حكمته ﴿ وان فاتكم ﴾ وان سبقكم وانفلت منكم ﴿ شئ من ازواجكم ﴾ احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة فى التعميم اوشئ من مهورهن ﴿ الى الكفار فعاقبتم ﴾ فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ﴿ فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ماانفقوا ﴾ من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روى انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت

من المهر ممن تزوجها منكم ﴿ ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم ﴾ قال الزهرى ولولا الهدنة والعهد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء ولم يرد الصداق وكذلك صنع بمن جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الآية اقر المؤمنون بحكم الله تعالى وادوا ماامروا به من اداء نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما امر من اداء نفقات المسلمين فانزل الله عزوجل ﴿ وان فاتكم ﴾ ايها المؤمنون ﴿ شئ من ازواجكم الى الكفار ﴾ اى فلحقن بهم مرتدات ﴿ فعاقبتم ﴾ معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى وهى الغنيمة وقيل معناه ظهرتم وكانت العاقبة لكم ﴿ فآتوا الذين ذهبت ازواجهم ﴾ اى الى الكفار ﴿ مثل ما انفقوا ﴾ معناه اعطوا الذين ذهبت ازواجهم منكم الى الكفار مرتدات مثل ماانفقوا عليها من الغنائم التى صارت فى ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابى سفيان وكانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت ابى امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز بن نضلة وتزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابى جهل بن هشام وكانت تحت هشام بن العاص بن وائل وام كلثوم وكانت تحت عمر بن الخطاب فكلهن رجعن عن الاسلام فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول فى رد مهر من اسلمت من النساء الى زوجها هل كان واجبا اومندوبا واصل هذه المسئلة ان الصلح هل كان وقع على رد النساء ام لا فيه قولان احدهما انه وقع على رد الرجال والنساء جميعا لما روى انه لا يأتيك منا احد الارددته ثم صار الحكم فى رد النساء منسوخا بقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا

على المبالغة وهو منسوخ فلم يبق سؤال المهر لامنا ولا منهم (والله عليم حكيم وان فاتكم شئ من ازواجكم الى الكفار) وان انفلت احد منهن الى الكفار وهو فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه احد (فعاقبتم) فاصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم عن الزجاج (فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ماأنفقوا) فاعطوا المسلمين الذين ارتدت زوجاتهم ولحقن بدار الحرب مهور زوجاتهم من هذه الغنيمة

على ازواجهم من المهر ان دخان فى دينكم وعلى هذا صالحهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يؤدوا بعضهم الى بعض مهور نسائهم ان اسلمن اوكفرن (ذلكم حكم الله) فريضة الله (يحكم بينكم) وبين اهل مكة (والله عليم) بصلاحكم (حكيم) فيما حكم بينكم وهذه الآية منسوخة بالاجماع الى (وان فاتكم شئ من ازواجكم) يقول ان رجعت واحدة من ازواجكم (الى الكفار) ليس بينكم وبينهم العهد والميثاق (فعاقبتم) فغنمتم من العدو (فآتوا) فأعطوا (الذين ذهبت ازواجهم) رجعت ازواجهم الى الكفار (مثل ماانفقوا) عليهن من المهر والغنيمة (كان)

(واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) وقيل هذا الحكم منسوخ ايضا (ياأيها النبى اذاجاءك المؤمنات يبايعنك) هو حال (على أن لايشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين

وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى هى الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة ﴿ واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون ﴾ فان الايمان به يقتضى التقوى منه ﴿ ياايها النبى اذاجاءك المؤمنات يبايعنك على ان لايشركن بالله شيأ ﴾ نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء ﴿ ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ﴾ يريد وأد البنات ﴿ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن

كان رد المهر واجبا والقول الثانى ان الصلح لم يقع على رد النساء لانه روى عن على انه قال لايأتيك منا رجل وان كان على دينك الارددته وذلك لان الرجل لايخشى عليه من الفتنة فى الرد مايخشى على المرأة من اصابة المشرك اياها وانه لايؤمن عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج من الكفر باظهار كلمة الكفر مع التورية واضمار كلمة الايمان وطمأنينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته وهدايته التقية فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا فى انه هل يجب العمل به اليوم فى رد المال اذا شرط فى معاقدة الكفار فقال قوم لايجب وزعموا ان الآية منسوخة وهم عطاء ومجاهد وقتادة وقال قوم الآية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا * قوله تعالى ﴿ واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون يا أيها النبى اذاجاءك المؤمنات يبايعنك ﴾ الآية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النساء يبايعنه وعمر بن الخطاب اسفل منه يبايعهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابى سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابايعهن ﴿ على ان لايشركن بالله شيأ ﴾ فرفعت هند رأسها وقالت والله انك لتأخذ علينا امرا مارأيناك اخذته على الرجال وكان قد بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يسرقن ﴾ فقالت هند ان اباسفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات فلا ادرى ايحل لى ام لا فقال ابو سفيان مااصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر وهو حلال فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عقبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال ﴿ ولا يزنين ﴾ فقالت هند اوتزنى الحرة فقال ﴿ ولا يقتلن أولادهن ﴾ فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يأتين ببهتان نفترينه بين ايديهن وارجلهن ﴾ فقالت هند والله

قبل الخمس (واتقوا الله) اخشوا الله فيما امركم (الذى انتم به مؤمنون) مصدقون وجميع من ارتدت من نساء المؤمنين ست نسوة منهن امرأتان من نساء عمر بن الخطاب ام سلمة وام كلثوم بنت جرول وام الحكم بنت ابى سفيان كانت تحت عباد ابن شداد الفهرى وفاطمة بنت ابى امية بن المغيرة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان من بنى مخزوم وعبدة بنت عبد العزى بن فضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابى جهل بن هشام كانت تحت هاشم بن العاص بن وائل السهمى فاعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهر نسائهم من الغنيمة (ياايها النبى) يعنى محمدا (اذا جاءك المؤمنات) نساء اهل مكة بعد فتح مكة (يبايعنك) يشارطنك (على ان لايشركن بالله شيأ) من الاصنام ولا يستحللن ذلك (ولا يسرقن) ولا يستحللن (ولا يزنين) ولا يستحللن الزنا (ولا يقتلن اولادهن) ولا يدفن بناتهن احياء ولا يستحللن ذلك (ولا يأتين ببهتان) ولا يجئن بولد من الزنا (يفترينه) على الزوج ويضعنه (بين ايديهن وارجلهن)

ولايعصينك فى معروف ﴾ فى حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لايأمر الابه تنبيه على انه لايجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق ﴿ فبايعهن ﴾ اذابايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء

ان البهتان لقبيح وماتأمرنا الابالرشد ومكارم الاخلاق ﴿ ولايعصينك فى معروف ﴾ فقالت هند ماجلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ فأقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزى وجملة من احصى من المبايعات اربعمائة وسبعة وخمسون امرأة ولم يصافح فى البيعة امرأة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الآية على ان لايشركن بالله شيأ وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة لايملكها* واما تفسير الآية فقوله تعالى ولايقتلن اولادهن اراد به وأد البنات الذى كان يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام فى كل نوع من قتل الولد ولايأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعنى لاتلحق المرأة بزوجها غيرولده وذلك ان المرأة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدى منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهى عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين ايديهن وارجلهن ان الولد اذا وضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولايعصينك فى معروف اى فى كل ماتأمرهن به اوتنهاهن عنه وقيل فى كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه رشد وقيل هو النهى عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لاتحدث المرأة الرجال الاجانب ولاتخلو برجل غير ذى محرم ولاتسافر مع غير ذى محرم قال ابن عباس فى قوله ولايعصينك فى معروف انما هوشرط شرطه الله على النساء اخرجه البخارى (ق) عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ علينا ان لايشركن بالله شيأ ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة منا يدها فقالت فلانة اسعدتنى فانا اريد ان اجزيها فما قال لها النبى صلى الله عليه وسلم شيأ فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية * عن اسيد بن اسيد عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف الذى اخذ علينا ان لانعصيه فيه ان لانخمش وجها ولاندعو ويلا ولا نشق جيبا ولانشر شعرا اخرجه ابوداود * عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يارسول الله نساء اسعدتنا فى الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسعاد فى الاسلام اخرجه النسائى (م) عن ابى مالك الاشعرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب* وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة اخرجه ابو داود * وقوله تعالى ﴿ فبايعهن ﴾ يعنى اذا

الرجلين (ولايعصينك فى معروف) طاعة الله ورسوله (فبايعهن

لتقول لزوجها هو منك وانا ولدته (ولايعصينك فى معروف) فى جميع ما تأمرهن وتنهاهن من ترك النوح وجز الشعر وتمزيق الثياب وخمش الوجوه وشق الجيوب وحلق الرؤس وان لا يخلون مع غريب وان لا يسافرون سفرا ثلاثة ايام اواقل من ذلك مع غير ذى محرم منهن (فبايعهن) على هذا فشارطهن على هذا

واستغفر لهن الله) عما مضى (ان الله غفور) بتمحيق ما سلف (رحيم) بتوفيق ما أتنف وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر قاعد اسفل منه يبايعهن عنه بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابى سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها لما صنعت بحمزة فقال عليه السلام ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيأ فبايع عمر النساء على ان لا يشركن بالله شيأ فقال عليه السلام ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح وانى اصبت من ماله هنات فقال ابو سفيان ما اصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال لها انك لهند قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله قال عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزنى الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى انفسنا ان نعصيك فى شئ وهو يشير الى ان طاعة الولاة لا تجب فى المنكر (يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) ختم السورة بما بدأ به قيل هم المشركون (قد يئسوا من الآخرة) من ثوابها لانهم ينكرون البعث (كما يئس الكفار) اى كما يئسوا الا انه وضع الظاهر موضع الضمير (من اصحاب القبور) ان يرجعوا اليهم او كما يئس اسلافهم الذين هم فى القبور من الآخرة اى هؤلاء كسلفهم وقيل هم اليهود اى لا تتولوا قوما مغضوبا عليهم قد يئسوا من ان يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون انه الرسول المنعوت فى التوراة كما يئس الكفار من موتاهم

﴿ قا و خا ٣٢ س ﴾

﴿ واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ يعنى عامة الكفار او اليهود اذ روى انها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم ﴿ قد يئسوا من الآخرة ﴾ لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم المنعوت فى التوراة المؤيد بالآيات ﴿ كما يئس الكفار من اصحاب القبور ﴾ ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم * عن النبى عليه

بايعنك على هذه الشروط فبايعهن ﴿ واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم ﴾ عن اميمة بنت رقية قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطقتن قلنا الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان يعنى صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولى لمائة امرأة كقولى لامرأة واحدة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ﴾ يعنى من اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك ﴿ قد يئسوا من الآخرة ﴾ يعنى اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوا به فيئسوا من ان يكون لهم ثواب وخير فى الآخرة ﴿ كما يئس الكفار من اصحاب القبور ﴾ يعنى كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا فى القبور من ان يكون لهم ثواب فى الآخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم يئسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من

(واستغفر لهن الله) فيما كان منهن فى الجاهلية (ان الله غفور) متجاوز بعد فتح مكة بما كان منهن فى الجاهلية (رحيم) بما يكون منهن فى الاسلام (يا ايها الذين آمنوا) يعنى عبد الله بن ابى واصحابه (لا تتولوا) فى العون والنصرة وافشاء سر محمد صلى الله عليه وسلم (قوما غضب الله عليهم) سخط الله عليهم مرتين وهم اليهود حين قالوا يد الله مغلولة ومرة اخرى بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم (قد يئسوا من الآخرة) من نعيم الجنة (كما يئس الكفار) كفار مكة (من اصحاب القبور) من رجوع اهل المقابر ويقال من سؤال منكر ونكير ويقال لا تتولوا قوما غضب الله عليهم

ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم والله اعلم ﴿سورة الصف مدنية وهى اربع عشرة آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبح لله ما فى السموات

وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) روى انهم قالوا قبل ان يؤمروا بالجهاد لو نعلم احب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت آية الجهاد فتباطأ بعضهم فنزلت (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) لم هى لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما واللام او غيرها كشئ

الصلاة والسلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

﴿سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم﴾ سبق تفسيره ﴿يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا فانزل الله ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع

اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة الصف وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو﴾

﴿قول ابن عباس والجمهور والثانى انها مكية وهى اربع﴾

﴿عشرة آية وماءتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ قيل سبب نزولها ما روى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال قعدنا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله لعملناه فانزل الله تعالى سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذى وقال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملناه ولبذلنا فيها اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا وانزل الله هل ادلكم على تجارة الآية فابتلوا بذلك يوم احد فولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما اخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب اهل بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله

ولكن كونوا ممن سبح الله وصلى

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الصف وهى كلها مدنية آياتها اربع عشرة وكلماتها مائتان واحدى وعشرون وحروفها تسعمائة وستة وعشرون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سبح لله) يقول صلى لله ويقال ذكر لله (ما فى السموات) من الخلق (وما فى الارض) من الخلق وكل شئ حى (وهو العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) فى امره وقضائه امر ان لا يعبد غيره (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لم تقولون ما لا تفعلون) لم تتكلمون بما لا تعملون به وذلك انهم قالوا لو نعلم يا رسول الله اى عمل احب الى الله لفعلناه فدلهم الله على ذلك وقال يا ايها الذين

(بهذه)

واحد وهو كثير الاستعمال فى كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلا قال * على ماقام يشتمنى جرير * والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن فى الوصل فلاجرائه مجرى الوقف (كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون) قصد فى كبر التعجب من غير لفظه كقوله * غلت ناب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم الامر فى قلوب السامعين لان التعجب لايكون الا من شئ خارج عن نظائره واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على التميز وفيه دلالة على ان قولهم مالا يفعلون مقت خالص لاشوب فيه والمعنى كبر قولكم مالا تفعلون مقتا عند الله واختير لفظ المقت لانه اشد البغض وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فقال اتأمرونى ان اقول مالاافعل فاستعجل مقت الله ثم اعلم الله عز وجل مايحبه فقال (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) اى صافين انفسهم مصدر وقع موقع الحال (كأنهم بنيان مرصوص) لاصق بعضه ببعض وقيل اريد به استواء نياتهم فى حرب عدوهم حتى يكونوا فى اجتماع الكلمة كالبنيان الذى رص بعضه الى بعض وهو حال ايضا (واذ) منصوب باذكر (قال موسى لقومه ياقوم لم تؤذوننى) بجحود الآيات والقذف بما ليس فى (وقد تعلمون) فى موضع الحال اى تؤذوننى عالمين علما يقينا (انى رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك توقيرى وتعظيمى

حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما فى الدلالة على المستفهم عنه ﴿كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لاتفعلون﴾ المقت اشد البغض ونصبه على التميز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبر عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة فى المنع عنه ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا﴾ مصطفين مصدر وصف به ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ فى تراصهم من غير فرجة حال من المستكن فى الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه ﴿واذ قال موسى لقومه﴾ مقدر باذكر اذ كان كذا ﴿ياقوم لم تؤذوننى﴾ بالعصيان والرمى بالادرة ﴿وقد تعلمون انى رسول الله اليكم﴾

بهذه الآية وقيل نزلت فى شأن القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل واطعمت ولم يطعم وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون ﴿كبر مقتا عند الله﴾ اى عظم بغضا عند الله ﴿ان تقولوا مالاتفعلون﴾ معناه ان يعدوا من انفسهم شيأ ولم يفوا به ﴿ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا﴾ اى يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن اماكنهم ﴿كأنهم بنيان مرصوص﴾ اى قد رص بعضه ببعض والزق بعضه الى بعض واحكم فليس فيه فرجة ولاخلل ومنه الحديث تراصوا فى الصف ومعنى الآية ان الله يحب من يثبت فى الجهاد فى سبيله ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص * قوله تعالى ﴿واذ قال موسى لقومه﴾ اى واذكر يامحمد لقومك اذ قال موسى لقومه بنى اسرائيل ﴿ياقوم لم تؤذوننى﴾ قيل انهم كانوا يؤذونه بانواع من الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه بالادرة ﴿وقد تعلمون انى رسول الله اليكم﴾

آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم فى الآخرة من عذاب اليم وجميع يخلص وجهه الى قلوبكم فمكثوا بعد ذلك ما شاء الله ولم يبين لهم ما هى فقالوا ليتنا نعلم ما هى لنبذل فيها اموالنا وانفسنا واهلينا فبين الله تعالى لهم فقال تؤمنون بالله ورسوله تستقيمون على ايمانكم بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله فى طاعة الله باموالكم وانفسكم الآية فابتلوا بذلك يوم احد ففروا من النبى صلى الله عليه وسلم فلامهم على ذلك فقال ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون لم تعدون مالاتوفون وتتكلمون بما لاتعملون (كبر مقتا) عظم بغضا (عند الله ان تقولوا مالاتفعلون) ان تعدوا بما لا توفون وتتكلموا بمالا تعملون ثم حرضهم على الجهاد فى سبيله فقال (ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله) فى طاعته (صفا) فى القتال (كأنهم بنيان مرصوص) ملتزق قد رص بعضه الى بعض (و) اذكر يامحمد (اذ قال) قد قال (موسى لقومه) المنافقين (ياقوم لم تؤذوننى) بما تقولون على وكانوا يقولون انه آدر وقد بين قصته فى سورة الاحزاب (وقد تعلمون انى رسول الله اليكم

لان تؤذونني (فلما زاغوا) مالوا عن الحق (ازاغ الله قلوبهم) عن الهداية او لما تركوا اوامره نزع نور الايمان من قلوبهم او فلما اختاروا الزيغ ازاغ الله قلوبهم اى خذلهم وحرمهم توفيق اتباع الحق (والله لا يهدى القوم الفاسقين) اى لايهدى من سبق فى علمه انه فاسق (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل) ولم يقل ياقوم كما قال موسى لانه لانسب له فيهم فيكونوا قومه (انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) اى ارسلت اليكم فى حال تصديقى ما تقدمنى من التوراة وفى حال تبشيرى برسول يأتى من بعدى يعنى ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر بعدى حجازى وابو عمرو وابو بكر وهو اختيار الخليل وسيبويه وانتصب مصدقا

بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم ﴿فلما زاغوا﴾ عن الحق ﴿ازاغ الله قلوبهم﴾ صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب ﴿والله لايهدى القوم الفاسقين﴾ هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة ﴿واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل﴾ ولعله لم يقل ياقوم كما قال موسى عليه السلام لانه لانسب له فيهم ﴿انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا﴾ فى حال تصديقى ما تقدمنى من التوراة وتبشيرى ﴿برسول يأتى من بعدى﴾ والعامل فى الحالين ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل ﴿اسمه احمد﴾ يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام والمعنى ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة

يعنى تؤذوننى وانتم تعلمون علما قطعيا انى رسول الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى ﴿فلما زاغوا﴾ اى عدلوا ومالوا عن الحق ﴿ازاغ الله قلوبهم﴾ اى امالها عن الحق الى غيره ﴿والله لايهدى القوم الفاسقين﴾ اى لا يهدى من سبق فى علمه انه فاسق خارج عن طاعته وهدينه وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسل حتى ان ايذاهم يؤدى الى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى ﴿واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم﴾ اى انى رسول ارسلت اليكم بالوصف الذى وصف به فى التوراة ﴿مصدقا لما بين يدى من التوراة﴾ اى انى مقر معترف باحكام التوراة وكتب الله وانبيائه جميعا ممن قد تقدم ﴿ومبشرا برسول يأتى من بعدى﴾ اى يصدق بالتوراة على مثل تصديقى فكانه قيل ما اسمه فقال ﴿اسمه احمد﴾ عن ابى موسى قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يأتوا النجاشى وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشى يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانه الذى بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابو داود * وعن عبد الله بن سلام قال مكتوب فى التوراة صفة محمد وعيسى ابن مريم يدفن معه فقال ابو داود المدنى قد بقى فى البيت موضع قبر اخرجه الترمذى عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى صلى الله عليه وسلم ياروح الله هل بعدنا من امة قال نعم يأتى بعدكم امة حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم فى الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (ق) عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لى خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وانا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى

فلما زاغوا) مالوا عن الحق والهدى (ازاغ الله) امال الله (قلوبهم) عن الحق والهدى ويقال فلما زاغوا كذبوا موسى ازاغ الله صرف الله قلوبهم عن التوحيد ويقال فلما زاغوا مالوا عن الحق والهدى ازاغ الله قلوبهم زاد الله زيغ قلوبهم (والله لايهدى) لايرشد الى دينه (القوم الفاسقين) الكافرين من كان فى علم الله انه لا يؤمن (واذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدق) موافقا بالتوحيد وبعض الشرائع (لما بين يدى من التوراة) لما قبلى من التوراة (ومبشرا) وجئتكم مبشرا ابشركم (برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) اسمى احمد

ومبشرا بنا فى الرســول من معنى الارسال (فلما جاءهم) عيسى او محمد عليهما السلام (بالبينات) بالمعجزات (قالوا هذا سحر مبين) ساحر حمزة وعلى (ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لايهدى القوم الظالمين) واى الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب عـلى الله بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر والسحر كذب وتمويه (يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم) هــذا تهكم بهم فى ارادتهم ابطــال الاسلام بقولهم فى القرآن هــذا سحر مثلت حالهم بحــال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه والمفعول محذوف واللام للتعليل والتقدير يريدون الكذب ليطفؤا نور الله بافواههم اى بكلامهم (والله متم نوره) مكى وحمزة وعلى وحفص متم نوره غيرهم اى متم الحق ومبلغه غايته (ولو كره الكافرون

الذى حكم به النبيون والنبى الذى هو خاتم المرسـلين ﴿فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة حمزة والكسائى هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام ﴿ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام﴾ اى لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضى له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية آياته سحرا فانه يعم اثبـات المنفى ونفى الثابت وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه ﴿والله لايهدى القوم الظالمين﴾ لايرشدهم الى ما فيه فلاحهم ﴿يريدون ليطفؤا﴾ اى يريدون ان يطفؤا واللام مزيدة لما فيهــا من معنى الارادة تأكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضــافة تأكيدا لها فى لا ابالك او يريدون الافتراء ليطفؤا ﴿نور الله﴾ يعنى دينه او كتابه او حجته ﴿بافواههم﴾ بطعنهم فيه ﴿والله متم نوره﴾ مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص بالاضافة ﴿ولوكره الكافرون﴾ ارغاما لهم

يوم القيامة وانا العاقب الذى ليس بعدى نبى وقد سماه الله تعالى رؤفا رحيمــا واحمد يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبياء كلهم حمادون لله عزوجل وهو اكثر حمدا لله من غيره والثانى انه مبالغة من المفعول ومعناه ان الانبيــاء كلهم محمودون لما فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضــائل والمحاسن والاخلاق التى يحمد بها من غيره ﴿فلما جاءهم بالبينات﴾ قيل هو عيسى عليه الصلاة والسلام وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ اى ظاهر ﴿ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب﴾ اى ومن اقبح ظلمــا ممن بلغ افتراؤه ان يكذب على الله وذلك انهم جعلوا معجزاته سحرا ... نعمة من الله ثم كفروا به ﴿وهو يدعى الى الاسلام﴾ معنى الآية اى الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام الذى له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا سحر مبين ﴿والله لايهدى القوم الظالمين﴾ اى لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم بذنوبهم ﴿يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم﴾ يعنى ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم فى القرآن هذا سحر ﴿والله متم نوره﴾ يعنى متم للحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه ﴿ولوكره الكافرون

الذى لا يذم ومحمدا الذى يحمد (فلما جاءهم) عيسى ويقال محمد صلى الله عليه وسلم (بالبينات) بالامر والنهى والعجــائب التى اراهم (قالوا هذا سحر مبين) بين السحر والكذب (ومن اظلم) فى كفره (ممن افترى) اختــلق (على الله الكذب) فجعل له ولدا وصاحبة (وهو يدعى الى الاســلام) الى التوحيــد وهم اليهـود دعاهم النبى عليه السلام الى التوحيد (والله لايهدى القوم الظالمين) لايرشد الى دينه اليهود من كان فى علم الله انه يموت يهوديا (يريدون) يعنى اليهود والنصــارى (ليطفؤا نور الله) ليبطلوا دين الله ويقال كتاب الله القرآن (بافواههم) بالسـنتهم وكذبهم (والله متم نوره) مظهر نوره كتابه ودينه (ولوكره الكافرون) وان كره اليهود والنصــارى ومشركوا العرب ان يكون

هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق) اى الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الاديان المخالفة له ولعمرى لقد فعل فمابقى دين من الاديان الا وهومغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى. لم يكن فى الارض الادين الاسلام (ولو كره المشركون يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) تنجيكم شامى (تؤمنون) استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو بمعنى آمنوا عند سيبويه ولهذا اجيب بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وانما جئ به على لفظ الخبر للايذان بوجوب الامتثال وكانه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين (بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم) اى ما ذكر من الايمان والجهاد (خيرلكم) من اموالكم وانفسكم (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون اموالكم وانفسكم فتفلحون وتخلصون (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من

﴿ هو الذى ارسل رسوله بالهدى ﴾ بالقرآن او المعجزة ﴿ ودين الحق ﴾ والملة الحنيفية ﴿ ليظهره على الدين كله ﴾ ليعليه على جميع الاديان ﴿ ولو كره المشركون ﴾ لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك ﴿ ياايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ﴾ وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ﴾ استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدى الى كمال غيرهم والمراد به الامر وانما جيئ بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لايترك ﴿ ذلكم خيرلكم ﴾ يعنى ما ذكر من الايمان والجهاد ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لايعتد بفعله ﴿ يغفر لكم ذنوبكم ﴾ جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر اولشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا توجب المغفرة ﴿ ويدخلكم جنات تجرى من

هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ اى ليعليه على الاديان المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب ومقهور بدين الاسلام ﴿ ولو كره المشركون ﴾ قوله عز وجل ﴿ يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ﴾ نزلت هذه الآية حين قالوا لو نعلم اى الاعمال احب الى الله عز وجل لعملناه وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيه رضا الله عز وجل ونيل جنته والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة فقال تعالى ﴿ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خيرلكم ﴾ اى الذى آمركم به من الايمان والجهاد فى سبيله ﴿ ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ﴾ هذا جواب قوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر والمعنى آمنوا بالله وجاهدوا فى سبيل الله اى اذا فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ﴿ ويدخلكم جنات تجرى من

ذلك (هو الذى ارسل رسوله) محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى) بالتوحيد ويقال بالقرآن (ودين الحق) شهادة ان لا اله الا الله (ليظهره على الدين كله) على الاديان كلها فلا تقوم الساعة حتى لا يبقى احد الا دخل فى الاسلام او ادى اليهم الجزية (ولو كره المشركون) وان كره اليهود والنصارى ومشركو العرب ان يكون ذلك (ياايها الذين آمنوا) وقد بينهم فى اول السورة (هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) وجيع فى الآخرة بالظى (تؤمنون بالله ورسوله) تصدقون بايمانكم بالله ورسوله ان فسرت على المنافقين (وتجاهدون فى سبيل الله) فى طاعة الله (باموالكم وانفسكم) بنفقة اموالكم وخروج انفسكم (ذلكم) الجهاد (خيرلكم) من الاموال (ان كنتم تعلمون) تصدقون بثواب الله (يغفر لكم ذنوبكم) بالجهاد والنفقة فى سبيل الله (ويدخلكم جنات) بساتين (تجرى من

تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن) اى اقامة وخلود يقال عدن بالمكان اذا اقام به كذا قيل (ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب فى الآجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) اى عاجل وهو فتح مكة والنصر على قريش او فتح فارس والروم وفى تحبونها شئ من التوبيخ على محبة العاجل وقال صاحب الكشاف معناه هل ادلكم على تجارة تنجيكم وعلى تجارة اخرى تحبونها ثم قال نصر اى هى نصر (وبشر المؤمنين) عطف على تؤمنون لانه فى معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يارسول الله المؤمنين بذلك وقيل هو عطف على قل مرادا قبل يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم (يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله) اى انصار دينه انصارا لله حجازى وابو عمرو (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله) ظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى حين قال لهم من انصارى الى الله ومعناه من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق جواب الحواريين وهو قوله (قال الحواريون نحن انصار الله) اى نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصارى

تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة ﴿ واخرى تحبونها ﴾ ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره ﴿ نصر من الله ﴾ وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر ﴿ وفتح قريب ﴾ عاجل ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه فى معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يارسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا ﴿ يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله ﴾ وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله ﴿ كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله ﴾ اى من جندى متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله تعالى ﴿ قال الحواريون نحن انصار الله ﴾ والاضافة الاولى

تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ يعنى هذا الجزاء الذى ذكر هو الفوز العظيم ﴿ واخرى تحبونها ﴾ اى ولكم تجارة اخرى وقيل لكم خصلة اخرى تحبونها فى العاجل مع ثواب الآخرة وتلك الخصلة ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ قيل هو النصر على قريش وفتح مكة وقيل فتح مداين فارس والروم ﴿ وبشر المؤمنين ﴾ اى يا محمد بالنصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله ﴾ اى مع الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من انصارى الى الله ﴿ قال الحواريون نحن انصار الله ﴾ وكانوا اثنى عشر رجلا اول من آمن بعيسى عليه الصلاة والسلام وحوارى الرجل صفيه وخلاصته ومنه

تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (ومساكن طيبة) حلالا لكم ويقال طاهرة ويقال حسنة جميلة ويقال طيبة قد طيبها الله بالمسك والريحان (فى جنات عدن) فى دار الرحمن (ذلك) الذى ذكرت (الفوز العظيم) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونجوا من النار (واخرى) وتجارة اخرى (تحبونها) تتمنون وتشتهون ان تكون لكم (نصر من الله) لمحمد عليه السلام على كفار قريش (وفتح قريب) عاجل فتح مكة (وبشر المؤمنين) المخلصين بالجنة ان كانوا كذلك (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (كونوا انصار الله) لمحمد عليه السلام على عدوه ويقال اعوان الله على اعدائه (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين) لاصفيائه (من انصارى الى الله) من اعوانى مع الله على اعدائه (قال الحواريون) اصفياؤه (نحن انصار الله) اعوانك

من الانصار الذين يختصون به ويكونون معي في نصرة الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا وحوارى الرجل صفيه وخاصته من الحور وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب اى يبيضونها (فآمنت طائفة من بني اسرائيل) بعيسى (وكفرت طائفة)

اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى ابن مريم اوكونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثنى عشر رجلا من الحوار وهو البياض ﴿ فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ﴾ اى بعيسى ﴿ فايدنا الذين آمنوا على عدوهم ﴾ بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام ﴿ فاصبحوا ظاهرين ﴾ فصاروا غالبين * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

﴿ سورة الجمعة مدنية وآيها احدى عشرة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم ﴾ وقد قرئ قوله صلى الله عليه وسلم حوارى الزبير ﴿ فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ﴾ قال ابن عباس في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى ﴿ فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين ﴾ اى غالبين وقيل معناه فاصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمته والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الجمعة وهي مدنية واحدى عشرة آية ومائة وثمانون ﴾

﴿ كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم

به (فايدنا الذين آمنوا على عدوهم) فقوينا مؤمنيهم على كفارهم (فاصبحوا ظاهرين) فغلبوا عليهم والله ولى المؤمنين والله اعلم *

﴿ سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم) التسبيح

مع الله على اعدائه وكانوا اثنى عشر رجلا اول من آمنوا به ونصروه على اعدائه وكانوا قصارين (فآمنت طائفة) جماعة (من بني اسرائيل) بعيسى ابن مريم (وكفرت طائفة) جماعة بعيسى ابن مريم وهم الذين ضلهم بولس والذين لم يؤمنوا به (فايدنا) اعنا وقوينا (الذين آمنوا) بعيسى ابن مريم وهم الذين لم يخالفوا دين عيسى (على عدوهم) الذين خالفوا دين عيسى (فاصبحوا) فصاروا (ظاهرين) غالبين بالحجة على اعدائهم صلاتهم لله ويقال لانهم ممن سبح لله

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الجمعة وهي كلها مدنية آياتها احدى عشرة وكلماتها مائة وثمانون وحروفها سبعمائة وثمانية واربعون ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (يسبح لله) يقول يصلى لله ويقال يذكر لله (ما في السموات) من الخلق (وما في الارض) من الخلق وكل شئ حى (الملك) الدائم الذى لا يزول ملكه (القدوس) الطاهر بلا ولد ولا شريك (العزيز) الغالب في ملكه بالنقمة لمن لا يؤمن به (الحكيم) في امره وقضائه

اما ان يكون تسبيح خلقة يعنى اذا نظرت الى كل شئ دلتك خلقته على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن الاشياء او تسبيح معرفة بان يجعل الله بلطفه فى كل شئ مايعرف به الله تعالى وينزهه الا ترى الى قوله وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم او تسبيح ضرورة بان يجرى الله التسبيح على كل جوهر من غير معرفة له بذلك (هو الذى بعث) ارسل (فى الاميين رسولا منهم) اى بعث رجلا اميا فى اميين و قيل منهم كقوله من انفسكم يعلمون نسبه واحواله والامى منسوب الى امة العرب لانهم كانوا لايكتبون ولايقرؤن من بين الامم وقيل بدئت الكتابة بالطائف وهم اخذوها من اهل الحيرة واهل الحيرة من اهل الانبار (يتلوا عليهم آياته) القرآن (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) السنة او الفقه فى الدين (وان كانوا من قبل) من قبل محمد صلى الله عليه وسلم (لفى ضلال مبين) كفر وجهالة وان مخففة من الثقيلة واللام دليل عليها اى كانوا فى ضلال لاترى ضلالا اعظم منه (وآخرين منهم) مجرور معطوف على الاميين يعنى انه بعثه فى الاميين الذين على عهده

الصفات الاربع بالرفع على المدح ﴿ هو الذى بعث فى الاميين ﴾ اى فى العرب لان اكثرهم لايكتبون ولايقرؤن ﴿ رسولا منهم ﴾ من جملتهم اميا مثلهم ﴿ يتلوا عليهم آياته ﴾ مع كونه اميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولاتعلم ﴿ ويزكيهم ﴾ من خبائث العقائد والاعمال ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه ﴿ وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبى يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هى المخففة واللام تدل عليها ﴿ وآخرين منهم ﴾ عطف على الاميين او المنصوب فى يعلمهم

هو الذى بعث فى الاميين ﴾ يعنى العرب وكانت العرب امة امية لا تكتب ولاتقرأ حتى بعث فيهم نبى الله وقيل الامى هو الذى على ماخلق عليه كانه منسوب الى امه ﴿ رسولا منهم ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم وانما كان اميا لان نعته فى كتب الانبياء النبى الامى وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة بالكتابة على ما اتى به من الوحى والحكمة ولتكون حاله مشاكلة لحال امته الذين بعث فيهم وذلك اقرب الى صدقه ﴿ يتلوا عليهم آياته ﴾ اى التى تبين رسالته وقيل آياته التى يتميز بها الحلال من الحرام والحق من الباطل ﴿ ويزكيهم ﴾ اى يطهرهم من دنس الشرك ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ اى القرآن وقيل الفرائض ﴿ والحكمة ﴾ قيل هى السنة ﴿ وان كانوا من قبل ﴾ اى من قبل ارسال محمد صلى الله عليه وسلم اليهم ﴿ لفى ضلال مبين و آخرين منهم ﴾ اى من المؤمنين الذين ظهروا ويدينون بدينهم لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم امة واحدة وقيل اراد بالآخرين العجم وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ و آخرين منهم لما يلحقوا بهم قال له رجل يارسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا قال وسلمان الفارسى فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذى نفسى بيده لو كان الايمان بالثريا لتناوله رجال من هؤلاء

امر ان لا يعبد غيره {قا و خا ٣٣ س} (هو الذى بعث فى الاميين) فى العرب (رسولا منهم) من نسبهم يعنى محمدا عليه السلام (يتلوا) يقرأ (عليهم آياته) القرآن بالامر والنهى (ويزكيهم) يطهرهم بالتوحيد من الشرك ويقال بالزكاة والتوبة من الذنوب اى يدعوهم الى ذلك (ويعلمهم الكتاب) يعنى القرآن (والحكمة) الحلال والحرام ويقال العلم ومواعظ القرآن (وان كانوا) وقد كانوا يعنى العرب (من قبل) من قبل مجئ محمد صلى الله عليه وسلم اليهم بالقرآن (لفى ضلال مبين) فى كفر بين (و آخرين منهم) وفى الآخرين منهم من العرب

وفى آخرين من الاميين (لما يلحقوا بهم) اى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضى الله عنهم اوهم الذين يأتون من بعدهم الى يوم الدين وقيل هم العجم اومنصوب معطوف على المنصوب فى ويعلمهم اى يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى اوله فكأنه هو الذى تولى كل ماوجد منه (وهو العزيز الحكيم) فى تمكينه رجلا اميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذى اعطاه محمدا وهو ان يكون نبى ابناء عصره ونبى ابناء العصور الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته (والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة) اى كلفوا علمها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) ثم لم يعملوا بها فكانهم لم يحملوها (كمثل الحمار يحمل اسفارا) جمع سفر وهو الكتاب الكبير ويحمل فى محل النصب على الحال اوالجر على الوصف لان الحمار كاللئيم فى قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبنى * شبه اليهود فى انهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ مافيها ثم لم يعملوا بها ولم ينتفعوا بآياتها وذلك ان فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة

وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه يعم الجميع ﴿لما يلحقوا بهم﴾ لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون ﴿وهو العزيز﴾ فى تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة ﴿الحكيم﴾ فى اختياره وتعليمه ﴿ذلك فضل الله﴾ ذلك الفضل الذى امتاز به عن اقرانه فضله ﴿يؤتيه من يشاء﴾ تفضلا وعطية ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا اونعيم الآخرة اونعيمهما ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ علموها وكلفوا العمل بها ﴿ثم لم يحملوها﴾ لم يعملوا بها اولم ينتفعوا بما فيها ﴿كمثل الحمار يحمل اسفارا﴾ كتبا من العلم يتعب فى حملها ولا ينتفع بها

اخرجاه فى الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل هم جميع من دخل فى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ﴿لما يلحقوا بهم﴾ لم يدركوهم ولكنهم جاؤا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم فى الفضل والسابقة لان التابعين لايدركون شأو الصحابة ﴿وهو العزيز﴾ اى الغالب الذى قهر الجبابرة ﴿الحكيم﴾ اى الذى جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ يعنى الاسلام وقيل النبوة خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ اى على خلقه حيث ارسل فيهم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ يعنى اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها وليس هو من الحمل على الظهر وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل ﴿ثم لم يحملوها﴾ اى لم يعملوا بما فيها ولم يؤدوا حقها ﴿كمثل الحمار يحمل اسفارا﴾ جمع سفر وهى الكتب العظام من العلم سمى سفرا لانه يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين عرضوا عن العمل بالتوراة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم شبهوا اذلم ينتفعوا بما فى التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذى

ويقال من الموالى (لما يلحقوا بهم) بالعرب الاول يقول لم يكونوا بعد فسيكونون يقول بعث الله محمدا عليه السلام رسولا الى الاولين والآخرين من العرب والموالى (وهو العزيز) المنيع بالنقمة من لايؤمن به وبكتابه وبرسوله محمد عليه السلام (الحكيم) في امره وقضائه امر ان لايعبد غيره (ذلك) الذى ذكرت من النبوة والكتاب والتوحيد (فضل الله) من الله (يؤتيه) يعطيه ويكرم به (من يشاء) من كان اهلا لذلك (والله ذو الفضل) المن (العظيم) بالاسلام والنبوة على محمد صلى الله عليه وسلم ويقال بالاسلام على المؤمنين ويقال بالرسول والكتاب على خلقه (مثل الذين) صفة الذين (حملوا التوراة) امروا ان يعملوا بما فى التورة اى امروا ان يظهروا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته فى التوراة (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بما امروا فيها اى لم يظهروا صفة محمد عليه السلام ونعته فى التوراة (كمثل الحمار) كشبه الحمار (يحمل اسفارا) كتبا لاينتفع بحمله كذلك اليهود لاينتفعون بالتوراة كما لاينتفع الحمار بما عليه من

به فلم يؤمنوا به بالحمار حمل كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشى بها ولا يدرى منها الا ما مر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) اى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله او بئس مثل القوم المكذبين مثلهم وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لا يهدى القوم الظالمين) اى وقت اختيارهم الظلم او لا يهدى من سبق فى علمه انه يكون ظالما (قل يا ايها الذين هادوا) هاد يهود اذا تهود (ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه اى ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة فتمنوا على الله ان يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التى اعدها لاوليائه ثم قال (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت ايديهم) اى بسبب ما قدموا من الكفر ولا فرق بين لا ولن فى ان كل واحدة منهما نفى للمستقبل الا ان فى لن تأكيدا وتشديدا ليس فى لا فاتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه (والله عليم بالظالمين)

الكتب (بئس مثل القوم) صفة القوم (الذين كذبوا بآيات الله) بمحمد صلى الله وسلم والقرآن يعنى اليهود (والله لا يهدى) لا يرشد الى دينه (القوم الظالمين) اليهود من كان فى علم الله انه يموت على اليهودية (قل) يا محمد (يا ايها الذين هادوا) مالوا عن الاسلام و تهودوا وهم بنو يهودا (ان زعمتم انكم اولياء لله) احباء لله (من دون الناس) من دون محمد عليه السلام واصحابه (فتمنوا الموت) فاسألوا الموت (ان كنتم صادقين) انكم اولياء لله من دون الناس فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم امتنا فوالله ليس منكم احد يقول ذلك الا غص بريقه ويموت فكرهوا ذلك ولم يسألوا الموت فقال الله (ولا يتمنونه ابدا) لا يسألون الموت يعنى اليهود ابدا (بما قدمت ايديهم) بما عملت ايديهم فى اليهودية (والله عليم بالظالمين) باليهود على انهم لا يسألون الموت

ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل اوصفة اذ ليس المراد من الحمار معينا ﴿بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ اى مثل الذين كذبوا وهم اليهود المكذبون بآيات الله الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا﴾ تهودوا ﴿ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس﴾ اذ كانوا يقولون نحن اولياء الله واحباؤه ﴿فتمنوا الموت﴾ فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ﴿ان كنتم صادقين﴾ فى زعمكم ﴿ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم﴾ بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى ﴿والله عليم بالظالمين﴾ فيجازيهم على اعمالهم

يحمل الكتب ولا يدرى ما فيها ولا ينتفع بها كذلك اليهود الذين يقرؤن التوراة ولا ينتفعون بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من لم يفهم معانى القرآن ولم يعمل بما فيه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه ولهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القرآن اتبعوا القرآن قبل ان يتبعكم ثم تلا هذه الآية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال تعالى ﴿بئس مثل القوم﴾ اى بئس مثلا مثل القوم ﴿الذين كذبوا بآيات الله﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وما اتى به من آيات القرآن وقيل المراد من الآيات آيات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ اى لا يهدى من سبق فى علمه انه يكون ظالما وقيل يعنى الذين ظلموا انفسهم بتكذيب آيات الله وانبيائه ﴿قل﴾ اى قل يا محمد ﴿يا ايها الذين هادوا ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس﴾ اى من دون محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه ﴿فتمنوا الموت﴾ اى ادعوا على انفسكم بالموت ﴿ان كنتم صادقين﴾ يعنى فيما زعمتم انكم ابناء الله واحباؤه فان الموت هو الذى يوصلكم اليه لان الآخرة خير لاولياء الله من الدنيا ﴿ولا يتمنونه ابدا بما قدمت أيديهم﴾ اى بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب ﴿والله عليم بالظالمين﴾

﴿ قل ان الموت الذى تفرون منه ﴾ وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم ﴿ فانه ملاقيكم ﴾ لاحق بكم لاتفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم منه ويسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ﴿ ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ بان يجازيكم عليه ﴿ ياايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة ﴾ اى اذا اذن لها ﴿ من يوم الجمعة ﴾ بيان لاذا وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لؤى لاجتماع

قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ﴾ اى لا ينفعكم الفرار منه ﴿ ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ فيه وعيد وتهديد * قوله عز وجل ﴿ ياايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة ﴾ اى وقت الصلاة ﴿ من يوم الجمعة ﴾ اى فى يوم الجمعة واراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر اذن بلال (خ) عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعمر فلما ان كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء زاد فى رواية فثبت الامر على ذلك ولابى داود قال كان يؤذن بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة * واختلفوا فى تسمية هذا اليوم جمعة فقيل لان الله تعالى جمع فى خلق آدم وقيل لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فيه فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤى قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب بن لؤى وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة وقالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر اسم الله تعالى ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود يوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم انزل الله تعالى فى ذلك يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة الآية عن كعب بن مالك انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لاسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا ابت اذا سمعت النداء ترحمت لاسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا فى هزم النبيت من حرة بنى بياضة فى نقيع يقال له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون اخرجه ابو داود * واما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه فذكر اصحاب السير ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من ربيع الاول حين امتد الضحى فاقام بقباء

وعيد لهم (قل ان الموت الذى تفرون منه) ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم (فانه ملاقيكم) لا محالة والجملة خبران ودخلت الفاء لتضمن الذى معنى الشرط (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم بما انتم اهله من العقاب (ياايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة من يوم الجمعة) النداء الاذان ومن بيان لاذا وتفسير له ويوم الجمعة سيد الايام وفى الحديث من مات يوم الجمعة كتب الله له اجر شهيد ووقى فتنة القبر

(قل) لهم يا محمد (ان الموت الذى تفرون منه) تكرهونه (فانه ملاقيكم) نازل بكم لا محالة (ثم تردون) فى الآخرة (الى عالم الغيب) ما غاب عن العباد وما يكون (والشهادة) ما علمه العباد وما كان (فينبئكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخير والشر (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (اذا نودى للصلوة) اذا دعيتم الى الصلاة بالاذان (من يوم الجمعة

الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله عليه الصلاة والسلام انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى دار لبنى سالم بن عوف ﴿ فاسعوا الى ذكر الله ﴾ فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعى دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها ﴿ وذروا البيع ﴾ واتركوا المعاملة ﴿ ذلكم ﴾ اى السعى الى ذكر الله ﴿ خير لكم ﴾ من المعاملة فان نفع الآخرة خير وابقى ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم

يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء ويوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن واديهم وقد اتخذوا فى ذلك الموضع مسجدا فجمع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب وقوله تعالى ﴿ فاسعوا الى ذكر الله ﴾ اى فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعى الاسراع فى المشى وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرأ فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن اما والله ماهو بالسعى على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الى الصلاة الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة فى هذه الآية فاسعوا الى ذكر الله قال السعى ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشى اليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعى بقوله فلما مشى معه (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاقامة فامشوا الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفى رواية فاذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة وذكره زاد مسلم فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو فى الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام ﴿ وذروا البيع ﴾ يعنى البيع والشراء لان البيع اسم يتناولهما جميعا وهو من لوازمه وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثانى وقال الزهرى عند خروج الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء ﴿ ذلكم ﴾ اى الذى ذكرتم من حضور الجمعة وترك البيع والشراء ﴿ خير لكم ﴾ اى من المبايعة فى ذلك الوقت ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ اى مصالح انفسكم والله تعالى اعلم

فصل فى فضل الجمعة واحكامها واسم تاركها وفيه مسائل

المسئلة الاولى فى فضلها

(م) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها زاد فى رواية ولا تقوم الساعة الا فى يوم الجمعة (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله فيها شيأ الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الاولى فكانما قرب بدنة

(فاسعوا) فامضوا وقرئ بها وقال الفراء السعى والمضى والذهاب واحد وليس المراد به السرعة فى المشى (الى ذكر الله) اى الى الخطبة عند الجمهور وبه استدل ابو حنيفة رضى الله عنه على ان الخطيب اذا اقتصر على الحمد لله جاز (وذروا البيع) اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يتكاثر فيه البيع والشراء عند الزوال فقيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لا شئ انفع منه وأربح وذروا البيع الذى نفعه يسير (ذلكم) اى السعى الى ذكر الله (خير لكم) من البيع والشراء (ان كنتم تعلمون)

فاسعوا) فامضوا (الى ذكر الله) الى خطبة الامام والصلاة معه (وذروا البيع) اتركوا البيع بعد الاذان (ذلكم) الاستماع الى خطبة الامام والصلاة (خير لكم) من الكسب والتجارة (ان كنتم) اذ كنتم (تعلمون) تصدقون بثواب الله ثم رخص لهم بعدما حرم عليهم بقوله وذروا البيع فقال

ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا اقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فاذا احرم الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر * وفى رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المساجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر * قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه غسلا كغسل الجنابة (م) عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة واستمع وانصت غفر له مابينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغا * قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عبادة قال أدركنى ابو عيسى وانا ذاهب الى الجمعة فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرمه الله على النار * عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرجت الى الطور فرأيت كعب الاحبار فجلست معه فحدثنى عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته ان قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه اهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهى مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلى يسأل الله تعالى شيأ الا اعطاه اياه قال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة ثم لقيت عبدالله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب الاحبار وما حدثته فى يوم الجمعة فقال عبدالله بن سلام قد علمت اى ساعة هى قال ابو هريرة فقلت اخبرنى بها ولا تكن عنى وفى رواية تضن على قال هى آخر ساعة فى يوم الجمعة قال ابو هريرة قلت وكيف تقول آخر ساعة فى يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى وتلك الساعة لا يصلى فيها قال عبدالله ابن سلام الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصليها قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك اخرجه مالك فى الموطأ والنسائى (خ) عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم يخرج فلم يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الاغفر له مابينه وبين الجمعة الاخرى * عن اوس بن اوس الثقفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة اجر عمل سنة صيامها وقيامها

(اخرجه)

اخرجه ابوداود والنسائى قال ابوداود سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده

المسئلة الثانية فى اثم تاركها

(م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص وابى هريرة انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات اوليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين * عن ابى الجعد الضمرى وكان له صحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه اخرجه ابو داود والنسائى وللترمذى نحوه (م) عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة هممت ان آمر رجلا ان يصلى بالناس ثم احرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم

المسئلة الثالثة فى تأكيد وجوبها

قال العلماء صلاة الجمعة هى من فروض الاعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ عاقل ذكر مقيم اذا لم يكن له عذر فى تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد امالصبى والمجنون فلاجمعة عليهما لانهما ليسا من اهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل عليه ما روى عن طارق بن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم فى جماعة الا على اربعة عبد مملوك اوامرأة او صبى اومريض اخرجه ابو داود وقال طارق رأى النبى صلى الله عليه وسلم وبعضا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيأ * عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من سمع النداء اخرجه ابو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وانما اسنده قبيصة * عن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على من آواه الليل الى اهله اخرجه الترمذى ولاتجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والاوزاعى تجب على العبد المكاتب وعن احمد فى العبيد روايتان وتجب الجمعة على اهل القرى والبوادى اذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعى واحمد واسحق والشرط ان يبلغهم نداء مؤذن جهورى الصوت يؤذن فى وقت تكون الاصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة فى القرب على هذا القدر يجب على اهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهرى تجب على من كان على ستة اميال وقال ربيعة على اربعة اميال وقال مالك والليث على ثلاثة اميال وقال ابو حنيفة لاجمعة على اهل السواد سواء كانت القرية قريبة اوبعيدة دليل الشافعى ومن وافقه ماروى البخارى عن ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة فى مسجد رسول الله

صلى الله عليه وسلم فى مسجد عبد القيس بجؤاثى من البحرين ولابى داود نحوه وفيه بجؤاثى قرية من قرى البحرين

المسئلة الرابعة فى تركها لعذر

كل من له عذر من مرض اوتمريض مريض او خوف جازله ترك الجمعة وكذا له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ماروى عن ابن عباس انه خطب فى يوم ذى ردغ فامر المؤذن فلما بلغ حى على الصلاة قال قل الصلاة فى الرحال فنظر بعضهم الى بعض كانهم انكروا ذلك فقال كانكم انكرتم هذا ان هذا فعله من هو خير منى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وانها عزمة وانى كرهت ان اخرجكم زاد فى رواية فتمشون فى الطين والدحض والزلق اخرجه البخارى ومسلم وكل من لاتجب عليه الجمعة فاذا حضر وصلى مع الامام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لايكمل به عدد الذين تنعقد بهم الجمعة الا اصحاب العذر فانه اذا حضر كمل به العدد

المسئلة الخامسة فى العدد الذى تنعقد به الجمعة

اختلف اهل العلم فى العدد الذى تنعقد به الجمعة فقيل لاتنعقد باقل من اربعين رجلا وهو قول عبيدالله بن عبدالله وعمر بن عبدالعزيز وبه قال الشافعى واحمد واسحق قالوا لاتنعقد الجمعة باقل من اربعين رجلا من اهل الكمال وذلك بان يكونوا احرارا بالغين عاقلين مقيمين فى موضع لايظعنون عنه شتاء ولا صيفا الا ظعن حاجة وشرط عمر بن عبدالعزيز ان يكون فيهم وال والوالى غير شرط عند الشافعى وقال على بن ابى طالب لاجمعة الا فى مصر جامع وهو قول اصحاب الرأى ثم عند ابى حنيفة تنعقد باربعة والوالى شرط عنده وقال الاوزاعى وابو يوسف تنعقد بثلاثة اذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثنى عشر رجلا ولايكمل العدد بمن لاتجب عليه الجمعة كالعبد والمرأة والمسافر والصبى ولاتنعقد الا فى موضع واحد من البلد وبه قال الشافعى ومالك وابو يوسف وقال احمد تصح بموضعين اذا كثر الناس وضاق الجامع

المسئلة السادسة

لايجوز ان يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل ان يصلى الجمعة وجوز اصحاب الرأى ان يسافر بعد الزوال اذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت اما اذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فانه يجوز غير انه يكره الا ان يكون سفره سفر طاعة كحج اوغزو وذهب بعضهم الى انه اذا اصبح يوم الجمعة مقيما فلا يسافر حتى يصلى الجمعة يدل على جوازه ماروى عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا اصحابه وقال اتخلف فاصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الحقهم فلما صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم رآه فقال مامنعك

﴿ ان ﴾

(فاذا قضيت الصلوة) اى اديت (فانتشروا فى الارض) امر اباحة (وابتغوا من فضل الله) الرزق اوطلب العلم اوعيادة المريض اوزيارة اخ فى الله (واذكروا الله كثيرا) واشكروه على ماوفقكم لاداء فرضه (لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها) تفرقوا عنك اليها وتقديره واذا رأوا تجارة انفضوا اليها اولهوا انفضوا اليه فحذف احدهما وانما خص لدلالة المذكور عليه ﴿٢٦٥﴾ التجارة لانها كانت اهم {سورة الجمعة} عندهم روى ان اهل المدينة

﴿ فاذا قضيت الصلوة ﴾ اديت وفرغ منها ﴿ فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ﴾ اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ واذكروه فى مجامع احوالكم ولاتخصوا ذكره بالصلاة ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ بخير الدارين ﴿ واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها ﴾ روى انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب للجمعة عليه فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته اوللدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره واذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه ﴿ وتركوك قائما ﴾ اى على المنبر

ان تغدو مع اصحابك قال اردت ان اصلى معك ثم اتبعهم فقال لوانفقت ما فى الارض جميعا ما ادركت فضل غدوتهم اخرجه الترمذى * وروى ان عمر رأى رجلا عليه اهبة السفر وسمعه يقول لولا ان اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فان الجمعة لاتحبس عن سفر * وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة فى كتب الفقه وفى هذا القدر كفاية والله اعلم * قوله عز وجل ﴿ فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض ﴾ اى اذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا فى الارض للتجارة والتصرف فى حوائجكم ﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾ يعنى الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس ان شئت فاخرج فان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل قوله فانتشروا فى الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب العلم وعن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين ﴿ واذكروا الله كثيرا ﴾ اى اذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل باللسان وقيل بالطاعة قيل لاتكون من الذاكرين الله كثيرا حتى تذكره قائما وقاعدا ومضطجعا ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ * قوله تعالى ﴿ واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ﴾ (ق) عن جابر قال بينما نحن نصلى مع رسول الله صلى الله عليه

اصابهم جوع وغلاء فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه فما بقى معه الاثمانية اواثنا عشر فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لوخرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادى نار اوكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو (وتركوك) على المنبر (قائما) تخطب وفيه دليل على ان الخطيب ينبغى ان يخطب قائما

(فاذا قضيت الصلوة) اذا فرغ الامام من صلاة الجمعة (فانتشروا فى الارض) فاخرجوا من المسجد ان شئتم (وابتغوا من فضل الله) اطلبوا من رزق الله ان شئتم فهذه رخصة بعد النهى ولها وجه آخر يقول فاذا قضيت الصلاة اذا فرغ الامام من صلاة الجمعة فانتشروا فى الارض فتفرقوا فى المسجد (قا و خا ٣٤ س) وابتغوا من فضل الله اطلبوا ماهو افضل لكم يعنى علم السر والتوحيد والزهد والتوكل (واذكروا الله) بالقلب واللسان (كثيرا) على كل حال (لعلكم تفلحون) لكى تنجوا من السخط والعذاب (واذا راو تجارة) دحية بن خليفة الكلبى (اولهوا) اوسمعوا صوت الطبل (انفضوا) تفرقوا وخرجوا من المسجد (اليها) غير ثمانية رهط ويقال غير اثنى عشر رجلا وامرأتين لم يخرجوا اليها (وتركوك قائما) على المنبر تخطب

وسلم اذ اقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى مابقى مع النبى صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الآية واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما* وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشأم وذكر نحوه وفيه الا اثنا عشر رجلا فيهم ابو بكر وعمر* ولمسلم كنا مع النبى صلى الله عليه يوم الجمعة فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا انا فيهم وذكر الحديث وهو حجة من يرى صحة الجمعة باثنى عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان انه اقام بهم الجمعة حتى يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس فى رواية عنه لم يبق فى المسجد الا ثمانية رهط قال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبى بتجارة زيت وطعام من الشأم والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رأوه بالبقيع قاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لوتتابعتم حتى لا يبقى منكم احد لسال بكم الوادى نارا وقال مقاتل بينا رسول الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبى من الشأم بالتجارة وكان اذا قدم لم تبق عاتق بالمدينة الااتته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق و بر وزيت وغيره وينزل عند احجار الزيت وهو مكان فى سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا منه فقدم ذات جمعة وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم يبق فى المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم كم بقى فى المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء لسومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الآية* واراد باللهو الطبل وكانت العير اذا قدمت استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اى تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير فى اليها راجع الى التجارة لانها اهم اليهم وتركوك قائما اتفقوا على ان هذا القيام كان فى الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعود أكان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب قائما اوقاعدا قال اما تقرؤن وتركوك قائما قال العلماء الخطبة فريضة فى صلاة الجمعة وقال داود الظاهرى هى مستحبة ويجب ان يخطب الامام قائما خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابو حنيفة واحمد لا يشترط القيام ولا القعود وتشترط الطهارة فى الخطبة عند الشافعى فى احد القولين واقل مايقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله هذه الثلاث شروط فى الخطبتين جميعا ويجب ان يقرأ فى الاولى آية من القرآن ويدعو للمؤمنين فى الثانية ولو ترك واحدة من هذه الخمسة لم تصح خطبته ولا جمعته عند الشافعى وذهب ابو حنيفة الى انه لو أتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزأه وهذا القدر لا يقع عليه اسم الخطبة

وهو مأمور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم عليهم خلافا لابى حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام فى حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والاصح انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلى تحية المسجد اذا دخل والامام يخطب خلافا لابى حنيفة ومالك

ذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام

(ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفى رواية اخرى كان يخطب يوم الجمعة وهو قائم ثم يجلس ثم يقوم فيتم كما يفعلون الآن (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال كانت للنبى صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس زاد فى رواية فمن حدثك انه كان يخطب جالسا فقد كذب (م) عن كعب بن عجرة رضى الله عنه انه دخل المسجد وعبدالرحمن بن الحكم يخطب جالسا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقد قال الله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما (م) عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال كنت اصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا زاد ابو داود ويقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس * عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء اخرجه ابو داود والترمذى * ولابى داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لايبدأ فيه بالحمد لله فهو اجذم * عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لايضر الا نفسه ولايضر الله شيأ * وفى رواية ان يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحوه وقال فيه ومن يعصهما فقد غوى ونسأل الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه انما نحن به وله اخرجه ابو داود (م) عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثنى عليه بما هو اهله ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت انا والساعة كهاتين ويقرن بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول انا اولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالى وعلى

﴿ قل ماعند الله ﴾ من الثواب ﴿ خير من اللهو ومن التجارة ﴾ فان ذلك محقق مخلد بخلاف ماتتوهمون من نفعها ﴿ والله خير الرازقين ﴾ فتوكلوا عليه

*عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا اخرجه الترمذي (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت * عن نافع ان ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والامام يخطب يوم الجمعة فحصبهما ان اصمتا اخرجه مالك في الموطأ قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام * فاما صفة الجمعة فركعتان يجهر فيهما بالقراءة ولجواز الجمعة خمس شروط الوقت وهو وقت الظهر مابين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة فان فقد شرط من هذه الشروط الخمس يجب ان يصلي ظهرا ولا يجوز للامام ان يبتدئ الخطبة قبل تمام العدد وهو اربعون عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح الصلاة وانفض واحد من العدد لا يجوز ان يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح اقوال الشافعي ان بقاء الاربعين شرط الى آخر الصلاة كما ان بقاء الوقت شرط الى آخر الصلاة فلو نقص واحد قبل ان يسلم الامام يجب على الباقين ان يصلوها ظهرا وفيه قول آخر وهو انه ان بقي معه اثنان اتمها جمعة وقيل ان بقي معه واحد اتمها جمعة وعند المزني ان انفضوا بعد ما صلى بهم الامام ركعة اتمها جمعة وان بقي وحده وان كان في الركعة الاولى يتمها اربعا وان انفض من العدد واحد وبه قال ابو حنيفة لكن في العدد الذي يشترط كالمسبوق اذ ادرك مع الامام ركعة من الجمعة فاذا اسلم الامام اتمها جمعة وان ادرك اقل من ركعة اتمها اربعا (خ) عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس (م) عن عبيدالله بن ابي رافع قال استخلف مروان اباهريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا ابو هريرة الجمعة فقرأ بعد الحمد سورة الجمعة في الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية قال فادركت ابا هريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت بسورتين كان علي بن ابي طالب يقرأ بهما في الكوفة فقال ابو هريرة اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما يوم الجمعة (م) عن النعمان بن بشير رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما في الصلاتين * عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك حديث الغاشية اخرجه ابو داود والنسائي * وقوله تعالى ﴿ قل ما عندالله ﴾ اى ما عندالله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ خير من اللهو ومن التجارة ﴾ الذي جاء بهما دحية ﴿ والله خير الرازقين ﴾ يعني انه تعالى موجد

(قل ما عندالله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) اى لايفوتهم رزق الله بترك البيع فهو خير الرازقين والله اعلم

(قل) يامحمد لهم (ماعندالله) من الثواب (خير) لكم (من اللهو) من صوت الطبل (ومن التجارة) تجارة دحية الكلبي يقول اوثبتم مع نبيكم حتى صليتم الصلاة ودعوتم ثم خرجتم لكان خيرا لكم بالثواب والكرامة عندالله من الخروج (والله خير الرازقين) افضل المعطين اى قل هذه المقالة اذا جاءك المنافقون

﴿ سورة المنافقين احدى عشرة آية مدنية ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله) ارادوا شهادة واطأت فيها قلوبهم السنتهم (والله يعلم انك لرسوله) اى والله يعلم ان الامر كما يدل عليه قولهم انك لرسول الله (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) فى ادعاء المواطأة اوانهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة او انهم لكاذبون عند انفسهم لانهم كانوا يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (اتخذوا ايمانهم جنة) وقاية من السبى والقتل وفيه دليل على ان اشهد يمين (فصدوا) الناس (عن سبيل الله) عن الاسلام بالتنفير والقاء الشبه (انهم ساء ما كانوا يعملون)

واطلبوا الرزق منه * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها فى امصار المسلمون

﴿ سورة المنافقين مدنيه وآيها احدى عشرة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ﴾ الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم فى الشهادة بقوله ﴿ والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ لانهم لم يعتقدوا ذلك ﴿ اتخذوا ايمانهم ﴾ حلفهم الكاذب اوشهادتهم هذه فانها تجرى مجرى الحلف فى التوكيد وقرئ ايمانهم ﴿ جنة ﴾ وقاية عن القتل والسبى ﴿ فصدوا عن سبيل الله ﴾ صدا اوصدودا ﴿ انهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ من نفاقهم وصدهم

الارزاق واصلها منه فاياه فاسألوا ومنه فاطلبوا والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة المنافقين وهى مدنية واحدى عشرة آية ومائة ﴾
﴿ وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ اذا جاءك المنافقون ﴾ يعنى عبد الله بن ابى ابن سلول واصحابه ﴿ قالوا نشهد انك لرسول الله ﴾ وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ والله يعلم انك لرسوله ﴾ اى هو الذى ارسلك فهو عالم بك ﴿ والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ﴾ يعنى فى قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم اضمروا خلاف ما اظهروا وذلك لان حقيقة الايمان ان يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن اخبر عن شئ واعتقد خلافه او اضمر خلاف ما اظهر فهو كاذب الاترى انهم كانوا يقولون بألسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا لان قولهم خالف اعتقادهم ﴿ اتخذوا ايمانهم جنة ﴾ اى سترا يستترون بها من القتل ومعنى ايمانهم ما خبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله ﴿ فصدوا عن سبيل الله ﴾ اى اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ انهم ساء ما كانوا يعملون ﴾ يعنى

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها المنافقون وهى كلها مدنية غير قوله لئن رجعنا الى آخر الآية فانها نزلت عليه فى طريق بنى المصطلق آياتها احدى عشرة وكلماتها مائة وثمانون وحروفها سبعمائة وستة وسبعون حرفا (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اذا جاءك المنافقون) يقول اذا جاءك المنافقو اهل المدينة عبد الله بن ابى ومعتب بن قشير وجد بن قيس وكانوا بنى عم (قالوا نشهد) نحلف بالله (انك) يا محمد (لرسول الله) نعلم ذلك وضميرنا على ذلك (والله يعلم) يشهد (انك لرسوله) من غير شهادة المنافقين (والله يشهد) يعلم (ان المنافقين لكاذبون) فى حلفهم لايعلمون ذلك وضمير قلوبهم على غير ذلك (اتخذوا ايمانهم) حلفهم بالله (جنة) من القتل (فصدوا عن سبيل الله) فصرفوا الناس عن دين الله وطاعته فى السر (انهم ساء ما كانوا يعملون) بئس

من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفى سـاء معنى التعجب الذى هو تعظيم امرهم عند السامعين (ذلك) اشارة
الى قوله سـاء ما كانوا يعملون اى ذلك القول الشاهد عليهم بانهم اسوأ الناس اعمالا (بانهم) بسبب انهم
(آمنوا ثم كفروا) او الى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالايمان اى ذلك كله بسبب
انهم آمنوا اى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك
بقولهم ان كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير ونحو ذلك ونطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند
شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (فطبع على قلوبهم) فختم عليها حتى
لا يدخلها الايمان جزاء على نفاقهم (فهم لا يفقهون) لا يتدبرون
او لا يعرفون صحة الايمان والخطاب فى (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) لرسول الله او لكل من يخاطب (وان يقولوا تسمع لقولهم) كان ابن ابى رجلا جسيما صبيحا فصيحا وقوم من المنافقين فى مثل صفته فكانوا يحضرون مجالس النبى صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظرة وفصاحة الالسن فكان النبى صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وموضع (كأنهم خشب) رفع على هم كأنهم خشب او هو كلام مستأنف لا محل له (مسندة) فى الحائط شبهوا فى استنادهم وما هم الا اجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط لان الخشب اذا انتفع به كان (ينتفع)

﴿ذلك﴾ اشارة الى الكلام المتقدم اى ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم والى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان ﴿بانهم آمنوا﴾ بسبب انهم آمنوا ظاهرا ﴿ثم كفروا﴾ سرا او آمنوا اذا رأوا آية ثم كفروا حينما سمعوا من شياطينهم شبهة ﴿فطبع على قلوبهم﴾ حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه ﴿فهم لا يفقهون﴾ حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته ﴿واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم﴾ لضخامتها وصباحتها ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابى جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمع مثله فيعجب بهياكلهم ويصغى الى كلامهم ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ حال من الضمير المجرور فى لقولهم اى تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط فى كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهى الخشبة التى نخر جوفها شبهوا بها فى حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائى وقنبل عن

حيث آثروا الكفر على الايمان ﴿ذلك بانهم آمنوا﴾ اى فى الظاهر وذلك اذا رأوا المؤمنين اقروا بالايمان ﴿ثم كفروا﴾ اى فى السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشهد انهم لكاذبون ﴿فطبع على قلوبهم﴾ اى بالكفر ﴿فهم لا يفقهون﴾ اى الايمان وقيل لا يتدبرون القرآن ﴿واذا رأيتهم﴾ يعنى المنافقين مثل عبد الله بن ابى ابن سلول ﴿تعجبك اجسامهم﴾ يعنى ان لهم اجساما ومناظر حسنة ﴿وان يقولوا تسمع لقولهم﴾ اى فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن ابى ابن سلول جسيما فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم قوله ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ اى اشباح بلا ارواح واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة الى جدر وليست باشجار مثمرة

ما كانوا يصنعون فى كفرهم ونفاقهم من المكر والخيانة وصد الناس (ذلك) الذى ذكرت من امر المنافقين (بانهم آمنوا) بالعلانية (ثم كفروا) وثبتوا على الكفر فى السر (فطبع) فختم (على قلوبهم) عقوبة لكفرهم ونفاقهم (فهم لا يفقهون) الحق والهدى (واذا رأيتهم) يا محمد عبد الله بن ابى وصاحبيه (تعجبك اجسامهم) صور اجسامهم وحسن منظرهم (وان يقولوا) انا نعلم انك لرسول الله (تسمع لقولهم) تصدق قولهم وتظن انهم صادقون وليسوا بصادقين (كأنهم) يعنى كأن اجسامهم (خشب مسندة) الى الحائط يقول ليس فى قلوبهم نور ولا خير كما ان الخشب اليابس ليس فيه روح ولا رطوبة

فى سقف اوجدار اوغيرها من مظان الانتفاع ومادام متروكا غير منتفع به اسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع او لانهم اشباح بلاارواح واجسام بلااحلام خشب ابوعمرو غير عباس وعلى جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر (يحسبون كل صيحة عليهم) كل صيحة مفعول اول والمفعول الثانى عليهم وتم الكلام اى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لخيفتهم ورعبهم يعنى اذا نادى مناد فى العسكر اوانفلتت دابة اوانشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم ثم قال (هم العدو) اى هم الكاملون فى العداوة لان اعدى الاعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم (قاتلهم الله) دعاء عليهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك (انى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عطفوها واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا لووا بالتخفيف نافع (ورأيتهم يصدون) يعرضون (وهم مستكبرون) عن الاعتذار والاستغفار روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتلهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر وسنان الجهنى حليف لابن ابى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين واطم سنانا فقال عبدالله لجعال وانت هناك وقال ماصحبنا محمدا الالنلطم والله مامثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأ كلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا

ابن كثير بسكون الشين على التخفيف او على انه كبدن فى جمع بدنة ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ اى واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم فعليهم ثانى مفعولى يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول ﴿ هم العدو ﴾ وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله ﴿ فاحذرهم ﴾ عليه يدل على ان الضمير للمنافقين ﴿ قاتلهم الله ﴾ دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك ﴿ انى يؤفكون ﴾ كيف يصرفون عن الحق ﴿ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ﴾ عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك وقرأ نافع بتخفيف الواو ﴿ ورأيتهم يصدون ﴾ وهم يعرضون عن الاستغفار ﴿ وهم مستكبرون ﴾ عن الاعتذار

ينتفع بها ﴿ يحسبون كل صيحة عليهم ﴾ يعنى انهم لايسمعون صوتا فى العسكر بان ينادى مناد اوتنفلت دابة او تنشد ضالة الا ظنوا من خبثهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم قد اتوا لما فى قلوبهم من الرعب وقيل انهم على خوف ووجل من ان ينزل فيهم امر يهتك استارهم ويبيح دماءهم وتم الكلام عند قوله عليهم ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ هم العدو فاحذرهم ﴾ اى لاتأمنهم فانهم وان كانوا معك ويظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم ولا تأمنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من الكفار ينقلون اليهم اسرارك ﴿ قاتلهم الله ﴾ اى لعنهم الله ﴿ انى يؤفكون ﴾ اى يصرفون عن الحق * قوله تعالى ﴿ واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ﴾ اى املوها واعرضوا بوجوههم رغبة عن الاستغفار ﴿ ورأيتهم يصدون ﴾ اى يعرضون عما دعوا اليه ﴿ وهم مستكبرون ﴾

(يحسبون كل صيحة) كل صورة فى المدينة (عليهم) من الجبن (هم العدو فاحذرهم) ولا تأمنهم (قاتلهم الله) لعنهم الله (أنى يؤفكون) كيف يكذبون ويقال كيف يصرفون بالكذب (واذا قيل لهم) قال لهم عشائرهم بعدما افتضحوا (تعالوا) الى رسول الله وتوبوا من الكفر والنفاق (يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) عكفوا وعطفوا وغطوا رؤسهم (ورأيتهم) يا محمد (يصدون) يصرفون عن الاستغفار والتوبة والاتيان اليك (وهم مستكبرون) متعظمون عن التوبة والاستغفار

من حول محمد فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد على رأسه تاج المعراج فى عز من الرحمن وقوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضى الله عنه دعنى اضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال اذن ترعد انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجر فامر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله انت صاحب الكلام الذى بلغنى قال والله الذى انزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله تخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يارسول الله شيخنا وكبيرنا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم فلما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ياغلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آى شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه فقال امرتمونى ان اومن فآمنت وامرتمونى ان ازكى مالى فزكيت ومابقى لى الان اسجد لمحمد فنزل واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا اياما حتى اشتكى ومات (سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) اى ماداموا على النفاق والمعنى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لايلتفتون اليه ولايعتدون به لكفرهم او لان الله لايغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه (ان الله لايهدى القوم الفاسقين

﴿سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾ لرسوخهم فى الكفر ﴿ان الله لايهدى القوم الفاسقين﴾ الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم فى الكفر والنفاق

اى عن استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ﴿سواء عليهم استغفرت لهم﴾ اى يا محمد ﴿ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدى القوم الفاسقين﴾

ذكر القصة فى سبب نزول هذه الآية

قال محمد بن اسحق وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بنى المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ابى ضرار وهو ابو جويرية زوج النبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحم الناس واقتتلوا فهزم الله تعالى بنى المصطلق وامكن منهم وقتل من قتل منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم فأفاءها عليهم فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفارى يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان ابن وبر الجهنى حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يامعشر الانصار وصرخ الغفارى يا معشر المهاجرين واعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبدالله بن ابى لجعال وانك لهناك فقال جعال وما يمنعنى ان افعل ذلك فغضب عبدالله بن ابى وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو غلام حديث السن فقال عبدالله بن ابى افعلوها قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من حضر من قومه فقال هذا ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبدالله بن ابى اسكت لقد كنت ألعب فمشى زيد بن ارقم الى رسول

(سواء عليهم) على المنافقين (استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) على ما اقاموا على ذلك (ان الله لايهدى) لايغفر (القوم الفاسقين) المنافقين من كان فى علم الله انه يموت على النفاق

الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال دعنى اضرب عنقه يارسول الله قال كيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن اذن بالرحيل وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبدالله بن ابى فاتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام الذى بلغنى فقال عبدالله بن ابى والذى انزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب وكان عبدالله فى قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من اصحابه يارسول الله عسى ان يكون الغلام قد وهم فى حديثه ولم يحفظ ما قاله فعذره النبى صلى الله عليه وسلم وفشت الملامة لزيد فى الانصار وكذبوه وقال له عمه وكان زيد معه ما اردت الا ان كذبك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبى صلى الله عليه وسلم فاستحيا بعد ذلك ان يدنو من النبى صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يارسول الله صلى الله عليك وسلم لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم او ما بلغك ما قال صاحبك عبدالله بن ابى فقال اسيد وما قال قال يزعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها الاذل فقال اسيد انت والله يارسول الله تخرجه هو والله الذليل وانت والله العزيز ثم قال يارسول الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قدسلبته ملكا وبلغ عبدالله بن عبدالله بن ابى ما كان من ابيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله انه بلغنى انك تريد قتل عبدالله بن ابى لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى به فانا احمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه منى وانى اخشى ان تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى ان انظر الى قاتل عبدالله بن ابى يمشى على الارض فاقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نرفق به ونحسن صحبته مابقى معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك حتى امسى وليلته حتى اصبح وصدر يومه حتى آذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض فوقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبدالله بن ابى الذى كان منه بالامس ثم راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال لها نقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفى بالمدينة فقيل من هو قال رفاعة بن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولايعلم بمكان ناقته الا يخبره الذى يأتيه بالوحى فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ماازعم انى اعلم الغيب ولا اعلمه ولكن

الله اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب وقد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاؤا بها فا من ذلك المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قدمات في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قال زيد ابن ارقم جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فانزل الله عز وجل سورة المنافقين في تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبدالله بن ابي فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم باذن زيد وقال يازيد ان الله قد صدقك واوفى باذنك (ق) عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبدالله بن ابي لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فأرسل الى عبدالله بن ابي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي مما قالوه شدة حتى انزل الله بتصديقي اذاجاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤسهم وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شئ (ق) عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال الانصاري ياللانصار وقال المهاجر ياللمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مابال دعوى الجاهلية ثم قال ماشأنهم فاخبر بكسعة المهاجر الانصاري فقال دعوها فانها خبيثة وقال عبدالله بن ابي ابن سلول اقد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال عمر الا اقتل يانبي الله هذا الخبيث لعبدالله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه* ولمسلم رواية وفيها فقال لابأس ولينصر الرجل اخاه ظالما كان اومظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبدالله بن عبدالله لاتنقلب حتى تقر انك انت الذليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل* قال اصحاب السير وكان عبدالله بن ابي بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبدالله حتى اناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاء عبدالله بن ابي قال له ابنه وراءك قال ويلك مالك قال لاوالله لاتدخلها ابدا الا ان يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتعلمن اليوم من الاعز من الاذل فشكا عبدالله بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع ابنه عبدالله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبدالله اما اذا جاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وتبين كذب المنافقين قيل يا اباحباب انه قد نزل فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه وقال امرتموني ان اومن فآمنت وأمرتموني ان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم فأنزل الله واذا قيل لهم تعالوا

(يستغفر)

هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) يتفرقوا (ولله خزائن السموات والارض) اى وله الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا عليهم (ولكن المنافقين لايفقهون) ولكن عبدالله واضرابه جاهلون لايفقهون ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان (يقولون لئن رجعنا) من غزوة بنى المصطلق (الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة) اى الغلبة والقوة (ولرسوله وللمؤمنين) ولمن اعزه الله وايده من رسله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان و ذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت فى هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذى لاذل معه والغنى الذى لافقر معه وعن الحسن ابن على رضى الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (ولكن المنافقين لايعلمون يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم) لاتشغلكم (أموالكم) هو التصرف فيها والسعى فى تدبير امرها بالنماء وطلب النتاج (ولا اولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام

﴿ هم الذين يقولون ﴾ اى للانصار ﴿ لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ يعنون فقراء المهاجرين ﴿ ولله خزائن السموات والارض ﴾ بيده الارزاق والقسم ﴿ ولكن المنافقين لايفقهون ﴾ ذلك لجهلهم ﴿ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ﴾ روى ان اعرابيا نازع انصاريا فى بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكا الى ابن ابى فقال لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله عليه وسلم وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القراآت مصدر او حال على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ﴿ و لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ﴿ ولكن المنافقين لايعلمون ﴾ من فرط جهلهم وغرورهم ﴿ يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم

يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم الآية ونزل ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ اى يتفرقوا عنه ﴿ ولله خزائن السموات والارض ﴾ يعنى بيده مفاتح الرزق فلا يعطى احد احدا شيأ الا باذنه ولا يمنعه الا بمشيئته ﴿ ولكن المنافقين لايفقهون ﴾ يعنى ان امر الله اذا أراد شيأ ان يقول له كن فيكون ﴿ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ﴾ يعنى من غزوة بنى المصطلق ﴿ ليخرجن الاعز منها الاذل ﴾ فرد الله عليهم بقوله ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على اعدائهم ﴿ ولكن المنافقين لايعلمون ﴾ اى ذلك ولو علموا ماقالوا هذه المقالة قال اصحاب السير فلما نزلت هذه الآية فى عبدالله بن ابى ابن سلول لم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات على نفاقه * قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا لاتلهكم ﴾ اى لاتشغلكم ﴿ اموالكم ولا اولادكم

(هم الذين يقولون) قال هذا عبدالله بن ابى خاصة لاصحابه فى غزوة تبوك (لاتنفقوا على من عند رسول الله) من ذوى الحاجة والفقر (حتى ينفضوا) يتفرقوا من عنده و يلحقوا بعشائرهم (ولله خزائن السموات والارض) مفاتح خزائن السموات بالرزق المطر والارض النبات (ولكن المنافقين) عبدالله بن ابى واصحابه (لا يفقهون) ان الله يرزقهم (يقولون) قال هذا ايضا عبدالله بن ابى خاصة لاصحابه فى غزوة تبوك (لئن رجعنا الى المدينة) من غزوتنا هذه (ليخرجن الاعز) القوى يعنون عبدالله بن ابى (منها) من المدينة (الاذل) الذليل الضعيف منهم يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) المنعة والقدرة على المنافقين عبدالله بن ابى واصحابه (ولكن المنافقين لا يعلمون) ذلك ولايصدقون وفيه قصة زيد بن ارقم (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لاتلهكم) لا تشغلكم (اموالكم) بمكة (ولا اولادكم) بمكة

يؤثم (عن ذكر الله) اى عن الصلوات الخمس اوعن القرآن (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين وقيل من يشتغل بتثمير امواله عن تدبير احواله وبمرضاة اولاده عن اصلاح معاده (فاؤلئك هم الخاسرون) فى تجارتهم حيث باعوا الباقى بالفانى (وانفقوا مما رزقناكم) من للتبعيض والمراد بالانفاق الواجب (من قبل ان يأتى احدكم الموت) اى من قبل ان يرى دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويتعذر عليه الانفاق (فيقول رب لولا اخرتنى) هلا اخرت موتى (الى اجل قريب) الى زمان قليل (فاصدق) فاتصدق وهو جواب لولا (وأكن من الصالحين) من المؤمنين والآية فى المؤمنين وقيل فى المنافقين وأكون ابو عمرو بالنصب عطفا على اللفظ والجزم على موضع فاصدق كانه قيل ان اخرتنى اصدق واكن (ولن يؤخر الله نفسا) عن الموت (اذا جاء اجلها) المكتوب فى اللوح المحفوظ (والله خبير بما تعملون) يعملون حماد ويحيى والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لاسبيل اليه وانه هاجم لا محالة والله عليم باعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا

(عن ذكر الله) عن الهجرة والجهاد (ومن يفعل ذلك) من يله بالمال والولد عن الهجرة والجهاد (فاؤلئك هم الخاسرون) المغبونون بالعقوبة (وانفقوا) تصدقوا فى سبيل الله (مما رزقناكم) اعطيناكم من الاموال (ما) ويقال ادوا زكاتكم (من قبل ان يأتى احدكم الموت) سلطان الموت (فيقول رب لولا اخرتنى) هلا اجلتنى (الى اجل قريب) مثل اجل الدنيا (فأصدق) من مالى وازكى من مالى (واكن من الصالحين) احج به واكن من الحاجين (ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها والله خبير بما تعملون) من الخير والشر ويقال نزل من قوله يا ايها الذين آمنوا الى ههنا فى شأن المنافقين واما قوله فأصدق ان فسرت على المنافقين يقول فاصدق ايمانى واكن من الصالحين يقول افعل عمالى كفعل

عن ذكر الله ﴾ لايشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذلك قال ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ اى اللهو بها وهو الشغل ﴿ فاؤلئك هم الخاسرون ﴾ لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى ﴿ وانفقوا مما رزقناكم ﴾ بعض اموالكم ادخارا للآخرة ﴿ من قبل ان يأتى احدكم الموت ﴾ اى يرى دلائله ﴿ فيقول رب لولا اخرتنى ﴾ هلا امهلتنى ﴿ الى اجل قريب ﴾ امد غير بعيد ﴿ فاصدق ﴾ فاتصدق ﴿ واكن من الصالحين ﴾ بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على فاصدق وقرئ بالرفع على وانا واكون فيكون عدة بالصلاح ﴿ ولن يؤخر الله نفسا ﴾ ولن يمهلها ﴿ اذا جاء اجلها ﴾ آخر عمرها ﴿ والله خبير بما تعلمون ﴾

عن ذكر الله ﴾ يعنى عن الصلوات الخمس والمعنى لاتشغلكم اموالكم ولا اولادكم كما شغلت المنافقين عن ذكر الله ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ اى ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله ﴿ فاؤلئك هم الخاسرون ﴾ اى فى تجارتهم حيث آثروا الفانى على الباقى ﴿ وانفقوا مما رزقناكم ﴾ قال ابن عباس يريد زكاة الاموال ﴿ من قبل ان يأتى احدكم الموت ﴾ اى دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسأل الرجعة ﴿ فيقول رب لولا اخرتنى ﴾ اى هلا امهلتنى وقيل لو اخرت اجلى ﴿ الى اجل قريب فاصدق ﴾ اى فازكى مالى ﴿ وأكون ﴾ وقرئ وأكن ﴿ من الصالحين ﴾ اى من المؤمنين وقيل نزلت هذه الآية فى المنافقين ويدل على هذا ان المؤمن لايسأل الرجعة وقيل نزلت فى المؤمنين والمراد بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته او اطاق الحج ولم يحج الا سأل الرجعة عند الموت وقرأ هذه الآية وأكون من الصالحين اى احج وازكى ﴿ ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها ﴾ يعنى انه تعالى لايؤخر من حضر اجله وانقضت مدته ﴿ والله خبير بما تعملون ﴾ يعنى انه لو رد الى الدنيا واجيب الى

المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجب والاستعداد للقاء الله تعالى والله اعلم بالصواب ﴿ سورة التغابن ثماني عشرة آية مختلف فيها ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يسبح لله مافى السموات وما فى الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير) قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك ان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ والقائم به

وكذا الحمد لان اصول النعم وفروعها منه واما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمد غيره اعتداد بان نعمة الله جرت على يده (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) اى فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له

فمجاز عليه وقرأ ابو بكر بالياء ليوافق ماقبله فى الغيبة * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

﴿ سورة التغابن مختلف فيها وآيها ثمانى عشرة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يسبح لله مافى السموات ومافى الارض ﴾ بدلالتها على كماله واستغنائه ﴿ له الملك وله الحمد ﴾ قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال ﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ﴾ مقدر كفره موجه اليه مايحمله عليه ﴿ ومنكم مؤمن ﴾ مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه

ماسأل ماجح ومازكى وقيل هو خطاب شائع لكل عامل عملا من خير او شر والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة التغابن وهى مدنية فى قول الاكثر وقيل هى مكية ﴾

﴿ الا ثلاث آيات من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من أزواجكم ﴾

﴿ وأولادكم الى آخر ثلاث آيات وهى ثمانى عشرة آية ومائتان واحدى ﴾

﴿ واربعون كلمة والف وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ يسبح لله مافى السموات ومافى الارض له الملك وله الحمد ﴾ يعنى انه تعالى متصرف فى ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص لاشريك له فيه وله الحمد لان اصول النعم كلها منه وهو الذى يحمد على كل حال فلا محمود فى جميع الاحوال الاهو ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى يفعل مايشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع ﴿ هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ قال ابن عباس ان الله تعالى خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقكم مؤمنا وكافرا (م) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله

المؤمنين والمصدقين بايمانهم ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها التغابن مكيه ومدنية آياتها ثمانية عشرة وكلماتها مائتان واحدى واربعون وحروفها الف وسبعون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يسبح لله) يقول يصلى لله ويقال يذكر لله (مافى السموات) من الخلق (ومافى الارض) من الخلق وكل شئ حى (له الملك) الدائم لايزول ملكه (وله الحمد) الشكر والمنة على اهل السموات والارض ويقال على اهل الدنيا والآخرة (وهو على كل شئ) من امر الدنيا والآخرة وتزيين اهل السموات والارض (قدير هو الذى خلقكم) من آدم وآدم من تراب (فمنكم كافر) بالعلانية (ومنكم مؤمن) بالعلانية ويقال فمنكم كافر يؤمن وهو تحضيض منه على الايمان ومنكم مؤمن يكفر وهو تحذير منه عن الكفر ويقال منكم كافر السريرة كافر العلانية وهو الكافر ومنكم مؤمن السريرة مؤمن العلانية وهو المؤمن المخلص بايمانه ومنكم كافر السريرة مؤمن العلانية وهو المنافق بايمانه

ويدل عليه قوله (والله بما تعملون بصير) اى عالم وبصير بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذى تفضل عليكم باصل النعم الذى هو الخلق والايجاد عن العدم وكان يجب ان تكونوا باجمعكم شاكرين فما بالكم تفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وهو رد لقول من يقول بالمنزلة بين المنزلتين وقيل هو الذى خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فاحسن صوركم) اى جعلكم احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان لايتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن احسن صورته ان خلقه منتصبا غير منكب ومن كان دميما مشوه الصورة سمج الخلقة فلا سماجة ثم ولكن الحسن على طبقات فلانحطاطها عما فوقها لا تستملح ولكنها غير خارجة عن حد الحسن وقالت الحكماء شيآن لاغاية لهما الجمال والبيان (واليه المصير) فاحسنوا سرائركم كما احسن صوركم (يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور) نبه بعلمه ما فى السموات والارض

(والله بما تعملون) من الخير والشر (بصير خلق السموات والارض بالحق) لتبيان الحق والباطل وبقيل للزوال والفناء (وصوركم) فى الارحام (انه) (فاحسن صوركم) من صور الدواب ويقال احكم صوركم باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء (واليه المصير) المرجع فى الآخرة (يعلم ما فى السموات) من الخلق (والارض) من الخلق (ويعلم ما تسرون) ماتخفون من العمل (وماتعلنون) وماتظهرون من العمل (والله عليم بذات الصدور) بما فى القلوب

﴿والله بما تعملون بصير﴾ فيعاملكم بما يناسب اعمالكم ﴿خلق السموات والارض بالحق﴾ بالحكمة البالغة ﴿وصوركم فاحسن صوركم﴾ فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات ﴿ واليه المصير ﴾ فاحسنوا سرائركم حتى لا تمسخ بالعذاب ظواهركم ﴿ يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ماتسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾ فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضى

خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم فى اصلاب آبائهم (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اى رب نطفة اى رب علقة اى رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضى خلقها قال يارب اذكر ام انثى اشقى ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك وهو فى بطن امه وقال جماعة فى معنى الآية ان الله تعالى خلق الخلق ثم كفروا و آمنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم اختلفوا فى تأويلها فروى عن ابى سعيد الخدرى انه قال فمنكم كافر حياته مؤمن فى العاقبة ومنكم مؤمن حياته كافر فى العاقبة وقال عطاء بن ابى رباح فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب وقيل فمنكم كافر اى بان الله خلقه وهم الدهرية واصحاب الطبائع ومنكم مؤمن اى بان الله خلقه وجملة القول فيه ان الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المؤمن وايمانه فعلا له وكسبا فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله وبمشيئته فالمؤمن بعد خلق الله اياه يختار الايمان لان الله اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار الكفر لان الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه هذا طريق اهل السنة فمن سلك هذا اصاب الحق وسلم من مذهب الجبرية والقدرية ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ اى انه عالم بكفر الكافر وايمان المؤمن ﴿ خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم ﴾ اى انه اتقن واحكم صوركم على وجه لا يوجد مثله فى الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة فى الاعضاء وقد علم بهذا ان صورة الانسان احسن صورة واكملها ﴿ واليه المصير ﴾ اى المرجع فى القيامة ﴿ يعلم ما فى السموات والارض ويعلم ماتسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾ معناه

ثم بعلمه بما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه بذات الصدور ان شيأ من الكليات والجزئيات غير خاف عليه فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترئ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن فى معنى الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته (الم يأتكم) الخطاب لكفار مكة (نبأ الذين كفروا من قبل) يعنى قوم نوح وهود وصالح ولوط (فذاقوا وبال امرهم) اى ذاقوا وبال كفرهم فى الدنيا (ولهم عذاب اليم) فى العقبى (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما اعدلهم من العذاب فى الآخرة (بانه) بان الشان والحديث (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فقالوا ابشر يهدوننا) انكروا الرسالة للبشر ولم ينكروا العبادة للحجر (فكفروا) بالرسل (وتولوا) عن الايمان (واستغنى الله) اطلق ليتناول كل شئ ومن جملته ايمانهم وطاعتهم (والله غنى) عن خلقه (حميد) على صنعه (زعم الذين كفروا) اى اهل مكة والزعم ادعاء العلم ويتعدى تعدى العلم (ان لن يبعثوا) ان مع ما فى حيزه قائم مقام المفعولين وتقديره انهم لن يبعثوا (قل بلى) هو اثبات لما بعد ان وهو البعث (وربى لتبعثن) اكد الاخبار باليمين فان قلت ما معنى اليمين على شئ انكروه قلت هو جائز لان التهدد به اعظم موقعا فى القلب فكأنه

لعله الى الكل واحدة وتقديم تقدير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء ﴿ الم يأتكم ﴾ ايها الكفار ﴿ نبأ الذين كفروا من قبل ﴾ كقوم نوح وهود وصالح عليهم الصلاة والسلام ﴿ فذاقوا وبال امرهم ﴾ ضرر كفرهم فى الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ فى الآخرة ﴿ ذلك ﴾ اى المذكور من الوبال والعذاب ﴿ بانه ﴾ بسبب ان الشأن ﴿ كانت تأتيهم رسلهم بالبينات ﴾ بالمعجزات ﴿ فقالوا ابشر يهدوننا ﴾ انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا والبشر يطلق على الواحد والجمع ﴿ فكفروا ﴾ بالرسل ﴿ وتولوا ﴾ عن التدبر والبينات ﴿ واستغنى الله ﴾ عن كل شئ فضلا عن طاعتهم ﴿ والله غنى ﴾ عن عبادتهم وغيرها ﴿ حميد ﴾ يدل على حمده كل مخلوق ﴿ زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ﴾ الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى المفعولين وقد قام مقامهما ان مع ما فى حيزه ﴿ قل بلى ﴾ اى بلى يبعثون ﴿ وربى لتبعثن ﴾

انه لا تخفى عليه خافية فاستوى فى علمه الظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم * قوله تعالى ﴿ الم يأتكم ﴾ يخاطب كفار مكة ﴿ نبأ الذين كفروا من قبل ﴾ يعنى خبر الامم الخالية ﴿ فذاقوا وبال امرهم ﴾ اى جزاء اعمالهم وهو ما لحقهم من العذاب فى الدنيا ﴿ ولهم عذاب اليم ﴾ اى فى الآخرة ﴿ ذلك ﴾ اى الذى نزل بهم من العذاب ﴿ بانه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا ﴾ معناه انهم انكروا ان يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم حجرا ﴿ فكفروا ﴾ اى جحدوا وانكروا ﴿ وتولوا ﴾ اى اعرضوا ﴿ واستغنى الله ﴾ اى عن ايمانهم وعبادتهم ﴿ والله غنى ﴾ اى عن خلقه ﴿ حميد ﴾ اى فى افعاله ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى ﴿ زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل ﴾ اى قل لهم يا محمد ﴿ بلى وربى لتبعثن ﴾

من الخير والشر (الم يأتكم) يا اهل مكة فى الكتاب (نبأ) خبر (الذين كفروا من قبل) من قبلكم من الامم الماضية كيف فعل بهم (فذاقوا وبال امرهم) عقوبة امرهم فى الدنيا بالعذاب والهلاك (ولهم عذاب اليم) وجيع فى الآخرة (ذلك) العذاب (بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) بالامر والنهى والعلامات (فقالوا أبشر) آدمى مثلنا (يهدوننا) يدعوننا الى التوحيد (فكفروا) بالكتب والرسل والآيات (وتولوا) اعرضوا عن الايمان بالكتب والرسل والآيات (واستغنى الله) عن ايمانهم (والله غنى) عن ايمانهم (حميد) محمود فى فعاله ويقال حميد لمن وحده (زعم الذين كفروا) كفار مكة (أن لن يبعثوا) من بعد الموت (قل) لهم يا محمد (بلى وربى لتبعثن)

قيل لهم ماتنكرونه كائن لامحالة (ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك) البعث (على الله يسير) هين (فآمنوا بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى انزلنا) يعنى القرآن لانه يبين حقيقة كل شئ فيهتدى به كما بالنور (والله بما تعملون خبير) فراقبوا اموركم (يوم يجمعكم) انتصب الظرف بقوله

لتنبؤن او باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون (ذلك يوم التغابن) وهو مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لوكانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لوكانوا اشقياء كما ورد فى الحديث ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له وان تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى امور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا) صفة للمصدر اى عملا صالحا بعد الموت (ثم لتنبؤن) لتخبرن (بما عملتم) فى الدنيا من الخير والشر (وذلك) البعث (على الله يسير) هين (فآمنوا) يا اهل مكة (بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم بالبعث بعد الموت (والنور) الكتاب (الذى انزلنا)

قسم اكد به الجواب ﴿ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ بالمحاسبة والمجازاة ﴿وذلك على الله يسير﴾ لقبول المادة وحصول القدرة التامة ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿والنور الذى انزلنا﴾ يعنى القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه ﴿والله بما تعملون خبير﴾ فمجاز عليه ﴿يوم يجمعكم﴾ ظرف لتنبؤن اومقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ﴿ليوم الجمع﴾ لاجل مافيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ﴿ذلك يوم التغابن﴾ يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لوكانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقى وهو التغابن فى امور الآخرة لعظمها ودوامها ﴿ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا﴾ اى عملا صالحا

اى يوم القيامة ﴿ثم لتنبؤن﴾ اى لتخبرن ﴿بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ اى امر البعث والحساب يوم القيامة ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة ومانزل بهم من العذاب قال فآمنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم مانزل بهم من العقوبة ﴿والنور الذى انزلنا﴾ يعنى القرآن سماه نورا لانه يهتدى به فى ظلمات الضلال كما يهتدى بالنور فى الظلمة ﴿والله بما تعملون خبير﴾ يعنى انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا فراقبوه وخافوه * قوله عز وجل ﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ يعنى يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين واهل السموات واهل الارضين ﴿ذلك يوم التغابن﴾ من الغبن وهو فوت الحظ والمراد فى المجازاة والتجارة وذلك انه اذا اخذ الشئ بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن اهله ومنازله فى الجنة وذلك لان كل كافر له اهل ومنزل فى الجنة لو اسلم فيظهر يومئذ غبن كل كافر بتركه الايمان ويظهر غبن كل مؤمن بتقصيره فى الاحسان وقيل ان قوما فى النار يعذبون وقوما فى الجنة ينعمون فلا غبن اعظم من هذا وقيل هو غبن المظلوم للظالم لان المظلوم مغبون فى الدنيا فصار فى الآخرة غابنا لظالمه واصل الغبن فى البيع والشراء وقد ذكر الله فى حق الكافرين انهم خسروا غبنوا فى شرائهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال فى حق المؤمنين هل ادلكم على تجارة وقال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المؤمنين ﴿ومن يؤمن بالله﴾ على ماجاءت به الرسل من الايمان بالبعث والجنة والنار ﴿ويعمل صالحا﴾ اى فى ايمانه الى ان يموت على

جبريل على محمد عليه السلام (والله بما تعملون) من الخير والشر (خبير يوم) وهو يوم القيامة (يجمعكم (ذلك) ليوم الجمع) يوم يجتمع فيه الاولون والآخرون (ذلك يوم التغابن) يغبن الكافر بنفسه واهله وخدمه ومنازله فى الجنة ويرثه المؤمن ويقال يغبن المؤمن الكافر باهله ومنازله ويغبن فيه الكافر بنفسه فى الجنة ويرثه المؤمن دون الكافر ويغبن المظلوم الظالم باخذ حسناته ووضع سيئاته على ظالمه (ومن يؤمن بالله) وبمحمد عليه السلام والقرآن (ويعمل صالحا) خالصا

(يكفر عنه سيآته ويدخله) وبالنون فيهما مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة) شدة ومرض وموت اهل او شئ تقتضى هما (الا باذن الله) بعلمه وتقديره ومشيئته كانه اذن للمصيبة ان تصيبه (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) للاسترجاع عند المصيبة حتى يقول انا لله وانا اليه راجعون او يشرحه للازدياد من الطاعة والخير او يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان اعطى شكر وان ظلم غفر (والله بكل شئ عليم واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم) عن طاعة الله وطاعة رسوله (فانما على رسولنا البلاغ المبين) اى عليه التبليغ وقد فعل (الله لا اله الا هو

﴿ يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ﴿ ذلك فوز العظيم ﴾ الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ﴾ كانها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له ﴿ ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ﴾ الا بتقديره وارادته ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اى يسكن ويطمئن ﴿ والله بكل شئ عليم ﴾ حتى القلوب واحوالها ﴿ واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم ﴾ اى فان توليتم فلا بأس عليه ﴿ فانما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ ﴿ الله لا اله الا هو

ذلك ﴿ يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا ﴾ اى بوحدانية الله وقدرته ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ اى الدالة على البعث ﴿ اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ﴾ اى بقضاء الله وقدره وارادته ﴿ ومن يؤمن بالله ﴾ اى يصدق انه لا يصيبه مصيبة من موت او مرض او ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضاء الله وقدره واذنه ﴿ يهد قلبه ﴾ اى يوفقه لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضاء الله تعالى وقدره وقيل يهد قلبه للشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء ﴿ والله بكل شئ عليم واطيعوا الله ﴾ اى فيما امر ﴿ واطيعوا الرسول ﴾ اى فيما جاء به عن الله وما امركم به ﴿ فان توليتم ﴾ اى عن اجابة الرسول فيما دعاكم اليه ﴿ فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو ﴾ اى لا معبود ولا

فيما بينه وبين ربه (يكفر عنه سيئاته) يغفر ذنوبه بالتوحيد (ويدخله جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ابدا ذلك الفوز العظيم) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونجوا من النار (والذين كفروا) بالله كفار مكة (وكذبوا بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (اولئك اصحاب النار) اهل النار (خالدين فيها) مقيمين فى النار لا يموتون ولا يخرجون منها (وبئس المصير) المرجع فى الآخرة الذى صاروا { قا وخا ٣٦ س } اليه النار (ما اصاب من مصيبة) فى بدنكم و اهلكم واموالكم (الا باذن الله) وقضائه (ومن يؤمن بالله) يرى المصيبة من الله (يهد قلبه) للرضا والصبر ويقال اذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا ظلم غفر واذا اصابته مصيبة استرجع يهد قلبه للاسترجاع (والله بكل شئ) يصيبكم من المصيبة وغيرها (عليم واطيعوا الله) فى الفرائض (واطيعوا الرسول) فى السنن ويقال اطيعوا الله فى التوحيد واطيعوا الرسول بالاجابة (فان توليتم) عن طاعتهما (فانما على رسولنا) محمد صلى الله عليه وسلم (البلاغ) التبليغ عن الله لرسالته (المبين) يبين لكم بلغة تعلمونها (الله لا اله الا هو) لا ولد له ولا شريك له

وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه (يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) اى ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ومن الاولاد اولادا يعادون آباءهم ويعقونهم (فاحذروهم) الضمير للعدو وللازواج والاولاد جميعا اى لما علمتم ان هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وان تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها (وتصفحوا) تعرضوا عن التوبيخ (وتغفروا) وتستروا ذنوبهم (فان الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم قيل ان ناسا ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو (انما اموالكم واولادكم فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون فى الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منهما (والله عنده اجر عظيم) اى فى الآخرة وذلك اعظم من منفعتكم

(وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وعلى المؤمنين ان يتوكلوا على الله لا على غيره (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (ان من ازواجكم واولادكم) الذين بمكة (عدوا لكم) ان صدوكم عن الهجرة والجهاد (فاحذروهم) (والمعنى) ان تقعدوا عن الهجرة والجهاد (وان تعفوا) عن صدهم اياكم (وتصفحوا) تعرضوا فلا تعاقبوهم (وتغفروا) تجاوزوا ذنوبهم بعدما هاجروا من مكة الى المدينة (فان الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة (انما اموالكم واولادكم) الذين بمكة (فتنة) بلية لكم اذ منعوكم عن الهجرة والجهاد (والله عنده اجر) ثواب (عظيم) لمن هاجر وجاهد فى سبيل الله ولم يله بماله وولده عن الهجرة والجهاد

﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك ﴿ يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم ﴾ يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم فى امر الدين او الدنيا ﴿ فاحذروهم ﴾ ولا تأمنوا غوائلهم ﴿ وان تعفوا ﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة ﴿ وتصفحوا ﴾ بالاعراض وترك التثريب عليها ﴿ وتغفروا ﴾ باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها ﴿ فان الله غفور رحيم ﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم ﴿ انما اموالكم واولادكم فتنة ﴾ اختبار لكم ﴿ والله عنده اجر عظيم ﴾

مقصود الا هو ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ * قوله تعالى ﴿ يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾ عن ابن عباس قال هؤلاء رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا فى الدين فهموا ان يعاقبوهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الآية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا صبر لنا على فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله تعالى فاحذروهم اى ان تطيعوهم وتدعوا الهجرة ﴿ وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا ﴾ هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ثم هاجر فرأى الذين قد سبقوه بالهجرة قد فقهوا فى الدين فهم ان يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه عن الهجرة لما لحقوا به ولا ينفق عليهم ولا يصيبهم بخير فامره الله بالعفو والصفح عنهم وقال عطاء بن يسار نزلت فى عوف بن مالك الاشجعى وكان ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم فيقيم فانزل الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم اى ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اى فلا تعاقبوهم على خلافكم ﴿ فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة ﴾ اى بلاء واختبار وشغل عن الآخرة وقد يقع الانسان بسببهم فى العظائم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك ﴿ والله عنده اجر عظيم ﴾ يعنى الجنة

باموالكم و ولادكم ولم يدخل فيه من كالتى العداوة لان الكل لا يخلو عن الفتنة وشغل القلب وقد يخلو بعضهم عن العداوة (فاتقوا الله ما استطعتم) جهدكم ووسعكم قيل هو تفسير لقوله حق تقاته (واسمعوا) ما توعظون به (واطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وانفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لانفسكم) اى انفاقا خيرا لانفسكم وقال الكسائى يكن الانفاق خيرا لانفسكم والاصح ان تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا (ومن يوق شح نفسه) اى البخل بالزكاة والصدقة الواجبة (فاولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا) بنية واخلاص وذكر القرض تلطفا فى الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحد عشرا او سبعمائة الى ما شاء من الزيادة

لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال و لاولاد والسعى لهم ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم ﴿ واسمعوا ﴾ مواعظه ﴿ واطيعوا ﴾ اوامره ﴿ وانفقوا ﴾ فى وجوه الخير خالصا لوجهه ﴿ خيرا لانفسكم ﴾ اى افعلوا ما هو خير لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى انفاقا خيرا اوخبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر ﴿ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ سبق تفسيره ﴿ ان تقرضوا الله ﴾ بصرف المال فيما امره ﴿ قرضا حسنا ﴾ مقرونا بالخلاص وطيب قلب ﴿ يضاعفه لكم ﴾ يجعل لكم بالواحد عشرا الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب

والمعنى لاتباشروا المعاصى بسبب ولادكم ولا تؤثروهم على ما عندالله من الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لانهم كلهم ليسوا باعداء ولم يذكر من فى قوله انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم لم يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبدالله بن مسعود يقول لايقولن احدكم اللهم انى اعوذ بك من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى اهل ومال و ولد الا يشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم انى اعوذ بك من مضلات الفتن * عن بريدة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * وقوله تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ اى ما طقتم وهذه الآية ناسخة لقوله اتقوا الله حق تقاته ﴿ واسمعوا واطيعوا ﴾ اى لله ولرسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿ وانفقوا ﴾ اى من اموالكم حق الله الذى امركم به ﴿ خيرا لانفسكم ﴾ اى ما انفقتم فى طاعة الله ﴿ ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون ﴾ تقدم تفسيره ﴿ ان تقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس يعنى ان تقرضوا اى تصدقوا فى طاعة الله متقربين اليه بالانفاق ﴿ يضاعفه لكم ﴾ اى يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما شاء من الزيادة

(فاتقوا الله) فاطيعوا الله (ما استطعتم) بالذى اطقتم (واسمعوا) ما تؤمرون (وأطيعوا) ما امركم الله ورسوله (وانفقوا) تصدقوا باموالكم فى سبيل الله (خيرا لانفسكم) يقول الصدقة خير لكم من امساكها (ومن يوق شح نفسه) [illegible] دفع عنه بخل نفسه ويقال من ادى زكاة ماله (فاولئك هم المفلحون) الناجون من [illegible] (ان تقرضوا الله) فى الصدقة (قرضا حسنا) محتسبا صادقا من قلوبكم (يضاعفه لكم) يقبله ويضاعفه لكم فى الحسنات [illegible] الى سبعين الى سبعمائة الى الفى الف الى ماشاء الله من الاضعاف

(ويغفرلكم والله شكور) يقبل القليل ويعطى الجزيل (حليم) يقبل الجليل من ذنب البخيل او يضعف الصدقة لدافعها ولا يجل العقوبة لمانعها (عالم الغيب) اى يعلم ما استتر من سرائر القلوب (والشهادة) اى ما انتشر من ظواهر الخطوب (العزيز) المعز باظهار السيوب (الحكيم) فى الاخبار عن الغيوب والله اعلم ﴿ سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا ايها النبى اذا طلقتم النساء) خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم

بالخطاب لان النبى امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم يا فلان افعلوا كذا اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه قدوة قومه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادا مسد جميعهم وقيل التقدير يا ايها النبى والمؤمنين ولمعنى اذا طلقتم النساء اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشى الى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن وفى قراءة رسول الله صلى الله

يضعفه لكم ﴿ ويغفر لكم ﴾ ببركة الانفاق ﴿ والله شكور ﴾ يعطى الجزيل بالقليل ﴿ حليم ﴾ لا يعاجل بالعقوبة ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾ لا يخفى عليه شئ ﴿ العزيز الحكيم ﴾ تام القدرة والعلم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاة والله اعلم

﴿ سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة او احدى عشرة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يا ايها النبى اذا طلقتم النساء ﴾ خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ اى وقتها وهو الطهر

﴿ ويغفر لكم والله شكور ﴾ يعنى يحب المتقربين اليه ﴿ حليم ﴾ اى لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم ﴿ عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم ﴾ والله اعلم

﴿ تفسير سورة الطلاق مدنية وهى اثنتا عشرة آية ومائتان وتسع ﴾
﴿ واربعون كلمة والف وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ يا ايها النبى اذا طلقتم النساء ﴾ نادى النبى صلى الله عليه وسلم ثم خاطب امته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة فى ذلك الخطاب وقيل معناه يا ايها النبى قل لامتك فاضمر القول اذا طلقتم النساء اى اذا اردتم تطليقهن ﴿ فطلقوهن لعدتهن ﴾ اى لزمان عدتهن وهو الطهر لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل فى العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن فطلقوهن قبل عدتهن وهذا فى المدخول بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الآية فى عبد الله بن عمر كان قد طلق امرأته فى حال الحيض (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى

(ويغفر لكم) بالصدقة (والله شكور) لصدقاتكم حين قبلها واضعفها ويقال شكور يشكر اليسير من صدقاتكم ويجزى الجزيل من ثوابه (حليم) لا يعجل بالعقوبة على من يمن بصدقته او يمنع (عالم الغيب) ما فى قلوب المتصدقين من المن او الخشية (والشهادة) عالم بصدقاتهم (العزيز) بالنقمة لمن يمن بصدقته او لا يعطى الصدقة (الحكيم) فى امره وقضائه ويقال الحكيم فى قبول الصدقات واضعافها ويقال الحكيم حيث حكم بطلاق السنة للنبى عليه الصلاة والسلام وامته ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الطلاق وهى كلها مدنية آياتها احدى عشرة آية وكلماتها مائتان وسبع واربعون وحروفها الف ومائة وسبعون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا ايها النبى) وامته (اذا طلقتم النساء) يقول قل لقومك اذا اردتم ان تطلقوا النساء (فطلقوهن لعدتهن)

فان اللام فى الازمان وما يشبهها للتوقيت ومن عد العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغى ان يكون فى الطهر وانه يحرم فى الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهى عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهى لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما لما طلق امرأته حائضا امره عليه الصلاة والسلام بالرجعة

الله عليه وسلم ثم قال مره فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدله ان يطلقها فليطلقها قبل ان يمسها فتلك العدة التى امر الله ان يطلق لها النساء زاد فى رواية كان عبد الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لمسلم انه طلق امرأته وهى حائض فذكر ذلك عمر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا او حاملا ولمسلم من حديث ابى الزبير انه سمع عبد الرحمن بن ايمن مولى عروة يسأل ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف ترى فى رجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته وهى حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك قال ابن عمر وقرأ النبى صلى الله عليه وسلم يا ايها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن

عليه وسلم فى قبل عدتهن واذا طلقت المرأة فى الطهر المتقدم للقرء الاول من اقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان تطليق المدخول بهن من المعتدات بالحيض فى طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضى عدتهن وهذا احسن الطلاق

عند طهورهن طواهر من غير جماع

فصل

اعلم ان الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك فى الطهر الذى جامعها فيه لقول النبى صلى الله عليه وسلم وان شاء طلق قبل ان يمس والطلاق السنى ان يطلقها فى طهر لم يجامعها فيه وهذا فى حق امرأة تلزمها العدة بالاقراء فاما اذا طلق غير المدخول بها فى حال الحيض او طلق الصغيرة التى لم تحض او الآيسة بعد ما جامعها او طلق الحامل بعد ما جامعها او طلق التى لم تر الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة فى طلاق هؤلاء لان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثم ليطلقها طاهرا او حاملا والخلع فى حال الحيض او فى طهر جامعها فيه لا يكون بدعيا لان النبى صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس فى مخالعة زوجته قبل ان يعرف حالها ولولا جوازه فى جميع الاحوال لامره ان يتعرف الحال ولو طلق امرأته فى حال الحيض او فى طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبى صلى الله عليه وسلم امر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يأمره بالمراجعة واذا راجعها فى حال الحيض يجوز ان يطلقها فى حال الطهر الذى يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه يونس بن جبير وانس بن سيرين عن ابن عمر ولم يقولا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فامر استحباب استحب تأخير الطلاق الى الطهر الثانى حتى لا تكون مراجعته اياها للطلاق كما انه يكره النكاح للطلاق

من مساكنهن التى يسكنها قبل العدة وهى بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وفيه دليل على ان السكنى واجبة وان الحنث بدخول دار يسكنها فلان بغير ملك ثابت فيما اذا حلف لا يدخل داره ومعنى الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم الى المساكن وان لا يأذنوا لهن فى الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر له فى رفع الحظر (ولا يخرجن) بانفسهن ان اردن ذلك (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) قيل هى الزنا الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة

وهو سبب نزوله ﴿وأحصوا العدة﴾ واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء ﴿واتقوا الله ربكم﴾ فى تطويل العدة والاضرار بهن ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضى عدتهن ﴿ولا يخرجن﴾ باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفى الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله ﴿الا ان يأتين بفاحشة مبينة﴾ مستثنى من الاول والمعنى الا ان يبذون على الزوج فانه كالنشوز فى اسقاط حقها اوالا ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثانى للمبالغة فى النهى والدلالة على ان

ولا بدعة فى الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض اهل العلم فلو طلق امرأته فى حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعى واحمد وذهب بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الرأى * قوله تعالى ﴿واحصوا العدة﴾ اى عدة اقرائها فاحفظوها قيل امر باحصاء العدة لتفريق الطلاق على الاقراء اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل للعلم ببقاء زمان الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى ﴿واتقوا الله ربكم﴾ اى واخشوا الله ولا تعصوه فيما امركم به ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن﴾ يعنى اذا كان المسكن الذى طلقها فيه الزوج له بملك او كراء وان كان عارية فارتجعت كان على الزوج ان يكرى لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج ان يخرج المرأة من المسكن الذى طلقها فيه ﴿ولا يخرجن﴾ يعنى ولا يجوز للمرأة ان تخرج مالم تنقض عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما اوغرقا جاز لها ان تخرج الى منزل آخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل او شراء قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا باحد فقالت نساؤهم نستوحش فى بيوتنا فأذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن فاذا كان وقت النوم تأوى كل امرأة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة جابر وقد كان طلقها زوجها ان تخرج لجدار نخلها فاذا لزمتها العدة فى السفر تعتد فى اهلها ذاهبة وراجعة والبدوية تتبوأ حيث يتبوأ اهلها فى العدة لان الانتقال فى حقهم كالاقامة فى حق المقيم وقوله تعالى ﴿الا ان يأتين بفاحشة مبينة﴾ قال ابن عباس الفاحشة المبينة بذاءتها على اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل اراد بالفاحشة ان تزنى فتخرج لاقامة الحد عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها فلها ان تحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل

(وأحصوا العدة) احفظوا طهرهن من ثلاث حيض والغسل منها انقضاء العدة (واتقوا الله) اخشوا الله (ربكم) ولا تطلقوهن غير طواهر بغير السنة (لا تخرجوهن من بيوتهن) التى طلقن فيها حتى تنقضى العدة (ولا يخرجن) حتى [illegible] (خروجها) تنقضى العدة (الا ان يأتين بفاحشة مبينة) الا ان يجئن بمعصية بينة وهى ان تخرج فى العدة بغير [illegible] جها فاخراجهن فى العدة معصية وخروجهن فى عدتهن معصية ويقال الا ان يأتين بفاحشة بالزنا مبينة برمية شهود فتخرج فترجم

فى نفسه (وتلك حدودالله) اى الاحكام المذكورة (ومن يتعد حدودالله فقد ظلم نفسه لاتدرى) ايها المخاطب (لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) بان يقلب قلبه من بغضها الى محبتها او من الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن لعلكم ۲۸۷ تندمون فتراجعون ﴿سورة الطلاق﴾ (فاذا بلغن أجلهن)

قاربن آخر العدة (فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف) اى فأنتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو ان يراجعها فى آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (واشهدوا) يعنى عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه لئلا يقع بينهما التجاحد (ذوى عدل منكم) من

خروجها فاحشة ﴿وتلك حدودالله﴾ الاشارة الى الاحكام المذكورة ﴿ومن يتعد حدودالله فقد ظلم نفسه﴾ بان عرضها للعقاب ﴿لاتدرى﴾ اى النفس او انت ايها النبى او المطلق ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك امرا﴾ وهو الرغبة فى المطلقة برجعة او استئناف ﴿فاذا بلغن اجلهن﴾ شارفن آخر عدتهن ﴿فامسكوهن﴾ فراجعوهن ﴿بمعروف﴾ بحسن عشرة وانفاق مناسب ﴿اوفارقوهن بمعروف﴾ بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها ﴿واشهدوا ذوى عدل منكم﴾ على الرجعة او الفرقة تبريا عن الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله

خروجها قبل انقضاء عدتها فاحشة ﴿وتلك حدودالله﴾ يعنى ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام ﴿ومن يتعد حدودالله﴾ اى فيطلق لغير السنة او تجاوز هذه الاحكام ﴿فقد ظلم نفسه﴾ اى ضر نفسه ﴿لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا﴾ اى يوقع فى قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا يدل على ان المستحب ان يفرق الطلقات ولايوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم امكنه المراجعة * عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احل الله شيأ ابغض اليه من الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا * وله فى رواية عنه عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق * عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس به حرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود والترمذى * قوله تعالى ﴿فاذا بلغن اجلهن﴾ اى اذا قربن من انقضاء عدتهن ﴿فامسكوهن﴾ اى راجعوهن ﴿بمعروف او فارقوهن بمعروف﴾ اى اتركوهن حتى تنقضى عدتهن فتبين منكم ﴿واشهدوا ذوى عدل منكم﴾ اى على الرجعة وعلى الفراق امر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق * عن عمران بن حصين انه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد اخرجه ابو داود وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابى حنيفة كما فى قوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعى هو واجب فى الرجعة مندوب اليه فى الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد

(وتلك حدودالله) هذه احكام الله و فرائضه فى النساء للطلاق من النفقة والسكنى (ومن يتعد حدودالله) يتجاوز احكام الله وفرائضه ما امر به من النفقة والسكنى (فقد ظلم نفسه) ضر نفسه (لاتدرى) لا تعلم يعنى به الزوج (لعل الله يحدث بعد ذلك) بعد التطليقة الواحدة وقبل الخروج من العدة (أمرا) حبا ومراجعة (فاذا بلغن أجلهن) فاذا انقضت عدتهن من ثلاث قبل ان يغتسلن من الحيضة الثالثة (فامسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) باحسان قبل الاغتسال وان يحسن صحبتها ومعاشرتها (أوفارقوهن) اواتركوهن (بمعروف) باحسان لاتطولوا عليهن العدة وتؤدوا حقها (واشهدوا) على الطلاق والمراجعة (ذوى عدل منكم) رجلين حرين مسلمين عدلين مرضيين

المسلمين (واقيموا الشهادة لله) لوجهه خالصا وذلك ان يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الضرر (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اذ هو المنتفع به هؤلاء (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) هذه جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء امر الطلاق على السنة والمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ويعطه الخلاص (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز ان يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به اى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال (واقيموا الشهادة لله) وقوموا بالشهادة لله عند الحكام (ذلكم) الذى ذكرت من النفقة والسكنى واقامة الشهادة وغيرها (يوعظ به) يؤمر به (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) بالبعث بعد الموت ويقال نزلت من اول السورة الى ههنا فى شان النبى صلى الله عليه وسلم حين طلق حفصة وفى ستة نفر من اصحابه ابن عمر واصحابه طلقوا نساءهم غير طواهر فنهاهم الله عن ذلك لانه لغير السنة وعلمهم طلاق السنة اذا طلقوا نساءهم كيف يطلقون (ومن يتق الله) عند المصيبة فيصبر (يجعل له مخرجا) من الشدة ويقال من المعصية الى الطاعة ويقال من النار الى الجنة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) لا يأمل نزلت هذه الآية فى عوف

واشهدوا اذا راجعتم وعن الشافعى وجوبه فى الرجعة ﴿واقيموا الشهادة﴾ ايها الشهود عند الحاجة ﴿لله﴾ خالصا لوجهه ﴿ذلكم﴾ يريد الحث على الاشهاد والاقامة وعلى جميع ما فى الآية ﴿يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا وضمنا من الطلاق فى الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما فى شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون وكلام جئ به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلاة والسلام انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروى ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعى اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول

وان لا يتهم فى امساكها وان لا يموت احد الزوجين فيدعى الآخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة الرجعة فتنقضى العدة وتنكح زوجا غيره ﴿واقيموا الشهادة﴾ يعنى ايها الشهود ﴿لله﴾ اى طلبا لمرضاة الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على الصحة ﴿ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ قيل معناه ومن يتق الله فليطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت فى عوف بن مالك اسر ابن له يسمى مالكا فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اسر العدو ابنى وشكا اليه ايضا الفاقة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو فى بيته اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهى اربعة آلاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا اى فى ابنه ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ يعنى ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وسأله ايحل له ان يأكل ما اتى به ابنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الآية وقال ابن مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شئ

صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فمازال يقرؤها ويعيدها وروى ان عوف بن مالك اسر المشركون ابناله فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اسر ابنى وشكا اليه الفاقة فقال ماامسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فعاد الى بيته وقال لامرأته ان رسول الله امرنى واياك ان نستكثر من قول لاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم فقالت نعم ما امرنا به فجعلا يقولان ذلك فبينا هو فى بيته اذقرع ﴿ ٢٨٩ ﴾ ابنه البـاب ومعه ﴿سورة الطلاق﴾ مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (ومن يتوكل على الله) يكل امره اليه عن طمع غيره وتدبير نفسه (فهو حسبه) كافيه فى الدارين (ان الله بالغ امره) حفص منفذ امره غيره بالغ امره اى يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب (قد جعل الله لكل شئ قدرا) تقديرا و توقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم ان كل شئ من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) روى ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت (ان ارتبتم) اى اشكل عليكم حكمهن (قا وخا ٣٧ س) وجهلتم كيف يعتدون (فعدتهن ثلاثة اشهر) اى فهذا حكمهن

لاحول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو فى بيته اذقرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنه العدو فاستاقها وفى رواية رجع معه غنيمات ومتاع ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ كافيه ﴿ ان الله بالغ امره ﴾ يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا على انه حال والخبر ﴿ قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ تقديرا او مقدرا او اجلا لا يتأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها ﴿ واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ﴾ لكبرهن ﴿ ان ارتبتم ﴾ شككتم فى عدتهن اى جهلتم ﴿ فعدتهن ثلاثة اشهر ﴾ روى انه لما نزل والمطلقات

ويرزقه من حيث لا يحتسب هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع ابن خيثم يجعل له مخرجا من كل شئ ضاق على الناس وقيل مخرجا من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ يعنى من يتق الله فيما نابه كفاه ما اهمه * وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ﴿ ان الله بالغ امره ﴾ اى منفذ امره وممض فى خلقه ما قضاه ﴿ قد جعل الله لكل شئ قدرا ﴾ اى جعل لكل شئ من شدة اورخاء اجلا ينتهى اليه وقال مسروق فى هذه الآية ان الله بالغ امره توكل عليه ام لم يتوكل عليه غير ان المتوكل يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا * قوله عزوجل ﴿ واللائى يئسن من المحيض من نسائكم ﴾ قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان بن قيس الانصارى يارسول الله فما عدة من تحيض والتى لم تحض وعدة الحبلى فانزل الله عزوجل واللائى يئسن من المحيض من نسائكم يعنى القواعد اللائى قعدن عن الحيض فلا يرجى ان يحضن وهن العجائز الآيسات من الحيض ﴿ ان ارتبتم ﴾ اى شككتم فى حكمهن ولم تدروا ما عدتهن ﴿ فعدتهن ثلاثة اشهر

ابن مالك الاشجعى الذى اسر العدو ابناله فجاء بعد ذلك مع ابل كثيرة (ومن يتوكل على الله) ومن يتق بالله فى لرزق (فهو حسبه) كافيه (ان الله بالغ أمره) ماض امره وقضاؤه فى الشدة والرخاء ويقال نافذ امره وتدبيره (قد جعل الله لكل شئ) من الشدة والرخاء (قدرا) اجلا ينتهى فلما بين الله عدة النساء اللائى يحضن قام معاذ فقال ارأيت يارسول الله ماعدة النساء اللائى يئسن من الحيض فنزل (واللائى يئسن من المحيض) من الكبر (من نسائكم ان ارتبتم) شككتم فى عدتهن (فعدتهن) فى الطلاق (ثلاثة اشهر) فقام رجل آخر فقال

وقيل ان ارتبتم فى دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة او بخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلاثة اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك (واللائى لم يحضن) هن الصغائر وتقديره واللائى لم يحضن فعدتهن ثلاثة اشهر فحذفت الجملة لدلالة المذكور عليها (واولات الاحمال اجلهن) عدتهن (ان يضعن حملهن) والنص يتناول المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن وعن على وابن عباس رضى الله عنهما عدة الحامل المتوفى عنها زوجها ابعد الاجلين (ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا) ييسر له من امره ويحلل من عقده بسبب التقوى (ذلك امر الله) اى ما علم من حكم هؤلاء المعتدات (انزله اليكم) من اللوح المحفوظ

ارأيت يارسول الله فى اللائى لم يحضن للصغر ما عدتهن فنزل (واللائى لم يحضن) من الصغر فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر فقام رجل آخر فقال ارأيت يارسول الله ما عدة الحوامل فنزل (وأولات الاحمال) يعنى الحبالى (اجلهن) عدتهن (ان يضعن حملهن) ولدهن (ومن يتق الله) فيما امره (يجعل له من امره يسرا) يهون عليه امره ويقال يرزقه عبادة حسنة فى سريرة حسنة (ذلك امر الله) هذه احكام الله وفرائضه (انزله اليكم) بينه لكم فى القرآن

(ومن)

يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت ﴿ واللائى لم يحضن ﴾ اى واللائى لم يحضن بعد كذلك ﴿ واولات الاحمال اجلهن ﴾ منتهى عدتهن ﴿ ان يضعن حملهن ﴾ وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لان عموم اولات الاحمال بذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل ههنا بخلافه ثمة ولانه صح ان سبيعة بنت الحرث وضعت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجى ولانه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الآخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ﴿ ومن يتق الله ﴾ فى احكامه فيراعى حقوقها ﴿ يجعل له من امره يسرا ﴾ يسهل عليه امره ويوفقه للخير ﴿ ذلك ﴾ اشارة الى ما ذكر من الاحكام ﴿ امر الله انزله اليكم

واللائى لم يحضن ﴾ يعنى الصغار اللائى لم يحضن بعد فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر اما الشابة التى كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الآيسات فذهب اكثر اهل العلم الى ان عدتها لا تنقضى حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء او تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وعلى وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعى واصحاب الرأى وحكى عن عمر انها تتربص تسعة اشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهذا كله فى عدة الطلاق واما المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشر سواء كانت ممن تحيض او لا تحيض واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها او مات عنها وهو قوله تعالى ﴿ واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن ﴾ (ق) عن سبيعة الاسلمية انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بنى عامر بن لؤى وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بنى عبد الدار فقال لها مالى اراك تجملت للخطاب ترجين النكاح وانت والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشر قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حتى امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فافتانى بانى قد حللت حين وضعت حملى وأمرنى بالتزوج ان بدالى لفظ البخارى ولمسلم نحوه وزاد قال ابن شهاب ولا ارى بأسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت فى دمها غير انه لا يقربها زوجها حتى تطهر ﴿ ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا ﴾ اى يسهل عليه امر الدنيا والآخرة ﴿ ذلك ﴾ اى ذلك الذى ذكر من الاحكام ﴿ امر الله انزله اليكم ﴾ اى لتعملوا به

(ومن يتق الله) فى العمل بما انزله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه (يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا) ثم بين التقوى فى قوله ومن يتق الله فكانه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل (اسكنوهن) وكذا وكذا (من حيث سكنتم) هى من التبعيضية مبعضها محذوف اى اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اى بعض مكان سكناكم (من وجدكم) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قيل اسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والمشهور الضم والنفقة والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعى لانفقة للمبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها بت طلاقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاسكنى لك ولانفقة وعن عمر رضى الله عنه لاندع كتاب ربنا وسنة نبينا بقول امرأة لعلها نسيت او شبه لها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) فى المسكن ببعض الاسباب من انزال من لايوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج (وان كن) اى المطلقات (اولات حمل) ذوات احمال (فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) وفائدة اشتراط الحمل ان مدة الحمل ربما تطول فيظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم

ومن يتق الله ﴾ فى احكامه فيراعى حقوقه ﴿ يكفر عنه سيئاته ﴾ فان الحسنات يذهبن السيئات ﴿ ويعظم له اجرا ﴾ بالمضاعفة ﴿ اسكنوهن من حيث سكنتم ﴾ اى مكانا من مكان سكناكم ﴿ من وجدكم ﴾ من وسعكم اى مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ﴿ ولا تضاروهن ﴾ فى السكنى ﴿ لتضيقوا عليهن ﴾ فتلجئوهن الى الخروج ﴿ وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾ فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة للحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده

﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له اجرا ﴾ * قوله تعالى ﴿ اسكنوهن ﴾ يعنى مطلقات نسائكم ﴿ من حيث سكنتم من وجدكم ﴾ اى من سعتكم وطاقتكم فان كان موسرا يوسع عليها فى المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة ﴿ ولا تضاروهن ﴾ اى لاتؤذوهن ﴿ لتضيقوا عليهن ﴾ يعنى فى مساكنهن فيخرجن ﴿ وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ﴾ اى فيخرجن من عدتهن

فصل فى حكم الآية

اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على الزوج النفقة والسكنى مادامت فى العدة ونعنى بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار التى طلقها الزوج فيها ملك الزوج يجب عليه ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكترى لها دارا تسكنها واما المعتدة البائنة بالخلع او بالطلاق الثلاث او باللعان فلها السكنى حاملا كانت او غير حامل عند اكثر اهل العلم وروى عن ابن عباس انه قال لاسكنى لها الا ان تكون حاملا وهو قول الحسن والشعبى واختلفوا فى نفقتها فذهب قوم الى انه لانفقة لها الا ان تكون حاملا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن والشعبى وبه قال الشافعى واحمد ومنهم من اوجبها بكل حال يروى ذلك عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعى وبه قال الثورى واصحاب الرأى وظاهر القرآن يدل على انها لا تستحق النفقة الا ان تكون حاملا لقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى

(ومن يتق الله) فيما امره (يكفر عنه سيآته) يغفر له ذنوبه (ويعظم له اجرا) ثوابا فى الجنة ثم رجع الى المطلقات فقال (اسكنوهن) انزلوهن يعنى المطلقات يقول للازواج (من حيث سكنتم) من اين سكنتم (من وجدكم) من سعتكم على قدر ذلك من النفقة والسكنى (ولا تضاروهن) يعنى المطلقات فى النفقة والسكنى (لتضيقوا عليهن) بالنفقة والسكنى فتظلموهن بذلك (وان كن) المطلقات (اولات حمل) حبالى (فانفقوا عليهن) يعنى الزوج (حتى يضعن حملهن) ولدهن

﴿فان ارضعن لكم﴾ بعد انقطاع علقة النكاح ﴿فآتوهن اجورهن﴾ على الارضاع

يضعن حملهن واما الدليل على ذلك من السنة فما روى عن فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله مالك علينا من شئ فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال لها ليس لك عليه نفقة وأمرها ان تعتد فى بيت ام شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها اصحابى فاعتدى عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك عنده فاذا حللت فآذنينى قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن ابى سفيان واباجهم خطبانى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه واما معاوية فصعلوك لا مال له انكحى اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحى اسامة ابن زيد فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد فى بيت عمرو ابن ام مكتوم ولا حجة له فيه لما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت كانت فاطمة فى مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان فى لسانها ذرابة واما المعتدة عن وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا واما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروى عن على ان لها النفقة ان كانت حاملا من التركة حتى تضع وهو قول شريح والشعبى والنخعى والثورى واختلفوا فى سكناها وللشافعى فيه قولان احدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث تشاء وهو قول على وابن عباس وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول ابى حنيفة والثانى ان لها السكنى وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثورى واحمد واسحق واحتج من اوجب لها السكنى بما روى عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهى اخت ابى سعيد الخدرى انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألته ان ترجع الى اهلها فى بنى خدرة فان زوجها خرج فى طلب اعبد له ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلى فى بنى خدرة فان زوجى لم يتركنى فى مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت فى الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم اوامرنى فنوديت فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التى ذكرت له من شأن زوجى فقال امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الى فسألنى عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به اخرجه ابو داود والترمذى فمن قال بهذا القول قال اذنه لفريعة ولا بالرجوع صار منسوخ بقوله آخرا امكثى فى بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث فى بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا * قوله عز وجل ﴿فان ارضعن لكم﴾ يعنى اولادكم ﴿فآتوهن اجورهن﴾ يعنى على رضاعهن

(فان ارضعن لكم) يعنى هؤلاء المطلقات ان ارضعن لكم ولدا من ظئرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن اجورهن) فحكمهن فى ذلك حكم الاظآر ولا يجوز الاستئجار اذا كان الولد منهن مالم يبن خلافا للشافعى رحمه الله

(فان ارضعن لكم) الامهات ولدا لكم (فآتوهن) اعطوهن يعنى الامهات (اجورهن) يعنى النفقة على الرضاع

(وأتمروا بينكم) اى تشاوروا على التراضى فى الاجرة اوليأمر بعضكم بعضا والخطاب للاباء والامهات (بمعروف) بما يليق بالسنة ويحسن فى المروءة فلا يما كس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما وهما شريكان فيه وفى وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم) تضايقتم فلم ترض الام بما ترضع به الاجنبية ولم يزد الاب على ذلك (فسترضع له اخرى) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاقبة الام على المعاسرة وقوله له اى للاب اى سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته امه (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) اى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات ومعنى قدر عليه رزقه ضيق اى رزقه الله على قدر قوته (لايكلف الله نفسا الا ما آتاها) اعطاها من الرزق (سيجعل الله بعد عسر يسرا) بعد ضيق فى المعيشة سعة وهذا وعد لذى العسر باليسر (وكأين من قرية) من اهل قرية (عتت) اى عصت (عن امر ربها ورسله) اعرضت عنه على وجه العتو والعناد

﴿ وأتمروا بينكم بمعروف ﴾ وليأمر بعضكم بعضا بجميل فى الارضاع والاجر ﴿ وان تعاسرتم ﴾ تضايقتم ﴿ فسترضع له اخرى ﴾ امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ اى فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه ﴿ لايكلف الله نفسا الا ما آتاها ﴾ فانه تعالى لايكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعده باليسر فقال ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ اى عاجلا و آجلا ﴿ وكأين من قرية ﴾ اهل قرية ﴿ عتت عن امر ربها ورسله ﴾ اعرضت عنه اعراض العاتى المعاند

وفيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام والا لم يكن لها ان تأخذ عليه اجرا وفيه دليل على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج فى حق الاولاد ﴿ وأتمروا بينكم بمعروف ﴾ اى ليقبل بعضكم من بعض اذا امره بالمعروف وقيل يتراضى الاب والام على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا امرهم ان يأتوا بالمعروف وما هو الاحسن ولا يقصدوا الضرار وقيل المعروف ههنا ان لا يقصر الرجل فى حق المرأة ونفقتها ولا المرأة فى حق الولد ورضاعه ﴿ وان تعاسرتم ﴾ اى فى حق الولد واجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطى المرأة اجرة رضاعها وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على رضاعه بل يستأجر للصبى مرضعا غير امه وذلك قوله ﴿ فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته ﴾ اى على قدر غناه ﴿ ومن قدر ﴾ اى ضيق ﴿ عليه رزقه ﴾ فكان بمقدار القوت ﴿ فلينفق مما آتاه الله ﴾ اى على قدر ما آتاه الله من المال ﴿ لايكلف الله نفسا ﴾ اى فى النفقة ﴿ الا ما آتاها ﴾ يعنى من المال والمعنى لايكلف الفقير مثل ما يكلف الغنى فى النفقة ﴿ سيجعل الله بعد عسر يسرا ﴾ اى بعد ضيق وشدة غنى وسعة * قوله تعالى ﴿ وكأين من قرية عتت ﴾ اى عصت وطغت والمراد اهل القرية ﴿ عن امر ربها ورسله ﴾ اى وامر رسله

(واتمروا بينكم) وانفقوا يعنى الزوج والمرأة فيما بينكم (بمعروف) على امر معروف من النفقة على الرضاع بغير اسراف وتقتير (وان تعاسرتم) فى النفقة وابت الام (فترضع له) للولد (اخرى) فتطلب له اخرى غير الام (لينفق) الاب (ذوسعة) ذو غنى (من سعته) على قدر غناه (ومن قدر) قتر (عليه رزقه) معيشته (فلينفق) على المرضع (مما آتاه الله) على قدر ما اعطاه الله من المال (لا يكلف الله نفسا) من النفقة على الرضاع (الا ما آتاها) الا على قدر ما اعطاها من المال (سيجعل الله بعد عسر) فى النفقة (يسرا) بعد الفقر غنى فالمعسر ينتظر الرزق من الله (وكأين من قرية)وكم من اهل قرية (عتت) عصت وأبت (عن امر ربها) عن قبول امر ربها وطاعة ربها (ورسله) عن اجابة الرسل وعما جاءت به الرسل

(فحاسبناها حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (وعذبناها عذابا نكرا) نكرا مدنى وابوبكر منكرا عظيما (فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا) اى خسارا وهلاكا والمراد حساب الآخرة وعذابها ومايذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجىء به على لفظ الماضى لان المنتظر من وعدالله ووعيده ملقى فى الحقيقة وما هو كائن فكأن قدكان (اعدالله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال اعدالله لهم هذا العذاب (فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين آمنوا) فليكن لكم ذلك يا اولى الالباب من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء السيآت واستقصاؤها عليهم فى الدنيا واثباتها فى صحائف الحفظة وما اصيبوا به من العذاب فى العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لكاين (قد انزل الله اليكم ذكرا) اى القرآن وانتصب (رسولا) بفعل مضمر تقديره ارسل رسولا او هو بدل من ذكرا كانه فى نفسه ذكر او على تقدير حذف المضاف اى قد انزل الله اليكم ذا ذكر رسولا او اريد بالذكر الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك اى ذا شرف ومجد عند الله وبالرسول جبريل او محمد عليهما السلام (يتلوا) اى الرسول او الله عزوجل (عليكم آيات الله مبينات (بالنصب

﴿ فحاسبناها حسابا شديدا ﴾ بالاستقصاء والمناقشة ﴿ وعذبناها عذابا نكرا ﴾ منكرا والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقق ﴿ فذاقت وبال امرها ﴾ عقوبة كفرها ومعاصيها ﴿ وكان عاقبة امرها خسرا ﴾ لاربح فيها اصلا ﴿ اعدالله لهم عذابا شديدا ﴾ تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها فى قوله ﴿ فاتقوا الله يا اولى الالباب ﴾ ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا ﴿ الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا ﴾ يعنى بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره اولنزوله بالذكر وهو القرآن اولانه مذكور فى السموات او ذا ذكر اى شرف اومحمدا عليه الصلاة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا اولانه مسبب عن انزال الوحى اليه اوابدل منه رسولا للبيان اواراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا مصدر ورسولا مفعوله اوبدله على انه بمعنى الرسالة ﴿ يتلوا عليكم آيات الله مبينات ﴾ حال من اسم الله اوصفة رسولا والمراد بالذين آمنوا فى قوله

﴿ فحاسبناها حسابا شديدا ﴾ اى بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها فى الكفر فجزاها النار وهو قوله ﴿ وعذبناها عذابا نكرا ﴾ اى منكرا فظيعا وقيل فى الآية تقديم وتأخير مجازها فعذبناها فى الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر انواع البلاء وحاسبناها فى الآخرة حسابا شديدا ﴿ فذاقت وبال امرها ﴾ اى شدة امرها وجزاء كفرها ﴿ وكان عاقبة امرها خسرا ﴾ اى خسرانا فى الدنيا والآخرة ﴿ اعدالله لهم عذابا شديدا ﴾ يخوف كفار مكة ان ينزل بهم مثل مانزل بالامم الماضية ﴿ فاتقوا الله يا اولى الالباب ﴾ اى ياذوى العقول ثم نعتهم فقال تعالى ﴿ الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا ﴾ يعنى القرآن ﴿ رسولا ﴾ اى وارسل اليكم رسولا ﴿ يتلوا عليكم آيات الله مبينات ﴾ قرئ مبينات بالخفض اى تبين الحلال من الحرام والامر والنهى وقرئ

(فحاسبناها) فى الآخرة (حسابا شديدا وعذبناها) فى الدنيا (عذابا نكرا) شديدا مقدم ومؤخر (فذاقت وبال امرها) عقوبة امرها فى الدنيا بالهلاك (وكان عاقبة امرها) فى الآخرة (خسرا) الى خسران (اعدالله لهم) فى الآخرة (عذابا شديدا) غليظا لونا بعدلون (فاتقوا الله) فاخشوا الله (يا اولى الالباب) ياذوى العقول من الناس (الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا) ذكرا مع الرسول (يتلوا عليكم) محمد عليه السلام (آيات الله) القرآن (مبينات) واضحات بينات بالامر والنهى

ليخرج) الله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح او ليخرج الذين علم انهم يؤمنون (من الظلمات الى النور) من ظلمات الكفر او الجهل الى نور الايمان او العلم (ومن يؤمن بالله و يعمل صالحا يدخله) و بالنون مدنى وشامى (جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) وحد وجمع حملا على لفظ من ومعناه (قد احسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب (الله الذى خاق) مبتدأ وخبر (سبع سموات) اجمع المفسرون على ان السموات سبع (ومن الارض مثلهن) بالنصب عطفا على سبع سموات قيل ما فى القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه الآية وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات وقيل الارض واحدة الا ان الاقاليم سبعة (يتنزل الامر بينهن) اى يجرى امر الله و حكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير) اللام يتعلق بخاق (وان الله قد احاط بكل شئ علما) هو تميز او مصدر من غير لفظ الاول اى قد علم كل شئ علما وهو علام الغيوب

﴿ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الذين آمنوا بعد انزاله اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم او قدر انه يؤمن ﴿ من الظلمات الى النور ﴾ من الضلالة الى الهدى ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون ﴿ قد احسن الله له رزقا ﴾ فيه تعجيب وتعظيم لما رزقوا من الثواب ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ ومن الارض مثلهن ﴾ اى وخلق مثلهن فى العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ﴿ يتنزل الامر بينهن ﴾ اى يجرى امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن ﴿ لتعلموا ان الله على كل شى قدير وان الله قد احاط بكل شى علما ﴾ علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال

بالنصب ومعناه انها واضحات ﴿ ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ﴾ اى من ظلمة الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم ﴿ ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا ﴾ يعنى الجنة التى لا ينقطع نعيمها وقيل يرزقون طاعة فى الدنيا وثوابا فى الآخرة ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ﴾ يعنى بعضها فوق بعض ﴿ ومن الارض مثلهن ﴾ اى فى العدد ﴿ يتنزل الامر بينهن ﴾ اى الوحى الى خلقه من السماء العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتى بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيآته وينقله من حال الى حال فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل فى كل سماء من سمواته وارض من ارضيه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه ﴿ لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما ﴾ يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية وانه قادر

(ليخرج الذين آمنوا) قد اخرج الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (من الظلمات الى النور) من الكفر الى الايمان (ومن يؤمن بالله) وبمحمد عليه السلام والقرآن (ويعمل صالحا) خالصا فيما بينه وبين ربه (يدخله) فى الآخرة (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها وغرفها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون فيها ولا يخرجون منها (ابدا قد احسن الله له رزقا) قد اعد الله له ثوابا فى الجنة (الله الذى خاق سبع سموات) بعضها فوق بعض مثل القبة (ومن الارض مثلهن) سبعا ولكنها منبسطة (يتنزل الامر بينهن) يقول تنزل الملائكة بالوحى والتنزيل والمصيبة من السموات من عند الله (لتعلموا) لكى تعلمو وتقروا (ان الله على كل شئ) من اهل السموات والارضين (قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما) قد احاط علمه بكل شى

﴿سورة التحريم مدنية وهى اثنتا عشرة آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك) روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة رضى الله عنها وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى وابشرك ان ابا بكر وعمر يملكان بعدى امر امتى فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة فى بيت مارية فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك فى الجنة وروى انه شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة وقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وسلم التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل (تبتغى مرضات ازواجك) تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به

قدرته وعلمه * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

﴿سورة التحريم مدنية وآيها اثنتا عشرة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك﴾ روى انه عليه السلام خلا بمارية فى يوم عائشة اوحفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك ريح المغافير فحرم العسل فنزلت ﴿تبتغى مرضاة ازواجك﴾ تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف لبيان الداعى اليه ﴿والله غفور﴾ لك هذه الزلة فانه لايجوز تحريم ما احله الله ﴿رحيم﴾ رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك

على الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلة فى علمه والله تعالى اعلم

﴿تفسير سورة التحريم وهى مدنية واثنتا عشرة آية ومائتان﴾

﴿وسبع واربعون كلمة وألف وستون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك تبتغى مرضات ازواجك والله غفور رحيم﴾

ذكر سبب نزولها

(ق) عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى اهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك فقولى له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا

﴿ومن السورة التى يذكر فيها التحريم وهى كلها مدنية آياتها ثلاث عشرة وكلماتها مائتان وتسع واربعون وحروفها الف وستون حرفا﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا ايها النبى) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (لم تحرم ما احل الله لك) نكاحه يعنى نكاح مارية القبطية ام ابراهيم بن محمد رسول الله حرمها النبى صلى الله عليه وسلم على نفسه (تبتغى مرضات ازواجك) تطلب رضا ازواجك عائشة وحفصة بتحريم مارية القبطية (والله غفور) لك (رحيم) بتلك اليمين

(فقولى)

فقولى ما هذه الريح التى اجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقولى انت ياصفية ذلك فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذى لااله الا هو لقد كدت ابادئه بالذى قلت لى وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا منها قالت له سودة يارسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التى اجد منك قال سقتنى حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت له يارسول الله الا اسقيك منه قال لاحاجة لى فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتى (ق) عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش فيشرب عندها عسلا فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فلتقل له انى اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احداها فقالت ذلك له فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش وان اعود له فنزلت يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ اسر النبى الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وان اعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك احدا زاد فى رواية يبتغى بذلك مرضاة ازواجه

شرح غريب الفاظ الحديثين ومايتعلق بهما

قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل * الحلواء بالمد وهو كل شئ حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا فى جملة الحلواء تنبيها على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام * قولها فى الحديث الثانى فتواطيت انا وحفصة هكذا وقع فى الرواية واصله فتواطأت اى اتفقت انا وحفصة * قولها انى لاجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وفاء بعدها ياء وراء وهو صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة وبالفاء يكون بالحجاز وقيل العرفط نبات له ورق عريض يفرش على الارض له شوكة وثمره خبيث الرائحة وقال اهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النبيذ وكان النبى صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه رائحة كريهة * قولها جرست نحله العرفط هو بالجيم والراء وبالسين المهملتين ومعناه اكلت نحله العرفط فصار منه العسل * قولها فى الحديث الثانى فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفى الحديث الاول ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عائشة وسودة وصفية هن اللواتى تظاهرن عليه قال القاضى عياض والصحيح الاول قال النسائى اسناد حديث حجاج بن محمد عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيلى حديث حجاج اصح وهو اولى بظاهر كتاب الله واكمل فائدة يريد قوله تعالى وان تظاهرا عليه وهما ثنتان لاثلاثة وانهما عائشة وحفصة كما اعترف به عمر فى حديث ابن عباس وسيأتى الحديث

﴿ قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم ﴾ قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة او الاستثناء فيها بالمشيئة حتى لايحنث من قولهم حالل فى يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا اوتحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذلايلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل ﴿ والله مولاكم ﴾ متولى اموركم ﴿ وهو العليم ﴾ بما يصلحكم ﴿ الحكيم ﴾

قال وقد انقلبت الاسماء على الراوى فى الرواية الاخرى يعنى الحديث الاول الذى فيه ان الشرب كان عند حفصة قال القاضى عياض والصواب ان شرب العسل كان عند زينب بنت جحش ذكره الشيخ محى الدين النووى فى شرح مسلم وكذا ذكره القرطبى ايضا * وقال المفسرون فى سبب النزول ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زيارة ابيها فاذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكى فقال مايبكيك قالت انما اذنت لى من اجل هذا ادخلت امتك بيتى ووقعت عليها فى يومى وعلى فراشى اما رأيت لى حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هى جاريتى قداحلها الله لى اسكتى فهى على حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبرى بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذى بينها وبين عائشة فقالت الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج النبى صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم تزل بنبى الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لايقربها * عن انس بن مالك رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له امة يطؤها فلم تزل به عائشة و حفصة حتى حرمها على نفسه فانزل الله تعالى يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك الآية اخرجه النسائى قال العلماء الصحيح فى سبب نزول الآية انها فى قصة العسل لافى قصة مارية المروية فى غير الصحيحين ولم تأت قصة مارية من طريق صحيح قال النسائى اسناد حديث عائشة فى العسل جيد صحيح غاية * واما التفسير فقوله يا ايها النبى لم تحرم ما احل الله لك اى من العسل اوملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها او بالعسل لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما احله الله فالنبى صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغى مرضات ازواجك اى تطلب رضاهن بترك ما احل الله لك والله غفور رحيم اى غفر لك ذلك التحريم ﴿ قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم ﴾ اى بين واوجب لكم تحليل ايمانكم بالكفارة وهو ما ذكر فى سورة المائدة فامره الله ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق رقبة ﴿ والله مولاكم ﴾ اى وليكم وناصركم ﴿ وهو العليم ﴾ اى بخلقه ﴿ الحكيم ﴾

(قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم) قد قدر الله لكم ما تحللون به ايمانكم وهى الكفارة او قد شرع لكم تحليلها بالكفارة او شرع الله لكم الاستثناء فى ايمانكم من قولك حالل فلان فى يمينه اذا استثنى فيها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث وتحريم الحلال يمين عندنا وعن مقاتل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة فى تحريم مارية وعن الحسن انه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين (والله مولاكم) سيدكم ومتولى اموركم وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم انفسكم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فيما احل

(قد فرض الله) قد بين الله (لكم تحلة ايمانكم) كفارة ايمانكم فكفر النبى صلى الله عليه وسلم يمينه وضمها الى نفسه (والله مولاكم) حافظكم وناصركم (وهو العليم) بتحريمك مارية القبطية (الحكيم) فيما حكم من

المتقن فى افعاله واحكامه ﴿ واذ أسر النبي الى بعض ازواجه ﴾ يعنى حفصة بنت عمر ﴿ حديثا ﴾ تحريم مارية اوالعسل او ان الخلافة بعده لابى بكر وعمر رضى الله عنهما ﴿ فلما نبأت به ﴾ اى فلما اخبرت حفصة عائشة رضى الله عنهما بالحديث ﴿ واظهره الله عليه ﴾ واطلع النبى عليه السلام على الحديث اى على افشائه ﴿ عرف بعضه ﴾ عرف الرسول عليه السلام حفصة بعض مافعلت

اى فيما فرض من حكمه

فصل

اختلف العلماء فى لفظ التحريم فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته انت على حرام او قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان نوى ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك لجاريته فان نوى عتقا عتقت وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين وان قال لطعام حرمته على نفسى فلا شئ عليه وهذا قول ابى بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين واليه ذهب الشافعى وان لم ينو شيأ ففيه قولان للشافعى احدهما انه يلزمه كفارة اليمين والثانى لاشئ عليه وانه لغو فلا يترتب عليه شئ من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب عليه الكفارة مالم يقربها كما لوحلف انه لايطؤها وان حرم طعاما فهو كما لوحلف ان لا يأكله فلا كفارة عليه مالم يأكله واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اذا حرم الرجل امرأته فهى يمين يكفرها و قال لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة وفى رواية اذا حرم امرأته ليس بشئ وقال لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لفظ الحميدى * قوله تعالى ﴿ واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا ﴾ يعنى ما اسر الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها ذلك وهو قوله لاتخبرى بذلك احدا و قال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبى اسر اليها ان اباك واباعائشة يكونان خليفتين على امتى من بعدى وقيل لما رأى الغيرة فى وجه حفصة اراد ان يراضيها فسرها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده فى ابى بكر وابيها عمر ﴿ فلما نبأت به ﴾ اى اخبرت بذلك حفصة عائشة ﴿ واظهره الله عليه ﴾ اى اطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على قول حفصة لعائشة ﴿ عرف بعضه ﴾ قرئ بتخفيف الراء اى عرف بعض الذى فعلته حفصة فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لوكان فى آل الخطاب خير لما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل عليه السلام وأمره بمراجعتها وقيل لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل فقال لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسائك فى الجنة وقرئ عرف بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض الحديث واخبرها ببعض ما كان

وحرم (واذ اسر النبي الى بعض ازواجه) يعنى حفصة (حديثا) حديث مارية وامامة الشيخين (فلما نبأت به) افشته الى عائشة رضى الله عنها (واظهره الله عليه) واطلع النبي صلى الله عليه وسلم على افشائها الحديث على لسان جبريل عليه السلام (عرف بعضه) اى اعلم ببعض الحديث

الكفارة (واذ اسر النبي الى بعض ازواجه) يعنى حفصة (حديثا) كلاما اخبرها فى السر (فلما نبأت به) فلما اخبرت حفصة بسر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة (واظهره الله عليه) اطلع الله نبيه على ما اخبرت حفصة عائشة (عرف بعضه) بين النبي لحفصة بعض ما قالت لعائشة من خلافة ابى بكر وعمر ويقال من خلوته مع مارية القبطية

(واعرض عن بعض) فلم يخبر به تكرما قال سفيان مازال التغافل من فعل الكرام عرف بالتخفيف على اى جازى عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى انه قال لهـا الم اقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ماملكت نفسى فرحا بالكرامة التى خص الله بها اباها (فلما نبأها به) نبأ النبى حفصة بما افشت من السر الى عائشـة (قالت) حفصة للنبى صلى الله عليه وسلم (من أنبأك هـذا قال نبأنى العليم) بالسرائر (الخبير) بالضمائر (ان تتوبا الى الله) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما وجواب الشرط محذوف والتقدير ان تتوبا الى الله فهو الواجب ودل على المحذوف (فقدصغت) مالت (قلوبكما) عن الواجب فى مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب مايحبه وكراهة مايكرهه

﴿ واعرض عن بعض ﴾ عن اعلام بعض تكرما اوجازاها على بعضه بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسـائى بالتخفيف فانه لايحتمـل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله ﴿ فلمـا نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير ﴾ فانه اوفق للاعلام ﴿ان تتوبا الى الله﴾ خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى المعاتبة ﴿ فقدصغت قلوبكما ﴾ فقد وجد منكما مايوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالفة الرسول عليه السلام بحب مايحبه وكراهة مايكرهه

منها ﴿ واعرض عن بعض ﴾ اى لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض والمعنى ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عائشة وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك فى الناس ﴿ فلما نبأها به ﴾ اى اخبر حفصه بما اظهره الله عليه ﴿ قالت ﴾ يعنى حفصة ﴿ من انبأك هذا ﴾ اى من اخبرك بانى افشيت السر ﴿ قال نبأنى العليم ﴾ اى بما تكنه الضمائر ﴿ الخبير ﴾ اى بخفيات الامور * قوله عز وجل ﴿ ان تتوبا الى الله ﴾ يخاطب عائشة وحفصة اى من التعاون على رسـول الله صلى الله عليه وسلم والايذاءله ﴿ فقد صغت قلوبكم ﴾ اى زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بان سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لم ارل حريصا على ان اسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عز وجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكمـا حتى حج عمر وحججت معه فلما كان عمر ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت ياامير المؤمنين من المرأتان من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما قال عمر واعجبا لك ياابن العباس قال الزهرى كره والله ماسأله عنه ولم يكتمه قال هما عائشة وحفصة ثم اخـذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان منزلى فى بنى امية بن زيد بالعوالى فغضبت يوما على امرأتى فاذا هى تراجعنى فانكرت ان تراجعنى فقـالت ماتنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت اتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت اتهجره احدا كن اليوم الى الليل قالت نعم قلت لقد خاب من فعلت

(واعرض عن بعض) سكت عن بعض عن تحريمه مارية القبطية على نفسـه وعما اخبرها من خلافة ابى بكر وعمر من بعده ولم يلمها بذلك (فلما نبأها به) اخبر النبى صلى الله عليه وسلم حفصة بما قالت لعائشة (قالت) حفصة (من انبأك هذا) اخبرك بهذا انى قلت لعائشة (ذلك) (قال) النبى صلى الله عليه وسلم (نبأنى) اخبرنى (العليم) بما قلت لعائشة (الخبير) بما قلت لك (ان تتوبا الى الله) توبا الى الله ياعائشة ويا حفصة من ايذائكما رسول الله ومعصيتكما له (فقدصغت) مالت (قلوبكما) عن الحق

ذلك منكن وخسرت افتأمن احداكن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت لاتراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيأ وسليني ما بدالك ولا يغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله وسلم منك يريد عائشة وكان لى جار من الانصار فكنا نتناوب النزول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وياتيني بخبر الوحي وغيره و آتيه بمثل ذلك وكنا نتحدث ان غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الانصاري يوم نوبته ثم اتاني عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت اليه فقال حدث امر عظيم قلت ماذا جاءت غسان قال لابل اعظم من ذلك و اهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت اظن هذا يوشك ان يكون حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لاادري ها هو ذا معتزل في هذه المشربة فاتيت غلاما له اسود فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى اتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما اجد فاتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست الى المنبر ثم غلبني ما اجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد اذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمال حصير قد اثر في جنبه فقلت اطلقت يارسول الله نساءك فرفع راسه الى وقال لا فقلت الله اكبر لو رأيتنا يارسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي يوما فاذا هي تراجعني فانكرت اذ راجعتني فقالت ماتنكر ان اراجعك فوالله ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منهن وخسر افتأمن احداهن ان يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لايغرنك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم اخرى فقلت استأنس يارسول الله قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله مارأيت فيه شيأ يرد البصر الا اهبة ثلاثة فقلت يارسول الله ادع الله ان يوسع على امتك فقد وسع على فارس والروم وهم لايعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال افي شك انت ياابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفرلي يارسول الله وكان اقسم ان لايدخل عليهن شهرا من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة لعائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال الزهري فاخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل على

﴿وان تظاهرا عليه﴾ وان تتظاهرا عليه بما يسوء ه وقرأ الكوفيون بالتخفيف ﴿فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾ فان يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه

(وان تظاهرا عليه) بالتخفيف كوفى وان تعاونا عليه بما يسوء من الافراط فى الغيرة وافشاء سره (فان الله هو مولاه) وليه وناصره وزيادة هو ايذان بانه يتولى ذلك بذاته (و جبريل) ايضا وليه (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين اى كل من آمن وعمل صالحا وقيل من برئ من النفاق وقيل الصحابة وقيل واحد اريد به الجمع كقولك لايفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس وقيل اصله صالحو المؤمنين فحذفت الواو من الخط موافقة للفظ وقوله

رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ بى فقلت يارسول الله انك اقسمت ان لاتدخل علينا شهرا وانك دخلت من تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر يكون تسعا وعشرين زاد فى رواية وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة انى ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلى حتى تستأمرى ابويك ثم قال يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها حتى بلغ الى قوله عظيما قالت عائشة قد علم والله ان ابوى لم يكونا ليأمرانى بفراقه فقلت افى هذا استأمر ابوى فانى اريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد فى رواية ان عائشة قالت لا تخبر نساءك انى اخترتك فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ارسلنى مبلغا ولم يرسلنى متعنتا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يارسول الله مايشق عليك من شأن النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا وابو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت واحمد الله بكلام الارجوت ان يكون الله يصدق قولى الذى اقول ونزلت هذه الآية عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فاذن له وانه قام على باب المسجد فنادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه

شرح بعض الفاظه

* قوله فعدلت معه بالاداوه اى ملت معه بالركوة فتبرز اى اتى البراز وهو الفضاء من الارض لقضاء الحاجة * العوالى جمع عالية وهى اماكن بأعلى اراضى المدينة * قوله ولايغرنك ان كانت جارتك يريد بها الضرة وهى عائشة * اوسم منك اى اكثر حسنا وجمالا منك * قوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو ان يفعله الانسان مرة ويفعله الآخر بعده * المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة * قوله فاذا هو متكئ على رمال حصير يقال رملت الحصير اذا ضفرته ونسجته والمراد به انه لم يكن على السرير وطاء سوى الحصير * قوله مارأيت فيه مايرد البصر الا اهبة ثلاثة الاهبة والاهب جمع اهاب وهو الجلد * قوله من شدة موجدته الموجدة الغضب * قوله تعالى ﴿وان تظاهرا عليه﴾ اى تعاونا على ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم ﴿فان الله هو مولاه﴾ اى وليه وناصره ﴿وجبريل﴾ يعنى وجبريل وليه وناصره ايضا وانما افرده وان كان داخلا فى جملة الملائكة تعظيما له وتنبيها على علو منزلته ومكانته ﴿وصالح المؤمنين﴾ روى عن ابن مسعود وابى بن كعب صالح المؤمنين ابو بكر وعمر وقيل هم المخلصون

(وان تظاهرا) تعاونا (عليه) على ايذائه ومعصيته (فان الله هو مولاه) حافظه وناصره ومعينه عليكما (وجبريل) معينه عليكما (وصالح المؤمنين) جملة المؤمنين المخلصين اعوان له عليكما مثل ابى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم ومن دونهم

(من)

(و الملائكة) على تكاثر عددهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وجبريل وصالحى المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه ولما كانت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله قال بعد ذلك تعظيما لنصرتهم ومظاهرتهم (عسى ربه ان طلقكن أن يبدله) يبدله مدنى وابو عمرو فالتشديد للكثرة (أزواجا خيرا منكن) فان قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء خير من امهات المؤمنين قلت اذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف خيرا منهن (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (قانتات) مطيعات فالقنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله فى طاعة رسوله (تائبات) من الذنوب او راجعات الى الله والى امر رسوله (عابدات) لله (سائحات) مهاجرات او صائمات وقيل للصائم سائح لان السائح لازاد معه فلا يزال ممسكا الى ان يجد ما يطعمه فشبه به الصائم فى امساكه الى ان يجىء بطاعته وقت افطاره (ثيبات وأبكارا) انما وسط العاطف بين الثيبات والابكار دون سائر الصفات لانهما صفتان متنافيتان بخلاف سائر الصفات (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات

﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة ما ينصره الله به ﴿عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن﴾ على التغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان فى النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافى تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو يبدله بالتشديد ﴿مسلمات مؤمنات﴾ مقرات مخلصات اومنقادات مصدقات ﴿قانتات﴾ مصليات اومواظبات على الطاعات ﴿تائبات﴾ عن الذنوب ﴿عابدات﴾ متعبدات اومتذللات لامر الرسول عليه السلام ﴿سائحات﴾ صائمات سمى الصائم سائحا لانه يسيح بالنهار بلا زاد اومهاجرات ﴿ثيبات وابكارا﴾ وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما فى حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار ﴿يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم﴾ بترك المعاصى وفعل الطاعات

من المؤمنين الذين ليسوا بمنافقين وقيل هم الانبياء ﴿والملائكة بعد ذلك﴾ اى بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين ﴿ظهير﴾ اى اعوان للنبى صلى الله عليه وسلم ينصرونه ﴿عسى ربه﴾ اى واجب من الله ﴿ان طلقكن﴾ يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ان يبدله ازواجا خيرا منكن﴾ ثم وصف الازواج اللواتى كان يزوجه بهن فقال ﴿مسلمات﴾ اى خاضعات لله بالطاعة ﴿مؤمنات﴾ اى مصدقات بتوحيد الله تعالى ﴿قانتات﴾ اى طائعات وقيل داعيات وقيل مصليات بالليل ﴿تائبات﴾ اى تاركات للذنوب لقبحها او كثيرات التوبة ﴿عابدات﴾ كثيرات العبادة ﴿سائحات﴾ اى صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح ﴿ثيبات﴾ جمع ثيب وهى التى تزوجت ثم بانت بوجه من الوجوه ﴿وابكارا﴾ اى عذارى جمع بكر وهذا من باب الاخبار عن القدرة لا عن الكون لانه قال ان طلقكن وقد علم انه لا يطلقهن فاخبر عن قدرته انه ان طلقهن ابدله ازواجا خيرا منهن تخويفا لهن * قوله عز وجل ﴿يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم﴾ قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله عنه والعمل بطاعته

(والملائكة بعد ذلك) مع هؤلاء (ظهير) اعوان له عليكما (عسى ربه) وعسى من الله واجب (ان طلقكن ان يبدله) يزوجه (ازواجا خيرا منكن) فى الطاعة (مسلمات) مقرات بالالسن (مؤمنات) مصدقات بالالسن والقلوب بايمانهن (قانتات) مطيعات لله ولازواجهن (تائبات) من الذنوب (عابدات) مواحدات لله (سائحات) صائمات (ثيبات) ايمات مثل آسية بنت مزاحم امرأة فرعون (وابكارا) مريم بنت عمران ام عيسى (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قوا انفسكم) ادفعوا عن انفسكم وقومكم

(واهليكم) بان تأخذوهم بما تأخذون به انفسكم (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لاتتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب (عليها) يلي امرها وتعذيب اهلها (ملائكة) يعنى الزبانية التسعة عشر واعوانهم (غلاظ شداد) فى اجرامهم غلظة وشدة اوغلاظ الاقوال شداد الافعال (لايعصون الله) فى موضع الرفع على النعت (ما امرهم) فى محل النصب على البدل اى لايعصون ما امر الله اى امره كقوله افعصيت امرى اولا يعصونه فيما امرهم (ويفعلون مايؤمرون) وليست الجملتان فى معنى واحد اذ معنى الاولى انهم يتقبلون او امره ويلتزمونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به ولا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (يا ايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) فى الدنيا اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لاعذر لكم او لانه لاينفعكم الاعتذار (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) صادقة عن الاخفش رحمه الله وقيل خالصة يقال عسل ناصح اذا خاص من الشمع وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خللك ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اى تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها وبضم النون حماد ويحي

﴿ واهليكم ﴾ بالنصح والتأديب وقرئ واهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلين على تغليب المخاطبين ﴿ نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب ﴿ عليها ملائكة ﴾ تلى امرها وهم الزبانية ﴿ غلاظ شداد ﴾ غلاظ الاقوال شداد الافعال اوغلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة ﴿ لايعصون الله ما امرهم ﴾ فيما مضى ﴿ ويفعلون مايؤمرون ﴾ فيما يستقبل اولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ويؤمرون به ﴿ يا ايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ اى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهى عن الاعتذار لانه لاعذر لهم او العذر لا ينفعهم ﴿ يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ﴾ اى بالغة فى النصح وهو صفة التائب فانه ينصح

﴿ واهليكم ﴾ يعنى مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وادبوهم تقوهم بذلك ﴿ نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ يعنى الكبريت لانه اشد الاشياء حرا واسرع ايقادا ﴿ عليها ملائكة ﴾ يعنى خزنة النار وهم الزبانية ﴿ غلاظ ﴾ اى فظاظ على اهل النار ﴿ شداد ﴾ يعنى اقوياء يدفع الواحد منهم بالدفعة الواحدة سبعين الفا فى النار لم يخلق الله الرحمة فيهم ﴿ لا يعصون الله ما امرهم ﴾ اى لا يخالفون الله فيما امرهم به ونهاهم عنه ﴿ ويفعلون ما يؤمرون ﴾ اى لا تأخذهم رأفة فى تنفيذ اوامره والانتقام من اعدائه ﴿ يا ايها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم ﴾ اى يقال لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينون النار وشدتها لانه قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا ينفعهم الاعتذار لانه غير مقبول بعد دخول النار ﴿ انما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ يعنى ان عملكم السيئة الزمتكم لعذاب * قوله ﴿ يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ﴾ اى ذات نصح تنصح صاحبها بترك لعود

(واهليكم) واولادكم ونسائكم (نارا) يقول ادبوهم وعلموهم الخير تقوهم بذلك نارا (وقودها) حطبها (الناس والحجارة) حجارة الكبريت وهى اشد الاشياء حرا (عليها) على النار (ملائكة) يعنى الزبانية (غلاظ) عظماء (شداد) اقوياء (لايعصون الله ما امرهم) فيما امرهم من عذاب اهل النار (ويفعلون) يعنى الزبانية (ما يؤمرون يا ايها الذين كفروا) بمحمد عليه السلام والقرآن (لا تعتذروا اليوم) فانه لا يقبل معذرتكم (انما تجزون ما كنتم تعملون) وتقولون فى الدنيا (يا ايها الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (توبوا الى الله) من الذنوب (توبة نصوحا) خالصا صادقا من قلوبكم وهو الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن والضمير على ان لايعود اليه ابدا (الى)

نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازى مبالغة او فى النصاحة وهى الخياطة كأنها تنصح ما خرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور اوالنصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح اوتنصح نصوحا اوتوبوا نصوحا لانفسكم وسئل على رضى الله عنه عن التوبة فقال تجمعها ستة اشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لاتعود وان تربى نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية

الى الذنب الذى تاب منه قال عمر بن الخطاب وابى بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لايعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هى ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لايعود اليه وقال الكلبى ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظى التوبة النصوح يجمعها اربعة اشياء الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان

فصل

وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولايجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثانى ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لايعود اليها ابدا فاذا اجتمعت هذه الشروط فى التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمى فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرأ من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حد قذف او نحوه مكنه من نفسه او طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقى عليه مالم يتب منه هذا مذهب اهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة (م) عن الاغر بن يسار المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله فانى اتوب فى اليوم مائة مرة (خ) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لاستغفر الله واتوب اليه فى اليوم اكثر من سبعين مرة (ق) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله فى ارض فلاة الحديث (م) عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها * عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر اخرجه الترمذى وقال حديث

وهو مصدر اى ذات نصوح اوتنصح نصوحا وجاء مرفوعا ان التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب الى ان يعود اللبن فى الضرع وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن ابن عباس رضى الله عنه هى الاستغفار باللسان والندم بالجنان والاقلاع

بالاركان (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم) هذا على ماجرت به عادة الملوك من الاجابة بعسى واعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار) ونصب (يوم) بيدخلكم (لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه) فيه تعريض بمن اخزاهم الله من اهل الكفر (نورهم) مبتدأ (يسعى بين ايديهم وبايمانهم) فى موضع الخبر (يقولون ربنا اتمم لنا نورنا) يقولون ذلك اذا انطفأ نور المنافقين (واغفرلنا انك على كل شى قدير ياايها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالقول الغليظ والوعظ البليغ وقيل باقامة الحدود (واغلظ عليهم) على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة باللسان (ومأواهم جهنم وبئس المصير

ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين

(عسى ربكم) وعسى من الله واجب (ان يكفر عنكم سيآتكم) ان يغفر لكم ذنوبكم بالتوبة (ويدخلكم) فى الاخرة (جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (يوم) وهو يوم القيامة (لايخزى الله النبي) كما يخزى الكفار يقول لايعذب الله النبي (والذين آمنوا معه) ولايعذب الذين آمنوا به مثل ابى بكر واصحابه (نورهم يسعى) يضئ (بين ايديهم) على الصراط (وبايمانهم يقولون) بعدماذهب نور المنافقين (ربنا اتمم لنا) على الصراط (نورنا واغفرلنا) ذنوبنا (انك على كل شئ) من اتمام النور والغفران (قدير ياايها النبي جاهد الكفار) كفار مكة بالسيف حتى يسلموا (والمنافقين) منافقى اهل المدينة باللسان بالزجر والوعيد (واغلظ عليهم) واشدد على كلا الفريقين بالقول والفعل (ومأواهم) مصير المنافقين والكفار (جهنم وبئس المصير) صاروا اليه جهنم ثم خوف عائشة وحفصة لانذاهما النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة نوح وامرأة لوط فقال (ضرب الله) بين الله (مثلا) صفة (للذين كفروا) بالمرأتين الكافرتين (امرأت نوح) واهلة (وامرأت لوط) واعلة (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) مرسلين

﴿ عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة غير موجب وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء ﴿ يوم لايخزى الله النبي ﴾ ظرف ليدخلكم ﴿ والذين آمنوا معه ﴾ عطف على النبي عليه الصلاة والسلام احمادا لهم وتعريضا لمن ناوأهم وقيل مبتدأ خبره ﴿ نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم ﴾ اى على الصراط ﴿ يقولون ﴾ اذا طفئ نور المنافقين ﴿ ربنا اتمم لنا نورنا واغفرلنا انك على كل شئ قدير ﴾ وقيل تتفاوت انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا ﴿ ياايها النبي جاهد الكفار ﴾ بالسيف ﴿ والمنافقين ﴾ بالحجة ﴿ واغلظ عليهم ﴾ واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم اذبلغ الرفق مداه ﴿ ومأويهم جهنم وبئس المصير ﴾ جهنم او مأواهم ﴿ ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط ﴾ مثل الله حالهم فى انهم يعاقبون بكفرهم ولايحابون بما بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين من النسبة بحالهما ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ﴾ يريد به تعظيم نوح

حسن * وقوله تعالى ﴿ عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم ﴾ هذا اطماع من الله تعالى لعباده فى قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لاوجوبا عليه ﴿ ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ اى لا يعذبهم بدخول النار ﴿ نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم ﴾ يعنى على الصراط ﴿ يقولون ربنا ﴾ يعنى اذا انطفأ نور المنافقين ﴿ اتمم لنا نورنا واغفرلنا انك على كل شى قدير ياايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ تقدم تفسيره * قوله تعالى ﴿ ضرب الله مثلا ﴾ اى بين شبها وحالا ﴿ للذين كفروا امرأت نوح ﴾ واسمها واعلة ﴿ وامرأت لوط ﴾ واسمها واهلة وقيل اسمهما والعة و والهة ﴿ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ﴾ وهما نوح ولوط

فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين) مثل الله عز وجل حال الكفار فى انهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين بلا محاباة ولاينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من النسب والمصاهرة وان كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبيا بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا

ولوط عليهما السلام ﴿ فخانتاهما ﴾ بالنفاق ﴿ فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ﴾ فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما ﴿ وقيل ﴾ اى لهما عند موتهما او يوم القيامة ﴿ ادخلا النار مع الداخلين ﴾ مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لاوصلة بينهم وبين الانبياء عليهم السلام ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون ﴾ شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لاتضرهم بحال آسية رضى الله عنها ومنزلتها عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله ﴿ اذ قالت ﴾ ظرف للمثل المحذوف ﴿ رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ﴾ قريبا من رحمتك اوفى اعلى

عليهما الصلاة والسلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم ﴿ فخانتاهما ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما مابغت امرأة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به احد اخبرت به الجبابرة من قومها واما امرأة لوط فانها كانت تدل قومها على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل او قدت النار واذا نزل به ضيف بالنهار دخنت لتعلم قومها بذلك وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان ﴿ فلم يغنيا عنهما من الله شيأ ﴾ اى لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله ﴿ وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النساء وانه لاينفع العاصى طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذى يتصل به الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيأ فقطع بهذه الآية طمع من يرتكب المعصية ويتكل على صلاح غيره وفى هذا المثل تعريض بامى المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده * ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لاتضره اذا كان مطيعا وان وصلة المسلم بالكافر لاتضر المؤمن فقال تعالى ﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون ﴾ يعنى آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها فى الشمس فكانت تعذب فى الشمس فاذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة ﴿ اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ﴾ فكشف الله لها عن بيتها فى الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة

وخانتا الرسولين بافشاء اسرارهما فلم يغن الرسولان عنهما اى عن المرأتين بحق ما بينهما وبينهما من الزواج اغناء ما من عذاب الله وقيل لهما عند موتهما او يوم القيامة ادخلا النار مع سائر الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء اومع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) هى آسية بنت مزاحم آمنت بموسى فعذبها فرعون بالاوتاد الاربعة (اذ قالت) وهى تعذب (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فكانها ارادت الدرجة العالية لانه تعالى منزه عن المكان فعبرت عنها

(فخانتاهما) فخالفتاهما فى الدين واظهرتا الايمان باللسان واسرتا النفاق بالقلب ولم تخونا بالفجور لانه لم تفجر امرأة نبي قط

(فلم يغنيا عنهما) لم ينفعهما (من الله) من عذاب الله (شيأ) صلاح زوجيهما مع كفرهما (وقيل ادخلا النار) فى الآخرة (مع الداخلين) فى النار ثم حثهما على التوبة والاحسان بامرأة فرعون آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران فقال (وضرب الله مثلا) بين الله صفة (للذين آمنوا) بامرأتين مسلمتين (امرأت فرعون) آسية بنت مزاحم (اذ قالت) فى عذاب فرعون لها (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) لكى يهون على عذاب فرعون

بقولها عندك (ونجنى من فرعون وعمله) اى من عمل فرعون اومن نفس فرعون الخبيثة وخصوصا من عمله وهو الكفر والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على ان الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين (ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها) من الرجال (فنفخنا) فنفخ جبريل بامرنا (فيه) فى الفرج (من روحنا) المخلوقة لنا (وصدقت بكلمات ربها) اى بصحفه التى انزلها على ادريس وغيره (وكتبه) بصرى وحفص يعنى الكتب الاربعة (وكانت من القانتين) لما كان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين غلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت من القانتين لانها من اعقاب هرون اخى موسى عليهما السلام ومثل حال المؤمنين فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيأ من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة اعدى اعداء الله ومريم ابنة عمران وما اوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع ان قومها كانوا كفارا او قحطى

درجات المقربين ﴿ونجنى من فرعون وعمله﴾ من نفسه الخبيثة وعمله السيء ﴿ونجنى من القوم الظالمين﴾ من القبط التابعين له فى الظلم ﴿ومريم ابنت عمران﴾ عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل ﴿التى احصنت فرجها﴾ من الرجل ﴿فنفخنا فيه﴾ فى فرجها وقرئ فيها اى فى مريم او الحمل ﴿من روحنا﴾ من روح خلقناه بلا توسط اصل ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه ﴿وكتبه﴾ وما كتب فى اللوح محفوظا او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قراءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اى بعيسى والانجيل ﴿وكانت من القانتين﴾ من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية * عن النبى عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم

لتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة فابصرت بيتها فى الجنة من درة بيضاء وانتزعت روحها فالقيت الصخرة على جسد لاروح فيه ولم تجد الما وقيل رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهى تأكل وتشرب فيها ﴿ونجنى من فرعون وعمله﴾ يعنى وشركه وقال ابن عباس عمله يعنى جماعه ﴿ونجنى من القوم الظالمين﴾ يعنى الكافرين ﴿ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها﴾ اى عن الفواحش والمحصنة العفيفة ﴿فنفخنا فيه﴾ اى فى جيب درعها ولذلك ذكر الكناية ﴿من روحنا﴾ اضافة تمليك وتشريف كبيت الله وناقة الله ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ يعنى الشرائع التى شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على انبيائه ﴿وكتبه﴾ يعنى الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم الصلاة والسلام ﴿وكانت من القانتين﴾ يعنى كانت من القوم القانتين اى المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله * عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين مريم

(ونجنى من فرعون) من دين فرعون (وعمله) عذابه (ونجنى من القوم الظالمين) الكافرين فلم يضرها كفر زوجها مع ايمانها واخلاصها (ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها) حفظت فرجها يعنى جيب درعها من الفواحش (فنفخنا فيه من روحنا) فنفخ جبريل فى جيب قميصها بامرنا فحملت بعيسى (وصدقت بكلمات ربها) بما قال لها جبريل انما انا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا (وكتبه) وبكتبه التوراة والانجيل وسائر الكتب ويقال بكلمات ربها بعيسى بن مريم ان يكون بكلمة من الله كن فصار مخلوقا وبكتابه الانجيل (وكانت من القانتين) من المطيعين

امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح
والله اعلم بمراده

هذين التمثيلين تعريض بامى المؤمنين المذكورتين فى اول السورة ومافرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على اغلظ وجه واشارة الى ان من حقهما ان يكونا فى الاخلاص كهاتين المؤمنتين وان لا يتكلا على انهما زوجا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فى الشدة والرخاء و يقال كانت من القانتين لله تعالى وتعاظم

الجزء التاسع والعشرون

﴿ سورة الملك مكية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى قارئها وتنجيه ﴾
﴿ من عذاب القبر وايها ثلاثون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ بقضية قدرته التصرف فى الامور كلها ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ على كل ما يشاء قدير ﴿ الذى

﴿ تفسير سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاثون كلمة ﴾
﴿ والف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفا ﴾

عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهى تبارك الذى بيده الملك اخرجه الترمذى وقال حديث حسن ولابى داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها * عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لايحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائى على قبر انسان وانا لااحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذى وقال حديث غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ تبارك الذى بيده الملك ﴾ اى له الامر والنهى والسلطان فيعز من يشاء ويذل من يشاء ﴿ وهو على كل شئ قدير ﴾ اى من الممكنات ﴿ الذى

﴿ سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى قارئها من عذاب القبر وجاء مرفوعا من قرأها فى ليلة اكثر واطيب ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) اى بتصرفه الملك والاستيلاء على كل موجود وهو مالك الملك يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء (وهو على كل شئ) من المقدورات او من الانعام والانتقام (قدير) قادر على الكمال (الذى

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الملك وهى كلها مكية آياتها ثلاثون وكلماتها ثلاثمائة وخمس وثلاثون وحروفها الف وثلاثمائة وثلاثة عشر ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (تبارك) يقول ذو بركة ويقال تعالى وتعظم وتقدس وارتفع وتبرأ عن الولد والشريك (الذى بيده الملك) ملك العز والذل وخزائن كل شئ (وهو على كل شئ) من العز والذل (قدير الذى

خلق الموت) خبر مبتدأ محذوف او بدل من الذى قبله (والحيوة) اى ما يصح بوجوده الاحساس والموت ضده ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم ايها المكلفون (ليبلوكم) ليمتحنكم بامره ونهيه فيما بين الموت الذى يعم الامير والاسير والحياة التى لاتفى بعليل ولاطبيب فيظهر منكم ما علم انه يكون منكم فيجازيكم على عملكم

لا على علمه بكم (ايكم) مبتدأ وخبره (احسن عملا) اى اخلصه واصوبه فالخالص ان يكون لوجه الله والصواب ان يكون على السنة والمراد انه اعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح فما وراءه الا البعث والجزاء الذى لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى المسوق له الآية اهم ولما قدم الموت الذى هو اثر صفة القهر على الحياة التى هى اثر اللطف قدم صفة القهر على صفة اللطف بقوله (وهو العزيز) اى الغالب الذى لا يعجزه من اساء العمل (الغفور) الستور الذى لا ييأس منه اهل الاساءة والزلل (الذى خلق سبع سموات طباقا)

خلق الموت والحيوة ﴾ قدرهما او اوجد الحياة و ازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ﴿ ليبلوكم ﴾ ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ﴿ ايكم احسن عملا ﴾ اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا للفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين ﴿ وهو العزيز ﴾ الغالب الذى لا يعجزه من اساء العمل ﴿ الغفور ﴾ لمن تاب منهم ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ﴾ مطابقة بعضها فوق بعض

خلق الموت والحيوة ﴾ قيل اراد موت الانسان وحياته فى الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفناء وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه اقدم وذلك لان الاشياء كانت فى الابتداء فى حكم الموتى كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشئ ولا يجد ريحه شئ الامات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقاء وهى التى كان جبريل والانبياء يركبونها لا تمر بشئ ولا يجد ريحها شئ الا حيي وهى التى اخذ السامرى قبضة من اثرها فالقاها فى العجل فخار وحيي وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهى القوة الحساسة مع وجود الروح فى الجسد وبه سمى الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف فى هذه الدار وحال المجازاة فى دار القرار والحياة ايضا نعمة اذ لولاها لم يتنعم احد فى الدنيا ولم يصل اليه الثواب فى الآخرة ﴿ ليبلوكم ﴾ اى ليختبركم فيما بين الحياة الى الموت ﴿ ايكم احسن عملا ﴾ روى عن ابن عمر مرفوعا احسن عملا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعته وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد فى الدنيا ﴿ وهو العزيز ﴾ اى الغالب المنتقم ممن عصاه ﴿ الغفور ﴾ اى لمن تاب اليه ورجع عن اساءته * قوله تعالى ﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ﴾ يعنى طبقا على طبق

خلق الموت) شبه كبش املح (قا و خا ٤٠ س) لا يمر على شئ ولا يشم ريحه شئ ولا يطأ على شئ حى الامات (والحيوة) وخلق الحياة شبه فرس بلقاء انثى لا تمر على شئ ولا يشم ريحها شئ ولا تطأ على شئ ولا يطرح من اثرها على شئ الاحى وهى دابة دون البغل وفوق الحمار خطوها مد البصر يركبها الانبياء ويقال خلق الموت يعنى النطفة والحياة يعنى النسمة ويقال خلق الحياة والموت مقدم ومؤخر (ليبلوكم) ليختبركم بين الحياة والموت (أيكم أحسن عملا) اخلص عملا (وهو العزيز) بالنقمة لمن لا يؤمن به (الغفور) لمن تاب وآمن به (الذى خلق سبع سموات طباقا)

مطبقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر اوعلى ذات طباق اوعلى طوبقت طباقا وقيل جمع طبق كجمل وجمال والخطاب فى (ماترى فى خلق الرحمن) للرسول اولكل مخاطب (من تفاوت) تفوت حمزة وعلى ومعنى البناءين واحد كالتعاهد والتعهد اى من اختلاف واضطراب وعن السدى من عيب وحقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه وهذه الجملة صفة لطباق واصلها ماترى فيهن من تفاوت فوضع خلق الرحمن موضع الضمير تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (فارجع البصر) رده الى السماء حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة فلاتبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق (ثم ارجع البصر كرتين) كرر النظر مرتين اى كرتين مع الاولى وقيل سوى الاولى فتكون ثلاث مرات وقيل لم يرد الاقتصار على مرتين بل اراد به التكرير بكثرة اى كرر نظرك و دققه هل ترى خللا او عيبا وجواب الامر (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) ذليلا او بعيدا مما تريد وهو حال من البصر (وهو حسير) كليل معى ولم تر فيها خللا (ولقد زينا السماء الدنيا) القربى اى السماء الدنيا منكم (بمصابيح)

مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف به اوطوبقت طباقا اوذات طباق جمع طبق كجبل وجبال وطبقة كرحبة ورحاب ﴿ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ﴾ وقرأ حمزة والكسائى من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض مافى الآخر والجملة صفة ثانية لسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان فى ابداعها نعما جليلة لاتحصى والخطاب فيها للرسول صلى الله عليه وسلم اولكل مخاطب وقوله ﴿ فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ متعلق به على معنى التسبب اى قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ماينبغى لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ اى رجعتين اخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما فى لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ﴿ ينقلب اليك البصر خاسئا ﴾ بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار ﴿ وهو حسير ﴾ كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا ﴾ اقرب السموات

بعضها فوق بعض كل سماء مقبية على الاخرى وسماء الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سماء الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضاء والثالثة حديد والرابعة صفر أوقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمراء ومابين السماء السابعة الى الحجب السبعة صحارى من نور ﴿ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ﴾ اى ماترى يا ابن آدم فى شئ مما خلق الرحمن اعوجاجا ولا اختلافا ولا تناقضا بل خلقهن مستقيمة مستوية ﴿ فارجع البصر ﴾ اى كرر النظر ﴿ هل ترى من فطور ﴾ اى شقوق وصدوع ﴿ ثم ارجع البصر كرتين ﴾ قال ابن عباس مرة بعد مرة ﴿ ينقلب ﴾ اى ينصرف ﴿ اليك ﴾ فيرجع ﴿ البصر خاسئا ﴾ اى صاغرا ذليلا مبعدا لم ير مايهوى ﴿ وهو حسير ﴾ اى كليل منقطع لم يدرك ما طلب ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا ﴾ اى القربى من الارض وهى التى يراها الناس

مطبقة بعضها على بعض مثل القبة ملتزقة اطرافها (ماترى) يامحمد (فى خلق الرحمن) فى خلق السموات (من تفاوت) من اعوجاج (فارجع البصر) رد البصر بالنظر الى السماء (هل ترى من فطور) من شقوق وصدوع وعيوب وخلل (ثم ارجع البصر) رد البصر الى السماء وتفكر بالنظر الى السماء (كرتين) مرتين (ينقلب) يرجع (اليك البصر خاسئا) صاغرا ذليلا قبل ان ترى شيأ (وهو حسير) عى كليل منقطع (ولقد زينا السماء الدنيا) الاولى

(بمصابيح) بكواكب مضيئة كاضاءة الصبح بمصابيح السرج فسميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بقناديل المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح أي بأي مصابيح (أو زينها بمصابيح كما أضاءة) (وجعلناها رجوما للشياطين) أي لأعدائكم الذين يخرجونكم من النور إلى الظلمات قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به ويومئ كما بهم رجوما الشياطين أن ينفصل عنها شهب كقبس يؤخذ من النار فيقتل الجني أو يخبله لأن الكواكب لا تزول عن أماكنها لأنها قارة في الفلك على حالها (وأعتدنا لهم) للشياطين (عذاب السعير) في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا (وللذين كفروا بربهم) ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك (وبئس المصير) المرجع جهنم (إذا ألقوا فيها) طرحوا في جهنم كما يطرح الحطب في النار العظيمة (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتا منكرا كصوت الحمير شبه حسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهي تفور) تغلي بهم غليان المرجل بما فيه (تكاد تميز) أي تميز أي تتقطع وتتفرق (من الغيظ) على الكفار فجعلت كالمغتاظة عليهم استعارة لشدة غليانها بهم

أي الأرض ﴿بمصابيح﴾ بكواكب مضيئة بالليل إضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزة في سموات فوقها إذ التزيين بظهورها فيها والتنكير للتعظيم ﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾ وجعلنا لها فائدة أخرى وهي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الإنس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمي به ما يرجم به ﴿وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا ﴿وللذين كفروا بربهم﴾ من الشياطين وغيرهم ﴿عذاب جهنم وبئس المصير﴾ وقرئ بالنصب على أن للذين عطف على لهم وعذاب عطف على عذاب السعير ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا﴾ صوتا كصوت الحمير ﴿وهي تفور﴾ تغلي بهم غليان المرجل بما فيه ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم

﴿بمصابيح﴾ أي بالكواكب كالمصابيح في الإضاءة وهي أعلام الكواكب وقال ابن عباس النجوم بها وهو قيل خلق الله النجوم لثلاث زينة السماء وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى ﴿وجعلناها رجوما للشياطين﴾ قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فإن قلت جعل الكواكب زينة السماء يقتضي بقاءها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا إنه ليس المراد أنهم يرمون بأجرام الكواكب بل يجوز أن تنفصل من الكواكب شعلة وترمى الشياطين بتلك الشعلة وهي الشهب ومثلها مثل قبس يؤخذ من النار وهي على حالها ﴿وأعتدنا لهم﴾ أي وأعتدنا للشياطين بعد الإحراق في الدنيا ﴿عذاب السعير﴾ أي في الآخرة وهي النار الموقدة ﴿وللذين كفروا بربهم﴾ أي ليس العذاب مختصا بالشياطين بل لكل من كفر بالله من الإنس والجن ﴿عذاب جهنم وبئس المصير﴾ ثم وصف جهنم فقال تعالى ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا﴾ هو أول الصوت وهو أقبح الأصوات ﴿وهي تفور﴾ أي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الماء الكثير بالحب القليل ﴿تكاد تميز﴾ أي تتقطع ﴿من الغيظ﴾ من الغضب عليهم

(بمصابيح) بالنجوم (وجعلناها) يعني النجوم (رجوما للشياطين) يرجمون بها فبعضهم يخبل وبعضهم يقتل وبعضهم يحرق (وأعتدنا لهم) للشياطين في الآخرة (عذاب السعير) الوقود (وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) صاروا إليه جهنم (إذا ألقوا فيها) طرحوا في جهنم أمة من الأمم ممن يدخلونها يعني اليهود والنصارى والمجوس ومشركي العرب (سمعوا لها) لجهنم (شهيقا) صوتا كصوت الحمار (وهي تفور) تغلي (تكاد تميز) تتفرق (من الغيظ) على الكفار

(كلما القى فيها فوج) جماعة من الكفار (سألهم خزنتها) مالك واعوانه من الزبانية توبيخا لهم (الم يأتكم نذير) رسول يخوفكم من هذا العذاب (قالوا بلى قد جاءنا نذير) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بانه تعالى ازاح عللهم ببعث الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه (فكذبنا) اى فكذبناهم (وقلنا ما نزل الله من شئ) مما تقولون من وعد ووعيد وغير ذلك (ان انتم الا فى ضلال كبير) اى قال الكفار للمنذرين ما انتم الا فى خطا عظيم فالنذير بمعنى الانزار ثم وصف به منذروهم لغلوهم فى الانذار كانهم ليسوا الا انذارا وجاز ان يكون هذا كلام الخزنة للكفار على ارادة القول ومرادهم بالضلال الهلاك او سموا جزاء الضلال باسمه كما يسمى جزاء السيئة والاعتداء سيئة واعتداء ويسمى المشاكلة فى علم البيان او كلام الرسل لهم حكوه للخزنة اى قالوا لنا هذا فلم نقبله (وقالوا لو كنا نسمع) الانذار سماع طالب الحق (او نعقل) عقل متأمل (ما كنا فى اصحاب السعير) فى جملة اهل النار وفيه دليل على ان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل وانهما حجتان ملزمتان (فاعترفوا بذنبهم) بكفرهم فى تكذيبهم

ويجوز ان يراد غيظ الزبانية ﴿ كلما القى فيها فوج ﴾ جماعة من الكفرة ﴿ سألهم خزنتها الم يأتكم نذير ﴾ يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت ﴿ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير ﴾ اى فكذبنا الرسل وافرطنا فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل اومصدر مقدر بمضاف اى اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا اوعقابه الذى يكونون فيه ﴿ وقالوا لو كنا نسمع ﴾ كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات ﴿ او نعقل ﴾ فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ﴿ ما كنا فى اصحاب السعير ﴾ فى عدادهم ومن جملتهم ﴿ فاعترفوا بذنبهم ﴾ حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر اوالمراد به الكفر

﴿ كلما القى فيها فوج ﴾ اى جماعة ﴿ سألهم خزنتها ﴾ يعنى سؤال توبيخ وتقريع ﴿ الم يأتكم نذير ﴾ اى رسول ينذركم ﴿ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ﴾ يعنى للرسول ﴿ ما نزل الله من شئ ﴾ وهذا اعتراف منهم بانه ازاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل الله من شئ ﴿ ان انتم الا فى ضلال كبير ﴾ فيه وجهان احدهما وهو الاظهر انه من جملة قول الكفار للرسل والثانى يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم فى الدنيا فى ضلال كبير ﴿ وقالوا لو كنا نسمع ﴾ اى من الرسل ما جاؤا به ﴿ او نعقل ﴾ اى نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله فنعمل به ﴿ ما كنا فى اصحاب السعير ﴾ وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعى ونعقل عقل من يميز وننظر ونتفكر ما كنا فى اصحاب السعير ﴿ فاعترفوا بذنبهم ﴾ هو فى معنى الجمع اى بتكذيبهم الرسل وقولهم ما

(كلما ألقى فيها) طرح فى جهنم (فوج) جماعة من الكفار يعنى اليهود والنصارى والمجوس سائر الكفار (سألهم خزنتها) يعنى خزنة النار (ألم يأتكم نذير) رسول مخوف (قالوا بلى قد جاءنا نذير) رسول مخوف (فكذبنا) الرسل (وقلنا ما نزل الله من شئ) من كتاب ولا بعث الينا رسولا (ان أنتم) وقلنا للرسل ما انتم (الا فى ضلال كبير) فى خطا عظيم الشرك بالله ويقال تقول لهم الزبانية ان انتم ما انتم فى الدنيا الا فى ضلال كبير فى خطا عظيم الشرك بالله (وقالوا) للخزنة (لو كنا نسمع) نستمع الى الحق والهدى (ونعقل) او نرغب فى الحق فى الدنيا (ما كنا فى اصحاب السعير) مع اهل الوقود فى النار اليوم (فاعترفوا بذنبهم) فاقروا

{نزل}

الرسل (فسحقا لاصحاب السعير) وبضم الحاء يزيد وعلى فبعدا لهم عن رحمة الله وكرامته اعترفوا او جحدوا فان ذلك لاينفعهم وانتصابه على انه مصدر وقع موقع الدعاء (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) قبل معاينة العذاب (لهم مغفرة) للذنوب (واجر كبير) اى الجنة (واسروا قولكم او اجهروا به) ظاهره الامر باحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم فى علم الله بهما روى ان مشركى مكة كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بما قالوه فيه ونالوا منه فقالوا فيما بينهم اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنزلت ثم علله بقوله (انه عليم بذات الصدور) اى بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لايعلم ماتكلم به (ألا يعلم من خلق) من فى موضع رفع بانه فاعل يعلم (وهو اللطيف الخبير) انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلقها وصفته انه اللطيف اى العالم بدقائق الاشياء الخبير العالم بحقائق الاشياء وفيه اثبات خلق الاقوال فيكون دليلا على خلق افعال العباد وقال ابو بكر بن الاصم وجعفر ابن حرب من مفعول والفاعل مضمر وهو الله تعالى فاحتالا بهذا لنفى خلق الافعال (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لينة سهلة مذللة لا تمنع

﴿ فسحقا لاصحاب السعير ﴾ فاسحقهم الله سحقا اى ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائى بالتثقيل ﴿ ان الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه اوعن اعين الناس او بالمخفى عنهم وهو قلوبهم ﴿ لهم مغفرة ﴾ لذنوبهم ﴿ واجر كبير ﴾ تصغر دونه لذائذ الدنيا ﴿ واسروا قولكم اواجهروا به انه عليم بذات الصدور ﴾ بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا وجهرا ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ المتوصل علمه الى ماظهر من خلقه وما بطن او الا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد روى ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم ﴿ هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ﴾ لينة ليسهل لكم السلوك فيها

نزل الله من شئ ﴿ فسحقا ﴾ اى بعدا ﴿ لاصحاب السعير ﴾ * قوله عز وجل ﴿ ان الذين يخشون ربهم بالغيب ﴾ اى يخافون ربهم ولم يروه فيؤمنوا به خوفا من عذابه ﴿ لهم مغفرة ﴾ اى لذنوبهم ﴿ واجر كبير ﴾ يعنى جزاء اعمالهم الصالحة ﴿ واسروا قولكم اواجهروا به ﴾ قال ابن عباس نزلت فى المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل بماقالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كى لايسمع اله محمد فاخبره الله انه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى ﴿ انه عليم بذات الصدور ﴾ ثم اكد ذلك بقوله تعالى ﴿ ألا يعلم من خلق ﴾ يعنى الا يعلم من خلق مخلوقه وقيل الا يعلم الله من خلق والمعنى الا يعلم الله ما فى صدور من خلق ﴿ وهو اللطيف ﴾ اى باستخراج ما فى الصدور ﴿ الخبير ﴾ بما فيها من السر والوسوسة * قوله تعالى ﴿ هو الذى جعل لكم الارض ذلولا ﴾ الذلول المنقاد من كل شئ والمعنى جعلها لكم سهلة لايمتنع المشى فيها لحزونتها وغلظها

بشركهم (فسحقا) فبعدا من رحمة الله ونكسا (لاصحاب السعير) لاهل الوقود فى النار اليوم (ان الذين يخشون ربهم) يعملون لربهم (بالغيب) وان لم يروه (لهم مغفرة) لذنوبهم فى الدنيا (واجر كبير) ثواب عظيم فى الجنة (واسروا قولكم) فى محمد عليه السلام بالمكر والخيانة (اواجهروا به) اواعلنوا به بالحرب والقتال (انه عليم بذات الصدور) بما فى القلوب من الخير والشر (ألا يعلم) السر (من خلق) السر (وهو اللطيف) لطف علمه بما فى القلوب (الخبير) بما فيها من الخير والشر ويقال علمه نافذ بكل شى من الخير والشر الخبير بهما (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) مذللا

المشى فيها (فامشوا فى مناكبها) جوانبها استدلالا واسترزاقا اوجبالها او طرقها (وكلوا من رزقه) اى من رزق الله فيها (واليه النشور) اى واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما انعم به عليكم (أأمنتم من فى السماء) اى من ملكوته فى السماء لانها مسكن ملائكته ومنها تنزل قضاياه وكتبه واوامره ونواهيه اولانهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه فى السماء وان الرحمة والعذاب ينزلان منه فقيل لهم على حسب اعتقادهم امنتم من تزعمون انه فى السماء وهو متعال

عن المكان (ان يخسف بكم الارض) كما خسف بقارون (فاذا هى تمور) تضطرب وتحرك (أم امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا) حجارة ان يرسل بدل من بدل الاشتمال وكذا ان يخسف (فستعلمون كيف نذير) اى اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك (فكيف كان نكير) اى انكارى عليهم اذا هلكتهم ثم نبه على قدرته على الخسف وارسال الحاصب بقوله

﴿ فامشو فى مناكبها ﴾ فى جوانبها وجبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبو عن ان يطأه الراكب ولا يتذلل له فاذا جعل الارض فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ والتمسوا من نعم الله ﴿ واليه النشور ﴾ المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم به عليكم ﴿ أأمنتم من فى السماء ﴾ يعنى الملائكة الموكلين على تدبير هذا العالم والله تعالى على تأويل من فى السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى فى السماء وعن ابن كثير برواية قنبل وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ماقبلها والبزى آمنتم بقلب الثانية الفا وهو قراءة نافع وابى عمرو ورويس ﴿ ان يخسف بكم الارض ﴾ فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من بدل الاشتمال ﴿ فاذا هى تمور ﴾ تضطرب والمور التردد فى المجئ والذهاب ﴿ ام امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا ﴾ ان يمطر عليكم حصباء ﴿ فستعلمون كيف نذير ﴾ كيف انذارى اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير ﴾ انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول

﴿ فامشوا فى مناكبها ﴾ امر اباحة وكذا قوله ﴿ وكلوا من رزقه ﴾ ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذى سهل لكم السلوك فى جبالها وهو ابلغ التذليل وكلوا من رزقه اى مما خلقه الله لكم فى الارض ﴿ واليه النشور ﴾ اى واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى ﴿ أأمنتم من فى السماء ﴾ قال ابن عباس يعنى عقاب من فى السماء ان عصيتموه ﴿ ان يخسف بكم الارض فاذا هى تمور ﴾ اى تتحرك بأهلها وقيل تهوى بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى اسفل وتعلو الارض عليهم وتمور فوقهم اى تجىء وتذهب ﴿ أم امنتم من فى السماء ان يرسل عليكم حاصبا ﴾ يعنى ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط ﴿ فستعلمون ﴾ اى عند الموت فى الآخرة ﴿ كيف نذير ﴾ اى انذارى اذا عاينتم العذاب ﴿ ولقد كذب الذين من قبلهم ﴾ اى من قبل كفار مكة وهم الامم الخالية ﴿ فكيف كان نكير ﴾ اى انكارى عليهم أليس وجدوا العذاب حقا * قوله عز وجل

ليغالبنها بالجبال (فامشوا فى مناكبها) امضوا وهزوا فى نواحيها واطرافها ويقال طرقها ويقال فى جبالها وآكامها وفجاجها (وكلوا من رزقه) تأكلون من رزقه (واليه النشور) المرجع فى الآخرة (أأمنتم) يا اهل مكة اذ عصيتموه (من فى السماء) عذاب من فى السماء على العرش (أن يخسف بكم الارض) ان يغور بكم الارض (فاذاهى تمور) تدور بكم الى الارض السابعة السفلى كما خسف بقارون (أم أمنتم من فى السماء) عذاب من فى السماء على العرش اذ عصيتموه (أن يرسل عليكم حاصبا) حجارة كما ارسل على قوم لوط (فستعلمون كيف نذير) كيف تغييرى عليكم بالعذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) من قبل قومك يا محمد (فكيف كان نكير) انظر كيف كان تغييرى عليهم بالعذاب

(اولم)

(اولم يروا الى الطير) جمع طائر (فوقهم) فى الهواء (صافات) باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانهن (ويقبضن) ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن ويقبضن معطوف على اسم الفاعل حملا على المعنى اى يصففن ويقبضن اوصافات وقابضات واختيار هذا التركيب باعتبار ان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والهواء للطائر كالماء للسابح والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك

فجيء بما هو طارئ بلفظ الفعل على معنى انهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن) عن الوقوع عند القبض والبسط (الا الرحمن) بقدرته والا فالثقيل يتسفل طبعا ولا يعلو وكذا لو امسك حفظه وتدبيره عن العالم لتهافتت الافلاك وما يمسكهن مستأنف وان جعل حالا من الضمير فى يقبضن يجوز (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (امن) مبتدأ خبره (هذا) ويبدل من هذا (الذى هو جند لكم) ومحل (ينصركم من دون الرحمن) رفع نعت لجند محمول على اللفظ والمعنى من المشار اليه بالنصر غير الله تعالى (ان الكافرون الا فى غرور) اى ماهم الا فى غرور (امن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه) ام من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم

عليه الصلاة والسلام وتهديد لقومه المشركين ﴿اولم يروا الى الطير فوقهم صافات﴾ باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ﴿ويقبضن﴾ ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحريك ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصيل فى الطيران والطارئ عليه ﴿ما يمسكهن﴾ فى الجو على خلاف الطبع ﴿الا الرحمن﴾ الشامل رحمته كل شئ بان خلقهن على اشكال وخصائص وهيأتهن للجرى فى الهواء ﴿انه بكل شئ بصير﴾ يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب ﴿امن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم تنظروا فى امثال هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف و ارسال حاصب ام لكم جند ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم وصف لجند محمول على لفظه ﴿ان الكافرون الا فى غرور﴾ لامعتمد لهم ﴿امن هذا الذى يرزقكم﴾ ام من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ﴿ان امسك رزقه﴾ بامساك المطر

﴿اولم يروا الى الطير فوقهم صافات﴾ اى باسطات اجنحتهن فى الجو عند طيرانها ﴿ويقبضن﴾ اى يضممن اجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن بعد البسط ﴿ما يمسكهن﴾ اى حال القبض والبسط ﴿الا الرحمن﴾ والمعنى ان الطير مع ثقلها وضخامة جسمها لم يكن بقؤها وثبوتها فى الجو الا بامساك الله عز وجل اياها وحفظه لها ﴿انه بكل شئ بصير﴾ يعنى انه تعالى لاتخفى عليه خافية ﴿أمن هذا الذى هو جند لكم﴾ استفهام انكار اى لاجند لكم ﴿ينصركم﴾ اى يمنعكم ﴿من دون الرحمن﴾ اى من عذاب الله قال ابن عباس اى من ينصركم منى ان اردت عذابكم ﴿ان الكافرون الا فى غرور﴾ اى من الشيطان يغرهم ان العذاب لا ينزل بهم ﴿أمن هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه﴾ يعنى من ذا الذى يرزقكم المطر ان امسكه الله عنكم

(أولم يروا) كفار مكة (الى الطير فوقهم) فوق رؤسهم (صافات) مفتوحات الاجنحة (ويقبضن) يضممن (ما يمسكهن) بعد البسط (الا الرحمن انه بكل شئ) من البسط والقبض (بصير أمن هذا الذى هو جند لكم) منعة لكم (ينصركم) يمنعكم (من دون الرحمن) من عذاب الرحمن (ان الكافرون) ما الكافرون (الا فى غرور) فى اباطيل الدنيا وغرورها (أمن هذا الذى) هو (يرزقكم) من السماء بالمطر والارض بالنبات (ان امسك رزقه) فمن

ان امسك رزقه وهذا على التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكانهم الجند الناصر والرازق فلما لم يتعظوا اضرب عنهم فقال (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) استكبار عن الحق (ونفور) وشراد عنه لثقله عليهم فلم يتبعوه ثم ضرب مثلا للكافرين والمؤمنين فقال (افمن يمشى مكبا على وجهه) اى ساقط على وجهه يعثر كل ساعة و يمشى معتسفا وخبر من (اهدى) ارشدوا كب مطاوع كبه يقال كببته فاكب (امن يمشى سويا) مستويا منتصبا سالما من العثور والخرور (على صراط مستقيم) على طريق مستو وخبر من محذوف لدلالة اهدى عليه وعن الكلبى يعنى بالمكب ابا جهل و بالسوى النبى عليه السلام (قل هو الذى انشأكم) خلقكم ابتداء (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) خصها لانها آلات العلم (قليلا ما تشكرون) هذه النعم لانكم تشركون بالله ولا تخلصون له العبادة والمعنى تشكرون شكرا قليلا وما زائدة وقيل القلة عبارة عن العدم

وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم ﴿بل لجوا﴾ تمادوا ﴿فى عتو﴾ فى عناد ﴿ونفور﴾ وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه ﴿افمن يمشى مكبا على وجهه اهدى﴾ يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب فاقشع والتحقيق انهما من باب انفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا بمطاوعى كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله ﴿امن يمشى سويا﴾ قائما سالما من العثار ﴿على صراط مستقيم﴾ مستوى الاجزاء والجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما فى الكب من الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقا كمشى المتعسف فى مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يتعسف فينكب وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا الذى يحشر على قدميه الى الجنة ﴿قل هو الذى انشأكم وجعل لكم السمع﴾ لتسمعوا المواعظ ﴿والابصار﴾ لتنظروا صنائعه ﴿والافئدة﴾ لتتفكروا وتعتبروا ﴿قليلا ماتشكرون﴾ باستعمالها فيما خلقت لاجلها

﴿بل لجوا﴾ اى تمادوا ﴿فى عتو﴾ اى نبو وتكبر ﴿ونفور﴾ اى تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للكافر والمؤمن فقال تعالى ﴿أفمن يمشى مكبا على وجهه﴾ اى كابا رأسه فى الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب على الكفر والمعاصى فى الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة ﴿اهدى﴾ اى هو اهدى ﴿امن يمشى سويا﴾ اى قائما معتدلا يبصر الطريق ﴿على صراط مستقيم﴾ يعنى المؤمن يمشى يوم القيامة سويا ﴿قل هو الذى انشأكم﴾ اى خلقكم ﴿وجعل لكم السمع والابصار والافئدة﴾ يعنى انه تعالى ركب فيكم هذه القوى لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تأملتم ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها فى غير ما خلقت له فلهذا قال ﴿قليلا ما تشكرون﴾ وذلك لان شكر نعم الله صرفها فى وجه مرضاته فلما صرفتموها فى غير مرضاته فكانكم ما شكرتم رب هذه النعم الواهب لها

ذا الذى يرزقكم (بل لجوا) تمادوا (فى عتو) فى اباء عن الحق (ونفور) تباعد عن الايمان (أفمن يمشى مكبا على وجهه) ناكسا على ضلالته وكفره وهو ابو جهل بن هشام (أهدى) اصوب دينا (أمن يمشى سويا) عادلا (على صراط مستقيم) دين قائم يرضاه وهو الاسلام يعنى محمدا عليه السلام (قل هو الذى انشأكم) خلقكم (وجعل لكم السمع) لكى تسمعوا به الحق والهدى (والابصار) لكى تبصروا به الحق والهدى (والافئدة) يعنى القلوب لكى تعقلوا بها الحق والهدى (قليلا ما تشكرون) يقول شكركم فيما صنع اليكم قليل ويقال ما تشكرون بقليل ولا بكثير

(قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض واليه تحشرون) للحساب والجزاء (ويقولون) اى الكافرون للمؤمنين استهزاء (متى هذا الوعد) الذى تعدوننا به يعنى العذاب (ان كنتم صادقين) فى كونه فاعلمونا زمانه (قل انما العلم) اى علم وقت العذاب (عند الله وانما انا نذير) مخوف (مبين) ابين لكم الشرائع (فلما رأوه) اى الوعد يعنى العذاب الموعود (زلفة) قريبا منهم وانتصابها على الحال (سيئت وجوه الذين كفروا) اى ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها الكآبة والمساءة وغشيتها القترة والسواد (وقيل هذا الذى) القائلون الزبانية (كنتم به تدعون) تفتعلون من الدعاء اى تسألون تعجيله وتقولون ائتنا بما تعدنا او هو من الدعوى اى كنتم بسببه تدعون انكم لا تبعثون وقرأ يعقوب تدعون (قل ارأيتم ان اهلكنى الله) اى اماتنى الله كقوله ان امرؤ هلك (ومن معى) من اصحابى (او رحمنا) او اخر فى آجالنا (فمن يجير) ينجى (الكافرين من عذاب اليم) مؤلم كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك كما تتمنون فننقلب

﴿ قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون ﴾ للجزاء ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ﴾ اى الحشر وما وعدوا من الخسف والحاصب ﴿ ان كنتم صادقين ﴾ يعنون النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين ﴿ قل انما العلم ﴾ اى علم وقته ﴿ عند الله ﴾ لا يطلع عليه غيره ﴿ وانما انا نذير مبين ﴾ والانذار يكفى له العلم بل الظن بوقوع المحذر منه ﴿ فلما رأوه ﴾ اى الوعد فانه بمعنى الموعود ﴿ زلفة ﴾ اى ذا زلفة اى قرب منهم ﴿ سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب ﴿ وقيل هذا الذى كنتم به تدعون ﴾ تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او تدعون ان لا بعث لهم فهو من الدعوى ﴿ قل أرأيتم ان اهلكنى الله ﴾ اماتنى ﴿ ومن معى ﴾ من المؤمنين ﴿ او رحمنا ﴾ بتأخير آجالنا ﴿ فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ﴾ اى لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا

﴿ قل هو الذى ذرأكم ﴾ اى خلقكم وبثكم ﴿ فى الارض واليه تحشرون ﴾ اى يوم القيامة والمعنى ان القادر على الابداء قادر على الاعادة ﴿ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴾ هذا سؤال يحتمل وجهين احدهما انه سؤال عن نزول العذاب بهم والثانى انه سؤال عن يوم القيامة فأجاب الله عن ذلك بقوله ﴿ قل انما العلم عند الله وانما انا نذير مبين ﴾ امره باضافة العلم الى الله تعالى وتبليغ ما اوحى اليه ﴿ فلما رأوه ﴾ يعنى العذاب فى الآخرة على قول اكثر المفسرين وقيل يعنى العذاب ببدر ﴿ زلفة ﴾ اى قريبا ﴿ سيئت وجوه الذين كفروا ﴾ اى اسودت وعلتها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد ﴿ وقيل ﴾ لهم اى وقالت لهم الخزنة ﴿ هذا الذى كنتم به تدعون ﴾ من الدعاء اى تتمنون وتطلبون ان يجاء لكم وقيل من الدعوى اى تدعون انه باطل ﴿ قل ﴾ يا محمد لمشركى مكة الذين يتمنون هلاكك ﴿ ارأيتم ان اهلكنى الله ومن معى ﴾ اى من المؤمنين ﴿ او رحمنا ﴾ اى فابقانا واخر فى آجالنا ﴿ فمن يجير الكافرين من عذاب اليم ﴾ اى انه واقع بهم لا محالة وقيل فى معنى

(قل هو الذى ذرأكم) خلقكم (فى الارض) من آدم وآدم من تراب والتراب من الارض (واليه تحشرون) فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم (ويقولون) يعنى كفار مكة (متى هذا الوعد) الذى تعدنا (ان كنتم صادقين) ﴿ قا و خا ٤١ س ﴾ ان كنت من الصادقين ان يكون ذلك (قل) لهم يا محمد (انما العلم) علم قيام الساعة ونزول العذاب (عند الله وانما انا نذير) رسول مخوف (مبين) بلغة تعلمونها (فلما رأوه) يعنى العذاب فى النار (زلفة) قريبا ويقال معاينة (سيئت) ساء العذاب (وجوه الذين كفروا) ويقال احرقت وجوه الذين كفروا (وقيل) لهم (هذا) العذاب (الذى كنتم به) فى الدنيا (تدعون) تسألون وتقولون انه لا يكون (قل ارأيتم) يا اهل مكة (ان اهلكنى الله) بالعذاب (ومن معى) من المؤمنين (او رحمنا) من العذاب يقول غفرلنا فلم يعذبنا وهو الذى يرحمنا ويهلكنا (فمن يجير الكافرين من عذاب اليم) وجميع

لى الجنة او رحم بالنصرة علكيم كما نرجو فانتم ماتصنعون من مجيركم وانتم كافرون من عذاب النار لابد لكم منه (قل هو الرحمن) اى الذى ادعوكم اليه الرحمن (آمنا به) صدقنا به ولم نكفر به كما كفرتم (وعليه توكلنا) فوضنا اليه امورنا (فستعلمون) اذ نزل بكم العذاب ومن هو على (من هو فى ضلال مبين) نحن ام انتم (قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا) غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل بمعنى عادل (فمن يأتيكم بماء معين) جار يصل اليه من اراده وتليت عند ملحد فقال يأتى بالمعول والمعن فذهب ماء عينه فى تلك الليلة وعمى وقيل انه محمد بن زكريا المتطبب زادنا الله بصيرة

﴿ سورة ن مكية وهى اثنتان وخمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن) الظاهر ان المراد به

وهو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون ﴿ قل هو الرحمن ﴾ الذى ادعوكم اليه مولى النعم كلها ﴿ آمنا به ﴾ للعلم بذلك ﴿ وعليه توكلنا ﴾ للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به ﴿ فستعلمون من هو فى ضلال مبين ﴾ منا ومنكم وقرأ الكسائى بالياء ﴿ قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غورا ﴾ غائرا فى الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ جار او ظاهر سهل المأخذ * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الملك فكأنما احيى ليلة القدر

﴿ سورة ن مكية وآيها ثنتان وخمسون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ن ﴾ من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الذى

الآية قل ارأيتم ان اهلكنى الله اى فعذبنى ومن معى او رحمنا اى فغفر لنا فنحن مع ايماننا خائفون ان يهلكنا بذنوبنا لان حكمه نافذ فينا فمن يجيركم او يمنعكم من عذاب اليم وانتم كافرون وهذا قول ابن عباس ﴿ قل ﴾ اى قل لهم فى انكارك عليهم وتوبيخك لهم ﴿ هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ﴾ اى نحن آمنا به وعبدناه وانتم كفرتم به ﴿ فستعلمون ﴾ اى عند معاينة العذاب ﴿ من هو فى ضلال مبين ﴾ اى نحن ام انتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى ﴿ قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم ﴾ قيل يريد ماء زمزم وقيل غيرها من المياه ﴿ غورا ﴾ اى غائرا ذاهبا فى الارض لا تناله الايدى ولا الدلاء ﴿ فمن يأتيكم بماء معين ﴾ اى ظاهر تراه العيون وتناله الايدى والدلاء وقال ابن عباس معين اى جار والمقصود من الآية ان يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى اخبرونى ان صار ماؤكم ذاهبا فى الارض فمن يأتيكم بماء معين فلا بد ان يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شئ اصلا شريكا له فى العبودية فهذا محال والله اعلم

﴿ تفسير سورة ن مكية وهى اثنان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة ﴾

﴿ والف ومئتان وستة وخمسون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ ن ﴾ قال ابن عباس هو الحوت الذى على ظهره الارض وعنه ب

(قل) لهم يا محمد (هو الرحمن) نجينا ورحمنا (آمنا به) صدقنا به (وعليه توكلنا) وثقنا (فستعلمون) عند نزول العذاب (من هو فى ضلال مبين) فى كفر بين (قل) لهم يا محمد (ارأيتم) ما تقولون يا اهل مكة (ان اصبح ماؤكم) صار ماؤكم ماء زمزم (غورا) غائرا فى الارض لا تناله الدلاء (فمن يأتيكم بماء معين) ظاهر تناله الدلاء ويقال فمن يأتيكم بماء معين سوى خالق النون والقلم ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها ن وهى كلها مكية آياتها اثنتان وخمسون آية وكلماتها ثلاثمائة وحروفها الف ومئتان وستة وخمسون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ن) يقول اقسم الله بالنون وهى السمكة

عليه الارض او الدواة بل بعض الحيوان يستخرج منه شئ اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحروف ﴿ والقلم ﴾ هو الذى خط اللوح او الذى يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائى ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كص

اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فتحرك النون فمادت الارض فأثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل ليوثا وقيل لوثيا وعن على بلهوت * قال اصحاب السير والاخبار لما خلق الله الارض وفتقها سبع ارضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع وضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له اربعون الف قرن واربعون الف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من اعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة سنة فوضعها بين سنام الثور الى اذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض ومنخاره فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع ارضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه فتكن فى صخرة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة قيل فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كونى فكانت قال كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه فقال له اتدرى ما على ظهرك يا ليوثا من الامم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم عن ظهرك فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث له دابة فدخلت منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذى نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس ايضا ان النون هو الدواة ومنه قول الشاعر

اذا ما الشوق برح بى اليهم * القت النون بالدمع السجام

اراد بالنون الدواة وعن ابن عباس ايضا ان نونا حرف من حروف الرحمن اذا جمعت الرحمن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل هو اسم للصورة ﴿ والقلم ﴾ هو القلم الذى كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والارض ويقال اول ما خلق الله القلم فنظر اليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن الى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وانما يجرى الناس على امر قد فرغ منه

هذا الحرف من حروف المعجم واما قول الحسن انه الدواة وقول ابن عباس انه الحوت الذى عليه الارض واسمه بهموت فمشكل لانه لابد له من الاعراب سواء كان اسم جنس او اسم علم فالسكون دليل على انه من حروف المعجم (والقلم) اى ما كتب به اللوح او قلم الملائكة اوالذى يكتب به الناس اقسم به لما فيه من المنافع والفوائد التى لايحيط

التى تحمل الارضين على ظهرها وهى فى الماء وتحتها الثور وتحت الثور الصخرة وتحت الصخرة الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله واسم السمكة ليواش ويقال لوتياء واسم الثور بهموت وقال بعضهم تلهوت ويقال ليوثا وذلك الحوت فى بحر يقال له عضواص وهو كالثور الصغير فى البحر العظيم وذلك البحر فى صخرة جوفاء وفى تلك الصخرة اربعة آلاف خرق منها خرق يخرج المياه الى الارض ويقال هو اسم من اسماء الرب وهو نون الرحمن ويقال النون هو الدواة (والقلم) اقسم الله بالقلم وهو قلم من نور طوله ما بين السماء الى الارض وهو الذى كتب به الذكر الحكيم يعنى اللوح المحفوظ ويقال القلم هو ملك من الملائكة

بهاالوصف (ومايسطرون) اى ما يسطره الحفظة اومايكتب به من الخير من كتب وما موصولة او مصدرية وجواب القسم (ما انت بنعمة ربك) اى بانعامه عليك بالنبوة وغيرها فانت اسم ما وخبرها (بمجنون) وبنعمة ربك اعتراض بين الاسم والخبر والباء فى بنعمة ربك تتعلق بمحذوف ومحله النصب على الحال والعامل فيها بمجنون وتقديره ماانت بمجنون منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفى وهو جواب يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون (وان لك) على احتمال ذلك والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع او غيرممنون عليك به (وانك لعلى خلق عظيم) قيل هو ما امره الله تعالى به

﴿ وما يسطرون ﴾ مايكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم وبالمعنى الثانى على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولى العلم لاقامته مقامهم اولاصحابه اوللحفظة ومامصدرية اوموصولة ﴿ ما انت بنعمة ربك بمجنون ﴾ جواب للقسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأى والعامل فى الحال معنى النفى وقيل مجنون والباء لاتمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى ﴿ وان لك لاجرا ﴾ على الاحتمال اوالابلاغ ﴿ غير ممنون ﴾ مقطوع اوممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ اذ تحمل

﴿ وما يسطرون ﴾ اى وما يكتب الحفظة من اعمال بنى آدم وقيل ان حملنا القلم على ذلك القلم المعين فيحتمل انيكون المراد وما يسطرون فيه وهو اللوح المحفوظ ويكون الجمع فى وما يسطرون للتعظيم لاللجمع ﴿ ما انت ﴾ يا محمد ﴿ بنعمة ربك بمجنون ﴾ هذا جواب القسم اقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا ايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون والمعنى انك لا تكون مجنونا وقد انعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لله وهو كما يقال ما انت بمجنون والحمدلله وقيل ان نعمة الله كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والاخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة واذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة فوجودها ينفى حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كونهم كاذبين فى قولهم انك لمجنون ﴿ وان لك لاجرا غير ممنون ﴾ اى غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد * عبس كواسب مايمن طعامها * اى ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل فى معنى الآية انه غيرمكدر عليك بسبب المنة والقول هوالاول ومعناه ان لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك اجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل ان لك على اظهارالنبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق الى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم اجرا عظيما فلا تمنعك نسبتهم اياك الى الجنون عن الاشتغال بهذا الامر العظيم الذى قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى ﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ وهذا كالتفسير لقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون لان الاخلاق الحميدة والافعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم تجز اضافة الجنون اليه ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة حميدة وافعاله المرضية الجميلة وافرة وصفها الله تعالى بانها عظيمة * وحقيقة الخلق قوى نفسانية يسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة فى صاحبه ويدخل فى حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد فى المعاملات ويستعمل فى حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل فى جميع

اقسم الله به (ومايسطرون) واقسم الله بما تكتب الملائكة من اعمال بنى آدم (ما انت) يا محمد (بنعمة ربك) بالنبوة والاسلام (بمجنون) بمختنق ولهذا كان القسم (وان لك) يا محمد (لاجرا) ثوابا فى الجنة بالنبوة والاسلام (غيرممنون) غيرمنقوص ولا مكدر ولا يمن عليك بذلك (وانك) يا محمد (لعلى خلق عظيم) على

(الامور)

من قومك مالايحتمله امثالك وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خلقه فقالت كان

الامور والتسامح بما يلزم من الحقوق وترك التقاطع والتهاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الى ولا ارضى عندى منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو آداب القرآن سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن وقال قتادة هو ماكان يأتمر به من اوامر الله وينتهى عنه من مناهى الله تعالى والمعنى وانك على الخلق الذى امرك الله به فى القرآن وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين والله سبحانه وتعالى اعلم

فصل فى فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

من ذلك ما روى جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك فى صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس * عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم اخرجه ابو داود * وعنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل الناس ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * عن ابى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شئ اثقل فى ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله تعالى يبغض الفاحش البذى اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * وله عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الى الله واقربكم منى مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا (ق) عن البراء رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا وكان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا (ق) عن انس رضى الله عنه قال خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين والله ما قال لى اف قط ولا قال لشئ لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا * زاد الترمذى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا ومامسست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال ان كانت الامة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله

فى قوله خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقالت عائشة رضى الله عنهما كان خلقه القرآن اى ما فيه من مكارم الاخلاق وانما استعظم خلقه لانه جاد بالكونين وتوكل على خالقهما

دين كريم شريف على الله ويقال على منة عظيمة وهى الاخلاق الحسنة التى اكرمه الله بها ان قرأت

خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون ﴿ فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ﴾ ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة اوبايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باى الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ﴿ ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ وهم المجانين على الحقيقة ﴿ وهو اعلم بالمهتدين ﴾ الفائزين بكمال العقل ﴿ فلا تطع المكذبين ﴾ تهييج للتصميم على معاصاتهم ﴿ ودوا لو تدهن ﴾ تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا ﴿ فيدهنون ﴾ فيلاينونك بترك الطعن

عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد فى رواية ويجيب اذا دعى * وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له اخرجه الترمذى (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فى شئ قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها وما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط بيده ولا امرأة ولا خادما الا ان يجاهد فى سبيل الله تعالى (ق) عن انس قال كنت امشى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مرلى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء (ق) عنه رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لى اخ يقال له ابا عمير وكان فطيما كان اذا جاءنا قال يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير كان يلعب به * النغير طائر صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فى بيته قالت كان يكون فى مهنة اهله فاذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة * المهنة الخدمة * عن عبد الله ابن الحرث بن جزء قال ما رأيت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذى * قوله تعالى ﴿ فستبصر ﴾ اى يا محمد ﴿ ويبصرون ﴾ يعنى اهل مكة اذا نزل بهم العذاب ﴿ بأيكم المفتون ﴾ قال ابن عباس معناه بأيكم الجنون وقيل الباء بمعنى فى معناه فستبصر ويبصرون فى اى الفريقين الجنون فى فريقك او فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذى فتن بالجنون ﴿ ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ﴾ معناه انهم رموه بالجنون والضلال ووصفوا انفسهم بالعقل والهداية فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدى والمجنون والعاقل ﴿ فلا تطع المكذبين ﴾ يعنى مشركى مكة وذلك انهم دعوه الى دين آبائه فنهاه الله ان يطيعهم ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ اصل الادهان

ووعيدلهم (بايكم المفتون) المجنون لانه فتن اى محن بالجنون والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول اى بايكم الجنون وقال الزجاج الباء بمعنى فى تقول كنت ببلد كذا اى فى بلد كذا وتقديره فى ايكم المفتون اى فى اى الفريقين منكم المجنون فريق الاسلام اوفريق الكفر (ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله) اى هو اعلم بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو اعلم بالمهتدين) اى هو اعلم بالعقلاء وهم المهتدون (فلا تطع المكذبين) تهييج للتصميم على معاصاتهم وقد ارادوا ان يعبدوا الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (ودوا لو تدهن) لو تلين لهم (فيدهنون)

بضم الخاء واللام (فستبصر ويبصرون) فسترى وتعلم ويرون ويعلمون عند نزول العذاب بهم (بأيكم المفتون) المجنون (ان ربك) يا محمد (هو اعلم بمن ضل عن سبيله) عن دينه وهو ابو جهل واصحابه (وهو اعلم بالمهتدين) لدينه وهو ابو بكر واصحابه (فلا تطع) يا محمد (المكذبين) بالله والكتاب والرسول يعنى رؤساء اهل مكة (ودوا) تمنوا (لو تدهن فيدهنون) تلين لهم (اللين)

فيلينون لك ولم ينصب باضمار ان وهو جواب التمنى لانه عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدأ محذوف اى فهم يدهنون اى فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك (ولا تطع كل حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير فى الرأى والتمييز من المهانة وهى القلة والحقارة او كذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان مغتاب (مشاء بنميم) نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية (مناع للخير) بخيل والخير المال او مناع اهله من الخير وهو الاسلام والمراد الوليد بن المغيرة عند الجمهور وكان يقول لبنيه العشرة من اسلم منكم منعته رفدى (معتد) مجاوز فى الظلم حده (اثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف (بعد ذلك) بعد ما عدله من المثالب (زنيم) دعى وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة سنة من مولده وقيل بغت امه ولم يعرف حتى

والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن اوللسببية اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى ﴿ ولا تطع كل حلاف ﴾ كثير الحلف فى الحق والباطل ﴿ مهين ﴾ حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة ﴿ هماز ﴾ عياب ﴿ مشاء بنميم ﴾ نقال للحديث على وجه السعاية ﴿ مناع للخير ﴾ يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح ﴿ معتد ﴾ متجاوز فى الظلم ﴿ اثيم ﴾ كثير الآثام ﴿ عتل ﴾ جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة ﴿ بعد ذلك ﴾ بعد ما عد من مثالبه ﴿ زنيم ﴾ دعى

اللين والمصانعة والمقاربة فى الكلام وقيل ادهن الرجل فى دينه وداهن فى امره خان فيه واظهر خلاف ما ابطن ومعنى الآية انهم تمنوا ان تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلوا مثل ذلك ويتركوا بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون وهو ان تعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة ﴿ ولا تطع كل حلاف ﴾ اى كثير الحلف بالباطل ﴿ مهين ﴾ اى ضعيف حقير ذليل وقيل هو من المهانة وهى قلة الرأى والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه قيل هو الوليد ابن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق ﴿ هماز ﴾ اى مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذى يغمز باخيه فى المجلس ﴿ مشاء بنميم ﴾ اى قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس ﴿ مناع للخير ﴾ اى بخيل بالمال وقال ابن عباس مناع للخير اى يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم فى دين محمد لا انفعه بشئ ابدا ﴿ معتد ﴾ اى ظلوم يتعدى الحق ﴿ اثيم ﴾ اى فاجر يتعاطى الاثم ﴿ عتل ﴾ اى غليظ جاف وقيل هو الفاحش السيء الخلق وقيل هو الشديد فى الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد فى كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوى الشديد ولا يزن فى الميزان شعيرة يدفع الملك من اولئك سبعين الفا فى النار دفعة واحدة ﴿ بعد ذلك زنيم ﴾ اى مع ما وصفناه به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعى الملصق فى القوم وليس منهم قال ابن عباس يريد مع هذا هو دعى فى قريش وليس منهم قيل انما ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة

فيلينون لك ويقال تطابقهم فيطابقونك وتصانعهم فيصانعونك (ولا تطع) يا محمد (كل حلاف) كذاب على الله (مهين) ضعيف فى دين الله هو الوليد بن مغيرة المخزومى (هماز) طعان لعان مغتاب للناس مقبلين ومدبرين (مشاء بنميم) يمشى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم (مناع للخير) للاسلام بينه وبين بنيه وبين اخيه وقرابته (معتد) يا محمد الحق غشوم ظلوم عليهم (اثيم) فاجر (عتل) شديد الخصومة بالباطل والكذب ويقال عتل اكول وشروب صحيح الجسم رحيب البطن (بعد ذلك) مع ذلك (زنيم) ملصق بالقوم ليس منهم ويقال معروف فى الكفر والشرك

نزلت هذه الآية والنطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها روى انه دخل على امه وقال ان محمدا وصفني بعشر صف
وجدت تسعا في فاما الزنيم فلا علم لي به فان اخبرتني بحقيقته والاضربت عنقك فقالت ان اباك عنين وخف
ان يموت فيصل ماله الى غير ولده فدعوت راعيا الى نفسي فانت من ذلك الراعي (ان كان ذا مال) متع
بقوله ولا تطع اى ولا تطعه

المثالب لان كان ذا مال اى ابـ

مأخوذ من زنمتي الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغير
ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله في ثقيف
وعداده في زهرة ﴿ ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين ﴾
اى قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل
مدلول قال لانفسه لان مابعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للانط
اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر
أان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى ألان كان
ذا مال كذب او اتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى
في النهي عن الطاعة كالتعليل بالفقر في النهي عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب
اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرطه في الطاعة ﴿ سنسمه ﴾
بالكي ﴿ على الخرطوم ﴾ على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقي
اثرها وقيل هو عبارة عن ان نذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان

سنة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس في هذه الآية نعت
من لا يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وعنه ايضا قال
يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لانعلم ان الله وصف احدا و
ذكر من عيوبه مثل ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق به عارا لا يفارق
في الدنيا ولا في الآخرة ﴿ ان كان ذا مال وبنين ﴾ قرئ على الخبر ومعناه فلا تط
كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين اى لا تطعه لماله وبنيه وقرئ أان كان ذا مال
وبنين بالاستفهام ومعناه الان كان ذا مال وبنين ﴿ اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير
الاولين ﴾ اى جعل مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين الكفر بآياتنا وقيل لان
كان ذا مال وبنين تطيعه ثم اوعده فقال تعالى ﴿ سنسمه على الخرطوم ﴾ اى على
الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما يعرف به في الآخرة وهو سواد الوجه
فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنسمه بالسيف وفعل به ذلك يوم بدر
وقيل معناه سنلحق به شينا لا يفارقه اى سنسمه ميسم سوء يريد نلصق به عارا لا
يفارقه كما ان السمة لا تمحي ولا يعفى اثرها وقد الحق الله به بما ذكر من عيوبه عارا
لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم الذي لا يخفى قط وقيل معنى

وحظه من الدنيا ويجوز
ان يتعلق بما بعده اى لان
كان ذا مال (وبنين) كذب
بآياتنا يدل عليه (اذا
تتلى عليه آياتنا) اى
القرآن (قال اساطير
الاولين) ولا يعمل فيه
قال لان ما بعد الشرط
لا يعمل فيما قبله أان حمزة
وابو بكر اى لان كان ذا
مال كذب ان شامي ويزيد
ويعقوب وسهل قالوا
لما عاب الوليد النبي صلى
الله عليه وسلم كاذبا باسم
واحد وهو المجنون سماه
الله تعالى بعشرة اسماء
صادقا فان كان من عدله
ان يجزي المسيء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بعشرة كان من فضله ان
من صلى عليه واحدة
صلى الله عليه بها عشرا
(سنسمه) سنكويه (على
الخرطوم) على انفه مهانة
له وعلما يعرف به وتخصيص
الانف بالذكر لان الوسم
عليه ابشع وقيل خطم
بالسيف يوم بدر فبقيت

والفجور والفسوق والشر ويقال له زنمة كزنمة العفو (ان كان ذا مال وبنين) يقول لا تطعه (سنكويه)
وان كان ذا مال وبنين وكان ماله نحو تسعة آلاف مثقال من فضة وبنوه عشرة (اذا تتلى عليه) يقرأ عليه
(آياتنا) القرآن بالامر والنهي (قال اساطير الاولين) احاديث الاولين في دهرهم وكذبهم (سنسمه على الخرطوم)
سنضربه على الوجه ويقال على الانف ويقال سيسود

سمة على خرطومه (انابلوناهم) امتحنا اهل مكة بالقحط والجوع حتى اكلوا الجيف والرمم بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها سنين كسنى يوسف (كما بلونا اصحاب الجنة) هم قوم من اهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة بقرية يقال لها ضروان وكانت على فرسخين من صنعاء وكان يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى على الفقراء فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السدف خيفة من المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم فاحرق الله جنتهم وقال الحسن كانوا كفارا والجمهور على الاول (اذاقسموا) حلفوا (ليصرمنها) ليقطعن ثمرها (مصبحين) داخلين فى الصبح قبل انتشار الفقراء حال من فاعل ليصرمنها (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاءالله وسمى استثناء وان كان شرطا صورة لانه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاءالله لاخرج الا ان يشاءالله (فطاف عليها طائف من ربك) نزل عليها بلاء قيل انزل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها (وهم نائمون) اى فى حال نومهم

السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيامة ﴿ انابلوناهم ﴾ بلونا اهل مكة شرفها الله تعالى بالقحط ﴿ كما بلونا اصحاب الجنة ﴾ يريد البستان الذى كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او القته الريح او بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعله ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال ﴿ اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ﴾ ليقطفنها داخلين فى الصباح ﴿ ولايستثنون ﴾ ولايقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج به خلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه او لان معنى لاخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او ولا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم ﴿ فطاف عليها ﴾ على الجنة ﴿ طائف ﴾ بلاء طائف ﴿ من ربك ﴾ مبتدأ منه ﴿ وهم نائمون

سنكويه على وجهه * قوله تعالى ﴿ انا بلوناهم ﴾ اى اختبرنا اهل مكة بالقحط والجوع ﴿ كما بلونا اصحاب الجنة ﴾ روى عن ابن عباس فى قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعاء بفرسخين يطؤه اهل الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان يترك للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل فلم يجزه واذا طرح من فوق النخل الى البساط وكل شئ يخرج من المنجل الى البساط فهو ايضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شئ ينتثر ايضا فلما مات الاب وورثه بنوه هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال كثير وانما كان هذا الامر يفعل لما كان المال كثيرا و العيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لانستطيع ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما ان يغدوا غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك قوله تعالى ﴿ اذاقسموا ﴾ اى تحالفوا ﴿ ليصرمنها ﴾ اى ليقطعن ثمرها ﴿ مصبحين ﴾ اى اذا اصبحوا قبل ان يخرج اليهم المساكين وقبل ان يعلم بها المساكين ﴿ ولايستثنون ﴾ اى ولم يقولوا ان شاءالله وقيل لايستثنون شيأ للمساكين من ثمر جنتهم ﴿ فطاف عليها طائف من ربك ﴾ اى عذاب من ربك ولايكون الطائف الا بالليل وهو قوله تعالى ﴿ وهم نائمون ﴾ وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السماء فاحرقتها وهو

وجهه (انا بلوناهم) اختبرنا (قا وخا ٤٢ س) اهل مكة بالقتل والسبى والهزيمة يوم بدر بتركهم الاستغفار وبالجوع والقحط سبع سنين لدعوة النبى صلى الله عليه وسلم عليهم بعد يوم بدر (كما بلونا) اختبرنا بالجوع وحرق البساتين (اصحاب الجنة) اهل البساتين بنى ضروان (اذ اقسموا) حلفوا بالله (ليصرمنها) ليجذنها (مصبحين) عند طلوع الفجر (ولايستثنون) لم يقولوا ان شاءالله (فطاف عليها) على الجنة (طائف) عذاب (من ربك) بالليل (وهم نائمون

(فاصبحت) فصارت الجنة (كالصريم) اى كالليل المظلم اى احترقت فاسودت او كالصبح اى صارت ارضا بيضا بلا شجر وقيل كالمصرومة اى كانها صرمت لهلاك ثمرها (فتنادوا مصبحين) نادى بعضهم بعضا عند الصباح (ان اغدوا) باكروا (على حرثكم) ولم يقل الى حرثكم لان الغدو اليه ليصرموه كأن غدوا عليه او ضمن الغدو معنى الاقبال اى فاقبلوا على حرثكم باكرين (ان كنتم صارمين مريدين صرامه (فانطلقوا) ذهبوا (وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم لئلا يسمع المساكين (ان لا يدخلنها) اى الجنة وان مفسرة وقرئ بطرحها باضمار القول اى يتخافتون يقولون لا يدخلنها (اليوم عليكم مسكين) والنهى عن دخول المساكين نهى عن التمكن اى لا تمكنوه من الدخول (وغدوا على حرد) على جد فى المنع (قادرين) عند انفسهم على المنع كذا عن نفطويه او الحرد القصد والسرعة اى وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وزى منفعتها عن المساكين او هو علم للجنة اى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند انفسهم

فاصبحت) فصارت الجنة محترقة (كالصريم) كالليل المظلم (فتنادوا) فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) عند طلوع الفجر (ان اغدوا على حرثكم) يعنى البساتين (ان كنتم صارمين) جاذين قبل علم المساكين (فانطلقوا) الى البساتين (وهم يتخافتون) يتسارون فيما بينهم كلاما خفيا (ان لا يدخلنها) يعنى الجنة (اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد) على حقد ويقال الى بستانهم (فلما) (قادرين) على غلتها

فاصبحت كالصريم ﴾ كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها وكالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال ﴿ فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ﴾ اى اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ﴿ ان كنتم صارمين ﴾ قاطعين له ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴾ يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ﴿ ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴾ ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴾ وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قال

اقبل سيل جاء من امر الله * يحرد حرد الجنة المغلة

اى وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل الحرد علم للجنة

قوله تعالى ﴿ فاصبحت ﴾ اى الجنة ﴿ كالصريم ﴾ اى كالليل الاسود المظلم وقيل تصرم منه الخير فليس فيها شئ ينتفع به وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة ﴿ فتنادوا ﴾ اى فنادى بعضهم بعضا ﴿ مصبحين ﴾ يعنى لما صبحوا ﴿ ان اغدوا على حرثكم ﴾ يعنى الثمار والزرع والاعناب ﴿ ان كنتم صارمين ﴾ اى قاطعين ثماركم ﴿ فانطلقوا ﴾ اى مشوا اليها ﴿ وهم يتخافتون ﴾ اى يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا ﴿ ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد ﴾ اى على قصد ومنع وقيل معناه على جد وجهد وقيل على امر مجتمع قد اسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين وقال ابن عباس على قدرة ﴿ قادرين ﴾ اى عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها احد

(فلما رأوها) اى جنتهم محترقة (قالوا) فى بديهة وصولهم (انا لضالون) اى ضللنا جنتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا انها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا (قال اوسطهم) اعدلهم وخيرهم (الم اقل لكم لولا تسبحون) اى هلا تستثنون اذ الاستثناء التسبيح لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم او لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة فعصوه فعيرهم ولهذا (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) فتكلموا بعد خراب البصرة بما كان يدعوهم الى التكلم به اولا واقروا على انفسهم بالظلم فى منع المعروف وترك الاستثناء ونزهوه عن ان يكون ظالما (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا بما فعلوا من الهرب من المساكين ويحيل كل واحد منهم اللائمة على الآخر ثم اعترفوا جميعا بانهم تجاوزوا الحد بقوله (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء (عسى ربنا ان يبدلنا) وبالتشديد مدنى وابو عمرو (خيرا منها)

﴿ فلما رأوها ﴾ اول مارأوها ﴿ قالوا انا لضالون ﴾ طريق جنتنا وماهى بها ﴿ بل نحن ﴾ اى بعد ماتأملوا وعرفوا انها هى ﴿ محرومون ﴾ حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا ﴿ قال اوسطهم ﴾ رأيا او سنا ﴿ ألم اقل لكم لو لا تسبحون ﴾ لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حيثما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى ﴿ قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين ﴾ او لو لا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجرى فى ملكه مالا يريده ﴿ فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾ يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره ﴿ قالوا ياويلنا انا كنا طاغين ﴾ متجاوزين حدود الله ﴿ عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ﴾ ببركة التوبة والاعتراف

﴿ فلما رأوها ﴾ اى رأوا الجنة محترقة ﴿ قالوا انا لضالون ﴾ اى لمخطؤن الطريق اضللنا عن مكان جنتنا وليست هذه جنتنا ﴿ بل نحن محرمون ﴾ اى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا المساكين وتركنا الاستثناء ﴿ قال اوسطهم ﴾ اى اعدلهم واعقلهم وافضلهم ﴿ الم اقل لكم لولا تسبحون ﴾ اى هلا تستثنون انكر عليهم ترك الاستثناء فى قولهم ليصرمنها مصبحين سماه تسبيحا لانه تعظيم لله واقرار لانه لايقدر احد على شئ الا بمشيئته وعلى التفسير الثانى ان الاستثناء بمعنى لايتركون شيأ للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون اى تتوبون وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على مااعطاكم من نعمه ﴿ قالوا سبحان ربنا ﴾ معناه انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل واقروا على انفسهم بالظلم فقالوا ﴿ انا كنا ظالمين ﴾ اى بمنعنا المساكين حقوقهم ﴿ فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴾ اى يلوم بعضهم بعضا ﴿ قالوا ياويلنا ﴾ دعوا على انفسهم بالويل ﴿ انا كنا طاغين ﴾ اى فى منعنا حق الفقراء والمساكين وقيل معناه طغينا فى نعم الله فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع آباؤنا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا ﴿ عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها

(فلما رأوها) يعنى البساتين محترقة (قالوا انا لضالون) الطريق ظنوا انهم ضلوا الطريق ثم قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا منفعة البستان لسوء نياتنا (قال اوسطهم) فى السن ويقال اعدلهم فى القول ويقال افضلهم فى العقل والرأى (ألم اقل لكم لولا تسبحون) هلا تستثنون وقد قال لهم ذلك عند ما اقسموا (قالوا سبحان ربنا) نستغفر ربنا (انا كنا ظالمين) ضارين لانفسنا بمعصيتنا وتركنا الاستثناء ومنعنا المساكين (فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا يقول واحد منهم انت فعلت هذا يافلان بنا ويقول الآخر انت فعلت هذا بنا (قالوا) بالجملة (ياويلنا انا كنا طاغين) عاصين بمنعنا المساكين (عسى ربنا) وعسى من الله واجب (ان يبدلنا) ان يعوضنا ربنا فى الآخرة (خيرا منها)

من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجعون لعفوه عن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى انهم اخلصوا فابدلهم بها جنة تسمى الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (كذلك العذاب) اى مثل ذلك العذاب الذى ذكرناه من عذاب الدنيا لمن سلك سبيلهم (ولعذاب الآخرة اكبر) اعظم منه (لوكانوا يعلمون) لما فعلوا مايفضى الى هذا العذاب ثم ذكر ماعنده للمؤمنين فقال (ان للمتقين) عن الشرك (عند ربهم) اى فى الآخرة (جنات النعيم) جنات ليس فيها الا التنعم الخالص بخلاف جنات الدنيا (أفنجعل المسلمين كالمجرمين) استفهام انكار على قولهم لوكان مايقول محمد حقا فنحن نعطى فى الآخرة خيرا مما يعطى هو ومن معه كما فى الدنيا فقيل لهم انحيف فى الحكم افنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصى كان امر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (فيه تدرسون) تقرؤن فى ذلك الكتاب (ان لكم فيه لما تخيرون) اى ان

بالخطيئة وقد روى انهم ابدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف ﴿ انا الى ربنا راغبون ﴾ راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع ﴿ كذلك العذاب ﴾ مثل ذلك العذاب الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا ﴿ ولعذاب الآخرة اكبر ﴾ اعظم منه ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ﴿ ان للمتقين عند ربهم ﴾ اى فى الآخرة اوفى جوار القدس ﴿ جنات النعيم ﴾ جنات ليس فيها الا التنعم الخالص ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا ﴿ مالكم كيف تحكمون ﴾ التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى ﴿ أم لكم كتاب ﴾ من السماء ﴿ فيه تدرسون ﴾ تقرأون ﴿ ان لكم فيه لما تخيرون ﴾

انا الى ربنا راغبون ﴾ قال ابن مسعود بلغنى ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا قال الله تعالى ﴿ كذلك العذاب ﴾ اى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا بخوف بذلك كفار مكة * ثم قال تعالى ﴿ ولعذاب الآخرة اكبر لوكانوا يعلمون ﴾ ثم اخبر بما اعدالله للمتقين فقال تعالى ﴿ ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم ﴾ اى عند ربهم فى الآخرة ولما نزلت هذه الآية قال المشركون انا نعطى فى الآخرة افضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ يعنى ان التسوية بين المسلم والمجرم غير جائزة فكيف يكون افضل اويعطى افضل منه ولما قال تعالى ذلك على سبيل الاستبعاد والانكار قال لهم على طريق الالتفات ﴿ مالكم كيف تحكمون ﴾ يعنى هذا الحكم المعوج ﴿ أم لكم كتاب ﴾ اى نزل من عند الله ﴿ فيه ﴾ اى فى ذلك الكتاب ﴿ تدرسون ﴾ اى تقرؤن ﴿ ان لكم فيه ﴾ اى فى ذلك الكتاب ﴿ لما تخيرون ﴾ اى تختارون وتشتهون

من هذه الجنة (انا الى ربنا راغبون) رغبتنا الى الله (كذلك العذاب) فى الدنيا لمن منع حق الله من ماله كما كان لهم حرق البستان والجوع بعد ذلك ويقال كذلك العذاب هكذا عذاب الدنيا كما كان لاهل مكة بالقتل والجوع (ولعذاب الآخرة) لمن لايتوب (اكبر) من عذاب الله فى الدنيا (لوكانوا يعلمون) اهل مكة ولكن لايعلمون ذلك ولايصدقون به (ان للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (عند ربهم فى الآخرة (جنات النعيم) نعيمها دائم لايفنى ويقال عتبة بن ربيعة لئن كان مايقول محمد صلى الله عليه وسلم لاصحابه من الجنة والنعيم حقا لنحن افضل منهم فى الآخرة كما نحن افضل منهم فى الدنيا فنزل (أفنجعل المسلمين) ثواب المسلمين فى الجنة (كالمجرمين) كثواب المشركين وهم اهل النار ويقال افنجعل ثواب المشركين فى الآخرة كثواب المسلمين (مالكم) يا اهل مكة (كيف تحكمون) بئس ماتقضون لانفسكم (أم لكم كتاب فيه تدرسون) تقرؤن (ان لكم فيه) فى الكتاب (لما تخيرون) (أم)

ما تختارونه وتشتهونه لكم والاصل تدرسون ان لكم ما تتخيرون بفتح ان لانه مدروس لوقوع الدرس عليه وانما كسرت اللام فى خبرها ويجوز ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح وتخير الشئ واختاره اخذ خيره (أم لكم ايمان علينا) عهود مؤكدة بالايمان (بالغة) نعت ايمان ويتعلق (الى يوم القيامة) ببالغة اى انها تبلغ ذلك

اليوم وتنتهى اليه وافرة { سورة ن } لم تبطل منها يمين الى

ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخير الشئ واختاره اخذ خيره ﴿ ام لكم ايمان علينا ﴾ عهود مؤكدة بالايمان ﴿ بالغة ﴾ متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين ﴿ الى يوم القيامة ﴾ متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لانخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او مبالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم ﴿ ان لكم لما تحكمون ﴾ جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم ﴿ سلهم ايهم بذلك زعيم ﴾ بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ﴿ ام لكم شركاء ﴾ يشاركونهم فى هذا القول ﴿ فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين ﴾ فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه فى هذه الآيات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل او نقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لاسند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين فى الآخرة كانه انفى ان تكون التسوية من الله تعالى نفى بهذا ان تكون مما يشركون الله به ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ يوم يشتد الامر

﴿ ام لكم ايمان علينا بالغة ﴾ معناه الكم عهود ومواثيق مؤكدة عاهدناكم عليها فاستوثقتم بها منا ﴿ الى يوم القيامة ﴾ اى لا تنقطع تلك الايمان والعهود الى يوم القيامة ﴿ ان لكم ﴾ اى فى ذلك العهد ﴿ لما تحكمون ﴾ اى لانفسكم من الخير والكرامة عند الله تعالى ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ سلهم ايهم بذلك زعيم ﴾ اى ايهم كفيل لهم بان لهم فى الآخرة ما للمسلمين ﴿ ام لهم شركاء ﴾ اى بل لهم شركاء يعنى ما كانوا يجعلونه لله شركاء وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم هم جعلوها شركاء لله وقيل معنى شركاء شهداء يشهدون بصدق ما ادعوه ﴿ فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين ﴾ اى فى دعواهم ﴿ يوم يكشف ﴾ اى فليأتوا بشركائهم فى ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم ﴿ عن ساق ﴾ اى عن امر فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة فى القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع فى امر عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة شمر عن ساقك اذا قام فى ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر فى الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل ابن عباس عن هذه الآية فقال اذا اخفى عليكم شئ من القرآن فابتغوه فى الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم

ان يحصل المقسم عليه من التحكيم او بالمقدر فى الظرف اى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم واعطيناكم ما تحكمون (ان لكم لما تحكمون) به لانفسكم وهو جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية فى التوكيد (سلهم) اى المشركين (ايهم بذلك) الحكم (زعيم) كفيل بانه يكون ذلك (ام لهم شركاء) اى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) فى دعواهم يعنى ان احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يضمن لهم من الله بهذا (يوم يكشف عن ساق) ناصب الظرف

فليأتوا او اذكر مضمرا والجمهور على ان الكشف عن الساق عبارة عن شدة امر وصعوبة الخطب فمعنى

تشتهون فى الآخرة من الجنة (ام لكم ايمان) عهود (علينا) بالايمان (بالغة) وثيقة (الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون) تقضون لانفسكم فى الآخرة من الجنة (سلهم) يا محمد (ايهم بذلك) بما يقولون (زعيم) كفيل (ام لهم شركاء) آلهة (فليأتوا بشركائهم) بآلهتهم (ان كانوا صادقين) ان لهم ما قالوا وما يقولون (يوم يكشف عن ساق)

ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم

اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

اويوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق

قول الشاعر

سن لنا قومك ضرب الاعناق * وقامت الحرب بنا على ساق

ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وانشد اهل اللغة ابياتا فى هذا المعنى فمنها ماانشده ابو عبيدة لقيس بن زهير

فان شمرت لك عن ساقها * فدنها ربيع ولاتسام

ومنها قول جرير

ألارب ساهى الطرف من آل مازن * اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقد كثر مثل هذا فى الكلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان ناسا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم هل تضارون فى رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون فى رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لايارسول الله قال ماتضارون فى رؤية الله يوم القيامة الا كما تضارون فى رؤية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبع كل امة ما كانت تعبد فلايبقى احد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزيرا ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولاولد فماذا تبغون قالوا عطشنا ياربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم مااتخذ الله من صاحبة ولاولد فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشنا ياربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا فيتساقطون فى النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين فى ادنى صورة من التى رأوه فيها قال فماذا تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا ياربنا فارقنا الناس فى الدنيا افقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لانشرك بالله شيأ مرتين اوثلاثا حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلايبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولايبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته

يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب ولا كشف ثمة ولا ساق ولكن كنى به عن الشدة لانهم اذا ابتلوا بشدة كشفوا عن الساق وهذا

عن امر كانوا فى عمى منه فى الدنيا ويقال عن امر

الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء الفاعل او المفعول والفعل للساعة اوالحال

التى رأوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده مامن احد منكم باشد منا شدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا مابقى فيها احد ممن امرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابوسعيد يقول ان لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لايظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله عزوجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الاارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل الا ترونها تكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر او اخيضر وما يكون منها الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولاخير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا مالم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندى افضل من هذا فيقولون ربنا اى شئ افضل من هذا فيقول رضاى فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وللبخارى نحوه بمعناه

فصل فى شرح الفاظ الحديث وما يتعلق به

اما الرؤية وما يتعلق بها فسيأتى الكلام عليها فى موضعها ان شاء الله تعالى * قوله حتى اذا لم يبق الامن كان يعبدالله من بر وفاجر اتاهم رب العالمين فى ادنى صورة من التى رأوه فيها وفى رواية ابى هريرة فيأتيهم الله فى صوره غير صورته التى يعرفون

كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يدثمة ولا غل وانما هو كناية عن البخل واما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان ولو كان الامر كما زعم المشبه لكان من حق الساق ان يعرف لانها ساق معهودة عنده

شديد فظيع و يقال عن علامة بينهم و بين ربهم

فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محى الدين النووى رحمه الله وغيره اعلم ان هذا الحديث من اكبر احاديث الصفات واعظمها وللعلماء فيه و فى امثاله قولان*احدهما وهو قول معظم السلف اوكلهم انه لايتكلم فى معناها بل يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شئ وانه منزه عن التجسيم والانتقال والتحيز فى جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابى هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم فى التوقف عن تفسير كل مالا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب*والقول الثانى وهو مذهب معظم المتكلمين انها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تأويلها لمن كان من اهله فعلى هذا المذهب يقال فى قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان العادة ان من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجىء هنا عن الرؤية مجازا وقيل الاتيان فعل من افعال الله تعالى سماه اتيانا وقيل المراد بيأتيهم الله يأتيهم بعض ملائكته قال القاضى عياض وهذا الوجه اشبه عندى بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذى جاءهم فى الصورة التى انكروها من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه يأتيهم الله فى صورة اى يصور ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته التى لاتشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا آخر امتحان المؤمنين فاذا قال لهم هذا الملك او هذه الصورة انا ربكم رأوا عليه علامة من علامات المخلوقات مما ينكرونه ويعلمون بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله فى صورته التى يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله تعالى لهم فى الصفة التى يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفته وان لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى لانهم على هذه الصفة يرونه لايشبه شيأ من مخلوقاته وقد علموا انه لايشبه شيأ من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة لمشابهتها اياها ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله فى حديث ابى سعيد اتاهم رب العالمين فى ادنى صورة من التى رأوه فيها معنى رأوه فيها اى علموها وهى صفته المعلومة للمؤمنين وهى انه لايشبهه شئ *وقولهم نعوذ بالله منك لانشرك بالله انما استعاذوا منه لما قدمناه من كونهم رأوا عليه سمات المخلوق*قوله فيكشف عن ساق وفى رواية للبخارى يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقى فى كتاب الاسماء والصفات قال ابو سليمان الخطابى فيحتمل ان يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه اى عن قدرته التى تكشف عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد بالساق فى هذا الحديث نور عظيم و ورد ذلك فى حديث

(عن)

عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما روى عن ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله يوم يكشف عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا تفرد به روح بن جناح عن مولى عمر بن عبدالعزيز وهو شامى يأتى باحاديث منكرة لا يتابع عليها وموالى عمر بن عبدالعزيز كثيرون ففى اسناده مجهول ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمؤمن عند رؤية الله تعالى من الفوائد والالطاف قال القاضى عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين من ظهور جماعة من الملائكة على خلقة عظيمة وقد تكون ساقا مخلوقة جعلها الله تعالى علامة للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم وما كان غاب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى الله لهم فيخرون سجدا قال الخطابى وهذه الرؤية فى هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التى هى فى الجنة لكرامة اولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان الله لعباده ٠ وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء نفسه الا اذن الله له فى السجود ولا يبقى من كان يسجد نفاقا ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة اى فقارة واحدة كالصفيحة فلا يقدر على السجود ٠ وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول فى صورته التى رأوه فيها اول مرة معناه ثم يرفعون رؤسهم وقد ازال المانع لهم من رؤيته وتجلى لهم فيقولون انت ربنا ٠ وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم * الجسر بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من حل ومعناه وتقع الشفاعة ويؤذن فيها ٠ قوله دحض مزلة اى تزلق فيه الاقدام ولا تثبت ٠ قوله فيه خطاطيف جمع خطاف وهو الذى يخطف الشئ ٠ وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التى يعلق بها اللحم والحسك الذى يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب ٠ قوله فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا يناله شئ اصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكردس اى يلقى ويسقط فى جهنم وفى هذا اثبات الصراط وهو مذهب اهل السنة واهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو ارق من الشعر واحد من السيف فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم واعمالهم والآخرون يسقطون فى جهنم اعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين الله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار شفاعتهم لهم ٠ وقوله فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير ومثقال ذرة قال القاضى عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح ان معناه شئ زائد على مجرد الايمان لان الايمان الذى هو التصديق لا يتجزأ وانما يكون هذا الخير زائدا عليه من عمل صالح او ذكر خفى وعمل من اعمال القلب من شفقة على مسكين او خوف من الله تعالى او نية صادقة ومثقال الذرة مثل لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير وقول

(ويدعون) الى الكفار ثمة (الى السجود) لاتكليفا ولكن توبيخا على تركهم السجود فى الدنيا (فلا يستطيعون) ذلك لان ظهورهم تصير كصياصى البقر لاتنثنى عند الخفض والرفع (خاشعة) ذليلة حال من الضمير فى يدعون (ابصارهم) اى يدعون فى حال خشوع ابصارهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم صغار (وقد كانوا يدعون) على السن الرسل (الى السجود) فى الدنيا (وهم سالمون) اى وهم اصحاء فلا يسجدون فلذلك منعوا عن السجود ثمة (فذرنى) يقال ذرنى واياه اى كله الى فانى اكفيكه (ومن يكذب) معطوف على المفعول او مفعول معه (بهذا الحديث) بالقرآن والمراد كل امره الى وخل بينى وبينه فانى عالم بما ينبغى ان يفعل به مطيق له فلا تشتغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للمكذبين (سنستدرجهم) سندنيهم من العذاب درجة درجة يقال استدرجه الى كذا اى استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله تعالى العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلون رزق الله ذريعة الى ازدياد المعاصى (من حيث لايعلمون) من الجهة

(ويدعون الى السجود) بعد ماقالوا والله ربنا ما كنا مشركين ولامنافقين (فلا يستطيعون) السجود وبقيت صلابهم كالصياصى مثل حصون الحديد (خاشعة ابصارهم) ذليلة ابصارهم لايرون خيرا (ترهقهم ذلة) تعلوهم كآبة وكسوف وهو السواد على الوجوه (وقد كانوا يدعون) فى الدنيا (الى السجود) الى الخضوع لله بالتوحيد فلم يخضعوا لله بالتوحيد (وهم سالمون) اصحاء معافون (فذرنى) يامحمد (ومن يكذب بهذا الحديث) بهذا الكتاب (سنستدرجهم) سنأخذهم يعنى المستهزئين بالقرآن (من حيث لايعلمون)

(اذنبوا)

﴿ ويدعون الى السجود ﴾ توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيامة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كانت وقت النزع ﴿ فلا يستطيعون ﴾ لذهاب وقته او زوال القدرة عليه ﴿ خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ﴾ تلحقهم ذلة ﴿ وقد كانوا يدعون الى السجود ﴾ فى الدنيا او زمان الصحة ﴿ وهم سالمون ﴾ متمكنون منه مزاحو العلل فيه ﴿ فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث ﴾ كله الى فانى اكفيكه ﴿ سنستدرجهم ﴾ سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة ﴿ من حيث لايعلمون ﴾ انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه

المؤمنين : نذر فيها خيرا اى صاحب خير * وقوله تعالى شفعت الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله تعالى بعلم ماتكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان فقط ومعنى قبض قبضة اى جمع جماعة * قوله قد عادوا حمما اى صاروا فحما فيلقيهم فى نهر فى افواه الجنة جمع فوهة وهى اول النهر * قوله فيخرجون كاللؤلؤ اى فى الصفاء فى رقابهم الخواتم قيل معناه انه يعلق فى رقابهم اشياء من ذهب او غير ذلك مما يعرفون بها والله اعلم * قوله تعالى ﴿ ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ﴾ السجود يعنى الكفار والمنافقين تصير اصلابهم كصياصى البقر اوكصفيحة نحاس فلا يستطيعون السجود ﴿ خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ﴾ وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة ﴿ وقد كانوا يدعون الى السجود ﴾ يعنى فى دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك انهم كانوا يسمعون حى على الصلاة حى على الفلاح فلا يجيبون ﴿ وهم سالمون ﴾ يعنى انهم كانوا يدعون الى الصلاة وهم اصحاء فلا يأتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية الا فى الذين يتخلفون عن الجماعة * قوله عز وجل ﴿ فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث ﴾ اى دعنى والمكذبين بالقرآن وخل بينى وبينهم ولاتشغل قلبك بهم وكلهم الى فانى اكفيك اياهم ﴿ سنستدرجهم ﴾ اى سنأخذهم بالعذاب ﴿ من حيث لايعلمون ﴾ فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل فى معنى الآية كلما

التی لایشعرون انه استدراج قیل کلما جددوا معصیة جددنا لهم نعمة وانسیناهم شکرها قال علیه السلام اذا رأیت الله تعالی ینعم علی عبد وهو مقیم علی معصیته فاعلم انه مستدرج وتلا الآیة (واملی لهم) وامهلهم (ان کیدی متین) قوی شدید فسمی احسانه وتمکینه کیدا کما سماه استدراجا لکونه فی صورة الکید حیث کان سببا للهلاك والاصل ان معنی الکید والمکر والاستدراج هو الاخذ من جهة الامن ولایجوز ان یسمی الله کائدا وماکرا ومستدرجا (أم تسألهم) علی تبلیغ لرسالة (اجرا فهم من مغرم) غرامة (مثقلون) فلایؤمنون استفهام بمعنی النفی ای لست تطلب اجرا علی تبلیغ الوحی فیثقل ذلك فیتمنعوا لذلك (ام عندهم الغیب) ای اللوح المحفوظ عند الجمهور (فهم یکتبون) منه مایحکمون به (فاصبر لحکم ربك) وهو امهالهم وتأخیر نصرتك علیهم لانهم وان امهلوا لم یهملوا (ولاتکن کصاحب الحوت) کیونس علیه السلام فی العجلة والغضب علی القوم حتی لاتبتلی ببلائه والوقف علی الحوت لان اذ لیس بظرف لما تقدمه اذ النداء طاعة فلا ینهی عنه بل مفعول محذوف ای اذکر (اذ نادی) دعا ربه فی بطن الحوت بلا اله الا انت سبحانك انی کنت من الظالمین (وهو مکظوم) مملوء غیظا من کظم السقاء اذا ملاء (لولا ان تدارکه نعمة) رحمة (من ربه) ای لولا ان الله انعم علیه باجابة دعائه وقبول عذره (لنبذ) من بطن الحوت (بالعراء) بالفضاء

تفضیلا لهم علی المؤمنین ﴿ واملی لهم ﴾ وامهلهم ﴿ ان کیدی متین ﴾ لایدفع بشیٔ وانما سمی انعامه استدراجا بالکید لانه فی صورته ﴿ ام تسألهم اجرا ﴾ علی الارشاد ﴿ فهم من مغرم ﴾ من غرامة ﴿ مثقلون ﴾ بحملها فیعرضون عنك ﴿ ام عندهم الغیب ﴾ اللوح او المغیبات ﴿ فهم یکتبون ﴾ منه مایحکمون ویستغنون به عن علمك ﴿ فاصبر لحکم ربك ﴾ وهو امهالهم وتأخیر نصرتك علیهم ﴿ ولاتکن کصاحب الحوت ﴾ یونس علیه السلام ﴿ اذ نادی ﴾ فی بطن الحوت ﴿ وهو مکظوم ﴾ مملوء غیظا من الضجرة فتبتلی ببلائه ﴿ لولا ان تدارکه نعمة من ربه ﴾ یعنی التوفیق للتوبة وقبولها وحسن تذکیر الفعل للفصل وقریٔ تدارکته وتدارکه ای تتدارکه علی حکایة الحال الماضیة بمعنی لولا ان کان یقال فیه تتدارکه ﴿ لنبذ بالعراء ﴾ بالارض الخالیة

اذنبوا ذنبا جددنا لهم نعمة وانسیناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم یحسبونه تفضیلا لهم علی المؤمنین وهو فی الحقیقة سبب اهلاکهم فعلی العبد المسلم اذا تجددت عنده نعمة ان یقابلها بالشکر واذا اذنب ذنبا ان یعاجله بالاستغفار والتوبة ﴿ واملی لهم ﴾ ای امهلهم واطیل لهم المدة وقیل معناه امهلهم الی الموت فلا اعاجلهم بالعقوبة ﴿ ان کیدی متین ﴾ ای عذابی شدید وقیل الکید ضرب من الاحتیال فیکون بمعنی الاستدراج المؤدی الی العذاب ﴿ ام تسألهم اجرا ﴾ ای علی تبلیغ الرسالة ﴿ فهم من مغرم مثقلون ﴾ المغرم الغرامة والمعنی اتطلب منهم اجرا فیثقل علیهم حمل الغرامات فی اموالهم فیثبطهم ذلك عن الایمان ﴿ ام عندهم الغیب فهم یکتبون ﴾ ای اعندهم اللوح المحفوظ فهم یکتبون منه مایحکمون به وهو استفهام علی سبیل الانکار ﴿ فاصبر لحکم ربك ﴾ ای اصبر علی اذاهم لقضاء ربك قیل انه منسوخ بآیة السیف ﴿ ولاتکن ﴾ فی الضجر والعجلة ﴿ کصاحب الحوت ﴾ یعنی یونس ابن متی ﴿ اذ نادی ﴾ ربه ای فی بطن الحوت ﴿ وهو مکظوم ﴾ ای مملوء غما ﴿ لولا ان تدارکه نعمة من ربه ﴾ ای حین رحمه وتاب علیه ﴿ لنبذ بالعراء ﴾ ای

لا یشعرون فاهلکم الله فی یوم ولیلة وکانوا خمسة نفر (واملی لهم) امهلهم (ان کیدی متین) عذابی شدید (ام تسألهم) تسأل اهل مکة (اجرا) جعلا ورزقا علی الایمان (فهم من مغرم) من الغرم (مثقلون) الاجابة (ام عندهم الغیب) اللوح المحفوظ (فهم یکتبون) منه مایخاصمونك (فاصبر لحکم ربك) علی تبلیغ رسالة ربك ویقال رض بقضاء ربك (ولاتکن) ضجورا ضیق القلب فی امر الله (کصاحب الحوت) کضجر یونس بن متی (اذ نادی) دعا ربه فی بطن الحوت (وهو مکظوم) مجهود مغموم (لولا ان تدارکه نعمة من ربه) رحمة من ربه (لنبذ) لطرح (بالعراء)

(وهو مذموم) معاتب بزلته لكنه رحم فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) اصطفاه لدعائه وعذره (فجعله من الصالحين) من المستكملين لصفات الصلاح ولم يبق له زلة وقيل من الانبياء وقيل من المرسلين والوجه هو الاول لانه كان مرسلا ونبيا قبله لقوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون الآيات (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم) وبفتح الياء مدنى ان مخففة من الثقيلة واللام علمها زلقه وازلقه ازاله عن مكانه اى قارب الكفار من شدة نظرهم اليك شزرا بعيون العداوة ان يزيلوك بابصارهم عن مكانك او يهلكوك لشدة حنقهم عليك وكانت العين فى بنى اسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة ايام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم ار كاليوم مثله الا هلك فاريد بعض العيانين على ان يقول فى رسول الله صلى الله مثل ذلك فقال لم ار كاليوم مثله رجلا فعصمه الله من ذلك وفى الحديث العين حق وان العين لتدخل الجمل القدر والرجل القبر وعن الحسن

عن الاشجار ﴿ وهو مذموم ﴾ مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ ﴿ فاجتباه ربه ﴾ بان رد الوحى اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة ﴿ فجعله من الصالحين ﴾ من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ماحل فاراد ان يدعو على المنهزمين ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ﴾ ان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره لصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان فى بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وفى الحديث

لطرح بالفضاء من بطن الحوت على الارض ﴿ وهو مذموم ﴾ اى يذم ويلام بالذنب وقيل فى معنى الآية لولا تداركته نعمة من ربه لبقى فى بطن الحوت الى يوم القيامة ثم ينبذ بعراء القيامة اى بارضها وفضائها فان قلت هل يدل قوله وهو مذموم على كونه كان فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة اوجه احدها ان كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه مايوجب الذم الثانى لعل المراد منه ترك الافضل فان حسنات الابرار سيآت المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل عليه قوله تعالى ﴿فاجتباه ربه﴾ والفاء للتعقيب اى اصطفاه ورد عليه الوحى وشفعه فى قومه ﴿فجعله من الصالحين﴾ اى النبيين * قوله تعالى ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ﴾ وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا النبى صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين فى بنى اسد حتى ان كانت الناقة او البقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذى المكتل والدراهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لايأكل يومين او ثلاثة ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى يسقط ماعناه فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم كما يصيب العائن بعينه مايعجبه وقيل يصرعونك وقيل يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما اراد انهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك ومنه قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى او يكاد يهلكنى يدل على صحة هذا المعنى انه قرن

على الصحراء (وهو مذموم) ملوم مذنب (فاجتباه ربه) فاصطفاه ربه بالتوبة (فجعله من الصالحين) من المرسلين (وان يكاد الذين كفروا) كفار مكة (ليزلقونك) ليصرعونك (بابصارهم) ويقال يعينونك باعينهم

(هذا)

ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اى ليهلكونك ﴿لما سمعوا الذكر﴾ اى القرآن اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ﴿ويقولون انه لمجنون﴾ حيرة فى امره وتنفيرا عنه ﴿وماهو الا ذكر للعالمين﴾ لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لايدركه ولايتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله تعالى اخلاقهم

﴿سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحاقة﴾ اى الساعة او الحالة التى يحق وقوعها او التى تحقق فيها الامور اى

هذا النظر بسماع القرآن وهو قوله ﴿لما سمعوا الذكر﴾ لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهة ويحدون النظر اليه بالبغضاء ﴿ويقولون انه لمجنون﴾ اى ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ القرآن قال الله تعالى ردا عليهم ﴿وما هو﴾ يعنى القرآن ﴿الا ذكر للعالمين﴾ قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الحسن دواء من اصابته العين ان تقرأ عليه هذه الآية (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخارى ونهى عن الوشم (م) عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شئ سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا * وعن عبيد الله بن رفاعة الزرقى ان اسماء بنت عميس كانت تقول يارسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افأسترقى لهم قال نعم ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذى * قوله العين حق اخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا فى نفسه ولايؤدى الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول فاذا اخبر الشارع بوقوعه وجب اعتقاده ولايجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد وتهلك عند مقابلة هذا الشخص الذى هو العائن لشخص آخر فتؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله * وقوله ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشياء كلها بقدر الله ولايقع شئ الا على حسب ماقدر الله وسبق به علمه ولايقع ضرر العين وغيره من الخير والشر الا بقدرة الله وفيه صحة اثبات العين وانها قوية الضرر اذا وافقها القدر والله اعلم

﴿تفسير سورة الحاقة مكية وهى اثنتان وخمسون آية ومائتان وست﴾

﴿وخمسون كلمة والف واربع وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿الحاقة﴾ يعنى القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعنى انها ثابتة

رقية العين هذه الآية (لما سمعوا الذكر) القرآن (ويقولون) حسدا على ما اوتيت من النبوة (انه لمجنون) ان محمدا لمجنون حيرة فى امره وتنفيرا عنه (وماهو) اى القرآن (الا ذكر) وعظ (للعالمين) للجن والانس يعنى انهم جننوه لاجل القرآن وما القرآن الا موعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله وقيل لما سمعوا الذكر اى ذكره عليه السلام وماهو اى محمد عليه السلام الا ذكر شرف للعالمين فكيف ينسب اليه الجنون والله اعلم

﴿سورة الحاقة احدى وخمسون آية مكية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) الساعة الواجبة

(لما سمعوا الذكر) قراءتك القرآن (ويقولون) يعنى كفار مكة (انه) يعنون محمدا (لمجنون) يختنق (وما هو) يعنى القرآن (الا ذكر) عظة (للعالمين) للجن والانس

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الحاقة وهى كلها مكية آياتها خمسون آية وكلماتها مائتان وست وخمسون وحروفها الف واربعمائة وثمانون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الحاقة

الوقوع الثابتة المجى التى هى آتية لاريب فيها من حـق يحق بالكسر اى وجب (ما الحاقة) مبتدأ وخبر وهما خبر الحاقة والاصل الحاقة ماهى اى اى شى هى تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها اى حقها ان يستفهم عنها لعظمها فوضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التهويل (وماادراك) واى شى اعلمك (ماالحاقة) يعنى انك لاعلم لك بكنهها ومدى عظمها لانه من العظم والشدة بحيث لاتبلغه دراية المخلوقين وما رفع بالابتـداء وادراك الخبر والجملة بعده فى موضع نصب لانها مفعول

ثان لادرى (كذبت ثمود وعاد بالقـارعة) اى بالحاقة فوضعت القارعة موضعها لانهـا من اسماء القيامة وسميت بها لانها تقرع النـاس بالافزاع والاهوال ولما ذكرهـا وفخمها اتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بهـا وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبـة تكذيبهم (فاما ثمـود فاهلـكوا بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وقيل الصيحة وقيل الطاغية مصدر كالعـافية اى بطغيـانهم ولكن هذا لايطابق قوله (واماعاد فاهلكوا بريح) اى بالدبور لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا و اهلـكت عاد بالدبور (صرصر) شديدة الصوت من الصرة الصيحة او باردة من الصر كانها التى كرر فيهـا البرد وكثر فهى تحرق بشـدة بردهـا (عاتية) شـديدة العصف او عتت على خزانها فلم ضبطوهـا (مقدار)

تعرف حقيقتها او تقع فيها حواق الامور من الحسـاب والجزاء على الاسناد المجازى وهى مبتدأ خبره ﴿ ما الحاقة ﴾ واصله ماهى اى اى شئ هى على التعظيم لشأنهـا والتهويل لها فوضع الظاهر موضع الضمير لانه اهول لها ﴿ وما ادراك ما الحاقة ﴾ واى شئ اعلمك ماهى اى انك لاتعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأ وادراك خبره ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقارعة ﴾ بالحـالة التى تقرع النـاس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتشار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة فى وصف شدتها ﴿ فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية ﴾ بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة وهى الصيحـة اوالرجفة لتكذيبهم بالقارعة اوبسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لايطابق قوله ﴿ واما عاد فاهلكوا بريح صرصر ﴾ اى شديد الصوت اوالبرد من الصر او الصر ﴿ عاتية ﴾ شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا

الوقوع لاريب فيها وقيل لان فيها تحقق الامور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الاعمال اى يجب وقيل الحاقة النازلة التى حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة هى التى تحق على القوم اى تقع بهم ﴿ ما الحاقة ﴾ استفهام ومعناه التفخيم لشأنها والتهويل لها والمعنى اى شئ هى الحاقة ﴿ وما ادراك ما الحاقة ﴾ اى انك لاتعلمها اذلم يعاينهـا ولم ترما فيها من الاهوال على انه من العظم والشـدة امر لاتبلغـه دراية احد ولافكر وكيف قدرت حالهـا فهى اعظم من ذلك ﴿ كذبت ثمود وعاد بالقـارعة ﴾ قال ابن عباس بالقيامة سميت قارعة لانها تقرع قلوب العباد بالمخـافة وقيل كذبت بالعـذاب الذى اوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهـم ﴿ فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية ﴾ اى بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشـديدة المجاوزة الحد فى القوة وقيل الطاغية الفرقة التى عقروا الناقة فاهلكت قوم ثمود بسببهم ﴿ واما عاد فاهلكوا بريح صرصر ﴾ اى شديدة الصوت فى الهبوب لها صرصرة وقيل هى الباردة من الصر كانها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق بشدة بردها ﴿ عاتية ﴾ اى عتت على خزنتها فلم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا

ما الحاقة) يقول السـاعة ماالساعة يعجبه بذلك (وما أدراك) يامحمد (ماالحاقة) وانما سميت الحاقة لحقائق الامور تحق للمؤمن بايمانه الجنة وتحق للكافر بكفره النار (كذبت ثمود) قوم صالح (وعاد) قوم هود (بالقارعة) بقيام الساعة وانما سميت القارعة لانها تقرع قلوبهم (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) بطغيانهم وشركهم اهلكوا ويقال طغيانهم حملهم على التكذيب حتى اهلكوا (واما عاد) قوم هود (فاهلكوا بريح صرصر) بارد (عاتية)

 لا تنقطع جمع حاسم كشهود

ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها ﴿ سخرها عليهم ﴾ سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف او صفة جيئ به لنفى مايتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب ﴿ سبع ليال وثمانية ايام حسوما ﴾ متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة الاربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى الثامن فاهلكتها ﴿ فترى القوم ﴾ ان كنت حاضرهم ﴿ فيها ﴾ فى مهابها او فى الليالى والايام ﴿ صرعى ﴾ موتى جمع صريع ﴿ كأنهم اعجاز نخل ﴾ اصول نخل ﴿ خاوية ﴾ متآكلة الاجواف ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾ من بقية او نفس باقية او بقاء ﴿ وجاء فرعون ومن قبله ﴾ ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائى ومن قبله اى ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه ﴿ والمؤتفكات ﴾ قرى قوم لوط عليه السلام

مقدار ماخرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة ﴿ سخرها عليهم ﴾ اى ارسلها وسلطها عليهم وفيه رد على من قال ان سبب ذلك كان باتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم وبين الله تعالى ان ذلك بقضائه وقدره وبمشيئته لا باتصال الكواكب ﴿ سبع ليال وثمانية ايام ﴾ ذات برد ورياح شديدة قال وهب هى الايام التى سماها العرب العجوز لانها ايام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزا لانها تأتى فى عجز الشتاء وقيل لان عجوزا من قوم عاد دخلت سربها فاتبعتها الريح حتى قتلتها ﴿ حسوما ﴾ اى متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك ان الريح المهلكة تتابعت عليهم فى هذه الايام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى اهلكتهم وقيل حسوما شؤما وقيل لهذه الايام حسوما لانها تحسم الخير عن اهلها والحسم القطع والمعنى انها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم احدا ﴿ فترى القوم فيها ﴾ اى فى تلك الليالى والايام ﴿ صرعى ﴾ اى هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت ﴿ كأنهم اعجاز نخل خاوية ﴾ اى ساقطة وقيل خالية الاجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤس ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾ اى من نفس باقية قيل انهم لما اصبحوا موتى فى اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى بقوله اعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فالقتهم فى البحر فلم يبق منهم احد * قوله تعالى ﴿ وجاء فرعون ومن قبله ﴾ قرئ بكسر القاف وفتح الباء اى ومن معه من جنوده واتباعه وقرى بفتح القاف وسكون الباء اى ومن قبله من الامم الكافرة ﴿ والمؤتفكات ﴾

تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد اخرى حتى ينحسم وجاز ان يكون مصدرا اى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا (فترى) ايها المخاطب (القوم فيها) فى مهابها او فى الليالى والايام (صرعى) حال جمع صريع (كأنهم) حال اخرى (أعجاز) اصول (نخل) جمع نخلة (خاوية) ساقطة او بالية (فهل ترى لهم من باقية) من نفس باقية او من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (وجاء فرعون ومن قبله) ومن تقدمه من الامم ومن قبله بصرى وعلى اى ومن عنده من اتباعه (والمؤتفكات) قرى قوم

شديدة عتت عصت وأبت على خزانها (سخرها) سلطها (عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما) دائما متتابعا لايفتر عنهم (فترى القوم) قوم هود (فيها) فى الايام ويقال فى الريح (صرعى) هلكى مطروحين (كأنهم اعجاز نخل) اوراك نخل (خاوية) ساقطة (فهل ترى لهم من باقية) يقول لم يبق منهم احد الا اهلكته الريح (وجاء فرعون ومن قبله) من معه من جنوده الى البحر فغرقوا فى البحر ويقال وجاء فرعون تكلم فرعون بكلمة الشرك ومن قبله ومن كان قبل فرعون من الامم الماضية (والمؤتفكات)

لوط فهى ائتفكت اى انقلبت بهم (بالخاطئة) بالخطا او بالفعلة اوبالافعال ذات الخطا العظيم (فعصوا) ا
قوم لوط (رسول ربهم) لوطا (فاخذهم اخذة رابية) شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح (ا
لماطغى الماء) ارتفع وقت الطوفان على اعلى جبل فى الدنيا خمسة عش
ذراعا (حملناكم) اى آباءكم (فى الجارية) فى سفينة نوح عليه السلام (لنجعلها) اى الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين (لكم تذكرة) عبرة وعظة (وتعيها) وتحفظها (اذن) بضم الذال غير نافع (واعية) حافظة لما تسمع قال قتادة وهى اذن عقلت عن الله وانتفعت بماسمعت (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) هى النفخة الاولى ويموت عندها الناس والثانية يبعثون عندها (وحملت الارض والجبال) رفعتا

والمراد اهلها ﴿ بالخاطئة ﴾ بالخطأ او بالفعلة والافعال ذات الخطأ ﴿ فعصوا رسول ربهم ﴾ اى فعصت كل امة رسولها ﴿ فاخذهم اخذة رابية ﴾ زائدة فى الشدة زيادة اعمالهم فى القبح ﴿ انا لما طغى الماء ﴾ جاوز حده المعتادة او طغى على خزانه وذلك فى الطوفان وهو يؤيد من قبله ﴿ حملناكم ﴾ اى آباءكم وانتم فى اصلابهم ﴿ فى الجارية ﴾ فى سفينة نوح عليه السلام ﴿ لنجعلها لكم ﴾ لنجعل الفعلة وهى انجاء المؤمنين واغراق الكافرين ﴿ تذكرة ﴾ عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته ﴿ وتعيها ﴾ وتحفظها وعن ابن كثير وتعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعى ان تحفظ الشئ فى نفسك والايعاء ان تحفظه فى غيرك ﴿ اذن واعية ﴾ من شأنها ان تحفظ مايجب حفظه لتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه معقلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف ﴿ فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ﴾ لما بالغ فى تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقييده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التى عندها خراب العالم ﴿ وحملت الارض والجبال ﴾ رفعت عن اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة اوريح

يعنى قرى قوم لوط ويريد اهل المؤتفكات وقيل يريد الامم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله ﴿ بالخاطئة ﴾ اى بالخطيئة والمعصية وهو الشرك ﴿ فعصوا رسول ربهم ﴾ قيل يعنى موسى بن عمران وقيل لوطا والاولى ان يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم ذكر الامتين جميعا ﴿ فاخذهم اخذة رابية ﴾ يعنى نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الامم ﴿ انا لما طغى الماء ﴾ اى عتا وجاوز حده حتى علا على كل شئ وارتفع فوقه وذلك فى زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو الطوفان ﴿ حملناكم فى الجارية ﴾ يعنى حملنا آباءكم وانتم فى اصلابهم فصح خطاب الحاضرين فى الجارية اى السفينة التى تجرى فى الماء ﴿ لنجعلها ﴾ اى لنجعل تلك الفعلة التى فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملنا معه ﴿ لكم تذكرة ﴾ اى عبرة وموعظة ﴿ وتعيها ﴾ اى تحفظها ﴿ اذن واعية ﴾ اى حافظة لما جاء من عند الله وقيل اذن سمعت وعقلت ما سمعت وقيل لتحفظها كل اذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتى بعد والمراد صاحب الاذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالموعظة * قوله عز وجل ﴿ فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة ﴾ يعنى النفخة الاولى ﴿ وحملت الارض والجبال ﴾ اى

المنخسفات ايضا قريات لوط وائتفكها خسفها (بالخاطئة) تكلموا بكلمة الشرك (فعصوا رسول ربهم) موسى (فأخذهم أخذة رابية) فعاقبهم عقوبة شديدة (انا لما طغى الماء) ارتفعت الماء فى زمان نوح (حملناكم) ياامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وسائر الخلق فى اصلاب
آبائكم (فى الجارية) فى سفينة نوح (لنجعلها لكم) يعنى سفينة نوح ويقال هذه القصة لكم (رفعت)
(تذكرة) عظة تتعظون بها (وتعيها اذن واعية) يحفظها قلب حافظ ويقال تسمع هذا الامر اذن سامعة فتنتف
بماسمعت (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) لاتثنى وهى نفخة البعث (وحملت الارض والجبال) يقال ماعلى الارض م

عاصفة ﴿ فدكتا دكة واحدة ﴾ فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء اوفبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لاعوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتى لاسنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية ﴿ فيومئذ ﴾ فحينئذ ﴿ وقعت الواقعة ﴾ قامت القيامة ﴿ وانشقت السماء ﴾ لنزول الملائكة ﴿ فهى يومئذ واهية ﴾ ضعيفة مسترخية ﴿ والملك ﴾ والجنس المتعارف بالملك ﴿ على ارجائها ﴾ جوانبها جمع رجى بالقصر ولعله تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم ﴾ فوق الملائكة الذين هم على الارجاء اوفوق الثمانية لانها فى نية التقديم ﴿ يومئذ ثمانية ﴾ ثمانية املاك لما روى مرفوعا انهم

رفعت من اماكنها ﴿ فدكتا دكة واحدة ﴾ اى كسرتا وفتتا حتى صارتا هباء منبثا والضمير عائد الى الارض والجبال فعبر عنهما بلفظ الاثنين ﴿ فيومئذ وقعت الواقعة ﴾ اى قامت القيامة ﴿ وانشقت السماء فهى يومئذ واهية ﴾ اى ضعيفة لتشققها ﴿ والملك ﴾ يعنى الملائكة ﴿ على ارجائها ﴾ يعنى نواحيها واقطارها وهو الذى لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالارض ومن عليها ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم ﴾ اى فوق رؤسهم يعنى الحملة ﴿ يومئذ ﴾ اى يوم القيامة ﴿ ثمانية ﴾ يعنى ثمانية املاك وجاء فى الحديث انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة آخرين فكانوا ثمانية على صورة الاوعال بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء * الاوعال تيوس الجبل وروى السدى عن ابى مالك قال ان الصخرة التى تحت الارض السابعة ومنتهى علم الخلائق على ارجائها يحملها اربعة من الملائكة لكل واحد منهم اربعة وجوه وجه انسان ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد احاطوا بالسموات والارض ورؤسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الانسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الاسد وعن ابن عباس قال صدق النبى صلى الله عليه وسلم امية بن ابى الصلت فى شئ من الشعر فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه * والنسر للاخرى وليث يرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق * عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام اخرجه ابو داود باسناد صحيح غريب * عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت جالسا فى البطحاء فى عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اذ مرت سحابة فنظروا اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذا قلنا نعم هذا السحاب

حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا (فيومئذ) فحينئذ (وقعت الواقعة) نزلت النازلة وهى القيامة وجواب اذا وقعت ويومئذ بدل من اذا (وانشقت السماء) فتحت ابوابا (فهى يومئذ واهية) مسترخية ساقطة القوة بعدما كانت محكمة (والملك) للجنس بمعنى الجمع وهو اعم من الملائكة (على ارجائها) جوانبها واحدها رجا مقصور لانها اذا انشقت وهى مسكن الملائكة فيلجؤن الى اطرافها (ويحمل عرش ربك فوقهم) فوق الملك الذين على ارجائها (يومئذ ثمانية) منهم واليوم تحمله اربعة

البنيان والجبال (فدكتا دكة واحدة) فكسرتا كسرة واحدة (فيومئذ) يوم حملت الارض والجبال (وقعت الواقعة) قامت القيامة (وانشقت السماء) لهيبة الرحمن و نزول الملائكة (فهى يومئذ واهية) منشقة ضعيفة (والملك) يعنى الملائكة (على أرجائها) حروفها وجوانبها ونواحيها واطرافها (ويحمل عرش ربك) سرير ربك (فوقهم) على اعناقهم (يومئذ) يوم القيامة ﴿ قا وخا ٤٤ س ﴾ (ثمانية) يقول ثمانية رهط من الملائكة لكل ملك اربعة وجوه

اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عددهم الا الله تعالى ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال ﴿يومئذ تعرضون﴾ تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليتعرف احوالهم هذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب ودخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل ﴿لاتخفى منكم خافية﴾ سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة فى العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة

قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والارض قالوا لا والله ما ندرى قال فان بعد ما بينهما اماقال واحدة واما قال اثنتان واما ثلاث وسبعون سنة وبعد التى فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر اعلاه واسفله كما بين سماء الى سماء وفوق ذلك ثمانية وعال بين اظلافهن وركبهن كما بين سماء الى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين اسفله واعلاه مثل مابين السماء الى السماء والله عز وجل فوق ذلك اخرجه الترمذى وابو داود زاد فى رواية وليس يخفى عليه من اعمال بنى آدم شئ * عن ابن مسعود قال مابين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء وسماء خمسمائة عام وفضاء كل سماء وارض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسى مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسى والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لايخفى عليه شئ من اعمالكم اخرجه ابو سعيد الدارمى وابن خزيمة وغيرهما موقوفا على ابن مسعود قال ابن خزيمة اختلاف خبر العباس وابن مسعود فى قدر المسافة على اختلاف سير الدواب وعن ابن عباس قال لحملة العرش قرون ما بين اخمص احدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته الى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر قال الذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى مؤخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب قال حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروى عن ابن عباس فى قوله يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لايعلم عدتهم الا الله عز وجل ﴿يومئذ تعرضون﴾ اى على الله تعالى للحساب ﴿لاتخفى منكم خافية﴾ اى فعلة خافية والمعنى انه تعالى عالم باحوالكم لا يخفى عليه شئ منها وان عرضكم يوم القيامة عليه ففيه المبالغة والتهديد وقيل معناه لايخفى منكم يوم القيامة ماكان مخفيا فى الدنيا فانه يظهر احوال الخلائق

وزيدت اربعة اخرى يوم القيامة وعن الضحاك ثمانية صفوف وقيل ثمانية اصناف (يومئذ تعرضون) للحساب والسؤال شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف احواله (لاتخفى منكم خافية) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا وبالياء كوفى غير عاصم وفى الحديث يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة فعندها تطير الصحف فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله

وجه انسان ووجه نسر ووجه اسد ووجه ثور ويقال ثمانية صفوف ويقال ثمانية اجزاء من الكروبيين وهم اهل السماء السابعة (يومئذ) وهو يوم القيامة (تعرضون) على الله ثلاث عرضات عرض للحساب والمعاذير وعرض للخصومات والقصاص وعرض لتطاير الكتب والقراءة (لاتخفى منكم خافية) لايترك منكم احد ويقال لاتخفى على الله منكم خافية احد ويقال لايخفى على الله من اعمالكم

(فاما) تفصيل للعرض (من أوتى كتابه بيمينه فيقول) سرورا به لما يرى فيه من الخيرات خطابا لجماعته (هاؤم) اسم للفعل اى خذوا (اقرؤا كتابيه) تقديره هاؤم كتابى اقرؤا كتابيه فحذف الاول لدلالة الثانى عليه والعامل فى كتابيه اقرؤا عند البصريين لانهم يعملون الاقرب والهاء فى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه للسكت وحقها ان تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثبوتها فى المصحف (انى ظننت) علمت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والاحكام ولان ما يدرك بالاجتهاد قلما يخلو عن الوسوس والخواطر وهى تفضى الى الظنون فجاز اطلاق لفظ الظن عليها لما لا يخلو عنه (انى ملاق حسابيه) معاين حسابى (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا يرضى بها صاحبها كلابن (فى جنة عالية) رفيعة المكان اورفيعة الدرجات اورفيعة المبانى والقصور وهو خبر بعد خبر (قطوفها دانية) ثمارها قريبة من مريدها ينالها القائم والقاعد والمتكئ يقال لهم (كلوا واشربوا هنيئا) اكلا وشربا هنيأ

والكسائى بالياء للفصل ﴿ فامامن اوتى كتابه بيمينه ﴾ تفصيل للعرض ﴿ فيقول ﴾ تبجحا ﴿ هاؤم اقرؤا كتابيه ﴾ هاء اسم لخذ وفيه لغات اجودها هاء يارجل وهاء يامرأة وهاؤما يارجلان او امرأتان وهاؤم يارجال وهاؤن يانسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لوكان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفى حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل واستحب الوقف لثباتها فى الامام ولذلك قرئ باثباتها فى الوصل ﴿ انى ظننت انى ملاق حسابيه ﴾ اى علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لايقدح فى الاعتقاد مايهجس فى النفس من الخطرات التى لاتنفك عنها العلوم النظرية غالبا ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ ذات رضى على النسبة بالصيغة اوجعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم ﴿ فى جنة عالية ﴾ مرتفعة المكان لانها فى السماء اوالدرجات او الابنية والاشجار ﴿ قطوفها ﴾ جمع قطف وهو مايجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر ﴿ دانية ﴾ يتناولها القاعد ﴿ كلوا واشربوا ﴾ باضمار القول وجمع الضمير للمعنى ﴿ هنيئا ﴾ اكلا وشربا هنيئا او هنئتم

فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم * عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الايدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله اخرجه الترمذى وقال ولايصح هذا الحديث من قبل ان الحسن لم يسمع من ابى هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن ابى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى ﴿ فامامن اوتى ﴾ اى اعطى ﴿ كتابه بيمينه فيقول هاؤم ﴾ اى تعالوا ﴿ اقرؤا كتابيه ﴾ والمعنى انه لما بلغ الغاية فى السرور وعلم انه من الناجين باعطاء كتابه بيمينه احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول ذلك لاهله واقربائه ﴿ انى ظننت ﴾ اى علمت وايقنت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن فى الغالب يقوم مقام العلم فى العادات والاحكام ﴿ انى ملاق حسابيه ﴾ اى فى الآخرة والمعنى انى كنت فى الدنيا استيقن انى احاسب فى الآخرة ﴿ فهو فى عيشة راضية ﴾ اى فى حالة من العيش مرضية وذلك بانه لقى الثواب وامن من العقاب ﴿ فى جنة عالية ﴾ رفيعة ﴿ قطوفها دانية ﴾ اى ثمارها قريبة لمن يتناولها ينالها قائما وقاعدا ومضطجعا يقطفونها كيف شاؤا ﴿ كلوا ﴾ اى يقال لهم كلوا ﴿ واشربوا هنيئا ﴾

شئ (فأمامن اوتى) أعطى (كتابه بيمينه) وهو ابو سلمة ابن عبد الاسد زوج ام سلمة وكان مسلما (فيقول) لاصحابه (هاؤم) تعالوا (اقرؤا كتابيه) انظروا ما فى كتابى من الثواب والكرامة (انى ظننت) علمت وايقنت (أنى ملاق حسابيه) معاين حسابى (فهو فى عيشة راضية) فى عيش قد رضيه لنفسه اى مرضية (فى جنة عالية) مرتفعة (قطوفها) ثمرها واجتناؤها (دانية) قريبة يناله القاعد والقائم (كلوا) يقول الله لهم كلوا من الثمر (واشربوا) من الانهار (هنيئا) بلاداء ولاموت

لا مكروه فيهما ولا اذى اوهنئتم هنيأ على المصدر (بما اسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من ايام الدنيا وعن ابن عباس هى فى الصائمين اى كلوا واشربوا بدل ماامسكتم على الاكل والشرب لوجه الله (واما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه) لما يرى فيها من الفضائح (ولم أدر ماحسابيه) اى ياليتنى لم اعلم ماحسابى (ياليتها) ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) اى القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها ولم الق ما القى (مااغنى عنى ماليه) اى لم ينفعنى ما جمعته فى الدنيا فما نفى والمفعول محذوف اى شيأ (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ضلت عنى حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا فيقول الله تعالى لخزنة جهنم (خذوه فغلوه) اى اجمعوا يديه الى عنقه (ثم الجحيم صلوه) اى ادخلوه يعنى ثم لاتصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى او نصب الجحيم بفعل يفسره صلوه (ثم فى سلسلة ذرعها) طولها (سبعون ذراعا) بذراع

(بما سلفتم) بما قدمتم من العمل الصالح ويقال من الصوم والصلاة (فى الايام الخالية) الماضية يعنى ايام الدنيا (واما من اوتى) اعطى (كتابه بشماله) وهو الاسود بن عبد الاسد اخو ابى سلمة وكان كافر (فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه) لم اعط كتابى هذا (ولم ادر ماحسابيه) لم اعلم حسابى (ياليتها كانت القاضية) تمنى الموت يقول ياليتنى بقيت على موت الاول (ما غنى عنى) من عذاب الله (ماليه) مالى الذى جمعت فى الدنيا (هلك عنى سلطانيه) بطل عنى حجتى وعذرى فيقول الله للملائكة (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ادخلوه (ثم فى سلسلة ذرعها) طولها وباعها (سبعون ذراعا) بذراع الملك ويقال باعا (كلا)

هنيئا ﴿ بما اسلفتم ﴾ بما قدمتم من الاعمال الصالحة ﴿ فى الايام الخالية ﴾ الماضية من ايام الدنيا ﴿ واما من اوتى كتابه بشماله فيقول ﴾ لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة ﴿ ياليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ماحسابيه ياليتها ﴾ ياليت الموت التى متها ﴿ كانت القاضية ﴾ القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها او ياليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضيت على كانه صادفها امر من الموت فتمناه عندها او ياليت حياة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ﴿ ما اغنى عنى ماليه ﴾ مالى من المال والتبع ومانفى والمفعول محذوف اواستفهام انكار مفعول لاغنى ﴿ هلك عنى سلطانيه ﴾ ملكى وتسلطى على الناس اوحجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا وقرأ حمزة عنى مالى عنى سلطانى بحذف الهاءين فى الوصل والباقون باثباتهما فى الحالين ﴿ خذوه ﴾ يقوله الله تعالى لخزنة النار ﴿ فغلوه ثم الجحيم صلوه ﴾ ثم لاتصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ﴿ ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ﴾ اى طويلة

بما اسلفتم ﴾ اى بما قدمتم لآخرتكم من الاعمال الصالحة ﴿ فى الايام الخالية ﴾ اى الماضية يريد ايام الدنيا ﴿ واما من اوتى كتابه بشماله ﴾ قيل تلوى يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره الى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها ﴿ فيقول ياليتنى لم اوت كتابيه ﴾ وذلك لما نظر فى كتابه ورأى قبائح اعماله مثبتة عليه تمنى انه لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح ﴿ ولم ادر ماحسابيه ﴾ اى لم ادر اى شئ حسابى لانه لاطائل ولاحاصل له وانما كله عليه لاله ﴿ ياليتها كانت القاضية ﴾ تمنى انه لم يبعث للحساب والمعنى ياليت الموتة التى متها فى الدنيا كانت القاضية عن كل مابعدها والقاطعة للحياة اى ما احيا بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شئ عنده اكره منه اليه اى من الموت فى الدنيا لانه رأى تلك الحالة اشنع وامر مما ذاقه من الموت ﴿ ماغنى عنى ماليه ﴾ اى لم يدفع عنى يسارى ومالى من العذاب شيأ ﴿ هلك عنى سلطانيه ﴾ اى ضلت عنى حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حين شهدت عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عنى ملكى وقوتى وتسلطى على الناس وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا ﴿ خذوه ﴾ اى يقول الله تعالى لخزنة جهنم خذوه ﴿ فغلوه ﴾ اى اجمعوا يديه الى عنقه ﴿ ثم الجحيم صلوه ﴾ اى ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم فى الدنيا ﴿ ثم فى سلسلة ﴾ وهى حلق منتظمة كل حلقة منها فى حلقة ﴿ ذرعها ﴾ اى مقدارها والذرع التقدير بالذراع من اليد اوغيرها ﴿ سبعون ذراعا ﴾ قال ابن عباس بذراع الملك وقال نوفل البكالى سبعون ذراعا

الملك عن ابن جريج وقيل لايعرف قدرها الا الله (فاسلكوه) فادخلوه والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية (انه) تعليل كانه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فاجيب بانه (كان لايؤمن بالله العظيم ولايحض على طعام المسكين) على بذل طعام المسكين وفيه اشارة الى انه كان لايؤمن بالبعث لان الناس لايطلبون من المساكين فيما يطعمونهم وانما يطعمونهم لوجه الله ورجاء الثواب فى الآخرة فاذا لم يؤمن بالبعث لم يكن له مايحمله على اطعامهم اى انه مع كفره لايحرض غيره على اطعام المحتاجين وفيه دليل قوى على عظم جرم حرمان المسكين لانه عطفه على الكفر وجعله دليلا عليه وقرينة له ولانه ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك الحض اذا كان بهذه المنزلة فتارك الفعل احق وعن ابى الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان فلنخلع نصفها بهذا وهذه الآيات ناطقة على ان المؤمنين يرحمون جميعا والكافرين لايرحمون لانه قسم الخلق نصفين فجعل صنفا منهم اهل اليمين ووصفهم بالايمان فحسب بقوله انى ظننت انى ملاق حسابيه وصنفا منهم اهل الشمال ووصفهم بالكفر بقوله انه كان لايؤمن بالله العظيم وجاز ان الذى يعاقب من المؤمنين انما يعاقب قبل ان يؤتى كتابه بيمينه (فليس له اليوم ههنا حميم)قريب يرفع عنه ويحترق له قلبه (ولاطعام الا من غسلين) غسالة اهل النار

﴿فاسلكوه﴾ فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لايقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع مايعذب به وثم لتفاوت ما بينها فى الشدة ﴿انه كان لايؤمن بالله العظيم﴾ تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم فيها استوجب ذلك ﴿ولايحض على طعام المسكين﴾ ولايحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا عن ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرزائل البخل وقسوة القلب ﴿فليس له اليوم ههنا حميم﴾ قريب يحميه ﴿ولاطعام الا من غسلين﴾ غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل

كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان فى رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن الله اعلم اى ذراع هو * عن عبدالله ابن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان رضاضة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولوانها ارسلت فى رأس السلسلة لسارت اربعين خريفا الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن * الرضاض الحصباء الصغار * وقوله مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة * الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الرأس وهو اشرف الاعضاء وقال وهب لو جمع حديد الدنيا ماوزن حلقة منها * وقوله تعالى ﴿فاسلكوه﴾ اى ادخلوه فيها قال ابن عباس تدخل فى دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل فى فيه وتخرج من دبره ﴿انه كان لايؤمن بالله العظيم﴾ اى لايصدق بوحدانية الله وعظمته ﴿ولايحض على طعام المسكين﴾ اى ولايحث نفسه على اطعام المسكين ولايأمر اهله بذلك وفيه دليل على تعظيم الجرم فى حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينه قال الحسن فى هذه الآية ادركت اقواما يعزمون على اهليهم ان لايردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يأمر اهله بتكثير المرقة لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف الثانى بالاطعام ﴿فليس له اليوم ههنا حميم﴾ اى ليس له فى الآخرة قريب ينفعه ويشفع له ﴿ولاطعام الا من غسلين﴾ يعنى صديد

(فاسلكوه) فادخلوه فى دبره واخرجوه من فمه والو وامافضل على عنقه (انه كان لايؤمن بالله العظيم) اذ كان فى الدنيا (ولايحض) لايحث (على طعام المسكين) على صدقة المسكين (فليس له اليوم ههنا حميم) قريب ينفعه (ولاطعام) فى النار (الامن غسلين)

فعلين من الغسل والنون زائدة واريد به هنا مايسيل من ابدانهم من الصديد والدم (لايأكله الا الخاطئون) الكافرون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب

(فلا أقسم بما تبصرون) من الاجسام والارض والسماء (ومالاتبصرون) من الملائكة والارواح فالحاصل انه اقسم بجميع الاشياء (انه) اى ان القرآن (لقول رسول كريم) اى محمد صلى الله عليه وسلم او جبريل عليه السلام اى يقول ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) كما تدعون

من عصارة اهل النار وهى ما يسيل من بطونهم وجلودهم من القيح والدم والصديد (لايأكله) يعنى الغسلين (الا الخاطئون) المشركون (فلا اقسم) يقول اقسم (بما تبصرون) من شئ (وما لاتبصرون) من شئ يا اهل مكة ويقال بما تبصرون يعنى السماء والارض وما لاتبصرون يعنى الجنة والنار ويقال بما تبصرون يعنى الشمس والقمر وما لا تبصرون العرش والكرسى ويقال بما تبصرون يعنى محمدا عليه السلام وما لا تبصرون

يعنى جبريل اقسم الله بهؤلاء الاشياء (انه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يقول (ولا) القرآن قول الله نزل به جبريل على رسول كريم يعنى محمدا عليه السلام (وما هو) يعنى القرآن (بقول شاعر)

﴿ لايأكله الا الخاطئون ﴾ اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها ﴿ فلا اقسم ﴾ لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فاقسم ولا مزيدة او فلارد لانكارهم البعث وقسم مستأنف ﴿ بما تبصرون وما لاتبصرون ﴾ بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها ﴿ انه ﴾ ان القرآن ﴿ لقول رسول ﴾ يبلغه عن الله فان الرسول لايقول عن نفسه ﴿ كريم ﴾ على الله وهو محمد او جبرائيل عليهما الصلاة والسلام ﴿ وما هو بقول شاعر ﴾ كما تزعمون تارة

اهل النار مأخوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم وقيل هو شجر يأكله اهل النار ﴿ لايأكله الا الخاطئون ﴾ اى الكافرون * قوله عز وجل ﴿ فلا اقسم ﴾ قيل ان لا صلة والمعنى اقسم وقيل لارد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل لاههنا نافية للقسم على معنى انه لايحتاج اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لااقسم على ان القرآن قول رسول كريم فكانه لوضوحه استغنى عن القسم * وقوله ﴿ بما تبصرون وما لاتبصرون ﴾ يعنى بما ترون وتشاهدون وبما لاترون وما لاتشاهدون اقسم بالاشياء كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا والآخرة وقيل بما تبصرون يعنى على ظهر الارض وما لاتبصرون اى ما فى بطنها وقيل بما تبصرون يعنى الاجسام وما لاتبصرون يعنى الارواح وقيل بما تبصرون يعنى الانس وما لاتبصرون يعنى الملائكة والجن وقيل بما تبصرون من النعم الظاهرة وما لاتبصرون من النعم الباطنة وقيل بما تبصرون هو ما اظهره الله من مكنون غيبه للملائكة واللوح والقلم وجميع خلقه وما لاتبصرون هو ما استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه احدا من خلقه * ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى ﴿ انه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ يعنى تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل لرسول هو جبريل عليه السلام فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والقول الاول اصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر والكهانة وانما وصفوا بهما محمدا صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه ههنا سؤال وهو ان جمهور الامة وهم اهل السنة مجمعون على ان القرآن كلام الله فكيف يصح اضافته الى لرسول قلت اما اضافته الى الله تعالى فلانه هو المتكلم به واما اضافته الى الرسول فلانه هو المبلغ عن الله تعالى ما اوحى اليه ولهذا اكده بقوله تنزيل من رب العالمين لزوال هذا الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول وانما اراد انه قول لرسول مبلغ عن الله تعالى وفى الرسول مايدل على ذلك فاكتفى به عن ان يقول عن الله تعالى * وقوله تعالى ﴿ وما هو بقول شاعر ﴾ يعنى ان هذا القرآن ليس بقول رجل شاعر ولا هو ضروب الشعر

(قليلا ما تؤمنـون ولا بقول كاهن) كما تقولون (قليلا ما تذكرون) وبالياء فيهما مكى وشامى ويعقوب وسهل وبتخفيف الذال كوفى غير ابى بكر والقلة فى معنى العدم يقال هذه ارض قلما تنبت اى لاتنبت اصلا والمعنى لا تؤمنون ولاتذكرون البتة (تنزيل) هو تنزيل بيانا لانه قول رسـول نزل عليـه (من رب العالمين ولو تقول علينـا بعض الاقاويل) ولوادعى علينا شيأ لم نقله (لاخـذنا منه باليمين) لقتلناه صـبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهـول وهو ان يؤخذ بيـده وتضرب رقبته وخص اليمين لان القتـال اذا اراد ان يوقع الضرب فى قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقعه فى جيده وان يكفحه بالسيف وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا منه باليمين لاخذنا بيمينه وكذا (ثم لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهو مناط القلب اذا قطع مات

﴿ قليلا ما تؤمنون ﴾ تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقـا قليلا لفرط عنادكم ﴿ ولا بقول كاهن ﴾ كما تدعون اخرى ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يتلبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع نفى الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لاينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسـول صلى الله تعالى عليه وسلم ومعانى القرآن المنافية لطريق الكهنة ومعانى اقوالهم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما ﴿ تنزيل ﴾ هو تنزيل ﴿ من رب العالمين ﴾ نزله على لسان جبريل عليه السلام ﴿ ولو تقول علينا بعض الاقاويل ﴾ سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كانهـا جمع افعولة من القول كالاضاحيك ﴿ لاخذنا منه باليمين ﴾ بيمينه ﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعلـه الملوك بمن يغضبون

ولا تركيه ﴿ قليـلا ما تؤمنون ﴾ اراد بالقليل عـدم ايمانهم اصـلا والمعنى انكم لاتصدقون بان القرآن من عند الله تعالى ﴿ ولا بقول كاهن ﴾ اى وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهـانة ﴿ قليلا ما تذكرون ﴾ يعنى لا تتذكرون البتة ﴿ تنزيل ﴾ اى هو تنزيل يعنى القرآن ﴿ من رب العالمين ﴾ وذلك انه لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العـالمين ليزول هذا الاشـكال * قوله تعالى ﴿ ولو تقول علينا ﴾ اى اختلق علينا محمد ﴿ بعض الاقاويل ﴾ يعنى أتى بشئ من عند نفسـه لم نقله نحن ولم نوحه اليه ﴿ لاخـذنا منه باليمين ﴾ اى لاخذناه بالقوة والقدرة وانتقمنا منه باليمين اى بالحق قال ابن عباس لاخذناه بالقوة والقدرة قال الشماخ يمدح عرابة الملك اليمين

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

اى بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شئ فى ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين اى سلبناه القوة فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الآية لاذللناه واهناه كفعل السـلطان بمن يريد ان يهينه يقول لبعض اعوانه خذ بيده فأقمه وانما خص اليمين بالذكر لانه اشرف العضوين ﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ قال ابن عباس يعنى نياط القلب وقيل هو حبل الظهر وقيل هو عرق يجرى فى الظهر حتى يتصل بالقلب فاذا انقطع مات صـاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالرأس قال ابن قتيبة لم يرد انا نقطعه بعينه بل المراد منـه انه لو كذب علينـا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة

بنشئه (قليلا ما تؤمنون) يقول ما تؤمنون بقليل ولا بكثير (ولا بقول كاهن) بخبر بما فى الغد (قليلا ما تذكرون) ما تتعظون بقليل ولا بكثير (تنزيل) يقول القرآن تنزيل على محمد صلى الله عليه وسلم (من رب العالمين ولو تقول علينا)ولو اختلق علينا محمد عليه السلام (بعض الاقاويل)من الكذب فقال علينا ما لم نقله (لاخذنا) لانتقمنا (منه باليمين) بالحق والحجة ويقال اخذناه بالقوة (ثم لقطعنا منه) من محمد عليه السلام (الوتين)عرق قلبه وهو

صاحبه (فما منكم) الخطاب للناس او للمسلمين (من احد) من زائدة (عنه) عن قتل محمد وجمع (حاجزين) وان كان وصف احد لانه في معنى الجماعة ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله (وانه) وان القرآن (لتذكرة) لعظة (للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه) وان القرآن (لحسرة على الكافرين) به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين (وانه) به وان القرآن (لحق اليقين) لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله

﴿سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية﴾

عليه وهو ان يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب به جيده وقيل اليمين بمعنى القوة ﴿فما منكم من احد عنه﴾ عن القتل او المقتول ﴿حاجزين﴾ دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس ﴿وانه﴾ وان القرآن ﴿لتذكرة للمتقين﴾ لانهم المنتفعون به ﴿وانا لنعلم ان منكم مكذبين﴾ فيجازيهم على تكذيبهم ﴿وانه لحسرة على الكافرين﴾ اذا رأوا ثواب المؤمنين ﴿وانه لحق اليقين﴾ لليقين الذى لا ريب فيه ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة المعارج مكية وآيها اربع واربعون﴾

الحجة عليه بان نقيض له من يعارضه ويظهر للناس كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته ﴿فما منكم من احد عنه حاجزين﴾ اى مانعين يحجزوننا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم مع علمه انه لو تكلمه لعاقبناه ولا يقدر احد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين بلفظ الجمع وهو وصف احد ردا على معناه ﴿وانه﴾ يعنى القرآن وذلك انه لما وصفه بانه تنزيل من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال تعالى ﴿لتذكرة﴾ اى لعظة ﴿للمتقين﴾ اى لمن اتقى عقاب الله ﴿وانا لنعلم ان منكم مكذبين﴾ فيه وعيد لمن كذب بالقرآن ﴿وانه﴾ يعنى القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾ يعنى يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك الايمان به لما يرون من ثواب من آمن به ﴿وانه لحق اليقين﴾ معناه انه حق معين لا بطلان فيه ويقين لا شك ولا ريب فيه ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ اى نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك اهلا لايحائه اليك والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة سأل سائل وتسمى المعارج مكية وهي اربع﴾

﴿واربعون آية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة﴾

﴿وتسعة وعشرون حرفا﴾

نياط قلبه (فما منكم من احد عنه حاجزين) يقول فليس منكم احد يحجزنا عن محمد عليه السلام (وانه) يعنى القرآن (لتذكرة) عظة (للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (وانا لنعلم ان منكم مكذبين) بالقرآن ومصدقين به (وانه) يعنى القرآن (لحسرة) ندامة (على الكافرين) يوم القيامة (وانه) يعنى القرآن (لحق اليقين) حقا يقينا انه كلامي نزل به جبريل على رسول كريم ويقال وانه الذى ذكرت من الحسرة والندامة على الكافرين لحق اليقين يقول حقا يقينا ان تكون عليهم الحسرة والندامة يوم القيامة (فسبح باسم ربك) فصل بامر ربك (العظيم) ويقال اذكر توحيد ربك العظيم اعظم كل شئ ﴿ومن السورة التى يذكر فيها المعارج وهي كلها مكية آياتها اربع واربعون وكلماتها مائتان وست عشرة وحروفها ثمانمائة واحد وستون﴾

﴿بسم﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ اى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء. والسائل هو نضر بن الحرث فانه قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او ابو جهل فانه قال فأسقط علينا كسفا من السماء ساله استهزاء او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال

سالت هذيل رسول الله فاحشة * ضلت هذيل بما سالت ولم تصب

اومن السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو قتل بدر اوفى الآخرة وهو عذاب النار ﴿ للكافرين ﴾ صفة اخرى لعذاب اوصلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمين سال معنى اهتم ﴿ ليس له دافع ﴾ يرده ﴿ من الله ﴾ من جهته لتعلق ارادته به ﴿ ذى المعارج ﴾ ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح اويترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة اوفى السموات فان الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ سأل سائل ﴾ قرئ بغير همزة وفيه وجهان الاول انه لغة فى السؤال والثانى انه من السيل ومعناه اندفع عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من اودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمزة من السؤال ﴿ بعذاب ﴾ قيل الباء بمعنى عن اى عن عذاب ﴿ واقع ﴾ اى نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله تعالى مجيبا لذلك السؤال ﴿ للكافرين ﴾ وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبى صلى الله عليه وسلم بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا فسألوه فانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين اى هو للكافرين والباء صلة ومعنى الآية دعا داع وطلب طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه وسأل العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فنزل به ما سأل فقتل يوم بدر صبرا وهذا قول ابن عباس ﴿ ليس له دافع ﴾ اى ان العذاب واقع بهم لامحالة سواء طلبوه اولم يطلبوه اما فى الدنيا بالقتل واما فى الآخرة لان العذاب واقع بهم فى الآخرة لايدفعه عنهم دافع ﴿ من الله ﴾ اى بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع يدفعه عنهم ﴿ ذى المعارج ﴾ قال ابن عباس ذى السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل ذى الدرجات وهى المصاعد التى تعرج الملائكة فيها وقيل ذى الفواضل والنعم وذلك لان افضاله وانعامه مراتب وهى تصل الى الخلق

هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او هو النبى صلى الله عليه وسلم دعا بنزول العذاب عليهم ولما ضمن سال معنى دعا عدى تعديته كانه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وسال بغير همز مدنى وشامى وهو من السؤال ايضا الا انه خفف بالتليين وسائل مهموز اجماعا (للكافرين) صفة لعذاب اى بعذاب واقع كائن للكافرين (ليس له) لذلك العذاب (دافع) راد (من الله) متصل بواقع اى واقع من عنده او بدافع اى ليس له دافع من جهته تعالى اذا جاء وقته (ذى المعارج) اى مصاعد السماء للملائكة

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سأل سائل) يقول دعا داع وهو النضر ابن الحرث (بعذاب واقع) نازل (للكافرين) على الكافرين وهو من الكافرين (ليس له) للعذاب (دافع) مانع فقتل يوم بدر صبرا (من الله) يأتى هذا العذاب على الكافرين (ذى المعارج)

ثم وصف المصاعد وبعد مداها فى العل
يعرجون فيها ﴿ تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴾ استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين الف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السما الدنيا على ماقيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيامة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة مافيه من الحالات على مراتب مختلفة ﴿ تعرج الملائكة والروح ﴾ يعنى جبريل عليه صلاة والسلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لشرفه وفضل منزلته وقيل ان لله تعالى اذا ذكر الملائكة فى معرض التخويف والتهويل فرد الروح بالذكر وهذا يقتضى ان الروح اعظم الملائكة ﴿ اليه ﴾ اى الى الله عز وجل ﴿ فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ﴾ اى من سنى الدنيا والمعنى انه لو صعد غير الملك من بنى آدم من منتهى امر الله تعالى من اسفل الارض السابعة الى منتهى امر الله تعالى من فوق السماء السابعة لما صعد فى اقل من خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك كله فى ساعة واحدة او اقل من ذلك وذكر ان مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش مسافة خمسين الف سنة وقيل ان ذلك اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة واراد ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس فى مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا وليس معنى ان مقدار طول ذلك اليوم خمسون الف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيامة له اول وليس له آخر لانه يوم ممدود لا آخر له ولو كان له آخر كان منقضيا وهذا الطول فى حق الكفار دون المؤمنين قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوى بسنده عن ابى سعيد الخدرى قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم غير الله لم يفرغ منه فى خمسين الف سنة وقال عطاء ويفرغ الله تعالى منها فى مقدار نصف يوم من ايام الدنيا وقال الكلبى يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين الف سنة وانا افرغ منه فى ساعة من نهار وقال يمان هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة فعلى هذا يكون المعنى

جمع معرج وهو موضع والارتفاع فقال (تعرج) تصعد وبالياء على (الملائكة والروح) اى جبريل عليه السلام خصه بالذكر بعد العموم لفضله وشرفه او خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة علينا او ارواح المؤمنين عند الموت (اليه) الى عرشه ومهبط امره (فى يوم) من صلة تعرج (كان مقداره خمسين الف سنة) من سنى الدنيا لو صعد فيه غير الملك او من صلة واقع اى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون الف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة فاما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار او لانه على الحقيقة كذلك فقد قيل فيه خمسون موطنا لكل موطن الف سنة وماقدر ذلك عن المؤمن الا كما بين

خالق السموات (تعرج الملائكة والروح) يعنى جبريل (اليه) الى الله (فى يوم كان مقداره) مقدار الصعود على غير الملائكة (خمسين الف سنة) ويقال من الله يأتى هذا العذاب على الكافرين فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ويقال لو ولى محاسبة الخلائق الى احد غير الله لم يفرغ منه خمسين الف سنة

(لبس)

ظهر والعصر (فاصبر) متعلق بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بالصبر عليه (صبرا جميلا) بلاجزع ولاشكوى (انهم) ان الكفار (يرونه) اى العذاب او يوم القيامة (بعيدا) مستحيلا (ونراه قريبا) كائنالامحالة فالمراد بالبعيد البعد من الامكان وبالقريب القرب منه نصب (يوم تكون السماء) بقريبا اى يمكن فى ذلك اليوم اوهو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردى الزيت او كالفضة المذابة فى تلونها (وتكون الجبال كالعهن) كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولايسأل حميم حميما) لايسأل قريب عن قريب لاشتغاله بنفسه وعن البزى والبرجمى بضم الياء اى لا يسئل قريب عن قريب اى لا يطالب به ولايؤخذ بذنبه (يبصرونهم) صفة اى حميما مبصرين معرفين

والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرائيل وافراده لفضله اوخلق اعظم من الملائكة ﴿فاصبر صبرا جميلا﴾ لايشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء وتعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصرة او بسأل لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر شارفت الانتقام ﴿انهم يرونه﴾ الضمير للعذاب او ليوم القيامة ﴿بعيدا﴾ من الامكان ﴿ونراه قريبا﴾ منه او من الوقوع ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ ظرف لقريبا اى يمكن يوم تكون السماء او لمضمر دل عليه واقع اوبدل من فى يوم ان علق به والمهل المذاب من مهل كالفلزات او دردى الزيت ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف المصبوغ الوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت فى الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ﴿ولايسأل حميم حميما﴾ ولايسأل قريب قريبا عن حاله وقرأ ابن كثير ولايسأل على بناء المفعول اى لايطلب من حميم اولايسأل منه حاله ﴿يبصرونهم﴾

ليس له دافع من الله فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقيل معناه سأل سائل بعذاب واقع فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وفيه تقديم وتأخير ﴿فاصبر﴾ اى يا محمد على تكذيبهم اياك ﴿صبرا جميلا﴾ اى لاجزع فيه وهذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ باية السيف ﴿انهم يرونه﴾ اى العذاب ﴿بعيدا﴾ اى غير كائن ﴿ونراه قريبا﴾ اى كائنا لا محالة لان كل ما هو آت قريب وقيل الضمير فى يرونه بعيدا يعود الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن نراه قريبا فى قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ اى كعكر الزيت وقال الحسن كالفضة المذابة ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ اى الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال بالمصبوغ من الصوف لانها ذات الوان احمر وابيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست الجبال وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف واول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا ﴿ولا يسأل حميم حميما﴾ اى لا يسأل قريب قريبه لشغله بشأن نفسه والمعنى لايسأل الحميم حميمه كيف حالك ولا يكلمه بهول ذلك اليوم وشدته وقيل لايسأله لشفاعة ولا يسأله الاحسان اليه ولا الرفق به كما كان يسأله فى الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة ﴿يبصرونهم﴾ اى يرونهم وليس فى القيامة مخلوق من جن او انس الا وهو نصب عين

(فاصبر) على اذاهم يا محمد (صبرا جميلا) بلاجزع لا فحش ويقال فاعتزل عنهم اعتزالا جميلا بلا جزع ولافحش فامر بعد ذلك بالقتال (انهم) كانوا يعنى كفار مكة (يرونه) يعنى العذاب يوم القيامة (بعيدا) غير كائن (ونراه قريبا) كائنا لان كل آت كائن قريب ثم بين عذابهم متى يكون فقال (يوم تكون السماء) تصير السماء (كالمهل) كدردى الزيت ويقال كالفضة المذابة (وتكون) تصير (الجبال كالعهن) كالصوف المندوف (ولايسأل حميم حميما) قرابة عن قرابة (يبصرونهم)

اياهم اومستأنف كانه لماقال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم والواو ضمير الحميم الاول وهم ضمير الحميم الثانى اى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم وانما جمع الضميران وهما للحميمين لان فعيلا يقع موقع الجمع (يود المجرم) يتمنى المشرك وهو مستأنف اوحال من الضمير المرفوع اوالمنصوب من يبصرونهم (اويفتدى من عذاب يومئذ) وبالفتح مدنى وعلى على البناء للاضافة الى غير متمكن (ببنيه وصاحبته)وزوجته(واخيه وفصيلته)وعشيرته الادنين (التى تؤويه) تضمه انتماء اليها وبغير همز زيد (ومن فى الارض جميعا) من النـاس (ثم ينجيه) الافتداء عطف على يفتدى (كلا) رد للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعـه الافتداء ولا ينجيه من العـذاب (انها) ان النـار ودل ذكر العذاب عليها اوهو ضمير مبهم ترجم عنه الخبر اوضمير القصة (لظى) علم للنار (نزاعة) حفص والمفضل على الحال المؤكدة اوعلى الاختصاص للتهويل وغـيرها بالرفع خبر بعد خبر لان اوعلى هى نزاعة (للشـوى) لاطراف الانسان كاليدين والرجلين او جمع شواة وهى جلدة الرأس تنزعها نزعا فتفرقها ثم تعود الى

استئناف او حال يدل على ان المانع عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغنى عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم ﴿ يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته واخيه ﴾ حال من احد الضميرين اواستئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدى باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل عنها وقرأ نافع والكسائى بفتح ميم يومئذ وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ لانه بمعنى تعذيب ﴿ وفصيلته ﴾ وعشيرته الذين فصل عنهم ﴿ التى تؤويه ﴾ تضمه فى النسب اوعند الشدائد ﴿ ومن فى الارض جميعا ﴾ من الثقلين اوالخلائق ﴿ ثم ينجيه ﴾ عطف على يفتدى اى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد ﴿ كلا ﴾ ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه ﴿ انها ﴾ الضمير للنار او مبهم يفسره ﴿ لظى ﴾ وهو خبر او بدل اوللقصة ولظى مبتدأ خبره ﴿ نزاعة للشوى ﴾ وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم

صاحبه فيبصر الرجل اباه واخاه وقرابته فلا يسألهم ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسـه وقال ابن عباس يتعارفون سـاعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله لشغله بنفسـه وقيل يبصرونهم اى يعرفونهم اما المؤمن فيعرف ببيـاض وجهه واما الكافر فيعرف بسـواد وجهه ﴿ يود المجرم ﴾ اى يتمنى المشرك ﴿ لو يفتدى من عذاب يومئذ ﴾ اى عـذاب يوم القيامة ﴿ ببنيه وصاحبته ﴾ اى زوجته ﴿ واخيه وفصيلته ﴾ اى عشـيرته وقيل قبيلته وقيل اقربائه الاقربين ﴿ التى تؤويه ﴾ اى تضمه ويأوى اليهـا ﴿ ومن فى الارض جميعـا ﴾ يعنى انه يتمنى لو ملك هؤلاء وكانوا تحت يده ثم انه يفتدى بهم جميعا ﴿ ثم ينجيه ﴾ اى ذلك الفداء من عذاب الله ﴿ كلا ﴾ اى لا ينجيه من عذاب الله شئ ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ انها لظى ﴾ يعنى النار ولظى اسم من اسمائها وقيل الدركة الثانية من النار سميت لظى لانها تتلظى اى تلتهب ﴿ نزاعة للشوى ﴾ يعنى الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك عليها لحما ولا جلدا وقال ابن عبـاس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تأكله فذلك دأبهـا وقيل لمكارم

رونهم ولا يعرفونهـم اشتغالا بأنفسهم (يود) يتمنى (المجرم) يعنى المشرك ابا جهل واصحابه ويقـال النضر واصحابه (لو يفتدى) يفادى نفسه (من عذاب يومئذ) يوم القيامة (ببنيه) اولاده (وصاحبته) (خلقه) زوجته (واخيه) من ابيه وامه (وفصيلته) وبقرابته وعشيرته (التى تؤويه) تنتمى اليها (ومن فى الارض جميعا) وبمن فى الارض جميعا (ثم ينجيه) اى الله من العذاب (كلا) حقا وهو رد عليه لا ينجيه الله من العذاب (انها لظى) يعنى اسما من اسماء النار (نزاعة للشوى) قلاعة لاعضاء اليدين والرجلين وسـائر الاعضاء ويقال حراقة للبدن

ماكانت (تدعو) باسمائهم ياكافر يامنافق الى الى اوتهلك من قولهم دعاك الله اي اهلكك او لما كان مصيره اليها جعلت كأنها دعته (من أدبر) عن الحق (وتولى) عن الطاعة (وجمع) المال (فاوعى) فجعله فى وعاء ولم يؤد حق الله منه (ان الانسان) اريد به الجنس ليصح استثناء المصلين منه (خلق هلوعا) عن ابن عباس رضى الله عنهما تفسيره مابعده (اذامسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وسأل محمد بن عبدالله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال قد فسره الله تعالى ولايكون تفسيرا بين من تفسيره وهو الذى اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس وهذا طبعه وهو مأمور بمخالفة طبعه وموافقة شرعه والشر الضر والفقر والخير السعة والغنى او المرض والصحة (الا المصلين الذين هم على صلوتهم) اى صلواتهم الخمس (دائمون) اى يحافظون عليها فى مواقيتها

نزاعة بالنصب على الاختصاص او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع شواة وهى جلدة الرأس ﴿تدعو﴾ تجذب وتحضر كقول ذى الرمة * تدعو انفه الريب * مجاز من جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه ﴿من ادبر﴾ عن الحق ﴿وتولى﴾ عن الطاعة ﴿وجمع فاوعى﴾ وجمع المال فجعله فى وعاء وكنزه حرصا وتاملا ﴿ان الانسان خلق هلوعا﴾ شديد الحرص قليل الصبر ﴿اذا مسه الشر﴾ الضر ﴿جزوعا﴾ يكثر الجزع ﴿واذا مسه الخير﴾ السعة ﴿منوعا﴾ يبالغ فى الامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذ الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا ﴿الا المصلين﴾ استثناء للموصوفين بالصفات المذكورة بعد من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق فى طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة عن الانهماك فى حب العاجل وقصور النظر عليها ﴿الذين هم على صلوتهم دائمون﴾ لايشغلهم عنها

خلقه ومحاسن وجهه واطرافه ﴿تدعو﴾ يعنى النار الى نفسها ﴿من ادبر﴾ اى عن الايمان ﴿وتولى﴾ اى عن الحق فتقول له الى يامشرك الى يامنافق الى الى قال ابن عباس تدعو الكافر والمنافق بأسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقيل تدعو اى تعذب قال اعرابى لآخر دعاك الله اى عذبك الله ﴿وجمع فأوعى﴾ يعنى وتدعو من جمع المال فى الوعاء ولم يؤد حق الله منه ﴿ان الانسان خلق هلوعا﴾ قال ابن عباس الهلوع الحريص على ما لا يحل وقيل شحيحا بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب والهلع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى ﴿اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا﴾ يعنى اذا اصابه الفقر لم يصبر واذا اصابه المال لم ينفق وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق ما يحب والصبر على مايكره قيل اراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى الله عزوجل فقال تعالى ﴿الا المصلين﴾ وهذا استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد وفيه معنى الجمع ﴿الذين هم على صلوتهم دائمون﴾ يعنى يقيمونها فى اوقاتها وهى الفرائض فان قلت كيف قال على صلوتهم دائمون ثم قال بعده على صلوتهم يحافظون قلت

(تدعو) الى نفسها الى ايها الكافر والى ايها المنافق (من ادبر) عن التوحيد (وتولى) عن الايمان ولم يتب من الكفر (وجمع) المال فى الدنيا (فأوعى) جمعه فى الوعاء فمنع حق الله منه (ان الانسان) يعنى الكافر (خلق هلوعا) ضجورا بخيلا حريصا ممسكا (اذا مسه الشر) الفقر والشدة (جزوعا) جازعا لايصبر (واذا مسه الخير) المال والسعة (منوعا) منع حق الله منه ولا يشكر (الا المصلين) اهل الصلاة الخمس فانهم ليسوا كذلك ثم بين نعتهم فقال (الذين هم على صلوتهم) المكتوبة (دائمون) يديمون عليها بالليل والنهار فلايدعونها

عن ابن مسعود رضى الله عنه (والذين فى اموالهم حق معلوم) يعنى الزكاة لانها مقدرة معلومة اوصدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها فى اوقات معلومة (للسائل) الذى يسأل (والمحروم) الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (والذين يصدقون بيوم الدين) اى يوم الجزاء والحساب وهو يوم القيامة (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) بالهمز سوى ابى عمرو اى لا ينبغى لاحد وان بالغ فى الاجتهاد والطاعة أن يأمنه وينبغى ان يكون مترجحا بين الخوف والرجاء (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم) نسائهم (او ما ملكت أيمانهم) اى امائهم (فانهم غير ملومين) على ترك

شاغل ﴿ والذين فى اموالهم حق معلوم ﴾ كالزكوات والصدقات الموظفة ﴿ للسائل ﴾ الذى يسأل ﴿ والمحروم ﴾ والذى لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم ﴿ والذين يصدقون بيوم الدين ﴾ تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا فى المثوبة الاخروية ولذلك ذكر الدين ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ خائفون على انفسهم ﴿ ان عذاب ربهم غير مأمون ﴾ اعتراض يدل على انه لا ينبغى لاحد ان يأمن من عذاب الله وان بالغ فى طاعته ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم اوماملكت ايمانهم فانهم غير ملومين

معنى ادامتهم عليها ان يواظبوا على ادائها وان لا يتركوها فى شئ من الاوقات وان لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها وهو ان يأتى بها العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه عن الوسواس والالتفات الى ماسوى الله عز وجل واما الامور المقارنة للصلاة فهى ان لا يلتفت فى الصلاة يمينا ولا شمالا وان يكون حاضر القلب فى جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن الرياء والسمعة وخوف ان لا تقبل منه مع الابتهال والتضرع الى الله تعالى فى سؤال قبولها وطلب الثواب فالمداومة على الصلاة ترجع الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها وهيآتها وروى البغوى بسنده عن ابى الخير قال سألنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلوتهم دائمون اهم الذين يصلون ابدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه ﴿ والذين فى اموالهم حق معلوم ﴾ يعنى الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هى صدقة التطوع وذلك بان يوظف الرجل عن نفسه شيأ من الصدقة يخرجه على سبيل الندب فى اوقات معلومة ﴿ للسائل ﴾ يعنى الذى يسأل الناس ﴿ والمحروم ﴾ يعنى الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم ﴿ والذين يصدقون بيوم الدين ﴾ اى يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم القيامة ﴿ والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ﴾ اى خائفون ثم أكد ذلك الخوف فقال تعالى ﴿ ان عذاب ربهم غير مأمون ﴾ يعنى ان الانسان لا يمكنه القطع بانه أدى الواجبات كما ينبغى ولا اجتنب المحظورات بالكلية كما ينبغى بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغى ان يكون العبد بين الخوف والرجاء * وقوله تعالى ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين

(والذين فى اموالهم حق معلوم) يرون فى اموالهم حقا معلوما غير الزكاة (للسائل) الذى يسأل ماله (والمحروم) الذى حرم اجره وغنيمته ويقال هو المحترف الذى لا تفى حرفته بمعيشته وقوته ويقال هو الفقير الذى لا يسأل ولا يعطى ولا يفطن به (والذين يصدقون بيوم الدين) بيوم الحساب بما فيه (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) خائفون (ان عذاب ربهم غير مأمون) لم يأتهم الامان من ربهم (والذين هم لفروجهم حافظون) يعفون عن الحرام (الا على ازواجهم) الاربع (فمن) (اوماملكت ايمانهم) من الولائد بغير عدد (فانهم غير ملومين) ولا آثمين بذلك لا يلامون بذلك

الحفظ (فمن ابتغى) طلب منكحا (وراء ذلك) اى غير الزواجات والمملوكات (فأولئك هم العادون) المتجاوزون عن الحلال الى الحرام وهذه الآية تدل على حرمة المتعة ووطء الذكران والبهائم والاستمناء بالكف (والذين هم لاماناتهم) لاماناتهم مكى وهى تناول امانات الشرع وامانات العباد (وعهدهم) اى عهودهم ويدخل فيها عهود الخلق والنذور والايمان (راعون) حافظون غير خائنين ولا ناقضين وقيل الامانات ماتدل عليه العقول والعهد ما أتى به الرسول (والذين هم بشهاداتهم) حفص بالالف وسهل ويعقوب (قائمون) يقيمونها عند الحكام بلا ميل الى قريب وشريف وترجيح للقوى على الضعيف اظهارا للصلابة فى الدين ورغبة فى احياء حقوق المسلمين (والذين هم على صلوتهم يحافظون) كرر ذكر

الصلاة لبيان انها اهم او لان احداها للفرائض والاخرى للنوافل وقيل الدوام عليها الاستكثار منها والمحافظة عليها ان لا تضيع عن مواقيتها او الدوام عليها اداؤها فى اوقاتها والمحافظة عليها حفظ اركانها وواجباتها وسننها وآدابها (اولئك) اصحاب هذه الصفات (فى جنات مكرمون) هما خبران (فمال) كتب مفصولا اتباعا لمصحف عثمان رضى الله عنه (الذين كفروا قبلك) نحوك مهمول (مهطعين) مسرعين حال من الذين كفروا (عن اليمين وعن الشمال) عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم وعن شماله (عزين) حال اى فرقا شتى جمع عزة

فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ﴾ سبق تفسيره فى سورة المؤمنين ﴿ والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ﴾ حافظون وقرأ ابن كثير لاماناتهم ﴿ والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ يعنى لايخفون ولاينكرون ولايخونون على ماعلموه من حقوق الله وحقوق العباد وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع ﴿ والذين هم على صلوتهم يحافظون ﴾ فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لاتخفى ﴿ اولئك فى جنات مكرمون ﴾ فيها بثواب الله ﴿ فمال الذين كفروا قبلك ﴾ حولك ﴿ مهطعين ﴾ مسرعين ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو وكان

فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ﴾ تقدم تفسيره فى سورة المؤمنين * قوله تعالى ﴿ والذين هم بشهاداتهم قائمون ﴾ اى يقومون فيها عند الحكام ولايكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيا الحقوق وتظهر وفى تركها تموت وتضيع وقيل اراد بالشهادة الشهادة بان لا اله الا الله وحده لاشريك له ولهذا عطف عليها ﴿ والذين هم على صلوتهم يحافظون ﴾ ثم ذكر ما اعده لهم فقال تعالى ﴿ اولئك ﴾ يعنى من هذه صفته ﴿ فى جنات مكرمون ﴾ * قوله تعالى ﴿ فمال الذين كفروا ﴾ اى فما بالهم ﴿ قبلك مهطعين ﴾ اى مسرعين مقبلين اليك مادى اعناقهم ومديمى النظر اليك متطلعين نحوك نزلت فى جماعة من الكفار كانوا يجتمعون حول النبى صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤن به ويكذبونه فقال الله تعالى مالهم ينظرون اليك ويجلسون عندك وهم لاينتفعون بمايسمعون منك ﴿ عن اليمين وعن الشمال عزين ﴾ يعنى انهم كانوا عن يمينه وعن شماله مجتمعين حلقا وفرقا والعزون جماعات

الحلال (فمن ابتغى وراء ذلك) طلب سوى ماذكرت من الازواج والولائد (فاولئك هم العادون) المعتدون من الحلال الى الحرام (والذين هم لاماناتهم) لما ائتمنوا عليه من امر الدين وغيره (وعهدهم) فيما بينهم وبين ربهم اوفيما بينهم وبين الناس ويقال بحلفهم بالله (راعون) حافظون له بالوفاء والتمام الى اجله (والذين هم بشهاداتهم قائمون) عند الحكام اذا دعوا ولا يكتمونها (والذين هم على صلوتهم يحافظون) على اوقات صلواتهم الخمس يحافظون (اولئك) اهل هذه الصفة (فى جنات) بساتين (مكرمون) بالثواب والتحف والهدايا (فمال الذين كفروا) كفار مكة المستهزئين وغيرهم (قبلك) حولك (مهطعين) ناظرين اليك لا يدنون اليك متفرقين (عن اليمين وعن الشمال عزين)

واصلهـا عزوة كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى فهم مفترقون كان المشركون يحتفون حول النبي صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤن بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل) بضم الياء وفتح الخاء سوى المفضل (جنة نعيم) كالمؤمنين (كلا) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة (انا خلقناهم مما يعلمون) اى من النطفة المنذرة ولذلك ابهم اشعارا بانه منصب يستحى من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم او معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد الجنة الا بالايمان فلم يطمع ان يدخلها من لا ايمان له (فلا اقسم برب المشارق) مطالع الشمس (والمغرب) و مغاربها (انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم) على ان نهلكهم و نأتى بخلق امثـل منهم واطوع لله

كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى كان المشركون يحلقون حول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزئون بكلامه ﴿ أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم ﴾ بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح مايقوله لنكون فيها افضل حظا منهم كما فى الدنيا ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن هذا الطمع ﴿ انا خلقناهم مما يعلمون ﴾ تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لاتناسب عالم القدس فمن لم يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها او انهم مخلوقون من اجل مايعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم يستكملها لم يتبوأ فى منازل الكاملين او الاستدلال بالنشأة الاولى على امكان النشأة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم عنه ﴿ فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم ﴾ اى نهلكهم ونأتى بخلق امثـل منهم او نعطى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بدلكم من هو خير منكم وهو الانصـار

فى تفرقة ﴿ أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم ﴾ قال ابن عبـاس معناه أيطمع كل رجل منهم ان يدخل جنة النعيم كما يدخلها المسلمون ويتنعمون وقد كذبوا نبيى ﴿ كلا ﴾ اى لا يدخلها ثم ابتدأ فقال تعالى ﴿ انا خلقناهم مما يعلمون ﴾ اى من الاشياء المستقذرة من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من اصل واحد وشئ واحد وانمـا يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوى باسناد الثعلبي عن بشر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما فى كفه و وضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن آدم انى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين والارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقى قلت اتصـدق وأنى اوان الصدقة واخرجه ابن الجوزى فى تفسيره بلا اسناد وقيل فى معنى الآية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهى والثواب والعقـاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم ولا عقل ﴿ فلا اقسم ﴾ يعنى واقسم وقد تقدم بيانه ﴿ برب المشارق والمغارب ﴾ يعنى مشرق كل يوم من السنة ومغربه وقيل يعنى مشرق كل نجم ومغربه ﴿ انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم ﴾ معنـاه انا لقادرون على اهلاكهم وعـلى ان نخلق امثل منهم وأطوع لله

حلقا حلقا (أيطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم كلا) وهو رد عليهم لا يدخلهم ويقال كلا حقا (انا خلقناهم) يعنى كفار مكة (مما يعلمون) يعنى النطفة (فلا اقسم) يقول اقسم (برب المشارق) مشارق الشتاء والصيف (والمغارب) مغارب الشتاء والصيف وهما مشرقان ومغربان لمشرق الشتاء والصيف مائة وثمانون منزلا وكذلك للمغربين ﴿ وما ﴾ ويقـال لمشرق الشتـاء والصيف مائة وسبع وسبعون منزلا و كذلك للمغربين تطلع الشمس فى سنة يومين فى منزل واحد وكذلك تغرب فى يومين فى منزل واحد (انا لقادرون) و لهذا كان القسم (على ان نبدل خيرا منهم) يقول نهلكهم و نأتى بغيرهم خيرا منهم واطوع لله

(وما نحن بمسبوقين) بعاجزين (فذرهم) فدع المكذبين (يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) فيه العذاب (يوم) بدل من يومهم (يخرجون) بفتح الياء وضم الراء سوى الاعشى (من الاجداث) القبور (سراعا) جمع سريع حال اى الى الداعى (كانهم) حال (الى نصب) شامى وحفص وسهل نصب المفضل نصب غيرهم وهو كل ما نصب وعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون (خاشعة) حال من ضمير يخرجون اى ذليلة (ابصارهم) يعنى لا يرفعونها لذلاتهم (ترهقهم ذلة) يغشاهم هوان (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) فى الدنيا وهم يكذبون به

﴿ سورة نوح عليه السلام مكية وهى ثمان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(انا ارسلنا نوحا) قيل معناه بالسريانية الساكن (الى قومه ان أنذر) خوف

﴿ ومانحن بمسبوقين ﴾ بمغلوبين ان اردنا ذلك ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ﴾ مر فى آخر سورة الطور ﴿ يوم يخرجون من الاجداث سراعا ﴾ مسرعين جمع سريع ﴿ كانهم الى نصب ﴾ منصوب للعبادة او علم ﴿ يوفضون ﴾ يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص الى نصب بضم النون والصاد والباقون من السبعة نصب بفتح النون وسكون الصاد وقرئ نصب بالضم على انه تخفيف نصب او جمع ﴿ خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ﴾ مر تفسيره ﴿ ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ﴾ فى الدنيا عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

﴿ سورة نوح عليه السلام مكية وآيها سبع او ثمان وعشرون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر ﴾ بان انذر اى بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز

﴿ وما نحن بمسبوقين ﴾ اى بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم وابدالكم بمن هو خير منكم ﴿ فذرهم يخوضوا ﴾ اى فى اباطيلهم ﴿ ويلعبوا ﴾ فى دنياهم ﴿ حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ﴾ نسختها آية القتال ثم فسر ذلك اليوم فقال تعالى ﴿ يوم يخرجون من الاجداث ﴾ يعنى القبور ﴿ سراعا ﴾ اى الى اجابة الداعى ﴿ كانهم الى نصب ﴾ يعنى الى شئ منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرى بضم النون والصاد وهى الاصنام التى كانوا يعبدونها ﴿ يوفضون ﴾ اى يسرعون ومعنى الآية انهم يخرجون من الاجداث يسرعون الى الداعى مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى نصبهم ليستلموها ﴿ خاشعة ابصارهم ﴾ اى ذليلة خاضعة ﴿ ترهقهم ذلة ﴾ اى يغشاهم هوان ﴿ ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ﴾ يعنى يوم القيامة الذى كانوا يوعدون به فى الدنيا والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام مكية وهى ثمان وعشرون ﴾
﴿ آية ومائتان واربعة وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ انا أرسلنا نوحا الى قومه ان انذر

منهم (ومانحن بمسبوقين) بعاجزين على ان نبدل خيرا منهم (فذرهم) اتركهم يا محمد يعنى المستهزئين وغيرهم (يخوضوا) فى الباطل (ويلعبوا) يهزؤا فى كفرهم (حتى يلاقوا) يعاينوا (يومهم الذى يوعدون) فيه العذاب ثم بين متى يكون فقال (يوم يخرجون من الاجداث) من القبور (سراعا) يقول خروجهم من القبور سريعا الى الصوت (كأنهم الى نصب) اى راية وغاية (قا و خا ٤٦ س) وعلم (يوفضون) يمضون وينطلقون (خاشعة) ذليلة (ابصارهم) لا يرون خيرا (ترهقهم) تعلوهم وتغشاهم (ذلة) كآبة وكسوف وهو السواد على الوجوه (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون)فيه العذاب وهو يوم القيامة كوعد نوح وانذاره ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها نوح وهى كلها مكية آياتها سبع وعشرون وكلماتها مائتان و اربع وعشرون وحروفها تسعمائة وتسع وعشرون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم)
وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (انا ارسلنا) بعثنا (نوحا الى قومه ان انذر) خوف

اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل ومحله عند الخليل جر وعند غيره نصب وان مفسرة بمعنى اى لان فى الارسال معنى القول (قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) عذاب الآخرة او الطوفان (قال ياقوم) اضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة (انى لكم نذير) مخوف (مبين) ابين لكم رسالة الله بلغة تعرفونها (ان اعبدوا الله) وحدوه وان هذه نحو ان انذر فى الوجهين (واتقوه) اى احذروا عصيانه (واطيعون) فيما آمركم به وانهاكم عنه وانما اضافه الى نفسه لان الطاعة قد تكون لغير الله تعالى بخلاف العبادة (يغفر لكم) جواب الامر (من ذنوبكم) للبيان كقوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان او للتبعيض لان ما يكون بينه وبين الخلق يؤاخذبه بعد الاسلام كالقصاص وغيره كذا فى شرح التأويلات (ويؤخركم الى اجل مسمى) وهو وقت موتكم (ان اجل الله) اى الموت (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) اى لو كنتم تعلمون ما يحل بكم من الندامة عند انقضاء اجلكم لآمنتم قيل ان الله تعالى قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان لم يؤمنوا اهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى تبلغوا الف سنة ثم اخبر ان الالف اذا جاء لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت وقيل انهم كانوا يخافون على انفسهم الاهلاك من قومهم بايمانهم واجابتهم لنوح عليه السلام فكانه عليه السلام منهم من ذلك ووعدهم انهم بايمانهم يبقون الى الاجل الذى ضرب لهم لو لم يؤمنوا اى انكم ان اسلمتم بقيتم الى اجل مسمى آمنين من عدوكم

ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغير ان على ارادة القول ﴿قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم﴾ عذاب الآخرة او الطوفان ﴿قال ياقوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون﴾ مر فى الشعراء نظيره وفى ان يحتمل الوجهان ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الآخرة ﴿ويؤخركم الى اجل مسمى﴾ هو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ﴿ان اجل الله﴾ ان الاجل الذى قدره ﴿اذا جاء﴾ على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول ﴿لا يؤخر﴾ فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير ﴿لو كنتم تعلمون﴾ لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك

قومك﴾ اى من خوف قومك وحذرهم ﴿من قبل ان يأتيهم عذاب اليم﴾ يعنى الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا ﴿قال ياقوم انى لكم نذير مبين﴾ اى انذركم وابين لكم ﴿ان اعبدوا الله﴾ اى وحدوه ولا تشركوا به شيأ ﴿واتقوه﴾ اى وخافوه من مخالفة امره ... ﴿واطيعون﴾ اى فيما آمركم به من عبادة الله وتقواه ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ اى يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض ذنوبكم ﴿ويؤخركم الى اجل مسمى﴾ اى الى منتهى آجالكم فلا يعاقبكم ﴿ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾ ... يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر قال الزمخشرى ان قلت كيف قال ويؤخركم مع الاخبار بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض قلت قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على رأس تسعمائة سنة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه اذا جاء ذلك الاجل لا يؤخر كما

(يؤخر)

(قومك) من السخط والعذاب (من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) وجيع وهو الغرق فلما جاءهم (قال ياقوم انى لكم نذير) رسول مخوف (مبين) بلغة تعلمونها (ان اعبدوا الله) وحدوا الله (واتقوه) اخشوه وتوبوا من الكفر والشرك (واطيعون) اتبعوا امرى ودينى ووصيتى واقبلوا نصيحتى (يغفر لكم من ذنوبكم) يغفر ذنوبكم بالتوبة والتوحيد (ويؤخركم) يؤجلكم بلا عذاب (الى اجل مسمى) الى الموت (ان اجل الله) عذاب الله (اذا جاء لا يؤخر) لا يؤجل (لو كنتم تعلمون) تصدقون بالقول لكم فلما أيس منهم بعد ما دعاهم الف سنة الا خمسين عاما فلم يؤمنوا

(قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا) دائبا بلا فتور (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) عن طاعتك ونسب ذلك الى دعائه لحصوله عنده وان لم يكن الدعاء سببا للفرار فى الحقيقة وهو كقوله واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا والقرآن لايكون سببا لزيادة الرجس وكان الرجل يذهب بابنه الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فلا يغرنك فان ابى قد وصانى به (وانى كلما دعوتهم) الى الايمان بك (لتغفر لهم) اى ليؤمنوا فتغفر لهم فاكتفى بذكر المسبب (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) سدوا مسامعهم لئلا يسمعوا كلامى (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بثيابهم لئلا يبصرونى كراهة النظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله (وأصروا) واقاموا على كفرهم (واستكبروا استكبارا) وتعظموا عن اجابتى وذكر المصدر دليل على فرط استكبارهم (ثم انى دعوتهم جهارا) مصدر فى موضع الحال اى مجاهرا او مصدر دعوتهم كقعد القرفصاء لان الجهار احد نوعى الدعاء يعنى اظهرت لهم الدعوة فى المحافل (ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) اى خلطت دعاءهم بالعلانية بدعاء السر فالحاصل انه دعاهم ليلا ونهارا فى السر ثم دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن وهكذا يفعل الآمر بالمعروف يبتدئ بالاهون ثم بالاشد فالاشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى

وفيه انهم لانهماكهم فى حب الحياة كانهم شاكون فى الموت ﴿ قال رب انى دعوت قومى ﴾ الى الايمان ﴿ ليلا ونهارا ﴾ اى دائما ﴿ فلم يزدهم دعائى الا فرارا ﴾ عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله تعالى فزادتهم ايمانا ﴿ وانى كلما دعوتهم ﴾ الى الايمان والطاعة ﴿ لتغفر لهم ﴾ بسببه ﴿ جعلوا اصابعهم فى آذانهم ﴾ سدوا مسامعهم عن استماع دعوتى ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ تغطوا بها لئلا يرونى كراهة النظر الى من فرط كراهة دعوتى اولئلا اعرفهم فادعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة ﴿ واصروا ﴾ اكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من اصر الحمار على العانة اذ صر اذنيه واقبل عليها ﴿ واستكبروا ﴾ عن اتباعى ﴿ استكبارا ﴾ عظيما ﴿ ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا ﴾ اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اى وجه امكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعى الدعاء او صفة مصدر محذوف اعنى دعاء

يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير عنكم وحيث يمكنكم الايمان ﴿ قال ﴾ اى نوح عليه الصلاة والسلام ﴿ رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا ﴾ اى نفارا وادبارا عن الايمان ﴿ وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم ﴾ اى ليؤمنوا بك فتغفر لهم ﴿ جعلوا اصابعهم فى آذانهم ﴾ لئلا يسمعوا دعوتى ﴿ واستغشوا ثيابهم ﴾ اى غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يرونى ﴿ وأصروا ﴾ على كفرهم ﴿ واستكبروا ﴾ عن الايمان بك ﴿ استكبارا ﴾ اى تكبرا عظيما ﴿ ثم انى دعوتهم جهارا ﴾ اى معلنا قال ابن عباس بأعلى صوتى ﴿ ثم انى اعلنت لهم ﴾ اى كررت لهم الدعاء معلنا ﴿ وأسررت لهم اسرارا ﴾ قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بينى وبينه ادعوه الى عبادتك

ولم يقبلوا نصيحته (قال رب انى دعوت قومى) الى التوبة والتوحيد (ليلا ونهارا) فى الليل والنهار (فلم يزدهم دعائى) اياهم الى التوبة والتوحيد (الا فرارا) تباعدا عن الايمان والتوبة (وانى كلما دعوتهم) الى التوبة والتوحيد (لتغفر لهم) بالتوبة والتوحيد (جعلوا اصابعهم فى آذانهم) لكى لايسمعوا كلامى ودعوتى (واستغشوا ثيابهم) غطوا رؤسهم بثيابهم لكى لايسمعوا صوتى ولايرونى (واصروا) اقاموا وسكتوا على الكفر وعبادة الاوثان ويقال صاحوا انا لانؤمن بك يانوح (واستكبروا) عن الايمان والتوبة (استكبارا) تجبرا (ثم انى دعوتهم) الى التوبة والتوحيد (جهارا) علانية بغير سر (ثم انى اعلنت لهم) اظهرت لهم دعوتى واوضحت لهم (واسررت لهم اسرارا) دعوتهم فى السر خفية

بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان وثم تدل على تباعد الاحوال لان الجهار اغلظ من الاسرار
والجمع بين الامرين اغلظ من افراد احدهما (فقلت استغفروا
ربكم) من الشرك لان الاستغفار طلب المغفرة فان كان المستغفر كافرا فهو من الكفر وان كان عاصيا مؤمنا فهو من الذنوب (انه كان غفارا) لم يزل غفارا لذنوب من ينيب اليه (يرسل السماء) المطر (عليكم مدرارا) كثيرة الدرور مفعال يستوى فيه المذكر والمؤنث (ويمددكم باموال وبنين) يزدكم اموالا وبنين (ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم انهارا) جارية لمزارعكم وبساتينكم وكانوا يحبون الاموال والاولاد فحركوا بهذا على الايمان وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة او سبعين فوعدهم انهم ان آمنوا رزقهم الله الخصب ورفع عنهم ما كانوا فيه وعن

(فقلت) لهم (استغفروا ربكم) وحدوا ربكم بالتوبة من الكفر والشرك (انه كان غفارا) لمن تاب من الكفر وآمن به (يرسل السماء عليكم مدرارا) مطرا دائما دريرا كلما تحتاجون اليه فكان قد حبس الله عنهم المطر اربعين سنة (ويمددكم باموال وبنين) يعطكم اموالا ابلا وبقرا وغنما وبنين الذكور والاناث وقد كان الله قطع نسل دوابهم ونسائهم اربعين سنة (ويجعل لكم جنات) بساتين (ويجعل لكم انهارا) تجرى لمنافعكم (مالكم)

جهارا اى مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا ﴿ فقلت استغفروا ربكم ﴾ بالتوبة عن الكفر ﴿ انه كان غفارا ﴾ للتائبين وكانهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فامرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدلهم عليه ماهو اوقع فى قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله ﴿ يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ﴾ ولذلك شرع الاستغفار

وتوحيدك ﴿ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ﴾ وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اى من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة يكون سببا لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب لهلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه فى الدنيا وروى الشعبى ان عمر بن الخطاب خرج يستسقى بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر ثم قرأ استغفروا ربكم انه كان غفارا الآية * قوله بمجاديح السماء واحدها مجدح وهو نجم من النجوم وقيل هو الدبران وقيل هى ثلاثة كواكب كالاثافى تشبيها بالمجدح الذى له شعب وهى عند العرب من الانواء الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانواء مخاطبة لهم بما يعرفون وكانوا يزعمون ان من شأنها المطر لا انه يقول بالانواء وعن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال له استغفر الله وشكا آخر اليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا هذه الآية * وقوله يرسل السماء عليكم اى يرسل ماء السماء وذلك لان ماء المطر ينزل من السماء الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل اراد بالسماء السحاب وقيل اراد بالسماء المطر من قول الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

يعنى المطر مدرارا اى كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا اى متتابعا ﴿ ويمددكم باموال وبنين ﴾ اى يكثر اموالكم واولادكم ﴿ ويجعل لكم جنات ﴾ اى البساتين ﴿ ويجعل لكم انهارا ﴾ وهذا كله مما يميل طبع البشرية اليه

عمر رضى الله عنه انه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له مارأيناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر شبه عمر الاستغفار بالانواء الصادقة التى لاتخطى وقرأ الآيات وعن الحسن ان رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون ابوابا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآيات (مالكم لاترجون لله وقارا) لاتخافون لله عظمة عن الاخفش قال والرجاء هنا الخوف لان مع الرجاء طرفا من الخوف ومن اليأس والوقار والعظمة اولا تأملون له توقيرا اى تعظيما والمعنى مالكم لاتكونون على حال تؤملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب (وقد خلقكم اطوارا) فى موضع الحال اى مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهى حال موجبة للايمان به لانه خلقكم اطوارا اى تارات وكرات خلقكم اولا نطفا ثم خلقكم علقا ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما نبههم اولا على النظر فى انفسهم لانها اقرب ثم على النظر فى العالم وما سوى فيه من العجائب الدالة على الصانع بقوله (الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها على بعض (وجعل القمر فيهن نورا) اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة من حيث انها طباق فجاز ان يقال فيهن كذا وان لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ان الشمس والقمر وجوههما مما يلى السموات وظهورهما مما يلى الارض فيكون نور القمر محيطا بجميع السموات لانها لطيفة لاتحجب نوره (وجعل الشمس سراجا) مصباحا

فى الاستسقاء والسماء تحتمل المظلة والسحاب والمدرار كثير الدرور يستوى فى هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ﴿مالكم لاترجون لله وقارا﴾ لاتأملون له توقيرا اى تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لاتعتقدون له عظمة فتخافوا عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة ﴿وقد خلقكم اطوارا﴾ حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء فانه خلقهم اطوارا اى تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذى الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأناهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك مايؤيده من آيات الآفاق فقال ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا﴾ اى فى السموات وهو فى السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة ﴿وجعل الشمس سراجا﴾ مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه

﴿مالكم لاترجون لله وقارا﴾ قال ابن عباس اى لاترون لله عظمة وقيل معناه لاتخافون عظمته فالرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه مالكم لاتعرفون لله حقا ولاتشكرون له نعمة وقيل معناه مالكم لاترجون فى عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا ﴿وقد خلقكم اطوارا﴾ يعنى تارة بعد تارة وحالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته ﴿الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا﴾ اى بعضها فوق بعض ﴿وجعل القمر فيهن نورا﴾ يعنى فى سماء الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال أتيت بنى تميم وانما أتى رجلا منهم ﴿وجعل الشمس سراجا﴾ يعنى مصباحا مضيئا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس

وقد كان الله اهلك جناتهم وايبس انهارهم قبل ذلك باربعين سنة (مالكم لاترجون لله وقارا) لاتخافون لله عظمة وسلطانا ويقال مالكم لاتعظمون الله حق عظمته فتوحدونه (وقد خلقكم اطوارا) اصنافا حالا بعد حال النطفة والعلقة والمضغة والعظام (الم تروا) الم تخبروا كفار مكة (كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها فوق بعض مثل القبة ملتزقة اطرافها (وجعل القمر فيهن) معهن (نورا) مضيئا (وجعل الشمس سراجا) ضياء

الارض كما يزيلها السراج عما حوله ﴿ والله انبتكم من الارض نباتا ﴾ انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه دل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم من الارض انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ﴿ ثم يعيدكم فيها ﴾ مقبورين ﴿ ويخرجكم اخراجا ﴾ بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لامحالة ﴿ والله جعل لكم الارض بساطا ﴾ تتقلبون عليها ﴿ لتسلكوا منها سبلا فجاجا ﴾ واسعة جمع فج ومن لتضمين الفعل معنى الاتخاذ ﴿ قال نوح رب انهم عصوني ﴾ فيما امرتهم به ﴿ واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ﴾ واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم بالاموال والاولاد ادت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ﴿ ومكروا ﴾ عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى ﴿ مكرا كبارا ﴾ كبير في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو ابلغ من كبير وذلك

والقمر وجوههما الى السموات وضوء الشمس والقمر فيهن جميعا وقفيتهما الى الارض ويروى هذا عن ابن عباس ايضا ﴿ والله انبتكم من الارض نباتا ﴾ اراد مبدأ خلق آدم واصل خلقه من الارض والناس كلهم من ولده وقوله نباتا اسم جعل في موضع المصدر اى انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهي انه لو قال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني اولى لان الانبات صفة لله تعالى وصفة الله غير محسوسة لنا فلا نعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة اخبار الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله تعالى فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف ﴿ ثم يعيدكم فيها ﴾ اى في الارض بعد الموت ﴿ ويخرجكم ﴾ اى منها ﴿ اخراجا ﴾ يعني اخراجا حقا لا محالة ﴿ والله جعل لكم الارض بساطا ﴾ اى فرشها لكم مبسوطة تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه ﴿ لتسلكوا منها سبلا فجاجا ﴾ اى طرقا واسعة * قوله تعالى ﴿ قال نوح رب انهم عصوني ﴾ اى لم يجيبوا دعوتي ﴿ واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ﴾ يعني اتبع السفلة والفقراء القادة والرؤساء الذين لم تزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة ﴿ ومكروا مكرا كبارا ﴾ يعني كبيرا عظيما يقال

اى اخرج (والله جعل لكم الارض بساطا) مبسوطة (لتسلكوا منها) لتتقلبوا عليها كما يتقلب الرجل على بساطه (سبلا) طرقا (فجاجا) واسعة ومختلفة (قال نوح رب انهم عصوني) فيما امرتهم به من الايمان والاستغفار (واتبعوا) اى السفلة والفقراء (من لم يزده ماله وولده) اى الرؤساء واصحاب الاموال والاولاد وولده مكي وعراقي غير عاصم وهو جمع ولد كاسد واسد (الا خسارا) في الآخرة (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه (مكرا كبارا) عظيما

بني آدم (والله انبتكم من الارض نباتا) خلقكم من آدم وآدم من تراب والتراب من الارض (ثم يعيدكم فيها) يقبركم في الارض (ويخرجكم) من القبور يوم القيامة (اخراجا والله جعل لكم الارض بساطا) فراشا ومناما (لتسلكوا منها) لتأخذوا فيها (سبلا فجاجا) طرقا واسعة (قال نوح رب) يارب (انهم عصوني) فيما امرتهم من التوبة والتوحيد (واتبعوا) اطاعوا (من لم يزده ماله) كثرة ماله (وولده) كثرة ولده (الا خسارا) غبنا في الآخرة وهم الرؤساء (ومكروا مكرا كبارا)

وهو اكبر من الكبار وقرئ به وهو اكبر من الكبير (وقالوا) اى الرؤساء لسفلتهم (لاتذرن آلهتكم) على العموم اى عبادتها (ولا تذرن ودا) ﴿٣٦٧﴾ بفتح الواو وضمها وهو قراءة نافع اسم صنم على صورة رجل (ولا سواعا) هو على صورة امرأة (ولا يغوث) هو على صورة اسد (ويعوق) هو على صورة فرس وهما لا ينصرفان للتعريف ووزن الفعل ان كانا عربيين وللتعريف والعجمة ان كانا عجميين (ونسرا) هو على صورة نسر اى هذه الاصنام الخمسة على الخصوص وكانها كانت اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد العموم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هى اسماء رجال صالحين كان الناس يقتدون بهم بين آدم ونوح فلما ماتوا صوروهم ليكون ذلك ادعى لهم الى العبادة فلما طال الزمان قال لهم ابليس انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم

احتيالهم فى الدين وتحريش الناس على اذى نوح ﴿ وقالوا لاتذرن آلهتكم ﴾ اى عبادتها ﴿ ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هى اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوروهم تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرئ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة

كبيرا وكبارا بالتشديد والتخفيف والتشديد اشد واعظم فى المبالغة والماكرون هم الرؤساء والقادة ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح عليه الصلاة والسلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع منه وقيل مكرهم هو قولهم لاتذرن آلهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس فى مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسوله ﴿ وقالوا ﴾ يعنى القادة للاتباع ﴿ لاتذرن آلهتكم ﴾ اى لا تتركن عباداتها ﴿ ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ﴾ هذه اسماء آلهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة فى جملة قوله لا تذرن آلهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة هى اعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح فلما ماتوا كان اتباعهم يقتدون بهم ويأخذون بعدهم باخذهم فى العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم لو صورتم صورهم كان ذلك انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتداء عبادة الاوثان كان من ذلك وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صورة اولئك القوم الصالحين من المسلمين (خ) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال صارت الاوثان التى كانت تعبد قوم نوح فى العرب بعد اما ود فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت لبنى غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع وروى سفيان عن موسى عن محمد بن قيس فى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال كانت اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم فعبدت الاوثان وروى عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركى العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف ونائلة وهبل كانت لاهل مكة ولذلك سمت العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث وعبد العزى

وقالوا قولا عظيما من الفرية (وقالوا) يعنى الرؤساء للسفلة (لاتذرن آلهتكم) عبادة آلهتكم (ولا تذرن ود) عبادة الود (ولا سواعا) ولا عبادة السواع (ولا يغوث) ولا عبادة اليغوث (ويعوق) ولا عبادة اليعوق (ونسرا) ولا عبادة النسر وكل هؤلاء آلهتهم التى

(وقداضلوا) اى الاصنام كقوله انهن اضللن (كثيرا) من الناس او الرؤساء (ولاتزد الظالمين) عطف على رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه و معناه قال رب انهم عصونى و قال لاتزد الظالمين اى قال هذين القولين وهما فى محل النصب لانهما مفعولا قال (الا ضلالا) هلاكا كقوله ولاتزد الظالمين الا تبارا (مما خطيآتهم) خطاياهم ابوعمرو اى ذنوبهم (اغرقوا) بالطوفان (فادخلوا نارا) عظيمة وتقديم مما خطاياهم لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم فى النيران الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وكفى بها مزجرة لمرتكب الكبيرة فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن والفاء فى فادخلوا للايذان بانهم عذبوا بالاحراق عقيب الاغراق فيكون دليلا على اثبات عذاب القبر (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله (وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا) اى احدا يدور فى الارض وهو فيعال من الدور وهو من الاسماء المستعملة فى النفى العام

﴿وقداضلوا كثيرا﴾ الضمير للرؤساء او للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ﴿ولاتزد الظالمين الا ضلالا﴾ عطف على رب انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال فى ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا فى امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين فى ضلال وسعر ﴿مما خطيآتهم﴾ من اجل خطيآتهم وما مزيدة للتأكيد والتفخيم وقرأ ابوعمرو مما خطاياهم ﴿اغرقوا﴾ بالطوفان ﴿فادخلوا نارا﴾ المراد عذاب القبر او عذاب الآخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال او لان المسبب كالمتعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط او وجود مانع وتنكير النار للتعظيم اولان المراد نوع من النيران اعد لهم ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا﴾ تعريض لهم باتخاذهم آلهة من دون الله لاتقدر على نصرهم ﴿وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا﴾ اى احدا وهو مما يستعمل فى النفى العام فيعال من الدار او الدور اصله ديورا ففعل به ونحو ذلك من الاسماء

﴿وقد اضلوا كثيرا﴾ اى ضل بسبب الاصنام كثير من الناس وقيل اضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس ﴿ولا تزد الظالمين الا ضلالا﴾ يعنى ولا تزد المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعاء عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام كان قد امتلأ قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة ان يدعو بمزيد الضلال وانما بعث ليصرفهم عنه قلت انما دعا عليهم بعد ان اعلمه الله انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وقيل انما اراد بالضلال فى امر الدنيا وما يتعلق بها لا فى امر الآخرة ﴿مما خطاياهم اغرقوا﴾ اى بالطوفان ﴿فأدخلوا نارا﴾ اى فى حالة واحدة وذلك فى الدنيا كانوا يغرقون من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة عذاب القبر وذلك لان الفاء تقتضى التعقيب فى قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا وهذا يدل على انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الآخرة لانه يبطل دلالة الفاء وقيل معناه انهم سيدخلون نارا فى الآخرة فعبر عن المستقبل بلفظ الماضى لصدق الوعد فى ذلك والاول اصح ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا﴾ يعنى تنصرهم وتمنعهم من العذاب الذى نزل بهم ﴿وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا﴾ يعنى احدا يدور فى الارض فيذهب ويجئ من الدوران وقيل اصله من الدار اى نازل بدار

كانوا يعبدونها (وقداضلوا كثيرا) يقول قداضلوا بهن كثيرا من الناس ويقال ضل بهن كثير من الناس (ولاتزد لظالمين) الكافرين المشركين بعبادة (انك) الاوثان (الاضلالا) خسارا وضلالة وهلاكا (مما خطيآتهم) يقول بخطيئاتهم (اغرقوا) بالطوفان فى الدنيا (فادخلوا فى الآخرة (نارا فلم يجدوا لهم من دون الله) من عذاب الله (انصارا) اعوانا يمنعون عذاب الله عنهم (وقال نوح) بعد ما قال له ربه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب) يارب (لاتذر) لاتترك (على الارض من الكافرين ديارا) احدا

انك ان تذرهم) ولاتهلكهم (يضلوا عبادك) يدعوهم الى الضلال (ولايلدوا الا فاجرا كفارا) الامن اذابلغ
ر وكفر وانما قال ذلك لان الله تعالى اخبره بقوله ان يؤمن من قومك الا من قد آمن (رب اغفرلى
لوالدى) وكانا مسلمين واسم ابيه لمك واسم امه شمخاء قيل هما آدم وحواء وقرئ لولدى يريد ساما وحاما (ولمن
خل بيتى) منزلى اومسجدى اوسفينتى (مؤمنا) لانه علم انه من دخل بيته مؤمنا لايعود الى الكفر (وللمؤمنين
المؤمنات) الى يوم القيامة خص اولا من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه
ثم عم المؤمنين والمؤمنات (ولاتزد الظالمين) اى الكافرين (الا تبارا) هلاكا فأهلكوا قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا نوح عليه السلام بدعوتين احداها للمؤمنين بالمغفرة واخرى على الكافرين بالتبار وقد اجيبت دعوته فى حق الكفار بالتبار فاستحال ان لاتستجاب دعوته فى حق المؤمنين واختلف فى صبيانهم حين اغرقوا فقيل اعقم الله ارحام نسائهم قبل الطوفان باربعين سنة فلم يكن معهم صبى حين اغرقوا وقيل علم الله براءتهم فاهلكوا بغير عذاب والله اعلم

(انك ان تذرهم) تتركهم (يضلوا عبادك) عن دينك من آمن بك ومن اراد ان يؤمن بك (ولايلدوا) لايلد منهم (الا فاجرا

افعل باصل سيد لافعال والا لكان دوارا ﴿ انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولايلدوا
الا فاجرا كفارا ﴾ قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين
عاما تعرف شيمهم وطباعهم ﴿ رب اغفر لى ولوالدى ﴾ لمك بن متوشلخ و شمخاء
بنت انوش وكانا مؤمنين ﴿ ولمن دخل بيتى ﴾ منزلى او مسجدى اوسفينتى ﴿ مؤمنا
وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ الى يوم القيامة ﴿ ولا تزد الظالمين الا تبارا ﴾ هلاكا
عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم
دعوة نوح عليه السلام

﴿ انك ان تذرهم يضلوا عبادك ﴾ قال ابن عباس وغيره كان الرجل ينطلق بابنه الى نوح
فيقول له احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك
﴿ ولايلدوا الا فاجرا كفارا ﴾ انما قال نوح هذا حين اخرج الله كل مؤمن من اصلابهم
وارحام نسائهم واعقم بعد ذلك ارحام النساء وايبس اصلاب الرجال وذلك قبل
نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله نوحا انهم لايؤمنون ولا
يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فأهلكهم جميعا ولم يكن معهم صبى
وقت العذاب لان الله تعالى اعقمهم قبل العذاب ﴿ رب اغفرلى ﴾ وذلك انه لما دعا على
الكفار قال رب اغفرلى يعنى ماصدر منى من ترك الافضل وقيل يحتمل انه حين دعا
على الكفار انه انما دعا عليهم بسبب تأذيه منهم فكان ذلك الدعاء عليهم كالانتقام منهم
فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس اولانه ترك الاحتمال ﴿ ولوالدى ﴾
وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخاء بنت انوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن
بين آدم ونوح عليهما السلام من آبائه كافر وكان بينهما عشرة آباء ﴿ ولمن دخل
بيتى مؤمنا ﴾ اى دارى وقيل مسجدى وقيل سفينتى ﴿ وللمؤمنين والمؤمنات ﴾
هذا عام فى كل مؤمن آمن بالله وصدق الرسل وانما بدأ بنفسه لانها اولى بالتخصيص
والتقديم ثم ثنى بالمتصلين به لانهم احق بدعائه من غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين
والمؤمنات ليكون ذلك ابلغ فى الدعاء ﴿ ولاتزد الظالمين الا تبارا ﴾ اى هلاكا ودمارا
فاستجاب الله تعالى دعاءه فأهلكهم جميعا والله اعلم

كفارا) الامن يكون فاجرا كافرا (قا وخا ٤٧ س) بعد الادراك ويقال الامن قدرت عليه الكفر والفجور
بعد البلوغ ويقال لم يكن فيهم صبى لان الله قد حبس عنهم الولد اربعين سنة فلم يكن فيهم غير مدرك ولم يولد فيهم اربعين
سنة وكلهم كانوا مدركين فجارا كفارا (رب) يارب (اغفرلى ولوالدى) لابائى المؤمنين (ولمن دخل بيتى) دينى
ويقال مسجدى ويقال سفينتى (مؤمنا وللمؤمنين) المصدقين من الرجال (والمؤمنات) المصدقات من النساء بالايمان الذين
يكونوا من بعدى (ولاتزد الظالمين) الكافرين المشركين (الاتبارا) خسارا وهلاكا كخسار من اوحى الى نبيهم فلم يؤمنوا به

﴿سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قل) يا محمد (اوحي الي انه) ان الامر والشأن اجمعوا على فتح انه لانه فاعل اوحي وان لو استقاموا وان المساجد للعطف على انه استمع فان مخففة من الثقيلة وان قد أبلغوا لتعدي يعلم اليها وعلى كسر ما بعد فاء الجزاء وبعد القول نحو فان له نار جهنم وقالوا انا سمعنا لانه مبتدأ محكي بعد القول واختلفوا في فتح الهمزة وكسرها من انه تعالى جد ربنا الى وانا منا المسلمون ففتحها شامي وكوفي غير ابي بكر عطفا على انه استمع او على محل الجار والمجرور في آمنا به تقديره صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا وانه كان يقول سفيهنا الى آخرها وكسرها غيرهم عطفا على انا سمعنا وهم يقفون على آخر الآيات (استمع نفر) جماعة من الثلاثة الى العشيرة (من الجن) جن نصيبين

﴿ومن السورة التي يذكر فيها الجن وهي كلها مكية آياتها ثمان وعشرون وكلماتها مائتان وخمس وثمانون وحروفها ثمانمائة وسبعون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (قل اوحي الي) يقول قل لهم لكفار مكة يا محمد اوحي الي انزل الي جبريل فاخبرني (انه استمع نفر) تسعة نفر (من الجن) من جن نصيبين باليمن

﴿سورة الجن مكية وآيها ثمان وعشرون﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قل اوحي الي﴾ وقرئ احي واصله وحي من وحي اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحي على الاصل وفاعله ﴿انه استمع نفر من الجن﴾ والنفر ما بين الثلاثة الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من

﴿تفسير سورة الجن وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمس﴾

﴿وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

*قوله عز وجل ﴿قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن﴾ اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت وجود الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان هوائي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها دنيئة خسيسة شريرة محبة للشرور والآفات ولا يعلم عدة انواعهم الا الله تعالى وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن تجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلون في الحيز موصوفون بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر انواع الاجسام في الماهية وان يكون لها عام مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة اوشاقة يعجز البشر عن مثلها وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه وشذ تأويل المعتزلة من هذه الامة فأنكروا وجود الجن وقالوا البنية شرط للحياة وانه لابد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب والسنة

فصل

اختلف الرواة هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فأثبتها ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الاحقاف عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال ابن عباس ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله

(عليه)

الارواح المجردة وقيل نفوس شرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قراءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله ﴿ فقالوا ﴾ لما رجعوا الى قومهم ﴿ انا سمعنا قرآنا ﴾ كتابا ﴿ عجبا ﴾ بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به

عليه وسلم فى طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وارسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا مالكم فقيل حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا وماذاك الا من شئ قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلى باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذى حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به وان نشرك بربنا احدا فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن زاد فى رواية وانما اوحى اليه قول الجن اخرجاه فى الصحيحين قال القرطبى فى شرح مسلم فى حديث ابن عباس هذا معناه انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذى حال بينهم وبين استراق السمع صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله عليه وسلم لم يعلم باستماعهم ولم يكلمهم وانما اعلمه الله عز وجل بما اوحى اليه من قوله قل اوحى الى انه استمع نفر من الجن واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن آخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم القطعى بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية على النحو الذى يليق بخلقتهم وبحالهم وان النبى صلى الله عليه وسلم رسول الى الانس والجن فمن دخل فى دينه فهو من المؤمنين ومعهم فى الدنيا والآخرة والجنة ومن كفر به فهو من الشياطين المبعدين المعذبين فيها والنار مستقره وهذا الحديث يقتضى ان الرجم بالنجوم لم يكن قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وآخرون الى انه كان لكن زاد بهذا المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا آخر كلام القرطبى والله اعلم * عكاظ سويقة معروفة بقرب مكة كان العرب يقصدونها فى كل سنة مرة فى الجاهلية واول الاسلام وتهامة كل مانزل عن نجد من بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة ممدودة ونخلة واد من اودية مكة قريب منها * واما التفسير فقوله سبحانه وتعالى قل اوحى الى امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو مبعوث الى الجن لتعلم قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا القرآن عرفوا اعجازه فآمنوا به وقوله استمع نفر من الجن النفر مابين الثلاثة الى العشرة قيل كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل سبعة سمعوا قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ فقالوا ﴾ اى لما رجعوا الى قومهم ﴿ انا سمعنا قرآنا عجبا ﴾ قال ابن عباس

(فقالوا) لقومهم حين رجعوا اليهم من استماع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الفجر (انا سمعنا قرآنا عجبا) عجيبا بديعا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه والعجب مايكون خارجا عن العادة وهو مصدر وضع موضع العجيب

(فقالوا) بعد ما آمنوا ورجعوا الى قومهم ياقومنا (انا سمعنا قرآنا عجبا) تلاوة قرآن عجيب كريم شريف يشبه كتاب موسى وكانوا اهل توراة

(يهدى الى الرشد) يدعو الى الصواب اوالى التوحيد والايمان (فآمنابه) بالقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله وبوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا احدا) من خلقه وجاز ان يكون الضمير فى به لله تعالى لان قوله بربنا يفسره (وانه تعالى جد ربنا) عظمته يقال جد فلان فى عينى اذا عظم ومنه قول عمر او انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اى عظم فى عيوننا (ما اتخذ صاحبة) زوجة (ولا ولد) كما يقول كفار الجن والانس (وانه كان يقول سفيهنا) جاهلنا او ابليس اذ ليس فوقه سفيه (على الله شططا) كفرا لبعده عن الصواب من شطت الدار اى بعدت اوقولا يجوز فيه عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره (وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا) قولا كذبا ومكذوبا فيه اونصب على المصدر اذ الكذب نوع من القول اى كان فى ظننا ان احدا لن يكذب على الله بنسبة الصاحبة والولد اليه فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه حتى تبين لنا بالقرآن

(يهدى الى الرشد) الى الحق والهدى والصواب لا اله الا الله (فآمنابه) بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن (ولن نشرك بربنا احدا) يعنون ابليس (وانه تعالى جد ربنا) ملك ربنا ويقال ارتفع عظمة ربنا وسلطان ربنا وغنى ربنا وصفة ربنا (ما اتخذ) من ان يتخذ (صاحبة) زوجة (ولا ولدا) كما يجعله الكفار (والجن) (وانه كان يقول سفيهنا) جاهلنا يعنون ابليس (على الله شططا) كذبا وزورا (وانا ظننا) حسبنا (ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا) ان ما يقول الانس والجن على الله ليس بكذب واستبان لنا انه كذب وكل هذا من اول السورة الى ههنا حكاية

للمبالغة ﴿ يهدى الى الرشد ﴾ الى الحق والصواب ﴿ فآمنا به ﴾ بالقرآن ﴿ ولن نشرك بربنا احدا ﴾ على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد ﴿ وانه تعالى جد ربنا ﴾ قرأ ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكى بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام عبد الله فانها من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا فى قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور فى به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اى عظمته من جد فلان فى عينى اذا عظم ملكه او سلطانه او غناه مستعار من الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾ بيان لذلك وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اى صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد ﴿ وانه كان يقول سفيهنا ﴾ ابليس او مردة الجن ﴿ على الله شططا ﴾ قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى ﴿ وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ﴾ اعتذار عن اتباعهم السفيه

رضى الله عنهما بليغا اى ذا عجب يعجب منه لبلاغته وفصاحته ﴿ يهدى الى الرشد ﴾ اى يدعو الى الصواب يعنى التوحيد والايمان ﴿ فآمنا به ﴾ اى بالقرآن ﴿ ولن نشرك بربنا احدا ﴾ اى ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان اولئك النفر كانوا مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين ﴿ وانه تعالى جد ربنا ﴾ اى جلال ربنا وعظمته ومنه قول انس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا اى عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمت قدرة ربنا وقيل امر ربنا وقيل فعله وقيل آلاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل علا ملك ربنا ﴿ ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ﴾ اى انه تعالى جلال ربنا وعظمته عن ان يتخذ صاحبة او ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس به والله تعالى منزه عن كل نقص ﴿ وانه كان يقول سفيهنا ﴾ يعنى جاهلنا قيل هو ابليس ﴿ على الله شططا ﴾ اى كذبا وعدوانا وهو وصفه تعالى بالشريك والولد او الشطط هو مجاوزة الحد فى كل شئ ﴿ وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ﴾ اى كنا نظن ان الانس

كذبهم كان الرجل من العرب اذا نزل بمخوف من الارض قال اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد كبير الجن فقال (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم) اى زاد الانس الجن باستعاذتهم بهم (رهقا) طغيانا وسفها

وكبرا بان قالوا سدنا الجن والانس اوفزاد الجن

فى ذلك لظنهم ان احدا لايكذب على الله وكذبا نصب على المصدرية لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اى قولا مكذوبا فيه ومن قرأ ان لن تقول كيعقوب جعله مصدرا لان التقول لايكون الا كذبا ﴿ وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ﴾ فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه ﴿ فزادوهم ﴾ فزادوا الجن باستعاذتهم بهم ﴿ رهقا ﴾ كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيايات اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق فى الاصل غشيان الشئ ﴿ وانهم ﴾ وان الانس ﴿ ظنوا كما ظننتم ﴾ ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله تعالى ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى به ﴿ ان لن يبعث الله احدا ﴾ ساد مسد مفعولى ظنوا ﴿ وانا لمسنا السماء ﴾ طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ﴿ فوجدناها ملئت حرسا ﴾ حراسا اسم جمع كالخدم

والجن صادقون فى قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لايكذبون على الله فى ذلك فلما سمعنا القرآن علمنا انهم قد كذبوا على الله * قوله تعالى ﴿ وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ﴾ وذلك ان الرجل من العرب فى الجاهلية كان اذا سافر فامسى فى ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى امن وجوار منهم حتى يصبح روى البغوى باسناد الثعلبى عن كردم بن ابى السائب الانصارى قال خرجت مع ابى الى المدينة فى حاجة وذلك اول ماذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت الى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فقال ياعامر الوادى جارك فنادى مناد لانراه ياسرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن ﴿ فزادوهم رهقا ﴾ وذكره ابن الجوزى فى تفسيره بغير سند ومعنى الآية زاد الانس الجن باستعاذتهم بقادتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا وقيل عظمة وذلك انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعنى عظماء الجن سدنا الجن والانس والرهق فى كلام العرب الاثم وغشيان المحارم ﴿ وانهم ظنوا ﴾ يعنى الجن ﴿ كما ظننتم ﴾ اى يامعشر الكفار من الانس ﴿ ان لن يبعث الله احدا ﴾ يعنى بعد الموت ﴿ وانا ﴾ يعنى يقول الجن وانا ﴿ لمسنا السماء ﴾ اى طلبنا بلوغ السماء الدنيا واستماع كلام اهلها ﴿ فوجدناها ملئت حرسا ﴾

الانس رهقا واثما لاستعاذتهم بهم واصل الرهق غشيان المحظور (وانهم) وان الجن (ظنوا كما ظننتم) يا اهل مكة (ان لن يبعث الله أحدا) بعد الموت اى ان الجن كانوا ينكرون البعث كانكاركم ثم بسماع القرآن اهتدوا واقروا بالبعث فهلا اقررتم كما اقروا (وانا لمسنا السماء) طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام اهلها واللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف (فوجدناها ملئت حرسا

من الله عن كلام الجن ثم قال (وانه كان رجال من الانس يعوذون) يتعوذون (برجال من الجن فزادوهم) بذلك (رهقا) عظمة وتكبرا وفتنة وفسادا وذلك انهم اذا سافروا سفرا او اصطادوا صيدا من صيدهم اونزلوا واديا خافوا منهم فقالوا نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه فيأمنون بذلك منهم فيزيد رؤساء الجن

بذلك عظمة وتكبرا على سفلتهم والجن هم ثلاثة اجزاء جزء فى الهواء وجزء ينزلون ويصعدون حيثما يشاؤن وجزء مثل الكلاب والحيات (وانهم) يعنى كفار الجن قبل ان آمنوا (ظنوا) حسبوا (كما ظننتم) حسبتم يا اهل مكة (ان لن يبعث الله احدا) بعد الموت ويقال ان لن يبعث الله احدا رسولا ثم رجع الى كلام الجن فقال (وانا لمسنا السماء) انتهينا الى السماء قبل ان آمنا (فوجدناها ملئت حرسا) من الملائكة

شديدا) جمعا اقوياء من الملائكة يحرسون جمع حارس ونصب على التميز وقيل الحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذا وصف بشديد ولو نظر الى معناه لقيل شدادا (وشهبا) جمع شهاب اى كواكب مضيئة (وانا كنا نقعد منها) من السماء قبل هذا (مقاعد للسمع) لاستماع اخبار السماء يعنى كنا نجد بعض السماء خالية من الحرس والشهب قبل المبعث (فمن يستمع) يرد الاستماع (الآن) بعد المبعث (يجد له) لنفسه (شهابا رصدا) صفة لشهابا بمعنى الراصد اى يجد شهابا راصدا له ولاجله

او هو اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع والجمهور على ان ذلك لم يكن قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كان الرجم فى الجاهلية ولكن الشياطين كانت تسترق السمع فى بعض الاوقات فمنعوا من الاستراق اصلا بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم (وانا لاندرى اشر) عذاب (اريد بمن فى الارض) بعدم استراق السمع (ام اراد بهم ربهم رشدا) خيرا ورحمة (وانا منا الصالحون) الابرار المتقون (ومنا)قوم (دون ذلك) فحذف الموصوف

﴿شديدا﴾ قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها ﴿وشهبا﴾ جمع شهاب وهو المضئ المتولد من النار ﴿وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع﴾ مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد ﴿ فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾ اى شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك فى الصافات ﴿ وانا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض ﴾ بحراسة السماء ﴿ ام اراد بهم ربهم رشدا ﴾ خيرا ﴿ وانا منا الصالحون ﴾ المؤمنون الابرار ﴿ ومنا دون ذلك ﴾ اى قوم دون

يعنى الملائكة ﴿شديدا وشهبا﴾ اى من النجوم ﴿ وانا كنا نقعد منها﴾ اى من السماء ﴿ مقاعد للسمع ﴾ يعنى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها ﴿ فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا ﴾ اى ارصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السماء يستمعون الوحى فاذا سمعوا الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زاد فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الامن امر قد حدث فى الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال هذا الحدث فى الارض اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه فى شدة الحراسة وكانوا يسترقون فى بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك اصلا فعلى هذا القول يكون حمل الجن على الضرب فى الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم عن الاستراق بالكلية ﴿ وانا لاندرى اشر اريد بمن فى الارض ﴾ اى برمى الشهب ﴿ ام اراد بهم ربهم رشدا ﴾ ومعنى الآية لاندرى هل المقصود من المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اريد بهم صلاح وخير ﴿ وانا منا الصالحون ﴾ اى المؤمنون المخلصون ﴿ ومنا دون ذلك ﴾ اى دون الصالحين مرتبة قيل المراد بهم

(شديدا) كثيرا (وشهبا) نجما مضيئا يدحرهم عن الاستماع (وانا كنا نقعد منها) من السماء (مقاعد للسمع) الاستماع قبل ان يبعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (فمن يستمع الآن) بعد ما بعث محمد عليه السلام (يجد له شهابا) نجما مضيئا (رصدا) من الملائكة يدحرونهم عن الاستماع (وانا لاندرى) لانعلم (اشر اريد بمن فى الارض) حين منعنا عن الاستماع (ام اراد بهم ربهم رشدا) هدى وصوابا وخيرا ويقال وانا لاندرى لانعلم اشر اريد بمن فى الارض حين بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم اذ لم يؤمنوا به فيهلكهم الله ام اراد بهم ربهم رشدا هدى وصوابا اذا آمنوا به (وانا منا الصالحون) الموحدون وهم الذين آمنوا بمحمد عليه السلام والقرآن (ومنا دون ذلك) (غير)

وهم المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه اوارادوا غير الصالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة اى كنا ذوى مذاهب متفرقة اواديان مختلفة والقدد جمع قدة وهى القطعة من قددت السير اى قطعته (وانا ظننا) ايقنا (ان لن نعجز الله) اى لن نفوته (فى الارض) حال اى ان نعجزه كائنين فى الارض اينما كنا فيها (ولن نعجزه هربا) مصدر فى موضع الحال اى ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وهذه صفة الجن وماهم عليه من احوالهم وعقائدهم (وانا لما سمعنا الهدى) القرآن (آمنا به) بالقرآن اوبالله (فمن يؤمن بربه فلا يخاف) فهو لا يخاف مبتدأ وخبر (بخسا) نقصا من ثوابه (ولارهقا) اى ولا ترهقه ذلة من قوله وترهقهم ذلة وقوله ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة وفيه دليل على ان العمل ليس من الايمان (وانا منا المسلمون) المؤمنون (ومنا القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق قسط جار واقسط عدل (فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا) طلبوا هدى والتحرى طلب الاحرى اى الاولى

ذلك لحذف الموصوف وهم المقتصدون ﴿كنا طرائق﴾ ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق فى اختلاف الاحوال اوكانت طرائقنا طرائق ﴿قددا﴾ متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع ﴿وانا ظننا﴾ علمنا ﴿ان لن نعجز الله فى الارض﴾ كائنين فى الارض اينما كنا فيها ﴿ولن نعجزه هربا﴾ هاربين منها الى السماء اولن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا ﴿وانا لما سمعنا الهدى﴾ اى القرآن ﴿آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف﴾ فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمنين واختصاصها بهم ﴿بخسا ولارهقا﴾ نقصا فى الجزاء ولا ان ترهقه ذلة اوجزاء نقص لانه لم يبخس لاحد حقا ولم يرهق ظلما لان من حق المؤمن بالقرآن ان يجتنب ذلك ﴿وانا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة ﴿فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا﴾ توخوا

غير الكاملين فى الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره ﴿كنا طرائق قددا﴾ اى جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدة القطعة من الشئ قال مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهواء مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى كاهواء الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغير ذلك من اهل الاهواء فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا اى سنصير طرائق قددا وهو بيان للقسمة المذكورة اى كنا ذوى مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه كنا فى اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة ﴿وانا ظننا﴾ الظن هنا بمعنى العلم واليقين اى علمنا وايقنا ﴿ان لن نعجز الله فى الارض﴾ اى لن نفوته ان اراد بنا امرا ﴿ولن نعجزه هربا﴾ اى ان طلبنا فلن نعجزه اينما كنا ﴿وانا لما سمعنا الهدى آمنا به﴾ اى لما سمعنا القرآن آمنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا﴾ اى نقصانا من عمله وثوابه ﴿ولارهقا﴾ يعنى ظلما وقيل مكروها يغشاه ﴿وانا منا المسلمون﴾ وهم الذين آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ﴿ومنا القاسطون﴾ اى الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله اندادا ﴿فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا﴾ اى قصدوا طريق الحق وتوخوه

كافرون وهم كفرة الجن (كنا طرائق قددا) اهواء مختلفة اليهودية والنصرانية قبل ان آمنا بالله (وانا ظننا) علمنا وايقنا (ان لن نعجز الله فى الارض) ان لن نفوت من الله فى الارض حيثما كنا يدركنا (ولن نعجزه هربا) ان لانفوت منه بالهرب (وانا لما سمعنا الهدى) تلاوة القرآن من محمد عليه السلام (آمنا به) بالقرآن وبمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) ذهاب عمله كله (ولارهقا) نقصان عمله (وانا منا المسلمون) المخلصون بالتوحيد وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم والقرآن (ومنا القاسطون) العاصون المائلون عن الحق والهدى وهم كفرة الجن (فمن اسلم) اخلص بالتوحيد (فاولئك تحروا رشدا) نووا صوابا

(واما القاسطون فكانوا) فى علم الله (لجهنم حطبا) وقودا وفيه دليل على ان الجنى الكافر يعذب فى النار ويتوقف
فى كيفية ثوابهم (وان)

مخففة من الثقيلة يعنى وانه وهى من جملة الموحى اى اوحى الى ان الشان (لو استقاموا) اى القاسطون (على الطريقة) طريقة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) كثيرا والمعنى لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق لانه سبب سعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ماخولوا منه (ومن يعرض عن ذكر ربه) القرآن او التوحيد او العبادة (يسلكه) بالياء عراقى غير ابى بكر يدخله (عذابا صعدا) شاقا مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اى يعلوه ويغلبه فلايطيقه ومنه قول عمر رضى الله عنه ماتصعدنى شئ ماتصعدتنى خطبة النكاح اى ماشق على

وخيرا (واما القاسطون) الكافرون (فكانوا لجهنم حطبا) شجرا (وان لو استقاموا على الطريقة) طريقة الكفر ويقال طريقة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) لاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا واسعا (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه حتى يرجعوا الى ما قدرت عليهم (ومن يعرض عن ذكر ربه) عن توحيد ربه وكتاب ربه القرآن وهو الوليد ابن المغيرة المخزومى (نسلكه) نكلفه (عذابا صعدا) الصعود على جبل املس من صخرة ويقال من نحاس فى النار (قال)

رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب ﴿واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾ توقد بهم كما توقد بكفار الانس ﴿وان لو استقاموا﴾ اى ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما ﴿على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا﴾ اى على الطريقة المثلى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب ﴿لنفتنهم فيه﴾ لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفرانهم ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ عن عبادته اوموعظته او وحيه ﴿يسلكه﴾ يدخله وقرأ غير الكوفيين بالنون ﴿عذابا صعدا﴾ شاقا

﴿واما القاسطون﴾ يعنى الذين كفروا ﴿فكانوا لجهنم حطبا﴾ يعنى وقودا للنار يوم القيامة فان قلت قد تمسك بظاهر هذه الآية من لايرى لمؤمنى الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب والله اعدل واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا آخر والله تعالى قادر ان يعذب النار بالنار * قوله عز وجل ﴿وان لو استقاموا على الطريقة﴾ اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى لو استقام الجن على طريقة المثلى الحسنى لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القرآن على طريقة التى كانوا عليها قبل استماع القرآن ولم يسلموا ﴿لاسقيناهم ماء غدقا﴾ اى لوسعنا الرزق عليهم ﴿لنفتنهم فيه﴾ وقيل الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وان لو استقاموا يعنى كفار مكة على الطريقة يعنى على طريقة الحق والايمان والهدى وكانوا مؤمنين مطيعين لاسقيناهم ماء غدقا يعنى كثيرا وذلك بعد ما رفع عنهم المطر سبع سنين والمعنى لو آمنوا لوسعنا عليهم فى الدنيا ولاعطيناهم ماء كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله اصله من المطر وقوله لنفتنهم فيه اى لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل فى معنى الآية لو استقاموا اى ثبتوا على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا به فنعذبهم والقول الاول اصح لان الطريقة معرفة بالالف واللام وهى طريقة الهدى والقول بان الآية فى الانس اولى لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ اى عن عبادة ربه وقيل عن مواعظه ﴿نسلكه﴾ اى ندخله ﴿عذابا صعدا﴾

(وان المساجد لله) من جملة الموحى اى اوحى الى ان المساجد اى البيوت المبنية للصلاة فيها لله وقيل معناه ولان المساجد لله فلاتدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اى (فلاتدعوا مع الله احدا) فى المساجد لانها خالصة لله ولعبادته وقيل المساجد اعضاء السجود وهى الجبهة واليدان والركبتان والقدمان (وانه لما قام عبدالله) محمد عليه السلام الى الصلاة وتقديره واوحى الى انه لما قام عبدالله (يدعوه) يعبده ويقرأ القرآن ولم يقل نبى الله او رسول الله لانه من احب الاسماء الى النبى صلى الله عليه وسلم ولانه لما كان واقعا فى كلامه صلى الله عليه وسلم عن نفسه جىء به على ما يقتضيه التواضع او لان عبادة عبدالله لله ليست بمستبعد حتى يكونوا عليه لبدا (كادوا) كاد الجن (يكونون عليه لبدا) جماعات جمع لبدة تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء

(وان المساجد لله) بنيت لذكر الله (فلاتدعوا) فلا تعبدوا (مع الله احدا) فى المساجد ويقال المساجد مساجد الرجل الجبهة والركبتان واليدان والرجلان (وانه لما قام عبدالله) محمد عليه السلام ببطن نخل (يدعوه) يعبد ربه بالصلاة (كادوا يكونون عليه لبدا) كاد الجن ان يركبوا (قا وخا ٤٨ س) عليه حرصا لحبهم القران ومحمدا عليه السلام بين سمعوا قراءة محمد عليه السلام ببطن نخل

يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به ﴿ وان المساجد لله ﴾ مختصة به ﴿ فلاتدعوا مع الله احدا ﴾ فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهى الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله او آراب السبعة او السجدات على انه جمع مسجد ﴿ وانه لما قام عبد الله ﴾ اى النبى وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه ﴿ يدعوه ﴾ يعبده ﴿ كادوا ﴾ كاد الجن ﴿ يكونون عليه لبدا ﴾ متراكمين

قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لاراحة فيه وقيل لايزداد الاشدة * قوله تعالى ﴿ وان المساجد لله ﴾ يعنى المواضع التى بنيت للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع التى لليهود والنصارى ﴿ فلا تدعوا مع الله احدا ﴾ قال قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فأمر الله عز وجل المؤمنين ان يخلصوا الدعوة لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع الارض كلها لان الارض كلها جعلت مسجدا للنبى صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبى صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناؤن عنك فنزلت وان المساجد لله وروى عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التى يسجد عليها الانسان وهى سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التى يقع عليها السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره (م) عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة آراب وجهه وكفاه وركبتاه وقدماه الآراب الاعضاء (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال امرنا النبى صلى الله عليه وسلم ان نسجد على سبعة اعضاء وان لانكفت شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين والقدمين وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعضاء على الجبهة واشار بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولانكفت الثياب ولا الشعر كفت شعره عقصه وغرز طرفه فى اعلى الضفيرة وقد نهى عن ذلك * قوله عز وجل ﴿ وانه لما قام عبدالله ﴾ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ يدعوه ﴾ يعنى يعبد الله ويقرأ القرآن وذلك حين كان يصلى الفجر ببطن نخلة ﴿ كادوا ﴾ يعنى الجن ﴿ يكونون عليه لبدا ﴾ يعنى يركب بعضهم بعضا من الازدحام عليه حرصا على استماع القرآن قاله ابن عباس وعنه ايضا انه من قول النفر من الجن الذين رجعوا الى قومهم فاخبروهم عن طاعة اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به فى الصلاة وقيل فى معنى الآية لما قام عبدالله بالدعوة تلبدت

اصحابه به واعجابا بما تلاه من القرآن لانهم رأوا مالم يروا مثله (قل انما ادعوا ربى) وحده قال غير عاصم وحمزة (ولا اشرك به احدا) فى العبادة فلم تتعجبون وتزدحمون على (قل انى لا املك لكم ضرا) مضرة (ولا رشدا) نفعا او اراد بالضر الغى بدليل قراءة ابى غيا ولا رشدا يعنى لا استطيع ان اضركم وان انفعكم لان الضار والنافع هو الله (قل انى لن يجيرنى من الله احد) لن يدفع عنى عذابه احد ان عصيته كقول صالح عليه السلام فمن ينصرنى من الله ان عصيته (وان اجد من دونه ملتحدا) ملتجأ (الا بلاغا من الله) استثناء من لا املك اى لا املك

الا بلاغا من الله وقل انى لن يجيرنى اعتراض لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اى لن اجد من دونه منجى الا ان ابلغ عنه ما ارسلنى به يعنى لا ينجينى الا ان ابلغ عن الله ما ارسلت به فان ذلك ينجينى وقال الفراء هذا شرط وجزاء ليس باستثناء وان منفصلة من لا وتقديره ان لا ابلغ بلاغا اى ان لم ابلغ لم اجد من دونه ملتجأ ولا مجيرا لى كقولك ان لا قياما فقعودا والبلاغ فى هذه الوجوه بمعنى التبليغ (ورسالاته) عطف على بلاغا كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات اى الا ان ابلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالته التى ارسلنى بها بلا زيادة ونقصان ومن ليست بصلة للتبليغ لانه يقال بلغ عنه انما هى بمنزلة من فى براءة من الله اى بلاغا كائنا من الله

{بلغ}

من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الانس والجن يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجد جمع لابد ولبدا بضمتين كصبر جمع لبود ﴿قال انما ادعو ربى ولا اشرك به احدا﴾ فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتى وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبى عليه السلام ليوافق ما بعده ﴿قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا﴾ ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين ﴿قل انى لن يجيرنى من الله احد﴾ ان ارادنى بسوء ﴿وان اجد من دونه ملتحدا﴾ منحرفا وملتجأ واصله المدخل من اللحد ﴿الا بلاغا من الله﴾ استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانتفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا ومعناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ﴿ورسالاته﴾ عطف على بلاغا

الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق الذى جاءهم به ويطفؤا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه واصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض ﴿قال﴾ يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ قل على الامر ﴿انما ادعوا ربى﴾ وذلك ان كفار مكة قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن نجيرك فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم انما ادعو ربى ﴿ولا اشرك به احدا قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا﴾ اى لا اقدر على ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق اليكم رشدا وانما الضار والنافع والمرشد والمغوى هو الله تعالى ﴿قل انى لن يجيرنى من الله احد﴾ اى لن يمنعنى منه احد ان عصيته ﴿ولن اجد من دونه ملتحدا﴾ اى ملجأ الجأ اليه وقيل حرزا احترز به وقيل مدخلا فى الارض مثل السرب ادخل فيه ﴿الا بلاغا من الله ورسالاته﴾ اى ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذى يجيرنى من عذاب الله يعنى التبليغ وقيل لا بلاغا من الله فذلك الذى املكه بعون الله وتوفيقه وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا لكن

(قل انما ادعو) اعبد (ربى) وادعو الخلق اليه (ولا اشرك به احدا قل) يا محمد لاهل مكة (انى لا املك لكم ضرا) دفع الضر والخذلان والعذاب (ولا رشدا) ولا جر النفع والهدى (قل) لهم يا محمد (انى لن يجيرنى من الله) من عذاب الله (احد) ان عصيته (ولن اجد من دونه) من عذاب الله (ملتحدا) ملجأ ومهربا فى الارض (الا بلاغا من الله ورسالاته) يقول لا ينجينى الا التبليغ

(ومن يعص الله ورسوله) فى ترك القبول لما أنزل على الرسول لانه ذكر على اثر تبليغ الرسالة (فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا) وحد فى قوله له وجمع فى خالدين للفظ من ومعناه (حتى) يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال كانه قيل لا يزالون على ماهم عليه حتى (اذا رأوا مايوعدون) من العذاب (فسيعلمون) عند حلول العذاب بهم (من اضعف ناصرا واقل عددا) اهم ام المؤمنون اى الكافر لا ناصر له يومئذ و المؤمن ينصره الله وملائكته و انبياؤه (قل ان ادرى) ماادرى (أقريب ماتوعدون) { سورة الجن } من العذاب (ام يجعل له ربى) وبفتح الياء حجازى وابوعمرو (امدا) غاية بعيدة يعنى انكم تعذبون قطعا ولكن لا ادرى اهو حال ام مؤجل (عالم الغيب) هو خبر مبتدا اى هو عالم الغيب (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه احدا) من خلقه (الا من ارتضى من رسول) الا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ليكون اخباره عن الغيب معجزة له فانه يطلعه على غيبه ماشاء ومن رسول بيان لمن ارتضى والولى اذا اخبر بشى فظهر فهو غير جازم عليه ولكنه اخبر بناء على رؤياه او بالفراسة على ان كل كرامة للولى فهى

ومن الله صفته فان صلته عن كتموله صلى الله عليه وسلم بلغوا عنى ولو آية ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه ﴿ فان له نار جهنم ﴾ وقرئ فان على فجزؤه ان ﴿ خالدين فيها ابدا ﴾ جمعه للمعنى ﴿ حتى اذا رأوا مايوعدون ﴾ فى الدنيا كوقعة بدر او فى الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثانى او لمحذوف دل عليه الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له ﴿ فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا ﴾ اهو ام هم ﴿ قل ان ادرى ﴾ ما ادرى ﴿ اقريب ماتوعدون ام يجعل له ربى امدا ﴾ غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا مايوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادرى ماوقته ﴿ عالم الغيب ﴾ هو عالم الغيب ﴿ فلا يظهر ﴾ فلا يطلع ﴿ على غيبه احدا ﴾ اى على الغيب المخصوص به علمه ﴿ الا من ارتضى ﴾ لعلم بعضه حتى يكون له معجزة ﴿ من رسول ﴾ بيان لمن واستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص

ابلغ بلاغا عن الله عز وجل فانما انا مرسل لا املك الا ماملكت ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ يعنى ولم يؤمن ﴿ فان له نار جهنم خالدين فيها ابدا حتى اذا رأوا مايوعدون ﴾ يعنى العذاب يوم القيامة ﴿ فسيعلمون ﴾ اى عند نزول العذاب ﴿ من اضعف ناصرا واقل عددا ﴾ اهم ام المؤمنون ﴿ قل ان ادرى ﴾ اى ما ادرى ﴿ اقريب ماتوعدون ﴾ يعنى العذاب وقيل يوم القيامة ﴿ ام يجعل له ربى امدا ﴾ اى اجلا وغاية تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل ﴿ عالم الغيب ﴾ اى هو عالم ماغاب عن العباد ﴿ فلا يظهر ﴾ اى فلا يطلع ﴿ على غيبه ﴾ اى الغيب الذى يعلمه وانفرد به ﴿ احدا ﴾ اى من الناس ثم استثنى فقال تعالى ﴿ الا من ارتضى من رسول ﴾ يعنى الا من يصطفيه لرسالته ونبوته فيظهره على مايشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر به من المغيبات فيكون ذلك معجزة له وآية دالة على نبوته قال الزمخشرى وفى هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما

عن الله ورسالاته (ومن يعص الله) فى التوحيد (ورسوله) فى التبليغ (فان له) فى الآخرة (نار جهنم خالدين فيها) مقيمين فى النار لا يموتون ولا يخرجون منها (ابدا حتى) يقول انظرهم يا محمد حتى (اذا رأوا ما يوعدون) من العذاب (فسيعلمون) وهذا وعيد من الله لهم (من اضعف ناصرا) مانعا (واقل عددا) اعوانا (قل) لهم يا محمد حين تعجلوا بالعذاب (ان ادرى) ما ادرى (اقريب ماتوعدون) من العذاب (ام يجعل له ربى امدا) اجلا (عالم الغيب) بنزول العذاب يعلم ذلك (فلا يظهر) فلا يطلع (على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) الا من اختار من الرسل فانه يطلعه على

الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير واسطة وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء ﴿ فانه يسلك من بين يديه ﴾ من بين يدى المرتضى ﴿ ومن خلفه رصدا ﴾ حراسا من الملائكة

ابعد شئ من الارتضاء وادخله فى السخط قال الواحدى وفى هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله على مايكون من حياة اوموت ونحوه ذلك فقد كفر بمافى القرآن فأما الزمخشرى فأنكر كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه فى الاعتزال ووافق الواحدى وغيره من المفسرين فى ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام فخر الدين ونسبة الآية الى الصورتين واحدة فان جعل الآية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغى ان يجعلها دالة على المنع من الكرامات قال وعندى ان الآية لادلالة فيها على شئ من ذلك والذى تدل عليه ان قوله فلايظهر على غيبه احدا ليس فيه صيغة عموم فيكفى فى العمل بمقتضاه ان لايظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه فنحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الآية انه تعالى لايظهر هذا الغيب لاحد فلايبقى فى الآية دلالة على انه لايظهر شيأ من الغيوب لاحد ثم انه يجوز ان يطلع الله على شئ من المغيبات غير الرسل كالكهنة وغيرهم وذكر مايدل على صحة قوله والذى ينبغى ان مذهب اهل السنة اثبات كرامات الاولياء خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله بعض اوليائه وقوع بعض الوقائع فى المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبياء وان يكن فى امتى احد فانه عمر ابن الخطاب اخرجه البخارى قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى امتى منهم احد فان عمر بن الخطاب منهم ففى هذا اثبات كرامات الاولياء ولايقال لوجازت الكرامة للولى لما تميزت معجزة النبى صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولانسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبى وكرامة الولى ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرون بالتحدى ولايجوز للولى ان يدعى خرق العادة مع التحدى اذلو ادعاه الولى لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولى امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبى لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابع له فلولم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه واما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القرآن وكذلك حكم المنجم والله تعالى اعلم * وقوله تعالى ﴿ فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه ﴾ اى من بين يدى الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع الجهات ﴿ رصدا ﴾ اى حفظة من الملائكة يحفظونه من الشيطان ان يسترق السمع من الملائكة ويحفظونه من

معجزة للرسول وذكر فى التأويلات قال بعضهم فى هذه الآية دلالة تكذيب المنجمة وليس كذلك فان فيهم من يصدق خبره وكذلك المتطببة يعرفون طبائع النبات وذا لايعرف بالتأمل فعلم بانهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع اثره وبقى علمه فى الخلق (فانه يسلك) يدخل (من بين يديه) يدى الرسول (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ الوحى

بعض الغيب (فانه يسلك) يجعل (من بين يديه) من بين يدى الرسول (ومن خلفه رصدا) حرسا من الملائكة يحفظونه من الجن والشياطين والانس لكى لايستمعوا قراءة جبريل عليه السلام

(ليعلم) الله (ان قد ابلغوا) اى الرسل (رسالات ربهم) كاملة بلا زيادة ولا نقصان الى المرسل اليهم اى ليعلم الله ذلك موجودا حال وجوده كما كان يعلم ذلك قبل وجوده انه يوجد وحد الضمير فى من بين يديه للفظ من وجمع فى ابلغوا لمعناه (واحاط) الله (بما لديهم) بما عند الرسل من العلم (واحصى كل شئ

يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ﴿ليعلم ان قد ابلغوا﴾ اى ليعلم النبى الموحى اليه ان قد ابلغ جبريل والملائكة النازلون بالوحى او ليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا ﴿رسالات ربهم﴾ كما هى محروسة من التغيير ﴿واحاط بما لديهم﴾ بما عند الرسل ﴿واحصى كل شئ عددا﴾ حتى القطر والرمل * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

﴿سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة اوعشرون﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا ايها المزمل﴾ اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاى

عددا) من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحر فكيف لايحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال اى وعلم كل شئ معدودا محصورا او مصدر فى معنى احصاء والله اعلم

﴿سورة المزمل صلى الله عليه وسلم مكية وهى تسع عشرة آية بصرى وثمان عشرة شامى﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا ايها المزمل) اى المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه اى تلفف بها بادغام التاء

الجن ان يسمعوا الوحى فيلقوه الى الكهنة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس فى صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان فى صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره وان جاء ملك قالوا له هذا رسول ربك ﴿ليعلم﴾ اى ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ان﴾ اى ان جبريل قد بلغ اليه رسالات ربه وقيل معناه ليعلم محمد ان الرسل قبله قد ابلغوا رسالات ربهم وان الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله ان الرسل ﴿قد ابلغوا رسالات ربهم﴾ فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا فيوجب فيه الثواب ﴿واحاط بما لديهم﴾ اى علم الله ما عند الرسل فلا يخفى عليه شئ من امورهم ﴿واحصى كل شئ عددا﴾ قال ابن عباس احصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شئ حتى مثاقيل الذر والخردل والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿تفسير سورة المزمل هى مكية قيل غير آيتين منها وهما قوله﴾
﴿واصبر على مايقولون وقيل غير آية وهى ان ربك يعلم انك تقوم﴾
﴿الآية وهى عشرون آية ومائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة﴾
﴿وثمانية وثلاثون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿يا ايها المزمل﴾ هذا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم واصله

(ليعلم) محمد عليه السلام (ان قد ابلغوا) عن الله يعنى الرسل (رسالات ربهم) هكذا تحفظهم الملائكة كما حفظك ويقال ليعلم الرسل محمد عليه السلام وغيره ان قد ابلغوا يعنى الملائكة رسالات ربهم عن الله ويقال ليعلم لكى يعلم الجن والانس ان قد ابلغوا يعنى الرسل رسالات ربهم قبل ان علمنا (واحاط بما لديهم) بما عندهم من الملائكة (واحصى كل شئ عددا) احصاه ويقال عالم بعددهم كما علم بحال المزمل بثيابه

﴿ومن السورة التى يذكر فيها المزمل وهى مكية غير قوله وذرنى والمكذبين اولى النعمة ومهلهم قليلا فانها مدنية آياتها تسع عشرة وكلماتها مائتان وخمس وثمانون وحروفها ثمانمائة وثمان وثلاثون (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا ايها المزمل) المتزمل يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم قد تزمل بثيابه ليلبسها للصلاة

وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اى الذى زمله غيره او زمل نفسه سمى به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تهجينا لما كان عليه فانه كان ائما او مرتعدا مما دهشه من بدء الوحى متزملا فى قطيفة او تحسينا له اذ روى انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى متلففا بمرط مفروش على عائشة رضى الله عنها فنزلت او تشبيها له فى تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد فى قيام الليل او من تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اى الذى تحمل اعباء النبوة ﴿ قم الليل ﴾ اى قم الى الصلاة وداوم عليها فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع والتخفيف ﴿ الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه ﴾ الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير فى منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه

المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه اى تلفف قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل فى ثيابه اول ما جاء جبريل فرقا منه فكان يقول زملونى زملونى حتى انس به وقيل خرج يوما من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة اى حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب بالنبي والرسول لانه كان فى اول الامر ومبدئه ثم خوطب بالنبى والرسول بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل فى ثوبه فنودى يا ايها المزمل ﴿ قم الليل ﴾ اى للصلاة والعبادة وهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة فى ابتداء الاسلام ﴿ الا قليلا ﴾ اى صل الليل الا قليلا تنام فيه وهو الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى ﴿ نصفه ﴾ اى قم نصف الليل ﴿ او انقص منه قليلا ﴾ اى الى الثلث ﴿ او زد عليه ﴾ اى على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل فكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لايدرى متى ثلث الليل اومتى نصفه اومتى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة ان لايحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها عنهم بقوله فاقرؤا ماتيسر منه قيل ليس فى القرآن سورة نسخ آخرها اولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها ونزول آخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك فى حق الامة بالصلوات الخمس وثبتت فريضته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك (م) عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عائشة فقلت يا ام المؤمنين انبئينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن قلت فقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام المؤمنين قالت ألست تقرأ المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام فى اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم

فى لزاى وكان النبى صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا فى ثيابه فامر بالقيام للصلاة بقوله (قم الليل الا قليلا نصفه) بدل من من الليل والا قليلا استثناء من قوله نصفه تقديره قم نصف الليل الا قليلا من نصف الليل (او انقص منه) من النصف بضم الواو غير عاصم وحمزة (قليلا) الى الثلث (او زد عليه) على النصف الى الثلثين والمراد التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البت وبين ان يختار احد

(قم الليل) بالصلاة ثم قال (الا قليلا) ثم بين فقال (نصفه) اى قم نصف الليل للصلاة (او انقص منه) من النصف (قليلا) الى الثلث (او زد عليه)

﴿وامسك﴾

كالربع والاكثر منه كالنصف وللنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر اوالاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص منه والزآئد عليه ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل وامسك الله خاتمتها اثنى عشر شهرا فى السماء ثم انزل التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة * وقوله تعالى ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ قال ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقرأه على هينتك ثلاث آيات واربعا وخمسا وقيل الترتيل هو التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا اثره فى اثر بعض بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تأكيد فى الامر به وانه لابد للقارئ منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام الليل أتبعه بترتيل القرآن حتى يتمكن المصلى من حضور القلب والتأمل والفكر فى حقائق الآيات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى يستشعر بقلبه عظمة المذكور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجاء والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع فى القراءة لايحصل فيها ذلك فظهر بذلك ان المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة

فصل

(خ) عن قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم * عن ام سلمة رضى الله عنها وقد سألها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فاذا هى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائى * وللترمذى قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين ثم يقف وفى رواية ابى داود قالت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين يقطع قراءته آية آية (ق) عن عبد الله بن مغفل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرأ سورة الفتح فرجع فى قراءته (ق) عن ابى وائل شقيق بن سلمة قال جاء رجل الى ابن مسعود قال انى لاقرأ المفصل فى ركعة قال عبد الله هذا كهذا الشعر ان أقواما يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع فى القلب فرسخ نفع ان افضل الصلاة الركوع والسجود انى لاعرف النظائر التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن سورتين فى كل ركعة وفى رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لايجاوز تراقيهم التراقى جمع ترقوة وهى العظم الذى بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير وهو الشبه والمثل * عائشة رضى الله عنها قالت قام النبى صلى الله

الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان جعلت نصفه بدلا من قليلا كان مخيرا بين ثلاثة اشياء بين قيام نصف الليل تاما وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل والاطلاق لفظ القليل ينطلق على مادون النصف ولهذا قلنا اذا اقر أن لفلان عليه الف درهم الا قليلا انه يلزمه اكثر من نصف الالف (ورتل القرآن) بين وفصل من الثغر المرتل اى المفلج الاسنان وكلام رتل بالتحريك اى مرتل وثغر رتل ايضا اذا كان مستوى البنيان او اقرأ على تؤده بتبيين الحروف وحفظ الوقوف واشباع الحركات (ترتيلا) هو تأكيد فى ايجاب الامر به وانه لابد منه للقارئ

على النصف الى الثلثين فخيره فى قيام الليل ثم قال (ورتل القرآن ترتيلا) اقرأ القرآن على رسلك وهينتك وتؤدة ووقار تقرأ آية وآيتين وثلاثا ثم كذلك حتى تقطع

ورتل اذا كان مفخما ﴿ انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾ يعنى القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته الجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه شاق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل

عليه وسلم بآية من القرآن اخرجه الترمذى وللنسائى عن ابى ذر نحوه وزاد والآية ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم * عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤا القرآن قبل ان يقرأه اقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل اقراءته ولا يتأجله اخرجه ابو داود زاد غيره فى رواية لايجاوز تراقيهم * عن جابر رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ القرآن وفينا العربى والعجمى فقال اقرؤا فكل حسن وسيجىء اقوام يقيمونه كما يقام القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه اخرجه ابو داود * عن ابن مسعود قال لاتنثروه نثر الدقل ولا تهذوه هذا الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولايكن هم احدكم آخر السورة * قوله تعالى ﴿ انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ﴾ قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعنى كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل شىء له خطر ومقدار فهو ثقيل والمعنى فصير نفسك مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهى فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيلا على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل فى الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا اى ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول مبين فى صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا فى الوحى وذلك انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه القرآن والوحى يجد له مشقة (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتينى فى مثل صلصلة الجرس وهذا اشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى كرب لذلك وتربد له وجهه وفى رواية كان اذا نزل عليه الوحى عرفنا ذلك فى فيه وغمض عينيه وتربد وجهه قوله مثل صلصلة الجرس

(انا سنلقى عليك) سننزل عليك (قولا ثقيلا) اى القرآن لما فيه من الاوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين او ثقيلا على المنافقين او كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف الخفيف

(انا سنلقى عليك) سننزل عليك جبريل (قولا ثقيلا) بكلام شديد بالامر والنهى والوعد والوعيد والحلال والحرام ويقال عظيما ويقال ثقيلا على من خالفه ويقال ثقيلا بصلاة الليل

على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية للسر وتجريد للنظر او ثقيل فى الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضى الله عنها رأيته عليه السلام ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه صلى الله عليه وسلم ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنف فان التهجد يعد للنفس ما به تعالج ثقله ﴿ان ناشئة الليل﴾ ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض وقام قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى * والصق منها مشرفات القماحد

اوقيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث به او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى اوساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت ﴿هى اشد وطأ﴾ اى كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اى موطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص ﴿واقوم قيلا﴾ واشد مقالا واثبت

الصلصلة الصوت الشديد الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه *قوله فيفصم اى ينفصل عنى ويفارقنى وقد وعيت ما قال اى حفظت* وقولها ليتفصد عرقا اى يجرى عرقه كما يجرى الدم من الفاصد * قوله تربد وجهه الربدة فى الالوان غبرة مع سواد * وقوله تعالى ﴿ان ناشئة الليل﴾ اى ساعاته كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشأ عن التى قبلها وقال ابن ابى مليكة سألت ابن عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة وهى عبارة عن الامور التى تحدث وتنشأ فى الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هى قيام آخر الليل وقيل اوله وقيل اى ساعة قام الانسان من الليل فقد نشأ روى عن زين العابدين على بن الحسين انه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهى ناشئة الليل وقيل ناشئة الليل قيامه ﴿هى اشد وطاء﴾ قرئ بكسر الواو مع المد يعنى من المواطأة والموافقة وذلك لان مواطأة القلب واللسان والسمع والبصر تكون بالليل اكثر مما تكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء اى اشد على المصلى واثقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس اشد واثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل هى اشد وطأ يقول هى اجدر ان يحصوا ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لايدرى متى يستيقظ وقيل اثبت للخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل هى اوطأ للقيام واسهل على المصلى من ساعات النهار لانه خلق لتصرف العباد والليل للعبادة والخلوة برب العباد ولان الليل افرغ للقلب من النهار ولايعرض له فى الليل حوائج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد من الرياء وهو قوله تعالى ﴿واقوم قيلا﴾ اى اصوب قراءة واصح قولا من النهار لهدأة الناس وسكون الاصوات وقيل معناه ابين قولا بالقرآن والحاصل ان عبادة الليل اشد نشاطا واتم اخلاصا وابعد عن الرياء واكثر بركة وابلغ فى الثواب

(ان ناشئة الليل) بالهمزة سوى ورش قيام الليل عن ابن مسعود رضى الله عنه فهو مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية اوالعبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث اوساعات الليل لانها تنشأ ساعة فساعة وكان زين العابدين رضى الله عنه يصلى بين العشاءين ويقول هذه ناشئة الليل (هى اشد وطاء) وفاقا شامى وابو عمرو اى يواطئ فيها قلب القائم لسانه وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق غيرهما وطأ اى اثقل على المصلى من صلاة النهار لطرد النوم فى وقته من قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر (واقوم قيلا) واشد مقالا واثبت قراءة لهدو الاصوات وانقطاع الحركات

(ان ناشئة الليل) قيام الليل بالصلاة (هى اشد وطأ) نشاطا للرجل اذا كان محتسبا للصلاة ويقال ارق وارفق للقلب (واقوم قيلا) أبين قراءة للقرآن

(ان لك فى النهار سبحا طويلا) تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ففرغ نفسك فى الليل لعبادة ربك اوفراغا طويلا لنومك وراحتك (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره فى الليل والنهار وذكر الله يتناول التسبيح والتهليل والتكبير والصلاة وتلاوة القرآن ودراسة العلم (وتبتل اليه) انقطع الى عبادته عن كل شئ والتبتل الانقطاع الى الله تعالى بتأميل الخير منه دون غيره وقيل رفض الدنيا ومافيها والتماس ما عندالله (تبتيلا) فى اختلاف المصدر زيادة تأكيد اى بتلك الله فتبتل تبتيلا او جيء به مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) بالرفع اوهو رب اومبتدأ خبره (لا اله الا هو) وبالجر شامى وكوفى غير حفص بدل من ربك وعن ابن عباس رضى الله عنهما على القسم باضمار حرف القسم نحو الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كقوله والله لا احد فى الدار الا زيد (فاتخذه وكيلا) وليا وكفيلا بما وعدك من النصر او اذا علمت انه ملك المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه كافيا لامورك وفائدة الفاء ان لا تلبث بعد ان عرفت فى تفويض الامور الى الواحد القهار اذ لا عذر لك فى الانتظار بعد الاقرار

قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات ﴿ان لك فى النهار سبحا طويلا﴾ تقلبا فى مهماتك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعى فراغا وقرئ سبخا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه ﴿واذكر اسم ربك﴾ ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم ﴿وتبتل اليه تبتيلا﴾ وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتلا ﴿رب المشرق والمغرب﴾ خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره ﴿لا اله الا هو﴾ وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو ﴿فاتخذه وكيلا﴾ مسبب عن التهليل

وادخل فى القبول ﴿ان لك فى النهار سبحا طويلا﴾ اى تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا فى حوائجك واشغالك وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك افضل من الليل ﴿واذكر اسم ربك﴾ اى بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح ﴿وتبتل اليه تبتيلا﴾ قال ابن عباس اخلص اليه اخلاصا وقيل تفرغ لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى بتل اليه نفسك واقطعها عن كل شئ سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ماعندالله وقيل معناه وتوكل عليه توكلا واجتهد فى العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شئ واقبل على العبادة قد تبتل اى انقطع عن كل شئ الا من عبادة لله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على بتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موضع مقارنه فى المعنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك اليه تبتيلا فهو كقوله والله انبتكم من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل وقيل الاصل فى تبتل ان يقال بتلت تبتيلا وتبتلت تبتلا فتبتيلا محمول على معنى بتل اليه تبتيلا وقيل انه عدل عن هذه العبارة لدقيقة لطيفة وهى ان المقصود انما هو التبتل فاما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله تعالى لان المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا اليه الا انه لابد من التبتيل حتى يحصل التبتل فذكر اولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا اشعارا بانه لابد منه ﴿رب المشرق والمغرب﴾ يعنى ان التبتل والانقطاع لا يليق الا الله تعالى الذى هو رب المشرق والمغرب ﴿لا اله الا هو فاتخذه وكيلا﴾ اى فوض امرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه اتخذ يا محمد ربك كفيلا بما

وانت (ان لك) يا محمد (فى النهار سبحا طويلا) فراغا طويلا لقضاء حوائجك (واذكر اسم ربك) صل بامر ربك ويقال اذكر توحيد ربك (وتبتل اليه تبتيلا) اخلص لله اخلاصا فى صلاتك ودعائك وعبادتك (رب المشرق والمغرب) هوالله (لا اله الا هو فاتخذه وكيلا) فاعبده ربا ويقال فاتخذه كفيلا فيما وعدك (وعدك) من النصرة والدولة والثواب

(واصبر على مايقولون) على مايقولون فى من الصاحبة والولد وفيك من الساحر والشاعر (واهجرهم هجرا جميلا) جانبهم بقلبك وخالفهم مع حسن المحافظة وترك المكافأة وقيل هو منسوخ بآية القتال (وذرنى) اى كلهم الى فانا كافيهم (والمكذبين) رؤساء قريش مفعول معه اوعطف على ذرنى اى دعنى واياهم (أولى النعمة) التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة (ومهلهم) امهالا (قليلا) الى يوم بدر اوالى يوم القيامة (ان لدينا) للكافرين فى الآخرة (أنكالا) قيودا ثقالا جمع نكل (وجحيما) نارا محرقة (وطعاما ذا غصة) اى الذى ينشب فى الحلوق فلا ينساغ يعنى الضريع والزقوم (وعذابا اليما) يخلص وجعه الى القلب وروى انه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن انه امسى صائما فاتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البنانى وغيره فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم) منصوب بما فى لدينا من معنى الفعل اى استقر للكفار لدينا كذا وكذا يوم (ترجف الارض والجبال) اى تتحرك حركة شديدة (وكانت الجبال كثيبا) رملا مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كانه

فان توحده بالالوهية يقتضى ان توكل اليه الامور ﴿ واصبر على ما يقولون ﴾ من الخرافات ﴿واهجرهم هجرا جميلا﴾ بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله فالله يكفيهم كما قال ﴿وذرنى والمكذبين﴾ دعنى واياهم وكل الى امرهم فان فى غنية عنك فى مجازاتهم ﴿ اولى النعمة ﴾ ارباب التنعم يريد صناديد قريش ﴿ ومهلهم قليلا ﴾ زمانا او امهالا ﴿ ان لدينا انكالا ﴾ تعليل للامر والنكل القيد الثقيل ﴿ وجحيما وطعاما ذا غصة ﴾ طعاما ينشب فى الحلق كالضريع والزقوم ﴿ وعذابا اليما ﴾ ونوعا آخر من العذاب مؤلما لايعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما تشترك فيه الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات متحرقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان عن تجلى انوار القدس فسر العذاب بالحرمان عن لقاء الله تعالى ﴿ يوم ترجف الارض والجبال ﴾ تضطرب وتتزلزل ظرف لما فى لدينا انكالا من معنى الفعل ﴿ وكانت الجبال كثيبا ﴾ رملا مجتمعا لانه فعيل بمعنى مفعول من

وعدك من النصر على الاعداء ﴿ واصبر على مايقولون ﴾ اى من التكذيب لك والاذى ﴿ واهجرهم هجرا جميلا ﴾ اى واعتزلهم اعتزالا حسنا لاجزع فيه وهذه الآية منسوخة بآية القتال ﴿ وذرنى والمكذبين ﴾ اى دعنى ومن كذبك لانهم به فانى اكفيكه ﴿ أولى النعمة ﴾ اى اصحاب النعم والترفه نزلت فى صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت فى المطعمين ببدر ﴿ ومهلهم قليلا ﴾ يعنى الى يوم بدر فلم يكن الا يسير حتى قتلوا ببدر وقيل اراد بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى ﴿ ان لدينا ﴾ اى عندنا فى الآخرة ﴿ انكالا ﴾ يعنى قيودا عظاما ثقالا لاتنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد ﴿ وجحيما وطعاما ذا غصة ﴾ اى غير سائغ فى الحلق لاينزل ولايخرج وهو الزقوم والضريع ﴿ وعذابا أليما ﴾ اى وجيعا ﴿ يوم ترجف الارض والجبال ﴾ اى تزلزل وتحرك وهو يوم القيامة ﴿ وكانت الجبال كثيبا

(واصبر) يامحمد صلى الله تعالى عليه وسلم (على مايقولون) من الشتم والتكذيب (واهجرهم هجرا جميلا) اعتزلهم اعتزالا جميلا بلا جزع ولا فحش (وذرنى والمكذبين) بالقرآن وهذا وعيد من الله لهم وهم المطعمون يوم بدر (اولى النعمة) ذوى المال لهم والغنى (ومهلهم) اجلهم (قليلا) الى يوم بدر (ان لدينا) عندنا لهم فى الآخرة (انكالا) قيودا تقيد بها ارجلهم واغلالا تغل بها ايمانهم الى اعناقهم وسلاسل توضع فى اعناقهم (وجحيما) نارا يدخلونها (وطعاما ذا غصة) يستمسك فى حلقهم وهو الزقوم (وعذابا اليما) وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم ثم بين متى يكون فقال (يوم ترجف الارض) تزلزل الارض (والجبال) وتزلزل الجبال (وكانت) وصارت (الجبال كثيبا) ترابا

فعيل بمعنى مفعول (مهيلا) سائلا بعد اجتماعه (انا ارسلنا اليكم رسولا) يعنى محمدا عليه السلام (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (كما أرسلنا الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) اى ذلك الرسول اذ النكرة اذا اعيدت معرفة كان الثانى عين الاول (فاخذناه اخذا وبيلا) شديدا غليظا وانما خص موسى وفرعون لان خبرهما كان منتشرا بين اهل مكة لانهم كانوا جيران اليهود (فكيف تتقون ان كفرتم يوما) هو مفعول تتقون اى كيف تتقون عذاب يوم كذا ان كفرتم او ظرف اى فكيف لكم التقوى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا او منصوب بكفرتم على تأويل جحدتم اى كيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه (يجعل الولدان) صفة ليوما والعائد محذوف اى فيه (شيبا) من هوله وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك وهو جمع اشيب وقيل هو على التمثيل للتهويل يقال لليوم الشديد يوم يشيب نواصى الاطفال

كسبت الشئ اذا جمعته ﴿مهيلا﴾ منثورا من هيل هيلا اذا نثر ﴿انا ارسلنا اليكم رسولا﴾ يا اهل مكة ﴿شاهدا عليكم﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بالاجابة والامتناع ﴿كما ارسلنا الى فرعون رسولا﴾ يعنى موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به ﴿فعصى فرعون الرسول﴾ عرفه لسبق ذكره ﴿فأخذناه اخذا وبيلا﴾ ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم ﴿فكيف تتقون﴾ انفسكم ﴿ان كفرتم﴾ بقيتم على الكفر ﴿يوما﴾ عذاب يوم ﴿يجعل الولدان شيبا﴾ من شدة هو له وهذا على الفرض او على التمثيل واصله

مهيلا﴾ يعنى رملا سائلا وهو الذى اذا اخذت منه شيأ تبعك ما بعده ﴿انا أرسلنا اليكم﴾ يعنى يا اهل مكة ﴿رسولا﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿شاهدا عليكم﴾ اى بالتبليغ وايمان من آمن منكم وكفر من كفر ﴿كما ارسلنا الى فرعون رسولا﴾ يعنى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام قيل انما خص فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الامم والرسل لان محمدا صلى الله عليه وسلم آذاه اهل مكة واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون ازدرى بموسى وآذاه لانه رباه ﴿فعصى فرعون الرسول فاخذناه﴾ اى فرعون ﴿اخذا وبيلا﴾ اى شديدا ثقيلا يعنى عاقبناه عقوبة غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوفهم يوم القيامة فقال تعالى ﴿فكيف تتقون ان كفرتم﴾ اى كيف لكم بالتقوى يوم القيامة ان كفرتم اى فى الدنيا المعنى لا سبيل لكم الى التقوى اذا وافيتم القيامة وقيل معنى الآية فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وباى شئ تحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف تنجون منه ان كفرتم فى الدنيا ﴿يوما يجعل الولدان شيبا﴾ يعنى شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه الصلاة والسلام قم فابعث بعث النار من ذريتك (ق) عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد فى رواية والخير فى يديك فينادى بصوت ان الله يأمرك ان تخرج من ذريتك بعث النار قال يارب وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يارسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من يأجوج

(مهيلا) وهو الشئ الذى اذا رفعت اسفله سقط عليك اعلاه مثل الرمل (انا ارسلنا) بعثنا (اليكم رسولا) يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام (شاهدا عليكم) بالبلاغ (كما ارسلنا) بعثنا (الى فرعون رسولا) يعنى موسى عليه السلام (فعصى فرعون الرسول) يعنى موسى عليه السلام لم يجبه (فأخذناه اخذا وبيلا) فعاقبناه عقوبة شديدة وهى الغرق (فكيف تتقون) الكفر والشرك وتؤمنون بالله يا اهل مكة (ان كفرتم) اذ كفرتم فى الدنيا (يوما) يوم القيامة (يجعل) ذلك اليوم (الولدان شيبا) شمطا اذا سمعوا حيث يقول الله لآدم يا آدم ابعث بعثا من

{ومأجوج}

ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا لليوم بالطول ﴿ السماء منفطر ﴾ منشق والتذكير على تأويل السقف او اضمار شئ ﴿ به ﴾ بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للاٰلة ﴿ كان وعده مفعولا ﴾ الضمير لله عزوجل او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ﴿ ان هذه ﴾ الاٰيات الموعدة ﴿ تذكرة ﴾ عظة ﴿ فمن شاء ﴾ ان يتعظ ﴿ اتخذ الى ربه سبيلا ﴾

ومأجوج تسعمائة وتسعا وتسعين ومنكم واحد ثم قال انتم فى الناس كالشعرة السوداء فى جنب الثور الابيض اوكالشعرة البيضاء فى جنب الثور الاسود وفى رواية كالرقمة فى ذراع الحمار وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل الجنة فكبرنا *اما مايتعلق بمعنى الحديث * فقوله ان تخرج من ذريتك بعث النار فمعناه ميز اهل الجنة من اهل النار واما الرقمة بفتح الراء واسكان القاف فهى الاثرة فى باطن عضد الحمار* وقوله انى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة وثلث اهل الجنة وشطر اهل الجنة فيه البشارة العظيمة لهذه الامة وجعلهم ربع اهل الجنة اولا ثم الثلث ثم الشطر لفائدة حسنة وهى ان ذلك اوقع فى نفوسهم وابلغ فى اكرامهم فان اعطاء الانسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة مرة بعد اخرى وفيه ايضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها *واما مايتعلق بمعنى الاٰية الكريمة والحديث فى قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب الوليد ففيه وجهان الاول انه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا هو على ظاهره الثانى انه فى القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لان القيامة ليس فيها شيب وانما هو مثل فى شدة الامر وهو له يقال فى اليوم الشديد يوم تشيب فيه نواصى الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تعاقبت على الانسان اسرع فيه الشيب قال المتنبى

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والاحزان جعلوه كناية عن الشدة والهول وليس المراد ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لان الطفل لاتمييز له وقيل يحتمل ان يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون سن الشيخوخة والشيب ﴿ السماء منفطر به ﴾ وصف اليوم بالشدة ايضا وان السماء مع عظمها تنفطر به وتنشقق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشقق لنزول الملائكة وقيل به اى بذلك المكان وقيل الهاء ترجع الى الرب سبحانه وتعالى اى بأمره وهيبته ﴿ كان وعده مفعولا ﴾ اى كائنا لامحالة فيه ولاخلف ﴿ ان هذه ﴾ اى آيات القرآن ﴿ تذكرة ﴾ اى مواعظ يتذكر بها ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ﴾ بالايمان

اى تنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق والتذكير على تأويل السماء بالسقف او السماء شئ منفطر وقوله به اى بيوم القيامة يعنى انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به (كان وعده) المصدر مضاف الى المفعول وهو اليوم او الى الفاعل وهو الله عز وجل (مفعولا) كائنا (ان هذه) الاٰيات الناطقة بالوعيد (تذكرة) موعظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) اى فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية

ذريتك الى النار قال آدم يارب من كم قال الله تعالى من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة (السماء منفطر) منشق (به) بذلك الزمان الذى يجعل الولدان شيبا ويقال بنزول امر الرب والملائكة (كان وعده) فى البعث (مفعولا) كائنا (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة وبيان لكم (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) طريقا يأتى به الى ربه ويقال فمن شاء وحد واتخذ بذلك الى ربه سبيلا مرجعا

(ان ربك يعلم انك تقوم ادنى) اقل فاستعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك (من ثلثى الليل) بضم اللام سوى هشام (ونصفه وثلثه) منصوبان عطف على ادنى مكى وكوفى ومن جرهما عطف على ثلثى (وطائفة) عطف على الضمير فى تقوم وجاز بلا توكيد لوجود الفاصل (من الذين معك) اى ويقوم ذلك المقدار جماعة من اصحابك (والله يقدر الليل والنهار) اى ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ولا يعلم مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على انه مختص بالتقدير ثم انهم قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل (علم ان لن تحصوه) لن تطيقوا قيامه على هذه المقادير الا بشدة ومشقة وفى ذلك حرج (فتاب عليكم) فخفف عليكم واسقط عنكم فرض قيام الليل (فاقرؤا) فى الصلاة والامر للوجوب وفى غيرها والامر للندب (ما تيسر) عليكم (من القرآن) روى ابو حنيفة عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال من قرأ مائة فى ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائتى آية كتب من القانتين وقيل اراد بالقرآن الصلاة لانه بعض اركانها اى فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ الاول ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس ثم بين الحكمة فى النسخ (تعالى)

اى يتقرب اليه بسلوك التقوى ﴿ ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه ﴾ استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرأ هشام ثلثى الليل وابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى ﴿ وطائفة من الذين معك ﴾ ويقوم ذلك جماعة من اصحابك ﴿ والله يقدر الليل والنهار ﴾ لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هى الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر ويشعر بالاختصاص ويؤيده قوله ﴿ علم ان لن تحصوه ﴾ اى ان تحصوا تقدير الاوقات وان تستطيعوا ضبط الساعات ﴿ فتاب عليكم ﴾ بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع لتبعة فيه كما رفع التبعة عن التائب ﴿ فاقرأوا ما تيسر من القرآن ﴾ فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة

والطاعة * قوله تعالى ﴿ ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل ﴾ اى اقل من ثلثى الليل ﴿ ونصفه وثلثه ﴾ اى تقوم نصفه وثلثه ﴿ وطائفة من الذين معك ﴾ يعنى المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل ﴿ والله يقدر الليل والنهار ﴾ يعنى ان العالم بمقادير الليل والنهار واجزائهما وساعاتهما هو الله تعالى لا يفوته علم ما يفعلون فيعلم القدر الذى يقومون من الليل والذى ينامون منه ﴿ علم ان لن تحصوه ﴾ يعنى ان لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا حتى انتفخت اقدامهم فنزل علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوه قيل كان الرجل يصلى الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر الله به من القيام فقال تعالى علم ان لن تحصوه اى لن تطيقوا معرفة ذلك ﴿ فتاب عليكم ﴾ اى فعاد عليكم بالعفو والتخفيف والمعنى عفا عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم ﴿ فاقرؤا ما تيسر من القرآن ﴾ فيه قولان احدهما ان المراد بهذه القراءة القراءة فى الصلاة وذلك لان القراءة احد اجزاء الصلاة فاطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم وقال الحسن يعنى فى صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن ابى حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة فقرأ فى اول ركعة الحمد واول آية من البقرة ثم قام فى الثانية فقرأ بالحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف اقبل علينا بوجهه فقال ان الله

(ان ربك) يا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (يعلم انك تقوم ادنى) اقل (من ثلثى الليل) الى النصف (ونصفه) وتقوم نصف الليل (وثلثه) وتقوم ثلث الليل ويقال ونصفه اقل من نصف الليل وثلثه اذا قرأت بالخفض (وطائفة من الذين معك) وجماعة من المؤمنين معك فى الصلاة (والله يقدر الليل والنهار) يعلم ساعات الليل والنهار (علم ان لن تحصوه) ان لن تحفظوا ساعات الليل ويقال ما امرتم فى الليل من الصلاة (فتاب عليكم) فتجاوز عنكم صلاة الليل (فاقرؤا ما تيسر) عليكم (من القرآن) فى الصلاة مائة آية فصاعدا ويقال ما شئتم من القرآن

وهو تعذر القيام على المرضى والمسافرين والمجاهدين فقال (علم ان سيكون منكم) ان مخففة من الثقيلة والسين بدل من تخفيفها
وحذف اسمها (مرضى) فيشق عليهم قيام الليل (وآخرون يضربون فى الارض)

بالقرآه كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرأوا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم ﴿علم ان سيكون منكم مرضى﴾ استئناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال ﴿وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله﴾ والضرب فى الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم ﴿وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرأوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة﴾ المفروضة

تعالى يقول فاقرؤا ماتيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفى بما تيسر ثم نسخ ذلك ايضا بالصلوات الخمس وذلك فى حق الامة وثبت قيام الليل فى حقه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول الثانى ان المراد بقوله فاقرؤا ما تيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وان لا يعرض للنسيان فقيل يقرأ مائة آية ونحوها وقيل ان قراءة السورة القصيرة كافية روى البغوى باسناده عن انس رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية فى يوم او ليلة لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتى آية لم يحاجه القرآن يوم القيامة ومن قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الاجر وذكره الشيخ محيي الدين فى كتابه الاذكار ولم يضعفه وقال فى رواية من قرأ اربعين آية بدل خمسين وفى رواية عشرين وفى رواية عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب من الغافلين (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اخبر انك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة قلت بلى يارسول الله ولم ارد بذلك الا الخير قال فصم صوم داود وكان اعبد الناس واقرأ القرآن فى كل شهر مرة قال قلت يانبى الله انى اطيق افضل من ذلك قال فاقرأه فى كل عشر قال قلت يانبى الله انى اطيق افضل من ذلك قال فاقرأه فى سبع ولا تزد على ذلك * ثم ذكر الله حكمة النسخ والتخفيف فقال تعالى ﴿علم ان سيكون منكم مرضى﴾ يعنى ان المريض يضعف عن التهجد بالليل فخفف الله عز وجل عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه ﴿وآخرون يضربون فى الارض﴾ يعنى المسافرين للتجارة ﴿يبتغون من فضل الله﴾ اى يطلبون من رزق الله وهو الربح فى التجارة ﴿وآخرون يقاتلون فى سبيل الله﴾ يعنى الغزاة والمجاهدين وذلك لان المجاهد والمسافر مشتغل فى النهار بالاعمال الشاقة فلو لم ينم بالليل لتوالت عليه اسباب المشقة فخفف الله عنهم لذلك روى عن ابن مسعود قال ايما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ عبد الله وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله ﴿فاقرؤا ما تيسر منه﴾ اى من القرآن وانما اعاده للتأكيد ﴿واقيموا الصلوة﴾ يعنى

يسافرون (يبتغون) حال من ضمير يضربون (من فضل الله) رزقه بالتجارة اوطلب العلم (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) سوى بين المجاهد والمكتسب لان كسب الحلال جهاد قال ابن مسعود رضى الله عنه ايما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وقال ابن عمر رضى الله عنهما ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل فى سبيل الله احب الى من ان اموت بين شعبتى رجل اضرب فى الارض ابتغى من فضل الله (فاقرؤا ما تيسر منه) كرر الامر بالتيسير لشدة احتياطهم (واقيموا الصلوة) المفروضة

(علم ان سيكون منكم مرضى) جرحى لا تستطيعون الصلاة بالليل (وآخرون يضربون) يسافرون (فى الارض) بالتجارة وغيرها (يبتغون) يطلبون (من فضل الله) من رزق الله وغيره يشق عليهم صلاة الليل (وآخرون يقاتلون)

يجاهدون (فى سبيل الله) فى طاعة الله يشق عليهم صلاة الليل (فاقرؤا ماتيسر) عليكم (منه) من القرآن فى الصلاة
(واقيموا الصلوة) اتموا

(وآتوا الزكوة) الواجبة (واقرضوا الله) بالنوافل والقرض لغة القطع فالمقرض يقطع ذلك القدر من ماله فيدفعه الى غيره وكذا المتصدق يقطع ذلك القدر من ماله فيجعله لله تعالى وانما اضافه الى نفسه لئلا يمن على الفقير فيما يتصدق به عليه وهذا لان الفقير معاون له فى تلك القربة فلا يكون له عليه منة بل المنة للفقير عليه (قرضا حسنا) من الحلال بالاخلاص (وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه) اى ثوابه وهو جزاء الشرط (عند الله هو خيرا) مما خلفتم وتركتم فالمفعول الثانى لتجدوه خيرا وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه المعرفة لامتناعه من حرف التعريف (واعظم اجرا) واجزل ثوابا (واستغفروا الله) من السيآت والتقصير فى الحسنات (ان الله غفور) يستر على اهل الذنب والتقصير (رحيم) يخفف عن اهل الجهد والتوفير وهو على ما يشاء قدير والله اعلم

﴿ سورة المدثر صلى الله عليه وسلم مكية وهى خمسون وست آيت ﴾

﴿وآتوا الزكوة﴾ الواجبة ﴿واقرضوا الله قرضا حسنا﴾ يريد به الامر بسائر الانفاقات فى سبيل الخيرات او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به فى قوله ﴿وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا﴾ من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تأكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمنع من حروف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر ﴿واستغفروا الله﴾ فى مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ﴿ان الله غفور رحيم﴾ عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

﴿ سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون ﴾

المفروضة ﴿وآتوا الزكوة﴾ اى الواجبة ﴿واقرضوا الله قرضا حسنا﴾ قال ابن عباس يريد سوى الزكاة من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بان يخرجها على احسن وجه من كسب طيب ومن اكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى بما يخرج والصرف الى المستحق ﴿وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله﴾ اى ثوابه واجره ﴿هو خيرا واعظم اجرا﴾ يعنى ان الذى قدمتم لانفسكم خير من الذى اخرتموه ولم تقدموه وروى البغوى بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا يارسول الله ما منا احد الا ماله احب اليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا ما نعلم الا ذلك يارسول الله قال ما منكم رجل الا مال وارثه احب اليه من ماله قالوا كيف يارسول الله قال انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر ﴿واستغفروا الله﴾ اى لذنوبكم وتقصيركم فى قيام الليل ﴿ان الله غفور رحيم﴾ اى لجميع الذنوب والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة المدثر وهى مكية قيل غير آية من آخرها ﴾

﴿ وهى ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون ﴾

﴿ كلمة والف حرف وعشرة احرف ﴾

الصلوات الخمس بوضوئها وركوعها وسجودها وما يجب فيها من مواقيتها (وآتوا الزكوة) اعطوا زكاة اموالكم (واقرضوا الله) فى الصدقة ويقال فى العمل الصالح (قرضا حسنا) محتسبا صادقا من قلوبكم (وما تقدموا) تسلفوا (لانفسكم من خير) من صدقة اوعمل صالح (تجدوه) تجدوا ثوابه (عند الله) فى الجنة محفوظا لكم (بسم) لاسرق ولا غرق ولا حرق ولا يأكله السوس (هو خيرا) مما بقى عندكم فى الدنيا (واعظم اجرا) ثوابا مما عند (واستغفروا الله) من الذنوب (ان الله غفور) لمن تاب (رحيم) لمن مات على التوبة لرحمة المدثر بثيابه ﴿ومن السور التى يذكر فيها المدثر وهى كلها مكية آياتها ست وخمسون وكلماتها مائتان وخمس وخمسون وحروفها الف وعشرة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا ايها المدثر﴾ اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ارشيئا فنظرت فوقى فاذا هو على العرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت فرجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هى اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا اوكان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المتدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿يا ايها المدثر﴾ (ق) عن يحيى بن كثير قال سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن اول ما نزل من القرآن قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال ابو سلمة سألت جابرا عن ذلك وقلت له مثل الذى قلت فقال لى جابر لا احدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم ارشيأ ونظرت عن شمالى فلم ارشيأ ونظرت خلفى فلم ارشيأ فرفعت رأسى فرأيت شيأ فاتيت خديجة فقلت دثرونى فدثرونى وصبوا على ماء باردا فنزلت يا ايها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل ان تفرض الصلاة وفى رواية فلما قضيت جوارى هبطت فاستبطنت الوادى وذكر نحوه فاذا هو قاعد على عرش فى الهواء يعنى جبريل فاخذتنى رجفة شديدة (ق) عن جابر رضى الله عنه من رواية الزهرى عن ابى سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحى فقال لى فى حديثه فبينا انا امشى سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالسا على كرسى بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فقلت زملونى زملونى فدثرونى فانزل الله عز وجل يا ايها المدثر الى والرجز فاهجر وفى رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت الى اهلى وذكره وفيه قال ابو سلمة الرجز الاوثان قال ثم حمى الوحى بعد وتتابع فان قلت دل هذا الحديث على ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة رضى الله عنها المخرج فى الصحيحين ايضا فى بدء الوحى وسيأتى فى موضعه ان شاء الله تعالى وفيه فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذى عليه جمهور العلماء ان اول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الذى خلق كما صرح به فى حديث عائشة وقول من قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن على الاطلاق ضعيف لا يعتد به وانما كان نزولها بعد فترة الوحى كما صرح به فى رواية الزهرى عن ابى سلمة عن جابر ويدل عليه ايضا قوله فى الحديث وهو يحدث عن فترة الوحى الى ان قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر ويدل عليه ايضا

(بسم الله الرحمن الرحيم) روى جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى وعن يسارى فلم ارشيأ فنظرت فوقى فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة وقلت دثرنى دثرنى فدثرته خديجة فجاء جبريل وقرأ (يا ايها المدثر) اى المتلفف بثيابه من الدثار وهو كل ما كان من الثياب فوق الشعار والشعار الثوب الذى يلى الجسد واصله المتدثر فأدغم

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى (يا أيها المدثر) يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم قد تدثر بثيابه ونام

الاستعارة وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به ﴿ قم ﴾ من مضجعك اوقم قيام عزم وجد ﴿ فانذر ﴾ مطلق للتعميم اومقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين اوقوله ومآارسلناك الا كافة بشيرا ونذيرا ﴿ وربك فكبر ﴾ وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى لما نزل كبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وايقن انه الوحى وذلك لان الشيطان لايأمر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن من شئ فكبر ربك اوالدلالة على ان المقصود لاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول مايجب معرفة الصانع واول مايجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به ﴿ وثيابك فطهر ﴾ من النجاسات فان التطهير واجب فى الصلوات محبوب فى غيرها وذلك بغسلها اوبحفظها عن النجاسة كتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض

قوله فاذا الملك الذى جاءنى بحراء ثم قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر وايضا قوله ثم حمى الوحى بعد وتتابع فالصواب ان اول مانزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرا باسم ربك الذى خلق وان اول مانزل بعد فترة الوحى سورة المدثر فحصل بهذا الذى بيناه الجمع بين الحديثين والله اعلم* قوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والارض يريد به السرير الذى يجلس عليه* وقوله يحدث عن فترة الوحى اى عن احتباسه وعدم تتابعه وتواليه فى النزول * قوله فجئثت منه روى بجيم مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروى بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناه فرعبت منه وفزعت* وقوله وحمى الوحى بعد وتتابع اى كثر نزوله وازداد بعد فترته من قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرها* وقوله وصبوا على ماء فيه انه ينبغى لمن فزع ان يصب عليه ماء حتى يسكن فزعه والله اعلم * واما التفسير فقوله عز وجل يا ايها المدثر اصله المتدثر وهو الذى يتدثر فى ثيابه ليستدفئ بها واجمعوا على انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثرونى وقيل معناه يا ايها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة كالدثار واللباس مجازا ﴿ قم فانذر ﴾ اى حذرهم من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذى تحملته ﴿ وربك فكبر ﴾ اى عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان ﴿ وثيابك فطهر ﴾ فيه اربعة اوجه احدها ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على الحقيقة والثانى ان ينزل لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على المجاز والثالث ان ينزل لفظ الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة والرابع ان ينزل لفظ الثياب والتطهير على المجاز * اما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يحترزون عنها فامر صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها خلافا للمشركين * الوجه الثانى معناه وثيابك فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون

قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا او فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فقيل له يا ايها الصارف اذى الكفار عن نفسك بالدثار قم فاشتغل بالانذار وان آذاك الفجار (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو التعظيم اى لايكبر فى عينك غيره وقل عند ما يعروك من غير الله اكبر وروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء بمعنى الشرط كأنه قيل وماكان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) بالماء عن النجاسة لان الصلاة لاتصح الا بها وهى الاولى فى غير الصلاة او فقصر مخالفة للعرب فى تطويلهم الثياب وجرهم لذيول اذلايؤمن معه اصابة النجاسة اوطهر نفسك مما يستقذر من الافعال يقال فلان

(قم فانذر) فخوف الناس وادعهم الى التوحيد (وربك فكبر) فعظم عما يقوله عبدة الاثان (وثيابك فطهر) قلبك من الغدر والخيانة والفجر اى كن طاهر القلب ويقال ثيابك

(اذيالهم)

العادات المذمومة اوطهر نفسك عن الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه اوفطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر ﴿ والرجز فاهجر ﴾ واهجر العذاب بالثبات على هجر مايؤدى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة فيه كالذكر ﴿ ولاتمنن تستكثر ﴾ اى لاتعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا طامعا فى عوض اكثر نهى تنزيه اونهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له مافيه من الحرص والضنة اولاتمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها اوعلى الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم اومستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف اوالابدال من تمنن على انه من من بكذا اوتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كاروى احضر الوغى بالرفع فى قول الشاعر

الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى * وان اشهد اللذات هل انت مخلدى

اذيالهم على النجاسات وفى الثوب الطويل من الخيلاء والكبر والفخر ماليس فى الثوب القصير فنهى عن تطويل الثوب وامر بتقصيره لذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة او محرمة بل تكون من وجه حلال وكسب طيب * الوجه الثالث معناه حمل الثوب على النفس قال عنترة

وشككت بالرمح الاصم ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرهما وكنى بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه * الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على المجاز فقيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه و خلقك فحسن وسئل ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا غدر اما سمعت قول غيلان ابن سلمة الثقفى

وانى بحمد الله لاثوب فاجر * لبست ولا من غدرة اتقنع

والعرب تقول فى وصف الرجل بالصدق والوفاء هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر انه لدنس الثوب والسبب فى ذلك ان الثوب كالشئ الملازم للانسان فلهذا جعلوه كناية عن الانسان كما يقال الكرم فى ثوبه والعفة فى ازاره وقيل ان من طهر باطنه طهر ظاهره وقوله تعالى ﴿ والرجز فاهجر ﴾ يعنى اترك الاوثان ولاتقربها وقال ابن عباس اترك المآثم وقيل الشرك والمعنى اترك كل ما أوجب لك العذاب من الاعمال والاقوال ﴿ ولاتمنن تستكثر ﴾ يعنى لاتعط مالك مصانعة لتعطى اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين وهذا النهى مختص بالنبى صلى الله عليه وسلم وانما نهى عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى شيأ لغيره يطلب منه الزيادة عليه لابد وان يتواضع لذلك الذى اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود فى حق الامة فيجوز لغيره من

طاهر الثياب اذا وصفوه بالنقاء من المعايب وفلان دنس الثياب للغادر ولان من طهر باطنه يطهر ظاهره ظاهرا (والرجز) بضم الراء يعقوب وسهل وحفص وغيرهم بالكسر العذاب والمراد ما يؤدى اليه (فاهجر) اى اثبت على هجره لانه كان بريئا منه (ولا تمنن تستكثر) بالرفع وهو منصوب المحل على الحال اى لاتعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او طالبا اكثر مما اعطيت فانك مأمور بأجل الاخلاق واشرف الآداب وهو من من عليه اذا انعم عليه وقرأ الحسن تستكثر بالسكون جوابا للنهى

فطهر من الدنس (والرجز فاهجر) المآثم فاترك ولا تقربه (ولاتمنن تستكثر) لاتعط شيأ قليلا فتعطى افضل من ذلك واكثر منه فى الدنيا ويقال ولاتمنن بعملك على الله تستكثر

﴿ولربك فاصبر﴾ ولوجه الله فاستعمل الصبر على اوامره ونواهيه وكل مصبور عليه ومصبور عنه (فاذا نقر فى الناقور)
نفخ فى الصور وهى النفخة الاولى وقيل الثانية (فذلك) اشارة الى وقت النقر

﴿ولربك﴾ ولوجهه اوامره ﴿فاصبر﴾ فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف وأذى المشركين ﴿فاذا نقر﴾ نفخ ﴿فى الناقور﴾ فى الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله ﴿فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين﴾ فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدله اوظرف لخبره اذالتقدير فذلك الوقت وقت وقوع يوم عسير ﴿غير يسير﴾ تأكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ﴿ذرنى ومن خلقت وحيدا﴾ نزل فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه اومن التاء اى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احد اومن العائد المحذوف اى من خلقته فريدا لا مال له ولا ولد اوذم فانه كان ملقبابه فسماه الله تعالى تهكمابه

الامة ذلك كما قيل هما ربا آن حلال وحرام فالحلال الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع وقيل معناه لاتعط شيأ لمجازاة الدنيا اعط لله واراد به وجه الله وقيل معناه لاتمنن على الله بعملك فتستكثره ولايكثرن عملك فى عينك فانه فيما انعم الله به عليك واعطاك قليل وقيل معناه لاتمنن على اصحابك بما تعلمهم من امر الدين وتبلغهم من امر الوحى كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لاتمنن عليهم بنبوتك فتأخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر به وقيل معناه لاتمنن لاتضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لاتمنن على الناس بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لتلك العطية فان المن يحبط العمل ﴿ولربك فاصبر﴾ اى على طاعته و اوامره و نواهيه لاجل ثواب الله تعالى وقيل معناه فاصبر لله على ما اوذيت فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضاء لاجل الله ﴿فاذا نقر فى الناقور﴾ اى نفخ فى الصور وهو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل وهى النفخة الاولى وقيل الثانية وهو الاصح ﴿فذلك يومئذ﴾ يعنى يوم النفخة وهو يوم القيامة ﴿يوم عسير﴾ اى شديد ﴿على الكافرين﴾ يعنى يعسر عليهم فى ذلك اليوم الامر فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم ﴿غير يسير﴾ اى هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة التكرار التأكيد كقوله انا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على انه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين وبشارة المؤمنين * قوله تعالى ﴿ذرنى ومن خلقت وحيدا﴾ اى خلقته فى بطن

وهو مبتدأ (يومئذ) مرفوع المحل بدل من ذلك (يوم عسير) خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير والفاء فى فاذا للتسبيب وفى فذلك للجزاء كانه قيل اصبر على أذاهم فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة امرهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل فى فاذا ما دل عليه الجزاء اى فاذا نقر فى الناقور عسر الامر (على الكافرين غير يسير) وأكد بقوله غير يسير ليؤذن بانه يسير على المؤمنين اوعسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير من امور الدنيا (ذرنى ومن خلقت) اى كله الى يعنى الوليد بن المغيرة وكان يلقب فى قومه بالوحيد ومن خلقت معطوف او مفعول معه (وحيدا) حال من الياء فى ذرنى اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيك امره اومن التاء فى خلقت اى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احد او من الهاء المحذوفة او من من اى خلقته منفردا بلا اهل ولا مال ثم انعمت

(ولربك) على طاعة ربك وعبادة ربك (فاصبر فاذا نقر فى الناقور) فاذا نفخ فى الصور (امه)
وهى نفخة البعث (فذلك يومئذ) يعنى يوم القيامة (يوم عسير) شديد (على الكافرين) هوله وعذابه (غير يسير)
غير هين عليهم (ذرنى) يا محمد (ومن خلقت وحيدا) بلا مال ولا ولد ولا زوج وهذا وعيد من الله للوليد بن

عليه (وجعلت له مالا ممدودا) مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وعن مجاهد كان له مائة الف دينار وعنه ان له أرضا بالطائف لا ينقطع ثمرها (وبنين شهودا)

او ارادة انه وحيد ولكن في شرارة او عن ابيه لانه كان زنيما ﴿ وجعلت له مالا ممدودا ﴾ مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة ﴿ وبنين شهودا ﴾ حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم في مصالحه لكثرة خدمه او في المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فأسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام ﴿ ومهدت له تمهيدا ﴾ وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اي باستحقاق الرياسة والتقدم ﴿ ثم يطمع ان ازيد ﴾ على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اما لانه لا مزيد على ما اوتي او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال ﴿ كلا انه كان لآياتنا عنيدا ﴾ فانه ردع له عن الطمع وتعليل للردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل ما زال بعد نزول الآية في نقصان حاله حتى هلك

امه وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه احد والمعنى ذرني واياه فأنا اكفيكه نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد في قومه ﴿ وجعلت له مالا ممدودا ﴾ اي كثيرا يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان الف دينار وقيل اربعة آلاف درهم وقيل الف الف وقال ابن عباس تسعة آلاف مثقال فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة وعبيد وجوار وقيل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له غلة شهر بشهر ﴿ وبنين شهودا ﴾ اي حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين الى الغيبة لطلب الكسب وقيل معنى شهودا اي رجالا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة وقيل سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة ﴿ ومهدت له تمهيدا ﴾ اي بسطت له في العيش وطول العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة قريش ﴿ ثم يطمع ﴾ اي يرجو ﴿ ان ازيد ﴾ اي ازيده مالا وولدا وتمهيدا ﴿ كلا ﴾ اي لا افعل ولا ازيده قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان ماله وولده حتى هلك ﴿ انه كان لآياتنا عنيدا ﴾ اي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره بلسانه وهو اقبح الكفر واخشه

حضورا معه بمكة لغناهم عن السفر وكانوا عشرة اسلم منهم خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه والرياسة فأتممت عليه نعمتي الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا (ثم يطمع ان ازيد) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه فيرجوا ان ازيد في ماله وولده من غير شكر وقال الحسن ان ازيد اي ادخله الجنة فأوتيه مالا وولدا كما قال لاوتين مالا وولدا (كلا) ردع له وقطع لرجائه اي لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم فلم يزل بعد نزول الآية في نقصان من المال والجاه حتى هلك (انه كان لآياتنا) للقرآن (عنيدا) معاندا جاحدا وهو تعليل للردع على وجه الاستئناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه معاند

المغيرة المخزومي (وجعلت له) بعد ذلك (مالا ممدودا) كثيرا من كل نوع لم يزل في الزيادة فكان ماله نحو تسعة آلاف مثقال فضة (وبنين شهودا) حضورا لا يغيبون عنه وكان بنوه عشرة (ومهدت له) المال بعضه على بعض (تمهيدا) مثل الفرش بعضها على بعض (ثم يطمع) الوليد (أن أزيد) في ماله وهو يعصيني ويكفر بي (كلا) حقا لا أزيده فلم يزل بعد ذلك في نقصان ماله (انه) يعني الوليد بن المغيرة (كان لآياتنا عنيدا) لكتابنا ورسولنا عنيدا معرضا

﴿سأرهقه صعودا﴾ سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدائد وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من النار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا ﴿انه فكر وقدر﴾ تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعنا فى القرآن وقدر

﴿سأرهقه صعودا﴾ يعنى سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له فيها * وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصعود عقبة فى النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوى فيها سبعين خريفا فهو كذلك ابدا اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله سأرهقه صعودا قال هو جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وقال الكلبى الصعود صخرة ملساء فى النار يكلف الكافر ان يصعدها لا يترك يتنفس فى صعوده يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها فى اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى اسفلها ثم يكلف ان يصعدها يجذب من امامه ويضرب من خلفه فذلك دأبه ابدا * قوله عز وجل ﴿انه فكر وقدر﴾ اى فكر فى الامر الذى يريده ونظر فيه وتدبره ورتب فى قلبه كلاما وهيأه لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اى وقدر ذلك الكلام فى قلبه وذلك ان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير قام النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد يصلى والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبى صلى الله عليه وسلم لاستماعه اعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه من بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد حزينا فقال له الوليد مالى اراك حزينا يا ابن اخى فقال وما يمنعنى ان لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على ابن ابى كبشة وابن ابى قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش انى من اكثرهم مالا وولدا وهل شبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم قام مع ابى جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رأيتموه قط تكهن قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر فى نفسه ثم قال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما

ايات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد (سأرهقه) سأغشيه (صعودا) عقبة شاقة المصعد وفى الحديث الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا (انه فكر) تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله بالفقر والذل بعد الغنى والعز لعناده ويعاقبه فى الآخرة بأشد العذاب لبلوغه بالعناد غايته وتسميته القرآن سحرا يعنى انه فكر ماذا يقول فى القرآن (وقدر) فى نفسه مايقول وهيأه

مكذبا بهما (سأرهقه صعودا) سأكلفه الصعود على جبل أملس فى النار من الصخرة كلما وضع يده ذاب ثم عاد كما كان ويقال من نحاس يجذب من امامه ويضرب من خلفه (انه) يعنى الوليد بن المغيرة (فكر) يعنى تفكر فى نفسه فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم (وقدر) قوله حتى انه ساحر

(فقتل) لعن (كيف قدر) تعجيب من تقديره (ثم قتل كيف قدر) كرر للتأكيد وثم يشعر بان الدعاء الثاني ابلغ من الاول (ثم نظر) فى وجوه الناس اوفيما قدر (ثم عبس) قطب وجهه (وبسر) زاد فى التقبض والكلوح (ثم ادبر) عن الحق (واستكبر) عنه اوعن مقامه وفى مقاله وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما وايراد ثم فى المعطوفات لبيان ان بين الافعال المعطوفة تراخيا (فقال ان هذا) ماهذا (الا سحر يؤثر) يروى عن السحرة روى ان الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد فقال ابوجهل وهو ابن اخيه انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام الوليد فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يؤثر عن مسيلمة واهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا متعجبين منه وذكر الفاء دليل على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله نطق بها من غير تلبث

فى نفسه مايقول فيه ﴿فقتل كيف قدر﴾ تعجيب من تقديره استهزاء به اولانه اصاب اقصى مايمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ فى الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فأتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه لايعلو ولايعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابوجهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فناداهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتزعمون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ﴿ثم نظر﴾ اى فى امر القرآن مرة بعد اخرى ﴿ثم عبس﴾ قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر مايقول اونظر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقطب فى وجهه ﴿وبسر﴾ اتباع لعبس ﴿ثم ادبر﴾ عن الحق اوالرسول صلى الله عليه وسلم ﴿واستكبر﴾ عن اتباعه ﴿فقال ان هذا الا سحر يؤثر﴾ يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه

يقوله سحر يؤثر فذلك قوله عز وجل انه فكر اى فى امر محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقدر فى نفسه ماذا يمكنه ان يقول فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ﴿فقتل كيف قدر﴾ اى عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب والانكار والتوبيخ ﴿ثم قتل كيف قدر﴾ كرره للتأكيد وقيل معناه لعن على اى قدر من الكلام ﴿ثم نظر﴾ اى فى طلب ما يدفع به القرآن ويرده ﴿ثم عبس وبسر﴾ اى كلح وقطب وجهه كالمهتم المتفكر فى شئ يدبره ﴿ثم ادبر﴾ اى عن الايمان ﴿واستكبر﴾ اى حين دعى اليه ﴿فقال ان هذا﴾ اى الذى يقوله محمد ويقرؤه ﴿الا سحر يؤثر﴾ يروى ويحكى عن السحرة

(فقتل) لعن (كيف قدر) قوله أمر محمد صلى الله عليه وسلم (ثم قتل) ثم لعن (كيف قدر) قوله فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم (ثم نظر) فى قوله حتى قال انه ساحر ويقال نظر الى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حيث قالوا له هلم الى الخير ياابن المغيرة (ثم عبس) كلح وجهه (وبسر) قبض جبينه (ثم أدبر) عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الى اهله (واستكبر) تعظم عن الايمان أن يجيبهم (فقال ان هذا) ماهذا الذى يقول محمد صلى الله عليه وسلم (الا سحر يؤثر) يأثرو يرويه عن مسيلمة الكذاب الذى يكون باليمامة ويقال عن جبرا ويسارا

لان الثانية جرت مجرى التوكيد للاولى (سأصليه) سأدخله بدل من سأرهقه صعودا (سقر) علم لجهنم ولم ينصرف للتعريف والتأنيث (وما ادراك ما سقر) تهويل اشأنها (لاتبقى) اى هى لا تبقى لحما (ولا تذر) عظما اولا تبقى شيأ يبقى فيها الا اهلكته ولا تذره هالكا بل يعود كما كان (لواحة) خبر مبتدأ محذوف اى هى لواحة (للبشر) جمع بشرة وهى ظاهر الجلد اى مسودة للجلود ومحرقة لها (عليها) على سقر (تسعة عشر) اى يلى امرها تسعة عشر ملكا عند الجمهور وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا

بكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ﴿ان هذا الا قول البشر﴾ كالتأكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها ﴿سأصليه سقر﴾ بدل من سأرهقه صعودا ﴿وما ادراك ماسقر﴾ تفخيم اشأنها وقوله ﴿لاتبقى ولاتذر﴾ بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لاتبقى على شئ يلقى فيها ولاتدعه حتى تهلكه ﴿لواحة للبشر﴾ اى مسودة لاعالى الجلد اولائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص ﴿عليها تسعة عشر﴾ ملكا اوصنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع اوان لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب تناسبها على كل نوع ملك اوصنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك اوصنف اوان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة فى الصلوات فتبقى تسعة عشر قد تصرف فيما يؤاخذبه بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم اوجمع

﴿ان هذا الاقول البشر﴾ يعنى يسارا وجبرا فهو يأثره عنهما قال الله تعالى ﴿سأصليه﴾ اى سأدخله ﴿سقر﴾ هو اسم من اسماء جهنم وقيل آخر دركاتها ﴿وماادراك ماسقر﴾ اى وما اعلمك اى شئ هى سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم لامرها ﴿لاتبقى ولاتذر﴾ قيل هما بمعنى كما تقول صدعنى واعرض عنى وقيل لابد من الفرق والالزم التكرار فقيل معناه لاتبقى احدا من المستحقين للعذاب الااخذته ثم لاتذر من لحوم اولئك شيأ الا اكلته واهلكته وقيل لايموت فيها ولايحيى اى لاتبقى من فيها حيا ولاتذر من فيها ميتا كما احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لاتبقى لهم لحما ولا تذر منهم عظما وقيل لكل شئ ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهى لاتبقى عليهم ولاتذرهم ﴿لواحة للبشر﴾ جمع بشرة اى مغيرة للجلد حتى تجعله اسود قال مجاهد تلفح الجلد حتى تدعه اشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم حتى يروها عيانا ﴿عليها تسعة عشر﴾ اى على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر جاء فى الاثر ان اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصى يخرج لهب النار من افواههم مابين منكبى احدهم مسيرة سنة قد نزعت منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية قال ابوجهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع من ابن ابى كبشة يخبر ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم يعنى الشجعان افتعجز كل عشر منكم ان تبطش بواحد منهم يعنى خزنة جهنم فقال ابوالاشد بن اسيد بن كلدة بن خلف

(ان هذا) ماهذا الذى يقول محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الا قول البشر) قول جبر ويسار (سأصليه) سأدخله فى الآخرة يعنى الوليد بن المغيرة (سقر) وهو الباب الرابع من النار (وماادراك) يامحمد (ماسقر لاتبقى) لهم لحما الا اكلته (ولاتذر) اذا أعيدوا خلقا جديدا الا كلتهم أيضا (لواحة للبشر) شواهة لابدانهم ويقال مسودة لوجوههم (عليها) على النار (تسعة عشر) ملكا خزان النار

(وماجعلنا اصحاب النار) اى خزنتها (الاملائكة) لانهم خلاف جنس المعذبين فلاتأخذهم الرافه والرقة لانهم اشد الخلق بأسا فللواحد منهم قوة الثقلين (وما جعلنا عدتهم) تسعة عشر (الافتنة) اى ابتلاء واختبارا (للذين كفروا) حتى قال ابو جهل لما نزلت عليها تسعة عشر مايستطيع كل عشرة منكم ان يأخذوا واحدا منهم وانتم الدهم فقال ابو الاشد وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفونى انتم اثنين

عشر فتكون تسعين ﴿ وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ﴾ ليخالفوا جنس المعذبين فلايرقون لهم ولايستروحون اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله تعالى روى ان اباجهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت ﴿ وماجعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا ﴾ وماجعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالأثر عن المؤثر تنبيها على انه لاينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزاؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ﴿ ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ﴾ اى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد

الجمحى انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهرى وسبعة على بطنى واكفونى انتم اثنين ويروى عنه انه قال انا امشى بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبى الايمن وتسعة بمنكبى الايسر فى النار ونمضى فندخل الجنة فأنزل الله تعالى ﴿ وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ﴾ يعنى لارجالا آدميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة ليكونوا من غير جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرأفة والرحمة ﴿ وما جعلنا عدتهم ﴾ اى عددهم فى القلة ﴿ الافتنة للذين كفروا ﴾ اى ضلالة لهم حتى قالوا ماقالوا وقيل فتنتهم هى قولهم لم لم يكونوا عشرين وما الحكمة فى تخصيص هذا العدد وقيل فتنتهم هى قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من فى النار واجيب عن قولهم لم لم يكونوا عشرين بأن افعال الله تعالى لاتعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا العدد لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة فى كونهم تسعة عشر ان هذا العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان الآحاد اقل الاعداد واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع اقل الكثير واكثر القليل لهذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لايدخل تحت الحصر واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار وذلك بأن الله جل جلاله يعطى هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون به على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة الله وانه على كل شئ قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد بالكلية ﴿ ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ﴾

فنزلت وماجعلنا اصحاب النار الاملائكة اى وماجعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وقالوا فى تخصيص الخزنة بهذا العدد مع انه لايطابق فى الاعداد الملك ان ستة منهم يقودون الكفرة الى النار وستة يسوقونهم وستة يضربونهم بمقامع الحديد والآخر خازن جهنم وهو مالك وهو الاكبر وقيل فى سقر تسعة عشر دركا وقد سلط على كل درك ملك وقيل يعذب فيها بتسعة عشر لونا من العذاب وعلى كل لون ملك موكل وقيل ان جهنم تحفظ بما تحفظ به الارض من الجبال وهى تسعة عشر وان كان اصلها مائة وتسعين الا ان غيرها يتشعب عنها (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) لان عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فاذا سمعوا بمثلها فى القرآن ايقنوا انه منزل من الله

(وما جعلنا اصحاب النار) ﴿ قا وخا ٥١ س ﴾ ماسلطنا على اهل النار (الا ملائكة) يعنى الزبانية (وما جعلنا عدتهم) ماذكرنا قلتهم قلة خزان النار (الافتنة) بلية (للذين كفروا) كفار مكة يعنى اباالاشد بن اسيد بن كلدة حيث قال انا اكفيكم سبعة عشر تسعة على ظهرى وثمانية على صدرى فاكفوا انتم عنى اثنين (ليستيقن) لكى يستيقن (الذين اوتوا الكتاب) اعطوا الكتاب التوراة يعنى عبدالله بن سلام واصحابه لان فى كتابهم كذلك عدة خزان النار

(ويزداد الذين آمنوا) بمحمد وهو عطف على ليستيقن (ايمانا) لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما انزل اويزدادوا يقينا لموافقة كتابهم كتاب اولئك (ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون) هذا عطف ايضا وفيه توكيد للاستيقان وزيادة الايمان اذالاستيقان وازدياد الايمان دالان على انتفاء الارتياب ثم عطف على ليستيقن ايضا (وليقول الذين فى قلوبهم مرض) نفاق (والكافرون)

المشركون فان قلت النفاق ظهر فى المدينة والسورة مكية قلت معناه وليقول المنافقون الذين يظهرون فى المستقبل بالمدينة بعد الهجرة والكافرون بمكة (ماذا اراد الله بهذا مثلا) وهذا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذا لايخالف كون السورة مكية وقيل المراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين ومثلا تمييز لهذا اوحال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية ولما كان ذكر العدد فى غاية الغرابة وان مثله حقيق بان تسير به الركبان سيرها بالامثال سمى مثلا والمعنى اى شئ اراد الله بهذا العدد العجيب واى معنى اراد فى ان جعل الملائكة تسعة عشر لاعشرين وغرضهم انكاره اصلا وانه ليس من عندالله وانه لوكان من عندالله لماجاء بهذا العدد الناقص (كذلك

صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق القرآن لما رأوا ذلك موافقا لما فى كتابهم ﴿ ويزداد الذين آمنوا ايمانا ﴾ بالايمان به وبتصديق اهل الكتاب له ﴿ ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ اى فى ذلك وهو تأكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة ﴿ وليقول الذين فى قلوبهم مرض ﴾ شك اونفاق فتكون الآية اخبارا بمكة عما سيكون فى المدينة بعد الهجرة ﴿ والكافرون ﴾ الجازمون فى التكذيب ﴿ ماذا اراد الله بهذا مثلا ﴾ اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب ﴿ كذلك

يعنى ان هذا العدد مكتوب فى التوراة والانجيل انهم تسعة عشر ﴿ ويزداد الذين آمنوا ايمانا ﴾ يعنى من آمن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان العدد كان موجودا فى كتابهم واخبر به النبى صلى الله عليه وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علم انما حصل له ذلك بالوحى السماوى فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ولا يرتاب ﴾ اى ولا يشك ﴿ الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون ﴾ يعنى فى عددهم وانما لا يرتاب وان كان الاستيقان يدل على نفى الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفى الشك وذلك ابلغ وآكد لان فيه تعريضا بحال غيرهم كانه قال وليخالف حالهم حال الناس المرتابين من اهل الكفر والنفاق ﴿ وليقول الذين فى قلوبهم مرض ﴾ اى شك ونفاق ﴿ والكافرون ﴾ اى مشركو مكة فان قلت لم يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة مكية قلت لانه كان فى علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فأخبره الله عما سيكون وهو كسائر الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الآية معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين فى قلوبهم مرض اهل مكة لان فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب ﴿ ماذا اراد الله بهذا مثلا ﴾ يعنى اى شئ اراد الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى اى غرض قصد فى جعل الملائكة تسعة عشر لاعشرين ومرادهم بذلك انكار هذا من اصله وانه ليس من عندالله فلهذا سموه مثلا ﴿ كذلك ﴾ اى كما اضل من انكر عدد

(ويزداد الذين آمنوا ايمانا) يقينا اذاعلموا ان مافى كتابنا مثل مافى التوراة (ولايرتاب الذين) لايشك (الخزنة) الذين (اوتوا الكتاب) عبدالله ابن سلام واصحابه اذلم يكن خلاف مافى كتابهم التوراة (والمؤمنون) ايضا اذلم يكن خلاف مافى التوراة (وليقول) لكى يقول (الذين فى قلوبهم مرض) شك ونفاق (والكافرون) يعنى اليهود والنصارى ويقال كفار مكة (ماذا اراد الله بهذا مثلا) بهذا المثل اذذكر قلة الملائكة (كذلك) هكذا

يضل الله من يشاء) الكاف نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يعنى اضلال المنافقين والمشركين حتى قالوا م قالوا وهدى المؤمنين لتصديقه ورؤية الحكمة فى ذلك يضل الله من يشاء من عباده وهو الذى علم منه اختيار الضلال (ويهدى من يشاء) وهو الذى علم منه اختيار الاهتداء وفيه دليل خلق الافعال

ووصف الله بالهداية { سورة المدثر } والاضلال ولما قال ابو جهل

يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴿ مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين ﴿ وما يعلم جنود ربك ﴾ جموع خلقه على ماهم عليه ﴿ الا هو ﴾ اذلا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة ﴿ وماهى ﴾ وما سقر او عدة الخزنة او السورة ﴿ الا ذكرى للبشر ﴾ الا تذكرة لهم ﴿ كلا ﴾ ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها ﴿ والقمر والليل اذ ادبر ﴾ اى ادبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذا دبر على المضى ﴿ والصبح اذا اسفر ﴾ اضاء ﴿ انها لاحدى الكبر ﴾ اى لاحدى البلايا الكبر اى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقاً لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما لحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا

الخزنة وهدى من صدق به كذلك ﴿ يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ﴾ لان الله تعالى بيده الهداية والاضلال ﴿ وما يعلم جنود ربك الا هو ﴾ هذا جواب لابى جهل حين قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب اهل النار وقيل كما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية ﴿ وما هى ﴾ يعنى النار ﴿ الا ذكرى للبشر ﴾ اى الا تذكرة وموعظة للناس وقيل ماهى يعنى آيات القرآن ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها ﴿ كلا ﴾ اى لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفى اصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا ﴿ والقمر والليل اذ أدبر ﴾ اى ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى قبل تقول العرب دبرنى فلان اى جاء خلفى فالليل يأتى خلف النهار ﴿ والصبح اذا أسفر ﴾ اى اضاء وتبين وهذا قسم جوابه ﴿ انها لاحدى الكبر ﴾ يعنى ان سقر لاحدى الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات النار وهى سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية

لعنه الله اما لرب محمد اعوان الا تسعة عشر نزل (وما يعلم جنود ربك) لفرط كثرتها (الا هو) فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها (وماهى) متصل بوصف سقر وهى ضميرها اى وما سقر وصفتها (الا ذكرى للبشر) اى تذكرة للبشر او ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كلا) انكار بعد ان جعلها ذكرى ان تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون (والقمر) اقسم به لعظم منافعه (والليل اذ أدبر) نافع وحفص وحمزة ويعقوب وخلف وغيرهم اذا دبر ودبر بمعنى ادبر ومعناها ولى وذهب وقيل ادبر ولى ومضى ودبر جاء بعد النهار (والصبح اذا اسفر) اضاء وجواب القسم (انها) ان سقر (لاحدى الكبر) هى جمع الكبرى اى لاحدى البلايا او الدواهى الكبر ومعنى كونها احداهن

(يضل الله من يشاء) بهذا المثل من كان اهلا لذلك (ويهدى من يشاء) بهذا المثل من كان اهلا لذلك (وما يعلم جنود ربك) من الملائكة (الا هو وما هى) يعنى سقر (الا ذكرى للبشر) عظة للخلق انذرتهم (كلا والقمر) اقسم بالقمر (والليل اذ ادبر) ذهب (والصبح اذا اسفر) اقبل ويقال استضاء (انها) يعنى سقر (لاحدى الكبر) باب من ابواب النار منها جهنم وسقر ولظى والحطمة والسعير والجحيم والهاوية

انه من ... واحدة فى العظم لانظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهى احدى النساء (نذيرا) تمييز من احدى اى انها لاحدى ... هى انذارا كقولك هى احدى النساء عفافا وابدل من (للبشر لمن شاء منكم) باعادة الجار (ان يتقدم الى الخير (او يتأخر) عنه وعن الزجاج الى ما امر وعما نهى (كل نفس بما كسبت رهينة) هى ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا اصحاب اليمين) اى اطفال المسلمين لانهم لا اعمال لهم يرهنون بها او الا المسلمين فانهم فكوا رقابهم بالطاعة كما يخلص الراهن رهنه باداء الحق (فى جنات) اى هم فى جنات لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون غيرهم عنهم (ما سلككم فى سقر)

(نذيرا للبشر) انذرتهم وقيل محمد صلى الله عليه وسلم نذير للبشر يرجع الى اول السورة الى قوله قم فانذر نذيرا للبشر مقدم ومؤخر (لمن شاء منكم ان يتقدم) الى خير فيؤمن (او يتأخر) عن شر فيترك وقيل او يتأخر عن خير فيكفر وهذا وعيدلهم (كل نفس) كافرة (بما كسبت) فى الكفر (رهينة) مرتهنة فى النار ابدا (الا اصحاب اليمين) اهل الجنة فانهم ليسوا كذلك ولكنهم (فى جنات) فى بساتين (يتساءلون عن المجرمين) يسألون عن اهل النار ويقولون يا فلان (ما سلككم) ما الذى ادخلكم (فى سقر {قوله}

والقسم معترض للتأكيد ﴿ نذيرا للبشر ﴾ تمييز اى لاحدى الكبر انذارا اوحال عما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف ﴿ لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر ﴾ بدل من للبشر اى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنه اولمن شاء خبر لان يتقدم فيكون فى معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ مرهونة عندالله مصدر كالشتيمة اطلقت للمفعول كالرهن ولوكانت صفة لقيل رهين ﴿ الا اصحاب اليمين ﴾ فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال ﴿ فى جنات ﴾ لايكتنه وصفها وهى حال من اصحاب اليمين اوضميرهم فى قوله ﴿ يتساءلون عن المجرمين ﴾ اى يسأل بعضهم بعضا اويسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه وقوله ﴿ ما سلككم فى سقر ﴾ بجوابه

﴿ نذيرا للبشر ﴾ قيل يحتمل ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما انذر بشئ ادهى من النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انالكم منها نذير فاتقوها وقيل هو صفة للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر ﴿ لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر ﴾ اى يتقدم فى الخير والطاعة او يتأخر عنهما فيقع فى الشر والمعصية والمعنى ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن آمن اوكفر وقد تمسك بهذه الآية من يرى ان العبد غير مجبور على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه واجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله تعالى وقيل اضافة المشيئة الى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم ان يتقدم او يتأخر * قوله تعالى ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ اى مرتهنة فى النار بكسبها ومأخوذة بعملها ﴿ الا اصحاب اليمين ﴾ فانهم غير مرتهنين بذنوبهم فى النار ولكن الله يغفرها لهم وقيل معناه فكوا رقاب انفسهم باعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه باداء الحق الذى عليه واختلفوا فى اصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم اخذ الميثاق وحين قال الله تعالى لهم هؤلاء فى الجنة ولا ابالى وقيل هم الذين كانوا ميامين اى مباركين على انفسهم وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انهم اطفال المسلمين وهو اشبه بالصواب لان الاطفال لم يكتسبوا اثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة ﴿ فى جنات ﴾ اى هم فى بساتين ﴿ يتساءلون عن المجرمين ﴾ اى يتساءلون المجرمين وعن صلة فيقولون لهم ﴿ ما سلككم فى سقر ﴾ قيل وهذا يقوى

ادخلكم فيها ولا يقال لا يطابق قوله ماسلككم وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما يطابق ذلك لوقيل يتساءلون المجرمين ماسلككم لان ماسلككم ليس بيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ماجرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين الا انه اختصر كما هو نهج القرآن وقيل عن زائدة (قالوا لم نك من المصلين) اى لم نعتقد فرضيتها (ولم نك نطعم المسكين) كما يطعم المسلمون . (وكنا نخوض مع الخائضين) الخوض الشروع فى الباطل اى نقول الباطل والزور فى آيات الله (وكنا نكذب بيوم الدين) الحساب والجزاء (حتى أتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) من الملائكة والنبيين والصالحين لانها للمؤمنين دون الكافرين وفيه دليل ثبوت الشفاعة للمؤمنين فى الحديث ان من امتى من يدخل الجنة بشفاعته اكثر من ربيعة ومضر (فما لهم عن التذكرة) عن التذكير وهو العظة اى القرآن (معرضين) مولين حال من الضمير نحو مالك قائما (كأنهم حمر) اى حمر الوحش حال من الضمير فى معرضين (مستنفرة) شديدة النفار كانها تطلب النفار من نفوسها وبفتح الفاء مدنى وشامى اى استنفرها غيرها

حكاية لماجرى بين المسؤلين والمجرمين اجابوا بها ﴿ قالوا لم نك من المصلين ﴾ الصلاة الواجبة ﴿ ولم نك نطعم المسكين ﴾ مايجب اعطاؤه وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ نشرع فى الباطل مع الشارعين فيه ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين ﴾ اخره لتعظيمه اى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة ﴿ حتى اتانا اليقين ﴾ الموت ومقدماته ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ لو شفعوا لهم جميعا ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ اى معرضين عن التذكير يعنى القرآن او ما يعمه ومعرضين حال ﴿ كانهم حمر مستنفرة ﴾

قول من قال ان اصحاب اليمين هم الاطفال لانهم لم يعرفوا الذنوب التى توجب النار وقيل معناه يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ماسلككم اى يقول المسؤلون للسائلين قلنا للمجرمين ماسلككم اى ادخلكم وقيل ماحبسكم فى سقر وهذا سؤال توبيخ وتقريع ﴿ قالوا ﴾ مجيبين لهم ﴿ لم نك من المصلين ﴾ اى لله فى الدنيا ﴿ ولم نك نطعم المسكين ﴾ اى لم نتصدق عليه ﴿ وكنا نخوض مع الخائضين ﴾ اى فى الباطل ﴿ وكنا نكذب بيوم الدين ﴾ اى بيوم الجزاء على الاعمال وهو يوم القيامة ﴿ حتى اتانا اليقين ﴾ يعنى الموت قال الله تعالى ﴿ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴾ قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى فى النار الا اربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل احد دون هؤلاء الذين تسمعون روى البغوى بسنده عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف اهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول للرجل منهم يا فلان فيقول ماتريد فيقول اما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه قال ثم يمر بهم الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان فيقول ماتريد فيقول اما تذكر رجلا وهب لك وضوأ يوم كذا وكذا فيقول وانك لانت هو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه ﴿ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴾ اى عن مواعظ القرآن ﴿ كانهم حمر ﴾ جمع حمار ﴿ مستنفرة ﴾ قرئ بالكسر اى نافرة وقرئ بالفتح اى منفرة مذعورة

قالوا) يعنى اهل النار (لم نك من المصلين) من اهل الصلوات الخمس المسلمين. (ولم نك نطعم المسكين) لم نحث على صدقة المساكين ولم نك من اهل الزكاة والصدقة (وكنا نخوض مع الخائضين) مع اهل الباطل (وكنا نكذب بيوم الدين) بيوم الحساب ان لا يكون (حتى اتانا اليقين) الموت (فما تنفعهم) يقول الله لا تنالهم (شفاعة الشافعين) يعنى شفاعة الملائكة والانبياء والصالحين (فما لهم) لاهل مكة (عن التذكرة) عن القرآن (معرضين) مكذبين به (كأنهم حمر مستنفرة) مذعورة ويقال ذاعرة ان قرأت بخفض الفاء

(فرت من قسورة) حال وقدمها مقدرة والقسورة الرماة او الاسد فعولة من القسر وهو القهر والغلبة شبهوا فى اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر بحمر جدت فى نفارها (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان ابن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار (كلا) ردع لهم عن تلك الارادة وزجر عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف (كلا انه تذكرة) ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال ان القرآن تذكرة بليغة كافية (فمن شاء ذكره) اى فمن شاء ان يذكره ولا ينساه فعل فان نفع ذلك عائد اليه (وما يذكرون) وبالتاء نافع ويعقوب (الا ان يشاء الله) الا وقت مشيئة الله او الا بمشيئة الله (هو اهل التقوى

شبههم فى اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة ﴿ فرت من قسورة ﴾ اى اسد فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء ﴿ بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ﴾ قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان ان اتبع محمدا ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن اقتراحهم الآيات ﴿ بل لا يخافون الآخرة ﴾ فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن اعراضهم ﴿ انه تذكرة ﴾ واى تذكرة ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ فمن شاء ان يذكره ﴿ وما يذكرون الا ان يشاء الله ﴾ ذكرهم او مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا ﴿ هو اهل التقوى ﴾

محمولة على النفار ﴿ فرت من قسورة ﴾ قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهى رواية عن ابن عباس وعنه انها القناص وعنه قال هى حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال اقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم واصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال ابو هريرة هى الاسد وذلك لان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمر فى البلادة والبله وذلك انه لا يرى مثل نفار حمر الوحش اذا خافت من شئ ﴿ بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ﴾ قال المفسرون ان كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله انك رسوله نؤمر فيه باتباعك وقيل ان المشركين قالوا يا محمد بلغنا ان الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح وعند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك ﴿ كلا ﴾ اى لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات ﴿ بل لا يخافون الآخرة ﴾ اى لا يخافون عذاب الآخرة والمعنى انهم لو خافوا النار لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الادلة لانه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت فى الدلالة على صحة النبوة فطلب الزيادة يكون من باب التعنت ﴿ كلا ﴾ اى حقا ﴿ انه تذكرة ﴾ يعنى انه عظة عظيمة ﴿ فمن شاء ذكره ﴾ اى اتعظ به فانما يعود نفع ذلك عليه ﴿ وما يذكرون الا ان يشاء الله ﴾ اى الا ان يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا ﴿ هو اهل التقوى

(فرت من قسورة) من اسد ويقال من الرماة ويقال من عصبة الرجال (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى) يعطى (صحفا منشرة) كتابا فيه جرمه وتوبته حيث قالوا ائتنا بكتاب فيه جرمنا وتوبتنا حتى نؤمن بك (كلا) حقا لا يعطى ذلك (بل لا يخافون الآخرة) عذاب الآخرة (كلا) حقا يا محمد (انه) يعنى القرآن (تذكرة) عظة من الله (فمن شاء ذكره) فمن شاء الله ان يتعظ بالقرآن اتعظ (وما يذكرون) ما يتعظون (الا ان يشاء الله هو اهل التقوى) اهل (واهل)

واهل المغفرة) فى الحديث هو ﴿٤٠٧﴾ اهل ان يتقى واهل ان يغفر ﴿سورة القيامة﴾ لمن اتقاه والله اعلم

حقيق بان يتقى عقابه ﴿ واهل المغفرة ﴾ حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم * وعن النبى عليه السلام من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد عليه الصلاة والسلام وكذب به بمكة شرفها الله تعالى

﴿ سورة القيامة مكية وآيها تسع وثلاثون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لااقسم بيوم القيامة ﴾ دخول لاالنافية على فعل القسم للتأكيد شائع فى كلامهم كما قال امرؤا لقيس

لا وابيك ابنة العامرى * لايدعى القوم انى افر

وقدم الكلام فيه فى قوله فلااقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لاقسم بغير الف بعد اللام

واهل المغفرة ﴾ اى هو حقيق بان تتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بان يغفر لهم ماسلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو اهل ان تتقى محارمه واهل ان يغفر لمن اتقاه * عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال الله تبارك وتعالى انا اهل ان اتقى فمن اتقانى فلم يجعل معى الها فانا اهل ان اغفر له اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وفى اسناده سهيل بن عبدالله القطيعى وليس بالقوى فى الحديث وقد تفرد به عن ثابت والله تعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة القيامة مكية وهى اربعون آية ومائة وتسع وتسعون ﴾

﴿ كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ اتفقوا على ان المعنى اقسم واختلفوا فى لفظ لا فقيل ادخال لفظة لا على القسم مستفيض فى كلام العرب واشعارهم قال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامرى * لايدعى القوم انى افر

قالوا وفائدتها تأكيد القسم كقولك لا والله ماذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه ابلغ فى الرد مع اثباتها وقيل انها صلة كقول الله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وفيه ضعف لانها لاتزاد الا فى وسط الكلام لافى اوله واجيب عنه بان القرآن فى حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه انه قد يجىء ذكر الشئ فى سورة ويذكر جوابه فى سورة اخرى كقوله ياايها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه فى سورة ن ما انت بنعمة ربك بمجنون واذا كان كذلك كان اول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف ايضا لان القرآن فى حكم السورة الواحدة فى عدم التناقض لا ان تقرن سورة بما بعدها فذلك غير جائز وقيل لارد لكلام المشركين المنكرين

﴿ سورة القيامة مكية وهى اربعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لا اقسم بيوم القيامة) اى اقسم عن ابن عباس ولا صلة كقوله لئلا يعلم وقوله * فى بئر لا حور سرى وماشعرى * وكقوله تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة * وكاد ضمير القلب لاينقطع وعليه الجمهور وعن الفراء لارد لانكار المشركين البعث كانه قيل ليس الامر كما تزعمون ثم قيل اقسم بيوم القيامة وقيل اصله لاقسم كقراءة ابن كثير على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدأ محذوف اى لانا اقسم ويقويه انه فى الامام بغير الف ثم اشبع فظهر من الاشباع الف وهذا اللام يصحبه نون التأكيد فى الاغلب وقد يفارقه

ان يتقى فلايعصى (واهل المغفرة) اهل ان يغفر لمن اتقى وتاب اهل المغفرة اذا قمت القيامة

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها يوم القيامة وهى كلها مكية آياتها تسع وثلاثون وكلماتها تسع وتسعون وحروفها ستمائة واثنان وخمسون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله (لا أقسم بيوم القيامة) يقول اقسم بيوم القيامة انها كائنه

وكذا روى عن البزى ﴿ ولا قسم بالنفس اللوامة ﴾ بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيامة على تقصيرها اوالتى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة اوالنفاس المطمئنة للائمة للنفس الامارة اوبالجنس لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الاوتلوم نفسها يوم القيامة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ياليتنى كنت قصرت اونفس آدم فانها لم تزل تلوم على ما اخرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود للبعث اى ليس الامر كما زعموا ثم ابتدأ فقال قسم بيوم القيامة و اقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه ان يقال ان لاهى للنفى والمعنى فى ذلك كانه قال لا اقسم بذلك ليوم ولا بتلك النفس الا اعظاما لهما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل معناه لا قسم بهذه الاشياء على اثبات هذا المطلوب فان اثباته اظهر من ان يقسم عليه وروى البغوى فى تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة احدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفنت قال اما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على ان المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات فى ذلك * وقوله ﴿ ولا اقسم بالنفس اللوامة ﴾ قيل هى التى تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هى التى تندم على ما فات فتقول لو فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وهى تلوم نفسها ان كانت عملت خيرا تقول هلاازددت وان عملت شرا تقول ياليتنى لم افعل وقال الحسن هى نفس المؤمن ان المؤمن ما تراه الا يلوم نفسه ما اردت بكلامى ما اردت بأكلى وان الكافر يمضى ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هى النفس الشريفة التى تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشريفة التى لاتزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الطاعة وقيل هى النفس الشقية العاصية يوم القيامة بسبب ترك التقوى وقيل هى النفس الشقية تلوم نفسها حين تعاين اهوال يوم القيامة فتقول يا حسرتا على فرطت فى جنب الله فان قلت اى مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس اللوامة حتى جمع بينهما فى القسم قلت وجه المناسبة ان فى يوم القيامة تظهر احوال النفس اللوامة من الشقاوة اوالسعادة فلهذا حسن الجمع بينهما فى القسم وقيل انما وقع القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها واجتهادها فى طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فكانه قال اقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس الكافرة او الفاجرة لايقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو يوم القيامة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيام على وقوع القيامة وفيه اشكال قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم بربها فى الحقيقة فكانه قال اقسم برب القيامة وقيل لله تعالى ان يقسم بما يشاء من خلقه وجواب

(ولا اقسم بالنفس اللوامة) الجمهور على انه قسم آخر وعن الحسن قسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة فهى صفة ذم وعلى القسم صفة مدح اى النفس المتقية التى تلوم على التقصير فى التقوى وقيل هى نفس آدم لم تزل تلوم على فعلها التى خرجت به من الجنة وجواب القسم محذوف اى لتبعثن دليله

(ولا اقسم بالنفس اللوامة) واقسم بكل نفس برة او فاجرة انها تلوم نفسها يوم القيامة اما المحسنة فتقول ياليتنى ازددت احسانا واما السيئة فتقول ياليتنى نزعت من الذنوب وذلك عند معاينة الثواب والعقاب ويقال هى النفس النادمة ويقال هى النفس اللائمة النادمة التى تتوب من الذنوب ولامت نفسها على ذلك ويقال هى النفس الكافرة والفاجرة

من اقامتها مجازاتها ﴿ أيحسب الانسان ﴾ يعنى الجنس واسناد الفعل اليهم لان منهم من يحسب اوالذى نزل فيه وهوعدى بن ابى ربيعة سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن امرالقيامة فاخبره به فقال لوعاينت ذلك اليوم لم اصدقك اويجمع الله هذه العظام ﴿ ان لن نجمع عظامه ﴾ بعد تفرقها وقرئ ان لن يجمع على البناء للمفعول ﴿ بلى ﴾ نجمعها ﴿ قادرين على ان نسوى بنانه ﴾ بجمع سلامياته وضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام اوعلى ان نسوى بنانه الذى هواطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون ﴿ بل يريد الانسان ﴾ عطف على ايحسب الانسان فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا لجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم اوعن الاستفهام ﴿ ليفجر امامه ﴾ ليدوم على فجوره فيما يستقبله

القسم محذوف تقديره لتبعثن ثم لتحاسبن يدل عليه قوله تعالى ﴿ أيحسب الانسان ان ان نجمع عظامه ﴾ وقيل جواب القسم قوله ﴿ بلى قادرين على ان نسوى بنانه ﴾ ومعنى ايحسب الانسان ايظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة بالتراب وبعد ما نسفتها الريح فطيرتها فى اباعد الارض ان لن نجمع عظامه اى لايمكننا جمعها مرة اخرى وكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابداء قادر على الاعادة نزلت هذه الاية فى عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق الثقفى وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنى جارى السوء يعنى عديا والاخنس وذلك ان عديا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثنى متى تكون القيامة وكيف امرها وحالها فأخبره النبى صلى الله عليه وسلم فقال عدى بن ربيعة لوعاينت ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن بك او يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل ايحسب الانسان يعنى هذا الكافر ان لن نجمع عظامه يعنى بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان اول مرة وقيل ذكر العظام واراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب النفوس ولايستوى الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قول هذا المنكر او يجمع الله العظام بلى قادرين يعنى على جمع عظامه وتأليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة الاولى وعلى ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوى بنانه يعنى انامله فنجعل اصابع يديه ورجليه شيأ واحدا كخف البعير او كحافر الحمار فلا يقدر ان يرتفق بها بالقبض والبسط والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها وقيل معناه اظن الكافر ان لن نقدر على جمع عظامه بل نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها ونؤلف بينها حتى تستوى البنان فمن نقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه آخر ما يتم به الخلق * قوله تعالى ﴿ بل يريد الانسان ليفجر امامه ﴾ اى ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان ماعاش لا ينزع

(ايحسب الانسان) اى الكافر المنكر للبعث (ان لن نجمع عظامه) بعد تفارقها ورجوعها رفاتا مختلطا بالتراب (بلى) اوجبت مابعد النفى اى بلى نجمعها (قادرين) حال من الضمير فى نجمع اى نجمعها قادرين على جمعها واعادتها كما كانت (على ان نسوى بنانه) اصابعه كما كانت فى الدنيا بلا نقصان وتفاوت مع صغرها فكيف بكبار العظام (بل يريد الانسان) عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما (ليفجر امامه) لدوم على فجوره فيما يستقبله

(أيحسب الانسان) ايظن الكافر عدى بن ربيعة انكارا منه للبعث (ان ان نجمع عظامه) ان لن نقدر ان نجمع عظامه بعد بلائها وتبديلها وتفريقها (بلى قادرين) يقول انا قادر على ذلك (على ان نسوى بنانه) نجمع اصابعه فيكون كفه كخف البعير او كحافر الدواب يقول انا قادرون على ان نجعل كفه كخف البعير فكيف لانقدر على ان نجمع عظامه (بل يريد الانسان) الكافر عدى بن ربيعة (ليفجر امامه) ليقدم شره ويؤخر توبته ويقال ليعمل بالفسق

من الزمان (يسئل أيان) متى (يوم القيامة) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة (فاذا برق البصر) تحير فزعا وبفتح الراء مدنى شخص (وخسف القمر) اى ذهب ضوءه او غاب من قوله فخسفنا به وقرأ ابو حيوة بضم الخاء (وجمع الشمس والقمر) اى جمع بينهما فى الطلوع من المغرب او جمعا فى ذهاب الضوء او يجمعان فيقذفان فى البحر فيكون نار الله الكبرى (يقول الانسان) الكافر (يومئذ اين المفر) هو مصدر اى الفرار من النار او المؤمن ايضا من الهول وقرأ الحسن بكسر الفاء وهو يحتمل المكان والمصدر (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ (الى ربك) خاصة (يومئذ المستقر) مستقر العباد او موضع قرارهم من جنة او نار مفوض ذلك لمشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء

من الزمان ﴿يسأل ايان يوم القيامة﴾ متى يكون يوم القيامة استبعادا او استهزاء ﴿فاذا برق البصر﴾ تحير فزعا من برق الرجل اذ انظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة فيه او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح ﴿وخسف القمر﴾ وذهب ضوؤه وقرئ على بناء المفعول ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق وان حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف ﴿يقول الانسان يومئذ اين المفر﴾ اى الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان ﴿كلا﴾ ردع عن طلب المفر ﴿لا وزر﴾ لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل ﴿الى ربك يومئذ المستقر﴾

عن المعاصى ولا يتوب وقال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى يأتيه الموت وهو على سوء حاله وشر اعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمى الكافر والفاسق فاجرا لميله عن الحق ﴿يسئل ايان يوم القيامة﴾ اى متى يكون يوم القيامة والمعنى ان الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى ﴿فاذا برق البصر﴾ اى شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التى كان يكذب بها فى الدنيا وقيل تبرق ابصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق اذا فزع وتحير لما يرى من العجائب وقيل برق اى شق عينه وفتحها من البرق وهو التلألؤ ﴿وخسف القمر﴾ اى اظلم وذهب ضوءه ﴿وجمع الشمس والقمر﴾ يعنى اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فهناك نار الله الكبرى ﴿يقول الانسان﴾ يعنى الكافر المكذب ﴿يومئذ﴾ اى يوم القيامة ﴿اين المفر﴾ اى المهرب وهو موضع الفرار ﴿كلا﴾ اى لا ملجأ لهم يهربون اليه وهو قوله ﴿لا وزر﴾ اى لا حرز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجؤا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وكل ما التجأت اليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

الناس الب علينا فيك ليس لنا * الا السيوف واطراف القنا وزر

ومعنى الآية انه لا شئ يعصمهم من امر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستندون اليه من النار ﴿الى ربك يومئذ المستقر﴾ يعنى مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود

والفجور فيما يستقبله (يسأل) عدى بن ربيعة انكارا منه للبعث (ايان يوم القيامة) متى يكون يوم القيامة فقال الله (فاذا برق البصر) اعجب البصر ويقال شخص البصر (وخسف القمر) ذهب ضوء القمر (وجمع الشمس والقمر) كالثورين المقرونين لعقيرين الاسودين فيرمى بهما فى حجاب النور (يقول الانسان) الكافر عدى بن ربيعة واصحابه (يومئذ) اذا رأوا النار (اين المفر) من النار والمهرب والملجأ (كلا) حقا (لا وزر) لا جبل يواريه من النار وهى بلغة حمير يسمون الجبل وزرا ويقال لا وزر لا شجر ولا ستر ولا حرز ولا حصن ولا ملجأ ولا منجى لهم من الله (الى ربك يومئذ) يوم القيامة (المستقر) مستقر الخلائق

ادخله النار (ينبأ الانسان يومئذ) يخبر (بما قدم) من عمل عمله (واخر) مالم يعمله (بل الانسان على نفسه بصيرة) شاهد والهاء للمبالغة كعلامة اوانثه لانه اراد به جوارحه اذ جوارحه تشهد عليه او هو حجة على نفسه والبصيرة الحجة قال الله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم وتقول لغيرك انت حجة على نفسك وبصيرة رفع بالابتداء وخبره على نفسه تقدم عليه والجملة خبر الانسان كقولك زيد على

على هذا يجوز ان يكون الملك الموكل عليه (ولو القى معاذيره) ولو ارخى ستوره والعذار الستر وقيل ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معذرة لان جمعها معاذر بل هي اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر (لا تحرك به) بالقرآن (لسانك لتعجل به) بالقرآن وكان صلى الله عليه وسلم يأخذ في القراءة قبل فراغ جبريل كراهة ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك لسانك بقراءة الوحي مادام جبريل يقرأ لتعجل به لتأخذه على عجلة ولئلا ينفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله

اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ﴿ ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر ﴾ بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده او بما قدم من مال تصدق به وبما اخر فخلفه او باول عمله وآخره ﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ﴾ حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ﴿ ولو القى معاذيره ﴾ ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير القياس كالمناكير في المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر ﴿ لا تحرك ﴾ يا محمد ﴿ به ﴾ بالقرآن ﴿ لسانك ﴾ قبل ان يتم وحيه ﴿ لتعجل به ﴾ لتأخذه على عجلة مخافة ان

اليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اى موضع قرارهم من جنة او نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء ادخله الجنة برحمته ومن شاء ادخله النار بعدله ﴿ ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر ﴾ قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته من عمل صالح او سيء وما اخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وعن ابن عباس ايضا بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله فضيعه وقيل باول عمله وآخره وهو ما عمله في اول عمره وفي آخره وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما اخر من ماله لورثته ﴿ بل الانسان على نفسه بصيرة ﴾ اى بل الانسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة ﴿ ولو القى معاذيره ﴾ يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره وقيل ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق الابواب ليخفي مايعمل فان نفسه شاهدة عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا * قوله عز وجل ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله

والمرجع (ينبأ الانسان) يخبر الانسان عدى بن ربيعة وغيره (يومئذ) يوم القيامة (بما قدم واخر) بما قدم من خير او شر واخر بما ترك من سنة صالحة او سنة سيئة ويقال بما قدم من الطاعة واخر من المعصية (بل الانسان) عدى بن ربيعة وغيره (على نفسه بصيرة) يقول من نفسه شاهده (ولو القى معاذيره) ولو تكلم بالعذر مافعلت ذلك وما قلت ويقال هي بصيرة بعيوب غيرها جاهلة غافلة عن عيوب نفسها (لا تحرك به) بقراءة القرآن يا محمد (لسانك لتعجل به) بقراءة القرآن قبل ان يفرغ جبريل من قراءته عليك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل جبريل عليه بشيء من القرآن لم يفرغ جبريل من آخره حتى يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بأوله مخافة ان ينساه فنهاه الله

ينفلت منك ﴿ ان علينا جمعه ﴾ فى صدرك ﴿ وقرآنه ﴾ واثبات وقراءته فى لسانك وهو تعليل للنهى ﴿ فاذا قرأناه ﴾ بلسان جبريل عليك ﴿ فاتبع قرآنه ﴾ قراءته وتكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك ﴿ ثم ان علينا بيانه ﴾ بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها فى غيره او بذكر ما اتفق فى اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قراءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك

عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير قال ابن عباس انا احركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه فى صدرك ثم تقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع وانصت ثم ان علينا ان تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبى صلى الله عليه وسلم كما قرأه وفى رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدى ورواه البغوى من طريق البخارى وقال فيه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحى كان مما يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الآية التى فى لا اقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال ان علينا ان نجمعه فى صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله تعالى وفى رواية كان يحرك شفتيه اذا نزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه اى نجمعه فى صدرك وقرآنه اى تقرأه ومعنى الآية لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل به اى باخذه ﴿ ان علينا جمعه ﴾ اى جمعه فى صدرك وحفظك اياه ﴿ وقرآنه ﴾ اى وقراءته علينا والمعنى سنقرئك يا محمد بحيث تصير لا تنساه ﴿ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ اى لا تكن قراءتك مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحى اليك فاذا فرغ جبريل من القراءة فخذ انت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل بالوحى ونظيره من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول الاول اولى لان هذا ليس موضع الامر باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع الامر بالاستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا نزل عليه جبريل بالوحى اصغى اليه فاذا فرغ من قراءته وعاه النبى صلى الله عليه وسلم وحفظه ﴿ ثم ان علينا بيانه ﴾

(ان علينا جمعه) فى صدرك (وقرآنه) واثبات قراءته فى لسانك والقرآن القراءة ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه (فاذا قرأناه) اى قرأه عليك جبريل فجعل قراءة جبريل قراءته (فاتبع قرآنه) اى قراءته عليك (ثم ان علينا بيانه) اذا اشكل عليك شئ من معانيه

عن ذلك (ان علينا جمعه) جمع حفظه فى قلبك (وقرآنه) وحفظ قراءة جبريل عليك ويقال تأليفه بالحلال والحرام (فاذا قرأناه) قرأه جبريل عليك (فاتبع قرآنه) فاقرأ انت يا محمد خلفه ويقال اذا الفناه بالحلال والحرام فاتبع تأليفه (ثم ان علينا بيانه) بالحلال والحرام

(اى)

وقراءته فاذا قرأناه فاتبع قراءته بالاقرار والتأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه ﴿ كلا ﴾ ردع للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن عادة العجلة او للانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله ﴿ بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ تعميم للخطاب اشعارا بان بنى آدم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما ﴿ وجوه يومئذ ناضرة ﴾ بهية متهللة ﴿ الى ربها ناظرة ﴾ تراه مستغرقة

اى ان نبينه بلسانك فتقرأه كما اقرأك جبريل وقيل اذا اشكل شئ من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شئ سأل جبريل عن معانيه لغاية حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك * قوله تعالى ﴿ كلا ﴾ اى حقا ﴿ بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ اى تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة ﴿ وجوه يومئذ ﴾ اى يوم القيامة ﴿ ناضرة ﴾ من النضارة وهى الحسن وقال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور وبهاء وقيل مشرقة بالنعيم ﴿ الى ربها ناظرة ﴾ قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق ان تنضر وهى تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروى عن مجاهد وابى صالح انهما فسرا النظر فى هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها قال الازهرى ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطأ لان العرب لا تقول نظرت الى الشئ بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اى انتظرته ومنه قول الحطيئة

وقد نظرتكم اعشاء صادرة * للورد طال بها حوزى وتنساسى

فاذا قلت نظرت اليه لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت فى الامر احتمل ان يكون تفكر فيه وتدبر بالقلب وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد فى التنزيل بمعنى الانتظار كثير ولم يوصل فى موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا تأويله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدى بالى لم يحتمل غير الرؤية واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى اتوقع فضل الله ثم فضلك فيكون النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند الى الوجه فاذا اسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر القلب ولا الانتظار واذا بطل المعنيان لم يبق لبقاء الرؤية كلام وان شق ذلك عليهم والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر فى هذه الآية بالرؤية وسنذكرها ان شاء الله تعالى

فصل فى اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى فى الآخرة

قال علماء اهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على وقوعها فى الآخرة وان المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى دون الكافرين بدلائل قوله

(كلا) ردع عن انكار البعث او ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن العجلة وانكارها عليه واكده بقوله (بل تحبون العاجلة) كانه قيل بل انتم يا بنى آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شئ ومن ثم تحبون العاجلة الدنيا وشهواتها (وتذرون الآخرة) الدار الآخرة ونعيمها فلا تعملون لها والقراءة فيهما بالتاء مدنى وكوفى (وجوه) هى وجوه المؤمنين (يومئذ ناضرة) حسنة ناعمة (الى ربها ناظرة) بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لامر ربها او لثوابه لا يصح لانه يقال نظرت فيه اى تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى بالى الا بمعنى الرؤية مع انه لا يليق الانتظار فى دار القرار

والامر والنهى (كلا) حقا (بل تحبون العاجلة) العمل للدنيا (وتذرون الآخرة) تتركون العمل لثواب الآخرة (وجوه) وجوه المؤمنين المصدقين فى ايمانهم (يومئذ) يوم القيامة (ناضرة) حسنة جميلة ناعمة (الى ربها ناظرة) ينظرون الى وجه ربهم لا يحجبون عنه

فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لايسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لايعدى بالى وقول الشاعر

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتنى نعما

تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لايراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذى قالوه خطأ صريح وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مشهورة فى كتب المتكلمين من اهل السنة وكذلك باقى شبههم واجوبتها مشهورة مستفاضة فى كتب الكلام وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله فى خلقه ولايشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئى ولاغيرذلك * واما الاحاديث الواردة فى اثبات الرؤية * فمنها ماروى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذى وقال هذا حديث غريب وقال وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ولم يرفعه (ق) عن جرير بن عبدالله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * قوله لاتضامون روى بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد ايضا ومعناه لاينضم بعضكم الى بعض ولاتزدحمون وقت النظر اليه وروى بتخفيف الميم ومعناه لاينالكم ضيم فى رؤيته فيراه بعضكم دون بعض * وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه الرؤية بالرؤية فى الوضوح وزوال الشك والمشقة لاتشبيه المرئى بالمرئى * عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان اناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون فى القمر ليلة البدر قالوا لايارسول الله قال هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لايارسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك اخرجه ابو داود واخرجه الترمذى وليس عنده فى اوله ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاقوله ليس دونها سحاب قال الترمذى وقد روى مثل هذا الحديث عن ابى سعيد وهو صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل

(ووجوه يومئذ باسرة) كالحة شديد العبوسة وهي وجوه الكفار (تظن) تتوقع (ان يفعل بها) فعل هو في شدته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى العاجلة التي تبقون فيها مخلدين (اذا بلغت) اي الروح وجاز وان لم يجرلها ذكر لان الآية تدل عليها (التراقي) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال جمع ترقوة (وقيل من راق) يقف حفص على من وقيفة اي قال حاضرو المحتضر بعضهم لبعض ايكم يرقيه مما به من الرقية من حد ضرب اوهو من كلام الملائكة ايكم يرقى روحه املائكة الرحمة ام ملائكة العذاب من الرقي من حد علم (وظن) ايقن المحتضر (انه الفراق) ان

يعني السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه ﴿تظن﴾ تتوقع اربابها ﴿ان يفعل بها فاقرة﴾ داهية تكسر الفقار ﴿كلا﴾ ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة ﴿اذا بلغت التراقي﴾ اذا بلغت النفس اعالي الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها ﴿وقيل من راق﴾ وقال حاضرو صاحبها من يرقيه مما به من الرقية اوقال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقي ﴿وظن انه الفراق﴾

قد اخرجه البخاري ومسلم ومعنى تضارون وتضامون واحد * عن ابي رزين العقيلي قال قلت يارسول الله اكلنا يرى ربه مخليابه يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك في خلقه قال يااباررزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليابه قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابوداود (م) عن صهيب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيأ ازيدكم فيقولون الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيأ احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث في الباب كثيرة وهذا القدر كاف والله اعلم * قوله عز وجل ﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾ اي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت الوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما ادركها من اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حين يميز بين اهل الجنة والنار ﴿تظن﴾ اي تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين ﴿ان يفعل بها فاقرة﴾ ان يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد الذي يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هي ان تحجب تلك الوجوه عن رؤية الله تعالى ﴿كلا﴾ اي حقا ﴿اذا بلغت﴾ يعني النفس كناية عن غير مذكور ﴿التراقي﴾ جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشراف على الموت ومنه قول دريد بن الصمة

ورب عظيمة دافعت عنها * وقد بلغت نفوسهم التراقي

﴿وقيل﴾ يعني وقال من حضره ﴿من راق﴾ اي هل من طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه من ذلك برقيته ودوائه وقيل لما نزل به من قضاء الله مانزل التمسوا له الاطباء فلم يغنوا عنه من قضاء الله شيأ وقيل هذا من قول الملائكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض من يرقى بروحه اذا خرجت فيصعد بها ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب ﴿وظن﴾ اي ايقن الذي بلغت روحه التراقي ﴿انه الفراق﴾ يعني الخروج من الدنيا وفراق المال والاهل والولد

(ووجوه) وجوه الكافرين والمنافقين (يومئذ) يوم القيامة (باسرة) كالحة يحجبون عن رؤية ربهم لا ينظرون اليه (تظن) تعلم تلك الوجوه (ان يفعل بها فاقرة) شدة ومنكرة من العذاب (كلا) حقا (اذا بلغت التراقي) اذا بلغت نفس الجسد الى التراقي (وقيل) قال من حضرته من اهله وغيره (من راق) هل من طبيب يداويه ويقال قال الملائكة بعضهم لبعض من راق بروحه الى الله (وظن) علم الميت حينئذ (انه الفراق) انه الفراق

هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت الساق بالساق) التوت ساقاه عند موته وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل فى الشدة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هما همان هم الاهل والولد وهم القدوم على الواحد الصمد (الى ربك يومئذ المساق) هو مصدر ساقه اى مساق العباد الى حيث امر الله اما الى الجنة او الى النار (فلا صدق) بالرسول والقرآن (ولا صلى) الانسان فى قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه (ولكن كذب) بالقرآن (وتولى) عن الايمان او فلا صدق ماله يعنى فلا زكاه (ثم ذهب الى اهله يتمطى) يتبختر واصله يتمطط اى يتمدد لان المتبختر يمد خطاه فابدلت الطاء ياء لاجتماع ثلاثة احرف متماثلة (اولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بان يليه ما يكره (فأولى ثم اولى لك فأولى) كرر للتأكيد كانه قال ويل لك فويل لك ثم ويل لك فويل لك وقيل ويل لك

وظن المحتضر ان الذى نزل به فراق الدنيا ومحابها ﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ والتوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكها او شدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة ﴿ الى ربك يومئذ المساق ﴾ سوقه الى الله تعالى وحكمه ﴿ فلا صدق ﴾ ما يجب تصديقه او فلا صدق ماله اى فلا زكاه ﴿ ولا صلى ﴾ ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى ايحسب الانسان ﴿ ولكن كذب وتولى ﴾ عن الطاعة ﴿ ثم ذهب الى اهله يتمطى ﴾ يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه ﴿ اولى لك فاولى ﴾ ويل لك من الولى واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من آل يؤل بمعنى عقباك النار ﴿ ثم اولى لك فاولى ﴾ اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى

﴿ والتفت ﴾ اى اجتمعت ﴿ الساق بالساق ﴾ اى الشدة بالشدة يعنى شدة مفارقة الدنيا مع شدة الموت وكربه وقيل شدة الموت بشدة الآخرة وقيل تتابعت عليه الشدائد لايخرج من كرب الا جاءه ما هو اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الآخرة فكان فى آخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت اذا التفتا فى الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت الا تراه كيف يضرب باحدى رجليه على الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه فالتفت احداها بالاخرى ﴿ الى ربك يومئذ المساق ﴾ اى مرجع العباد الى الله تعالى يساقون اليه يوم القيامة ليفصل بينهم * قوله تعالى ﴿ فلا صدق ولا صلى ﴾ يعنى اباجهل لم يصدق بالقرآن ولم يصل لله تعالى ﴿ ولكن كذب وتولى ﴾ اى اعرض عن الايمان والتصديق ﴿ ثم ذهب الى اهله يتمطى ﴾ اى يتبختر ويختال فى مشيته وقيل اصله يتمطط اى يتمدد من المط وقيل من المطا وهو الظهر لانه يلويه ﴿ اولى لك فأولى ﴾ هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابى جهل وهى كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه ويل لك مرة بعد مرة وهو دعاء عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك احدر بهذا العذاب واحق واولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية اخذ بمجامع ثوب ابى جهل بالبطحاء وقال له اولى لك فأولى ﴿ ثم اولى لك فأولى ﴾ قال فقال ابو جهل اتوعدنى يا محمد والله

من الدنيا (والتفت الساق بالساق) الشدة بالشدة شدة آخر يوم من الدنيا وشدة اول يوم من الآخرة ويقال والتفت الساق بالساق اى يلتوى ساقه بالساق (الى ربك يومئذ) يوم القيامة (المساق) المرجع مرجع الخلائق (فلا صدق) يعنى اباجهل بتوحيد الله (ولا صلى) ولا اسلم اى لم (ما) يكن مسلما من اهل الصلاة (ولكن كذب) بتوحيد الله (وتولى) عن الايمان (ثم ذهب الى اهله) فى الدنيا (يتمطى) يتبختر ويتبطر فاستقبله النبى صلى الله عليه وسلم فأخذه فهزه هزة اوهزتين او مرة اومرتين وقال (اولى لك فأولى) وعيد لك يا اباجهل وعيد لك (ثم اولى لك فأولى) احذر اباجهل فنزل القرآن كذلك

يوم الموت وويل لك فى القبر وويل لك حين البعث وويل لك فى النار (أيحسب الانسان ان يترك سدى) ايحسب الكافر ان يترك مهملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يبعث ولا يجازى (الم يك نطفة من منى يمنى) بالياء ابن عامر وحفص اى يراق المنى فى الرحم وبالتاء يعود الى النطفة (ثم كان علقة) اى صار المنى قطعة دم جامد بعد اربعين يوما (فخلق فسوى) فخلق الله منه بشرا سويا (فجعل منه) من الانسان (الزوجين الذكر والانثى) اى من المنى الصنفين (اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى) اليس الفعال لهذه الاشياء بقادر على الاعادة وكان صلى الله عليه وسلم اذا قراها يقول سبحانك بلى والله اعلم

﴿سورة الانسان مكية وهى احدى وثلاثون آية﴾

(ايحسب الانسان) الكافر يعنى اباجهل (ان يترك سدى) مهملا بلا امر ولا نهى ولا عظة (الم يك) ابو جهل (نطفة من منى) منى لرجل (يمنى) يهراق فى رحم المرأة ويقال يخلق (ثم كان علقة) ثم صار دما عبيطا (فخلق) نسمة (فسوى) خلقه باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء وجعل فيه الروح (فجعل منه) بعد ذلك (الزوجين الذكر والانثى) (قد دخلا ٥٣ س) وكان له ابن عكرمة بن ابى جهل وابنه جويرة بنت ابى جهل (اليس ذلك) الذى فعل ذلك (بقادر على ان يحيى الموتى) بعث بلى قادر على ذلك ان يحيى الموتى كما خلق آدم من التراب ﴿ومن السور التى يذكر فيها الانسان وهى كلها مكية آياتها ثلاثون آية وكلماتها مائتان واربعون كلمة وحروفها الف واربع وخمسون﴾

﴿أيحسب الانسان ان يترك سدى﴾ مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكرير انكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بالمجازاة وهى قد لا تكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة ﴿ألم يك نطفة من منى تمنى﴾ وقرأ حفص بالياء ﴿ثم كان علقة فخلق فسوى﴾ فقدره فعدله ﴿فجعل منه الزوجين﴾ الصنفين ﴿الذكر والانثى﴾ وهو استدلال آخر بالابداء على الاعادة على ما مر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله ﴿أليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى﴾ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى * وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له انا وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا به

﴿سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون﴾

ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بى شيأ وانى لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله اشد قتلة وكان نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل ﴿أيحسب الانسان ان يترك سدى﴾ اى هملا لا يؤمر ولا ينهى ولا يكلف فى الدنيا ولا يحاسب فى الآخرة ﴿ألم يك نطفة﴾ اى ماء قليلا ﴿من منى يمنى﴾ اى يصب فى الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شئ قذر مستقذر ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة ﴿ثم كان علقة﴾ اى صار الانسان علقة بعد النطفة ﴿فخلق فسوى﴾ اى فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاءه ﴿فجعل منه﴾ اى من الانسان ﴿الزوجين﴾ اى الصنفين ثم فسرهما فقال ﴿الذكر والانثى﴾ اى خلق من مائه اولادا ذكورا واناثا ﴿أليس ذلك﴾ اى الذى فعل هذا وانشأ الاشياء اول مرة ﴿بقادر على ان يحيى الموتى﴾ اى بقادر على اعادتهم بعد الموت * عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى الى آخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى اليس ذلك بقادر ان يحيى الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأى حديث بعده يؤمنون فليقل آمنا بالله اخرجه ابو داود * وله عن موسى ابن ابى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته فكان اذا قرأ اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى قال سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة هل أتى وتسمى سورة الانسان ايضا﴾

وهى مدنية قاله مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن ابن عباس

(بسم الله الرحمن الرحيم) (هل اتى) قد مضى (على الانسان) آدم عليه السلام (حين من الدهر) اربعون سنة مصورا قبل نفخ الروح فيه (لم يكن شيأ مذكورا) لم يذكر اسمه ولم يدر ما يراد به لانه كان طينا يمر به الزمان ولو كان غير موجود لم يوصف بانه قد اتى عليه حين من الدهر ومحل لم يكن شيأ مذكورا النصب على الحال من الانسان اى اتى عليه حين من الدهر غير مذكور (انا خلقنا الانسان) اى ولد آدم وقيل الاول ولد آدم ايضا وحين من الدهر على هذا مدة لبثه فى بطن امه الى ان صار شيأ مذكورا بين الناس (من نطفة امشاج) نعت او بدل منها اى من نطفة قد امتزج فيها الماآن ومشجت ومزجت بمعنى و نطفة امشاج كبرمة اعشار فهو مفرد غير جمع ولذا وقع صفة للمفرد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هل اتى على الانسان ﴾ استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد و اصله اهل كقوله * اهل رأونا بسفح القاع ذى الاكم * ﴿ حين من الدهر ﴾ طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود ﴿ لم يكن شيئا مذكورا ﴾ بل كان شيئا منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله ﴿ انا خلقنا الانسان ﴾ او آدم عليه السلام بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه ﴿ من نطفة امشاج ﴾ اخلاط جمع مشج او مشيج من

وعطاء بن يسار ومقاتل وقيل فيها مكى ومدنى فالمكى منها قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا وباقيها مدنى قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدنى من اولها الى قوله تعالى انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ومن هذه الآية الى آخرها مكى حكاه الماوردى وهى احدى وثلاثون آية ومائتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ هل أتى ﴾ اى قد أتى ﴿ على الانسان ﴾ يعنى آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ حين من الدهر ﴾ يعنى مدة اربعين سنة وهو من طين ملقى (م) عن انس رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما صور الله آدم فى الجنة تركه ماشاء الله ان يتركه فجعل ابليس يطيف به وينظر اليه فلما رآه اجوف عرف انه خلق لايتمالك * قوله يطيف به اى يدور حوله فلما رآه اجوف اى صاحب جوف وقيل هو الذى داخله خال وقوله عرف انه مخلوق لايتمالك اى لايملك نفسه ويحبسها عن الشهوات وقيل لايملك دفع الوسواس عنه وقيل لايملك نفسه عند الغضب وروى فى تفسير الآية ان آدم بقى اربعين سنة طينا واربعين سنة حمأ مسنونا واربعين سنة صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ﴿ لم يكن شيأ مذكورا ﴾ اى لا يذكر ولا يعرف ولا يدرى ما اسمه ولا يراد به وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان شيأ ولم يكن شيأ يذكر روى عن عمر انه سمع رجلا يقرأ هذه الآية لم يكن شيأ مذكورا فقال عمر ليتها تمت يعنى ليته بقى على ما كان عليه ويروى نحوه عن ابى بكر وابن مسعود وقيل المراد بالانسان جنس الانسان وهم بنو آدم بدليل قوله ﴿ انا خلقنا الانسان ﴾ فالانسان فى الموضعين واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طائفة من الدهر غير مقدرة لم يكن شيأ مذكورا يعنى انهم كانوا نطفا فى الاصلاب ثم علقا ومضغا فى الارحام لم يذكروا بشئ انا خلقنا الانسان يعنى ولد آدم ﴿ من نطفة ﴾ اى من منى الرجل ومنى المرأة ﴿ امشاج ﴾ اى اخلاط قال ابن عباس وغيره يعنى ماء الرجل وماء المرأة يختلطان فى الرحم فيكون منهما الولد فماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (هل اتى على الانسان) يقول اتى على آدم (حين من الدهر) اربعون سنة مخلوقا مصورا (لم يكن شيأ مذكورا) يذكر ولا يدرى ما هو وما اسمه وما يراد به الا الله (انا خلقنا الانسان) يعنى ولد آدم (من نطفة امشاج) من نطفة آدم وحواء ويقال امشاج يعنى الالوان مختلطا ماء الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فالولد

مشجت الشئ اذا خلطته وصف النطفة به لان المراد بها مجموع منى الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزآء فى الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فان اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة ﴿ نبتليه ﴾ فى موضع الحال اى مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعير له الابتلاء ﴿ فجعلناه سميعا بصيرا) ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله ﴿ انا هديناه السبيل ﴾ اى بنصب الدلائل وانزال الآيات ﴿ اما شاكرا واما كفورا ﴾ حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اى هديناه فى حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتدآء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لايخلو

فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة وقيل الامشاج اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء ونطفة المرأة صفراء وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هى العروق التى تكون فى النطفة وقيل هى نطفة مشجت اى خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا حبلت المرأة ارتفع دم الحيض وقيل الامشاج اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه لحما ثم ينشئه خلقا آخر وقيل ان الله تعالى جعل فى النطفة اخلاطا من الطبائع التى تكون فى الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير من نطفة ذات امشاج ﴿ نبتليه ﴾ اى لنختبره بالامر والنهى ﴿ فجعلناه سميعا بصيرا ﴾ قيل فيه تقديم وتأخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلاء لايقع الا بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلاء والامتحان ثم ذكر انه اعطاه مايصح معه الابتلاء وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم الحواس واشرفها ﴿ انا هديناه السبيل ﴾ اى بينا له سبيل الحق والباطل والهدى والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل معناه ارشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلائل وبعثة الرسل وانزال الكتب ﴿ اما شاكرا واما كفورا ﴾ يعنى اما موحدا طائعا لله واما شركا بالله فى علم الله وذلك ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتبين شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل فى معنى الآية اما مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء اى بينا له الطريق ان شكر او كفر وقيل المراد من الشاكر الذى يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من الكفور الذى لايقر بوجوب الشكر عليه ثم بين ما للفريقين فوعد الشاكر واوعد

(نبتليه) حال اى خلقناه مبتلين اى مريدين ابتلاءه بالامر والنهى له (فجعلناه سميعا بصيرا) ذا سمع وبصر (انا هديناه السبيل) بيناله طريق الهدى بادلة العقل والسمع (اما شاكرا) مؤمنا (واما كفورا) كافرا حال من الهاء فى هديناه اى ان شكر او كفر فقد هديناه السبيل فى الحالين او من السبيل اى عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز ولما ذكر الفريقين اتبعهما ما اعدلهما فقال

يكون منهما (نبتليه) نختبره بالشدة والرخاء ويقال نختبره بالخير والشر (فجعلناه سميعا بصيرا) فجعلناله السمع لكى يسمع به الحق والهدى والبصر لكى يبصر به الحق والهدى ويقال نبتليه نختبره بالخير والشر والكفر والايمان مقدم ومؤخر (انا هديناه السبيل) بيناله طريق الايمان والكفر والخير والشر (اما شاكرا) آمنا (واما كفورا) كافرا ويقال انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا يقول بيناله سبيل شاكر اوكفور

(انا اعتدنا للكافرين سلاسل) جمع سلسلة بغير تنوين حفص ومكى وابو عمرو وحمزة وبه ليناسب اغلالا و سعيرا اذ يجوز صرف غير المنصرف للتناسب وغيرهم (واغلالا) جمع غل (وسعيرا) نارا موقدة وقال (ان الابرار) جمع بر او بار كرب وارباب

وشاهد واشهاد وهم الصادقون فى الايمان او الذين لا يؤذون الذر ولا يضمرون الشر (يشربون من كاس) خمر فنفس الخمر تسمى كاسا وقيل الكاس الزجاجة اذا كان فيها خمر (كان مزاجها) ما تمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورائحته وبرده (عينا) بدل منه (يشرب بها عباد الله) اى منها او الباء زائدة او هو محمول على المعنى اى يلتذ بها او يروى بها وانما قال اولا بحرف من وثانيا بحرف الباء لان الكاس مبتدا شربهم واول غايته واما العين فيها يمزجون شرابهم فكانه قيل يشرب عباد الله بها الخمر (يفجرونها) يجرونها حيث شاؤا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون بالنذر) بما اوجبوا على

عن كفران غالبا وانما المأخوذ به التوغل فيه ﴿ انا اعتدنا للكافرين سلاسل ﴾ بها يقادون ﴿ واغلالا ﴾ بها يقيدون ﴿ وسعيرا ﴾ بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع والكسائى وابو بكر سلاسلا للمناسبة ﴿ ان الابرار ﴾ جمع بر كارباب او بار كاشهاد ﴿ يشربون من كاس ﴾ من خمر وهى فى الاصل لقدح تكون فيه ﴿ كان مزاجها ﴾ ما يمزج بها ﴿ كافورا ﴾ لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء فى الجنة يشبه الكافور فى رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به ﴿ عينا ﴾ بدل من كافورا ان جعل اسم ماء او من محل من كاس على تقدير مضاف اى ماء عين او خمرها ونصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعدها ﴿ يشرب بها عباد الله ﴾ ملتذا بها او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب مبتدا منها كما هو ﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾ يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا ﴿ يوفون بالنذر ﴾ استئناف ببيان ما رزقوه لاجله الكافر فقال تعالى ﴿ انا اعتدنا ﴾ اى هيأنا فى جهنم ﴿ للكافرين سلاسل ﴾ اى يشدون بها ﴿ واغلالا ﴾ اى فى ايديهم تغل بها الى اعناقهم ﴿ وسعيرا ﴾ يعنى وقودا لا توصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى ﴿ ان الابرار ﴾ يعنى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر المتوسع فى الطاعة ﴿ يشربون من كاس ﴾ يعنى فيها شراب ﴿ كان مزاجها كافورا ﴾ قيل يمزج لهم شرابهم بالكافور ويختم بالمسك فان قلت ان الكافور غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به قلت قال اهل المعانى اراد كالكافور فى بياضه وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين فى الجنة والمعنى ان ذلك الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التى تسمى كافورا ولا يكون فى ذلك ضرر لان اهل الجنة لا يمسهم ضرر فيما يأكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة وليس ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل ﴿ عينا ﴾ بدلا من الكافور وقيل اعنى عينا ﴿ يشرب بها ﴾ اى يشرب منها ﴿ عباد الله ﴾ قال ابن عباس اولياء الله ﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾ اى يقودونها الى حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم * قوله تعالى ﴿ يوفون بالنذر ﴾ لما وصف الله تعالى ثواب الابرار فى الآخرة وصف اعمالهم فى الدنيا

(انا اعتدنا للكافرين) اى جهل واصحابه (سلاسل واغلالا) فى النار (وسعيرا) نارا وقودا (ان الابرار) الصدقين فى ايمانهم المطيعين لله (...) (يشربون من كاس) يشربون فى الجنة من خمر (كان مزاجها) خلطها (كافورا عينا يشرب بها) منها (عباد الله) اولياء الله (يفجرونها تفجيرا) يمزجونها تمزيجا ويقال يفجرون عين الكافور حيثما يشاؤن فى الجنة الى منازلهم وقصورهم ثم وصف نعتهم اذا كانوا فى الدنيا فقال الله (يوفون بالنذر) بالعهد والحلف بالله ويقال يتمون

كانه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله فقد كان وفى بما اوجبه الله تعالى عليه ﴿ ويخافون يوما كان شره ﴾ شدائده ﴿ مستطيرا ﴾ فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصى ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ حب الله تعالى او الطعام او الاطعام ﴿ مسكينا ويتيما واسيرا ﴾ يعنى

التى يستوجبون بها هذا الثواب والمعنى كانوا فى الدنيا يوفون بالنذر الايجاب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات وقيل النذر فى عرف الشرع واللغة ان يوجب الرجل على نفسه شيأ ليس بواجب عليه وذلك بان يقول لله على كذا وكذا من صدقة او صلاة او صوم او حج او عمرة يعلق ذلك بامر يلتمسه من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضى او قدم غائبى كان لله على كذا ولو نذر فى معصية لايجب الوفاء به (خ) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نذر ان يطيع الله فليف بنذره ومن نذر ان يعصى الله فلايف به وفى رواية فليطعه ولا يعصه * وعنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانذر فى معصية الله وكفارته كفارة يمين اخرجه الترمذى وابوداود والنسائى (ق) عن ابن عباس قال استفتى سعد بن عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نذر كان على امه فتوفيت قبل ان تقضيه فامره ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة * وفى الآية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة فى وصفهم باداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى ﴿ ويخافون يوما كان شره مستطيرا ﴾ اى منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه فى اهل السموات واهل الارض وفى اولياء الله واعدائه وقيل فشا شره فى السموات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وكورت الشمس والقمر وفى الارض فتشققت الجبال وغارت المياه وكسر كل شئ على الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر ذلك اليوم وهوله وشدته * قوله عز وجل ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ اى حب الطعام وقلته وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم يؤثرون غيرهم على انفسهم بالطعام ويواسون به اهل الحاجة وذلك لان اشرف انواع الاحسان والبر اطعام الطعام لان به قوام الابدان وقيل على حب الله عز وجل اى لحب الله ﴿ مسكينا ﴾ يعنى فقيرا وهو الذى لا مال له ولا يقدر على الكسب ﴿ ويتيما ﴾ اى صغيرا وهو الذى لا أب له يكتسب له وينفق عليه ﴿ واسيرا ﴾ قيل هو المسجون من اهل القبلة يعنى من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك امر الله بالاسرى ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ اهل الشرك فعلى هذا الوجه يجوز اطعام الاسرى وان كانوا على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة وقيل الاسير المملوك

انفسهم وهو جواب من عسى ان يقول مالهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة فى وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله عليه اوفى (ويخافون يوما كان شره) شدائده (مستطيرا) منتشرا من استطار الفجر (ويطعمون الطعام على حبه) اى حب الطعام مع الاشتهاء والحاجة اليه او على حب الله (مسكينا) فقيرا عاجزا عن الاكتساب (ويتيما) صغيرا لااب له (واسيرا) مأسورا مملوكا او غيره ثم عللوا اطعامهم الفرائض (ويخافون يوما) عذاب يوم (كان شره) عذابه (مستطيرا) فاشيا (ويطعمون الطعام على حبه) على قلته وشهوته (مسكينا ويتيما) من المسلمين (واسيرا) من المسلمين فى ايدى المشركين ويقال اهل

اسارى الكفار فانه عليه الصلاة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفى الحديث غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك ﴿ انما نطعمكم لوجه الله ﴾ على ارادة القول بلسان الحال اوالمقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ماقالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ﴿ لانريد منكم جزاء ولاشكورا ﴾ اى شكرا ﴿ انا نخاف من ربنا ﴾ فلذلك نحسن اليكم ولا نطلب المكافاة منكم ﴿ يوما ﴾ عذاب يوم ﴿ عبوسا ﴾ تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس فى ضراوته ﴿ قمطريرا ﴾ شديد العبوس كالذى يجمع مابين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيده

وقيل الاسير المرأة لقول النبى صلى الله عليه وسلم اتقوا الله فى النساء فانهن عندكم عوان يعنى اسرى وقيل غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك واختلفوا فى سبب نزول الآية فقيل نزلت فى رجل من الانصار يقال له ابوالدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار جاء مسكين ويتيم واسير فأطعمهم ثلاثة ارغفة وبقى له ولاهله رغيف واحد فنزلت هذه الآية فيه وروى عن ابن عباس انها نزلت فى على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وذلك انه عمل ليهودى بشئ من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه واصلحوا منه شيأ يأكلونه فلما فرغ اتى مسكين فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الثانى فلما فرغ اتى يتيم فسأل فاعطوه ذلك ثم عمل الثلث الباقى فلما تم نضجه اتى اسير من المشركين فسأل فاعطوه ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الآية وقيل الآية عامة فى كل من اطعم المسكين واليتيم والاسير لله تعالى وآثر على نفسه ﴿ انما نطعمكم لوجه الله ﴾ اى لاجل وجه الله تعالى ﴿ لانريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ قيل انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك منعا للمحتاجين من المكافاة وقيل قالوا ذلك ليقتدى بهم غيرهم فى ذلك وذلك ان الاحسان الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى لايراد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب المكافاة اولطلب الحمد من الناس او لهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى لان فيهما شركا ورياء فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا ﴿ انا نخاف من ربنا يوما ﴾ يعنى ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لطلب مكافأتكم ﴿ عبوسا ﴾ وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صائم والمراد اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من الشدة ﴿ قمطريرا ﴾ يعنى شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذى لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقيل هو اشد مايكون من الايام واطوله فى البلاء

فقالوا (انما نطعمكم لوجه الله) اى لطلب ثوابه او هو بيان من الله عز وجل عما فى ضمائرهم لان الله تعالى علمه منهم فاثنى عليهم وان لم يقولوا شيأ (لانريد منكم جزاء) هدية على ذلك (ولا شكورا) ثناء وهو مصدر كالشكر (انا نخاف من ربنا) اى انا لانريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب المكافاة بالصدقة او انا نخاف من ربنا فنتصدق لوجهه حتى نأمن من ذلك الخوف (يوما عبوسا قمطريرا) وصف اليوم بصفة اهم من الاشقياء نحو نهارك صائم والقمطرير الشديد العبوس الذى يجمع مابين عينيه

السجن (انما نطعمكم لوجه الله) فيما بينهم وبين ربهم ولم يتكلموا به لكن اخبر الله عن صدق قلوبهم فقال انما نطعمكم لوجه الله لثواب الله وكرامته (لانريد منكم جزاء) مكافأة تجازوننا به (ولاشكورا) محمدة تحمدوننا به (انا نخاف من ربنا) من عذاب ربنا (يوما عبوسا) كلوحا (قمطريرا) شديدا يقول شديد عذاب ذلك اليوم وهوله ويقال هو تعبس الوجه

(فوقاهم الله شر ذلك اليوم) صانهم من شدائده (ولقاهم) اعطاهم بدل عبوس الفجار (نضرة) حسنا فى الوجوه (وسرورا) فرحا فى القلوب (وجزاهم بما صبروا) بصبرهم على الايثار نزلت فى على و فاطمة وفضة جارية لهما امامرض الحسن والحسين رضى الله عنهما نذر واصوم ثلاثة ايام فاستقرض على رضى الله عنه من يهودى ثلاثة اصوع من الشعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها كل يوم صاعا وخبزت فآثروا

بذلك ثلاث عشايا على انفسهم مسكينا ويتيما واسيرا ولم يذوقوا الا الماء فى وقت الافطار (جنة) بستانا فيهما كل هنئ (وحريرا) ملبسا بهيا (متكئين) حال من هم فى جزاهم (فيها) فى الجنة (على الارائك) الاسرة جمع الاريكة (لا يرون) حال من الضمير المرفوع فى متكئين غير رائين (فيها) فى الجنة (شمسا ولا زمهريرا) لانه لا شمس فيها ولا زمهرير فظلها دائم وهواؤها معتدل لا حر شمس يحمى ولا شدة برد يؤذى وفى الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر فالزمهرير البرد الشديد وقيل القمر اى الجنة مضيئة لا يحتاج فيها الى شمس وقمر (ودانية عليهم ظلالها) قريبة منهم ظلال اشجارها عطف على جنة اى وجنة (فوقاهم الله) دفع عنهم (شر ذلك اليوم) عذاب ذلك اليوم (ولقاهم) اعطاهم (نضرة) حسن الوجوه والبهاء (وسرورا) فرحا فى القلب (وجزاهم) اعطاهم (بما صبروا) فى الدنيا على الفقر والمرازى (جنة وحريرا متكئين فيها) جالسين ناعمين فى الجنة (على الارائك) على السرر فى الحجال فلا تكون اريكة الا اذا اجتمعا فاذا تفرقا فليس باريكة (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) يقول لا يصيبهم حر الشمس ولا برد الزمهرير (ودانية) قريبة (عليهم ظلالها) ظلال الشجر

﴿فوقيهم الله شر ذلك اليوم﴾ بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ﴿ولقاهم نضرة وسرورا﴾ بدل عبوس الفجار وحزنهم ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال ﴿جنة﴾ بستانا يأكلون منه ﴿وحريرا﴾ يلبسونه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك فنذر على وفاطمة رضى الله عنهما وفضة جارية لهما صوم ثلاثة ان برئا فشفيا وما معهم شئ فاستقرض على كرم الله وجهه من شمعون الخيبرى ثلاثة اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوها بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا ولم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله فى اهل بيتك ﴿متكئين فيها على الارائك﴾ حال من هم فى جزاهم اوصفة لجنة ﴿لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا﴾ يحتملهما وان يكون حالا من المستكن فى متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم ولا بارد مؤذن وقيل الزمهرير القمر فى لغة طئ قال راجزهم

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى ان هواءها مضئ بذاته لا يحتاج الى شمس وقمر ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾

﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾ اى الذى يخافونه ﴿ولقاهم نضرة﴾ اى حسنا فى وجوههم ﴿وسرورا﴾ اى فى قلوبهم ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ اى على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر والايثار ﴿جنة وحريرا﴾ اى ادخلهم الجنة والبسهم الحرير ﴿متكئين فيها﴾ اى فى الجنة ﴿على الارائك﴾ جمع اريكة وهى السرر فى الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا اجتمعا ﴿لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا﴾ يعنى لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم فى الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى الزمخشرى قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه فى لغة طئ وانشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى ان الجنة ضياء لا يحتاج فيها الى شمس وقمر ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ اى قريبة

اخرى دانية عليهم ظلالها كأنهم وعدوا بجنتين لانهم وصفوا بالخوف بقوله انا نخاف من ربنا ولمن خاف مقام ربه جنتان (وذللت) سخرت للقائم والقاعد والمتكئ وهو حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها عليهم او معطوفة عليها اى ودانية عليهم ظلالها ومذللة (قطوفها) ثمارها جمع قطف (تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة) اى يدير عليهم خدمهم كؤس الشرب والآنية جمع اناء وهو وعاء الماء (واكواب) اى من فضة جمع كوب وهو ابريق لا عروة له (كانت {الجزء التاسع والعشرون} قواريرا) ٤٢٤ كان تامة اى كونت فكانت قوارير بتكوين الله نصب على الحال (قوارير من فضة) اى مخلوقة من فضة فهى جامعة لبياض الفضة وحسنها وصفاء القوارير وشفيفها حيث يرى ما فيها من الشراب من خارجها قال ابن عباس رضى الله عنهما قوارير كل ارض من تربتها وارض الجنة فضة قرأ نافع والكسائى وعاصم فى رواية ابى بكر بالتنوين فيهما وحمزة وابن عامر وابو عمرو وحفص بغير تنوين فيهما وابن كثير بتنوين الاول والتنوين فى الاول لتناسب الآى المتقدمة والمتأخرة وفى الثانى لاتباعه الاول والوقف على الاول قد قيل ولا يوثق به لان الثانى بدل من الاول (قدروها تقديرا) صفة قوارير من فضة اى اهل الجنة قدروها على اشكال مخصوصة فجاءت كما قدروها تكرمة لهم او السقاة جعلوها على قدر رى شاربها فهى الذ لهم واخف عليهم وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض (ويسقون) اى الابرار (فيها) اى فى الجنة (كأسا) خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) (زنجبيل)

حال وصفة اخرى معطوفة على ما قبلها والمعنى على جنة اى وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا جنتين لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة حال او صفة ﴿وذللت قطوفها تذليلا﴾ معطوف على ما قبله او حال من دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب﴾ وهى الاباريق بلا عروة ﴿كانت قواريرا قوارير من فضة﴾ اى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض الفضة ولينها وقد نون قوارير كليهما من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانه رأس الآية وقرئ قوارير من فضة على هى قوارير ﴿قدروها تقديرا﴾ اى قدروها فى انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوا او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشئ وقدرنيه فلان ﴿ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا﴾

منهم ظلال شجرها ﴿وذللت﴾ اى سخرت وقربت ﴿قطوفها﴾ اى ثمارها ﴿تذليلا﴾ اى يأكلون من ثمارها قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤا وعلى اى حال كانوا ﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب﴾ قيل هى الكيزان التى لا عرى لها كالقدح ونحوه ﴿كانت قوارير قوارير من فضة﴾ قال اهل التفسير اراد بياض الفضة فى صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى ان آنية اهل الجنة من فضة بيضاء فى صفاء الزجاج والمعنى يرى ما فى باطنها من ظاهرها قال الكلبى ان الله تبارك وتعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان ارض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون فيها وقيل ان القوارير التى فى الدنيا من الرمال والقوارير التى فى الجنة من الفضة ولكنها اصفى من الزجاج ﴿قدروها تقديرا﴾ اى قدروا الكؤس على قدر ريهم وكفايتهم لا تزيد ولا تنقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم ﴿ويسقون فيها﴾ اى فى الجنة ﴿كأسا كان مزاجها زنجبيلا﴾ قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التى يشرب منها الابرار يوجد منها طعم

(وذللت) سخرت وقربت (قطوفها) ثمرها (تذليلا) تسخيرا (ويطاف عليهم) فى الجنة (بآنية من فضة واكواب) كيزان بلا آذان ولا عرى (كانت قوارير قوارير من فضة قدروها) على كف الغلمان (تقديرا) ويقال قدروا الشراب فيها تقديرا لا يفضل ولا يعجز (ويسقون فيها) فى الجنة (كأسا) خمرا (كان مزاجها) خلطها (زنجبيلا)

عينا) بدل من زنجبيلا (فيها) فى الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه وسلسبيلا لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها قال ابوعبيدة ماء سلسبيل اى عذب طيب (ويطوف عليهم ولدان) غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين او ولدان الكفرة يجعلهم الله تعالى خدما لاهل الجنة (مخلدون) لا يموتون (اذا رأيتهم حسبتهم) لحسنهم وصفاء الوانهم وانبثائهم فى مجالسهم (لؤلؤا منثورا) وتخصيص المنثور لانه ازين فى النظر من المنظوم (واذا رأيت ثم) ظرف اى فى الجنة وليس لرأيت مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع فى كل مرئى تقديره واذا اكتسبت الرؤية فى الجنة (رأيت نعيما) كثيرا (وملكا كبيرا) واسعا يروى ان ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل ملك لا يعقبه هلك اولهم فيها ما يشاؤن او تسلم عليهم الملائكة و يستأذنون فى الدخول عليهم

مايشبه الزنجبيل فى الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به ﴿ عينا فيها تسمى سلسبيلا ﴾ لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد به ان ينفى عنها لذع الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه لا يشرب منها الا من سال اليها سبيلا بالعمل الصالح ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ دائمون ﴿ اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ﴾ من صفاء الوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض ﴿ واذا رأيت ثم ﴾ ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك اينما وقع ﴿ رأيت نعيما وملكا كبيرا ﴾ واسعا

الزنجبيل يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقيل هو النبت المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل فى شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع قال الاعشى

كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا

الارى العسل والمشهور المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب بن علس

فكان طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل الجنة بذلك وقيل ان شراب اهل الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كل ما ذكر الله تعالى فى القرآن مما فى الجنة وسماه ليس له مثل فى الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا ﴿ عينا فيها تسمى سلسبيلا ﴾ اى سلسلة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا وقيل حديدة الجرية وقيل سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم فى طرقهم ومنازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى سائر الجنان وقيل سميت بذلك لانها فى غاية السلاسة تتسلسل فى الحلق ومعنى تسمى اى توصف لان اكثر العلماء على ان سلسبيلا صفة لا اسم ﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون ﴾ اى فى الخدمة وقيل مخلدون مسرورون و مقرطون ﴿ اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ﴾ يعنى فى بياض اللؤلؤ الرطب وحسنه وصفائه واللؤلؤ اذا انتثر على البساط كان اصفى منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم فى الخدمة * قوله عز وجل ﴿ واذا رأيت ﴾ قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل الجنة والمعنى اذا رأيت ببصرك ونظرت به ﴿ ثم ﴾ يعنى الى الجنة ﴿ رأيت نعيما ﴾ اى لا يوصف عظمه ﴿ وملكا كبيرا ﴾ قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه

عينا فيها) فى الجنة (تسمى) تلك العين (سلسبيلا) ويقال سل الله اليها سبيلا (ويطوف عليهم) فى الخدمة (ولدان) وصفاء (مخلدون) فى الجنة لا يموتون (قا وخا ٥٤ س) ولا يخرجون ويقال محلون (اذا رأيتهم) لو رأيتهم يا محمد (حسبتهم لؤلؤا منثورا) فى الصفاء ويقال كثيرا قد نثر عليهم (واذا رأيت) يا محمد (ثم) فى الجنة (رأيت) لاهلها (نعيما) دائما (وملكا كبيرا) لا يدخل عليهم احد الا بالسلام والاستئذان

(عاليهم) بالنصب على انه حال من الضمير فى انه يطوف عليهم اى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب وبالسكون مدنى وحمزة على انه مبتدأ خبره (ثياب سندس) اى مايعلوهم من ملابسهم ثياب سندس رقيق الديباج (خضر) جمع اخضر (واستبرق) غليظ برفعهما حملا على الثياب نافع وحفص وبجرهما حمزة وعلى حملا على سندس وبرفع الاول وجر الثانى اوعكسه غيرهم

(وحلوا) عطف على ويطوف (اساور من فضة) وفى سورة الملائكة يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا قال ابن المسيب لا احد من اهل الجنة الا وفى يده ثلاثة اسورة واحدة من فضة واخرى من ذهب واخرى من لؤلؤ (وسقاهم ربهم) اضيف اليه تعالى للتشريف والتخصيص وقيل ان الملائكة يعرضون عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم ويقولون لقد طال اخذنا من الوسائط فاذاهم بكاسات تلاقى افواههم بغير اكف من غيب الى عبد (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل ولا تكليف ثم او لانه لم يعصر فتمسه الايدى الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة يقال لاهل الجنة (ان هذا) النعيم (كان لكم جزاء) لاعمالكم

وفى الحديث ادنى اهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكثر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت فيستضئ بانوار قدس الجبروت ﴿ عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق ﴾ يعلوهم ثياب الحرير الخضر مارق منها وماغلظ ونصبه على الحال من هم فى عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اى واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابن عامر وابو عمرو بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع وحمزة والكسائى بالجر وقرئ واستبرق بهمزة الوصل والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب ﴿ وحلوا اساور من فضه ﴾ عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة تختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا واسوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة او حال من الضمير فى عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذلك للمخدومين ﴿ وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ﴿ ان هذا كان لكم جزاء ﴾

وهو استئذان الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لازوال له ولا انتقال ﴿ عاليهم ﴾ اى فوقهم ﴿ ثياب سندس خضر ﴾ وهو مارق من الديباج ﴿ واستبرق ﴾ وهو ماغلظ منه وكلاهما داخل فى اسم الحرير ﴿ وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ﴾ يعنى طاهرا من الاقذار والادران لم تمسه الايدى ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لايستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا فى ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم من بعده يؤتون بالشراب الطهور فيشربون منه فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر بطونهم وتعود شهواتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب منه نزع الله ما كان فى قلبه من غل وغش وحسد ﴿ ان هذا كان لكم جزاء ﴾ اى يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد

(عاليهم) على اكتافهم ان قرأن بالالف (ثياب سندس خضر) مالطف من الديباج (واستبرق) ماثخن من الديباج (وحلوا اساور من فضة) البسوا اقبية من فضة (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) من الدنس ويقال يطهرهم من الغل والغش والعداوة (ان هذا) الذى وصفت من الطعام والشراب واللباس (كان لكم جزاء) ثوابا من الله

(اعده)

(وكان سعيكم مشكورا) محمودا مقبولا مرضيا عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير لانريد منكم جزاء ولا شكورا (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد يعني اختصاص الله بالتنزيل ليستقر في نفس النبي صلى الله عليه وسلم انه

على اضمار القول والاشارة الى ما اعد من ثوابهم ﴿ وكان سعيكم مشكورا ﴾ مجازى عليه غير مضيع ﴿ انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ﴾ مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل به ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ﴿ ولا تطع منهم آثما او كفورا ﴾ اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعي لك اليه ومن الغالي في الكفر الداعي اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتب النهي على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعى ان تكون المطاوعة

اعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل هو اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد اعده لهم في الآخرة ﴿ وكان سعيكم مشكورا ﴾ اى شكرتكم عليه وآتيتكم افضل منه وهو الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه منهم بالقليل من الطاعة واعطاؤه اياهم الكثير من الخيرات * قوله عز وجل ﴿ انا نحن نزلنا عليك ﴾ اى يا محمد ﴿ القرآن تنزيلا ﴾ قال ابن عباس متفرقا آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القرآن متفرقا لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شئ بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي انزله اليه وحي منه ليس بكهانة ولا سحر لتزول تلك الوحشة التي حصلت له من قول الكفار انه سحر او كهانة ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ اى لعباداته فهي من الحكمة المحضة وقيل معناه فاصبر لحكم ربك في تأخير الاذن في القتال وقيل هو عام في جميع التكاليف اى فاصبر لحكم ربك في كل ما حكم الله به سواء كانت تكليفا خاصا كالعبادات والطاعات او عاما متعلقا بالغير كالتبليغ واداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك ﴿ ولا تطع منهم آثما او كفورا ﴾ يعني وكفورا قيل اراد به ابا جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها وقال لئن رأيت محمدا يصلي لاطأن عنقه وقيل اراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر وقال عتبة انا ازوجك ابنتي واسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى فارجع عن هذا الامر فأنزل الله تعالى هذه الآية فان قلت هل من فرق بين الآثم والكفور قلت نعم الآثم هو المقدم على المعاصي اى معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور آثم ولا ينعكس لان من عبد غير الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه

انه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقا الا حكمة وصوابا ومن الحكمة الامر بالمصابرة (فاصبر لحكم ربك) عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الاذية وتأخير نصرتك على اعدائك من اهل مكة (ولا تطع منهم) من الكفرة للضجر من تأخير الظفر (آثما) راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه (او كفورا) فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه على على مساعدتهم على فعل ماهو اثم او كفر او غير اثم ولا كفر فنهى ان يساعدهم على الاولين دون الثالث وقيل الآثم عتبة لانه كان ركابا للمآثم والفسوق والكفور الوليد لانه كان غاليا في الكفر والجحود والظاهر ان المراد كل آثم وكافر اى لا تطع احدهما واذا نهى عن طاعة احدهما لابعينه فقد نهى عن طاعتهما معا ومتفرقا ولو كان بالواو

(وكان سعيكم مشكورا) عملكم مقبولا في الزيادة (انا نحن نزلنا عليك القرآن) جبريل بالقرآن (تنزيلا) متفرقا آية وآيتين وسورة (فاصبر لحكم ربك) على قضاء ربك ويقال على تبليغ رسالة ربك (ولا تطع منهم) من كفار قريش (آثما) فاجرا كذابا يعني الوليد بن المغيرة (او كفورا) كافرا بالله وهو عتبة بن ربيعة

لجاز ان يطيع احدهما لان الواو للجمع فيكون منهيا عن طاعتهما لا عن طاعة احدهما واذا نهى عن طاعة احدهما لا بعينه كان عن طاعتهما جميعا انهى وقيل او بمعنى ولا اى ولا تطع آثما ولا كفورا (واذكر اسم ربك) صل له (بكرة) صلاة الفجر (واصيلا) صلاة الظهر والعصر (ومن الليل فاسجد له) وبعض الليل فصل صلاة العشاءين (وسبحه ليلا

طويلا) اى تهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة (ويذرون وراءهم) قدامهم او خلف ظهورهم (يوما ثقيلا) شديد لا يعبؤن به وهو يوم القيامة لان شدائده تثقل على الكفار (نحن خلقناهم وشددنا) احكمنا (اسرهم) اى خلقهم عن ابن عباس رضي الله عنهما والفراء (واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا) اى اذا شئنا اهلاكهم وبدلنا امثالهم في الخلقة ممن يطيع (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) بالتقرب اليه بالطاعة له

في الاسم والكفر فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور ﴿ واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ﴾ وداوم على ذكره او دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾ وبعض الليل فصل له تعالى ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ وتهجد له طائفة طويلة من الليل ﴿ ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم ﴾ امامهم او خلف ظهورهم ﴿ يوما ثقيلا ﴾ شديدا مستعار من الثقيل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه ﴿ نحن خلقناهم وشددنا اسرهم ﴾ واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب ﴿ واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ﴾ واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعني النشأة الثانية ولذلك جيء باذا او بدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقق القدرة وقوة الداعية ﴿ ان هذه تذكرة ﴾ الاشارة الى السورة او الآيات القريبة ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ﴾

﴿ واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ﴾ قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة الصبح واصيلا يعني صلاة الظهر والعصر ﴿ ومن الليل فاسجد له ﴾ يعني صلاة المغرب والعشاء فعلى هذا تكون الآية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس ﴿ وسبحه ليلا طويلا ﴾ يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الآية هو الذكر باللسان والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار بقلبه وبلسانه * قوله عز وجل ﴿ ان هؤلاء ﴾ يعني كفار مكة ﴿ يحبون العاجلة ﴾ يعني الدار العاجلة وهي الدنيا ﴿ ويذرون وراءهم ﴾ يعني امامهم ﴿ يوما ثقيلا ﴾ يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون به ولا يعملون له ﴿ نحن خلقناهم وشددنا ﴾ اى قوينا واحكمنا ﴿ اسرهم ﴾ اى خلقهم وقيل اوصالهم شددنا بعضها الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج الاذى انقبضا ﴿ واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ﴾ اى اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم فجعلناهم بدلا منهم ﴿ ان هذه ﴾ اى السورة ﴿ تذكرة ﴾ اى تذكير وعظة ﴿ فمن شاء اتخذ ﴾ اى لنفسه في الدنيا ﴿ الى ربه سبيلا ﴾ اى وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما تمسك بها القدرية

(واذكر اسم ربك) صل بامر ربك (بكرة واصيلا) غدوة وعشيا يعني صلاة الفجر والظهر والعصر (ومن الليل فاسجده) فصل له صلاة المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) صل له في الليل وهو التطوع ويقال كان خاصة عليه دون اصحابه صلاة الليل (ان هؤلاء) (يقولون) اهل مكة (يحبون العاجلة) العمل للدنيا (ويذرون وراءهم) يتركون العمل لما امامهم (يوما ثقيلا) شديدا هوله وعذابه (نحن خلقناهم) يعني اهل مكة (وشددنا اسرهم) قوينا خلقهم (واذا شئنا بدلنا امثالهم) يعني اهلكناهم (تبديلا) اهلا كما يقول لو شئنا لاهلكنا هؤلاء الكفرة الفجرة وبدلنا خيرا منهم واطوع لله (ان هذه) السورة (تذكرة) عظة من الله (فمن شاء اتخذ الى ربه) فمن شاء وحد واتخذ بذلك الى ربه (سبيلا) مرجعا

واتباع رسوله (وما تشاؤن) اتخاذ السبيل الى الله وبالياء مكي وشامي وابو عمرو ومحل (الا ان يشاء الله) النصب على الظرف اى الا وقت مشيئة الله وانما يشاء الله ذلك ممن علم منه اختياره ذلك وقيل هو لعموم المشيئة في الطاعة والعصيان والكفر والايمان فيكون حجة لنا على المعتزلة (ان الله كان عليما) بما يكون منهم من الاحوال (حكيما) مصيبا في الاقوال والافعال (يدخل من يشاء) وهم المؤمنون (في رحمته) جنته لانها برحمته تنال وهو حجة على المعتزلة لانهم يقولون قد شاء ﴿٤٢٩﴾ ان يدخل كلا في ﴿سورة المرسلات﴾ رحمته لانه شاء ايمان الكل

تقرب اليه بالطاعة ﴿ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ﴾ وما تشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء ﴿ ان الله كان عليما ﴾ بما يستأهل كل احد ﴿ حكيما ﴾ لا يشاء الا ما يقتضيه حكمته ﴿ يدخل من يشاء في رحمته ﴾ بالهداية والتوفيق للطاعة ﴿ والظالمين اعد لهم عذابا اليما ﴾ نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد او كافأ ليطابق الجمل المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

﴿ سورة المرسلات مكية وآيها خمسون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا

يقولون اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال اهل السنة ويرد عليهم قوله عز وجل في سياق الآية ﴿ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ﴾ اى لستم تشاؤن الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة لفعل العبد فجميع ما يصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى شانه ﴿ ان الله كان عليما ﴾ اى باحوال خلقه وما يكون منهم ﴿ حكيما ﴾ اى حيث خلقهم مع علمه بهم ﴿ يدخل من يشاء في رحمته ﴾ اى في دينه وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى شأنه وفضله واحسانه لا بسبب الاستحقاق ﴿ والظالمين ﴾ يعنى المشركين ﴿ اعد لهم عذابا اليما ﴾ اى مؤلما والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية ومائة وثمانون ﴾

﴿ كلمة وثمانمائة وستة عشر حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا

ولله تعالى ان يدخل من يشاء في رحمته وهو الذى علم منه انه يختار الهدى (والظالمين) الكافرين لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها ونصب بفعل مضمر يفسره (اعد لهم عذابا اليما) نحو وعد وكافأ

﴿ سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا

(وما تشاؤن) من الخير والشر والكفر والايمان (الا ان يشاء الله) لكم ان تشاؤا ذلك (ان الله كان عليما) بما تشاؤن من الخير والشر (حكيما) حكم ان لا تشاؤا من الخير والشر الا ما يشاء (يدخل من يشاء في رحمته) يكرم من يشاء بدين الاسلام من كان اهلا لذلك (والظالمين) الكافرين المشركين (اعدلهم)

عذابا قريبا في الآخرة (عذابا اليما) وجيعا يخلص وجعه الى قلوبهم ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها المرسلات وهى كلها مكية آيتها خمسون وكلماتها مائة واحدى وثمانون وحروفها ثمانمائة وستة عشر حرفا ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (والمرسلات عرفا) يقول اقسم الله بالملائكة كثيرا كعرف الفرس ويقال هم الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل (فالعاصفات عصفا) واقسم بالرياح العواصف الشديدة والعصف ما ذرت من منازل القوم (والناشرات نشرا) بالمطر يعنى واقسم

والفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا) اقسم سبحانه وتعالى بطوائف من الملائكة ارسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن وبطوائف منهم نشرن اجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى او نشرن الشرائع فى الارض اونشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما او حين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء عليهم السلام عذرا للمحقين اونذرا للمبطلين او اقسم برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا فالقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة الله فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يشكرون وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر باعتبار السببية عرفا حال اى متتابعة كعرف الفرس يتلو بعضه بعضا او مفعول له اى ارسلن للاحسان والمعروف وعصفا ونشرا مصدران اونذرا ابو عمرو وكوفى غير ابى بكر وحماد والعذر والنذر مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن

فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا ﴾ اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح فى امتثال امره ونشرن الشرائع فى الارض او نشرن النفوس الموتى بالجهل بما او حين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم فى الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك فى جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل فى نفسه فيرون كل شئ هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لايكون فى القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن فالقين ذكرا اى تسببن له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اى ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال ﴿ عذرا او نذرا ﴾ مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير

فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا اونذرا ﴾ اعلم ان المفسرين ذكروا فى هذه الكلمات الخمس وجوها * الاول ان المراد باسرها الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا اى كثيرا فالعاصفات عصفا يعنى الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا يعنى الرياح اللينة وقيل هى الرياح التى ارسلها نشرا بين يدى رحمته وقيل هى الرياح التى تنشر السحاب وتأتى بالمطر فالفارقات فرقا يعنى الرياح التى تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعنى ان الرياح اذا ارسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الآثار فيحصل بذلك خوف للعباد فى القلوب فيلجؤن الى الله تعالى ويذكرونه فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والمعرفة فى القلوب عند هبوبها * الوجه الثانى ان المراد بأسرها الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى ومعنى المرسلات عرفا الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من امر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعنى الملائكة تعصف فى طيرانهم ونزولهم كعصف الرياح فى السرعة والناشرات نشرا يعنى انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعنى الملائكة تأتى بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى الملائكة تلقى الذكر الى الانبياء وقيل يجوز ان يكون الذكر هو القرآن خصة فعلى هذا يكون

بالمطر ويقال بالسحاب الناشرات بالمطر ويقال هم الملائكة الذين ينشرون الكتاب (فالفارقات فرقا) واقسم بالملائكة الذين يفرقون بين الحق والباطل ويقال هى آيات القرآن التى تفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام ويقال هؤلاء الثلاث هن الرياح (فالملقيات ذكرا) واقسم بالمنزلات وحيا (عذرا) لله من جوره وظلمه (اونذرا) لخلقه من عذابه ويقال عذرا حلالا او نذرا حراما ويقال عذرا امرا

بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اى عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين اوالبدلية من ذكرا على ان المراد به الوحى او مايعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بالتخفيف ﴿ انما توعدون لواقع ﴾ جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه من مجيئ القيامة كائن لامحالة ﴿ فاذا النجوم طمست ﴾ محقت اذاذهب نورها ﴿ واذا السماء فرجت ﴾ صدعت ﴿ واذا الجبال نسفت ﴾ كالحب ينسف بالمنسف ﴿ واذا الرسل اقتت ﴾ عين لها وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لايتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل ﴿ لأى يوم اجلت ﴾ اى يقال لاى يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثانى مفعولى اقتت على انه

الملقى هو جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم * الوجه الثالث ان المراد بأسرها آيات القرآن ومعنى والمرسلات عرفا آيات القرآن المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعنى آيات القرآن تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المتكسر والناشرات نشرا يعنى ان آيات القرآن تنشر انوار الهداية والمعرفة فى قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعنى آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى آيات القرآن وهى الذكر الحكيم الذى يلقى الايمان والنور فى قلوب المؤمنين * الوجه الرابع انه ليس المراد من هذه الكلمات الخمس شيأ واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا الملائكة فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما فى القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهما من هذا الوجه فحسن الجمع بينهما فى القسم عذرا او نذرا اى للاعذار والانذار من الله وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ان ماتوعدون ﴾ اى من امر الساعة ومجيئها ﴿ لواقع ﴾ اى لكائن نازل لا محالة وقيل معناه ان ما توعدون به من الخير والشر لواقع بكم ثم ذكر متى يقع فقال تعالى ﴿ فاذا النجوم طمست ﴾ اى محى نورها وقيل محقت ﴿ واذا السماء فرجت ﴾ اى شقت وقيل فتحت ﴿ واذا الجبال نسفت ﴾ اى قلعت من اماكنها ﴿ واذا الرسل اقتت ﴾ وقرئ وقتت بالواو ومعناهما واحد اى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم ﴿ لأى يوم اجلت ﴾ اى اخرت وضرب الاجل لجمعهم كأنه تعالى يعجب لعباده من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل فى ذلك اليوم لتعذيب من كذبهم وتعظيم من آمن بهم ثم بين ذلك اليوم

انذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر وانتصابهما على البدل من ذكرا او على المفعول له (انما توعدون) ان الذى توعدونه من مجيئ يوم القيامة (لواقع) لكائن نازل لاريب فيه وهو جواب القسم ولا وقف الى هنا لوصل الجواب بالقسم (فاذا النجوم طمست) محيت او ذهب بنورها وجواب فاذا محذوف والعامل فيها جوابها وهو وقوع الفصل ونحوه والنجوم فاعل فعل يفسره طمست (واذا السماء فرجت) فتحت فكانت ابوابا (واذا الجبال نسفت) قلعت من اماكنها (واذا الرسل اقتت) اى وقتت كقراءة ابى عمرو ابدلت الهمزة من الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على اممهم (لاى يوم اجلت) اخرت وامهلت وفيه تعظيم لليوم وتعجيب من هوله والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت

او نذرا نهيا ويقال عذرا وعدا اونذرا وعيدا اقسم بهذه الاشياء (انما توعدون) من الثواب والعقاب فى الآخرة (لواقع) لكائن نازل بكم ثم بين متى يكون فقال (فاذا النجوم طمست) ذهب ضوءها (واذا السماء فرجت) انشقت (واذا الجبال نسفت) قلعت من اماكنها (واذا الرسل اقتت) جمعت (لاى يوم اجلت) هذه الاشياء يقول لاى يوم اجلها صاحبها ثم بين فقال عز وجل

(ليوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره وهو بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق (وما ادراك مايوم الفصل) تعجيب آخر وتعظيم لامره (ويل) مبتدأ وان كان نكرة لانه فى اصله مصدر منصوب سادمسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم (يومئذ) ظرفه (للمكذبين) بذلك اليوم خبره (الم نهلك الاولين) الامم الخالية المكذبة (ثم نتبعهم الآخرين) مستأنف بعد وقف وهو وعيد لاهل مكة اى ثم نفعل بامثالهم من الآخرين مافعلنا بالاولين لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل بالمجرمين) بكل من اجرم (ويل يومئذ للمكذبين) بما اوعدنا (الم نخلقكم من ماء مهين) حقير وهو النطفة (فجعلناه) اى الماء (فى قرار مكين) مقر يتمكن فيه وهو الرحم ومحل (الى قدر معلوم) الحال اى مؤخرا الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة اشهر او مافوقها او مادونها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول احق لقراءة نافع وعلى بالتشديد ولقوله من نطفة

يعنى اعلمت ﴿ ليوم الفصل ﴾ بيان ليوم التأجيل ﴿ وما ادراك مايوم الفصل ﴾ ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ اى بذلك وويل فى الاصل مصدر منصوب باضمار فعله عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته ﴿ الم نهلك الاولين ﴾ كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه ﴿ ثم نتبعهم الآخرين ﴾ ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الآخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام ﴿ كذلك ﴾ مثل ذلك الفعل ﴿ نفعل بالمجرمين ﴾ بكل من اجرم ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بآيات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق فى الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الآخرة وهذا للاهلاك فى الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع فى كلام العرب ﴿ الم نخلقكم من ماء مهين ﴾ نطفة مذرة ذليلة ﴿ فجعلناه فى قرار مكين ﴾ هو الرحم ﴿ الى قدر معلوم ﴾ الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة ﴿ فقدرنا ﴾ على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائى بالتشديد ﴿ فنعم القادرون ﴾ نحن

فقال تعالى ﴿ ليوم الفصل ﴾ قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى ﴿ وما ادراك مايوم الفصل ﴾ اى وما اعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ اى بالتوحيد والنبوة والمعاد والبعث والحساب * قوله تعالى ﴿ الم نهلك الاولين ﴾ يعنى الامم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم ﴿ ثم نتبعهم الآخرين ﴾ يعنى السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب وهم كفار قريش اى نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم ﴿ كذلك نفعل بالمجرمين ﴾ اى انما نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين ﴿ ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم من ماء مهين ﴾ يعنى النطفة ﴿ فجعلناه فى قرار مكين ﴾ يعنى الرحم ﴿ الى قدر معلوم ﴾ يعنى وقت الولادة وهو معلوم لله تعالى لايعلم ذلك غيره ﴿ فقدرنا ﴾ قرئ بالتشديد من التقدير اى قدرنا ذلك تقديرا ﴿ فنعم القادرون ﴾ اى المقدرون له وقرئ بالتخفيف من القدرة اى قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون

(ليوم الفصل) من الخلائق (وما ادراك) يامحمد (مايوم الفصل) ما اعلمك بيوم الفصل (ويل) واد فى جهنم من قيح ودم ويقال جب فى النار ويقال ويل شدة عذاب (يومئذ) (حيث) يوم القيامة (للمكذبين) بالله والكتاب والرسول والبعث بعد الموت (الم نهلك الاولين) بالعذاب والموت (ثم نتبعهم الآخرين) ثم نلحق بالاولين الآخرين الباقين بعدهم بالموت والعذاب (كذلك نفعل بالمجرمين) بالمشركين من قومك (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) من قومك بالايمان و لبعث (الم نخلقكم) يامعشر المكذبين (من ماء مهين) من نطفة ضعيفة (فجعلناه فى قرار مكين) فى مكان حريز رحم المراة (الى قدر معلوم) الى وقت خروجه تسعة اشهر اواقل اواكثر (فقدرنا) خلقه ويقال ملكنا على خلقه ويقال فصورنا خلقه فى رحم المراة (فنعم القادرون) فنعم ماقدرنا

خلقه فقدره (ويل يومئذ للمكذبين) بنعمة الفطرة (الم نجعل الارض كفاتا) هو من كفت الشى اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما يكفت كقولهم الضمام لما يضم وبه انتصب (احياء وامواتا) كانه قيل كافتة احياء وامواتا او بفعل مضمر يدل عليه كفاتا وهو تكفت اى تكفت احياء على ظهرها وامواتا فى بطنها والتنكير فيهما للتفخيم اى تكفت احياء لايعدون وامواتا لايحصرون (وجعلنا فيها رواسى) جبالا نوابت (شامخات) عاليات (واسقيناكم ماء فراتا) عذبا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعمة (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) اى يقال للكافرين يوم القيامة سيروا الى النار التى كنتم بها تكذبون (انطلقوا) تكرير للتوكيد (الى ظل) دخان جهنم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم يتفرق ثلاث فرق

﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بقدرتنا على ذلك او على الاعادة ﴿ الم نجعل الارض كفاتا ﴾ كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويقبض كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام اوكفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار اقطارها ﴿ احياء وامواتا ﴾ منتصبان على لمفعولية وتنكيرها للتفخيم او لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعولية وكفاتا حال او الحاليـة فيكون المعنى بالاحيـاء ماينبت وبالاموات مالاينبت ﴿ وجعلنا فيها رواسى شامخات ﴾ جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم او الاشعار بان فيها مالم يعرف ولم ير ﴿ واسقيناكم ماء فراتا ﴾ بخلق الانهار والمنابع فيها ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ بامثـال هذه النعم ﴿ انطلقوا ﴾ اى يقال لهم انطلقوا ﴿ الى ما كنتم به تكذبون ﴾ من العذاب ﴿ انطلقوا ﴾ خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم للامر اضطرارا ﴿ الى ظل ﴾ يعنى ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم ﴿ ذى ثلاث شعب ﴾ يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق تفرق الذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره ولذلك قيل شعبة

حيث خلقناه فى احسن صورة وهيئة ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ اى المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة ﴿ الم نجعل الارض كفاتا ﴾ يعنى وعاء واصله الضم والجمع ﴿ احياء وامواتا ﴾ يعنى تكفتهم احياء على ظهرها بمعنى تضمهم فى دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا فى بطنها فى قبورهم ولذلك تسـمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها ﴿ وجعلنا فيها ﴾ اى فى الارض ﴿ رواسى شامخات ﴾ يعنى جبالا عاليات ﴿ واسقيناكم ماء فراتا ﴾ يعنى عذبا ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ يعنى ان هذا كله اعجب من البعث فالقـادر عليـه قادر على البعث * قوله عز وجل ﴿ انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ﴾ يعنى يقـال للمكذبين بيوم القيـامة فى الدنيـا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله ﴿ انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب ﴾ يعنى دخان جهنم اذ سطع وارتفع تشعب وتفرق ثلاث فرق وكذلك شأن الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى فى ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن

وصورنا خلقه (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث ثم ذكر منته على عبـاده فقـال (الم نجعل الارض كفاتا) تكفتم (احيـاء) على ظهرها (وامواتا) فى بطنها ويقال اوعية للاحياء والاموات (وجعلنا فيها) فى الارض (رواسى) جبالا ثوابت فى مكانهـا اوتادا لها (شـامخات) طوالا (واسقيناكم) { ق وخا ٥٥ س } يا معشر المكذبين (ماء فراتا) عذابا حلوا ويقال لينا (وويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (انطلقوا) يامعشر المكذبين (الى ما كنتم به) فى الدنيا (تكذبون) انه لايكون وهو عذاب النار تقول لهم الزبانيـة بعد الفراغ من الحسـاب (انطلقوا) يامعشر المكذبين (الى ظل) من دخان النار (ذى ثلاث شعب) فرق

(لا ظليل) نعت ظل اى لامظل من حر ذلك اليوم وحر النار (ولايغنى) فى محل الجر اى وغير مغن لهم (من اللهب) من حر اللهب شيأ (انها) اى النار (ترمى بشرر)

هو ما تطاير من النار (كالقصر) فى العظم وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة (كانه جمالة) كوفى غير ابى بكر جمع جمل جمالات غيرهم جمع الجمع (صفر) جمع اصفر اى سود وتضرب الى الصفرة وشبه الشرر بالقصر لعظمه وارتفاعه وبالجمال للعظم والطول واللون (ويل يومئذ للمكذبين) بان هذه صفتها (هذا يوم لاينطقون) وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ وسئل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية وعن قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال فى ذلك اليوم مواقف فى بعضها يختصمون وفى بعضها لا ينطقون اولا ينطقون بما ينفعهم جعل نطقهم كلا نطق (ولايؤذن لهم) فى الاعتذار (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى اى لايكون لهم اذن واعتذار

تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره ﴿لاظليل﴾ تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ﴿ولايغنى من اللهب﴾ وغير مغن عنهم من حر اللهب شيأ ﴿انها ترمى بشرر كالقصر﴾ اى كل شررة كالقصر فى عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب ﴿كانه جمالات﴾ جمع جمال او جمالة جمع جمل ﴿صفر﴾ فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال سفينة شبهت بها فى امتداده والتفافه ﴿ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لاينطقون﴾ اى بما يستحق فان النطق بما لاينفع كلا نطق اوبشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ ﴿ولايؤذن لهم فيعتذرون

ايمانهم وعن شمائلهم ﴿لاظليل﴾ اى ان ذلك الظل لايظل من حر ﴿ولا يغنى من اللهب﴾ اى لايرد عنهم لهب جهنم والمعنى انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب ﴿انها﴾ يعنى جهنم ﴿ترمى بشرر﴾ جمع شرارة وهى ما تطاير من النار ﴿كالقصر﴾ يعنى كالبناء العظيم ونحوه وقيل هى اصول الشجر والنخل العظام واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمى بشرر كالقصر فقال هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء وكنا نسميها القصر ﴿كانه﴾ يعنى الشرر ﴿جمالات﴾ جمع الجمال وقال ابن عباس هى حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الجمال ﴿صفر﴾ جمع اصفر يعنى ان لون ذلك الشرر اصفر وانشد بعضهم

دعتهم باعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقيل الصفر هنا معناه الاسود لانه جاء فى الحديث ان شرر نار جهنم اسود كالقير والعرب تسمى سود الابل صفرا لانه يشوب سوادها شئ من الصفرة وقيل هى قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرر يرتفع كانه شئ مجموع غليظ اصفر ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ قوله عز وجل ﴿هذا يوم لاينطقون﴾ يعنى بحجة تنفعهم قيل هذا فى بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان فى بعضها يتكلمون وفى بعضها يختصمون وفى بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون ﴿ولايؤذن لهم فيعتذرون﴾ عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الآى بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الآيات والعرب تستحب وفاق الفواصل كما

(لاظليل) لاكنين من حر النار (ولايغنى من اللهب) من لهب النار (انها) يعنى النار (ترمى بشرر) تقذف بالشرر (كالقصر) كاسافل الشجر العظام (كانه جمالة صفر) سود (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (هذا يوم لاينطقون) فى بعض المواطن وينطقون فى بعض المواطن (ولايؤذن لهم) بالكلام (فيعتذرون)

(تستحب)

(ويل يومئذ للمكذبين) بهذا اليوم (هذا يوم الفصل) بين المحق والمبطل والمحسن والمسيء بالجزاء (جمعناكم) يامكذبى محمد (والاولين) والمكذبين قبلكم (فان كان لكم كيد) حيلة فى دفع العذاب (فكيدون) فاحتالوا على بتخليص انفسكم من العذاب والكيد متعد تقول كدت فلانا اذا احتلت عليه (ويل يومئذ للمكذبين) بالبعث (ان المتقين) من عذاب الله (فى ظلال) جمع ظل (وعيون) جارية فى الجنة (وفواكه مما يشتهون) اى لذيذة مشتهاة (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال اى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك (هنيئا بما كنتم تعملون) فى الدنيا (انا كذلك نجزى المحسنين) فاحسنوا تجزوا بهذا

ويل يومئذ للمكذبين ﴾ عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ بين المحق والمبطل ﴿ جمعناكم والاولين ﴾ تقرير وبيان للفصل ﴿ فان كان لكم كيد فكيدون ﴾ تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ اذ لا حيلة لهم فى التخلص من العذاب ﴿ ان المتقين ﴾ من الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين ﴿ فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون ﴾ مستقرون فى انواع الترفه ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون ﴾ اى مقولا لهم ذلك ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين ﴾

تستحب وفاق القوافى والقرآن نزل على ما تستحب العرب من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد اى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر اياديه ونعمه فان قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر فى الحقيقة لانه قد تقدم الاعذار والانذار فى الدنيا فلم يبق لهم عذر فى الآخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم فى ذلك العذر الفاسد ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ يعنى انه لما تبين انه لاعذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لاجرم قال فى حقهم ويل يومئذ للمكذبين ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ يعنى بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد فى الحقوق والمحاكمات ﴿ جمعناكم والاولين ﴾ يعنى مكذبى هذه الامة والذين كذبوا انبياءهم من الامم الماضية ﴿ فان كان لكم كيد فكيدون ﴾ اى ان كانت لكم حيلة تحتالون بها لانفسكم فاحتالوا وهم يعلمون ان الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا فى نهاية التوبيخ والتقريع فلهذا عقبه بقوله ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ قوله عز وجل ﴿ ان المتقين ﴾ اى الذين اتقوا الشرك ﴿ فى ظلال ﴾ جمع ظل وهو ظل الاشجار ﴿ وعيون ﴾ اى فى ظلالهم عيون ماء ﴿ وفواكه مما يشتهون ﴾ اى يتلذذون بها ﴿ كلوا واشربوا ﴾ اى ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما اعظمها من نعمة او يكون من جهة الملائكة على سبيل الاكرام ﴿ هنيئا ﴾ اى خالص اللذة لا يشوبه تنغيص ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ اى فى الدنيا من الطاعات ﴿ انا كذلك نجزى المحسنين ﴾ قيل المقصود منه تذكير الكفار مافاتهم من النعم العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقدمين المحسنين لفازوا بمثل ذلك

ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (هذا يوم الفصل) بين الخلائق (جمعناكم) يامعشر المكذبين (والاولين) قبلكم والآخرين بعدكم (فان كان لكم) يا معشر المكذبين. (كيد) مقدرة ان تصنعوا بى شيأ (فكيدون) فاصنعوا بى ويقال فان كان لكم كيد حيلة فكيدون فاحتالوا بى (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث ثم بين مستقر المؤمنين فقال (ان المتقين) الكفر والشرك والفواحش (فى ظلال) ظلال الشجرة (وعيون) ماء ظاهر جار (وفواكه) والوان الفواكه (مما يشتهون) يتمنون (كلوا) فيقول الله تبارك وتعالى لهم كلوا من الثمار (واشربوا) من الانهار (هنيئا) سائغا بلا داء ولاموت (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخيرات فى الدنيا (انا كذلك) هكذا (نجزى المحسنين) بالقول والفعل

(ويل يومئذ للمكذبين) بالجنة (كلوا وتمتعوا) كلام مستأنف خطاب للمكذبين فى الدنيا على وجه التهديد كقوله اعملوا ما شئتم (قليلا) لان متاع الدنيا قليل (انكم مجرمون) كافرون اى ان كل مجرم يأكل ويتمتع اياما قلائل ثم يبقى فى الهلاك الدائم (ويل يومئذ للمكذبين) بالنعم (واذا قيل لهم اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا اليه بقبول وحيه واتباع دينه ودعوا هذا الاستكبار (لايركعون) لايخشعون ولايقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم او اذا قيل لهم صلوا لايصلون (ويل يومئذ للمكذبين) بالامر والنهى (فبأى حديث بعده) بعد القرآن (يؤمنون) اى ان لم يؤمنوا بالقرآن مع انه آية مبصرة ومعجزة باهرة من بين الكتب السماوية فبأى كتاب بعده يؤمنون والله اعلم

فى العقيدة ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ تمحض لهم العذاب المخلد وخصومهم الثواب المؤبد ﴿كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون﴾ حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم فى حال مايقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم فى الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل ﴿واذا قيل لهم اركعوا﴾ اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا فى الصلاة اذ روى انه نزل حين امر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لانجبى اى لانركع فانها مسبة وقيل هو يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلايستطيعون ﴿لايركعون﴾ لايمتثلون واستدل به على ان الامر للوجوب وان الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده﴾ بعد القرآن ﴿يؤمنون﴾ اذا لم يؤمنوا به وهو معجز فى ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعانى الشريفة * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

الخير العظيم فلما لم يفعلوا ذلك وقعوا فى قوله ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ قوله عز وجل ﴿كلوا وتمتعوا قليلا﴾ يقول لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا فى الدنيا الى منتهى آجالهم وهذا وان كان فى ظاهر اللفظ امرا الا انه فى المعنى نهى بليغ وزجر عظيم ﴿انكم مجرمون﴾ اى مشركون بالله مستحقون للعقاب لاجرامهم بقوله ﴿ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لايركعون﴾ اى واذا قيل لهم صلوا مع محمد واصحابه لايصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلايستطيعون ﴿ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده يؤمنون﴾ اى بعد نزول القرآن اذا لم يؤمنوا به فبأى شى يؤمنون والله اعلم

(ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (كلوا) يامعشر المكذبين (وتمتعوا) عيشوا (قليلا) يسيرا فى الدنيا (انكم مجرمون) مشركون مصيركم النار فى الآخرة وهذا وعيد من الله لهم (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (واذا قيل لهم) للمكذبين اذا كانوا فى الدنيا (اركعوا) اخضعوا لله بالتوحيد (لايركعون) لايخضعون لله بالتوحيد ويقال هذا فى الآخرة حين يقول الله تبارك وتعالى لهم اسجدوا ان كنتم مصدقين بما تقولون والله ربنا ما كنا مشركين فلم يقدروا على السجود وبقيت اصلابهم كالصياصى ويقال نزلت هذه الآية فى ثقيف حيث قالوا لانحنى ظهورنا بالركوع والسجود (ويل) شدة عذاب (يومئذ) يوم القيامة (للمكذبين) بالله والرسول والكتاب والبعث (فبأى حديث) كتاب (بعده) بعد كتاب الله (يؤمنون) ان لم يؤمنوا بهذا النب

الجزء الثلاثون

﴿ سورة النبأ مكية وآيها اربعون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عم يتساءلون ﴾ اصله عن ما حذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي جنسه فيسألون عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم و يتراؤنهم اى يدعونهم و يرونهم او للناس ﴿ عن النبأ العظيم ﴾ بيان لشان المفخم اوصلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به

﴿ تفسير سورة النبأ وتسمى سورة عم يتساءلون والتساؤل مكية ﴾
﴿وهى اربعون آية ومائة وثلاث وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ عم ﴾ اصله عن ما ﴿ يتساءلون ﴾ عن اى شئ يتساءلون يعنى المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقوله اى شئ زيد اذا عظمت شأنه وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون فيما بينهم فيقول بعضهم لبعض ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عما ذا تساؤلهم فقال تعالى ﴿ عن النبأ العظيم ﴾ يعنى الخبر العظيم الشأن قال الاكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد صلى الله عليه

﴿ سورة النبأ مكية وهى اربعون آية ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(عم) اصله عن ما وقرئ بها ثم ادغمت النون فى الميم فصار عما وقرئ بها ثم حذفت الالف تخفيفا للكثرة فى الاستعمال فى الاستفهام وعليه الاستعمال الكثير وهذا استفهام تفخيم للمستفهم عنه لانه تعالى لاتخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم من المؤمنين والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويسألون المؤمنين عنه على طريق الاستهزاء (عن النبأ العظيم) اى البعث وهو بيان للشأن المفخم وتقديره عم يتساءلون عن النبأ العظيم

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها النبأ وهى كلها مكية آياتها اربعون وكلماتها مائة وثلاثون وحروفها ستمائة وتسعون حرفا ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (عم يتساءلون) يقول عماذا يتحدثون يعنى قريشا (عن النبأ العظيم) عن خبر القرآن العظيم الكريم الشريف

(وسلم)

(الذي هم فيه مختلفون) فمنهم من يقطع بانكاره ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين وكانوا جميعا يتساءلون عنه فالمسلم يسأل ليزداد خشية والكافر يسأل استهزاء (كلا) ردع عن الاختلاف او التساؤل هزؤا (سيعلمون) وعيد لهم بانهم سوف يعلمون عيانا انما يتساءلون عنه حق (ثم كلا سيعلمون) كرر الردع للتشديد وثم يشعر ان الثانى ابلغ من الاول واشد (الم نجعل الارض) لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من اضيف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة فلم تنكرون قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم لم فعل هذه الاشياء والحكيم لا يفعل عبثا وانكار البعث يؤدى الى انه عابث فى كل ما فعل (مهادا) فراشا فرشناها لكم حتى سكنتموها (والجبال اوتادا) للارض لئلا تميد بكم (وخلقناكم ازواجا) ذكرا وانثى (وجعلنا نومكم سباتا) قطعا لاعمالكم وراحة لابدانكم والسبت القطع (وجعلنا الليل لباسا)

ويدل عليه قراءة يعقوب عمه ﴿ الذى هم فيه مختلفون ﴾ بجزم النفى والشك فيه او بالاقرار والانكار ﴿ كلا سيعلمون ﴾ ردع عن التساؤل ووعيد عليه ﴿ ثم كلا سيعلمون ﴾ تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثانى اشد وقيل الاول عند النزع والثانى فى القيامة او الاول للبعث والثانى للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء على تقدير قل لهم ستعلمون ﴿ الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا ﴾ تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اى انها لهم كالمهد للصبى مصدر سمى به ما يمهد لينوم عليه ﴿ وخلقناكم ازواجا ﴾ ذكرا وانثى ﴿ وجعلنا نومكم سباتا ﴾ قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا ﴿ وجعلنا الليل لباسا ﴾ غطاء يستتر

وسلم وما جاء به ﴿ الذى هم فيه مختلفون ﴾ فمن فسر النبأ العظيم بالقرآن قال اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر اوشعر اوكهانة او نحو ذلك مما قالوه فى القرآن ومن فسر النبأ العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه فمن مصدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم فى القرآن ﴿ كلا ﴾ هى ردع وزجر وقيل هى نفى لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوا ﴿ سيعلمون ﴾ اى عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر يعنى فى القيامة ﴿ ثم كلا سيعلمون ﴾ وعيد على اثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون يعنى المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشياء من عجائب صنائعه ليستدلوا بذلك على توحيده ويعلموا انه قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده وايجاده مرة اخرى للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى ﴿ الم نجعل الارض مهادا ﴾ اى فراشا وبساطا لتستقر عليها الاقدام ﴿ والجبال اوتادا ﴾ يعنى للارض حتى لا تميد ﴿ وخلقناكم ازواجا ﴾ يعنى اصنافا ذكورا واناثا ﴿ وجعلنا نومكم سباتا ﴾ اى راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات للراحة بل المقصود منه ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع ومعناه ان النوم يقطع عن الحركة والتصرف فى الاعمال ﴿ وجعلنا الليل لباسا ﴾

(الذى هم فيه مختلفون) مكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ومصدقون بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وذلك اذا انزل جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بشئ من القرآن فقرأه عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فيتحدثون فيما بينهم عن ذلك فمنهم من صدق به ومنهم من كذب به (كلا) وهو رد على المكذبين (سيعلمون) سوف يعلمون عند نزول الموت ماذا يفعل بهم (ثم كلا) حقا (سيعلمون) سوف يعلمون فى القبر ماذا يفعل بهم وهذا وعيد من الله للمكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ثم ذكر منته عليهم فقال (الم نجعل الارض مهادا) فراشا ومناما (والجبال اوتادا) لها لكى لا تميد بهم (وخلقناكم ازواجا) ذكرا او انثى (وجعلنا نومكم سباتا) استراحة لابدانكم ويقال حسنا جميلا (وجعلنا الليل لباسا) مسكنا ويقال

ستراً يستركم عن العيون اذا اردتم اخفاء مالاتحبون الاطلاع عليه (وجعلنا النهار معاشا) وقت معاش تتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم (وبنينا فوقكم سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديد

اى محكمة قوية لا يؤثر فيها مرور الزمان او غلاظا غلظ كل واحدة مسيرة خمسمائة عام (وجعلنا سراجا وهاجا) مضيأ وقادا اى جامعا للنور والحرارة والمراد الشمس (وانزلنا من المعصرات) اى السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه فيصح ان تجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب (ماء ثجاجا) منصبا بكثرة (لنخرج به) بالماء (حبا) كالبر والشعير (ونباتا) وكلا (وجنات) بساتين (الفافا) ملتفة الاشجار واحدها لف كجذع واجذاع او لفيف كشريف واشراف اولا واحد له كاوزاع او هى جمع الجمع فهى جمع لف واللف جمع لفاء وهى شجرة

بظلمته من اراد الاختفاء ﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ماتعيشون به او حياة تبعثون فيها عن نومكم ﴿ وبنينا فوقكم سبعا شدادا ﴾ سبع سموات اقوياء محكمات لايؤثر فيها مرور الدهور ﴿ وجعلنا سراجا وهاجا ﴾ متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت اوبالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس ﴿ وانزلنا من المعصرات ﴾ السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ﴿ ماء ثجاجا ﴾ منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه ﴿ لنخرج به حبا ونباتا ﴾ مايقتات به ومايعتلف من التبن والحشيش ﴿ وجنات الفافا ﴾ ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال

اى غطاء وغشاء يستتر كل شئ بظلمته عن العيون ولهذا سمى الليل لباسا على وجه المجاز ووجه النعمة فى ذلك هو ان الانسان يستتر بظلمة الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك ﴿ وجعلنا النهار معاشا ﴾ اى سببا للمعاش والتصرف فى المصالح وقال ابن عباس تبتغون فيه من فضل الله وماقسم لكم من رزقه ﴿ وبنينا فوقكم سبعا شدادا ﴾ يعنى سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور على ممر الزمان الى ان يأتى امر الله تعالى ﴿ وجعلنا سراجا وهاجا ﴾ يعنى الشمس مضيئة منيرة وقيل الوهاج الوقاد وقيل جعل فى الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة ﴿ وانزلنا من المعصرات ﴾ يعنى الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية عن ابن عباس وقيل هى الرياح ذوات الاعاصير وعلى هذا المعنى تكون من بمعنى الباء اى وانزلنا بالمعصرات وذلك لان الريح تستدر المطر من السحاب وقيل هى السحاب وفى الرواية الاخرى عن ابن عباس المعصرات السحابة التى حان لها ان تمطر ولما تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرات السموات وذلك لان المطر ينزل من السماء الى السحاب ﴿ ماء ثجاجا ﴾ اى صبابا مدرارا متتابعا يتلو بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى ﴿ لنخرج به ﴾ اى بذلك الماء ﴿ حبا ﴾ اى ما يأكله الانسان كالحنطة ونحوها ﴿ ونباتا ﴾ اى ماينبت فى الارض من الحشيش مما يأكل منه الانعام ﴿ وجنات الفافا ﴾ اى ملتفة بالشجر ليس بينها خلال فدل على البعث بذكر ابتداء الخلق ثم

ملبسا (وجعلنا النهار معاشا) مطلبا (وبنينا) خلقنا (فوقكم) فوق رؤسكم (سبعا) سبع سموات (شدادا) (اخبر) غلاظا (وجعلنا سراجا وهاجا) شمسا مضيئة لبنى آدم (وانزلنا من المعصرات) بالرياح من السحاب (ماء ثجاجا) مطر كثيرا متتابعا (لنخرج به) لننبت به (حبا ونباتا) بالمطر الحبوب كلها ونباتا وسائر النبات (وجنات الفافا) بساتين

مجتمعة ولا وقف من لم يجعل الى الفافا والوقف الضرورى على اوتادا ومعاشا (ان يوم الفصل) بين المحسن والمسىء والمحق والمبطل (كان ميقاتا) وقتا محدودا ومنتهى معلوما لوقوع الجزاء او ميعادا للثواب والعقاب (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل

او عطف بيان [illegible] سورة [illegible] (فى الصور) فى القرن (فتأتون افواجا) حال اى [illegible] مختلفة و [illegible] (وفتحت السماء) [illegible] توفى اى [illegible] لنزول الملائكة (فكانت ابوابا) فصارت ذات ابواب [illegible] (وسيرت الجبال) [illegible]

[illegible]

[illegible] (ان يوم [illegible])

فوجا جماعة جماعة (وفتحت (قا وحا ٥٦ س) السماء) [illegible] ابواب السماء [illegible] (وسيرت الجبال) عن وجه الارض (فكانت سرابا) فكانت كالسراب (ان جهنم كانت مرصادا) [illegible]

جنة لف وعيشى مغدق وندامى كلهم بيض زهر

او لفيف كشريف او لف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد ﴿ ان يوم الفصل كان ﴾ فى علم الله تعالى او فى حكمه ﴿ ميقاتا ﴾ حدا تؤقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه ﴿ يوم ينفخ فى الصور ﴾ بدل وبيان ليوم الفصل ﴿ فتأتون افواجا ﴾ جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه الصلاة والسلام سئل عنه فقال تحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم فيسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلوبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبوسون جبابا سابغات من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربا والجائرين فى الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء ﴿ وفتحت السماء ﴾ وشقت وقرأ الكوفيون بالتخفيف ﴿ فكانت ابوابا ﴾ فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت ذات ابواب ﴿ وسيرت الجبال ﴾ اى فى الهواء كالهباء ﴿ فكانت سرابا ﴾ مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم يبق على حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ﴿ ان جهنم كانت مرصادا ﴾ [illegible] يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى يضمر فيه الخيل او محدة فى ترصد الكفرة لئلا [illegible]

اخبر عنه بقوله تعالى ﴿ ان يوم الفصل ﴾ اى الحساب ﴿ كان ميقاتا ﴾ اى [illegible] الله من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا يجتمع فيه الخلائق ليقضى بينهم ﴿ يوم ينفخ فى الصور ﴾ يعنى النفخة الاخيرة ﴿ فتأتون افواجا ﴾ يعنى زمرا زمرا من كل مكان للحساب ﴿ وفتحت السماء فكانت ابوابا ﴾ يعنى فكانت ذوات ابواب لنزول الملائكة [illegible] وتتنائر حتى يصير فيها ابواب وطرق ﴿ وسيرت الجبال ﴾ اى عن وجه الارض ﴿ فكانت سرابا ﴾ اى هباء منبثا كالسراب فى عين الناظر ﴿ ان جهنم كانت مرصادا ﴾ اى طريقا وممرا فلا سبيل لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروى عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثانى فيسئل عن الصلوات فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما [illegible]

(للطاغين مآبا) للكافرين مرجعا (لابثين) ماكثين حال مقدرة من الضمير فى للطاغين حمزة لبثين واللبث اقوى اذ اللابث من وجد منه اللبث وان قل واللبث من شأنه اللبث والمقام فى المكان (فيها) فى جهنم (احقابا) ظرف جمع حقب وهو الدهر ولم يرد به عدد محصور بل الابد كلما مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يستعمل الحقب والحقبة الا اذا اريد تتابع الازمنة وتواليها وقيل الحقب ثمانون سنة وسئل بعض العلماء عن هذه الآية فاجاب بعد عشرين سنة لابثين فيها احقابا (لايذوقون فيها بردا ولا شرابا) اى غير ذائقين حال من ضمير لابثين فاذا انقضت هذه الاحقاب التى عذبوا فيها بمنع البرد والشراب بدلوا باحقاب اخر فيها عذاب آخر وهى احقاب بعد احقاب لاانقطاع لها وقيل هو من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا اخطأه الرزق فهو حقب وجمعه احقاب فينتصب حالا عنهم اى لابثين فيها حقبين جهدين ولايذوقون فيها بردا ولاشرابا تفسيرله وقوله (الاحميما وغساقا) استثناء منقطع اى لايذوقون فى جهنم او فى الاحقاب بردا روحا ينفس عنهم

منها واحد كالطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة ﴿ للطاغين مآبا ﴾ مرجعا ومأوى ﴿ لابثين فيها ﴾ وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ ﴿ احقابا ﴾ دهورا متتابعة وليس فيه مايدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه مايقتضى تناهى تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه حقب آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله تعالى ﴿ لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الا حميما وغساقا ﴾ حال من المستكن فى لابثين او نصب احقابا بلايذوقون

السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا يقال انظروا فان كان له تطوع اكملت به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت مرصادا اى معدة لهم وقيل هو من رصدت الشئ ارصده اذا ترقبته والمرصاد المكان الذى يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار اى تنتظرهم ﴿ للطاغين ﴾ اى الكافرين ﴿ مآبا ﴾ اى مرجعا يرجعون اليها ﴿ لابثين فيها ﴾ اى فى جهنم ﴿ احقابا ﴾ جمع حقب وهو ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة يروى ذلك عن على بن ابى طالب وقيل الحقب الواحد سبعة عشر الف سنة فان قلت الاحقاب وان طالت فهى متناهية وعذاب الكفار فى جهنم غير متناه فما معنى قوله احقابا قلت ذكروا فيه وجوها * احدها ماروى عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل حقب آخر ثم آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود وروى عن عبدالله بن مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون فى النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون فى الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا * الوجه الثانى ان لفظ الاحقاب لايدل على نهاية والحقب الواحد متناه والمعنى انهم يلبثون فيها احقابا لا يذوقون فيها اى فى تلك الاحقاب بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع العذاب الذى يبدلونه لاتوقيت للبثهم فيها * الوجه الثالث ان الآية منسوخة بقوله فلن نزيدكم الا عذابا يعنى ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل ﴿ لايذوقون فيها بردا ﴾ قال ابن عباس البرد النوم وقيل بردا اى روحا وراحة وقيل لايذوقون بردا ينفعهم ﴿ ولاشرابا ﴾ اى ينفعهم عن عطش ﴿ الا حميما وغساقا ﴾ اى لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب

(للطاغين) للكافرين (مآبا) مرجعا (لابثين فيها احقابا) مقيمين فى جهنم احقابا حقبا {وقيل} بعد حقب والحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم الواحد الف سنة مما تعد اهل الدنيا ويقال لا يعلم عدد تلك الاحقاب الا الله فلا ينقطع عنهم (لا يذوقون فيها) فى النار (بردا) ماء باردا ويقال نوما (ولاشرابا) باردا (الا حميما) ماء حارا قد انتهى حره (وغساقا) زمهريرا ويقال ماء منتنا

احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لايذوقون تفسير له والمراد بالبرد مايروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق مايغسق اى يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤس الآى وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتشديد ﴿ جزاء وفاقا ﴾ اى جوزوا بذلك جزاء ذاوفاق لاعمالهم اوموافقا لها اووافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا ﴿ انهم كانوا لايرجون حسابا ﴾ بيان لما وافقه هذا الجزاء ﴿ وكذبوا بآياتنا كذابا ﴾ تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع فى كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا فى تكذيبهم اوالمكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهم مكاذبة اوكانوا مبالغين فى الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين اومكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهوجمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اى تكذيبا مفرطا كذبه ﴿ وكل شئ احصيناه ﴾ وقرئ بالرفع على الابتداء ﴿ كتابا ﴾ مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان فى معنى الضبط او لفعله المقدر اوحال بمعنى مكتوبا فى اللوح اوفى صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله ﴿ فذوقوا

وقيل هو الماء الحار الذى انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده وقيل هو صديد اهل النار ﴿ جزاء وفاقا ﴾ اى جزيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق العذاب الذنب فلاذنب اعظم من الشرك ولاعذاب اعظم من النار ﴿ انهم كانوا لايرجون حسابا ﴾ اى لايخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لايؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبون ﴿ وكذبوا بآياتنا ﴾ اى التى جاءت بها الانبياء وقيل كذبوا بدلائل التوحيد والنبوة والبعث والحساب ﴿ كذابا ﴾ اى تكذيبا قال الفراء هى لغة يمانية فصيحة يقولون فى مصدر التفعيل فعال قال وقد سألنى اعرابى منهم يستفتينى الحلق احب اليك ام القصار يريد التقصير ﴿ وكل شئ ﴾ اى من الاعمال ﴿ احصيناه ﴾ اى بيناه واثبتناه ﴿ كتابا ﴾ اى فى كتاب وهو اللوح المحفوظ وقيل معناه وكل شئ علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى انا عالم بجميع ما فعلوه من خير وشر وانا اجازيهم على قدر اعمالهم جزاء وفاقا ﴿ فذوقوا ﴾ اى يقال لهم ذوقوا

فيها حميما ماء حارا يحرق مايأتى عليه وغساقا ماء يسيل من صديدهم وبالتشديد كوفى غير ابى بكر (جزاء) جوزوا جزاء (وفاقا) موافقا لاعمالهم مصدر بمعنى الصفة اوذا وفاق ثم استأنف معللا فقال (انهم كانوا لايرجون حسابا) لايخافون محاسبة الله اياهم اولم يؤمنوا بالبعث ليرجوا حسابا (وكذبوا بآياتنا كذابا) تكذيبا وفعال فى معنى فعل كله فاش (وكل شئ) نصب بمضمر يفسره (احصيناه كتابا) مكتوبا فى اللوح بالحساب او حال اومصدر فى موضع احصاء او احصينا فى معنى كتبنا لان الاحصاء يكون بالكتابة غالبا وهذه الآية اعتراض لان قوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات اى فذوقوا جزاءكم والالتفات شاهد على شدة الغضب

(جزاء وفاقا) موافقة اعمالهم (انهم كانوا) فى الدنيا (لايرجون حسابا) لايخافون عذابا فى الآخرة ولايؤمنون به (وكذبوا بآياتنا) بكتابنا ورسولنا (كذابا) تكذيبا (وكل شئ) من اعمال بنى آدم (احصيناه كتابا) كتبناه فى اللوح المحفوظ (فذوقوا) العذاب فى النار

(وان نزيدكم الا عذابا) فى الحديث هذه الآية اشد ما فى القرآن على اهل النار (ان للمتقين مفازا) مفعول من الفوز
... من كل مكروه وظفر بكل محبوب ويصلح للمكان وهو الجنة ثم ابدل عنه بدل البعض من الكل
(حدائق ... من انواع شجر الثمر جمع حديقة (واعنابا) كروما عطف على حدائق (وكواعب) نواهد
(اترابا) ... الجزء الاول) فى السن (وكاسا دهاقا) مملوأة (لايسمعون فيها) فى الجنة

فان نزيدكم الا عذابا ﴾ مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفى الحديث هذه الآية اشد ما فى القرآن على اهل النار ﴿ ان للمتقين مفازا ﴾ فوزا او موضع فوز ﴿ حدائق واعنابا ﴾ بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض ﴿ وكواعب ﴾ نساء فلكت ثديهن ﴿ اترابا ﴾ لدات ﴿ وكاسا دهاقا ﴾ ملآنا وادهق الحوض ملأه ﴿ لايسمعون فيها لغوا ولا كذابا ﴾ وقرأ الكسائى بالتخفيف اى كذبا او مكاذبة اذ لايكذب بعضهم بعضا ﴿ جزاء من ربك ﴾ بمقتضى وعده ﴿ عطاء ﴾ تفضلا منه اذ لايجب عليه شئ وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به ﴿ حسابا ﴾ كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اى محسبا كالدراك بمعنى المدرك ﴿ رب السموات والارض ومابينهما ﴾ بالجر بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابوعمرو على الابتداء ﴿ الرحمن ﴾ بالجر صفة له فى قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع فى قراءة ابى عمرو وفى قراءة حمزة والكسائى بجر الاول ورفع الثانى على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره ﴿ لايملكون

﴿ فلن نزيدكم الا عذابا ﴾ قيل هذه الآية اشد آية فى القرآن على اهل النار كلما استغاثوا من نوع من العذاب اغيثوا باشد منه * قوله عز وجل ﴿ ان للمتقين مفازا ﴾ اى فوزا اى نجاة من العذاب وقيل فوزا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال ﴿ حدائق ﴾ جمع حديقة وهى البستان المحوط فيه كل ما يشتهون ﴿ واعنابا ﴾ التنكير يدل على تعظيم ذلك العنب ﴿ وكواعب ﴾ جمع كاعب يعنى جوارى نواهد قد تكعبت ثديهن ﴿ اترابا ﴾ يعنى مستويات فى السن ﴿ وكاسا دهاقا ﴾ قال ابن عباس مملوأة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية ﴿ لايسمعون فيها ﴾ اى فى الجنة وقيل فى حالة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل فى حالة شربهم ﴿ لغوا ﴾ اى باطلا من الكلام ﴿ ولا كذابا ﴾ اى تكذيبا والمعنى انه لايكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون به ﴿ جزاء من ربك عطاء حسابا ﴾ اى جازاهم جزاء واعطاهم عطاء حسابا اى كافيا وافيا وقيل حسابا يعنى كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم ﴿ رب السموات والارض ومابينهما الرحمن لايملكون

... (فلن نزيدكم الا عذابا) ... (ان للمتقين) ... حذف ... مكاذبة اى لايكذب بعضهم بعضا اولايكذبه احد (جزاء) مصدر اى جزاهم جزاء (من ربك عطاء) مصدر اوبدل من جزاء (حسابا) صفة يعنى كافيا ... حسب اعمالهم (رب السموات والارض ومابينهما الرحمن) بجرهما ابن عامر وعاصم بدلا من ربك ومن رفعهما فرب خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره الرحمن او الرحمن صفته ولايملكون خبر او هما خبران والضمير فى (لايملكون) لاهل ... (وان نزيدكم) فى ... (الا عذابا) ... ثم ... من كرامة المؤمنين فقال (ان للمتقين) الكفر والشرك والفواحش (مفازا) نجاة من النار وفوزا الى الله (حدائق) ... عليها من الشجر والنخل (واعنابا) كروما (وكواعب) جوارى مفلكات الثديين (اترابا) مستويات (منه)
فى السن ... على ثلاثة وثلاثين سنة (وكاسا دهاقا) ملأى متتابعة (لايسمعون فيها) اهل الجنة فى الجنة (لغوا)
... (ولا كذابا) لايكذب بعضهم على بعض (جزاء) ثوابا (من ربك عطاء) اعطاهم فى الجنة (حسابا) بواحد
عشرة وقيل موفقة اعمالهم (رب السموات والارض ومابينهما) من الخلق والعجائب (الرحمن) هو الرحمن (لايملكون

منه خطابا ﴾ والواو لاهل السموات والارض اى لايملكون خطابه والاعتراض عليه فى ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لاينافى الشفاعة باذنه ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ﴾ تقرير وتوكيد لقوله لايملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للايملكون اولايتكلمون والروح ملك مؤكل على الارواح او جنسها اوجبريل او خلق اعظم من الملائكة ﴿ ذلك اليوم الحق ﴾ الكائن لامحالة ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه ﴾ الى ثوابه ﴿ مآبا ﴾ بالايمان والطاعة ﴿ انا انذرناكم عذابا قريبا ﴾ يعنى عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ماهو آت قريب ولان مبدأه الموت ﴿ يوم ينظر المرء

منه خطابا ﴾ اى لايقدر الخلق ان يكلموا الرب الا باذنه وقيل لايملكون منه خطابا اى لايملكون شفاعة الا باذنه فى ذلك اليوم ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾ قيل هو جبريل عليه الصلاة والسلام وقال ابن عباس الروح ملك من الملائكة ماخلق الله مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحدا فيكون من عظم خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم اعظم من السموات والارض والجبال وهو فى السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثنى عشر الف تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يجيء يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بنى آدم وليسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند وقال ابن عباس الروح خلق على صورة بنى آدم وما ينزل من السماء ملك الا ومعه واحد منهم وعنه انهم بنو آدم يقومون صفا والملائكة صفا وقيل يقوم سماطان سماط من الروح وسماط من الملائكة ﴿ لايتكلمون ﴾ يعنى الخلق كلهم اجلالا لعظمة الله تعالى جل جلاله وتعالى عطاؤه وشانه من هول ذلك اليوم ﴿ الا من اذن له الرحمن ﴾ اى فى الكلام ﴿ وقال صوابا ﴾ اى حقا فى الدنيا وعمل به وقيل قال لااله الا الله وقيل الاستثناء يرجع الى الروح والملائكة ومعنى الآية لايشفعون الا فى شخص اذن الرحمن فى الشفاعة له وذلك الشخص ممن كان يقول صوابا فى الدنيا وهو لااله الا الله ﴿ ذلك اليوم الحق ﴾ اى الكائن الواقع لامحالة وهو يوم القيامة ﴿ فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ﴾ اى سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله ومايتقرب به اليه ﴿ انا انذرناكم ﴾ اى خوفناكم فى الدنيا ﴿ عذابا قريبا ﴾ اى فى الآخرة وكل ماهو آت قريب ﴿ يوم ينظر المرء

اعظم منه (والملائكة صفا) حال اى مصطفين (لايتكلمون) اى الخلائق ثم خوفا (الا من اذن له الرحمن) فى الكلام او الشفاعة (وقال صوابا) حقا بان قال المشفوع له لااله الا الله فى الدنيا او لا يؤذن الا لمن يتكلم بالصواب فى امر الشفاعة (ذلك اليوم الحق) الثابت وقوعه (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) مرجعا بالعمل الصالح (انا انذرناكم) ايها الكفار (عذابا قريبا) فى الآخرة لان ماهو آت قريب (يوم ينظر المرء) الكافر منه) عبده يعنى الملائكة وغيرهم (خطابا) كلاما فى الشفاعة حتى يأذن الله لهم (يوم يقوم الروح) يعنى جبريل ويقال هو خلق لا يعلم عظمته الا الله وقال ابن مسعود الروح ملك اعظم من كل شئ غير العرش يسبح الله فى كل يوم اثنى عشر الف تسبيحة فيخلق الله من كل تسبيحة ملكا يستغفر للمؤمنين الى يوم القيامة فيجئ يوم القيامة وهو صف واحد ويقال هم خلق من الملائكة لهم ارجل وايد مثل بنى آدم (والملائكة) ويوم يقوم الملائكة (صفا لايتكلمون) بالشفاعة يعنى الملائكة (لامن أذن له الرحمن) فى الشفاعة (وقال صوابا) حقا لااله الا الله (ذلك اليوم الحق) الكائن يكون فيه ما وصفت (فمن شاء اتخذ الى ربه) وحد واتخذ بذلك التوحيد الى ربه (مآبا) مرجعا (انا انذرناكم) خوفناكم يا اهل مكة (عذابا قريبا) كائنا (يوم ينظر المرء) يبصر

ماقدمت يداه﴾ يرى ماقدمه من خير اوشر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر اواستفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه ﴿ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾ فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف اوفى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

﴿ سورة النازعات مكية وآيها خمس اوست واربعون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ماقدمت يداه﴾ يعنى من خير اوشر مثبتا فى صحيفته ينظر اليه يوم القيامة ﴿ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا﴾ قال عبدالله بن عمرو اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ثم يجعل القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كونى ترابا فعند ذلك يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقيل يقول الله عزوجل للبهائم بعد القصاص انا خلقناكم وسخرناكم لبنى آدم وكنتم مطيعين لهم ايام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا فاذا رأى الكافر ذلك تمنى وقال ياليتنى كنت فى الدنيا فى صورة بعض هذه البهائم وكنت اليوم ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وأمر باهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقيل لسائر الامم سوى الناس والجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينئذ يقول الكافر ياليتنى كنت ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا رأى ما انعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال ياليتنى كنت ترابا يعنى متواضعا فى طاعة الله فى الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا هو ابليس وذلك انه عاب آدم وكونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار فاذا كان يوم القيامة ورأى ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة والعذاب قال ياليتنى كنت ترابا قال ابوهريرة رضى الله عنه يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك مثلى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة النازعات مكية وهى ست وقيل خمس واربعون آية ﴾

﴿ ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثون وخمسون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

ارتكب من الآثام (ويقول الكافر) وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة الذم او المرء عام وخص منه الكافر وماقدمت يداه ما عمل من خير وشر اوهو المؤمن لذكر الكافر بعده وما قدم من خير وما استفهامية منصوبة بقدمت اى ينظر اى شئ قدمت يداه او موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته يعنى نظرت اليه والراجع فى الصلة محذوف اى ماقدمته (ياليتنى كنت ترابا) فى الدنيا فلم اخلق ولم اكلف اوليتنى كنت ترابا فى هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يتمنى ان يكون كآدم مخلوقا من التراب ليثاب ثواب اولاده المؤمنين والله اعلم

﴿ سورة النازعات ست واربعون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المؤمن ويقال الكافر (ما قدمت) ما عملت (يداه) من خير او شر (ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا) مع البهائم من الهول والشدة والعذاب تمنى الكافر ان يكون ترابا مع البهائم وذلك يوم ترجف الراجفة ﴿ومن السورة التى يذكر فيها النازعات وهى كلها مكية آياتها خمس واربعون وكلماتها مائة وثلاث وسبعون وحروفها تسعمائة وثلاثة وخمسون (بسم الله الرحمن الرحيم) (قوله)

(والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا) لاوقف الى هنا ولزم هنا لانه لو وصل لصار يوم ظرف المدبرات وقد انقضى تدبير الملائكة فى ذلك اليوم اقسم سبحانه بطوائف الملائكة التى تنزع الارواح من الاجساد غرقا اى اغراقا فى النزع اى تنزعها من اقاصى الاجساد من اناملها ومواضع اظفارها وبالطوائف التى تنشطها اى تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها وبالطوائف التى تسبح فى مضيها اى تسرع فتسبق الى ما امروا به فتدبر امرا من امور العباد مما يصلحهم فى دينهم اودنياهم كما رسم لهم اوبخيل الغزاة التى تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب والتى تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا اخرج من بلد الى بلد والتى تسبح فى جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من اسبابه او بالنجوم التى تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها فى النزع ان تقطع الفلك كله حتى تنحط فى اقصى الغرب والتى تخرج من برج الى برج والتى تسبح فى الفلك من السيارة فتسبق فتدبر امرا من علم الحساب وجواب القسم محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة

﴿والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا﴾ هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من اقصى الابدان او نفوسها غرقة فى الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المومنين الى الجنة فيدبرون امر ثوابها وعقابها بان يهيئوها لادراك ما اعدلها من الآلام واللذات اوالاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون فى مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره اوصفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط فى اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد

* قوله عز وجل ﴿والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا﴾ اختلفت عبارات المفسرين فى هذه الكلمات هل هى صفات لشئ واحد ام لاشياء مختلفة على اوجه واتفقوا على ان المراد بقوله ﴿فالمدبرات امرا﴾ وصف لشئ واحد وهم الملائكة * الوجه الاول قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى الملائكة تنزع ارواح الكفار من اقاصى اجسامهم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق اى والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فتخرج نفس الكافر كالغريق فى الماء * والناشطات نشطا الملائكة تنشط نفس المؤمن اى تسلها سلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير وانما خص النزع بنفس الكافر والنشط بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق * والسابحات

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والنازعات) يقول اقسم الله بالملائكة الذين ينزعون نفوس الكافرين (غرقا) غرقت نفسه فى صدره وهى ارواح الكافرين (والناشطات) وأقسم بالملائكة الذين ينشطون نفوس الكافرين بالكرب والغم نشطا كنشط السفود كثير الشعب من الصوف ويقال هى ارواح المؤمنين تنشط بالخروج الى الجنة (والسابحات سبحا) وأقسم بالملائكة الذين ينزعون نفوس الصالحين يسلونها سلا رفيقا رويدا ثم يتركونها حتى تستريح ويقال هى ارواح المؤمنين (فالسابقات سبقا) وأقسم بالملائكة الذين يسبقون بارواح المؤمنين الى الجنة وارواح الكافرين الى النار ويقال هى ارواح المؤمنين تسبق الى الجنة (فالمدبرات امرا) وأقسم بالملائكة الذين يدبرون امور العباد يعنى جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ويقال والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا كل هؤلاء النجوم فالمدبرات

ويسبحون فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونه اسرع حركة فيدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا اوصفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيهافتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من مدبرات اوحال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس فتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات اوصفات انفس الغزاة اوايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول عناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر

سبحا يعنى الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح ثم يستخرجونها كالسابح فى الماء يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين كالفرس الجواد اذا سرع فى جريه يقال له سابح * فالسابقات سبقا يعنى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملائكة تسبق بارواح المؤمنين الى الجنة * الوجه الثانى فى قوله والنازعات غرقا يعنى النفس حين تنزع من الجسد فتغرق فى الصدر ثم تخرج * والناشطات نشطا قال ابن عباس هى نفوس المؤمنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض عليه مقعده فى الجنة قبل ان يموت وقال على بن طالب هى ارواح الكفار تنشط بين الجلد والاظفار حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم * والسابحات سبحا يعنى ارواح المؤمنين حين تسبح فى الملكوت * فالسابقات سبقا يعنى استباقها الى الحضرة المقدسة * والوجه الثالث فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى النجوم تنزع من افق الى افق تطلع ثم تغيب * والناشطات نشطا يعنى النجوم تنشط من افق الى افق اى تذهب * والسابحات سبحا يعنى النجوم والشمس والقمر يسبحون فى الفلك * فالسابقات سبقا يعنى النجوم يسبق بعضها بعضا فى السير * والوجه الرابع فى قوله تعالى والنازعات غرقا يعنى خيل الغزاة تنزع فى اعنتها وتغرق فى عرقها وهى الناشطات نشطا لانها تخرج بسرعة الى ميدانها وهى السابحات فى جريها وهى السابقات سبقا لاستباقها الى الغاية * الوجه الخامس فى قوله والنازعات غرقا يعنى الغزاة حين تنزع قسيها فى الرمى فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا * والناشطات نشطا اى السهام فى الرمى * والسابحات سبحا فالسابقات سبقا يعنى الخيل والابل حين تخرجها اصحابها الى الغزو * الوجه السادس ليس المراد بهذه الكلمات شيأ واحدا * فقوله والنازعات يعنى ملك الموت ينزع النفوس غرقا حتى بلغ بها الغاية * والناشطات نشطا

امرا وهم الملائكة ويقال والنازعات غرقا هى قسى الغزاة والناشطات نشطا هى اوهاق الغزاة والسابحات سبحا هى سفن غزاة البحر والسابقات سبقا هى خيول الغزاة فالمدبرات امرا هم قواد الغزاة ويقال والسابحات سبحا هى الشمس والقمر والليل والنهار اقسم الله بهؤلاء الاشياء ان النفختين لكائنتان بينهما اربعون سنة ثم بينهما فقال

(يوم ترجف) تتحرك حركة شديدة والرجف شدة الحركة (الراجفة) النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها لانها تضطرب بها الارض حتى يموت كل من عليها (تتبعها) حال عن الراجفة (الرادفة) النفخة الثانية لانها تردف الاولى و بينهما اربعون سنة والاولى تميت الخلق والثانية تحييهم (قلوب يومئذ) قلوب منكرى البعث (واجفة) مضطربة من الوجيف وهو الوجيب وانتصاب يوم ترجف بما دل عليه قلوب يومئذ واجفة اى يوم ترجف وجفت القلوب وارتفاع قلوب بالابتداء وواجفة صفتها (ابصارها) اى ابصار اصحابها (خاشعة) ذليلة لهول ما ترى خبرها (يقولون) اى منكرو البعث فى الدنيا استهزاء وانكارا للبعث (أئنا لمردودون فى الحافرة) استفهام بمعنى الانكار اى أنرد بعد موتنا الى اول الامر فنعود احياء كما كنا والحافرة الحالة الاولى يقال لمن كان فى امر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اى الى حالته الاولى ويقال النقد عند الحافرة اى عند الحالة الاولى وهى الصفقة انكروا البعث ثم زادوا استبعادا فقالوا

الظفر اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى تشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال لقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى ﴿ تتبعها الرادفة ﴾ التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة موقع الحال ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ شديد الاضطراب من الوجيف وهى صفة القلوب والخبر ﴿ ابصارها خاشعة ﴾ اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب ﴿ يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة ﴾ فى الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع

يعنى النفس تنشط من القدمين بمعنى تجذب * والسابحات سبحا يعنى السفن * والسابقات سبقا يعنى مسابقة نفوس المؤمنين الى الخيرات والطاعات * اما قوله فالمدبرات امرا فاجمعوا على انهم الملائكة قال ابن عباس هم الملائكة وكلوا بامور عرفهم الله عز وجل العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر فى الدنيا اربعة املاك جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت واسمه عزرائيل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى اقسم الله بهذه الاشياء لشرفها ولله ان يقسم بما يشاء من خلقه او يكون التقدير ورب هذه الاشياء وجواب القسم محذوف تقديره لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله قلوب يومئذ واجفة ﴿ يوم ترجف الراجفة ﴾ يعنى النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل شئ ويموت منها جميع الخلق ﴿ تتبعها الرادفة ﴾ يعنى النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة وقال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شئ والاخرى تحيي كل شئ باذن الله عز وجل وقيل الراجفة التى تزلزل الارض والجبال والرادفة التى تشق السماء وقيل الراجفة القيامة والرادفة البعث يوم القيامة روى البغوى بسنده الثعلبي عن ابى بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه * قوله عز وجل ﴿ قلوب يومئذ واجفة ﴾ اى خائفة قلقة مضطربة وقيل وجلة زائلة عن اماكنها ﴿ ابصارها خاشعة ﴾ اى ابصار اهلها خاشعة ذليلة والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى ﴿ يقولون ﴾ يعنى المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم مبعوثون بعد الموت ﴿ أئنا لمردودون فى الحافرة ﴾ يعنى انرد الى اول الحال وابتداء الامر فنصير

(يوم ترجف الراجفة) وهى النفخة الاولى يتزلزل كل شئ (تتبعها الرادفة) وهى النفخة الاخيرة (قلوب يومئذ) يوم القيامة (واجفة) خائفة (ابصارها خاشعة) ذليلة (يقولون) كفار مكة النضر بن الحرث واصحابه (أئنا لمردودون فى الحافرة) الى الدنيا ويقال من القبور

(أئذا كنا عظاما نخرة) بالية ناخرة كوفى غير حفص وفعل ابلغ من فاعل يقال نخر العظم فهو نخر وناخر والمعنى أنرد الى الحياة بعد ان صرنا عظاما بالية واذا منصوب بمحذوف وهو نبعث (قالوا) اى منكرو البعث (تلك) رجعتنا (اذا كرة خاسرة) رجعة ذات خسران اوخاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت وبعثنا فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فانما هى زجرة واحدة) متعلق بمحذوف اى لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانهـا سهلة هينة فى قدرته فما هى الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية من قولهم زجر البعير اذا صـاح عليه (فاذاهم بالساهرة) فاذاهم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا فى جوفهـا وقيل الساهرة ارض بعينها بالشأم الى جنب بيت المقدس او ارض مكة او جهنم (هل أتاك حديث موسى) استفهام يتضمن التنبيه على ان هذا مما يجب ان يشيع والتشريف للمخاطب به

(أئذا كنا عظاما نخرة) ناخرة باليـة ويقـال ميتـة ان قرأت بالالف كيف يبعثنا فقال لهم النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بلى يبعثكم (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) رجعة خائبة لانكون فقال الله (فانماهى زجرة واحدة) نفخة واحدة لاتثنى وهى نفخة البعث (فاذاهم بالساهرة) على وجه الارض ويقـال بارض المحشر (هل اتاك) يامحمد صلى الله عليه وسلم استفهاما منه يعنى قد اتاك ويقال مااتاك ثم اتاك (حديث موسى) خبر موسى

(كان)

فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله فى عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة ﴿ ائذا كنا ﴾ وقرأ نافع وابن عامر والكسائى اذا كنا على الخبر ﴿ عظاما ناخرة ﴾ بالية وقرأ الحجازيان وابوعمرو والشامى وحفص وروح نخرة وهى ابلغ ﴿ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ﴾ ذات خسران او خاسر اصحابها والمعنى انهـا ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنـا بها وهو استهزاء منهم ﴿ فانما هى زجرة واحدة ﴾ متعلق بمحذوف اى لاتستصعبوها فما هى الا صيحة واحدة يعنى النفخة الثانية ﴿ فاذاهم بالساهرة ﴾ فاذاهم احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا فى بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة للتى يجرى ماؤها وفى ضدها نائمة اولان سـالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم ﴿ هل اتاك حديث موسى ﴾ اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليـه بان يصيبهم مثل ما اصـاب من هو اعظم منهم

احيـاء بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان فى حافرته اى رجع من حيث جاء فالحافرة عندهم اسم لابتداء الشئ واول الشئ ويقال رجع فلان فى حافرته اى فى طريقه الذى جاء منه بحفره بمشيته فحصل باثر قدميه حفر فهى محفورة فى الحقيقة وقيل الحافرة الارض التى تحفر فيها قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى أئنا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشى عليها وقيل الحافرة النـار ﴿ أئذا كنا عظاما نخرة ﴾ اى بالية وقرئ ناخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة المجوفة التى تمر فيهـا الريح فتنخر اى تصوت ﴿ قالوا ﴾ يعنى المنكرين للبعث اذا عاينوا اهوال القيـامة ﴿ تلك اذا كرة خاسرة ﴾ اى رجعة غابنة يعنى ان رددنا بعد الموت لنخسرن بمـا يصيبنا بعد الموت ﴿ فانما هى ﴾ يعنى النفخة الاخيرة ﴿ زجرة واحدة ﴾ اى صيحة واحدة يجمعون بها جميعا ﴿ فاذاهم بالسـاهرة ﴾ يعنى وجه الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هى التى كثر الوطء عليها كانها سهرت والمعنى انهم كانوا فى بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هى ارض الشـام وقيل ارض القيامة وقيل هى ارض جهنم * قوله عز وجل ﴿ هل أتاك حديث موسى ﴾ يعنى قد أتاك حديث موسى يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه الصلاة والسلام وانه

(اذ ناداه ربه) حين ناداه (بالواد المقدس) المبارك المطهر (طوى) اسمه (اذهب الى فرعون) على ارادة القول (انه طغى) تجاوز الحد فى الكفر والفساد (فقل هل لك الى ان تزكى) هل لك ميل الى ان تتطهر من الشرك والعصيان بالطاعة والايمان وبتشديد الزاى حجازى (واهديك الى ربك) وارشدك الى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اى العلماء به وعن بعض الحكماء اعرف الله فمن عرف الله لم يقدر ان يعصيه طرفة عين فالخشية ملاك الامر من خشى الله أتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه الحديث من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه باللطف فى القول ويستنزله بالمداراة عن عتوه كما امر بذلك فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا (فاراه الآية الكبرى) اى فذهب فرى موسى فرعون العصا واليد البيضاء لانهما فى حكم آية واحدة (فكذب) فرعون بموسى والآية الكبرى وسماها ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى (ثم ادبر) تولى عن موسى (يسعى) يجتهد فى مكايدته او لما رأى الثعبان ادبر مرعوبا يسرع فى مشيته وكان طياشا خفيفا (فحشر) فجمع السحرة وجنده (فنادى) فى المقام الذى اجتمعوا فيه معه (فقال انا ربكم الاعلى) لا رب فوق وكانت لهم اصنام يعبدونها

﴿ اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ﴾ قد مر بيانه فى سورة طه ﴿ اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما فى النداء من معنى القول ﴿ فقل هل لك الى ان تزكى ﴾ هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد ﴿ واهديك الى ربك ﴾ وارشدك الى معرفته ﴿ فتخشى ﴾ باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا ﴿ فأراه الآية الكبرى ﴾ اى فذهب وبلغ فأراه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة ﴿ فكذب وعصى ﴾ فكذب موسى وعصى الله عز وجل بعد ظهور الآية وتحقق الامر ﴿ ثم ادبر ﴾ عن الطاعة ﴿ يسعى ﴾ ساعيا فى ابطال امره او ادبر بعد ما رأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه ﴿ فحشر ﴾ فجمع السحرة او جنوده ﴿ فنادى ﴾ فى المجمع بنفسه او بمناد ﴿ فقال انا ربكم الاعلى ﴾ على كل

كان يتحمل المشاق من قومه ليتأسى به ﴿ اذ ناداه ربه بالواد المقدس ﴾ اى المطهر ﴿ طوى ﴾ هو اسم واد بالشأم عند الطور ﴿ اذهب الى فرعون انه طغى ﴾ اى علا وتكبر وكفر بالله ﴿ فقل هل لك الى ان تزكى ﴾ اى تتطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله الا الله ﴿ واهديك الى ربك ﴾ اى ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده ﴿ فتخشى ﴾ يعنى عقابه وانما خص فرعون بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة لجميع قومه ﴿ فاراه ﴾ اى ارى موسى فرعون ﴿ الآية الكبرى ﴾ يعنى اليد البيضاء والعصا ﴿ فكذب ﴾ يعنى فرعون بانها من الله ﴿ وعصى ﴾ اى تمرد واظهر التجبر ﴿ ثم ادبر ﴾ اى اعرض عن الايمان ﴿ يسعى ﴾ يعمل الفساد فى الارض ﴿ فحشر ﴾ اى فجمع قومه وجنوده ﴿ فنادى ﴾ اى لما اجتمعوا ﴿ فقال ﴾ يعنى فرعون لقومه ﴿ أنا ربكم الاعلى ﴾ اى لا رب فوقى وقيل

(اذ ناداه ربه) دعاه ربه (بالواد المقدس) المطهر (طوى) اسم الوادى وانما سميت طوى لكثرة ما مشت عليه الانبياء ويقال قد طوى ويقال طأ يا موسى هذا الوادى بقدميك لخيره وبركته (اذهب) يا موسى (الى فرعون انه طغى) علا وتكبر وكفر بالله (فقل هل لك) يا فرعون (الى ان تزكى) أصلح وتسلم فتوحد بالله (واهديك) ادعوك (الى ربك فتخشى) منه فتسلم (فأراه) موسى (الآية الكبرى) العلامة العظمى اليد والعصا (فكذب) وقال ليس هذا من الله (وعصى) لم يقبل (ثم أدبر) اعرض عن الايمان ويقال عن موسى (يسعى) يعمل فى امر موسى ويقال اسرع الى اهله (فحشر) قومه بالشرط (فنادى) فخطبهم (فقال) لهم (انا ربكم الاعلى) انا ربكم ورب

(واخذه الله نكال الآخرة) عاقبه الله عقوبة الآخرة و النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم ونصبه على المصدر لان اخذ بمعنى نكل كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة اى الاحراق (والاولى) اى الاغراق او نكال كلمتيه الآخرة وهى انا ربكم الاعلى والاولى وهى ما علمت لكم من اله غيرى وبينهما اربعون سنة او ثلاثون اوعشرون (ان فى ذلك) المذكور (لعبرة لمن يخشى) الله

(أأنتم) يا منكرى البعث (اشد خلقا) اصعب خلقا وانشاء (ام السماء) مبتدأ محذوف الخبر اى ام السماء اشد خلقا ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) اى الله ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) اعلى سقفها وقيل جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسواها) فعدلها مستوية بلا شقوق ولا فطور (واغطش ليلها) اظلمه (واخرج ضحاها) ابرز ضوء شمسها واضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس

اصنامكم الاعلى فلا تتركوا عبادتها (فأخذه الله) فعاقبه الله (نكال الآخرة والاولى) عقوبة الدنيا بالغرق وعقوبة الآخرة بالنار ويقال عاقبه الله بكلمته الاولى والاخرى وكلمته الاولى قوله ما علمت لكم من اله غيرى وكلمته الاخرى قوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة (ان فى ذلك) فيما فعلنا بهم (الارض)
بفرعون وقومه (لعبرة) لعظة (لمن يخشى) لمن يخاف ماصنع بهم (أأنتم) يا اهل مكة (اشد خلقا) بعثا واحكم صنعة (امالسماء بناها رفع سمكها) سقفها (فسواها) على الارض (واغطش ليلها) اظلم ليلها (واخرج ضحاها) ابرز نهارها وشمسها

من يلى امركم ﴿ فاخذه الله نكال الآخرة والاولى ﴾ اخذا منكلا لمن رآه او سمعه فى الآخرة بالاحراق وفى الدنيا بالاغراق او على كلمته الآخرة وهى هذا وكلمته الاولى وهو قوله ما علمت لكم من اله غيرى او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ﴿ ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ لمن كان من شانه الخشية ﴿ أأنتم اشد خلقا ﴾ اصعب خلقا ﴿ ام السماء ﴾ ثم بين كيف خلقها فقال ﴿ بناها ﴾ ثم بين البناء فقال ﴿ رفع سمكها ﴾ اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض او ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا ﴿ فسواها ﴾ فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما تم به كمالها من الكواكب والتداوير وغيرها من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه ﴿ واغطش ليلها ﴾ اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضاف اليها لانه يحدث بحركتها ﴿ واخرج ضحاها ﴾ وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحاها يريد النهار اراد ان الاصنام ارباب وهو ربها وربهم ﴿ فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ﴾ اى عاقبه فجعله عبرة لغيره بان اغرقه فى الدنيا ويدخله النار فى الآخرة وقيل اراد بالآخرة والاولى كلمتى فرعون وهما قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة ﴿ ان فى ذلك ﴾ اى فى الذى فعل بفرعون حين كذب وعصى ﴿ لعبرة ﴾ اى عظة ﴿ لمن يخشى ﴾ اى يخاف الله عز وجل ثم عاتب منكرى البعث فقال تعالى ﴿ أأنتم اشد خلقا ام السماء بناها ﴾ معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السماء عندكم فى تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلق الانسان على صغره وضعفه اذا اضيف الى خلق السماء مع عظمها وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السماء اعظم واذا كان كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خالق السموات والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى ذكر كيفية خلق السماء والارض فقال تعالى ﴿ رفع سمكها ﴾ يعنى علو سمتها وقيل رفعها بغير عمد ﴿ فسواها ﴾ اى اتقن بناءها فليس فيها شقوق ولا فطور ﴿ واغطش ﴾ اى اظلم ﴿ ليلها ﴾ والغطش الظلمة ﴿ واخرج ﴾ اى واظهر وابرز ﴿ ضحاها ﴾ اى نهارها وانما عبر عن النهار بالضحى لانه اكمل اجزاء النهار فى النور والضوء وانما اضاف الليل والنهار الى السماء لانهما يجريان بسبب غروب الشمس وطلوعها وهى فى السماء ثم وصف كيفية خلق

سراجها (والارض بعد ذلك دحاها) بسطها وكانت مخلوقة غير مدحوة فدحيت من مكة بعد خلق السماء بالفي عام ثم فسر البسط فقال (اخرج منها ماءها) بتفجير العيون (ومرعاها) كلاءها ولذا لم يدخل العاطف على اخرج او اخرج حال باضمار قد (والجبال ارساها) اثبتها وانتصاب الارض والجبال باضمار دحا وارسى على شريطة التفسير (متاعا لكم ولانعامكم) فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم (فاذا جاءت الطامة الكبرى) الداهية العظمى التي تطم على الدواهي اى تعلو وتغلب وهى النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار (يوم يتذكر الانسان) بدل من اذا جاءت اى اذا رأى اعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها (ماسعى) مصدرية اى سعيه او موصولة (وبرزت الجحيم) واظهرت (لمن يرى) لكل راء اظهورها ظهورا بينا

﴿ والارض بعد ذلك دحاها ﴾ بسطها ومهدها للسكنى ﴿ اخرج منها ماءها ﴾ بتفجير العيون ﴿ ومرعاها ﴾ ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى وتجريد الجملة من العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو ﴿ والجبال ارساها ﴾ اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية ﴿ متاعا لكم ولانعامكم ﴾ تمتيعا لكم ولمواشيكم ﴿ فاذا جاءت الطامة ﴾ الداهية التي تطم اى تعلو على سائر الدواهى ﴿ الكبرى ﴾ التي هى اكبر الطامات وهى القيامة او النفخة الثانية او الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار ﴿ يوم يتذكر الانسان ماسعى ﴾ بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية ﴿ وبرزت الجحيم ﴾ اظهرت ﴿ لمن يرى ﴾ لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل

الارض فقال تعالى ﴿ والارض بعد ذلك دحاها ﴾ اى بسطها ومدها قال امية بن ابى الصلت

دحوت البلاد فسويتها * وانت على طيها قادر

فان قلت ظاهر هذه الآية يقتضى ان الارض خلقت بعد السماء بدليل قوله تعالى بعد ذلك وقد قال تعالى فى حم السجدة ثم استوى الى السماء فكيف الجمع بين الآيتين وما معناهما قلت خلق الله الارض اولا مجتمعة ثم سمك السماء ثانيا ثم دحا الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التفسير الجمع بين الآيتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل السماء ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك ﴿ اخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ اى فجر من الارض عيونها ومرعاها اى رعيها وهو ما يأكله الناس والانعام واستعير الرعى للانسان على سبيل التجوز ﴿ والجبال ارساها ﴾ اى اثبتها ﴿ متاعا لكم ولانعامكم ﴾ اى الذى اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم * قوله عز وجل ﴿ فاذا جاءت الطامة الكبرى ﴾ يعنى النفخة الثانية التي فيها البعث وقيل الطامة القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التي لا تستطاع ﴿ يوم يتذكر الانسان ماسعى ﴾ اى ما عمل فى الدنيا من خير او شر ﴿ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴾ يعنى انه ينكشف عنها الغطاء فينظر اليها الخلق

(والارض بعد ذلك دحاها) مع ذلك بسطها على الماء ويقال بعد ذلك بسطها على الماء بالفى سنة (اخرج منها) من الارض (ماءها) الجارى والغائر (ومرعاها) كلأها (والجبال أرساها) اوتدها (متاعا لكم) منفعة لكم الماء (ولانعامكم) الماء والكلأ (فاذا جاءت الطامة الكبرى) وهى قيام الساعة طمت وعلت على كل شئ فليس فوقها شئ (يوم يتذكر الانسان) يتعظ ويعلم الكافر النضر واصحابه (ماسعى) الذى عمل فى كفره (وبرزت الجحيم) اظهرت الجحيم (لمن يرى) لمن يجب له دخولها

(فاما) جواب فاذا اى اذا جاءت الطامة فان الامر كذلك (من طغى) جاوز الحد فكفر (وآثر الحيوة الدنيا) على الآخرة باتباع الشهوات (فان الجحيم هى المأوى) المرجع اى مأواه والالف واللام بدل من الاضافة وهذا عند الكوفيين وعند سيبويه وعند البصريين هى المأوى له (واما من خاف مقام ربه) اى علم ان له مقاما يوم القيامة لحساب ربه (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المؤذى اى زجرها عن اتباع الشهوات وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها والهوى ميل النفس الى شهواتها (فان الجنة هى المأوى) اى المرجع (يسئلونك عن الساعة ايان مرساها) متى ارساؤها اى اقامتها يعنى متى يقيمها الله تعالى ويثبتها (فيم انت من ذكراها) فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به اى ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شئ كقولك ليس فلان من العلم فى شئ اوكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها اى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لاتزال تذكرها وتسأل عنها (الى ربك منتهاها) منتهى علمها متى تكون لايعلمها غيره اوفيم انكار لسؤالهم عنها اى فيم هذا السؤال ثم قال انت من ذكراها اى ارسالك وانت آخر الانبياء علامة من علاماتها فلامعنى لسؤالهم عنها ولايبعد ان يوقف على هذا على فيم وقيل فيم انت من ذكراها متصل بالسؤال اى يسألونك عن الساعة ايان مرساها ويقولون اين انت من ذكراها ثم استأنف فقال الى ربك منتهاها

عليه يوم يتذكر الانسان اوما بعده من التفصيل ﴿ فاما من طغى ﴾ حتى كفر ﴿ وآثر الحيوة الدنيا ﴾ فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس ﴿ فان الجحيم هى المأوى ﴾ هى مأواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهى فصل اومبتدأ ﴿ واما من خاف مقام ربه ﴾ مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ لعلمه بانه مرد ﴿ فان الجنة هى المأوى ﴾ ليس له سوها مأوى ﴿ يسئلونك عن الساعة ايان مرساها ﴾ متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها اومنتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهى اليه وتستقر فيه ﴿ فيم انت من ذكراها ﴾ فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكراها لهم وتبيين وقتها فى شئ فان ذكراها لايزيدهم الاغيا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكراها مستأنف ومعناه انت ذكر من ذكراها اى علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب ﴿ الى ربك منتهاها ﴾ اى منتهى

﴿ فامامن طغى ﴾ اى كفر ﴿ وآثر الحيوة الدنيا ﴾ اى على الآخرة ﴿ فان الجحيم هى المأوى ﴾ اى لمن هذه صفته ﴿ واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴾ اى المحارم التى يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يديه جل جلاله للحساب فيتركها بذلك ﴿ فان الجنة هى المأوى ﴾ اى لمن هذه صفته * قوله عز وجل ﴿ يسئلونك ﴾ اى يا محمد ﴿ عن الساعة أيان مرساها ﴾ اى متى ظهورها وقيامها ﴿ فيم انت من ذكراها ﴾ اى لست فى شئ من علمها وذكراها حتى تهتم لها وتذكر وقتها ﴿ الى ربك منتهاها ﴾ اى منتهى علمها لايعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل معناه فيم انكار لسؤالهم اى فيم هذا السؤال ثم قال انت يا محمد من ذكراها اى من علامتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبياء فكفاهم ذلك دليلا على (دنوها)

(فامامن طغى) علا وتكبر وكفر بالله هو النضر بن الحرث بن علقمة (وآثر الحيوة الدنيا) اختار الدنيا على الآخرة والكفر على الايمان (فان الجحيم هى المأوى) مأوى من كان هكذا (واما من خاف) عند المعصية (مقام ربه) مقامه بين يدى ربه فانتهى عن المعصية (ونهى النفس عن الهوى) عن الحرام الذى يشتهيه وهو مصعب بن عمير (فان الجنة هى المأوى) مأوى من كان هكذا (يسألونك) يا محمد كفار مكة (عن الساعة) عن قيام الساعة (ايان مرساها) متى قيامها انكار منهم لها (فيم انت من ذكراها) ماانت وذاك ان تذكرها لهم (الى ربك منتهاها) منتهى

(انما انت منذر من يخشاها) اى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يخاف شدائدها منذر منون يزيد وعباس (كانهم يوم يرونها) اى الساعة (لم يلبثوا) فى الدنيا (الا عشية او ضحاها) اى ضحى العشية استقلوا مدة لبثهم فى الدنيا لما عاينوا من الهول كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقوله قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وانما صحت اضافة الضحى الى العشية للملابسة بينهما لاجتماعهما فى نهار واحد والمراد ان مدة لبثهم لم يبلغ يوما كاملا ولكن احد طرفى النهار عشيته اوضحاها والله اعلم ﴿سورة عبس﴾ ﴿سورة عبس مكية وهى اثنتان واربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(عبس) كلح اى النبى صلى الله عليه وسلم (وتولى) اعرض (ان جاءه) لان جاءه ومحله نصب لانه مفعول له والعامل فيه عبس او تولى على اختلاف المذهبين (الاعمى) عبد الله ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه وابوه شريح بن مالك اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يدعو اشراف قريش الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه

علمها ﴿انما انت منذر من يخشاها﴾ انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لايناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع به وعن ابن عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال ﴿كانهم يوم يرونها لم يلبثوا﴾ اى فى الدنيا اوفى القبور ﴿الا عشية او ضحاها﴾ اى عشية يوم او ضحاه كقوله الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحا الى العشية لانهما من يوم واحد * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة

﴿سورة عبس مكية وآيها احدى واربعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿عبس وتولى ان جاءه الاعمى﴾ روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يارسول الله علمنى

دنوها ووجوب الاستعداد لها ﴿انما انت منذر من يخشاها﴾ اى انما ينفع انذارك من يخافها ﴿كانهم﴾ يعنى الكفار ﴿يوم يرونها﴾ اى يعاينون يوم القيامة ﴿لم يلبثوا﴾ اى فى الدنيا وقيل فى قبورهم ﴿الا عشية او ضحاها﴾ فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها قلت قيل ان الهاء والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية اضافة الى يومها كانه قيل الا عشية او ضحى يومها والله اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿تفسير سورة عبس مكية وهى احدى واربعون آية ومائة﴾

﴿وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿عبس وتولى﴾ اى كلح وقطب وجهه وتولى اى اعرض بوجهه ﴿ان جاءه الاعمى﴾ يعنى ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشى

علم قيامها (انما انت منذر) رسول مخوف بالقرآن (من يخشاها) من يخاف قيامها (كانهم يوم يرونها) يعنى الساعة (لم يلبثوا) فى القبور فى الدنيا (الا عشية) قدر عشية (او ضحاها) اوقدر غدوة من اول النهار ﴿ومن السورة التى يذكر فيها الاعمى وهى كلها مكية آيتها اربعون وكلماتها مائة وثلاث وثلاثون وحروفها خمسمائة وثلاثة وثلاثون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (عبس) يقول كلح محمد عليه السلام وجهه (وتولى) اعرض بوجهه (ان جاءه الاعمى) اذ جاءه عبد الله بن ام مكتوم وهو عبد الله بن شريح وام مكتوم كانت ام ابيه وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع ثلاثة نفر من

وسلم يكرمه بعدها ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين (وما يدريك) واى شئ
يجعلك داريا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) لعل الاعمى يتطهر عما يسمع

منك من دنس الجهل واصله يتزكى وادغمت التاء في الزاى وكذا (او يذكر) يتعظ (فتنفعه) نصبه عاصم غير الاعشى جوابا للعل وغيره رفعه عطفا على يذكر (الذكرى) ذكراك اى موعظتك اى انك لاتدرى ماهو مترقب منه من تزك او تذكر ولو دريت مافرط ذلك

اشراف قريش منهم العباس بن عبد المطلب عمه وامية بن خلف الجمحى وصفوان بن امية وكانوا كفارا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعظهم ويدعوهم الى الاسلام فجاء ابن ام مكتوم فقال يارسول الله علمني مما علمك الله فاعرض النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه عنه اشتغالا بهؤلاء النفر فنزل فيه عبس كلح محمد عليه السلام بوجهه وتولى اعرض بوجهه عن عبد الله ان جاءه الاعمى ابن ام مكتوم (ومايدريك) يا محمد (لعله) اى الاعمى (يزكى) يصلح بالقرآن (أو يذكر) يتعظ بالقرآن (فتنفعه الذكرى) اى العظة بالقرآن ويقال

مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكرهه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى اوعبس على اختلاف المذهبين وقرئ أأن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقوم والدلالة على انه احق بالرأفه والرفق اولزيادة الانكار كانه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله ﴿ ومايدريك لعله يزكى ﴾ اى واى شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره ﴿ اويذكر فتنفعه الذكرى ﴾ اويتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اى انك طمعت في تزكيته بالاسلام وتذكره بالموعظة

الفهرى من بنى عامر بن لؤى واسم امه عاتكة بنت عبدالله المخزومية وهو ابن خالة خديجة بنت خويلد اسلم قديما بمكة وذلك انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب وابى بن خلف واخاه امية بن خلف ويدعوهم الى الله يرجو اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يارسول الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر النداء وهو لايدرى انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه الصبيان والعبيد والسفلة فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الآيات معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا رآه ويقول مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين وكان من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال انس رأيته يوم القادسية وعليه درع معه راية سوداء عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت انزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يارسول الله ارشدنى وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماء قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخرين ويقول اترى بما اقول بأسا فيقول لا ففى هذا نزلت اخرجه الترمذى وقال حديث غريب ﴿ وما يدريك ﴾ اى اى شئ يجعلك داريا ﴿ لعله يزكى ﴾ اى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح وما يتعلمه منك ﴿ او يذكر ﴾ اى يتعظ ﴿ فتنفعه الذكرى ﴾ اى الموعظة

وما يدريك يا محمد لعله يزكى ان لايصلح او يذكر اولايتعظ فتنفعه الذكرى

(اما)

منك (امامن استغنى) اى من كان غنيا بالمال (فانت له تصدى) تتعرض بالاقبال عليه حرصا على ايمانه تصدى بادغام التاء فى الصاد حجازى (وما عليك الا يزكى) وليس عليك بأس فى ان لايتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (واما من جاءك يسعى) يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) الله او الكفار اى اذاهم فى اتيانك او الكبوة كعادة العميان (فانت عنه تلهى) تتشاغل واصله تتلهى وروى انه ماعبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وروى ان الفقراء فى مجلس الثورى كانوا امراء (كلا) ردع اى لا تعد الى مثله (انها) ان السورة او الآيات (تذكرة) موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره)

ذكره وذكر الضمير لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ والمعنى فمن شاء الذكر الهمه الله تعالى اياه (فى صحف) صفة التذكرة اى انها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح او خبر مبتدأ محذوف اى هى فى صحف (مكرمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء او مرفوعة القدر والمنزلة (مطهرة) عن مس غير الملائكة او عما ليس من كلام الله (بايدى سفرة) كتبة جمع سافر اى الملائكة ينتسخون الكتب

ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل ﴿ اما من استغنى فانت له تصدى ﴾ تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى ﴿ وما عليك الا يزكى ﴾ وليس عليك بأس فى ان لايتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ ﴿ واما من جاءك يسعى ﴾ يسرع طالبا للخير ﴿ وهو يخشى ﴾ الله او اذية الكفار فى اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لاقائد له ﴿ فانت عنه تلهى ﴾ تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغى له ذلك ﴿ كلا ﴾ ردع عن المعاتب عليه اوعن معاودة مثله ﴿ انها تذكرة فمن شاء ذكره ﴾ حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره ﴿ فى صحف ﴾ مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان او خبر محذوف ﴿ مكرمة ﴾ عند الله ﴿ مرفوعة ﴾ القدر ﴿ مطهرة ﴾ منزهة عن ايدى الشياطين ﴿ بايدى سفرة ﴾ كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب

﴿ اما من استغنى ﴾ قال ابن عباس عن الله وعن الايمان بماله من المال ﴿ فانت له تصدى ﴾ اى تتعرض له وتقبل عليه وتصغى الى كلامه ﴿ وما عليك الا يزكى ﴾ اى لا يؤمن ولا يهتدى وانما عليك البلاغ ﴿ واما من جاءك يسعى ﴾ يعنى يمشى يعنى ابن ام مكتوم ﴿ وهو يخشى ﴾ اى الله عز وجل ﴿ فانت عنه تلهى ﴾ اى تتشاغل وتعرض عنه ﴿ كلا ﴾ اى لا تفعل بعدها مثلها ﴿ انها ﴾ يعنى الموعظة وقيل آيات القرآن ﴿ تذكرة ﴾ اى موعظة للخلق ﴿ فمن شاء ﴾ اى من عباد الله ﴿ ذكره ﴾ اى اتعظ به يعنى القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عز وجل ﴿ فى صحف مكرمة ﴾ يعنى القرآن فى اللوح المحفوظ ﴿ مرفوعة ﴾ اى رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة فى السماء السابعة ﴿ مطهرة ﴾ يعنى الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة ﴿ بايدى سفرة ﴾

اولا تنفعه اى العظة (اما من استغنى) عن الله فى نفسه وهم هؤلاء الثلاثة (فانت له تصدى) تقبل عليه بوجهك (وما عليك الا يزكى) الا يوحد هؤلاء الثلاثة (واما من جاءك يسعى) يسرع فى الخير (وهو يخشى) من الله وهو مسلم (قا وخا ٥٨ س) وكان قد اسلم قبل ذلك ابن ام مكتوم (فانت عنه) يا محمد (تلهى) تعرض مشتغلا بهؤلاء الثلاثة (كلا) لا تفعل هكذا يقول لا تقبل على الذى استغنى عن الله فى نفسه وتعرض عمن يخشى الله فكان النبى صلى الله عليه وسلم يكرم ام ابن مكتوم بعد ذلك ويحسن اليه كلا حقا (انها) هذه السورة (تذكرة) عظة من الله للغنى والفقير (فمن شاء ذكره) فمن شاء الله له ان يتعظ اتعظ (فى صحف) يقول القرآن مكتوب فى كتب من آدم (مكرمة) كريمة على الله (مرفوعة) مرتفعة فى السماء (مطهرة) من الادناس والشرك (بايدى سفرة) كتبة

من اللوح (كرام) على الله اوعن المعاصى (بررة) اتقياء جمع بار (قتل الانسان) لعن الكافر او هو امية
او عتبة (ما اكفره) استفهام توبيخ اى اى شئ حمله على الكفر او هو
تعجب اى ما اشد كفره (من اى شئ خلقه) من اى حقير خلقه وهو استفهام ومعناه التقرير ثم بين ذلك الشى فقال (من نطفة خلقه فقدره) على ما يشاء من خلقه (ثم السبيل يسره) نصب السبيل باضمار يسر اى ثم سهل له سبيل الخروج من بطن امه او بين له سبيل الخير والشر (ثم اماته فاقبره) جعله ذاقبر يوارى فيه لا كالبهائم كرامة له قبر الميت دفنه واقبره الميت امره بان يقبره ومكنه منه (ثم اذا شاء انشره) احياه (والحساب)

من اللوح او الوحى او سفراء يسفرون بالوحى بين يدالله تعالى ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها ﴿كرام﴾ اعزاء على الله تعالى اومتعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم ﴿بررة﴾ اتقياء ﴿قتل الانسان ما اكفره﴾ دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه فى الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ ﴿من اى شئ خلقه﴾ بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدا حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال اوفقدره اطوارا الى ان اتم خلقته ﴿ثم السبيل يسره﴾ ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس اوذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة فى التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله ﴿ثم اماته فاقبره﴾ جعل له قبرا يوارى فيه ﴿ثم اذا شاء انشره﴾ وعد الاماتة والاقبار فى النعم لان الاماتة وصلة فى الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفى اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين فى نفسه

قال ابن عباس يعنى كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبون واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم الرسل من الملائكة الى الانبياء واحدهم سفير ثم اثنى عليهم بقوله ﴿كرام﴾ اى هم كرام على الله ﴿بررة﴾ اى مطيعين له جمع بار * قوله عز وجل ﴿قتل الانسان﴾ اى لعن الكافر وطرد ﴿ما اكفره﴾ اى ما اشد كفره بالله مع كثرة احسانه اليه و اياديه عنده وهذا على سبيل التعجب اى اعجبوا من كفره وقيل معناه اى شئ حمله على الكفر نزلت هذه الآية فى عتبة بن ابى لهب وقيل فى امية بن خلف وقيل فى الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة فى كل كافر ثم بين من امره ما كان ينبغى معه ان يعلم ان الله تعالى خالقه منه فقال تعالى ﴿من اى شئ خلقه﴾ لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك فقال تعالى ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾ يعنى خلقه اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر خلقه وقيل قدره يعنى خلق رأسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما اراده ﴿ثم السبيل يسره﴾ اى سهل له طريق خروجه من بطن امه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل احد ما خلق له وقدر عليه ﴿ثم اماته فاقبره﴾ اى جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور او اقبره معناه صيره الله بحيث يقبر وجعله ذا قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبنى آدم على سائر الحيوانات * ثم قال تعالى ﴿ثم اذا شاء انشره﴾ اى احياه بعدموته للبعث

(كرام) هم كرام على الله مسلمون (بررة) صدقة وهم الحفظة اهل السماء الدنيا (قتل الانسان) لعن الكافر عتبة بن ابى لهب (ما اكفره) ما الذى اكفره بالله وبنجوم القرآن يعنى وبالنجم اذا هوى ويقال ما اشد كفره (من اى شئ خلقه) يقول فليتفكر فى نفسه من اى شئ خالقه نسمه ثم بين له فقال (من نطفة خلقه) نسمه (فقدره) قدر خلقه باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء (ثم السبيل يسره) طريق الخير والشر بينه ويقال سبيل الرحم يسره بالخروج (ثم اماته) بعد ذلك (فاقبره) فامر به فقبر (ثم اذا شاء انشره)

بعدموته (كلا) ردع للانسان عن الكفر (لما يقض ما امره) لم يفعل هذا الكافر ما امره الله به من الايمان ولما عدد النعم فى نفسه من ابتداء حدوثه الى آن انتهائه اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الذى يأكله ويحيا به كيف دبرنا امره (أنا) بالفتح كوفى على انه بدل اشتمال من الطعام وبالكسر على الاستئناف غيرهم (صببنا الماء صبا) يعنى المطر من السحاب (ثم شققنا الارض شقا) بالنبات (فانبتنا فيها حبا) كالبر والشعير وغيرهما مما يتغذى به (وعنبا) ثمرة الكرم اى الطعام والفاكهة (وقضبا) رطبة سمى بمصدر قضبه اى قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة (وزيتونا ونخلا وحدائق) بساتين (غلبا) غلاظ الاشجار جمع غلباء (وفاكهة) لكم (وابا) مرعى لدوابكم

وانما هو موكول الى مشيئته تعالى ﴿كلا﴾ ردع للانسان عما هو عليه ﴿لما يقض ما امره﴾ لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله بأسره اذ لايخلو احد من تقصير ما ﴿فلينظر الانسان الى طعامه﴾ اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية ﴿انا صببنا الماء صبا﴾ استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ﴿ثم شققنا الارض شقا﴾ اى بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب ﴿فانبتنا فيها حبا﴾ كالحنطة والشعير ﴿وعنبا وقضبا﴾ يعنى الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى ﴿وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا﴾ عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها اولانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب ﴿وفاكهة وابا﴾ ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع اومن اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعى اوفاكهة

والحساب وانما قال تعالى ثم اذا شاء انشره لان وقت البعث غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله تعالى متى شاء ان يحيى الخلق احياهم ﴿كلا﴾ ردع وزجر للانسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب ﴿لما يقض ما امره﴾ اى لم يفعل ما امره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فانه موضع الاعتبار فقال تعالى ﴿فلينظر الانسان الى طعامه﴾ الى قدرة ربه فيه اى كيف قدره ربه ويسره ودبره له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى ﴿انا صببنا الماء صبا﴾ يعنى المطر ﴿ثم شققنا الارض شقا﴾ اى بالنبات ﴿فانبتنا فيها﴾ اى بذلك الماء ﴿حبا﴾ يعنى الحبوب التى يتغذى بها الانسان ﴿وعنبا﴾ يعنى انه غذاء من وجه وفاكهة من وجه فلهذا اتبعه الحب ﴿وقضبا﴾ يعنى القت وهو الرطب سمى بذلك لانه يقتضب اى يقطع فى كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذى تعلف به الدواب ﴿وزيتونا﴾ وهو ما يعصر منه الزيت ﴿ونخلا وحدائق﴾ جمع حديقة ﴿غلبا﴾ يعنى غلاظ الاشجار وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه على بعض وقال ابن عباس طوالا ﴿وفاكهة﴾ يعنى جميع الوان الفاكهة ﴿وابا﴾ يعنى الكلا والمرعى الذى لم يزرعه الناس مما يأكله الدواب والانعام وقيل الفاكهة ما يأكله الناس والاب ما يأكله الدواب وقال ابن عباس ما انبتت الارض مما يأكل الناس والانعام روى ابراهيم التيمى ان ابا بكر رضى الله عنه سئل عن قوله وفاكهة وابا فقال اى سماء تظلنى واى ارض تقلنى اذا قلت

بعثه من القبر (كلا) حقا يا محمد (لما) لم (يقض) والالف ههنا صلة لم يؤد (ما امره) الذى أمره الله من التوحيد وغيره (فلينظر الانسان) فليتفكر الكافر عتبة بن ابى لهب (الى طعامه) فى رزقه الذى يأكله كيف يحول من حال الى حال حتى يأكله ثم بين له تحويله فقال (انا صببنا الماء صبا) يعنى المطر على على الارض صبا (ثم شققنا) صدعنا (الارض شقا) صدعا بالنبات (فانبتنا فيها) فى الارض (حبا) الحبوب كلها (وعنبا) يعنى الكروم (وقضبا) قتا ويقال هو الرطبة (وزيتونا) شجرة الزيتون (ونخلا) يعنى النخيل (وحدائق) ما احيط عليها من الشجر والنخيل (غلبا) غلاظا طوالا (وفاكهة) والوان الفاكهة (وابا) يعنى

(متاعا) مصدر اى منفعة (لكم ولا نعامكم فاذا جاءت الصاخة) صيحة القيامة لانها تصخ الآذان اى تصمها وجوابه محذوف

لاشتغاله بنفسه (وصاحبته) وزوجته (وبنيه) بدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم احب قيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (لكل امرئ منهم يومئذ شأن) فى نفسه (يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به ويشغله عن غيره (وجوه يومئذ مسفرة) مضيئة من قيام الليل او من آثار الوضوء (ضاحكة مستبشرة)

يابسة تؤب للشتاء ﴿ متاعا لكم ولا نعامكم ﴾ فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف ﴿ فاذا جاءت الصاخة ﴾ اى النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها ﴿ يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ﴾ لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لاينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر فى حقهم وتأخير الاحب فالاحب كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه اى يهمه ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ﴾ مضيئة من اسفار الصبح ﴿ ضاحكة مستبشرة ﴾ بما ترى من النعيم

فى كتاب الله ما لا اعلم (خ) عن انس ان عمر قرأ وفاكهة وابا قال فما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا بهذا لفظ البخارى وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه ﴿ متاعا لكم ﴾ يعنى الفواكه والحب والعشب منفعة لكم ﴿ ولانعامكم ﴾ ثم ذكر اهوال القيامة فقال تعالى ﴿ فاذا جاءت الصاخة ﴾ يعنى صيحة القيامة سميت صاخة لانها تصخ اسماع الخلق اى تبالغ فى اسماعهم حتى تكاد تصمها ﴿ يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ﴾ اى انه لايلتفت الى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب فى ذلك الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول ما واسيتنى بمالك والابوان يقولان قصرت فى برنا والصاحبة تقول لم توفنى حقى والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر هابيل من اخيه قابيل وابراهيم عليه الصلاة والسلام من ابيه ولوط عليه السلام من صاحبته ونوح عليه السلام من ابنه وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كانوا يقربونهم فى الدنيا ويتقوون بهم ويتعززون بهم يفرون منهم فى الدار الآخرة وفائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه بل من ابويه لانهما اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقه بهما اشد من تعلقه بالابوين ﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ اى يشغله شأن نفسه عن شأن غيره عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امرأة ايبصر احدنا او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * ولما ذكر الله تعالى حال القيامة واهوالها بين حال المكلفين وانهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء فوصف السعداء بقوله تعالى ﴿ وجوه يومئذ مسفرة ﴾ اى مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضاء وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من اثر الوضوء وقيل من الغبار فى سبيل الله ﴿ ضاحكة ﴾ اى عند الفراغ من الحساب ﴿ مستبشرة ﴾ اى (بالسرور)

الكلا ويقال هو التبن (متاعا لكم) منفعة الحبوب وغيرها (ولانعامكم) الكلا (فاذا جاءت الصاخة) وهو قيام الساعة صاخ وخضع وانقاد واجاب لها كل شى وتذل الخلائق ويعلمون انها كائنة ثم بين متى تكون فقال (يوم يفر المرء) المؤمن (من اخيه) الكافر (وامه) ويفر من امه (وابيه) ويفر من ابيه (وصاحبته) ويفر من زوجته (وبنيه) ويفر من بنيه ويقال يفر هابيل من قابيل وابراهيم من ابيه ولوط من زوجته واعلة ونوح من ابنه كنعان

(لكل امرئ منهم يومئذ) يوم القيامة (شأن يغنيه) عمل يشغله عن غيره (وجوه) وجوه المؤمنين المصدقين فى ايمانهم (يومئذ) يوم القيامة (مسفرة) مشرقة برضا الله عنها (ضاحكة) معجبة بكرامة الله لها (مستبشرة)

اى اصحاب هذه الوجوه وهم المؤمنون ضاحكون مسرورون (ووجوه يومئذ عليها غبرة) غبار (ترهقها قترة) يعلو الغبرة سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه (اولئك)

اهل هذه الحالة (هم الكفرة) فى حقوق الله (الفجرة) فى حقوق العباد ولما جمعوا الفجور الى الكفر جمع الى سواد وجوههم الغبرة والله اعلم

﴿ سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا الشمس كورت) ذهب بضوئها من كورت العمامة اذا لففتها اى يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق وارتفاع الشمس بالفاعلية ورافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه

﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ غبار وكدورة ﴿ ترهقها قترة ﴾ تغشاها سواد وظلمة ﴿ اولئك هم الكفرة الفجرة ﴾ الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

﴿ سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اذا الشمس كورت ﴾ لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف او لف ضوؤها فذهب انبساطه فى الآفاق وزال اثره او القيت عن فلكها من طعنه فكوره اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل

بالسرور فرحة بما تنال من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء فقال تعالى ﴿ ووجوه يومئذ عليها غبرة ﴾ اى سواد وكآبة للهم الذى نزل بهم ﴿ ترهقها قترة ﴾ اى تعلوها وتغشاها ظلمة وكسوف وقال ابن عباس تغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان اسفل فى الارض والقترة ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء ﴿ اولئك ﴾ اى الذين صنع بهم هذا ﴿ هم الكفرة الفجرة ﴾ جمع كافر وفاجر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية ومائة ﴾

﴿ واربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا ﴾

عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه رأى العين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت اخرجه الترمذى

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ اذا الشمس كورت ﴾ قال ابن عباس اظلمت وغورت وقيل اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض الشئ الى بعض ومعناه ان الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها قال ابن عباس يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضربها فتصير نارا (خ) عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما فى النار يكون

مسرورة بثواب الله (ووجوه) وجوه المنافقين والكفار (يومئذ) يوم القيامة (عليها غبرة) غبار (ترهقها) تعلوها وتغشاها (قترة) كآبة وكسوف (اولئك) اهل هذه الصفة (هم الكفرة) بالله (الفجرة) الكذبة على الله

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها اذا الشمس كورت وهى كلها مكية آياتها تسع وعشرون وكلماتها مائة واربع وحروفها خمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اذا الشمس كورت) يقول تكورت كما تكور العمامة ويرمى بها فى حجاب النور ويقال دهورت ويقال ذهب

من معنى الشرط (واذا النجوم انكدرت) تساقطت (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض وابعدت او سيرت فى الجو تسيير السحاب(واذا العشار) جمع عشراء وهى الناقة التى اتى على حملها عشرة

يفسره مابعدها اولى لان اذا الشرطية تطالب الفعل ﴿ واذا النجوم انكدرت ﴾ انقضت قال * ابصر خربان فضاء فانكدر * اواظلمت من كدرت الماء فانكدر ﴿ واذا الجبال سيرت ﴾ عن وجه الارض اوفى الجو ﴿ واذا العشار ﴾ النوق اللواتى اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء ﴿ عطلت ﴾ تركت مهملة او السحائب اللاتى عن المطر وقرئ بالتخفيف ﴿ واذا الوحوش حشرت ﴾ جمعت من كل جانب او بعثت للقصاص ثم ردت ترابا واميتت من قولهم اذا احجفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد (واذا البحار سجرت ﴾ احميت اوملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو

سببا لازدياد الحر فى جهنم ﴿ واذا النجوم انكدرت ﴾ اى تناثرت من السماء وسقطت على الارض قال الكلبى وعطاء تمطر السماء يومئذ نجوما فلا يبقى نجم الاوقع ﴿ واذا الجبال سيرت ﴾ اى عن وجه الارض فصارت هباء منثورا ﴿واذا العشار عطلت﴾ يعنى النوق الحوامل التى اتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لايزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام سنة وهى انفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا راع اهملها اهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم القيامة ﴿ واذا الوحوش ﴾ يعنى من دواب البر ﴿ حشرت ﴾ اى جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض وقال ابن عباس حشرها موتها قال وحشر كل شئ موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة ﴿ واذا البحار سجرت ﴾ قال ابن عباس اوقدت فصارت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها فى بعض العذب والملح حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم اهل النار وقيل سجرت اى يبست وذهب ماؤها فلم تبق فيها قطرة قال ابى بن كعب ست ايات قبل يوم القيامة بينما الناس فى اسواقهم اذذهب ضوء الشمس فبينماهم كذلك اذوقعت الجبال على ارض فبينماهم كذلك اذتناثرت النجوم فتحركت واضطربت وفزعت الانس والجن واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم فى بعض فذلك قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا البحار سجرت فحينئذ تقول الجن للانس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون الى البحر فاذا هو نار تأجج فبينماهم كذلك اذانصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينماهم كذلك اذجاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هى اثنتا عشرة خصلة

اشهر ثم هو اسمها الى ان تضع لتمام السنة (عطلت) اهملت عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم وكانوا يحبسونها اذا بلغت هذه الحالة لعزتها عندهم ويعطلون مادونها عطلت بالتخفيف عن اليزيدى (واذا الوحوش حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص فاذاقضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الامافيه سرور لبنى آدم كالطاوس ونحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها يقال اذا احجفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة (واذا البحار سجرت) سجرت مكى وبصرى من سجر التنور اذاملاه بالحطب اى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا

ضوءها (واذا النجوم انكدرت) تساقطت على وجه الارض (واذا الجبال سيرت) ذهبت عن وجه الارض (واذا العشار) النوق الحوامل (عطلت) عطلها اربابها اشتغالا بانفسهم (واذا الوحوش حشرت) البهائم للقصاص (ستة) ويقال حشرها موتها (واذا البحار سجرت) فتح بعضها فى بعض المالح فى العذب فصارت بحرا واحدا ويقال صيرت نارا

لتعذيب اهل النار (واذا النفوس زوجت) قرنت كل نفس بشكلها الصالح مع الصالح فى الجنة والطالح مع الطالح فى النار اوقرنت الارواح بالاجساد اوبكتبها واعمالها اونفوس المؤمنين بالحور العين ونفوس الكافرين بالشياطين (واذا الموؤدة) المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات خشية الاملاق وخوف الاسترقاق (سئلت) سؤال تلطف لتقول بلا ذنب قتلت او لتدل على قاتلها اوهو توبيخ لقاتلها بصرف الخطاب عنه كقوله أأنت قلت للناس الآية (بأى ذنب قتلت) وبالتشديد يزيد وفيه دليل على ان اطفال المشركين لايعذبون وعلى ان التعذيب لايكون بلاذنب (واذا الصحف نشرت) فتحت وبالتخفيف مدنى وشامى وعاصم وسهل ويعقوب والمراد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها

وروح بالتخفيف ﴿ واذا النفوس زوجت ﴾ قرنت بالابدان اوكل منها بشكلها او بكتابها اوعملها اونفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين ﴿واذا الموؤدة﴾ المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق اولحوق العار بهم من اجلهن ﴿ سئلت بأى ذنب قتلت ﴾ تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله وقرئ سألت اى خاصمت عن نفسها وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية ﴿واذا الصحف نشرت﴾ يعنى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالتشديد للمبالغة فى النشر

ستة فى الدنيا وستة فى الآخرة وهى ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى ﴿ واذا النفوس زوجت ﴾ روى النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار وقيل ألحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل زوجت النفوس اعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح الى الاجساد ﴿ واذا الموؤدة سئلت ﴾ يعنى الجارية التى دفنت وهى حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤدها اى يثقلها حين تموت وكانت العرب تفعل ذلك فى الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة وروى عن ابن عباس قال كانت المرأة فى الجاهلية اذا حملت وكان اوان ولادتها حفرت حفيرة فتمخضت على رأس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها فى الحفيرة واذا ولدت غلاما حبسته وقيل كان الرجل فى الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد بقاءها حية ألبسها جبة صوف او شعر وتركها ترعى الابل والغنم فى البادية واذا اراد قتلها تركها حتى تشب فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقدحفر بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائد والموؤدة فى النار اخرجه ابو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد ولم يئد فافتخر به الفرزدق فى شعره فقال

ومنا الذى منع الوائدات * واحيا الوئيد فلم توأد

﴿ بأى ذنب قتلت ﴾ معناه تسئل الموؤدة فيقال لها باى ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب ﴿ واذا الصحف نشرت ﴾ يعنى صحائف الاعمال

(واذا النفوس زوجت) قرنت بالازوج ويقال قرنت بقرينها المؤمن بحور العين و الكافر بالشيطان والصالح بالصالح والفاجر بالفاجر (واذا الموؤدة) المقتولة المدفونة (سئلت) اى سألت أباها (بأى ذنب قتلت) باى ذنب قتلتنى و يقال واذا الوائد يعنى القاتل سئل باى ذنب قتلتها (واذا الصحف) ديوان الحسنات والسيئات (نشرت) للحساب ويقال تطايرت

اى فرقت بينهم (واذا السماء كشطت) قال الزجاج قلعت كما يقلع السقف (واذا الجحيم سعرت) اوقدت ايقادا شديدا وبالتشديد شامى ومدنى وعاصم غير حماد ويحيى للمبالغة (واذا الجنة ازلفت) ادنيت من المتقين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد فهذه اثنتا عشرة خصلة ستة منها فى الدنيا والباقية فى الآخرة ولا وقف مطلقا من اول السورة الى ما احضرت لان عامل النصب فى اذا الشمس وفيما عطف عليه جوابها وهو (علمت نفس) اى كل نفس والضرورة انقطاع النفس على كل آية جواز الوقف (ما احضرت) من خير

وشر (فلا اقسم) لا زائدة (بالخنس) بالرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى اوله (الجوار) السيارة (الكنس) الغيب من كنس الوحش اذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب (والليل اذا عسعس) اقبل بظلامه او ادبر فهو من الاضداد (والصبح اذا تنفس) امتد ضوءه

فى الافق (واذا السماء كشطت) نزعت من اماكنها وطويت (واذا الجحيم سعرت) اوقدت للكافرين (واذا الجنة أزلفت) قربت للمتقين (علمت نفس) علمت كل

اولكثرة الصحف اولشدة التطاير ﴿واذا السماء كشطت﴾ قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير ﴿واذا الجحيم سعرت﴾ اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد ﴿واذا الجنة ازلفت﴾ قربت من المؤمنين ﴿علمت نفس ما احضرت﴾ جواب اذا وانما صح والمذكور فى سياقها ثنتا عشرة خصلة ست منها فى مبادى قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها وللمجازاة النفوس على اعمالهم ونفس فى معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة ﴿فلا اقسم بالخنس﴾ بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهى ماسوى النيرين من الكواكب السيارات ولذلك وصفها بقوله ﴿الجوار الكنس﴾ اى السيارات التى تختفى تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر ﴿والليل اذا عسعس﴾ اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر ﴿والصبح اذا تنفس﴾ اى اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم

تنشر للحساب ﴿واذا السماء كشطت﴾ اى نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشفت وزيلت عمن فيها ﴿واذا الجحيم سعرت﴾ او قدت لاعداء الله تعالى ﴿واذا الجنة ازلفت﴾ اى قربت لاولياء الله ﴿علمت نفس ما احضرت﴾ يعنى عند ذلك تعلم كل نفس ما احضرت من خير اوشر وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى هنا * قوله عزوجل ﴿فلا اقسم﴾ لا زائدة والمعنى اقسم وقد تقدم ذلك فى قوله لا اقسم بيوم القيامة ﴿بالخنس الجوار الكنس﴾ يعنى النجوم تبدو بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى روى عن على بن ابى طالب وقيل هى النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد تخنس فى مجاريها اى ترجع وراءها فى الفلك وتكنس اى تستتر وقت اختفائها وقيل انها تخنس اى تتأخر عن مطالعها والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هى الظباء وهى رواية عن ابن عباس واصل الخنوس الرجوع الى وراء والكنوس هو ان تأوى الى كناسها وهو الموضع الذى يأوى اليه الوحش ﴿والليل اذا عسعس﴾ اى اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام وذلك يكون فى طرف الليل ﴿والصبح اذا تنفس﴾ اى

نفس برة او فاجرة عندذلك (ما أحضرت) ماقدمت من خير او شر (فلا أقسم) يقول (اقبل)
اقسم (بالخنس) وهى النجوم التى يخنسن بالنهار ويظهرن بالليل (الجوار الكنس) ويجرين بالليل الى المجرة يكنسن بالنهار ثم يرجعن الى اماكنهن ويغبن وكنوسهن غيبوبتهن وسقوطهن رجوعهن الى اماكنهن وهى هذه الانجم الخمسة زهرة وزحل ومريخ ومشترى وعطارد (والليل اذا عسعس) اذا ادبر وذهب (والصبح اذا تنفس) اذا اقبل

ولما كان اقبال الصبح يلازمه الروح والنسيم جعل ذلك نفساله مجازا وجواب القسم (انه) اى القرآن (لقول رسول) اى جبريل عليه السلام وانما اضيف القرآن اليه لانه هوالذى نزل به (كريم) عند ربه (ذى قوة) قدرة على مايكلف لا يعجز عنه ولايضعف عندالله (مكين) ذى جاه ومنزلة ولما كانت حال المكانة على حسب حال المكين قال عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته (مطاع ثم) اى فى السموات يطيعه من فيها اوعند ذى العرش اوعندالله يطيعه ملائكته المقربون يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه (امين) على الوحى (وما صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تزعم الكفرة وهو عطف على جواب القسم (ولقد رآه) راى محمد جبريل عليه السلام على صورته (بالافق المبين)

﴿ انه ﴾ القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ يعنى جبريل عليه السلام فانه قاله عن الله تعالى ﴿ ذى قوة ﴾ كقوله تعالى شديد القوى ﴿ عند ذى العرش مكين ﴾ عندالله ذى مكانة ﴿ مطاع ﴾ فى ملائكته ﴿ ثم امين ﴾ على الوحى وثم يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات ﴿ وماصاحبكم بمجنون ﴾ كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفى الجنون عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وهوضعيف اذ المقصود منه نفى قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لاتعداد فضلهما والموازنة بينهما ﴿ ولقد رآه ﴾ ولقد رأى رسول الله جبريل عليه السلام ﴿ بالافق المبين ﴾ بمطلع الشمس الاعلى

اقبل وبدا اوله وقيل اسفر وفى تنفسه قولان احدهما ان فى اقبال الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك نفسا على المجاز الثانى انه شبه الليل بالمكروب المحزون فاذا تنفس وجد راحة فكانه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى ﴿ انه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لقول رسول كريم ﴾ يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عزوجل ﴿ ذى قوة ﴾ وكان من قوته انه اقتلع قرى قوم لوط الاربع من الماء الاسود وحملها على جناحه فرفعها الى السماء ثم قلبها وانه ابصر ابليس يكلم عيسى عليه الصلاة والسلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة القاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السماء الى الارض ثم يصعد فى اسرع من رد الطرف ﴿ عند ذى العرش مكين ﴾ اى فى المنزلة والجاه ﴿ مطاع ثم ﴾ اى فى السموات تطيعه الملائكة ومن طاعة الملائكة له انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله ﴿ امين ﴾ يعنى على وحى الله تعالى الى انبيائه ﴿ وماصاحبكم ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة ﴿ بمجنون ﴾ وهذا ايضا من جواب القسم اقسم على ان القرآن نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يقول اهل مكة وذلك انهم قالوا انه مجنون وان مايقوله ليس هو الا من عند نفسه فنفى الله عنه الجنون وكون القرآن من عند نفسه ﴿ ولقد رآه ﴾ يعنى رأى النبى صلى الله عليه وسلم جبريل عليه الصلاة والسلام على صورته التى خلق فيها ﴿ بالافق المبين ﴾ يعنى بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة

واستضاء اقسم الله بهذه الاشياء (انه) يعنى القرآن (لقول رسول كريم) يقول الله نزل به جبريل على رسول كريم على الله يعنى محمدا عليه السلام (ذى قوة) على اعدائه يعنى جبريل (عند ذى العرش مكين) عندالله له القدر والمنزلة (مطاع) يعنى جبريل مطاع (ثم) فى السماء يطيعه الملائكة (امين) ﴿ قا وخا ٥٩ س ﴾ على الرسالة الى انبيائه (وما صاحبكم) نبيكم محمد يا معشر قريش (بمجنون) بمختنق كما تقولون (ولقد رآه) راى محمد عليه السلام جبريل (بالافق المبين) بمطلع الشمس

بمطالع الشمس (وماهو على الغيب) وما محمد على الوحى (بضنين) بخيل من الضن وهو البخل لايبخل بالوحى كما يبخل الكهان
رغبة فى الحلوان بل يعلمه كما علم ولايكتم شيأ مما علم بظنين مكى وابوعمرو وعلى اى بمتهم فينقص شيأ مما اوحى اليه
اوزيد فيه من الظنة وهى التهمة (وما هو) اى ما القرآن (بقول شيطان
رجيم) طريد وهو كقوله
وماتنزلت به الشياطين اى
ليس هو بقول بعض المسترقة
للسمع ويوحيهم الى
اوليائهم من الكهنة (فأين
تذهبون) استضلال لهم
كما يقال لتارك الجادة
اعتسافا اوذهابا فى بنات
الطريق اين تذهب مثلت
حالهم بحاله فى تركهم
الحق وعدولهم عنه الى
الباطل وقال الزجاج معناه
فاى طريق تسلكون
ابين من هذه الطريقة التى
بينت لكم وقال الجنيد فأين
تذهبون عنا وان من شئ
الا عندنا (ان هو الا
ذكر للعالمين) ما القرآن
الاعظة للخلق (لمن شاء
منكم) بدل من العالمين
(ان يستقيم) اى القرآن

﴿ وماهو ﴾ وما محمد ﴿ على الغيب ﴾ على مايخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب
﴿ بظنين ﴾ بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بالضاد
من الضن وهو البخل اى لايبخل بالتعليم والتبليغ و لضاد من اصل حافة للسان ومايليها
من الاضراس من يمين اللسان اويساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا
﴿ وماهو بقول شيطان رجيم ﴾ بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى قولهم انه
لكهانة وسحر ﴿ فاين تذهبون ﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول والقرآن
كقولك لتارك الجادة اين تذهب ﴿ ان هو الا ذكر للعالمين ﴾ تذكير لمن يعلم
﴿ لمن شاء منكم ان يستقيم ﴾ بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم

والسلام انى احب ان اراك فى صورتك التى تكون فيها فى السماء قال ان تقوى
على ذلك قال بلى قال فاين تشاء ان اتخيل لك قال بالابطح قال لايسعنى ذلك قال فبمنى
قال لايسعنى ذلك قال فبعرفات قال لايسعنى ذلك قال بحراء قال ان يسعنى فواعده فخرج
النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات
بخشخشة وكلكلة قدملأ مابين المشرق والمغرب ورأسه فى السماء ورجلاه فى الارض
فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه فتحول جبريل على صورته وضمه
الى صدره وقال يا محمد لاتخف فكيف لورأيت اسرافيل وراسه تحت العرش
ورجلاه فى تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه ليتضاءل احيانا من
مخافة الله جل جلاله و علا علاؤه وشأنه حتى يصير كالصعو يعنى العصفور حتى
مايحمل عرش ربك الا عظمته ﴿ وما هو ﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم
﴿ على الغيب ﴾ اى الوحى وخبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا عن علمه
من القصص والانباء ﴿ بظنين ﴾ قرئ بالظاء ومعناه بمتهم والمظنة التهمة وقرئ
بضنين بالضاد ومعناه بخيل يقول انه يأتيه علم الغيب ولايبخل به عليكم ويخبركم به ولا
يكتمه كما يكتم الكاهن ماعنده حتى يأخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراءة
الظاء اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى الله عنه تلك التهمة ولو اراد البخل لقال
وما هو بالغيب ﴿ وماهو ﴾ يعنى القرآن ﴿ بقول شيطان رجيم ﴾ يعنى ان القرآن
ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون ان شيطانا يلقيه على لسانه
فنفى الله ذلك عنه ﴿ فأين تذهبون ﴾ فأين تعدلون عن القرآن وفيه الشفاء والهدى
والبيان وقيل معناه اى طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التى قد بينت لكم
﴿ ان هو ﴾ يعنى ما القرآن ﴿ الا ذكر للعالمين ﴾ اى موعظة للخلق اجمعين
﴿ لمن شاء منكم ان يستقيم ﴾ اى يتبع الحق ويقيم عليه وينتفع به ثم بين ان مشيئة

المرتفع (وما هو) يعنى
محمدا صلى الله عليه وسلم
(على الغيب) على الوحى
(بظنين) بمتهم ويقال
بخيل ان قرأت بالضاد
(وما هو) يعنى القرآن
(بقول شيطان رجيم)
متمرد لعين اسمه المرمى
(فأين تذهبون) من
عذاب الله يامعشر الكفار
وامره ونهيه ويقال فأين تذهبون من اين تكذبون ويقال فاين تميلون عن القرآن فلا تؤمنون به ° (العبد)
(ان هو) ماهو يعنى القرآن (الا ذكر) عظة من الله (للعالمين) الجن والانس (لمن شاء منكم ان يستقيم) على ما امره الله

ذكر لمن شاء الاستقامة يعنى ان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول فى الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا (وماتشاؤن) الاستقامة (الاان يشاء الله رب العالمين) مالك الخلق اجمعين

﴿ سورة الانفطار مكية وهى تسع عشرة آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (اذاالسماء انفطرت) انشقت (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت (واذا البحار فجرت) فتح بعضها الى بعض وصارت البحار بحرا واحدا (واذاالقبور بعثرت) بحثت و اخرج موتاها وجواب اذا (علمت نفس) اى كل نفس برة وفاجرة (ما قدمت) ما عملت من الطاعة (وأخرت) وتركت ولم تعمل اوما قدمت من الصدقات وما

المنتفعون بالتذكير ﴿وماتشاؤن﴾ الاستقامة يا من يشاءها ﴿الاان يشاء الله﴾ الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم ﴿رب العالمين﴾ مالك الخلق كله * قال عليه الصلاة والسلام من قرا سورة التكوير اعاذه الله من ان يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿ سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة ﴾

بسم الله الرحمن لرحيم

﴿ اذا لسماء انفطرت ﴾ انشقت ﴿ واذاالكواكب انتثرت ﴾ تساقطت متفرقة ﴿ واذاالبحار فجرت ﴾ فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا ﴿ واذاالقبور بعثرت ﴾ قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انها مركب من بعث وراء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى ﴿ علمت نفس ما قدمت ﴾ من عمل اوصدقة ﴿ واخرت ﴾ من سيئة او تركة ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا

العبد موقوفة بمشيئته فقال تعالى ﴿ وماتشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين ﴾ اعلمهم الله ان المشيئة فى التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشيئة الله وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لايعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولاشرا الا بخذلانه ومشيئته والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الانفطار مكية وهى تسع وعشرة آية وثمانون كلمة ﴾

﴿ وثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزوجل ﴿ اذا السماء انفطرت ﴾ اى انشقت ﴿ واذا الكواكب انتثرت ﴾ اى تساقطت ﴿ واذا البحار فجرت ﴾ اى فجر بعضها فى بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت فاضت ﴿ واذا القبور بعثرت ﴾ اى بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احياء ﴿ علمت نفس ماقدمت واخرت ﴾ يعنى علمت فى ذلك اليوم ماقدمت من عمل صالح اوسيئ واخرت بعدها من حسنة اوسيئة وقيل ماقدمت من الصدقات واخرت من الزكوات وهذه احوال يوم القيامة * قوله

من التوحيد وغيره (وماتشاؤن) من الاستقامة والتوحيد (الاان يشاء الله) لكم ذلك (رب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه الارض من اهل السماء والارض

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الانفطار وهى كلها مكية آياتها تسع عشرة وكلماتها ثمانون كلمة وحروفها مائة وسبعة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اذاالسماء انفطرت) انشقت بنزول الرب بلا كيف والملائكة وما يشاء من امره (واذا الكواكب انتثرت) تساقطت على وجه الارض (واذا البحار فجرت) فتحت بعضها فى بعض عذبها فى مالحها ومالحها فى عذبها فصارت بحرا واحدا (واذاالقبور بعثرت) بحثت واخرج مافيها من الاموات (علمت نفس) كل نفس عند ذلك (ماقدمت) من خير او شر (واخرت) ما أثرت من سنة صالحة اوسنة سيئة ويقال ماقدمت

اخرت من الميراث (يا ايها الانسان) قيل الخطاب لمنكرى البعث (ماغرك بربك الكريم الذى خلقك) اى شئ خدعك حتى ضيعت ماوجب عليك مع كرم ربك حيث انعم عليك بالخلق والتسوية والتعديل وعنه عليه السلام حين تلاها غره جهله وعن عمر

رضى الله عنه غره حمقه وعن الحسن غره شيطانه

﴿ يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم ﴾ اى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ماشئت فربك كريم لا يعذب احدا ولا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه ﴿ الذى خلقك فسواك فعدلك ﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما تستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت اوفصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات ﴿ فى اى صورة ماشاء ركبك ﴾ اى ركبك فى اى صورة شاءها

عز وجل ﴿ يا ايها الانسان ماغرك بربك الكريم ﴾ اى ما خدعك وسول لك الباطل حتى صنعت ماصنعت وضيعت ما اوجب عليك والمعنى ماذا امنك من عقابه قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وقيل فى ابى الشريق واسمه اسيد بن كلدة وقيل كلدة ابن خلف وكان كافرا ضرب النبى صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه الله وانزل الله هذه الاية وقيل الآية عامة فى كل كافر وعاص يقول ماالذى غرك قيل غره حمقه وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حيث لم يعاجله بالعقوبة فى اول مرة بربك الكريم اى المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجاء التوبة قال ابن مسعود مامنكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم ماغرك بى يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله يوم القيامة فيقول لك يا ابن آدم ماغرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول غرنى ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو اقامنى بين يديه وقال ماغرك بى اقول غرنى برك بى سالفا وآنفا وقال ابوبكر الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون سائر اسمائه وصفاته كانه لقنه حجته فى الاجابة حتى يقول غرنى كرم الكريم ﴿ الذى خلقك ﴾ اى اوجدك من العدم الى الوجود ﴿ فسواك ﴾ اى جعلك سويا سالم الاعضاء تسمع وتبصر ﴿ فعدلك ﴾ اى عدل خلقك فى مناسبة الاعضاء فلم يجعل بعضها اطول من بعض وقيل معناه جعلك قائما معتدلا حسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية ﴿ فى اى صورة ماشاء ركبك ﴾ اى فى اى شبه

وعن الفضيل لو خوطبت اقول غرتنى ستورك المرخاة وعن يحيى بن معاذ اقول غرنى برك بى سالفا وآنفا (فسواك) فجعلك مستوى الخلق سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها اسود وجعلك معتدل الخلق تمشى قائما لا كالبهائم وبالتخفيف كوفى وهو بمعنى المشدد اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت فكنت معتدل الخلقة متناسبا (فى اى صورة ماشاء ركبك) مامزيدة للتوكيد اى ركبك فى اى صورة اقتضتها مشيئته من الصورة المختلفة فى الحسن والقبح والطول والقصر ولم يعطف هذه الجملة كما عطف ماقبلها لانها بيان لعدلك والجار يتعلق بركبك على معنى

اى أدت من طاعة وما اخرت اى ضيعت (يا ايها الانسان) يعنى الكافر كلدة بن اسيد (ما غرك بربك) حين كفرت بربك (الكريم) المتجاوز (الذى خلقك) نسمة من نطفة (فسواك) فى بطن امك (فعدلك) فجعلك معتدل القامة (فى اى صورة ماشاء ركبك) (من)

وضعك فى بعض الصور ومكنك فيها او بمحذوف اى ركبك حاصلا فى بعض الصور (كلا) ردع عن الغفلة عن الله تعالى (بل تكذبون بالدين) اصلا وهو الجزاء اودين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا (وان عليكم لحافظين) اعمالكم واقوالكم من الملائكة (كراما كاتبين) يعنى انكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم اعمالكم لتجاوزوا بها (يعلمون ما تفعلون) لا يخفى عليهم شئ من اعمالكم وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وانه عندالله من جلائل الامور وفيه انذار وتهويل للمجرمين ولطف للمتقين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين (ان الابرار لفى نعيم) ان المؤمنين لفى نعيم الجنة (وان الفجار لفى جحيم) وان الكفار لفى النار (يصلونها يوم الدين) يدخلونها يوم الجزاء (وماهم عنها بغائبين) اى لا يخرجون منها كقوله وماهم بخارجين منها ثم عظم شأن يوم القيامة فقال (وماادراك ما يوم الدين

وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك ﴿كلا﴾ ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله ﴿بل تكذبون بالدين﴾ اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء اوالاسلام ﴿وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون﴾ تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عندالله لتعظيم الجزآء ﴿ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم﴾ بيان لما يكتبون لاجله ﴿يصلونها﴾ يقاسون حرها ﴿يوم الدين وماهم عنها بغائبين﴾ لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها فى القبور ﴿وما ادراك ما يوم الدين﴾

من اب اوام او خال او عم وجاء فى الحديث ان النطفة اذا استقرت فى الرحم احضر كل عرق بينه وبين آدم ثم قرأ فى اى صورة ماشاء ركبك وقيل معناه ان شاء ركبك فى صورة انسان وان شاء فى صورة دابة اوحيوان وقيل فى اى صورة ماشاء ركبك من الصور المختلفة بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفى هذه دلالة على قدرة الصانع المختار القادر وذلك انه لما اختلفت الهيئات والصفات دل ذلك على كمال القدرة واتساع الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى * قوله عز وجل ﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ اى بيوم الحساب والجزاء ﴿وان عليكم لحافظين﴾ يعنى رقباء من الملائكة يحفظون عليكم اعمالكم ﴿كراما﴾ اى على الله ﴿كاتبين﴾ اى يكتبون اقوالكم واعمالكم ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ يعنى من خير اوشر * قوله عز وجل ﴿ان الابرار﴾ يعنى الذين بروا وصدقوا فى ايمانهم باداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه ﴿لفى نعيم﴾ يعنى نعيم الجنة ﴿وان الفجار لفى جحيم﴾ روى ان سليمان بن عبدالملك قال لابى حازم المزنى ليت شعرى مالنا عندالله فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم مالك عندالله قال اين اجد ذلك فى كتاب الله قال عند قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فأين رحمة الله قال قريب من المحسنين ﴿يصلونها يوم الدين﴾ يعنى يوم القيامة لانه يوم الجزاء ﴿وماهم عنها بغائبين﴾ اى عن النار ثم عظم شأن ذلك اليوم فقال تعالى ﴿وماادراك ما يوم الدين﴾ قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبى صلى الله

ان شاء شبهك فى صورة الاعمام وصورة الاخوال وان شاء حسنا وان شاء دميما وان شاء صورك فى صورة القردة والخنازير واشباه ذلك (كلا) حقا (بل تكذبون) يا معشر قريش (بالدين) بالحساب والقضاء (وان عليكم لحافظين) من الملائكة يحفظونكم ويحفظون اعمالكم (كراما) هم كرام على الله مسلمون (كاتبين) يكتبون اعمالكم (يعلمون ما تفعلون) وماتقولون من الخير والشر ويكتبون ذلك كله (ان الابرار) الصادقين فى ايمانهم ابابكر واصحابه (لفى نعيم) فى جنة دائم نعيمها (وان الفجار) الكفار كلدة واصحابه (لفى جحيم) فى نار (يصلونها) يدخلونها (يوم الدين) يوم الحساب والقضاء فيه بين الخلائق (وماهم) يعنى الكفار (عنها) عن النار (بغائبين) اذا دخلوا فيها (وما ادراك) يا محمد (ما يوم الدين) ما يوم الحساب

ثم ما ادراك ما يوم الدين) فكرر للتأكيد والتهويل وبينه بقوله (يوم لاتملك نفس لنفس شيأ) اى لاتستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه وانما تملك الشفاعة بالاذن يوم بالرفع مكى وبصرى اى هو او بدل من يوم الدين ومن نصب فباضمار اذكر او باضمار يدانون لان الدين يدل عليه (والامر يومئذ لله)

اى الامر لله دون غيره

﴿سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) مبتدأ خبره (للمطففين) الذين يبخسون حقوق الناس فى الكيل والوزن

ثم ما ادراك ما يوم الدين ﴾ تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اى كنه امره بحيث لايدركه دراية دار ﴿ يوم لاتملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله ﴾ تقرير لشدة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

﴿ سورة المطففين مختلف فيها وآيها ست وثلاثون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ويل للمطففين ﴾ التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اى حقير روى ان اهل المدينة كانوا اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفى الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا

عليه وسلم والمعنى اى شئ اعلمك به لولم نعرفك احواله ﴿ ثم ما ادراك ما يوم الدين ﴾ التكرير لتعظيم ذلك اليوم وتفخيم شأنه ﴿ يوم لاتملك نفس لنفس شيأ ﴾ اى لاتملك نفس كافرة لنفس كافرة شيأ من المنفعة ﴿ والامر يومئذ لله ﴾ يعنى انه لم يملك الله فى ذلك احدا شيأ كما ملكهم فى الدنيا والله اعلم

﴿ تفسير سورة المطففين مدنية ﴾

فى قول ومكية فى قول وقيل فيها ثمان آيات مكية وهى من قوله ان الذين اجرموا الى آخرها وقيل فيها آية مكية وهى قوله تعالى اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين وقيل انها نزلت بين مكة والمدينة زمن الهجرة وهى ست وثلاثون آية ومائة وتسع وستون كلمة وسبعمائة وثلاثون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قوله عز وجل ﴿ ويل ﴾ اى قبح وهى كلمة تذكر عند وقوع البلاء يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد فى جهنم ﴿ للمطففين ﴾ يعنى الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق فى الكيل والوزن الا الشئ اليسير الطفيف قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقيل لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال

(ثم ما ادراك) يا محمد (ما يوم الدين) ما يوم الحساب يعجبه بذلك تعظيما له ثم بين له فقال (يوم لاتملك) لا تقدر (نفس) مؤمنة (لنفس) كافرة (شيأ) من النجاة والشفاعة (والامر) الحكم والقضاء بين العباد (يومئذ لله) بيد الله لا يملكه يومئذ غيره ولا ينازعه احد

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها المطففين بين مكة والمدينة نزلت على رسول الله عليه وسلم فى مهاجرته الى المدينة فاستتمت بالمدينة آياتها ست وثلاثون وكلماتها مائة وتسع وستون وحروفها سبعمائة وثلاثون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ويل) شدة العذاب (للمطففين) (بالآخر) بالكيل والوزن وهم اهل المدينة كانوا مسيئين بالكيل والوزن قبل مجئ محمد عليه السلام اليهم فنزلت على النبى صلى الله عليه وسلم فى مسيره بالهجرة الى المدينة هذه سورة ويل شدة العذاب للمطففين المسيئين بالكيل والوزن ثم بينهم

(الذين اذا اكتالوا على النـاس يستوفون) اى اذا اخذوا بالكيل من الناس يأخذون حقوقهم وافية تامة ولما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من للدلالة على ذلك ويجـوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الاختصاص اى يستوفون على الناس خاصة وقال الفراء من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكانه قال استوفيت منك والضمير المنصوب فى (واذا كالوهم او وزنوهم) راجع الى الناس اى كالوالهـم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل وانما لم يقل او تزنوا كما قيل او وزنوهم اكتفـاء و يحتمل ان المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل لتمكنهـم بالاكتيـال من الاستيفـاء والسرقة لانهم يدعون و يحتالون فى الملء واذا اعطوا كالوا او وزنوا لتمكنهـم من البخس فى النوعـين (يخسرون) ينقصـون يقال خسر الميزان واخسره (ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظـيم) يعنى يوم القيامة ادخـل همزة الاستفهـام على لا النافية توبيخا وليست الا هذه للتنبيه وفيـه انكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجتراء على التطفيف كانهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم

النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الاحبس عنهم القطر ﴿ الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ﴾ اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحـامل فيه عليهم ﴿ واذا كالوهم او وزنوهم ﴾ اى اذا كالوا للنـاس او وزنوا لهم ﴿ يخسرون ﴾ فحذف الجار واوصل الفعل كقوله * ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا * بمعنى جنيت لك اوكالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تأكيدا للمتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ماقبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم فى الاخذ والدفع لا فى المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف فى نظائره ﴿ ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ﴾ فان من ظن ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجيب من حالهم ﴿ ليوم عظيم ﴾ عظمه لعظم

بالآخر فانزل الله هذه الآية وجعل الويل للمطففين ثم بين من هم فقال تعالى ﴿ الذين اذا اكتالوا على النـاس يستوفون ﴾ يعنى انهم اذا اكتـالوا من الناس ومن وعلى يتعاقبان وقيل معناه اذا اكتالوا من الناس اى اشتروا شيأ استوفوا عليهم لانفسهم الكيـل والوزن ﴿ واذا كالوهم او وزنوهم ﴾ يعنى واذا كالوالهم او وزنوا لهم للناس كما يقال نصحتك ونصحت لك ﴿ يخسرون ﴾ اى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من يأخذ لنفسه زائدا و يدفع الى غيره ناقصـا ويتناول الوعيد القليل والكثير لكن اذا لم يتب منه فان تاب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا على كبيرة من الكبائر وذلك لان عامة الخلق محتاجون الى المعـاملات وهى مبنية على امر الكيل والوزن والزرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له اتق الله اوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العرق وقال قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعـدل كما تحب ان يعدل لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة ﴿ ألا يظن ﴾ اى الا يعلم ويستيقن ﴿ أولئك ﴾ اى الذين يفعلون هذا الفعـل وهم المطففون ﴿ انهم مبعوثون ليوم عظيم ﴾ يعنى يوم القيامة

فقال (الذين اذا اكتالوا على الناس) اذا اشتروا من الناس وكالوا لانفسهم اووزنوا لانفسهم (يستوفون) يتمون الكيل والوزن جدا (واذا كالوهم) كالوا لغيرهم (ووزنوهم) ووزنوا لغيرهم (يخسرون) ينقصون فى الكيل والوزن ويسيؤن جدا ويقال ويل شدة العذاب يومئذ للمطففين من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك من العبادات (ألا يظن) ألا يعلم ويستيقن (اولئك) المطففون بالكيل والوزن (انهم مبعوثون) محيون (ليوم عظيم) شديد

مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة ولو ظنوا انهم يبعثون ما نقصوا فى الكيل والوزن وعن عبدالملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله فى المطففين اراد بذلك ان المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تأخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن ونصب (يوم يقوم الناس) بمبعوثون (لرب العالمين) لامره وجزائه وعن ابن عمر انه قرأ هذه السورة فلما بلغ هنا بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعدها (كلا) ردع وتنبيه اى ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ونبههم على انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم فقال (ان كتاب الفجار) صحائف اعمالهم (لفى سجين وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم) فان قلت قد اخبر الله عن كتاب الفجار بانه فى سجين

هوله وهو يوم القيامة (يوم يقوم الناس) من القبور (لرب العالمين) رب كل ذى روح دب على وجه الارض ومن اهل السماء فلما قرأ عليهم النبى صلى الله عليه وسلم هذه السورة تابوا ورجعوا الى وفاء الكيل والوزن (كلا) حقا يا محمد (ان كتاب الفجار) اعمال الكفار (لفى سجين وما ادراك) يا محمد (ما سجين) ما فى السجين تعظيما لها (كتاب مرقوم) يقول اعمال بنى آدم مكتوب فى صخرة خضراء تحت الارض السابعة السفلى وهى سجين

(تفسيرا)

ما يكونون فيه ﴿يوم يقوم الناس﴾ نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القراءة بالجر ﴿لرب العالمين﴾ لحكمه وفى هذا الانكار والتعجيب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير عنه برب العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه ﴿كلا﴾ ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ﴿ان كتاب الفجار﴾ ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم ﴿لفى سجين﴾ كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال ﴿وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم﴾ اى مسطور بين

﴿يوم يقوم الناس﴾ يعنى من قبورهم ﴿لرب العالمين﴾ اى لامره وجزائه وحسابه (ق) عن نافع ان ابن عمر تلا الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم فى رشحه الى انصاف اذنيه وروى مرفوعا (م) عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تدنو الشمس من رؤس الخلائق يوم القيامة حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذى او ميلين قال سليم بن عامر والله ما ادرى ما يعنى بالميل مسافة الارض او الميل ما تكتحل به العين قال فيكون الناس على قدر اعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه الى فيه * قوله عز وجل ﴿كلا﴾ قيل انه ردع وتنبيه اى ليس الامر على ما هم عليه من بخس الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فعلى هذا تم الكلام هنا وقيل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقا ﴿ان كتاب الفجار﴾ اى الذى كتبت فيه اعمالهم ﴿لفى سجين﴾ قال ابن عمر هى الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروى البغوى باسناد الثعلبى عن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليون فى السماء السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرنى عن قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لفى سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس لمعرفتها الهلاك بحساب يوم القيامة وقيل هى صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضراء خضرة السماء منها فتقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هى آخر سلطان ابليس وجاء فى الحديث الفلق جب فى جهنم مغطى وسجين جب فى جهنم مفتوح وقيل معناه لفى سجين لفى خسار وضلال وقيل انه مشتق من السجن ومعناه لفى حبس وضيق شديد ﴿وما ادراك ما سجين﴾ اى ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك وقيل انما قال ذلك تعظيما لامر سجين ﴿كتاب مرقوم﴾ ليس هذا

وفسر سجينا بكتاب مرقوم فكانه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فامعناه قات سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين والكفرة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لاخير فيه من رقم الثياب علامتها والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم اولانه مطروح تحت الارض السابعة فى مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته وهو اسم عام منقول من وصف كحاتم منصرف لوجود سبب واحد وهو العلمية فحسب (ويل يومئذ) يوم يخرج المكتوب (للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين) الجزاء والحساب (ومايكذب به) بذلك اليوم (الا كل معتد) مجاوز للحد (أثيم) مكتسب للاثم (اذا تتلى عليه آياتنا) اى القرآن (قال اساطير الاولين) اى احاديث المتقدمين وقال الزجاج اساطير اباطيل واحدها اسطورة مثل احدوثة واحاديث (كلا) ردع للمعتد الاثيم عن هذا القول (بل) نفى لما قالوا ويقف حفص على بل وقيفة (ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) غطاها كسبهم اى غلب على قلوبهم حتى غمرها ما كانوا يكسبون من المعاصى وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى

الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لاخير فيه فعيل من السجن اقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل انه تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم مكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بالحق او بذلك ﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ صفة مخصصة او موضحة اوذامة ﴿وما يكذب به الا كل معتد﴾ متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة ﴿اثيم﴾ منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها ﴿اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين﴾ من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لم تنفعه دلائل العقل ﴿كلا﴾ ردع عن هذا القول ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ رد لماقالوه

تفسيرا للسجين وانما هو بيان للكتاب المذكور فى قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم اى مكتوب فيه اعمالهم مثبتة عليهم كالرقم فى الثوب لاينسى ولايمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم بشر كانه عام بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اى مختوم وهو بلغة حمير ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين ومعنى الآية ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل مرقوم معناه مرقوم بالشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اى فى ذلك اليوم من ذلك الكتاب المرقوم عليهم بالشقاوة ﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ اى بيوم القيامة لانه يوم الجزاء ﴿ومايكذب به﴾ اى بيوم القيامة ﴿الا كل معتد﴾ اى متجاوز عن نهج الحق ﴿أثيم﴾ هو مبالغة فى الاثم وهو المرتكب الاثم والمعاصى ﴿اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين﴾ اى اكاذيب الاولين * قوله عز وجل ﴿كلا﴾ اى لايؤمن ثم استأنف فقال ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذى قال الله بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون اخرجه الترمذى

(ويل) شدة العذاب (يومئذ) ﴿قاوخا ٦٠ س﴾ يوم القيامة (للمكذبين) بالايمان والبعث (الذين يكذبون بيوم الدين) بيوم الحساب والقضاء فيه (ومايكذب به) بيوم الدين (الا كل معتد) عن الحق غشوم ظلوم (اثيم) فاجر مثل الوليد بن المغيرة المخزومى (اذا تتلى) تقرأ (عليه) على الوليد بن المغيرة (آياتنا) القرآن بالامر والنهى (قال اساطير الاولين) هذه احاديث الاولين فى دهرهم وكذبهم (كلا) حقا يا محمد (بل ران) بل طبع الله (على قلوبهم) على قلوب المكذبين بيوم الدين ويقال الذنب على الذنب حتى يسود القلب وهو رين القلب (ما كانوا يكسبون) بما كانوا يقولون

يسود القلب وعن الضحاك الرين موت القلب وعن ابى سليمان الرين والقسوة زماما الغفلة ودواؤهما ادمان الصوم فان وجد بعد ذلك قسوة فليترك الادام (كلا) ردع عن الكسب الرائن على القلب (انهم عن ربهم) عن رؤية ربهم (يومئذ لمحجوبون) لممنوعون والحجب المنع قال الزجاج فى الآية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم والالايكون التخصيص مفيدا و قال الحسين بن الفضل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته وقال مالك ابن انس رحمه الله لما حجب اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة ربهم لانهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة والاول اصح لان الرؤية اقوى الكرامات والحجب عنها دليل الحجب عن غيرها (ثم انهم لصالوا الجحيم) ثم بعد كونهم محجوبين عن ربهم لداخلون النار (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) اى هذا

وبيان لماادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر بل رين بالامالة ﴿كلا﴾ ردع عن الكسب الرائن ﴿انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك اوقدر مضافا مثل رحمة ربهم اوقرب ربهم ﴿ثم انهم لصالوا الجحيم﴾ ليدخلون النار ويصلونها ﴿ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون﴾

وقال حديث حسن صحيح واصل الران الغلبة ومعنى الآية ان الذنوب والمعاصى غلبت على قلوبهم واحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب وقال ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع الله على القلب وهواشد من الرين والاقفال اشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه يغشى القلب شئ كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب ﴿كلا﴾ قال ابن عباس يريد لايصدقون وقيل معناه ليس الامر كما يقولون انهم فى الآخرة خيرا ثم استأنف فقال تعالى ﴿انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله لا ينظر اليهم ولا يزكيهم وهذا التفسير فيه ضعف اما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثانى فان من حجب عن الله فان الله لاينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه و لذى ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤية الله وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الآية من اثبت الرؤية للمؤمنين قالوا لولاذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه آخر وهو انه تعالى ذكر الحجاب فى معرض الوعيد والتهديد للكفار ومايكون وعيدا وتهديدا للكفار لايجوز حصوله فى حق المؤمنين فوجب انلايحصل هذا الحجاب فى حق المؤمنين قال الحسن لوعلم الزاهدون والعابدون انهم لايرون ربهم فى المعاد لزهقت انفسهم فى الدنيا وقيل كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب الله اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى رأوه وقال الشافعى فى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما حجب قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا ثم اخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال عز من قائل ﴿ثم انهم لصالوا الجحيم﴾ اى لداخلوا النار ﴿ثم يقال﴾ اى تقول لهم الخزنة ﴿هذا﴾ اى هذا العذاب ﴿الذى كنتم به تكذبون﴾ يعنى فى الدنيا

ويعملون فى الشرك (كلا) حقا يا محمد (انهم) يعنى المكذبين بيوم الدين (عن ربهم) عن النظر الى ربهم (يومئذ) يوم القيامة (لمحجوبون) لممنوعون والمؤمنون لايحجبون عن النظر الى ربهم (ثم انهم لصالوا الجحيم) لداخلوا النار (ثم يقال) يقول لهم الزبانية اذا دخلوا فيها (هذا الذى كنتم به) هذا العذاب هوالذى كنتم به فى الدنيا (تكذبون) انه (كلا)

العذاب هو الذى كنتم تكذبون به فى الدنيا وتنكرون وقوعه (كلا) ردع عن التكذيب (ان كتاب الابرار) ما كتب من اعمالهم والابرار المطيعون الذين لايطففون ويؤمنون بالبعث لانه ذكر فى مقابلة الفجار وبين الفجار بانهم المكذبون بيوم الدين وعن الحسن البر الذى لايؤذى الذر (لفى عليين) هو علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء النقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمى به لانه سبب الارتفاع الى اعلى الدرجات فى الجنة اولانه مرفوع فى السماء السابعة حيث تسكن الكروبيون تكريما له (وما أدراك) ما الذى اعلمك يا محمد (ما عليون) اى شئ هو (كتاب مرقوم يشهده المقربون) تحضره الملائكة قيل يشهد عمل الابرار مقربو كل سماء اذا رفع (ان الابرار لفى نعيم) تنعم فى الجنان (على الارائك) الاسرة فى الحجال (ينظرون) الى كرامة الله ونعمه والى اعدائهم كيف يعذبون (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) بهجة التنعم وطراوته (يسقون من رحيق) شراب خالص (مختوم

يقول لهم الزبانية ﴿كلا﴾ تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر اوردع عن التكذيب ﴿ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم﴾ الكلام فيه ما مر فى نظيره ﴿يشهده المقربون﴾ يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيامة ﴿ان الابرار لفى نعيم على الارائك﴾ على الاسرة فى الحجال ﴿ينظرون﴾ الى ما يسرهم من النعيم والمتفرجات ﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾ بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع ﴿يسقون من رحيق﴾ شراب خالص ﴿مختوم

﴿كلا﴾ اى ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا اى لايؤمنون بالعذاب الذى يصلونه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى ﴿ان كتاب الابرار لفى عليين﴾ جمع على من العلو وقيل هو موضوع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين فى السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة العرش اليمنى وقال ابن عباس فى رواية عنه هى الجنة وقيل هى سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هى مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقد عظمها الله واعلاها ﴿وما ادراك ما عليون﴾ تنبيها له على عظم شأنه ﴿كتاب مرقوم﴾ ليس تفسيرا لعليين والمعنى ان كتاب الابرار كتاب مرقوم فى عليين فيه ما اعد الله لهم فى الآخرة من الكرامة وقيل مكتوب فيه اعمالهم وعليون محل الملائكة وضده سجين وهو محل ابليس وجنوده ﴿يشهده المقربون﴾ يعنى الملائكة الذين هم فى عليين يشهدون اى يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن * قوله تعالى ﴿ان الابرار﴾ يعنى المطيعين لله ﴿لفى نعيم﴾ يعنى نعيم الجنة ﴿على الارائك﴾ جمع اريكة وهى الاسرة فى الحجال ﴿ينظرون﴾ اى الى ما اعد الله لهم من نعيم الجنة وقيل ينظرون الى اعدائهم كيف يعذبون فى النار وقيل ينظرون الى ربهم سبحانه وتعالى ﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم﴾ يعنى انك اذا رأيتهم تعرف انهم من اهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض قيل النضرة فى الوجه والسرور فى القلب ﴿يسقون من رحيق﴾ يعنى الخمر الصافية الطيبة البيضاء ﴿مختوم﴾ يعنى ختم على ذلك الشراب ومنع من ان تمسه الايدى

لايكون (كلا) حقا يا محمد (ان كتاب الابرار) اعمال الصادقين فى ايمانهم (لفى عليين وما ادراك) يا محمد (ما عليون) ما فى عليين (كتاب مرقوم) يقول اعمال الابرار مكتوبة فى لوح من زبرجدة خضراء فوق السماء السابعة تحت عرش الرحمن وهو عليون (يشهده المقربون) مقربو اهل كل سماء اعمال الابرار (ان الابرار) الصادقين فى ايمانهم وهم الذين لايؤذون الذر (لفى نعيم) فى جنة دائم نعيمها (على الارائك) على السرر فى الحجال (ينظرون) الى اهل النار (تعرف) يا محمد (فى وجوههم) وجوه اهل الجنة (نضرة النعيم) حسن النعيم (يسقون) فى الجنة (من رحيق) من خمر (مختوم) ممزوج

ختامه مسك) تختم اوانيه بمسك بدل الطين الذى يختم به الشراب فى الدنيا امرالله تعالى بالختم عليه اكراما لاصحابه اوختامه مسك مقطعه رائحة مسك اى توجد رائحة المسك عند خاتمة شربه خاتمه على (وفى ذلك) الرحيق اوالنعيم (فليتنافس

فايرغب الراغبون وذا انما يكون بالمسارعة الى الخيرات والانتهاء عن السيآت (ومزاجه)ومزاج الرحيق (من تسنيم) هو عام لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه لانها ارفع شراب فى الجنة اولانها تأتيهم من فوق وتنصب فى اوانيهم (عينا) حال أو نصب على المدح (يشرب بها) اى منها (المقربون) عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم يشربها المقربون صرفا وتمزج لاصحاب اليمين (ان الذين اجرموا) كفروا (كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فى الدنيا استهزاء بهم (واذا مروا بهم يتغامزون) يشير بعضهم الى بعض بالعين

ختامه مسك ﴾ اى مختوم اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته اوالذى له ختام اى مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء اى ما يختم به ويقطع ﴿ وفى ذلك ﴾ يعنى الرحيق اوالنعيم ﴿ فليتنافس المتنافسون ﴾ فايرتغب المرتغبون ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها او رفعة شرابها ﴿ عينا يشرب بها المقربون ﴾ فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله وتمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح اوالحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عبادالله ﴿ ان الذين اجرموا ﴾ يعنى رؤساء قريش ﴿ كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴾ كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين ﴿ واذا مروا بهم يتغامزون ﴾

الى ان يفك ختمه الابرار فان قلت قد قال فى سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار من خمر والنهر لايختم عليه فكيف طريق الجمع بين الآيتين قلت يحتمل ان يكون المذكور فى هذه الآية فى اوان مختوم عليها وهى غير تلك الخمر التى فى الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها ﴿ ختامه مسك ﴾ اى طينته التى ختم عليه بها مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اى ممزوج ختامه اى آخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك ﴿ وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ اى فليرغب الراغبون بالمبادرة الى طاعة الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل اصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اى يضن ويبخل ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ اى شراب ينصب عليهم من غرفهم ومنازلهم وقيل يجرى فى الهواء مسنما فيصب فى اوانى اهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلأت امسك واصل هذه الكلمة من العلو ومنه سنام البعير لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من اشرف شراب اهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونه صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة أعين ﴿ عينا يشرب بها ﴾ اى منها وقيل يشربها ﴿ المقربون ﴾ اى صرفا * وقوله عز وجل ﴿ ان الذين اجرموا ﴾ اى اشركوا يعنى كفار قريش ابا جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واصحابهم من مترفى اهل مكة ﴿ كانوا من الذين آمنوا ﴾ اى من عمار وخباب وصهيب وبلال واصحابهم من فقراء المؤمنين ﴿ يضحكون ﴾ اى منهم ويستهزئون بهم ﴿ واذا مروا بهم ﴾ يعنى مر المؤمنون الفقراء بالكفار الاغنياء ﴿ يتغامزون ﴾ يعنى يتغامز الكفار والغمز

(ختامه) عاقبته (مسك وفى ذلك) فيما ذكرت فى الجنة (فليتنافس المتنافسون) فليعمل العاملون وليجتهد المجتهدون وليبادر المبادرون وليباذل المباذلون (ومزاجه) خلطه (من تسنيم عينا) يصب عليهم من جنة عدن (يشرب بها) منها من عين التسنيم (المقربون) الى جنة عدن صرفا بلا خلط (ان الذين اجرموا) اشركوا ابو جهل واصحابه (كانوا من الذين آمنوا) على الذين آمنوا على واصحابه (يضحكون) يهزؤن ويسخرون (واذا مروا بهم) بالكفار يأتون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتغامزون) يطعنون

﴿الاشارة﴾

طعنا فيهم وعيبا لهم قيل جاء على رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا وقالوا اترون هذا الاصلع فنزلت قبل ان يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا الى اهلهم) اى اذا رجع الكفار منازلهم (انقلبوا فكهين) متلذذين بذكرهم والسخرية منهم وقرأ غير حفص فاكهين اى فرحين (واذا رأوهم) واذا رأى الكافرون المؤمنين (قالوا ان هؤلاء لضالون) اى خدع محمد هؤلاء فضلوا وتركوا اللذات لما يرجونه فى الآخرة فقد تركوا الحقيقية بالخيال وهذا هو عين الضلال (وما أرسلوا) وما ارسل الكفار (عليهم) على المؤمنين (حافظين) يحفظون عليهم احوالهم ويرقبون اعمالهم بل امروا باصلاح انفسهم فاشتغالهم بذلك اولى بهم من تتبع غيرهم وتسفية احلامهم (فاليوم) اى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) ثم كما ضحكوا منهم هنا مجازاة (على الارائك ينظرون) حال اى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ماهم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والاستكبار وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح باب للكفار الى الجنة فيقال لهم هلموا الى الجنة فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم (هل ثوب الكفار

يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم ﴿واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين﴾ متلذذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين ﴿واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون﴾ واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال ﴿وما ارسلوا عليهم﴾ على المؤمنين ﴿حافظين﴾ يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليه اغلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم ﴿على الارائك ينظرون﴾ حال من يضحكون ﴿هل ثوب الكفار﴾ اى هل اثيبوا

الاشارة بالجفن والحاجب اى يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم ﴿واذا انقلبوا الى اهلهم﴾ يعنى الكفار ﴿انقلبوا فكهين﴾ اى معجبين بما هم فيه وقيل يتقلبون بذكرهم كانهم يتفكهون بحديثهم ﴿واذا رأوهم﴾ يعنى رأوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ﴿قالوا ان هؤلاء لضالون﴾ اى هم فى ضلال يأتون محمدا ويرون انهم على شئ قال الله عز وجل ﴿وما ارسلوا﴾ يعنى المشركين ﴿عليهم﴾ يعنى على المؤمنين ﴿حافظين﴾ اى لاعمالهم والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم * قوله عز وجل ﴿فاليوم﴾ يعنى فى الآخرة ﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا فى الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما افضوا الى الآخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون فى السرور والنعيم وصار الكفار فى العذاب والبلاء فضحك المؤمنون من الكافرين لما رأوا حالهم وقال ابو صالح تفتح للكافرين ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم فيفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدوه فى الدنيا من الكفار اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب فيضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴿على الارائك﴾ جمع اريكة هو السرير ويتخذ فى الحجلة وهى الكلة يزين بها لبيت وارائك الجنة من الدر والياقوت ﴿ينظرون﴾ يعنى اليهم وهم فى النار يعذبون قال الله تعالى ﴿هل ثوب الكفار﴾ اى جوزى الكفار

(واذا انقلبوا) واذا رجع الكفار (الى اهلهم انقلبوا) رجعوا (فكهين) معجبين بشركهم واستهزائهم على المؤمنين (واذا رأوهم) اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعنى الكفار (ان هؤلاء) اصحاب النبى عليه السلام (لضالون) عن الهدى (وما ارسلوا عليهم) ما سلطوا على المؤمنين (حافظين) لهم ولاعمالهم (فاليوم) وهو يوم القيامة (الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن وهو على واصحابه (من الكفار) على الكفار (يضحكون على الارائك) على السرر فى الحجال (ينظرون) الى اهل النار يسحبون فى النار (هل ثوب الكفار) هل جوزى الكفار فى الآخرة

ماكانوا يفعلون) هل جوزوا بسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا اذا فعل بهم ماذكر والله اعلم ﴿سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (اذا السماء انشقت) تصدعت وتشققت (وأذنت لربها) سمعت واطاعت واجابت ربها الى الانشقاق ولم تأب ولم تمتنع (وحقت) وحق لها ان تسمع وتطيع لامر الله اذ هى مصنوعة مربوبة لله تعالى (واذا الارض مدت) بسطت وسويت باندكاك جبالها وكل مت فيها (وألقت مافيها) ورمت مافى جوفها من الكنوز والموتى (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شئ فى باطنها كانها تكلفت اقصى جهدها فى الخلو يقال تكرم الكريم اذا بلغ جهده فى الكرم وتكلف فوق مافى طبعه (وأذنت لربها) فى القاء مافى بطنها وتخليها (وحقت) وهى حقيقة بان تنقاد ولا تمتنع وحذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم بمثلها من سورة التكوير والانفطار وجوابه

﴿ماكانوا يفعلون﴾ وقرأ حمزة والكسائى بادغام اللام فى التاء * قال النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

﴿سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿اذا السماء انشقت﴾ بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة ﴿وأذنت لربها﴾ واستمعت له اى انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى يأذن للآمر ويذعن له ﴿وحقت﴾ اى وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق ﴿واذا الارض مدت﴾ بسطت بان تزال جبالها وآكامها ﴿والقت ما فيها﴾ ما فى جوفها من الكنوز والاموات ﴿وتخلت﴾ وتكلفت فى الخلو اقصى جهدها حتى لم يبق شئ فى باطنها ﴿واذنت لربها﴾ فى الالقاء والتخلية ﴿وحقت﴾ للاذن وتكرير

﴿ماكانوا يفعلون﴾ اى بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب واثيب بمعنى قال اوس

سأجزيك اويجزيك عنى مثوب * وحسبك ان يثنى عليك وتحمدى

والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة الانشقاق وهى مكية وخمس وعشرون آية ومائة﴾

﴿وسبع كلمات واربعمائة وثلاثون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿اذا السماء انشقت﴾ يعنى عند قيام الساعة وهى من علاماتها ﴿وأذنت لربها﴾ اى سمعت امر ربها بالانشقاق واطاعته من الاذن وهو الاستماع ﴿وحقت﴾ اى حق لها ان تطيع امر ربها ﴿واذا الارض مدت﴾ يعنى مد الاديم العكاظى وزيد فى سعتها وقيل سويت فلايبقى فيها بناء ولاجبل ﴿والقت مافيها﴾ اى اخرجت مافى بطنها من الموتى والكنوز ﴿وتخلت﴾ اى من ذلك الذى كان فى بطنها من الموتى والكنوز ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ واختلفوا فى جواب اذا فقيل

(ماكانوا يفعلون) الا بما كانوا يعملون ويقولون فى الدنيا ﴿ومن السورة التى يذكر فيها الانشقاق وهى كلها مكية آياتها ثلاث وعشرون وكلماتها مائة وتسع وحروفها سبعمائة وثلاثون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اذا السماء انشقت) يقول انشقت بالغمام والغمام مثل السحاب الابيض لنزول الرب بلا كيف والملائكة ومايشاء من امره (واذنت) سمعت واطاعت (لربها وحقت) حق لها ان تفعل (واذا الارض مدت) مدالاديم العكاظى وبسطت ويقال نزعت من اماكنها وسويت (والقت ما فيها) من الاموات والكنوز (وتخلت) عن ذلك فصارت خالية من ذلك (واذنت) سمعت واطاعت (لربها وحقت) وحق لها ذلك

(جوابه)

مادل عليه فملاقيه اى اذاالسماء انشقت لاقى الانسان كدحه (ياايها الانسان) خطاب للجنس (انك كادح الى ربك كدحا) جاهد الى لقاء ربك وهوالموت ومابعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) الضمير للكدح وهو جهد النفس فى العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها والمراد جزاء الكدح ان خيرا فخير وان شرا فشر وقيل لقاء الكدح لقاء كتاب فيه ذلك الكدح يدل عليه قوله (فاما من اوتى كتابه بيمينه) اى كتاب عمله (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) سهلا هينا وهو ان يجازى على الحسنات ويتجاوز عن السيآت وفى الحديث من حاسب يعذب فقيل فاين قوله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض ومن نوقش فى الحساب عذب (وينقلب الى اهله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين او الى فريق المؤمنين او الى اهله فى الجنة من الحور العين (مسرورا) فرحا (واما من أوتى كتابه وراء ظهره) قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره

اذالاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر فى سورتى التكوير والانفطار اولدلالة قوله ﴿ ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه ﴾ عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه و ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اعتراض والكدح اليه السعى الى لقاء جزائه ﴿ فامامن اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا ﴾ سهلا لايناقش فيه ﴿ وينقلب الى اهله مسرورا ﴾ الى عشيرته المؤمنين اوفريق المؤمنين اواهله فى الجنة من الحور ﴿ واما من اوتى كتابه وراء ظهره ﴾ اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل

جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان الثواب اوالعقاب وقيل جوابه ياايهاالانسان انك كادح والمعنى اذا انشقت السماء لقى كل كادح ماعمله وقيل جوابه واذنت وحينئذ تكون الواو زائدة ﴿ ياايهاالانسان انك كادح الى ربك كدحا ﴾ اى ساع اليه فى عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده فى الامر من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح فى لقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك تكدح فى دنياك كدحا تصير به الى ربك ﴿ فملاقيه ﴾ اى فملاق جزاء عملك خيرا كان او شرا وقيل فملاق ربك ﴿ فامامن أوتى كتابه بيمينه ﴾ يعنى ديوان عمله ﴿فسوف يحاسب حسابايسيرا ﴾ سوف من الله واجب والحساب اليسير هو ان تعرض عليه اعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز له عن المعصية فهذا هوالحساب اليسير لانه لاشدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولايقال له لمفعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه متى طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح (ق) عن ابن ابى ملكية ان عائشة كانت لاتسمع شيأ لاتعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبى صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فقلت اوليس يقول الله عز وجل فسوف يحاسب حسابايسيرا قالت فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب ﴿ وينقلب الى اهله ﴾ يعنى فى الجنة من الحورالعين والآدميات ﴿ مسرورا ﴾ اى بما اوتى من الخير والكرامة ﴿ واما من أوتى كتابه وراء ظهره ﴾ يعنى انه تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده الشمال فتخرج من وراء ظهره فيعطى بها كتابه

(ياايهاالانسان) وهو الكافر ابو الاسود بن كلدة بن اسيد بن خلف (انك كادح) يقول عامل عملا فى كفرك فترجع بذلك (الى ربك كدحا) فى الآخرة ويقال ساع سعيا (فملاقيه) عملك من خير اوشر (فأمامن اوتى) اعطى (كتابه) كتاب حسناته (بيمينه) وهو ابو سلمة بن عبدالاسد (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) هينا وهوالعرض (وينقلب) يرجع فى الآخرة (الى اهله) الذى اعدالله له فى الجنة (مسرورا) بهم (واما من اوتى كتابه) اعطى كتاب سيئاته (وراء ظهره) خلف ظهره بشماله وهوالاسود بن عبدالاسد

(فسوف يدعو ثبورا) يقول ياثبوراه والثبور الهلاك (ويصلى) عراقى غير على (سعيرا) اى ويدخل جهنم (انه كان) فى الدنيا (فى اهله) معهم (مسرورا) بالكفر يضحك ممن آمن بالبعث قيل كان لنفسه متابعا وفى مراتع هواه واقعا (انه

ظن ان لن يحور) لن يرجع الى ربه تكذيبا

يسراه وراء ظهره ﴿ فسوف يدعو ثبورا ﴾ يتمنى الثبور ويقول ياثبوراه وهو الهلاك ﴿ ويصلى سعيرا ﴾ وقرأ الحجازيان والشامى والكسائى ويصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه جهنم ﴿ انه كان فى اهله ﴾ فى الدنيا ﴿ مسرورا ﴾ بطرا بالمال والجاه فارغا عن الآخرة ﴿ انه ظن ان لن يحور ﴾ لن يرجع الى الله تعالى ﴿ بلى ﴾ ايجاب لما بعد لن ﴿ ان ربه كان به بصيرا ﴾ عالما باعماله فلايهمله بل يرجعه ويجازيه ﴿ فلااقسم بالشفق ﴾ الحمرة التى ترى فى افق المغرب بعد الغروب وعن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه انه البياض الذى يليها سمى به لرقته من الشفقة ﴿ والليل وما وسق ﴾ وماجمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال * مستوسقات لويجدن سائقا * اوطرده الى اماكنه من الوسيقة ﴿ والقمر اذا اتسق ﴾ اجتمع وتم بدرا ﴿ لتركبن

﴿ فسوف يدعو ثبورا ﴾ يعنى عند اعطاء كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم انه من اهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول ياويلاه ياثبوراه ﴿ ويصلى سعيرا ﴾ اى ويقاسى التهاب النار وحرها ﴿ انه كان فى اهله ﴾ يعنى فى الدنيا ﴿ مسرورا ﴾ يعنى باتباع هواه وركوب شهواته ﴿ انه ظن ان لن يحور ﴾ اى لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع ﴿ بلى ﴾ اى ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويبعث ويحاسب ﴿ ان ربه كان به بصيرا ﴾ اى من يوم خلقه الى ان يبعثه * قوله عز وجل ﴿ فلااقسم بالشفق ﴾ تقدم الكلام فى تفسير لااقسم فى سورة القيامة واما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته فى ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو مابقى من النهار وقال ابن عباس واكثر المفسرين هو الحمرة التى تبقى فى الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض الذى يعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابى حنيفة ﴿ والليل وماوسق ﴾ اى جمع وضم ما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شئ الى مأواه وقيل وماعمل فيه ويحتمل ان يكون ذلك تهجد العباد فيجوز ان يقسم به ﴿ والقمر اذا اتسق ﴾ اى اجتمع وتم نوره وذلك فى الايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى ﴿ لتركبن ﴾ قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى

بالبعث قال ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت تفسيره حتى سمعت اعرابية تقول لبنتها حورى اى ارجعى (بلى) ايجاب لما بعد النفى فى لن يحور اى بلى ليحورن (ان ربه كان به) وباعماله (بصيرا) لايخفى عليه فلابد ان يرجعه ويجازيه عليها (فلا اقسم بالشفق) فاقسم بالبياض بعد الحمرة او الحمرة (والليل وماوسق) جمع وضم والمراد ماجمعه من الظلمة والنجم او ما عمل فيه من التهجد وغيره (والقمر اذا اتسق) اجتمع وتم بدرا افتعل من الوسق (لتركبن) ايها الناس على ارادة الجنس

اخو ابى سلمة (فسوف يدعو ثبورا) يقول واويلاه واثبوراه (ويصلى سعيرا) يدخل نارا وقودا (انه كان فى اهله مسرورا) بهم (انه ظن) حسب (ان لن يحور) يعنى ان لن يرجع الى ربه فى الآخرة وهو بلسان الحبشة يحور يرجع (بلى) ليحورن الى ربه فى الآخرة (ان ربه كان به) من يوم خلقه (بصيرا) عالما بان يبعثه بعد الموت (فلا اقسم) يقول اقسم (بالشفق) وهو حمرة المغرب بعد غروب الشمس (والليل وماوسق) واقسم بالليل وماوسق جمع ورجع الى وطنه اذاجن الليل (والقمر اذا اتسق) واقسم بالقمر اذا اجتمع وتكامل ثلاث ليال ليلة ثلاث عشرة وليلة اربع عشرة وليلة خمس عشرة (لتركبن)

(طبقا عن طبق) حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها فى الشدة والهول والطبق ماطابق غيره يقال ماهذا بطبق لذا اى لايطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق ويجوز ان يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات اى لتركبن احوالا بعد احوال هى ﴿٤٨١﴾ طبقات فى الشدة بعضها {سورة الانشقاق} ارفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة واهوالها ومحل عن طبق نصب على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير فى لتركبن اى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق وقال مكحول فى كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه وبفتح الباء مكى وعلى وحمزة والخطاب له عليه السلام اى طبقا من طباق السماء بعد طبق اى فى المعراج (فمالهم لايؤمنون) فمالهم فى ان لا يؤمنوا (واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون) لايخضعون

لتحولن جملة الخلق (طبقا عن طبق) حالا بعد حال من حين خلقهم الى ان يموتوا ومن حين موتهم الى ان يدخلوا الجنة او النار يحولهم الله من حال الى حال ويقال لتركبن يا محمد لتصعدن طبقا عن طبق يقول من سماء الى سماء ليلة المعراج ان قرأت بنصب الباء ويقال ليركبن هذا المكذب طبقا عن طبق حالا (قا وخا ٦١ س) بعد حال من حين يموت الى ان يدخل النار ان قرأت بالياء ونصبت الباء (فمالهم) الكفار مكة ويقال لبنى عبد ياليل الثقفى وكانوا ثلاثة مسعود وحبيب وربيعة فاسلم منهم حبيب وربيعة بعد ذلك (لا يؤمنون) بمحمد عليه السلام والقرآن (واذا قرئ عليهم) واذا قرأ عليهم محمد عليه السلام (القرآن) بالامر والنهى (لايسجدون) لايخضعون لله بالتوحيد

طبقا عن طبق ﴾ حالا بعد حال مطابقة لاختها فى الشدة وهو لما طابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب وهى الموت ومواطن القيامة واهوالها وهى وماقبلها من الدواهى على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال ومرتبة او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وبالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا لطبق او مجاوزين له ﴿ فمالهم لايؤمنون ﴾ بيوم القيامة ﴿ واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون ﴾ لايخضعون او لايسجدون لتلاوته لما روى انه عليه الصلاة والسلام

لتركبن يا محمد ﴿ طبقا عن طبق ﴾ يعنى سماء بعد سماء وقد فعل الله ذلك معه ليلة اسرى به فاصعده سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة فى القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال (خ) عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا لنبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم فى كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن ايها الناس حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك فى موقف القيامة تتقلب بهم الاحوال فيصيرون فى الآخرة على غير الحال التى كانوا عليها فى الدنيا وقال ابن عباس يعنى الشدائد واهوال الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم (ق) عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم واحوالهم شبرا بعد شبر وذراعا بعد ذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل معنى الآية انه اراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى اخرى ﴿ فمالهم لا يؤمنون ﴾ يعنى بالبعث والحساب وهو استفهام انكار ﴿ واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون ﴾ يعنى لايصلون فعبر بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل اراد به سجود التلاوة ٭ وهذه السجدة احد سجدات القرآن عند الشافعى ومن وافقه (ق) عن رافع قال صليت مع ابى هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ماهذه قال سجدت بها خلف ابى القاسم صلى الله عليه وسلم

(بل الذين كفروا يكذبون) بالبعث والقرآن (والله اعلم بما يوعون) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر وتكذيب النبى صلى الله عليه وسلم او بما يجمعون فى صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب (فبشرهم بعذاب اليم) خبرهم خبرا يظهر اثره على بشرتهم (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) استثناء منقطع (لهم اجر غير

ممنون) اى غير مقطوع او غير منقوص والله اعلم

قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد ان رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يسجد فيها ﴿ بل الذين كفروا يكذبون ﴾ اى بالقرآن ﴿ والله اعلم بما يوعون ﴾ بما يضمرون فى صدورهم من الكفر والعداوة ﴿ فبشرهم بعذاب اليم ﴾ استهزاء بهم ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ استثناء منقطع اومتصل والمراد من تاب وآمن منهم ﴿ لهم اجر غير ممنون ﴾ مقطوع اوممنون به عليهم * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانشقاق اعاذه الله ان يعطيه كتابه من وراء ظهره

﴿ سورة البروج مكية وآيها ثنتان وعشرون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والسماء ذات البروج ﴾ يعنى البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها

فلا ازال اسجد فيها حتى القاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك و اذا السماء انشقت ﴿ بل الذين كفروا يكذبون ﴾ يعنى بالقرآن والبعث ﴿ والله اعلم بما يوعون ﴾ يعنى يجمعون فى صدورهم من التكذيب ﴿ فبشرهم بعذاب اليم ﴾ يعنى على عنادهم وكفرهم ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون ﴾ يعنى غير مقطوع ولا منقوص فى الآخرة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة البروج وهى مكية واثنتان وعشرون آية ومائة وتسع ﴾
﴿ كلمات واربعمائة وخمسة وستون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ يعنى البروج الاثنى عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة البارى جل جلاله وهو سير الشمس والقمر

﴿ سورة البروج مكية وهى اثنتان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والسماء ذات البروج) هى البروج الاثنا عشر وقيل النجوم اوعظام الكواكب

(بل الذين كفروا) كفار مكة ومن لم يؤمن من بنى عبد ياليل (يكذبون) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (والله اعلم بما يوعون) بما يقولون ويعملون ويقال بما يجمعون ويضمرون فى قلوبهم (فبشرهم) يا محمد من لا يؤمن به (بعذاب اليم) وجيع يخلص وجعه الى قلوبهم يوم بدر وفى الآخرة ثم استثنى فى الذين آمنوا فقال (الا الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (لهم اجر) ثواب فى الجنة (غير ممنون) غير منقوص ولا مكدر ويقال لا يمنون بذلك ويقال لا ينقص من حسناتهم بعد الهرم والموت ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها البروج وهى كلها مكية آياتها عشرون واثنتان وكلماتها مائة وتسع كلمات وحروفها اربعمائة وثمانية وثلاثون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والسماء ذات البروج) يقول اقسم الله بالسماء ذات البروج ويقال ذات القصور اثنا عشر قصرا بين السماء والارض يعلم الله ذلك

(والكواكب)

(واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) اى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد
فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود فيه ما فى ذلك اليوم من اهواله ومن عجائبه وطريق تنكيرهما
ما فى قوله علمت نفس ما احضرت كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما للابهام فى الوصف كانه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد كثرت اقوال المفسرين فيهما فقيل محمد ويوم القيامة أو عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم او امة محمد وسائر الامم او الحجر الاسود والحجيج او الايام والليالى وبنو آدم للحديث ما من يوم الا وينادى انا يوم جديد وعلى ما يفعل فى شهيد فاغتنمنى ولو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة او الحفظة وبنو آدم اوالله تعالى والخلق لقوله تعالى وكفى بالله شهيدا او الانبياء ومحمد عليهم السلام وجواب القسم محذوف يدل عليه (قتل اصحاب الاخدود) اى لعن كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعنى كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود وهو جمع خد اى شق (واليوم الموعود) وهو يوم القيامة (وشاهد) وهو يوم الجمعة (ومشهود) وهو يوم عرفة ويقال يوم النحر ويقال شاهد بنو آدم ومشهود هو يوم القيامة ويقال شاهد محمد عليه السلام ومشهود امته اقسم الله بهؤلاء الاشياء ان بطش ربك عذاب ربك لشديد لمن لا يؤمن به (قتل أصحاب الاخدود

السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور ﴿ واليوم الموعود ﴾ يوم القيامة ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ ومن يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام فى الوصف اى وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة فى الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود اوالنبى عليه الصلاة والسلام وامته او امته وسائر الامم اوكل نبى وامته اوالخالق والخلق اوعكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده اوالملك الحفيظ والمكلف اويوم النحر اوعرفة والحجيج اويوم الجمعة والجمع فانه يشهد له اوكل يوم واهله ﴿ قتل اصحاب الاخدود ﴾ قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعنى كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود

والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها ﴿ واليوم الموعود ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ماطلعت الشمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله ولا يستعيذ من شر الا اعاذه الله منه اخرجه الترمذى وضعف احد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس والاكثرين ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة ووجه حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هم الانبياء والمشهود اى عليهم هم الامم وقيل الشاهد هو الملك والمشهود اى عليه هو آدم وذريته وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اقسام اقسم الله تعالى بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قوله تعالى ﴿ قتل اصحاب الاخدود ﴾ اى لعن وقتل وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد والاخدود الشق المستطيل فى الارض واختلفوا فيهم فروى عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك انى قد كبرت فابعث الى غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان فى طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه

الخد وهو الشق فى الارض ونحوها بناء ومعنى الحق ، لا حقوق روى مرفوعا ان
ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريقه راهب فمال
قلبه اليه فرأى فى طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم
ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ
الاكمه والابرص ويشفى من الادواء وعمى جليس الملك فابراه فسأله الملك عن ابرائه
فاخبره فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه واذا
رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكا ذلك
الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسنى اهلى واذا خشيت اهلك فقل
حبسنى الساحر فبينما هو كذلك اذاتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال اليوم
اعلم الراهب افضل ام الساحر فأخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك
من امر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضى الناس فرماها فقتلها فمضى الناس فاتى
الراهب فاخبره فقال له الراهب اى بنى انت افضل منى قد بلغ من امرك ما ارى
وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوى
الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمى فاتاه بهدايا كثيرة فقال
ما ههنا لك اجمع ان انت شفيتنى قال انى لا اشفى احدا انما يشفى الله عز وجل فان
آمنت بالله دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن به فشفاه الله عز وجل فاتى الملك فجلس
اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك فقال ربى فقال اولك رب
غيرى قال ربى وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجئ بالغلام فقال
له الملك اى بنى انه قد بلغ من سحرك ماتبرئ الاكمه والابرص وتفعل وتفعل فقال انى
لا اشفى احدا انما يشفى الله عز وجل فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجئ
بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه
فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعا
بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جئ بالغلام فقيل له
ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا
وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به
فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى
الى الملك فقال له الملك مافعل اصحابك قال كفانيهم الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال
اذهبوا به فاحملوه فى قرقور فتوسطوا به البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به
فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له
الملك مافعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلى حتى تفعل
ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع نخل
ثم خذ سهما من كنانتى ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم

عظيم فى الارض روى عن
النبى صلى الله عليه وسلم
انه كان لبعض الملوك ساحر
فلما كبر ضم اليه غلاما
ليعلمه السحر وكان فى
طريق الغلام راهب فسمع
منه فرأى فى طريقه ذات
يوم دابة قد حبست الناس
فاخذ حجرا فقال اللهم ان
كان الراهب احب اليك
من الساحر فاقتلها فقتلها
فكان الغلام بعد ذلك
يبرئ الاكمه والابرص
وعمى جليس للملك فابراه
فابصر فالملك فسأله من رد
عليك بصرك فقال ربى
فغضب فعذبه فدل على
الغلام فعذبه فدل على
الراهب فلم يرجع الراهب
عن دينه فقد بالمنشار وابى
الغلام فذهب به الى جبل
ليطرح من ذروته فدعا

فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس وقالوا آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي ياأماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذونواس اليهودي من حمير فاحرق في الاخاديد

فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه فمات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذره فخد اخدودا وملأها نارا فمن لم يرجع عن دينه طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي ياأماه اصبري فانك على الحق فالقى الصبي وامه فيها

ارمني به فانك ان فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم فمات فقال الناس آمنا برب الغلام ثلاثا فأتى الملك فقيل له ارأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فامر بالاخدود في افواه السكك فخدت واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ففعلوا ذلك حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام ياأماه اصبري ولا تقاعسي فانك على الحق هذا حديث صحيح اخرجه مسلم * وفي هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع الى الدين وفيه انقاذ النفس من الهلاك * والاكمه هو الذي خلق اعمى * والميشار بالياء وتخفيف الهمزة وروي بالنون * وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه * ورجف تحرك واضطرب * والقرقور بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة * وانكفأت انقلبت * والصعيد هنا الارض البارزة * والسكك الطرق * والاخدود الشق العظيم في الارض * واقحموه اي ارموه فيها * وتقاعست اي تأخرت وكرهت الدخول في النار وقال ابن عباس كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذونواس بن شرحبيل بن شراحيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبدالله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب بن منبه ان رجلا كان قد بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فاجابوه فسار اليه ذونواس اليهودي بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخدود وحرق اثني عشر الفا ثم غلب رياط على اليمن فخرج ذونواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق وقال محمد بن اسحق عن عبدالله بن ابي بكر ان خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا عبدالله بن

من لم يرتد ﴿ النار ﴾ بدل من الاخدود بدل الاشتمال ﴿ ذات الوقود ﴾ صفة لها بالعظمة وكثرة مايرتفع بها لهبها واللام فى الوقود للجنس ﴿ اذهم عليها ﴾ على حافة النار ﴿ قعود ﴾ قاعدون ﴿ وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود ﴾ يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانهم لم يقصروا فيما امروا به اويشهدون على مايفعلون يوم القيامة

تامر واضعا يده على ضربة رأسه اذا اميطت يده عنها انبعثت دما واذا تركت ارتدت مكانها وفى يده خاتم حديد فيه مكتوب ربى الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا عليه الذى وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير وابن ابزى لما انهزم اهل اسفندهار قال عمر بن الخطاب اى شئ يجرى على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب فقال على بن ابى طالب بلى قد كان لهم كتاب وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ماهذا الذى اتيت وما المخرج منه قالت المخرج منه انك تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات فاذا ذهب فى الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته فقام خطيبا بذلك فقال ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات فقال الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا اونقربه ماجاءنابه من نبى ولا انزل علينا فى كتاب فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا به فخدلهم الاخدود واوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه فى النار ومن اجاب اطلقه وروى عن على قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشى بعث من الحبشة الى قومه ثم قرأ على ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك الآية فدعاهم فتابعه اناس فقاتلهم الكفار فقتل اصحابه واخذ من انفلت منهم فاوثقوه ثم خدوا له اخدودا فملؤها نارا فمن تبع ذلك النبى رمى به فى النار ومن تابعهم تركوه فجاؤا بامرأة معها صبى رضيع فجزعت فقال الصبى يااماه قفى ولا تقاعسى وقيل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التى بالشام فهو ابطاموس الرومى واما التى بفارس فبختنصر ويزعمون انهم اصحاب دانيال واما التى باليمن فذونواس يوسف فاما التى بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهم قرآنا وانزل فى التى بنجران اليمن وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند اهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره فى الدين وقوله تعالى ﴿ النار ذات الوقود ﴾ هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله المؤمنين الذين القوا فى النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود من الكفار فاحرقتهم ﴿ اذهم عليها قعود ﴾ اى جلوس عند الاخدود ﴿ وهم ﴾ يعنى الملك الذى خد الاخدود واصحابه ﴿ على مايفعلون بالمؤمنين ﴾ اى من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا الى دينهم ﴿ شهود ﴾ اى حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال

(النار) بدل اشتمال من الاخدود (ذات الوقود) وصفها بانها عظيمة لها مايرتفع به لهبها من الحطب الكثير وابدان الناس (اذ) ظرف لقتل اى لعنوا حين احرقوا بالنار قاعدين حولها (هم عليها) اى الكفار على مايدنوا منها من حافات الاخدود (قعود) جلوس على الكراسى (وهم) اى الكفار (على مايفعلون بالمؤمنين) من الاحراق (شهود) يشهد بعضهم لبعض عند الملك ان احدا منهم لم يفرط فيما امر به وفوض اليه من التعذيب وفيه حث للمؤمنين على

النار ذات الوقود) بالنفط والزفت والحطب ويقال لعنوا ويقال هم قوم من المؤمنين قتلهم الكفار بالنار ذات الوقود بالنفط والزفت والحطب (اذهم) يعنى الكفار (عليها) على الخندق ويقال على الكراسى (قعود) جلوس حين احرقهم الله بالنار (وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود) حضور ويقال كانوا يشهدون على المؤمنين ان هؤلاء قوم ضلال

الصبر وتحمل اذى اهل مكة (ومانقموا منهم الا ان يؤمنوا) وماعابوا منهم وما انكروا الا الايمان كقوله * ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * وقوله مانقموا من بني امية الا * انهم يحلمون ان غضبوا * وقرئ نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح (بالله العزيز الحميد) ذكر الاوصاف التي يستحق بها ان يؤمن به وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه (الذى له ملك السموات والارض) فكل من فيهما يحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان مانقموا منهم هو الحق الذى لاينقمه الا مبطال وان الناقمين اهل لانتقام الله منهم بعذاب عظيم ﴿٤٨٧﴾ (والله على كل شئ شهيد) ﴿سورة البروج﴾ وعيد لهم يعنى انه علم

حين تشهد عليهم السنتهم وايديهم ﴿ ومانقموا ﴾ ومااانكروا ﴿ منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ استثناء على طريقة قوله

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرن ذلك بقوله ﴿ الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد ﴾ للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ﴿ ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾ بلوهم بالاذى ﴿ ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ﴾ بكفرهم ﴿ ولهم عذاب الحريق ﴾ العذاب الزائد فى الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبعذاب الحريق ماروى ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم

حين تركوا عبادة الصنم ﴿ ومانقموا منهم ﴾ قال ابن عباس ماكرهوا منهم ﴿ الا ان يؤمنوا بالله ﴾ وقيل ماعابوا ولاعلموا فيهم عيبا الا ايمانهم بالله ﴿ العزيز ﴾ يعنى ان الذى يستحق العبادة هو الله العزيز الغالب القاهر الذى لايغالب ولايدافع ﴿ الحميد ﴾ يعنى الذى يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل لذلك وهو الله جل جلاله ﴿ الذى له ملك السموات والارض ﴾ اى فهو المستحق للعبادة ﴿ والله على كل شئ ﴾ اى من افعالهم بالمؤمنين ﴿ شهيد ﴾ وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين * قوله عزوجل ﴿ ان الذين فتنوا ﴾ اى عذبوا واحرقوا ﴿ المؤمنين والمؤمنات ﴾ اى بالنار ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ اى لم يرجعوا عماهم عليه من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وآمنوا يقبل منهم ويخرجون من هذا الوعيد وان الله تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا ﴿ فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ يعنى لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب الحريق فى الدنيا وذلك ان الله احرقهم بالنار التى احرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم فى الآخرة ثم ذكر ما اعد

مافعلوا وهو مجازيهم عليه (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) يجوز ان يريد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين فى الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار واحرقوهم (ثم لم يتوبوا) لم يرجعوا عن كفرهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) فى الدنيا لماروى ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ويجوز ان يريد الذين فتنوا المؤمنين اى بلوهم بالاذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم

(ومانقموا منهم) من المؤمنين ولا طعنوا عليهم (الاأن يؤمنوا بالله) الا لقبل ايمانهم بالله (العزيز) بالنقمة لمن لايؤمن به (الحميد) لمن آمن به (الذى له ملك السموات) خزائن السموات المطر (والارض) النبات (والله على كل شئ) من أعمالهم (شهيد ان الذين فتنوا) أحرقوا وعذبوا (المؤمنين) بالنار يعنى المصدقين من الرجال بالايمان (والمؤمنات) المصدقات من النساء بالايمان (ثم لم يتوبوا) من كفرهم وشركهم (فلهم عذاب جهنم) فى الآخرة (ولهم عذاب الحريق) الشديد فى النار ويقال فى الدنيا حيث أحرقهم الله بالنار وكانوا هؤلاء قوما من نجران ويقال من أهل الموصل أخذوا قوما من المؤمنين فعذبوهم وقتلوهم بالنار لكى يرجعوا الى دينهم وكان ملكهم يسمى يوسف ويقال ذا النواس ثم ذكر المؤمنين الذين لم يرجعوا عن الايمان لقبل عذابهم فقال

(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) اى الذين صبروا على تعذيب الاخدود اوهو عام (ان بطش ربك لشديد) البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم والمراد اخذ الظلمة والجابرة بالعذاب والانتقام (انه هو يبدئ ويعيد) اى يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد ان صيرهم ترابا دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه اواوعد الكفرة بانه يعيدهم كما ابداهم ليبطش بهم اذ لم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة (وهو الغفور) الساتر للعيوب العافى عن الذنوب (الودود) المحب لاوليائه وقيل الفاعل لاهل الطاعة مايفعله الودود من اعطائهم ما ارادوا (ذو العرش) خالقه ومالكه (المجيد) وبالجر حمزة وعلى على انه صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمه (فعال) خبر مبتدأ محذوف (لما يريد) تكوينه فيكون فيه دلالة خلق افعال العباد (هل اتاك حديث الجنود) اى قد اتاك خبر الجموع الطاغية فى الامم الخالية (فرعون وثمود) بدل

﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير﴾ اذ الدنيا ومافيها تصغر دونه ﴿ان بطش ربك لشديد﴾ مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف ﴿انه هو يبدئ ويعيد﴾ يبدئ الخلق ويعيده اويبدئ البطش بالكفرة فى الدنيا ويعيده فى الآخرة ﴿وهو الغفور﴾ لمن تاب ﴿الودود﴾ المحب لمن اطاع ﴿ذو العرش﴾ خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذى العرش صفة لربك ﴿المجيد﴾ العظيم فى ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائى صفة لربك اوللعرش ومجده علوه وعظمته ﴿فعال لما يريد﴾ لايمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره ﴿هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود﴾ ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو

للمؤمنين فقال تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير﴾ * قوله عزوجل ﴿ان بطش ربك لشديد﴾ قال ابن عباس ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة لشديد ﴿انه هو يبدئ ويعيد﴾ اى يخلقهم اولا فى الدنيا ثم يعيدهم احياء بعد الموت ليجازيهم باعمالهم فى القيامة ﴿وهو الغفور﴾ يعنى لذنوب جميع المؤمنين ﴿الودود﴾ اى المحب لهم وقيل المحبوب اى يوده اولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود ان يغفر وقيل هو المتودد الى اوليائه بالمغفرة ﴿ذو العرش﴾ اى خالقه ومالكه ﴿المجيد﴾ قرئ بالرفع على انه صفة لله تعالى لان المجيد من صفات التعالى والجلال وذلك لايليق الابالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على انه صفة للعرش اى السرير العظيم اذ لايعلم صفة العرش وعظمته الاالله تعالى وقيل اراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل ان العرش احسن الاجسام ثم قال تعالى ﴿فعال لما يريد﴾ يعنى انه لايعجزه شئ ولايمتنع منه شئ طلبه وقيل فعال لما يريد لايعترض عليه معترض ولايغلبه غالب فهو يدخل اولياءه الجنة برحمته لايمنعه من ذلك مانع ويدخل اعداءه النار لاينصرهم منه ناصر ﴿هل اتاك﴾ اى قد اتاك ﴿حديث الجنود﴾ اى خبر الجموع الكافرة الذين تجندوا على الانبياء ثم بين من هم فقال تعالى ﴿فرعون﴾ يعنى وقومه ﴿وثمود﴾ وكانت قصتهم عند اهل مكة مشهورة

(ان الذين آمنوا) بالله (وعملوا الصالحات) فيما بينهم وبين ربهم (لهم جنات) بساتين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (ذلك الفوز الكبير) النجاة الوافرة فازوا بالجنة ونجوا من النار (ان بطش ربك) اخذ ربك لمن لايؤمن به (لشديد انه هو يبدئ) الخلق من النطفة (ويعيد) بعد الموت خلقا جديدا (وهو الغفور) المتجاوز لمن تاب من الكفر وآمن بالله (الودود) المتودد لاوليائه ويقال المحب لاهل طاعته ويقال المتحبب الى اهل طاعته (ذو العرش) ذو السرير (المجيد) الحسن الجيد ويقال الكريم ان قرأت بضم الدال فهو الله (فعال لما يريد) كما يريد يحيي ويميت (هل اتاك) يا محمد استفهم نبيه بذلك ولم يأته قبل ذلك فاتاه بعد ذلك (حديث الجنود) يقول خبر جموع (فرعون وثمود) والذين (بل)

من الجنود واراد بفرعون اياه وآله والمعنى قدعرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (فى تكذيب) واستيجاب للعذاب ولايعتبرون بالجنود لالخفاء حال الجنود عليهم لكن يكذبونك عنادا (والله من ورائهم محيط) اى عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لايعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم مثل انهم لايفوتونه كمالايفوت الشئ المحيط به (بل هو) بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة فى الكتب وفى نظمه واعجازه ليس كما يزعمون انه مفترى وانه اساطير الاولين (فى لوح محفوظ) من وصول الشياطين محفوظ نافع صفة للقرآن اى من التغيير والتبديل واللوح عندالحسن شئ يلوح للملائكة فيقرؤنه وعند ابن عباس رضى الله عنهما هو من درة بيضاء طوله مابين السماء والارض وعرضه مابين المشرق والمغرب قلمه نور وكل شئ فيه مسطور مقاتل هو على يمين العرش وقيل اعلاه معقود بالعرش واسفله فى حجر ملك كريم والله اعلم

﴿ سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية ﴾

من قبلهم ومن بعدهم

وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ماحاق بهم ﴿ بل الذين كفروا فى تكذيب ﴾ لايرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ لايفوتونه كمالايفوت المحاط المحيط ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ بل هذا الذى كذبوا به كتاب شريف وحيد فى النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اى قرآن رب مجيد ﴿ فى لوح محفوظ ﴾ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة للقرآن وقرئ فى لوح وهو الهواء يعنى مافوق السماء السابعة الذى فيه اللوح * عن رسول الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وعرفة تكون فى الدنيا عشر حسنات

﴿ سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة ﴾

﴿ بل الذين كفروا ﴾ اى من قومك يا محمد ﴿ فى تكذيب ﴾ يعنى لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الامم ولم يعتبروا بمن اهلكنا منهم ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ اى عالم بهم لايخفى عليه شئ من اعمالهم يقدر ان ينزل بهم ما انزل بمن كان قبلهم ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ اى كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون انه شعر وكهانة ﴿ فى لوح محفوظ ﴾ قرئ بالرفع على انه نعت للقرآن يعنى ان القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على انه نعت للوح لانه يعرف باللوح المحفوظ وهو ام الكتاب ومنه تنسخ الكتب وسمى محفوظا لانه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال ان فى صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله ادخله الجنة وقال واللوح لوح من درة بيضاء طوله مابين السماء والارض وعرضه مابين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه سر معقود بالعرش واصله فى حجر ملك والله تعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة الطارق وهى مكية وسبع عشرة آية واحدى وستون ﴾
﴿ كلمة ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا ﴾

كيف فعلنا بهم عند التكذيب (قا وخا ٦٢ س) (بل الذين كفروا) كفار مكة (فى تكذيب) بمحمد عليه السلام والقرآن (والله من ورائهم محيط) يقول عالم بهم وباعمالهم (بل هو) يعنى القرآن الذى يقرأ عليكم محمد صلى الله عليه وسلم (قرآن مجيد) كريم شريف (فى لوح محفوظ) يقول مكتوب فى لوح محفوظ من الشياطين ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الطارق وهى كلها مكية آياتها ست عشرة وكلماتها احدى وستون وحروفها مائتان وتسع وثلاثون ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والسماء والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب) عظم قدر السماء فى اعين الخلق لكونها معدن رزقهم ومسكن ملائكته وفيها خلق الجنة فأقسم بها وبالطارق والمراد جنس النجوم او جنس الشهب التى يرجم بها لعظم منفعتها ثم فسره بالنجم الثاقب اى المضى كأنه يثقب الظلام فينفذ فيه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق اولانه يطرق الجنى اى يصكه وجواب القسم (ان كل نفس لما عليها حافظ) لما ان كانت مشددة بمعنى الا كقراءة عاصم وحمزة وابن عامر فتكون ان نافية اى ما كل نفس الا عليها حافظ وان كانت مخففة كقراءة غيرهم فتكون ان مخففة من الثقيلة اى ان كل نفس لعليها حافظ يحفظها من الآفات او يحفظ عملها ورزقها واجلها فاذا استوفى ذلك مات وقيل هو كاتب الاعمال فما زائدة واللام فارقة بين الثقيلة والخفيفة وحافظ مبتدأ وعليها الخبر والجملة خبر كل وايتهما كانت فهى مما يتلقى به القسم (فلينظر الانسان مم خلق) لما ذكر

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والسماء والطارق ﴾ والكوكب البادى بالليل وهو فى الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتى ليلا ثم استعمل للبادى فيه ﴿ وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب ﴾ المضئ كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه ﴿ ان كل نفس لما عليها ﴾ اى ان الشأن كل نفس لعليها ﴿ حافظ ﴾ رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم ﴿ فلينظر الانسان مم خلق ﴾ لما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ والسماء والطارق ﴾ قيل نزلت فى ابى طالب وذلك انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم فاتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلاء ماء ثم نارا ففزع ابو طالب وقال اى شئ هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله تعالى فعجب ابو طالب فانزل الله والسماء والطارق يعنى النجم يظهر بالليل وكل ما اتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمى النجم طارقا لانه يطرق بالليل قالت هند

نحن بنات طارق * نمشى على النمارق

تريد ان اباهم نجم فى علوه وشرفه ﴿ وما ادراك ما الطارق ﴾ قيل لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه الله له بقوله ﴿ النجم الثاقب ﴾ اى المضئ المنير وقيل المتوهج وقيل المرتفع العالى وقيل هو الذى يرمى به الشيطان فيثقبه اى ينفذه وقيل النجم الثاقب هو الثريا لان العرب تسميا النجم وقيل هو زحل سمى بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لانه يثقبه فينفذه وهذه اقسام اقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الاشياء وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ان كل نفس لما عليها حافظ ﴾ يعنى ان كل نفس عليها حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكتسب من خير او شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله تعالى يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها الى المقادير ثم يخلى عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب الا ما قدر لها * قوله عز وجل ﴿ فلينظر الانسان ﴾ يعنى نظر تفكر واعتبار ﴿ مم خلق ﴾ اى من اى شئ

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والسماء والطارق) يقول أقسم الله بالسماء والطارق (وما أدراك) يا محمد (ما الطارق) يعجبه بذلك ثم بين فقال (خالقه) (النجم الثاقب) المضئ النافذ وهو زحل يطرق بالليل ويخنس بالنهار (ان كل نفس) ولهذا كان القسم يقول كل نفس برة او فاجرة (لما عليها) يعنى لعليها الميم والالف ههنا صلة ويقال ان كل نفس ما كل نفس لما عليها الا عليها ان قرأت الميم بالشد (حافظ) يحفظ قولها وعملها حتى يدفعها الى المقابر (فلينظر الانسان) ابو طالب (مم خلق) نفسه

ان على كل نفس حافظا امره بالنظر فى اول امره ليعلم ان من انشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الجزاء ولا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته (مم خلق) استفهام اى من اى شئ خلق جوابه (خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع والدفق فى الحقيقة لصاحبه والاسناد الى الماء مجاز وعن بعض اهل اللغة دفقت الماء دفقا صببته ودفق الماء بنفسه اى انصب ولم يقل من ماءين لامتزاجهما فى الرحم واتحادهما حين ابتدئ فى خلقه (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) ان الخالق لدلالة خلق عليه ومعناه ان الذى خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصا (لقادر) لبين القدرة لا يعجز عنه كقوله انى لفقير اى لبين الفقر ونصب (يوم تبلى) اى تكشف برجعه او بمضمر دل عليه قوله رجعه اى يبعثه يوم تبلى (السرائر) ما اسر فى القلوب من العقائد والنيات وما اخفى

ذكر ان كل نفس عليها حافظ اتبعه بوصية الانسان بالنظر فى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته ﴿خلق من ماء دافق﴾ جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من المائين فى الرحم لقوله ﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فلا شك ان الدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب ﴿انه على رجعه لقادر﴾ والضمير للخالق ويدل عليه خلق ﴿يوم تبلى السرائر﴾ تتعرف وتميز بين ما طاب من الضمائر وما خفى من

خلقه ربه ثم بين ذلك فقال تعالى ﴿خلق من ماء﴾ يعنى من منى ﴿دافق﴾ اى مدفوق مصبوب فى الرحم واراد به ماء الرجل وماء المرأة لان الولد مخلوق منهما وانما جعله واحدا لامتزاجهما ﴿يخرج﴾ يعنى ذلك الماء وهو المنى ﴿من بين الصلب والترائب﴾ يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هى موضع القلادة من الصدر وعنه انها بين ثديى المرأة قيل ان المنى يخرج من جميع اعضاء الانسان واكثر ما يخرج من الدماغ فينصب فى عرق فى ظهر الرجل وينزل فى عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهى الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر ﴿انه على رجعه لقادر﴾ يعنى ان الله تعالى قادر على ان يرد النطفة فى الاحليل وقيل قادر على رد الماء فى الصلب الذى خرج منه وقيل قادر على رد الانسان ماء كما كان من قبل وقيل معناه ان شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقيل انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقيل معناه وان الذى قدر على خلق الانسان ابتداء قادر على اعادته حيا بعد موته وهو اهون عليه وهذا القول هو الاصح والاولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده ﴿يوم تبلى السرائر﴾ وذلك يوم القيامة قيل معناه تظهر الخبايا وقيل معنى تبلى تختبر وقيل السرائر هى فرائض الاعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك لان العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فاذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من اداها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدى الله تعالى يوم القيامة كل

ثم بين فقال (خلق) نفسه (من ماء دافق) مدفوق ومهراق فى رحم المرأة (يخرج من بين الصلب) صلب الرجل (والترائب) ترائب المرأة (انه) يعنى الله (على رجعه) على رد ذلك الماء الى الاحليل (لقادر) ويقال على اعادته بعد الموت واحيائه لقادر (يوم تبلى السرائر) تظهر السرائر وهو على كل شئ وكل الى الرجل لا يعلمه

من الاعمال (فماله) فما للانسان (من قوة) فى نفسه على دفع ما حل به (ولا ناصر) يعينه ويدفع عنه (والسماء ذات الرجع) اى المطر وسمى به لعوده كل حين (والارض ذات الصدع) هو ما تتصدع عنه الارض من النبات (انه) ان القرآن (لقول فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وماهو بالهزل) باللعب والباطل يعنى انه جد كله ومن حقه وقد وصفه الله بذلك ان يكون مهيبا فى الصدور معظما فى القلوب يرتفع به قارئه وسامعه ان يلم بهزل اويتفكه بمزاح (انهم) يعنى مشركى مكة (يكيدون كيدا) يعملون المكايد فى ابطال امر الله واطفاء نور الحق (واكيد كيدا) واجازيهم جزاء كيدهم باستدراجى لهم من حيث لايعلمون فسمى جزاء الكيد كيدا كما سمى جزاء الاعتداء والسيئة اعتداء وسيئة وان لم يكن اعتداء وسيئة ولا يجوز اطلاق هذا الوصف على الله تعالى الا على وجه الجزاء كقوله نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم الله يستهزئ بهم (فمهل الكافرين) اى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (امهلهم) انظرهم فكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين والتصبير (رويدا) مهلا يسيرا ولا يتكلم بها الا مصغرة وهى من رادت الريح ترود رودا تحركت حركة ضعيفة

الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه ﴿ فماله ﴾ فما للانسان ﴿ من قوة ﴾ من منعة فى نفسه يمتنع بها ﴿ ولا ناصر ﴾ يمنعه ﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تتحرك منه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب ﴿ والارض ذات الصدع ﴾ ما تتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون ﴿ انه ﴾ ان القرآن ﴿ لقول فصل ﴾ فاصل بين الحق والباطل ﴿ وما هو بالهزل ﴾ فانه جد كله ﴿ انهم ﴾ يعنى اهل مكة ﴿ يكيدون كيدا ﴾ فى ابطاله واطفاء نوره ﴿ واكيد كيدا ﴾ واقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم بحيث لا يحتسبون ﴿ فمهل الكافرين ﴾ فلا تشتغل بالانتقام منهم اولا تستعجل باهلاكهم ﴿ امهلهم رويدا ﴾

سر فيكون زينا فى وجوه وشينا فى وجوه يعنى من ادى الفرائض كما امر كان وجهه مشرقا مستنيرا يوم القيامة ومن ضيعها او انتقص منها كان وجهه اغبر ﴿ فماله ﴾ اى لهذا الانسان المنكر البعث ﴿ من قوة ﴾ اى يمتنع بها من عذاب الله ﴿ ولا ناصر ﴾ اى ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى ﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ اى ذات المطر سمى به لانه يجئ ويرجع ويتكرر ﴿ والارض ذات الصدع ﴾ اى تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والانهار وجواب القسم قوله تعالى ﴿ انه ﴾ يعنى القرآن ﴿ لقول فصل ﴾ اى انه لحق وجد يفصل بين الحق والباطل ﴿ وماهو بالهزل ﴾ اى باللعب والباطل ﴿ انهم ﴾ يعنى مشركى مكة ﴿ يكيدون كيدا ﴾ يعنى يحتالون بالمكر بالنبى صلى الله عليه وسلم وذلك حين اجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فيه ﴿ واكيد كيدا ﴾ يعنى اجازيهم على كيدهم بان استدرجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم فى الدنيا بالسيف وفى الآخرة بالنار ﴿ فمهل الكافرين ﴾ اى لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم قال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عزوجل ثم لما امره بامهالهم بين ان ذلك الامهال قليل فقال تعالى ﴿ امهلهم رويدا ﴾ يعنى قليلا فاخذهم الله يوم بدر ونسخ الامهال بآية السيف والله

غيره (فماله) لابى طالب (من قوة) من منعة بنفسه (ولا ناصر) لا مانع له من عذاب الله (والسماء ذات الرجع) واقسم بالسماء ذات المطر بعد المطر والسحاب بعد السحاب عاما بعد عام (والارض ذات الصدع) بالنبات والزروع ويقال ذات الاوتاد (انه) يعنى القرآن ولهذا كان القسم (لقول فصل) بيان حق ويقال حكم من الله (وماهو بالهزل) بالباطل (انهم) يعنى اهل مكة (يكيدون كيدا) يصنعون صنعا فى كفرهم وهو صدهم الناس عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويقال يريدون قتلك وهلاكك فى دار الندوة يا محمد (وأكيد كيدا) واريد قتلهم يا محمد يوم بدر (فمهل الكافرين) فاجل الكافرين (أمهلهم) اجلهم (رويدا) قليلا الى يوم بدر

(سبحانه)

﴿سورة الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح اسم ربك الاعلى) نزه ذاته عمالايليق به والاسم صلة وذلك بان يفسر الاعلى بمعنى العلو الذى هو القهر والاقتدار لابمعنى العلو فى المكان وقيل قل سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت قال عليه السلام اجعلوها فى سجودكم (الذى خلق فسوى) اى خلق كل شئ فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على انه صادر عن عالم حكيم او سواه على مافيه منفعة ومصلحة (والذى قدر فهدى) اى قدر لكل حيوان مايصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به او فهدى واضل ولكن حذف واضل اكتفاء بقوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء قدر على

اهمالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين * على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات

﴿سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سبح اسم ربك الاعلى﴾ نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لاعلى وجه التعظيم وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت ﴿الذى خلق فسوى﴾ خلق كل شئ فسوى خلقه بان جعل له مابه يتأتى كماله ويتم معاشه ﴿والذى قدر﴾ اى قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها وقرأ الكسائى قدر بالتخفيف ﴿فهدى﴾ فوجهه الى افعاله

سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿تفسير سورة الاعلى وهى مكية وتسع عشرة آية واثنتان وسبعون﴾

﴿كلمة ومائتان واحدى وتسعون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عزوجل ﴿سبح اسم ربك الاعلى﴾ اى قل سبحان ربى الاعلى وهوقول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ماروى عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الاعلى فقال سبحان ربى الاعلى ذكره البغوى باسناد الثعلبى وقيل معناه نزه ربك الاعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه تسمية ربك الاعلى بان تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح اى صل بامر ربك الاعلى * عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم اخرجه ابوداود ﴿الذى خلق فسوى﴾ اى خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة ﴿والذى قدر فهدى﴾ قيل قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شئ شكله فهدى

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الاعلى وهى كلها مكية آياتها تسع عشرة وكلماتها اثنتان وسبعون كلمة وحروفها مائتان واربعة وثمانون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (سبح اسم ربك الاعلى) يقول صل يامحمد بأمر ربك الاعلى اعلى كل شئ ويقال اذكر يامحمد توحيد ربك ويقال قل يامحمد سبحان ربى الاعلى فى السجود (الذى خلق) كل ذى روح (فسوى) خلقه باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء (والذى قدر) جعل كل ذكر وانثى (فهدى) فعرف والهم كيف يأتى الذكر الانثى ويقال قدر خلقه حسنا اودميا اوطويلا اوقصيرا ويقال قدر السعادة والشقاوة لخلقه

(والذى اخرج المرعى) انبت ما ترعاه الدواب (فجعله غثاء) يابسا هشيما (احوى) اسود فاحوى صفة الغثاء (سنقرئك فلا تنسى) سنعلمك القرآن حتى لا تنساه (الا ماشاء الله) ان ينسخه وهذا بشارة من الله لنبيه ان يحفظ عليه الوحى حتى لا ينفلت منه شئ الا ماشاء الله ان ينسخه فيذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته وسأل ابن كيسان النحوى جنيدا عنه فقال فلا تنسى العمل به فقال مثلك يصدر وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا اى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ماشاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) اى انك تجهر بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه ومافى نفسك مما يدعوك الى الجهر او ما تقرأ فى نفسك مخافة النسيان او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وما بطن من احوالكم (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم

فهدى فبين الكفر والايمان والخير والشر (والذى اخرج) انبت بالمطر (المرعى) الكلأ الاخضر (فجعله) بعد خضرته (غثاء) يابسا (احوى) اسود ذا حال عليه الحول (سنقرئك) نعلمك يا محمد القرآن ويقال سيقرأ عليك جبريل القرآن (فلا تنسى الا ماشاء الله) وقد شاء الله (عليك) ان لا تنسى فلم ينس النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك شيأ من القرآن (انه يعلم الجهر) العلانية من القول والفعل (وما يخفى) ما اخفى من السر مالم تحدث به نفسك بعد (ونيسرك لليسرى) نهون عليك تبليغ الرسالة وسائر الطاعات

طبعا او اختيارا بخلق الميون والالهامات ونصب الدلائل وانزال الآيات ﴿ والذى اخرج المرعى ﴾ انبت ما ترعاه الدواب ﴿ فجعله ﴾ بعد خضرته ﴿ غثاء احوى ﴾ يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اى اخرجه احوى من شدة خضرته ﴿ سنقرئك ﴾ على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القراءة ﴿ فلا تنسى ﴾ اصلا من قوة الحفظ مع انك امى ليكون ذلك آية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الآيات وقيل نهى والالف للفاصلة كقوله السبيلا ﴿ الا ماشاء الله ﴾ نسيانه بان نسخ تلاوته وقيل المراد به القلة والندرة لما روى انه عليه الصلاة والسلام اسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب ابى انها نسخت فسأله فقال نسيتها او فى النسيان رأسا فان القلة تستعمل فى النفى ﴿ انه يعلم الجهر وما يخفى ﴾ ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقراءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة التفلت فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء وانساء ﴿ ونيسرك لليسرى ﴾

اى فعرف كل انثى كيف يأتى الذكر وقيل قدر مدة الجنين فى الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة والشقاوة للاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين لسلوك سبيل ما قدر له وعليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقيل قدر اى اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وسائر الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى ﴿ والذى اخرج المرعى ﴾ اى انبت العشب وما ترعاه الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغير ذلك ﴿ فجعله ﴾ يعنى المرعى بعد الخضرة ﴿ غثاء ﴾ اى هشيما يابسا بالياكالغثاء الذى تراه فوق السيل ﴿ احوى ﴾ اى اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلأ اذا جف ويبس اسود * قوله عز وجل ﴿ سنقرئك ﴾ اى نعلمك القرآن بقراءة جبريل عليك ﴿ فلا تنسى ﴾ يعنى مايقرأ عليك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحى لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باولها مخافة ان ينساها فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيأ بعد ذلك ﴿ الا ماشاء الله ﴾ يعنى ان تنساه وهو مانسخ الله تعالى تلاوته من القرآن ورفعه من الصدور وقيل معناه الا ماشاء الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ فى سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد اذكرنى كذا وكذا آية كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وفى رواية كنت اسقطتهن من سورة كذا اخرجاه فى الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشأ الله ان ينسيه شيأ ﴿ انه يعلم الجهر ﴾ يعنى من القول والفعل ﴿ وما يخفى ﴾ يعنى منهما والمعنى انه تعالى يعلم السر والعلانية ﴿ ونيسرك لليسرى ﴾ اى نهون

الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى ايسر واسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى ايسر الشرائع اونوفقك لعمل الجنـة (فذكر) عظ بالقرآن (ان نفعت الذكرى) جواب ان مدلول قوله فذكر قيل ظاهره شرط ومعناه اسـتبعاد لتأثير الذكرى فيهم وقيل هوامر بالتذكير على الاطلاق كقوله فذكر انما انت مذكر غير مشروط بالنفع التذكرة (من يخشى) الله

ونعدك للطريقة اليسرى فى حفظ الوحى او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال تعالى نيسرك لا نيسر لك عطف على سنقرئك وانه يعلم الجهر اعتراض ﴿فذكر﴾ بعـد ما استتب لك الامر ﴿ان نفعت الذكرى﴾ لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصـول اليأس عن البعض لئلا يتعب نفسـه ويتلهف عليهم كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار الآية اولذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشـعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعـه ولذلك امر بالاعراض عمن تولى ﴿سيذكر من يخشى﴾ سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فانه يتفكر فيها فيعلم حقيقتها وهو يتناول العارف والمتردد ﴿ويتجنبها﴾ ويتجنب الذكرى ﴿الاشقى﴾ الكافر فانه اشقى من الفاسق اوالاشقى من الكفرة لتوغله فى الكفر ﴿الذى يصلى النار الكبرى﴾ نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم اوما فى الدرك الاسفل منها ﴿ثم لا يموت فيهـا﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه ﴿قد افلح من تزكى﴾ تطهر من الكفر والمعصـية اوتكثر من التقوى من الزكاء اوتطهر للصلاة اوادى الزكاة ﴿وذكر اسم ربه﴾ بقلبه ولسانه ﴿فصلى﴾

عليك ان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيـل نوفقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية السمحة وقيل هومتصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما تقرؤه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى مما تقرؤه فى نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى اى نهون عليك الوحى حتى تحفظه ولا تنساه ﴿فذكر﴾ اى فعظ بالقرآن ﴿ان نفعت الذكرى﴾ اى مدة نفع الموعظة والتـذكير اوالمعنى عظ انت وذكر ان نفعت الذكرى اولم تنفع انما عليك البلاغ ﴿سيذكر من يخشى﴾ اى سيتعظ من يخشى الله تعالى ﴿ويتجنبها﴾ اى الذكرى ويتباعد عنها ﴿الاشقى﴾ اى فى علم الله تعالى ﴿الذى يصلى النار الكبرى﴾ اى النار العظيمة الفظيعة وقيل النار الكـبرى هى نار الآخرة والنار الصغرى هى نار الدنيا ﴿ثم لا يموت فيها﴾ اى فى النار فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ اى حياة طيبة تنفعه * قوله عز وجـل ﴿قد افلح من تزكى﴾ اى تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قاله ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيـا وقيل هو صدقة الفطر روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى قوله قد افلح من تزكى قال اعطى صدقة الفطر ﴿وذكر اسم ربه فصلى﴾ قال خرج الى العيد فصلى

وسوء العاقبة (ويتجنبها) ويتباعد عن الذكرى فلا يقبلها (الاشقى) الكافر اوالذى هو اشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله قيل نزلت فى الوليـد ابن المغيرة وعتبة بن ربيعة (الذى يصلى النار الكبرى) يدخل نار جهنم والصغرى نار الدنيا (ثم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة تلذ بها وقيل ثم لان الترجح بين الحياة والموت افظع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة (قد افلح) نال الفوز (من تزكى) تطهر من الشرك او تطهر للصلاة او ادى الزكاة تفعل من الزكاة كتصـدق من الصـدقة (وذكر اسم ربه) وكبر للافتتاح (فصلى) الخمس

(فذكر) عظ بالقرآن وبالله (ان نفعت الذكرى) يقول لا تنفع العظـة بالقرآن وبالله الا من يخشى من الله وهو المؤمن (سيذكر) سيتعظ بالقرآن وبالله (من يخشى) الله وهو المسلم (ويتجنبها) يتباعد ويتزحزح عن العظة بالقرآن وبالله (الاشقى) الشقى فى علم الله (الذى يصـلى النار) يدخل النار فى الآخرة (الكبرى) العظمى وليس شئ من العذاب اكبر من النـار (ثم لا يموت فيها) فى النار فيستريح (ولا يحيى) حياة تنفعه (قد افلح) قد فاز ونجا (من تزكى) من اتعظ بالقرآن ووحد الله (وذكر اسم) امر (ربه) بالصلوات الخمس وغيرها (فصلى)

وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلاة لان الصلاة عطفت عليها وهو يقتضى المغايرة وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما ذكر معاده ووقوفه بين يدى ربه فصلى له عن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) على الآخرة فلا تفعلون مابه تفلحون والمخاطب به الكافرون دليله قراءة ابى عمرو يؤثرون بالياء (والآخرة خير وابقى) افضل فى نفسها وادوم (ان هذا لفى الصحف الاولى) هذا اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى اى ان معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف او الى ما فى السورة كلها وهو دليل على جواز قراءة القرآن بالفارسية فى الصلاة لانه جعله مذكورا فى تلك الصحف مع انه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة (صحف ابراهيم وموسى) بدل من الصحف

الصلوات الخمس فى الجماعة ولها وجه آخر قد أفلح فاز ونجا من تزكى من تصدق بصدقة الفطر قبل خروجه الى المصلى وذكر اسم ربه هلله وكبره فى الذهاب والمجئ فصلى صلاة العيد مع الامام (بل تؤثرون الحيوة الدنيا) تختارون العمل للدنيا وثواب الدنيا على ثواب (لان) الآخرة (والآخرة) عمل الآخرة وثواب الآخرة (خير) افضل من ثواب الدنيا وعمل الدنيا (وابقى) ادوم (ان هذا) من قوله قد افلح الى ههنا (لفى الصحف الاولى) فى كتب الاولين (صحف ابراهيم وموسى)

لقوله تعالى أقم الصلاة لذكرى ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته ﴿ بل تؤثرون الحيوة الدنيا ﴾ فلا تفعلون مايسعدكم فى الآخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل اولكل فان السعى للدنيا اكثر فى الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء ﴿ والآخرة خير وابقى ﴾ فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لاانقطاع له ﴿ ان هذا لفى الصحف الاولى ﴾ الاشارة الى ماسبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة ﴿ صحف ابراهيم وموسى ﴾ بدل من الصحف الاولى * قال

وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرا تصدق ثم صلى ثم يقرأ هذه الآية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعنى يوم العيد قال يانافع اخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالآن فاخرج فانما هذه الآية فى هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فما وجه هذا التأويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قلت يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر قال عمر بن الخطاب كنت لا ادرى اى جمع سيهزم فلما كان يوم بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ووجه آخر وهو انه كان علم الله تعالى انه سيكون ذلك فاخبر عنه وقيل وذكر اسم ربه فصلى يعنى الصلوات الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد * قوله عز وجل ﴿ بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى ﴾ يعنى ان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقى خير من الفانى وانتم تؤثرون الفانى على الباقى قال عرفجة الاشجعى كنا عند ابن مسعود فقرأ هذه الآية فقال لنا اتدرون لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الآخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الآجل وقيل ان اريد بذلك الكفار فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة وان اريد بذلك المسلمون فالمعنى يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذى يحصل فى الآخرة وخير وابقى ﴿ ان هذا ﴾ اى الذى ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا وهو اربع آيات ﴿ لفى الصحف الاولى ﴾ اى الكتب المتقدمة التى نزلت قبل القرآن ذكر فى تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلى وايثار الدنيا وان الآخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال تعالى ﴿ صحف ابراهيم وموسى ﴾ يعنى ان هذا القدر المذكور فى صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور فى جميع صحف الانبياء التى منها صحف ابراهيم وموسى

الاولى وفى الاثر وفى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا

صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

﴿ سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هل اتيك حديث الغاشية ﴾ الداهية التى تغشى الناس بشدائدها يعنى يوم القيامة اوالنار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار ﴿ وجوه يومئذ خاشعة ﴾ ذليلة ﴿ عاملة ناصبة ﴾ تعمل ماتتعب فيه كجر السلاسل وخوضها فى النار خوض الابل

لان هذا القدر المذكور فى هذه الآيات لاتختلف فيه شريعة بل جميع الشرائع متفقة عليه * عن ابى ذر رضى الله عنه قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية فقلت وماتحيته يارسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يارسول الله هل انزل الله عليك شيأ مما كان فى صحف ابراهيم وموسى قال ياابا ذر اقرأ قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يارسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لايعمل اخرج هذا الحديث رزين فى كتابه وذكره ابن الاثير فى كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيأ * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل ياايها الكافرون وقل هو الله احد فى ركعة ركعة اخرجه الترمذى والنسائى * وعن عبد العزيز بن جريج قال سألنا عائشة باى شئ كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرأ فى الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفى الثانية بقل ياايها الكافرون وفى الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين اخرجه ابوداود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن غريب والله اعلم

﴿ تفسير سورة الغاشية وهى مكية وست وعشرون آية واثنتان ﴾

﴿ وتسعون كلمة وثلاثمائة واحدى وثمانون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ هل اتاك ﴾ اى قد اتاك يا محمد ﴿ حديث الغاشية ﴾ يعنى القيامة سميت غاشية لانها تغشى كل شئ باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه الكفار ﴿ وجوه يومئذ ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ خاشعة ﴾ يعنى ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه اشرف اعضاء الانسان فعبر به عنه ﴿ عاملة ناصبة ﴾ قال ابن عباس يعنى الذين عملوا ونصبوا فى الدنيا على غير دين الاسلام من عبدة

بزمانه مقبلا على شانه ﴿ سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (هل) بمعنى قد (اتاك حديث الغاشية) الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعنى القيامة وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار (وجوه) اى وجوه الكفار وانما خص الوجه لان الحزن والسرور اذا استحكما فى المرء اثرا فى الوجه (يومئذ) يوم اذ غشيت (خاشعة) ذليلة لما اعترى اصحابها من الخزى والهوان (عاملة ناصبة) تعمل فى النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل

كتاب موسى التوراة وكتاب ابراهيم يعلم الله ذلك ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الغاشية وهى كلها مكية آياتها ست وعشرون وكلماتها اثنتان وتسعون وحروفها ثلاثمائة واحدى وثمانون حرفا ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (هل اتاك) يقول مااتاك يا محمد ثم اتاك

ويقال قد اتاك (حديث الغاشية) (قا وخا ٦٣ س) خبر قيام الساعة ويقال الغاشية هى غاشية النار على اهلها (وجوه) وجوه المنافقين والكفار (يومئذ) يوم القيامة (خاشعة) ذليلة بالعذاب (عاملة) تجر فى النار (ناصبة)

والاغلال وخوضها فى النار كما تخوض الابل فى الوحل وارتقاؤها دائبة

فى الوحل والصعود والهبوط فى تلالها ووهادها اوعملت ونصبت فى اعمال لاتنفعها يومئذ ﴿ تصلى نارا ﴾ تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة ﴿ حامية ﴾ متناهية فى الحر ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ بلغت اناها فى الحر ﴿ ليس لهم طعام الا من ضريع ﴾ يبيس الشبرق وهو الشوك ترعاه الابل مادام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما تتحاماه الابل وتتعافاه

الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب الصوامع لايقبل الله منهم اجتهادا فى ضلالة بل يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدؤب فى العمل بالتعب ﴿ ق ﴾ عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث فى امرنا هذا ماليس منه فهورد وفى رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهورد اما الرواية الاولى فانها تختص بمن احدث فى دين الاسلام شيأ ابتدعه من عنده فهو مردود عليه لايقبل منه واما الرواية الثانية فانها تشتمل على كل عامل فى دين الاسلام اوغير دين الاسلام فانه مردود عليه اذا لم يكن تابعا لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل فى معنى الآية عاملة فى الدنيا بالمعاصى ناصبة فى الآخرة فى النار وقيل عاملة ناصبة فى النار لانها لم تعمل لله فى الدنيا فاعملها وانصبها فى النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهى رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض فى النار كما تخوض الابل فى الوحل وقيل يجرون على وجوههم فى النار وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى النار وهو قوله تعالى ﴿ تصلى نارا حامية ﴾ قال ابن عباس قدحميت فهى تتلظى على اعداء الله عزوجل ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ اى متناهية فى الحرارة قد اوقدت عليها جهنم مذ خلقت لووقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فيدفعون اليها ورودا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى ﴿ ليس لهم طعام الا من ضريع ﴾ قيل هو نبت ذوشوك لاطى بالارض تسميه قريش الشبرق فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وهى رواية عن ابن عباس فاذا يبس لاتقربه دابة وقيل الضريع فى الدنيا هو الشوك اليابس الذى ليس له ورق وهو فى الآخرة شوك من نار وجاء فى الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شئ فى النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار قال ابو الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ماهم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لاهنيئة ولامريئة فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم قال المفسرون فلما نزلت هذه الآية قال المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا فى ذلك فان

فى صعود من نار وهبوطها فى حدورها وقيل عملت فى الدنيا اعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهى فى نصب منها فى الآخرة وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت فى اعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب (تصلى نارا حامية) تدخل نارا قد أحميت مددا طويلة فلا حر يعدل حرها تصلى ابو عمرو وابو بكر (تسقى من عين آنية) من عين ماء قد انتهى حرها والتأنيث فى هذه الصفات والافعال راجع الى الوجوه والمراد اصحابها بدليل قوله (ليس لهم طعام الا من ضريع) وهو نبت يقال له الشبرق فاذا يبس فهو ضريع وهو سم قاتل والعذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة الزقوم ومنهم اكلة الغسلين ومنهم اكلة الضريع فلا تناقض بين هذه الآية وبين قوله ولا طعام الا من غسلين

فى تعب وعناء ويقال عاملة فى الدنيا ناصبة فى الآخرة وهم الرهبان واصحاب الصوامع ويقال هم الخوارج (تصلى) تدخل (نارا حامية) حارة قد انتهى حرها (تسقى) فى النار (من عين آنية) حارة (ليس لهم) فى تلك الدرك (طعام الا من ضريع) وهو الشبرق نبت يكون بطريق مكة اذا كان رطبا تأكل منه الابل واذا يبس

(لايسمن) مجرور المحل لانه وصف ضريع (ولايغنى من جوع) اى منفعتا الغداء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة السمن فى البدن (وجوه يومئذ) ثم وصف وجوه المؤمنين ولم يقل ووجوه لان الكلام الاول قد طال وانقطع (ناعمة) متنعمة فى لين العيش (لسعيها راضية) راضيت بعملها وطاعتها لما رأت ما اداهم اليه من الكرامة والثواب (فى جنة عالية) من علو المكان او المقدار (لا تسمع) يا مخاطب او الوجوه (فيها لاغية) اى لغوا اوكلمة ذات لغو او نفسا تلغو لايتكلم اهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على مارزقهم من النعيم الدائم لايسمع فيها لاغية مكى وابو عمرو ولاتسمع فيها لاغية نافع (فيها عين جارية) اى عيون كثيرة كقوله علمت نفس (فيها سرر) جمع سرير (مرفوعة) من رفعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم (واكواب) جمع كوب وهو القدح وقيل آنية لا عروة لها (موضوعة) بين ايديهم ليتلذذوا بها بالنظر اليها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب (ونمارق) وسائد (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على موسدة واستند الى الاخرى

لضره وعدم نفعه كما قال ﴿ لايسمن ولايغنى من جوع ﴾ والمقصود من الطعام احد الامرين ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ ذات بهجة او متنعمة ﴿ لسعيها راضية ﴾ رضيت بعملها لما رأت ثوابه ﴿ فى جنة عالية ﴾ علية المحل او القدر ﴿ لاتسمع ﴾ يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبالتاء نافع ﴿ فيها لاغية ﴾ لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم ﴿ فيها عين جارية ﴾ يجرى ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم ﴿ فيها سرر مرفوعة ﴾ رفيعة السمك او القدر ﴿ واكواب ﴾ جمع كوب وهو اناء لا عروة له ﴿ موضوعة ﴾ بين ايديهم ﴿ ونمارق ﴾ وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم ﴿ مصفوفة ﴾ بعضها الى بعض

الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لاتأكله فانزل الله تعالى ﴿لايسمن ولايغنى من جوع﴾ يعنى ان هذا الطعام لاتقدر البهائم على اكله فكيف يقدر الانسان على اكله فهو اذا لايسمن ولايغنى من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى فى هذه الآية انه لاطعام لهم الا من ضريع وذكر فى موضع آخر انه لاطعام لهم الا من غسلين فكيف الجمع بينهما قلت ان النار دركات فعلى قدر الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لاغير ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من طعامه الغسلين ثم وصف اهل الجنة فقال تعالى ﴿ وجوه يومئذ ناعمة ﴾ اى متنعمة ذات بهجة وحسن ونعمة وكرامة ﴿ لسعيها راضية ﴾ اى لسعيها فى الدنيا راضية فى الآخرة حيث اعطيت الجنة بعملها ﴿ فى جنة عالية ﴾ قيل هو من العلو الذى هو الشرف وقيل من العلو فى المكان وذلك لان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض ﴿ لاتسمع فيها لاغية ﴾ اى ليس فيها لغو ولا باطل ﴿ فيها عين جارية ﴾ على وجه الارض فى غير اخدود وقيل تجرى حيث ارادوا من منازلهم وقصورهم ﴿ فيها سرر مرفوعة ﴾ قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والياقوت مرتفعة ما لم يجئ اهلها فاذا اراد اهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلسوا عليها ثم ترفع الى مواضعها ﴿ واكواب ﴾ يعنى الكيزان التى لاعرى لها ﴿ موضوعة ﴾ يعنى عندهم بين ايديهم وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما ارادوا الشرب منها وجدوها مملوأة ﴿ ونمارق مصفوفة ﴾ يعنى وسائد ومرافق

صار كاظفار الهرة (لايسمن) من اكله (ولايغنى من جوع) من اكله (وجوه) وجوه المؤمنين المخلصين (يومئذ) يوم القيامة (ناعمة) حسنة جميلة (لسعيها راضية) يقول لثواب عملها راضية (فى جنة عالية) فى درجة مرتفعة (لاتسمع فيها) فى الجنة (لاغية) حلفا باطلا ولا غير باطل (فيها) فى الجنة (عين جارية) تجرى عليهم بالخير والبركة والرحمة (فيها) فى الجنة (سرر مرفوعة) فى الهواء مالم يجئ اليها اهلها ويقال مرتفعة لاهلها (واكواب) كيزان بلا آذان ولا عرى ولا خراطيم مدورة الرؤس (موضوعة) فى منازلهم (ونمارق) وسائد (مصفوفة) قد صف بعضها الى بعض ويقال قد نضد بعضها الى

﴿وزرابى﴾ وبسط فاخرة جمع زربية ﴿مبثوثة﴾ مبسوطة ﴿أفلاينظرون﴾ نظر اعتبار ﴿الى الابل كيف خلقت﴾ خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار ترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البرارى والمفاوز مع مالها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع

مصفوفة بعضها جنب بعض اذا اراد ان يجلس ولى الله جلس على واحدة واستند الى الاخرى ﴿وزرابى﴾ يعنى البسط العريضة قال ابن عباس هى الطنافس التى لها خمل واحدتها زربية ﴿مبثوثة﴾ اى مبسوطة وقيل متفرقة فى المجالس * قوله عزوجل ﴿أفلاينظرون الى الابل كيف خلقت﴾ قال اهل التفسير لما نعت الله عزوجل مافى هذه السورة مما فى الجنة عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وانما بدأ بالابل لانها من انفس اموال العرب ولهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذى صنع لهم هذا فى الدنيا هو الذى صنع لاهل الجنة ماصنع وتكلمت علماء التفسير فى وجه تخصيص الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم يشاهد الفيل الا النادر منهم وقال الكلبى لانها تنهض بحملها وقد كانت باركة وقال قتادة لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فأنزل الله تعالى هذه الآية وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل اعظم فى الاعجوبة فقال اما الفيل فان العرب بعيدة العهد به ثم هو لاخير فيه لانه لايركب على ظهره ولا يؤكل لحمه ولايحلب دره والابل اعز مال العرب وانفسه تأكل النوى والقت وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف حتى ان الصبى الصغير يأخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت على سائر الحيوانات بأشياء وذلك ان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة اوللركوب اوللحمل اوللبن اولاجل اللحم وتوجد جميع هذه الخصال الافى الابل فانها زينة وتركب فيقطع عليها المفازات البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثيرة ويأكل من لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عدة ايام ومنها انه يحمل عليها وهى باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترعى فى كل نبات فى البرارى ممالايرعاه غيرها من الحيوانات وهى سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولامناسبة بينهما ولم بدأ بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشياء جميعها وكانت الابل

(من)

(وزرابى) وبسط عراض فاخرة جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة او مفرقة المجالس ولما انزل الله تعالى هذه الآيات فى صفة الجنة وفسر النبى عليه السلام بأن ارتفاع السرر يكون مائة فرسخ والاكواب الموضوعة لاتدخل فى حساب الخلق لكثرتها وطول النمارق كذا وعرض الزرابى كذا انكر الكفار وقالوا كيف يصعد على هذا السرير وكيف تكثر الاكواب هذه الكثرة وطول النمارق هذا الطول وبسط الزرابى هذا الانبساط ولم نشاهد ذلك فى الدنيا فقال الله تعالى (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) طويلة ثم تبرك حتى تركب او يحمل عليها ثم تقوم فكذا السرير يطأطئ للمؤمن كما يطأطئ

بعض (وزرابى) وهى شبه الطنافس (مبثوثة) مبسوطة لاهلها فلما أخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك قال كفار مكة ائتنا بآية بان الله ارسلك الينا رسولا فقال الله تعالى (افلا ينظرون) كفار مكة (الى الابل كيف خلقت) بقوتها وشدتها تقوم بحملها ولا

الابل (والى السماء كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا امساك وعمد ثم نجومها تكثر هذه الكثرة فلاتدخل فى حساب الخلق فكذلك الاكواب (والى الجبال كيف نصبت) نصبا ثابتا فهى راسخة لاتميل مع طولها فكذا النمارق (والى الارض كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهى كلها بساط واحد تنبسط من الافق الى الافق فكذا الزرابى ويجوز ان يكون المعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لاينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه وتخصيص هذه الاربعة باعتباران هذا خطاب للعرب وحثالهم على الاستدلال والمرء انما يستدل بما تكثر مشاهدته له والعرب تكون فى البوادى ونظرهم فيها الى السماء والارض والجبال والابل

فهى اعز اموالهم وهم لها اكثر استعمالا منهم لسائر الحيوانات ولانها تجمع جميع المآرب المطلوبة من الحيوان وهى النسل والدر والحمل والركوب والاكل بخلاف غيرها فانه سخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لاتعاز ضعيفا ولاتمانع صغيرا برأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وجعلها بحيث تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وتجرها الى البلاد الشاحطة وصبرها على احتمال العطش حتى ان ظمأها ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل نابت فى البرارى مما لايرعاه سائر البهائم (فذكر) هم بالادلة ليتفكروا فيها (انما انت مذكر) ليس عليك الا التبليغ (لست عليهم بمسيطر) بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار بمصيطر مدنى وبصرى وعلى وعاصم (الامن تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر) الاستثناء منقطع اى لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر

وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة ﴿ والى السماء كيف رفعت ﴾ بلا عمد ﴿ والى الجبال كيف نصبت ﴾ فهى راسخة لاتميل ﴿ والى الارض كيف سطحت ﴾ بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال ﴿ فذكر انما انت مذكر ﴾ فلا عليك ان لم ينظروا اولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾ بمتسلط وعن الكسائى بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام ﴿ الامن تولى وكفر ﴾ لكن من تولى وكفر ﴿ فيعذبه الله العذاب الاكبر ﴾ يعنى عذاب الآخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار

من اعظم شئ عند العرب فينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا واسفارا ذكرهم عظيم نعمته عليهم فيها ولهذا بدأ بها ولانها من اعجب الحيوانات عندهم ﴿ والى السماء كيف رفعت ﴾ يعنى فوق الارض بغير عمد ولاينالها شئ ﴿ والى الجبال كيف نصبت ﴾ اى على الارض نصبا ثابتا راسخا لايزول ﴿ والى الارض كيف سطحت ﴾ اى بسطت ومهدت بحيث يستقر على ظهرها كل شئ قال ابن عباس المعنى هل يقدر احد ان يخلق مثل الابل اويرفع مثل السماء اوينصب مثل الجبال اويسطح مثل الارض غير الله القادر على كل شئ ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ﴿ فذكر انما انت مذكر ﴾ اى فعظ انما انت واعظ ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ اى بمسلط فتكرههم على الايمان وهذه الآية منسوخة نسختها آية القتال ﴿ الامن تولى وكفر ﴾ استثناء منقطع عما قبله معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير ﴿ فيعذبه الله العذاب الاكبر ﴾ وهو ان يدخله النار وانما قال الاكبر لانهم

يقوم غيرها (والى السماء كيف رفعت) فوق الخلق لاينالها شئ (والى الجبال كيف نصبت) على الارض لايحركها شئ (والى الارض كيف سطحت) بسطت على الماء كل هذا آية لهم (فذكر) عظ (انما انت مذكر) مخوف بالقرآن ويقال واعظ متعظ بالقرآن وبالله (لست عليهم) يامحمد (بمسيطر) بمسلط ان تجبرهم على الايمان ثم امره بعد ذلك بالقتال فقال (الامن تولى وكفر) ويقال الامن تولى بنصب الالف عن الايمان وكفر بالله (فيعذبه الله) فى الآخرة (العذاب الاكبر)

بالله فان لله الولاية عليه والقهر فهو يعذبه العذاب الاكبر وهو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر
الامن انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض

وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر الا من تولى واصر فاستحق العـذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ﴿ان الينا ايابهم﴾ رجوعهم وقرئ بالتشـديد على انه فيعال مصدر ايب فيعل من الاياب اوفعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها فى ديوان ثم الثانية للادغام ﴿ثم ان علينا حسابهم﴾ فى المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فى الوعيد * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

﴿سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون اوثلاثون﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والفجر﴾ اقسم بالصبح اوفلقه كقوله والصبح اذا تنفس اوبصلاته ﴿وليال عشر﴾ عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة اوالنحر اوعشر رمضان الاخير وتنكيرها

عذبوا فى الدنيا بأنواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت النار اكبر من هذه كله ﴿ان الينا ايابهم﴾ اى رجوعهم بعـد الموت ﴿ثم ان علينـا حسابهم﴾ يعنى جزاءهم بعد الرجوع الينا والله اعلم

﴿تفسير سورة الفجر وهى مكية تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية﴾
﴿ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل ﴿والفجر﴾ اقسم الله عزوجل بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهى انها دلائل باهرة وبراهين قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا فى معانى هذه الالفاظ فروى عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح فى كل يوم اقسم الله تعالى به لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات فى طلب الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها مفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو فجر اول يوم من المحرم لان منه تنفجر السنة وقيل هو فجر ذى الحجة قرن به الليالى العشرة وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسـك الحج وفيه القربات ﴿وليال عشر﴾ قيل انما نكرها لما فيها من الفضل والشرف الذى لايحصل فى غيرها روى عن ابن عباس انها العشر الاول

(ان الينا ايابهم) رجوعهم وفائدة تقـديم الظرف التشديد فى الوعيد وان ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام (ثم ان علينا حسابهم) فنحاسبهم على اعمالهم ونجازيهم بها جزاء امثالهم وعلى لتأكيد الوعيد لاللوجوب اذ لايجب على الله شئ

﴿سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والفجر) اقسم بالفجر وهو الصبح كقوله والصبح اذا اسفر اوبصلاة الفجر (وليال عشر) عشر ذى الحجة اوالعشر الاول من المحرم اوالآخر من رمضان وانما نكرت لزيادة فضيلتها

يعنى عذاب النار (ان الينا ايابهم) مرجعهم فى الآخرة (ثم ان علينا حسابهم) ثباتهم فى الدنيا وثوابهم وعقابهم فى الآخرة

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الفجر وهى كلها مكية آياتها تسع وعشرون وكلماتها مائة وتسع وثلاثون وحروفها خمسمائة وسبعة وتسعون﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والفجر) (من)
يقول اقسم الله بالفجر وهو صبح النهار ويقال هو النهار كله ويقال الفجر فجر السـنة (وليال عشر) من اول

(والشفع والوتر) شفع كل الاشياء ووترها اوشفع هذه الليالى ووترها اوشفع الصلاة ووترها اويوم النحر
لانه يوم العاشر ويوم عرفة لانه والخالق والوتر حمزة وعلى

للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام ﴿ والشفع والوتر ﴾ والاشياء كلها شفعها ووترها او الخلق كقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات اوشفع الصلوات ووترها او بيومى النحر وعرفة وقد روى مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد اومدخلا فى الدين اومناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ غير حمزة والكسائى والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر ﴿ والليل اذا يسر ﴾ اذا يمضى كقوله والليل اذا دبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذفت

من ذى الحجة لانها ايام الاشتغال بأعمال الحج واخرج الترمذى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مامن ايام العمل فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث وروى عن ابن عباس قال هى العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان احيا ليله وشد مئزره وايقظ اهله يعنى للعبادة وقيل هى العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشوراء ﴿ والشفع والوتر ﴾ قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن ابى سعيد الخدرى وقيل الشفع هو الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلالة والسعادة والشقاوة والليل والنهار والارض والسماء والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هى الصلوات منها شفع ومنها وتر * عن عمران ابن حصين رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر قال هى الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع النفر الاول والوتر النفر الاخير وروى ان رجلا سأله عن الشفع والوتر والليالى العشر فقال اما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم فهما الشفع والوتر واما الليالى العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالى والوتر اليوم الذى لا ليلة معه وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله تعالى التى تفرد بها عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت ﴿ والليل اذا يسر ﴾ اى اذا سار وذهب وقيل

وبفتح الواو وغيرهما وهما لغتان فالفتح حجازى والكسر تميمى وبعدما اقسم بالليالى على العموم فقال (والليل) قيل اريد به ليلة القدر (اذا يسر) اذا يمضى وياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وسأل واحد الاخفش عن سقوط الياء فقال لاحتى تخدمنى سنة فساله بعد سنة فقال الليل لايسرى انما يسرى فيه فلما عدل عن معناه عدل عن لفظه موافقة وقيل معنى يسرى يسرى فيه كما يقال ليل نائم اى ينام

ذى الحجة (والشفع) يوم عرفة ويوم النحر (والوتر) ثلاثة ايام بعد يوم النحر ويقال الشفع كل صلاة تصلى ركعتين اواربعة من صلاة الغداة والظهر والعصر والعشاء والوتر وهى كل صلاة تصلى ثلاثة وهى صلاة المغرب والوتر ويقال الشفع السماء والارض والدنيا والآخرة والجنة والنار والعرش والكرسى والشمس والقمر كل هذا شفع والوتر ما يكون
فردا ويقال الشفع الذكر والانثى والكافر والمؤمن والمخلص والمنافق والصالح والطالح والوتر هو الله (والليل اذا يسر) يذهب وهى ليلة المزدلفة ويقال يذهب ويجئ فيه الناس اقسم الله بهؤلاء الاشياء ان ربك يا محمد لبالمرصاد

فيه (هل فى ذلك) اى فيما اقسمت به من هذه الاشياء (قسم) اى مقسم به (لذى حجر) عقل سمى به لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا و نهية لانه يعقل وينهى يريد هل تحقق عنده ان تعظم هذه الاشياء بالاقسام بها اوهل فى اقسامى بها اقسام لذى حجر اى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه اوهل فى القسم بهذه الاشياء قسم مقنع لذى عقل ولب والمقسم عليه محذوف وهو قوله ليعذبن يدل عليه قوله الم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب ثم ذكر تعذيب الامم التى كذبت الرسل فقال (الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) اى الم تعلم يا محمد علما يوازى العيان فى الايقان وهو الاستفهام تقرير لعقب عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عادا الاولى والارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة فارم عطف بيان لعاد وايذان انهم عادا الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وارضهم التى كانوا فيها يدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت اوارضا للتعريف والتأنيث وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انهم كانوا بدويين اهل عمد اوطوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة وان كانت صفة للبلدة فالمعنى انها ذات اساطين وروى انه

الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعات الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق ﴿ هل فى ذلك ﴾ القسم اوالمقسم به ﴿ قسم ﴾ حلف اومحلوف به ﴿ لذى حجر ﴾ يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ﴿ الم تر كيف فعل ربك بعاد ﴾ يعنى اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام ابن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم باسمه ﴿ ارم ﴾ عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ﴿ ذات العماد ﴾ ذات البناء الرفيع اوالقدود الطوال اوالرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان

اذا جاء واقبل واراد به كل ليلة وقيل هى ليلة المزدلفة وهى ليلة النحر التى يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل الذى يسار فيه ﴿ هل فى ذلك ﴾ اى فيما ذكرت ﴿ قسم ﴾ مقنع ومكتفى فى القسم فهو استفهام بمعنى التأكيد ﴿ لذى حجر ﴾ اى لذى عقل سمى بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا ينبغى كما سمى عقلا لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمى نهية لانه ينهى عما لا يحل ولا ينبغى واصل الحجر المنع ولا يقال ذو حجر الالمن هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذالب وعقل علم ان ما اقسم الله عزوجل به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك بالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد وقيل جواب القسم محذوف وتقديره ورب هذه الاشياء ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب وقوله عزوجل الم تر كيف فعل ربك اى الم تعلم وانما اطلق لفظ الرؤية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم * وقوله ﴿ الم تر ﴾ خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد ﴿ كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ﴾ المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكم وهم كانوا اطول اعمارا و شد قوة من هؤلاء فاما عاد فهو

يقول على الطريق والطريق عليه (هل فى ذلك) يقول فيما ذكرت (قسم لذى حجر) لذى عقل (الم تر) الم تخبر يا محمد فى القرآن (كيف فعل ربك) صنع ربك (بعاد) قوم هود كيف اهلكهم الله تعالى عند التكذيب (ارم) ابن ارم وارم هو سام بن نوح وكان ابن سام شيم وابن شيم هام وابن هام عاد (ذات العماد) عماد السارية ويقال ذات القوة

كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبدالله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ماقدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) اى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع اولم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع

(التى لم يخلق مثلها فى البلاد) بالقوة والطول ويقال (قا وخا ٦٤ س) ارم هو اسم المدينة التى بناها شديد وشداد ذات العماد عماد الذهب والفضة التى لم يخلق مثلها فى البلاد بالحسن والجمال

شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبدالله بن قلابة انه خرج فى طلب ابله فوقع عليها ﴿التى لم يخلق مثلها فى البلاد﴾

عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عادا اسما للقبيلة لقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى وارم هو جد عاد على ماذكر فى نسبة عاد وقيل ان المتقدمين من قوم عاد كانوا يسمون بارم اسم جدهم وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة اسم موضع باليمن وكان عاد اباهم فنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن شيم ابن سام بن نوح وقال الكلبى ارم هو الذى يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل الجزيرة وكان يقال عاد ارم وثمود ارم فاهلك عاد وثمود وابقى اهل السواد واهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهى بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية سيارة فى الربيع فاذا هاج العود ويبس رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنان وزروع ومنازلهم بوادى القرى وهى التى قال الله تعالى ﴿التى لم يخلق مثلها فى البلاد﴾ وسموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول قتادة ومجاهد والكلبى ورواية ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعنى طولهم مثل العماد فى الشبه قال مقاتل كان طول احدهم اثنى عشر ذراعا وقوله التى لم يخلق مثلها فى البلاد يعنى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبناء بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناءه وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده وقهرا البلاد والعباد ثم مات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا روى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها احدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللؤلؤ والياقوت واذا ابواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهى مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك

صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة ﴿ وثمود الذين جابوا الصخر ﴾ قطعوه واتخذوه منازل كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا ﴿ بالواد ﴾ وادى القرى ﴿ وفرعون ذى الاوتاد ﴾ لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا انزلوا اولتعذيبه بالاوتاد

والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احـدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا فى تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انها مطردة يجرى ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسـه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤ ترابها ومن بنادق مسـكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ماكان معه وحدث بما رأى فبلغ ذلك معـاوية فارسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك فقص عليه مارأى فارسـل معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحق هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثنى حديثها فقال لما اراد شداد بن عاد عملها امر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوه بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسـيرون فى الارض ليجدوا ارضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التى امر الملك ان تبنى فيها فوضعوا اساسها من الجزع اليمانى واقاموا فى بنائها ثلثمائة سـنة وكان عمر شداد تسعمائة سـنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعنى سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند كل قصر الف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وامر الملك وزراءها وهم الف وزير ان يتهيؤا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسـيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل * قوله عزوجـل ﴿ وثمود ﴾ اى وفعل بثمود مثل مافعل بعـاد ﴿ الذين جابوا ﴾ اى قطعوا ﴿ الصخر ﴾ اى الحجر ﴿ بالواد ﴾ يعنى بوادى القرى وكانت ثمود اول من قطع الصخر ونحته واتخـذوا مسـاكن فى الجبال وبيوتا ﴿ وفرعون ذى الاوتاد ﴾ سمى بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا وقيل معنـاه ذى الملك كما قيل * فى ظل ملك راسخ الاوتاد * وقيل سمى بذلك لانه كان يعذب النـاس بالاوتاد وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس ان فرعون انما سمى ذا الاوتاد لانه كانت عنده امرأة مؤمنة وهى امرأة خازنه حزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سـنة وكانت امرأته ماشـطة بنت فرعون فبينما هى ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون وهل لك من اله غير

بلاد الدنيا (وثمود الذين جابوا الصخر) قطعوا الصخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخور ثمود وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من من الحجارة (بالواد) بوادى القرى (وفرعـون ذى الاوتاد) اى ذى الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب كثيرة يضربونها اذا نزلوا وقيل كان له اوتاد يعذب الناس بها كما فعل بآسية

(وثمود) يقول كيف اهلك ثمود قوم صالح (الذين جابوا الصخر بالواد) نقبـوا الصخر بوادى الـقرى (وفرعون) وكيف اهلك فرعون (ذى الاوتاد) وانما سمى ذى الاوتاد لانه جعل اربعـة اوتاد فاذا غضب على احد مده بين الاوتاد فيعذبه حتى يموت كما عذب امرأته آسية بنت مزاحم

ابى فقالت الهى واله ابيك واله السموات والارض واحد لاشريك له فقامت ودخلت على ابيها وهى تبكى فقال لها مايبكيك قالت الماشطة امرأة خازنك تزعم ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لاشريك له فارسل اليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها ويحك اكفرى بالهك واقرى انى الهك قالت لاافعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفرى بالله والاعذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتنى سبعين شهرا ماكفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فلبها ثم قال اكفرى بالله والاذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من فى الارض على فى ماكفرت بالله عزوجل فاتى بابنتها فلما اضجعت على صدرها وارادوا ذبحها جزعت المرأة فاطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهى من الاربعة الذين تكلموا فى المهد صغارا اطفالا وقالت ياأماه لاتجزعى فان الله قد بنى لك بيتا فى الجنة فاصبرى فانك تفضين الى رحمة الله وكرامته فذبحت فلم تلبث الام ان ماتت فاسكنها الله الجنة قال وبعث فى طلب زوجها حزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رؤى فى موضع كذا فى جبل كذا فبعث رجلين فى طلبه فانتهى اليه الرجلان وهو يصلى وثلاثة صفوف من الوحش خلفه يصلون فلما رأوا ذلك انصرفوا فقال حزقيل اللهم انك تعلم انى كتمت ايمانى مائة سنة ولم يظهر على احد فايماهذين الرجلين كتم على فاهده الى دينك واعطه من الدنيا سؤله وايماهذين الرجلين ظهر على فعجل عقوبته فى الدنيا واجعل مصيره فى الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما فاعتبر وآمن واما الآخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان فدعا به فقال احق مايقول هذا قال مارأيت ممايقول شيأ فاعطاه فرعون واجزل واما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قدتزوج امرأة من اجمل نساء بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ماصنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعنى ان اصبر على مايأتى فرعون وانا مسلمة وفرعون كافر فبينما هى كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقالت يافرعون انت اشر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها قال فلعل بك الجنون الذى كان بها قالت مابى من جنون وان الهها والهك والهى واله السموات والارض واحد لاشريك له فبصق عليها وضربها وارسل الى ابيها وامها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذى كان بالماشطة اصابها قالت اعوذ بالله من ذلك انى اشهد ان ربى وربك ورب السموات والارض واحد لاشريك له فقال لها ابوها ياآسية الست من خير نساء العالمين وزوجك اله العماليق قالت اعوذ بالله من ذلك ان كان مايقول حقا فقولاله ان يتوجنى تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عنى ثم مدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها بابا الى الجنة ليهون عليها مايصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من

(الذين) فى محل النصب على الذم او الرفع على هم الذين او الجر على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون (طغوا فى البلاد) تجاوزوا الحد (فاكثروا فيها الفساد) بالكفر والقتل والظلم (فصب عليهم ربك سوط عذاب) مجاز عن ايقاع العذاب بهم على ابلغ الوجوه اذ الصب يشعر بالدوام والسوط بزيادة الايلام اى عذبوا عذابا مؤلما دائما (ان ربك لبالمرصاد) وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده وهذا مثل لارصاده العباد وانهم لا يفوتونه وانه عالم بما يصدر منهم وحافظه فيجازيهم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر (فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) اى ضيق عليه

﴿ الذين طغوا فى البلاد ﴾ صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون اوذم منصوب اومرفوع ﴿ فاكثروا فيها الفساد ﴾ بالكفر والظلم ﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾ ماخلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمى به الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوطا لطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعدلهم فى الآخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف ﴿ ان ربك لبالمرصاد ﴾ المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب ﴿ فاما الانسان ﴾ متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل انه لبالمرصاد من الآخرة فلا يريد الا السعى لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها ﴿ اذا ما ابتلاه ربه ﴾ اختبره بالغنى واليسر ﴿ فاكرمه ونعمه ﴾ بالجاه والمال ﴿ فيقول ربى اكرمنى ﴾ فضلنى بما اعطانى وهو خبر المبتدأ الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله ﴿ واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه ﴾ اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتلاه

فرعون وعمله فقبض الله روحها وادخلها الجنة * قوله عز وجل ﴿ الذين طغوا فى البلاد ﴾ يعنى عادا وثمود وفرعون عملوا بالمعاصى وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله ﴿ فاكثروا فيها الفساد ﴾ يعنى القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع اقسام الاثم ﴿ فصب عليهم ربك سوط عذاب ﴾ يعنى لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون فى الدنيا من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ماخلط لهم من العذاب لان اصل السوط خلط الشئ بعضه ببعض وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرأ هذه الآية يقول ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها ﴿ ان ربك لبالمرصاد ﴾ قال ابن عباس يعنى بحيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد لا يفوته احد وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل ترجع الخلق الى حكمه وامره واليه مصيرهم وقيل انه يرصد اعمال بنى آدم والمعنى انه لا يفوته شئ من اعمال العباد كما لا يفوت من بالمرصاد وقد قيل ارصد النار على طريقهم حتى تهلكهم * قوله عز وجل ﴿ فاما الانسان اذا ما ابتلاه ﴾ اى امتحنه ﴿ ربه ﴾ اى بالنعمة ﴿ فاكرمه ﴾ اى بالمال ﴿ ونعمه ﴾ اى بما وسع عليه ﴿ فيقول ربى اكرمن ﴾ اى بما اعطانى من المال والنعمة ﴿ واما اذا ما ابتلاه ﴾ يعنى بالفقر ﴿ فقدر عليه ﴾ اى فضيق عليه وقيل قتر ﴿ رزقه ﴾

(الذين طغوا فى البلاد) عصوا وكفروا فى ارض مصر ويقال طغيانهم حملهم على ذلك (فاكثروا فيها) فى ارض مصر (الفساد) بالقتل وعبادة الاوثان (فصب) فانزل (عليهم ربك سوط عذاب) عذابا شديدا (ان ربك) يا محمد (لبالمرصاد) يقول عليه ممرهم وممر سائر الخلق ويقال ان ملائكة ربك على الصراط يحبسون العباد فى سبع مواطن ويسألونهم عن سبع خصال (فاما الانسان) وهو الكافر ابى بن خلف ويقال امية بن خلف (اذا (اى) مابتلاه) اذا اختبره (ربه) بالمال والغنى والعيش (فاكرمه) كثر ماله (ونعمه) وسع عليه معيشته (فيقول ربى اكرمن) بالمال والمعيشة (واما اذا ما ابتلاه) اختبره بالفقر (فقدر عليه) فقتر عليه (رزقه) معيشته

وجعله بمقدار بلغته فقدر شامى ويزيد (فيقول ربى اهان) اى الواجب لمن ربه بالمرصاد ان يسعى للعاقبة ولا تهمه العاجلة وهو قد عكس فانه اذا امتحنه ربه بالنعمة والسعة ليشكر قال ربى اكرمنى اى فضلنى بما اعطانى فيرى الاكرام فى كثرة الحظ من الدنيا واذا امتحنه بالفقر فقدر عليه رزقه ليصبر قال ربى اهاننى فيرى الهوان فى قلة الحظ من الدنيا لانه لا تهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها فرد عليه زعمه بقوله (كلا) اى ليس الاكرام والاهانة فى كثرة المال وقلته بل الاكرام فى توفيق الطاعة والاهانة فى الخذلان وقوله تعالى فيقول خبر المبتدأ الذى هو الانسان ودخول الفاء لما فى امامن معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر فى تقدير التأخير كانه قيل فاما الانسان فقائل ربى اكرمنى وقت ابتلاء وكذا فيقول الثانى خبر لمبتدأ تقديره واما هو اذا ماابتلاه ربه وسمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله ايشكر ام يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله ايصبر ام يجزع ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وانما انكر قوله ربى اكرمنى مع انه اثبته بقوله فاكرمه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه واثبته وهو قصده ان الله اعطاه ما اعطاه اكراما له لاستحقاقه كقوله انما اوتيته على علم عندى وانما اعطاه الله تعالى ابتلاء من غير استحقاق منه (بل لاتكرمون اليتيم ولاتحاضون على طعام المسكين) اى بل هناك شر من هذا القول وهو ان الله يكرمهم بالغنى فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة وحض اهله على طعام المسكين (وتأكلون التراث) اى الميراث (اكلا لما)

اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه ﴿ فيقول ربى اهانن ﴾ لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين اذ التوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء والانهماك فى حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه عنه بقوله ﴿ كلا ﴾ مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه ولان التوسعة تفضل والاخلال به لايكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون اكرمن واهانن بغير ياء فى الوصل والوقف وعن ابى عمرو مثله ووافقهم نافع فى الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد ﴿ بل لاتكرمون اليتيم ولايحضون على طعام المسكين ﴾ اى بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل على تهالكهم بالمال وهو انهم لايكرمون اليتيم بالنفقة والمبرة ولا يحثون اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولاتحاضون ﴿ ويأكلون التراث ﴾ الميراث واصله وراث ﴿ اكلا لما ﴾ ذالم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون ما جمعه المورث من حلال

اى وقد اعطاه مايكفيه ﴿ فيقول ربى اهانن ﴾ اى اذلنى بالفقر قيل نزلت فى امية بن خلف الجمحى الكافر وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذى تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظ فى الدنيا وقلته فرد الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال تعالى ﴿ كلا ﴾ اى ليس الامر كذلك اى لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لهوانه فاخبر ان الاكرام والاهانة لايدوران على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل جلاله وحكمته فقد يوسع على الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصناف المال ليختبره ايشكر ام يكفر ويضيق عليه ليختبره ايصبر ام يضجر ويقلق ﴿ بل لايكرمون اليتيم ﴾ اى لايعطونه حقه الثابت له فى الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما فى حجر امية بن خلف فكان يدفعه عن حقه ﴿ ولا يحضون على طعام المسكين ﴾ اى لايطعمون مسكينا ولايأمرون باطعامه وقرئ ولا يحاضون ومعناه ولايحض بعضهم بعضا على ذلك ﴿ ويأكلون التراث ﴾ اى الميراث ﴿ اكلا لما ﴾

(فيقول ربى اهانن) بالفقر وضيق المعيشة (كلا) وهو رد عليه ليس اكرامى بالمال والغنى واهانتى بالفقر وقلة المال ولكن اكرامى بالمعرفة والتوفيق واهانتى بالنكرة والخذلان (بل لاتكرمون اليتيم) لاتعرفون حق اليتيم كان فى حجره يتيم لم يعرف حقه ولم يحسن اليه (ولاتحاضون) ولايحثون انفسكم وغيرها (على طعام المسكين) على صدقة المساكين (وتأكلون التراث) الميراث (اكلا لما)

ذا) وهو الجمع بين الحلال والحرام وكانوا لايورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم (وتحبون المال) يقال حبه واحبه بمعنى (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص ومنع الحقوق ربن حجازى وابو عمرو يكرمون ولا يحضون ويأكلون ويحبون بصرى (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم ثم اتى بالوعيد وذكر تحسرهم

وحرام عالمين بذلك ﴿ وتحبون المال حبا جما ﴾ كثيرا مع حرص وشهوة وقرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب لايكرمون الى ويحبون بالياء والباقون بالتاء ﴿ كلا ﴾ ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد عليه ﴿ اذا دكت الارض دكا دكا ﴾ اى دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال والتلال اوهباء منبثا ﴿ وجاء ربك ﴾ اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته ﴿ والملك صفا صفا ﴾ بحسب منازلهم ومراتبهم ﴿ وجئ يومئذ بجهنم ﴾ كقوله تعالى وبرزت الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها ﴿ يومئذ ﴾ بدل من اذا دكت والعامل فيهما ﴿ يتذكر الانسان ﴾ اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها ﴿ وانى له الذكرى ﴾ اى منفعة

اى شديدا والمعنى انه يأكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا فى الجاهلية لايورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون نصيبهم وقيل الاكل اللم الذى يأكل كل شئ يجده لا يسأل احلال ام حرام فيأكل الذى له ولغيره ﴿ ويحبون المال حبا جما ﴾ اى كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به ويحبه ﴿ كلا ﴾ اى لاينبغى ان يكون الامر هكذا من الحرص على جمع المال وحبه وقيل معناه لايفعلون ما امروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف منهم وذلك حين لاينفعهم الندم فقال تعالى ﴿ اذا دكت الارض دكا دكا ﴾ اى دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شئ عليها من جبل وبناء وغيره حتى لايبقى على ظهرها شئ ﴿ وجاء ربك ﴾ اعلم ان هذه الاية من آيات الصفات التى سكت عنها وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها واجروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تأويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتأولها بعض المتأخرين وغالب المتكلمين فقالوا ثبت بالدليل العقلى ان الحركة على الله محال فلا بد من تأويل الاية فقيل فى تأويلها وجاء امر ربك بالمحاسبة والجزاء وقيل جاء امر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل آيات ربك فجعل مجيئها مجيئاله تفخيما لتلك الآيات ﴿ والملك صفا صفا ﴾ اى تنزل ملائكة كل سماء صفا صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف ﴿ وجئ يومئذ ﴾ يعنى يوم القيامة ﴿ بجهنم ﴾ قال ابن مسعود فى هذه الاية تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب عن يسار العرش ﴿ يومئذ ﴾ يعنى يوم يجاء بجهنم ﴿ يتذكر الانسان ﴾ اى يتعظ الكافر ويتوب ﴿ وانى له الذكرى ﴾ يعنى انه يظهر التوبة ومن اين له التوبة

على ما فرطوا فيه حين لاتنفع الحسرة فقال (اذا دكت الارض) اذا زلزلت (دكادكا) دكا بعد دك اى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا (وجاء ربك) تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه فان واحدا من الملوك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة مالايظهر بحضور عساكره وخواصه وعن ابن عباس امره وقضاؤه (والملك صفاصفا) اى ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجئ يومئذ بجهنم) قيل انها برزت لاهلها كقوله وبرزت الجحيم للغاوين وقيل هو مجرى على حقيقته ففى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها (يومئذ يتذكر الانسان) اى يتعظ (وانى له الذكرى) ومن اين له منفعة الذكرى

شديدا (وتحبون المال حبا جما) كثيرا (كلا) وهو رد عليه (اذا دكت الارض دكا دكا) يقول (يقول) اذا زلزلت الارض زلزلة بعد زلزلة (وجاء ربك) ويجئ ربك بلا كيف (والملك) ويجئ الملائكة (صفا صف) كصف اهل الدنيا فى الصلاة (وجئ يومئذ بجهنم) مع سبعين الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يقودونها الى المحشر ويكشف عنها (يومئذ) يوم القيامة (يتذكر الانسان) يتعظ الكافر ابى بن خلف وامية بن خلف (وانى له الذكرى) من اين له العظة

(يقول ياليتنى قدمت لحياتى) هذه وهى حياة الآخرة اى ياليتنى قدمت الاعمال الصالحة فى الحياة الفانية لحياتى الباقية (فيومئذ لايعذب عذابه احد) اى لايتولى عذاب الله احد لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم (ولا يوثق) بالسلاسل والاغلال (وثاقه احد) قال صاحب الكشاف لايعذب احد احدا كعذاب الله ولا يوثق احد احدا كوثاق الله لايعذب ولا يوثق على وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع اليها ابو عمرو فى آخر عمره والضمير يرجع الى الانسان الموصوف وهو الكافرين وقيل هو ابى بن خلف اى لايعذب احد مثل عذابه ولايوثق بالسلاسل مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده ثم يقول الله تعالى للمؤمن (يا ايتها النفس) اكراما له كما كلم موسى عليه السلام اويكون على لسان ملك (المطمئنة) الآمنة التى لايستفزها خوف ولاحزن وهى النفس المؤمنة او المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلايخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابى ياايتها النفس الآمنة المطمئنة وانما يقال لها عند الموت اوعند البعث او عند دخول الجنة (ارجعى الى) موعد (ربك) او ثواب ربك وقد فاتته العظة (يقول ياليتنى) يتمنى (قدمت لحياتى) الباقية من حياتى الفانية يقول ياليتنى عملت فى حياتى الفانية لحياتى الباقية (فيومئذ) يوم القيامة (لايعذب عذابه) كعذابه (احد ولا يوثق وثاقه احد) كوثاقه وله وجه آخر ان قرأت بكسر الذال والثاء يقول لايعذب عذابه كعذاب الله احد ولايوثق وثاقه كوثاق الله احد اى لايبلغ احد فى العذاب كما يبلغ الله فى عذاب الخلق (ياايتها النفس المطمئنة) الآمنة من عذاب الله الصادقة بتوحيد الله الشاكرة بنعماء الله الصابرة ببلاء الله الراضية بقضاء الله القانعة بعطاء الله (ارجعى الى ربك) الى ما اعد الله لك فى الجنة ويقال الى سيدك

الذكرى لئلا يناقض ماقبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة فان هذا التذكر توبة غير مقبولة ﴿ يقول ياليتنى قدمت لحياتى ﴾ اى لحياتى هذه اووقت حياتى فى الدنيا اعمالا صالحة وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد بفعله فان المحجور عن الشئ قد يتمنى ان كان ممكنا منه ﴿ فيومئذ لايعذب عذابه احد ولايوثق وثاقه احد ﴾ الهاء لله تعالى اى لايتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيامة سواه اذ الامر كله له اوللانسان اى لايعذب احد من الزبانية مثل مايعذبونه وقرأهما الكسائى ويعقوب على بناء المفعول ﴿ ياايتها النفس المطمئنة ﴾ على ارادة القول وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر دون معرفته وتستغنى به عن غيره او الى الحق بحيث لايريبها شك او الآمنة التى لايستفزها خوف ولاحزن وقد قرئ بها ﴿ ارجعى الى ربك ﴾ الى امره اوموعده بالموت ويشعر ذلك بقول

﴿ يقول ياليتنى قدمت لحياتى ﴾ اى قدمت الخير والعمل الصالح لحياتى فى الآخرة التى لاموت فيها ﴿ فيومئذ لايعذب عذابه احد ﴾ اى لايعذب احد فى الدنيا كعذاب الله الكافر يومئذ ﴿ ولايوثق وثاقه احد ﴾ يعنى لايبلغ احد من الخلق كبلاغ الله فى العذاب والوثاق هو الاسر فى السلاسل والاغلال وقرئ لايعذب ولايوثق بفتح الذال والثاء ومعناه لايعذب عذاب هذا الكافر احد ولايوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف وذلك لشدة كفره وعتوه * قوله عزوجل ﴿ ياايتها النفس المطمئنة ﴾ اى الثابتة على الايمان والايقان المصدقة بما قال الله تعالى الموقنة التى قد ايقنت بالله تعالى وبان الله ربها وخضعت لامره وطاعته وقيل المطمئنة المؤمنة الموقنة وقيل هى الراضية بقضاء الله وقيل هى الآمنة من عذاب الله وقيل هى المطمئنة بذكر الله قيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل فى حبيب ابن عدى الانصارى وقيل فى عثمان حين اشترى بئر رومة وسبلها وقيل فى ابى بكر الصديق والاصح ان الآية عامة فى كل نفس مؤمنة مطمئنة لان هذه السورة مكية ﴿ ارجعى الى ربك ﴾ اى الى ما وعد ربك من الجزاء والثواب قيل يقال لها ذلك عند خروجها من الدنيا قال عبدالله بن عمر اذا توفى العبد المؤمن ارسل الله عز وجل اليه ملكين وارسل اليه بتحفة من الجنة فيقال اخرجى ايتها النفس المطمئنة اخرجى الى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كاطيب ريح مسك وجده احد فى انفه والملائكة

من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس او بالبعث ﴿ راضية ﴾ بما اوتيت ﴿ مرضية ﴾ عند الله تعالى ﴿ فادخلى فى عبادى ﴾ فى جملة عبادى الصالحين ﴿ وادخلى جنتى ﴾ معهم اوفى زمرة المقربين فتستضئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى التى اعددت لك * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

﴿ سورة البلد مكية وآيها عشرون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لااقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ﴾ اقسم سبحانه وتعالى بالبلد الحرام

على ارجاء السماء يقولون قدجاء من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الافتح لها ولايملك الاصلى عليها حتى يؤتى بها الرحمن جل جلاله فتسجدله ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره فسبعون ذراعا عرضه وسبعون ذراعا طوله وينبذله فيه الروح والريحان فان كان معه شئ من القرآن كفاه نوره وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا احب اهله اليه واذا توفى الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد اى من كساء انتن من كل نتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجى الى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان وقيل فى معنى قوله ارجعى الى ربك اى الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها ذلك عند البعث فيأمر الله الارواح ان ترجع الى اجسادها وهو قول عكرمة وعطاء والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل ارجعى الى ثواب ربك وكرامته ﴿ راضية ﴾ اى عن الله بما اعدلك ﴿ مرضية ﴾ اى رضى الله عنها وقيل لها فى الدنيا ارجعى الى ربك راضية مرضية فاذا كان يوم القيامة قيل لها ﴿ فادخلى فى عبادى ﴾ اى فى جملة عبادى الصالحين المصطفين ﴿ وادخلى جنتى ﴾ قال سعيد بن جبير مات ابن عباس بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير على خلقه طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لايدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى وقال بعض اهل الاشارة فى تفسير هذه الآية يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعى الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك سبيل الآخرة والله اعلم

﴿ تفسير سورة البلد وهى مكية وعشرون آية واثنتان ﴾

﴿ وثمانون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ لا اقسم بهذا البلد ﴾ تقدم الكلام على قوله لا اقسم فى اول سورة (القيامة)

عبادى الصالحين فانتظمى فى سلكهم (وادخلى جنتى) معهم وقال ابو عبيدة اى مع عبادى اوبين عبادى اى خواصى كما قال وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى اجساد عبادى كقراءة عبدالله بن مسعود فى جسد عبدى ولما مات ابن عباس بالطائف جاء طائر لم ير على خلقته فدخل فى نعشه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر ولم يدر من تلاها قيل نزلت فى حمزة بن عبدالمطلب وقيل فى خبيب الذى صلبه اهل مكة وقيل هى عامة فى المؤمنين اذ العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب ﴿ سورة البلد مكية وهى عشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (لاأقسم بهذا البلد) أقسم يعنى الجسد (راضية) بثواب الله (مرضية) عنك بالتوحيد (فادخلى فى عبادى) فى زمرة اوليائى (وادخلى جنتى) التى اعدت لك

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها البلد وهى كلها مكية آياتها عشرون وكلماتها اثنتان وثمانون وحروفها ثلثمائة وعشرون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (لا اقسم) يقول اقسم (بهذا البلد)

سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا فى مكابد المشاق واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وانت حل بهذا البلد) اى ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد يعنى مكة كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة

وتعجيب من حالهم فى عداوته اوسلى رسول الله

وقيده بحلول الرسول عليه الصلاة والسلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد فى غيره او حلال لك ان تفعل فيه ماتريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ﴿ ووالد ﴾ عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ﴿ وماولد ﴾ ذريته او محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما فى قوله والله اعلم بما وضعت ﴿ لقد خلقنا الانسان فى كبد ﴾ تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لايزال فى الشدائد مبدؤها

القيامة والبلد هى مكة فى قول جميع المفسرين ﴿ وانت حل بهذا البلد ﴾ اى مقيم به نازل فيه فكانه عظم حرمة مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل اى حلال والمعنى احلت لك تصنع فيها ماتريد من القتل والاسر ليس عليك ماعلى الناس من الاثم فى استحلالها احل الله عزوجل له مكة يوم الفتح حتى قاتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما واحل دماء قوم وحرم دماء قوم آخرين فقال من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولم تحل لاحد قبلى ولاتحل لاحد بعدى وانما احلت لى ساعة من نهار فهى حرام بحرمة الله الى يوم القيامة والمعنى ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل ذلك على عظم قدرها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فقد وعد نبيه صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى فى الماضى وهو مقيم بمكة ان يفتحها عليه فى المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعد وقيل فى معنى قوله وانت حل بهذا البلد اى انهم يحرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه ﴿ ووالد وماولد ﴾ يعنى آدم وذريته اقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبآدم وبالانبياء والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلاحرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى ﴿ لقد خلقنا الانسان فى كبد ﴾ قال ابن عباس فى نصب وقيل يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعنه ايضا قال فى شدة من حمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته واصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد مايكابد ابن آدم وهو مع ذلك اضعف الخلق وعن ابن عباس ايضا قال الكبد الاستواء والاستقامة

بالقسم ببلده على ان الانسان لايخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا البلد اى وانت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك ان الله تعالى فتح عليه مكة واحلها له وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ماشاء وحرم ماشاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابى سفيان ونظير قوله وانت حل فى الاستقبال قوله انك ميت وانهم ميتون وكفاك دليلا على انه للاستقبال ان السورة مكية بالاتفاق واين الهجرة من وقت نزولها فما بال الفتح (ووالد وما ولد) هما آدم وولده او كل والد وولده او ابراهيم وولده وما بمعنى من او بمعنى الذى (لقد خلقنا الانسان) جواب القسم (فى كبد) مشقة يكابد

مكة (وانت حل بهذا البلد) يقول (قا وخا ٦٥ س) احل الله لك فى هذا البلد مالايحل لاحد قبلك ولا بعدك ويقال وانت حل نازل بهذا البلد ويقال انت فى حل مما صنعت فى هذا البلد (ووالد وماولد) فالوالد آدم وما ولد بنوه ويقال الوالد الذى يلد من الرجال والنساء وما ولد الذى لايلد من الرجال والنساء اقسم الله بهؤلاء الاشياء (لقد خلقنا الانسان) يعنى كلدة بن اسيد (فى كبد) معتدل القامة ويقال يكابد امر الدنيا والآخرة يقال فى كبد فى قوة وشدة

مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وعن ذى النون لم زل مربوطا بحبل القضاء مدعوا الى الائتمار والانتهاء والضمير فى (يحسب ان لن يقدر عليه احد) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله يكابد منهم مايكابد ثم قيل هو ابو الاشد وقيل الوليد بن المغيرة والمعنى يظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين ان لن تقوم قيامة ولم يقدر على الانتقام منه

ثم ذكر مايقوله فى ذلك اليوم وانه (يقول اهلكت مالا لبدا) اى كثيرا جمع لبدة وهو ماتلبد اى كثر واجتمع يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يدعونها مكارم ومعالى (ايحسب ان لم يره احد) حين كان ينفق ما ينفق رياء وافتخارا يعنى ان الله تعالى كان يراه وكان عليه رقيبا ثم ذكر نعمه عليه فقال (الم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يعبر به عما فى ضميره (وشفتين) يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ (وهديناه النجدين) طريقى الخير والشر المفضيين الى الجنة والنار وقيل

ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاه الموت ومابعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير فى ﴿أيحسب﴾ لبعضهم الذى كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابى الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظى ويجذبه عشرة فيتقطع ولا تزل قدماه اولكل احد منهم اوللانسان ﴿ان لن يقدر عليه احد﴾ فينتقم منه ﴿يقول﴾ اى فى ذلك الوقت ﴿اهلكت مالا لبدا﴾ كثيرا من تلبد الشئ اذا اجتمع والمراد ماانفقه سمعة ومفاخرة اومعاداة للرسول عليه السلام ﴿أيحسب ان لم يره احد﴾ حين كان ينفق اوبعد ذلك فيسأله عنه يعنى ان الله يراه فيجازيه اويجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله ﴿ألم نجعل له عينين﴾ يبصر بهما ﴿ولسانا﴾ يترجم به عن ضمائره ﴿وشفتين﴾ يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها ﴿وهديناه النجدين﴾ طريقى الخير والشر اوالثديين واصله

فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان منتصبا معتدل القامة وكل شئ من الحيوان يمشى منكبا وقيل منتصبا رأسه فى بطن امه فاذا اذن الله فى خروجه انقلب رأسه الى اسفل وقيل فى كبد اى فى قوة نزلت فى ابى الاشد اسيد بن كلدة بن جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظى تحت قدميه ويقول من ازالنى عنه فله كذا وكذا فلا يطاق ان ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم بقدر موضع قدميه ﴿أيحسب﴾ يعنى ابا الاشد من قوته ﴿ان لن يقدر عليه احد﴾ يعنى أيظن لشدته فى نفسه انه لايقدر عليه الله وقيل هو الوليد بن المغيرة المخزومى ﴿يقول﴾ يعنى هذا الكافر ﴿اهلكت﴾ اى انفقت ﴿مالا لبدا﴾ اى كثيرا من التلبيد الذى يكون بعضه فوق بعض يعنى فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿أيحسب ان لم يره احد﴾ يعنى ايظن ان الله لم يره ولايسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيم انفقه وقيل كان كاذبا فى قوله انه انفق ولم ينفق جميع ماقال والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار نفقته ثم ذكر نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى ﴿الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين﴾ يعنى ان نعم الله على عبده متظاهرة يقررها كى يشكره وجاء فى الحديث ان الله عز وجل يقول ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وان نازعك فرجك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه ﴿وهديناه النجدين﴾ قال اكثر المفسرين طريقى الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال ابن

(ايحسب) ايظن الكافر فى قوته وقدرته (ان لن يقدر عليه احد) نفى على اخذه وعقوبته احد يعنى الله (يقول) يعنى كلدة بن اسيد ويقال الوليد بن المغيرة (اهلكت مالا لبدا) انفقت مالا كثيرا فى عداوة محمد عليه السلام لم ينفعنى ذلك شيأ (ايحسب) ايظن الكافر (ان لم يره احد) لم ير الله صنيعه

{عباس}

نفقته [illegible] منته عليه فقال (الم نجعل له عينين) ينظر بهما (ولسانا) ينطق به (وشفتين) يضم ويرفع بهما (وهديناه النجدين) بيناله الطريقين طريق الخير والشر ويقال

المكان المرتفع ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ اى فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة وهو الدخول فى امر شديد والعقبة الطريق فى الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام فى قوله ﴿ وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذامقربة اومسكينا ذامتربة ﴾ لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن

عباس الذيين ﴿ فلا اقتحم العقبة ﴾ اى فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب واطعام السغبان يكون ذلك خيرا له من انفاقه فى عداوة من ارسله الله اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لم يقتحمها ولا جاوزها والاقتحام الدخول فى الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى اعمال الخير والبر فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب على مرتكبها بالعقبة فاذا اعتق رقبة او اطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروى عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل فى جهنم وقيل هى عقبة شديدة فى النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هى الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبتيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس فى النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس فى النار وقيل معنى الآية فهلا سلك طريق النجاة ثم بين ماهى فقال تعالى ﴿ وما ادراك ما العقبة ﴾ اى وما ادراك ما اقتحام العقبة ﴿ فك رقبة ﴾ يعنى عتق الرقبة وهو اخراجها من الرق وابطال الرق والعبودية عنها وذلك بان يعتق الرجل الرقبة التى فى ملكه او يعطى مكاتبا مايصرفه فى فكاك رقبته ومن اعتق رقبة كانت فداءه من النار (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوى باسناده عن البراء ابن عازب قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله علمنى عملا يدخلنى الجنة قال لئن كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسئلة اعتق النسمة وفك الرقبة قال اوليسا واحدا قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين فى ثمنها والمنحة الوكوف والفئ على ذى الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل فى معنى الآية فك رقبة من رق الذنوب بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التى يصير بها الى رضوان الله والجنة فهى الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار ﴿ او اطعام فى يوم ذى مسغبة ﴾ اى فى يوم ذى مجاعة والسغب الجوع ﴿ يتيما ذا مقربة ﴾ اى ذا قرابة يريد يتيما بينك وبينه قرابة ﴿ او مسكينا ذا متربة ﴾ اى قد لصق بالتراب من شدة

الدين (فلا اقتحم العقبة وما ادراك ما العقبة فك رقبة او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة

طريق الذيين (فلا اقتحم العقبة) يقول هل جاوز تلك العقبة الذى يدعى القوة وهى الصراط (وما ادراك) يامحمد (ما العقبة) هى عقبة ملساء بين الجنة والنار يجيء ذلك (فك رقبة) يقول اقتحامها فك رقبة ويقال لايجاوز تلك العقبة الامن قدعك رقبة اى نفسه اذا قرأت بنصب الكاف والتاء (او اطعام فى يوم ذى مسغبة) ذى مجاعة وشدة (يتيما ذا مقربة) ذا قرابة (او مسكينا ذا متربة) لاصق بالتراب من الجهد والمسكين الذى لاشئ له

ثم كان من الذين آمنوا) يعنى فلم يشكر تلك الايادى والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب او اطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذى هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه مرضى نافع عند الله لا ان يهلك ماله لبدا فى الرياء والفخار وقلما تستعمل لا مع الماضى الا مكررة وانما لم تكرر فى الكلام الافصح لانه لما فسر اقتحام العقبة بثلاثة اشياء صار كانه اعاد لا ثلاث مرات وتقديره فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا ولا آمن والاقتحام الدخول والمجاورة بشدة ومشقة والقحمة الشدة فجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما فى ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان والمراد بقوله ما العقبة ما اقتحامها ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله وفك الرقبة تخليصها من الرق والاعانة فى مال الكتابة فك رقبة او اطعم مكى وابو عمرو وعلى على الابدال من

وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض غيرهم فك رقبة او اطعام على اقتحامها فك رقبة او اطعام والمسغبة المجاعة والمقربة القرابة والمتربة الفقر مفعلات من سغب اذا جاع وقرب فى النسب يقال فلان قرابتى وذو مقربتى وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب فيكون مأواه المزابل ووصف اليوم بذى مسغبة كقولهم هم ناصب اى ذو نصب ومعنى ثم كان من الذين آمنوا اى داوم على الايمان وقيل ثم بمعنى الواو وقيل انما جاء بثم لتراخى الايمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا فى الوقت اذ الايمان هو السابق على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن (وتواصوا بالمرحمة) بالتراحم فيما بينهم (اولئك اصحاب الميمنة) اى الموصوفون بهذه الصفات من اصحاب الميمنة (والذين كفروا بآياتنا) بالقرآن او بدلائلنا (هم اصحاب المشأمة) اصحاب الشمال والميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشؤم اى الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن (عليهم)

وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب فى النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادراك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدر كنه صعوبتها وثوابها ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ عطفه على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام فى الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به ﴿وتواصوا﴾ واوصى بعضهم بعضا ﴿بالصبر﴾ على طاعة الله ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله تعالى ﴿اولئك اصحاب الميمنة﴾ اليمين او اليمن ﴿والذين كفروا بآياتنا﴾ بما نصبناه دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن ﴿هم اصحاب المشأمة﴾ الشمال او الشؤم ولتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شأن لا يخفى

وضره وقال ابن عباس هو المطروح فى التراب لا يقيه شئ والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ والمعنى انه ان كان مؤمنا تنفعه هذه القرب وكان مقتحما العقبة وان لم يكن مؤمنا لا تنفعه هذه القرب ولا يقتحم العقبة ﴿وتواصوا بالصبر﴾ يعنى وصى بعضهم بعضا على الصبر على اداء الفرائض وجميع اوامر الله ونواهيه ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ اى برحمة الناس وفيه الاشارة الى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله ﴿اولئك﴾ يعنى اهل هذه الخصال ﴿اصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم اصحاب المشأمة

(ثم كان) مع ذلك (من الذين آمنوا) فيما بينهم وبين ربهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وتواصوا) تحاثوا (بالصبر) على اداء فرائض الله والمرازى (وتواصوا) تحاثوا (بالمرحمة) بالترحم على الفقراء والمساكين (اولئك) اهل هذه الصفة (اصحاب الميمنة) اهل الجنة الذين يعطون كتابهم بيمينهم (والذين كفروا بآياتنا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن كله واصحابه (هم اصحاب المشأمة) اهل النار الذين يعطون كتابهم

(عليهم نار مؤصدة) وبالهمز ابوعمرو وحمزة وحفص اى مطبقة من اوصدت الباب وآصدته اذا اطبقته واغلقته والله اعلم ﴿سورة الشمس مكية وهى خمس عشرة آية﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (والشمس وضحاها) وضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها (والقمر اذا تلاها) تبعها فى الضياء والنور

﴿عليهم نار مؤصدة﴾ مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابوعمرو وحمزة وحفص بالهمزة من أصدته * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله سبحانه وتعالى الامان من غضبه يوم القيامة

﴿سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿والشمس وضحاها﴾ وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف ﴿والقمر اذا تلاها﴾ تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر اوغروبها ليلة البدر اوفى الاستدارة وكمال النور ﴿والنهار اذا جلاها﴾ جلى الشمس فانها تجلى اذا انبسط النهار اوالظلمة اوالدنيا اوالارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها ﴿والليل اذا يغشاها﴾ يغشى الشمس

عليهم نار مؤصدة﴾ يعنى مطبقة عليهم ابوابها لايدخل فيها روح ولايخرج منها غم والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿تفسير سورة الشمس وهى مكية وخمس عشرة آية واربع وخمسون﴾

﴿كلمة ومائتان وسبعة واربعون حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل ﴿والشمس وضحاها﴾ اى اذا بدا ضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى النهار كله لان الضحى هو نور الشمس وهو حاصل فى النهار كله وقيل الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها قوى حرها وهذا اضعف الاقوال ﴿والقمر اذا تلاها﴾ اى تبعها وذلك فى النصف الاول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر فى الاضاءة وخلفها فى النور وقيل تلاها فى الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدير وذلك فى الليالى البيض وقيل تلاها تبعها فى الطلوع وذلك فى اول ليلة من الشهر اذا غربت الشمس ظهر الهلال فكانه تبعها ﴿والنهار اذا جلاها﴾ يعنى جلا ظلمة الليل بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروفا ﴿والليل اذا يغشاها﴾ اى يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق وحاصل هذه الاقسام الاربعة ترجع الى الشمس فى الحقيقة لان

وذلك فى النصف الاول من الشهر يخلف القمر الشمس فى النور (والنهار اذا جلاها) جلى الشمس واظهرها للرائين وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تتجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة اوللدنيا اوللارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ماترك على ظهرها من دابة (والليل اذا يغشاها) يستر الشمس فتظلم الآفاق والواو الاولى فى نحو هذا للقسم بالاتفاق وكذا الثانية عند البعض وعند الخليل الثانية للعطف لان ادخال القسم على القسم قبل تمام الاول لايجوز الاترى انك لو جعلت موضعها كلمة الفاء اوثم لكان المعنى على حاله وهما حرفا عطف فكذا الواو ومن قال انها للقسم احتج بانها لو كانت للعطف لكان عطفا على عاملين لان قوله والليل مثلا مجرور بواو القسم واذا يغشى منصوب بالفعل المقدر الذى هو اقسم فلو جعلت الواو فى

بشعالهم (عليهم نار مؤصدة) مطبقة بلغة طى ﴿ومن السورة التى يذكر فيها الشمس وهى كلها مكية آياتها خمس عشرة وكلماتها اربع وخمسون كلمة وحروفها مائتان وسبعة واربعون﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والشمس وضحاها) اقسم الله بالشمس وضوئها (والقمر اذا تلاها) تبعها يقول تبع الشمس اول ليلة رؤى الهلال (والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها) مقدم ومؤخر يقول والليل اذا يغشاها يغشى ضوء النهار

والنهار اذا تجلى للعطف لكان النهار معطوفا على الليل جرا واذا تجلى معطوفاعلى اذا يغشى نصبا فصار كقولك ان فى الدار زيدا والحجرة عمرا وجيب بان واو القسم تنزل منزلة الباء والفعل حتى لم يجز ابراز الفعل معها فصارت كانها العاملة نصبا وجرا وصارت كعامل واحد له عملان وكل عامل له

فيغطى ضوءها والافق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظروف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو لما بعدها فى قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين ﴿ والسماء وما بناها ﴾ ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والشئ القادر الذى بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام فى قوله ﴿ والارض وما طحاها ونفس وما سواها ﴾ وجعل الماآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله ﴿ فالهمها فجورها وتقواها ﴾ بقوله وماسواها الان يضمر فيها اسم الله تعالى للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما فى قوله علمت نفس اوللتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى

بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر ﴿ والسماء وما بناها ﴾ اى ومن بناها وقيل والذى بناها فعلى هذا كانه اقسم به وباعظم مخلوقاته ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اى والسماء وبنائها ﴿ والارض وما طحاها ﴾ اى بسطها وسطحها على الماء ﴿ ونفس وما سواها ﴾ اى عدل خلقها وسوى اعضاءها هذا ان اريد بالنفس الجسد وان اريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها اعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغيرذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه اراد بها النفس الشريفة المكلفة التى تفهم عنه خطابه وهى نفس جميع من خلق من الانس والجن ﴿ فالهمها فجورها وتقواها ﴾ قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها ما تأتى وما تتقى وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق فى المؤمن التقوى وفى الكافر الفجور (م) عن ابى الاسود الديلى قال قال لى عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق اوفيما يستقبلونه مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شئ خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فقال لى يرحمك الله انى لم ارد بما سألتك الا لاختبر

عملان يجوز ان يعطف على معموليه بعاطف واحد بالاتفاق نحو ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما فكذا هنا وما مصدرية فى (والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها) اى وبنائها وطحوها اى بسطها وتسوية خلقها فى احسن صورة عند البعض وليس بالوجه لقوله فالهمها لما فيه من فساد النظم والوجه ان تكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كانه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سواها وانما نكرت النفس لانه اراد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم كانه قال وواحدة من النفوس او اراد كل نفس والتنكير للتكثير كما فى علمت نفس (فالهمها فجورها وتقواها) فاعلمها طاعتها ومعصيتها اى افهمها ان احدهما حسن والآخر قبيح

(عنك)

والنهار اذا جلاها جلى ظلمة الليل (والسماء وما بناها) والذى خلقها وهو الله اقسم بنفسه (والارض وما طحاها) والذى بسطها على الماء (ونفس وما سواها) والذى سوى خلقها باليدين والرجلين والعينين والاذنين وسائر الاعضاء (فالهمها فجورها وتقواها) فعرفها وبين لها ما تأتى وما تتقى اقسم الله بنفسه وبهولاء

(قد افلح) جواب القسم والتقدير لقد افلح قال الزجاج صار طول الكلام عوضا عن اللام وقيل الجواب محذوف وهو الاظهر تقديره ليدمدمن الله عليهم اى على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ (من زكاها) طهرها الله واصلحها وجعلها زاكية (وقد خاب من دساها) اغواها الله قال عكرمة افلحت نفس زكاها الله وخابت نفس اغواها الله ويجوز ان تكون التدسية والتطهير فعل العبد والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس والياء بدل من السين المكررة (كذبت ثمود بطغواها) بطغيانها اذ

الاشياء (قد افلح) قد فاز نفس (من زكاها) من اصلحها لله وعرفها ووفقها (وقد خاب) خسر نفس (من دساها) من اغواه الله واضلها وخذلها (كذبت ثمود) قوم صالح (بطغواها) يقول طغيانهم

افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما ﴿ قد افلح من زكاها ﴾ انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكانه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بمايدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذى هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق فى شكر نعمائه الذى هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل هو استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ بسبب طغيانها اوبما اوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله فاهلكوا

عقلك ان رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يارسول الله ارأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقال لا بل شئ قضى عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها (م) عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم فقال يارسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الآن فيم العمل اليوم فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير او فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه اقسام اقسم الله تعالى بالشمس وضحاها وما بعدها اشرفها ومصالح العالم بها وقيل فيه اضمار تقديره ورب الشمس وما بعدها واورد على هذا القول انه قد دخل فى جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السماء ورب من بناها وهذا خطأ لا يجوز واجيب عنه بان ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذى بناها وجواب القسم قوله تعالى ﴿ قد افلح من زكاها ﴾ المعنى لقد افلح من زكاها اى فازت وسعدت نفس زكاها الله اى اصلحها الله وطهرها من الذنوب ووفقها للطاعة ﴿ وقد خاب من دساها ﴾ اى خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وافسدها واصله من دس الشئ اذا اخفاه فكانه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره وزكاه وخسارة من خذله واضله حتى لا يظن احد انه يتولى تطهير نفسه او اهلاكها بالمعصية من غير قدر متقدم وقضاء سابق (م) عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها * قوله عز وجل ﴿ كذبت ثمود ﴾ وهم قوم صالح عليه الصلاة والسلام ﴿ بطغواها ﴾

الحامل لهم على التكذيب طغيانهم (اذانبعث) حين قام يعقر الناقة (اشقاها) اشقى ثمود قدار بن سالف وكان اشقر ازرق
قصيرا واذ منصوب بكذبت اوبالطغوى (فقال لهم رسول الله) صالح عليه السلام

(ناقة الله) نصب على التحذير اى احذروا عقرها (وسقياها) كقولك الاسد الاسد (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا (فعقروها) اى الناقة اسند الفعل اليهم وان كان العاقر واحدا لقوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر لرضاهم به (فدمدم عليهم ربهم) اهلكهم هلاك استئصال (بذنبهم) بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم الرسول وعقرهم الناقة (فسواها) فسوى الدمدمة عليهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) ولا يخاف الله عاقبة هذه الفعلة اى فعل ذلك غير خائف ان تلحقه تبعة من احد كما يخاف من يعاقب من الملوك لانه فعال فى ملكه وملكه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فلا يخاف مدنى وشامى

بالطاغية واصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى ﴿ اذانبعث ﴾ حين قام ظرف لكذبت اوطغوى ﴿ اشقاها ﴾ اشقى ثمود وهو قدار بن سالف اوهو ومن مالأه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر ﴿ فقال لهم رسول الله ناقة الله ﴾ اى ذروا ناقة الله واحذروا عقرها ﴿ وسقياها ﴾ فلا تذودوها عنها ﴿ فكذبوه ﴾ فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا ﴿ فعقروها فدمدم عليهم ربهم ﴾ فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم ﴿ بذنبهم ﴾ بسببه ﴿ فسواها ﴾ فسوى الدمدمة بينهم اوعليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير اوثمود بالاهلاك ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ اى عاقبة الدمدمة اوعاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف * عن النبى عليه السلام من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

اى بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا ﴿ اذانبعث اشقاها ﴾ اى قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا اشقر ازرق العين قصيرا فعقر الناقة (ق) عن عبدالله بن زمعة انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى اهله مثل ابى زمعة لفظ البخارى قوله عارم اى شديد ممتنع * قوله تعالى ﴿ فقال لهم رسول الله ﴾ يعنى صالحا عليه الصلاة والسلام ﴿ ناقة الله ﴾ اى ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما اضافها الى الله تعالى لشرفها كبيت الله ﴿ وسقياها ﴾ اى وشربها اى وذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها ﴿ فكذبوه ﴾ يعنى صالحا ﴿ فعقروها ﴾ يعنى الناقة ﴿ فدمدم عليهم ربهم ﴾ اى فدمر عليهم ربهم واهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم اى اطبق عليهم العذاب طبقا حتى لم ينفلت منهم احد ﴿ بذنبهم ﴾ اى فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام وعقرهم الناقة ﴿ فسواها ﴾ اى فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى بين الامة وانزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ اى لا يخاف الله تبعة من احد فى هلاكهم كذا قال ابن عباس وقيل هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما قدم عليه من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه الصلاة والسلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما انزل الله بهم من العذاب ان يؤذيه احد بسبب ذلك والله اعلم

حملهم على ذلك (اذانبعث اشقاها) قام اشقى القوم قدار بن سالف ومصدع ابن دهر فعقروا الناقة (فقال لهم رسول الله) صالح قبل ان يعقروا الناقة (ناقة الله) ذروا ناقة الله (وسقياها) اى وشربها (فكذبوه) صالحا بالرسالة {تفسير}
(فعقروها) فعقروا الناقة (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) اهلكهم ربهم بذنبهم بقتلهم الناقة وتكذيبهم صالحا (فسواها)
فسواهم بالعذاب الصغير والكبير (ولا يخاف عقباها) ثارها ويقال فعقروها ولا يخاف عقباها تبعتها مقدم ومؤخر

﴿ سورة والليل مكية وآيها احدى وعشرون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والليل اذا يغشى ﴾ اى يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه ﴿ والنهار اذا تجلى ﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس ﴿ وما خلق الذكر والانثى ﴾ والقادر الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ﴿ ان سعيكم لشتى ﴾ اى ان مساعيكم لاشتات مختلفة جمع شتيت ﴿ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى ﴾ تفصيل مبين لتشتت المساعي والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهي ما دلت على حق ككلمة التوحيد ﴿ فسنيسره لليسرى ﴾ فسنهيئه للخلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول

﴿ تفسير سورة والليل وهي مكية واحدى وعشرون آية واحدى ﴾
﴿ وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل ﴿ والليل اذا يغشى ﴾ اى يغشى النهار بظلمته فيذهب الله بضوئه اقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوي فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار بقوله ﴿ والنهار اذا تجلى ﴾ اى بان وظهر بعد الظلمة لان فيه حركة الخلق في طلب الرزق ﴿ وما خلق الذكر والانثى ﴾ اى ومن خلق فعلى هذا يكون اقسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد ان اريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما آدم وحواء وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدأ خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير أم وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ان سعيكم لشتى ﴾ اى ان اعمالكم لمختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى ابو مالك الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها اى مهلكها * قوله تعالى ﴿ فاما من اعطى ﴾ اى انفق ماله في سبيل الله عز وجل ﴿ واتقى ﴾ اى ربه وفيه اشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي ﴿ وصدق بالحسنى ﴾ قال ابن عباس صدق بقول لا اله الا الله وعنه صدق بالخلف به اى ايقن ان الله سيخلف عليه ما انفقه في طاعته وقيل صدق بالجنة وقيل صدق بموعد الله عز وجل الذي وعده انه يثيبه ﴿ فسنيسره ﴾ فسنهيئه في الدنيا ﴿ لليسرى ﴾ اى للخلة والفعلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله * قوله عزوجل

﴿ سورة الليل احدى وعشرون آية مكية ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والليل اذا يغشى) المغشى اما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها او النهار من قوله يغشى الليل النهار او كل شئ يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (والنهار اذا تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل (وما خلق الذكر والانثى) والقادر العظيم القدرة الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وجواب القسم (ان سعيكم لشتى) ان عملكم لمختلف وبيان الاختلاف فيما فصل على اثره (فاما من اعطى) حقوق ماله (واتقى) ربه فاجتنب محارمه (وصدق بالحسنى) بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او المثوبة الحسنى وهي الجنة او بالكلمة الحسنى وهي لا اله الا الله (فسنيسره لليسرى) فسنهيئه للخصلة

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الليل وهي كلها مكية آياتها احدى وعشرون وكلماتها احد وسبعون وحروفها ثلثمائة وعشرون حرفا ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (والليل) يقول اقسم الله بالليل (اذا يغشى) ضوء النهار (والنهار اذا تجلى) ظلمة الليل (وما خلق) والذي خلق (الذكر والانثى ان سعيكم) عملكم (لشتى) لمختلف مكذب بمحمد عليه السلام والقرآن ومصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (قا وخا ٦٦ س) وعامل للجنة وعامل للنار ولهذا كان القسم (فأما من اعطى) تصدق بماله في سبيل الله واشترى تسعة نفر من المؤمنين كانوا في ايدي الكافرين يعذبونهم على دينهم فاشتراهم منهم واعتقهم (واتقى) الكفر والشرك والفواحش (وصدق بالحسنى) بعدة الله ويقال بالجنة ويقال بلا اله الا الله (فسنيسره لليسرى) فسنهون

الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام ﴿ واما من بخل ﴾ بما امر به ﴿ واستغنى ﴾ بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى ﴿ وكذب بالحسنى ﴾ بانكار مدلولها ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار

﴿ واما من بخل ﴾ اى بالنفقة فى الخير والطاعة ﴿ واستغنى ﴾ اى عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه ﴿ وكذب بالحسنى ﴾ اى بلا اله الا الله اوكذب بما وعده الله عزوجل من الجنة والثواب ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ اى فسنهيئه للشر بان نجريه على يديه حتى يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل نعسر عليه ان يأتى خيرا وفى الآية دليل لاهل السنة وصحة قولهم فى القدر وان التوفيق والخذلان والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل بما سبق له فى الازل (ق) عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه قال كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة زاد مسلم والا وقد كتبت شقية او سعيدة فقالوا يارسول الله افلا نتكل على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فيصير لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فيصير لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى * المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه الانسان بيده * والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب الارض بذلك اوغيرها مما يؤثر فيه الضرب وهذه الآية نزلت فى ابى بكر الصديق وذلك انه اشترى بلالا من امية بن خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله ان سعيكم لشتى يعنى سعى ابى بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة وفرعها فى دار رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا طلع نخلته ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل الرجل عن نخلته حتى يأخذ التمرة من ايديهم وان وجدها فى فم احدهم ادخل اصبعه فى فيه حتى يخرجها فشكا ذلك الرجل الفقير الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتى النبى صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطينى نخلتك التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة فقال الرجل ان لى نخلا ومافيه اعجب الى منها ثم ذهب فسمع بذلك ابو الدحداح رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك ان تبيعها بحش يعنى حائطا له فيه نخل فقال هى لك فاتى ابو الدحداح النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله تشتريها منى بنخلة فى الجنة فقال نعم فقال هى لك فدعا النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصارى صاحب النخلة قال خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الآية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة

اليسرى وهى العمل بما يرضاه ربه (واما من بخل) بماله (واستغنى) عن ربه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى (وكذب بالحسنى) بالاسلام او الجنة (فسنيسره للعسرى) للخلة المؤدية الى النار فتكون الطاعة اعسر شئ عليه واشد او سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر بالعسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقى الجنة والنار

عليه الطاعة ونستوفقه بالطاعة مرة بعد مرة ويقال الصدقة فى سبيل الله مرة بعد مرة وهو ابو بكر الصديق (واما من بخل) بماله عن سبيل الله وهو الوليد بن المغيرة ويقال ابو سفيان بن حرب فلم يكن مؤمنا حينئذ (واستغنى) فى نفسه عن الله (وكذب بالحسنى) بعدة الله ويقال بالجنة ويقال بلا اله الا الله (فسنيسره للعسرى) فسنهون عليه المعصية مرة بعد مرة والامساك عن الصدقة فى سبيل الله

(وما يغني عنه ماله اذا تردى) ولم ينفعه ماله اذا هلك وتردى تفعل من الردى وهو الهلاك او تردى في القبر او في قعر جهنم اى سقط (ان علينا للهدى) ان علينا الارشاد الى الحق بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) فلا يضرنا ضلال من ضل ولا ينفعنا اهتداء من اهتدى او انهما لنا فمن طلبهما من غيرنا فقد اخطأ الطريق (فانذرتكم) خوفتكم (نارا تلظى) تتلهب (لا يصلاها) لا يدخلها للخلود فيها (الا الاشقى الذى كذب وتولى) الا الكافر الذى كذب الرسل واعرض

عن الايمان (وسيجنبها) وسيبعد منها (الاتقى) المؤمن (الذى يؤتى ماله) للفقراء (يتزكى) من الزكاء اى يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكاة ويتزكى ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير في يؤتى فمحله النصب قال ابو عبيدة الاشقى بمعنى الشقى وهو الكافر والاتقى بمعنى التقى وهو المؤمن لانه لا يختص بالصلى اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى لان التقى يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم

﴿وما يغنى عنه ماله﴾ نفى او استفهام انكار ﴿اذا تردى﴾ هلك تفعل من الردى او تردى في حفرة القبر او قعر جهنم ﴿ان علينا للهدى﴾ للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل ﴿وان لنا للآخرة والاولى﴾ فنعطى في الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء ﴿فانذرتكم نارا تلظى﴾ تتلهب ﴿لا يصلاها﴾ لا يلزمها مقاسيا شدتها ﴿الا الاشقى﴾ الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله ﴿الذى كذب وتولى﴾ اى كذب الحق واعرض عن الطاعة ﴿وسيجنبها الاتقى﴾ الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق ﴿الذى يؤتى ماله﴾ يصرفه في مصارف الخير لقوله ﴿يتزكى﴾ فانه بدل من يؤتى اوحال من فاعله

تكون هذه السورة قد نزلت بمكة وظهر حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في ابى بكر الصديق وامية بن خلف لان سياق الآيات يقتضى ذلك * قوله عز وجل ﴿وما يغنى عنه ماله﴾ اى الذى بخل به ﴿اذا تردى﴾ اى اذا مات وقيل هوى في جهنم ﴿ان علينا للهدى﴾ اى ان علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك انه لما عرفهم ما للمحسن من اليسرى وما للمسئ من العسرى اخبرهم ان بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقها وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فاكتفى بذكر احدهما والمعنى ارشد اوليائى الى العمل بطاعتى واصرف اعدائى عن العمل بطاعتى وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله سبيله ﴿وان لنا للآخرة والاولى﴾ اى لنا ما في الدنيا والآخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطأ الطريق ﴿فانذرتكم﴾ اى يا اهل مكة ﴿نارا تلظى﴾ اى تتوقد وتتوهج ﴿لا يصلاها الا الاشقى﴾ يعنى الشقى ﴿الذى كذب﴾ يعنى الرسل ﴿وتولى﴾ اى عن الايمان ﴿وسيجنبها الاتقى﴾ يعنى التقى ﴿الذى يؤتى﴾ اى يعطى ﴿ماله يتزكى﴾ اى يطلب عند الله ان يكون زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق في قول جميع المفسرين

(وما يغنى عنه ماله) الذى جمع في الدنيا (اذا تردى) اذا مات ويقال اذا تردى في النار (ان علينا للهدى) للبيان بيان الخير والشر (وان لنا للآخرة والاولى) ثواب الدنيا والآخرة ويقال لنا للآخرة والاولى الآخرة بالثواب والكرامة والاولى بالمعرفة والتوفيق (فانذرتكم) خوفتكم يا اهل مكة بالقرآن (نارا تلظى) تغيظ وتتلهب (لا يصلاها) لا يدخلها يعنى النار (الا الاشقى) الا الشقى في علم الله (الذى كذب) بالتوحيد ويقال قصر عن طاعة الله (وتولى) عن الايمان ويقال عن التوبة (وسيجنبها) يباعد ويزحزح عن النار (الاتقى) التقى (الذى يؤتى ماله) يعطى ماله في سبيل الله وهو ابو بكر الصديق (يتزكى) يريد بذلك وجه الله

﴿ وما لاحد عنده من نعمة تجزى ﴾ فيقصد بيتانه مجازاتها

قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال له ابوه اى بنى لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك قال منع ظهرى اريد فانزل الله وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد ابن اسحق قال كان بلال لبعض بنى جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت اوتكفر بمحمد فيقول وهو فى ذلك احد احد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار ابى بكر فى بنى جمح فقال لامية الا تتقى الله فى هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما ترى فقال ابو بكر افعل عندى غلام اسود اجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيكه قال قدفعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل ان يهاجر بلال سابعهم وهم عامر بن فهيرة شهد بدرا واحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا وام عميس وزهرة فاصيب بصرها حين اعتقها ابو بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا ورب البيت ما تضر اللات والعزى ولا تنفعان فرد الله تعالى عليها بصرها واعتق النهدية وابنتها وكانتا لامرأة من بنى عبدالدار فرآهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما يحتطبان لها وهى تقول والله لا اعتقهما ابدا فقال ابو بكر كلا ياام فلان فقالت كلا انت افسدتهما فاعتقهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية من بنى المؤمل وهى تعذب فابتاعها واعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه وماكانوا فيه من البلاء واعتاق ابى بكر اياهم وكان اسم ابى بكر عتيقا فقال فى ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه * عتيقا واخزى فاكها وابا جهل
عشية هما فى بلال بسوأة * ولم يحذرا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الانام وقوله * شهدت بان الله ربى على مهل
فان تقتلونى فاقتلونى فلم اكن * لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب ابراهيم والعبد يونس * وموسى وعيسى نجنى ثم لا تملى
لمن ظل يهوى الغى من آل غالب * على غير حق كان منه ولا عدل

قال سعيد بن المسيب بلغنى ان امية بن خلف قال لابى بكر فى بلال حين قال له اتبيعه قال نعم ابيعه بنسطاس عبد لابى بكر وكان نسطاس صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما قال امية ابيعه بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا ليد كانت لبلال عنده فانزل الله عزوجل ﴿ وما لاحد عنده ﴾ اى عند ابى بكر ﴿ من نعمة تجزى ﴾ اى من يد

خاصة وقيل الآية واردة فى الموازنة بين حالى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ فى صفتيهما فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كان النار لم تخلق الاله وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الاله وقيل هما ابو جهل وابو بكر وفيه بطلان زعم المرجئة لانهم يقولون لايدخل النار الا كافر (وما لاحد عنده من نعمة تجزى

(وما لاحد عنده من نعمة تجزى) ولم يفعل ذلك مجازاة لاحد

الابتغاء وجه ربه) اى وما لاحد عند الله نعمة يجازيه بها الا ان يفعل فعلا يبتغى به وجه ربه فيجازيه عليه (الاعلى) هو الرفيع بسلطانه المنيع فى شأنه وبرهانه ﴿٥٢٥﴾ ولم يرد به العلو {سورة والضحى} من حيث المكان فذا آية

﴿ الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ﴾ استثناء منقطع او متصل من محذوف مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ﴿ ولسوف يرضى ﴾ وعد بالثواب الذى يرضيه والآيات نزلت فى ابى بكر رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة يؤذيهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابوجهل او امية بن خلف * قال عليه السلام من قرأ سورة والليل اعطاه الله سبحانه وتعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

﴿ سورة والضحى مكية وآيها احدى عشرة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والضحى ﴾ ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه اولانه فيه كلم موسى ربه والقى السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة

يكافئه عليها ﴿ الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ﴾ اى لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب مرضاته ﴿ ولسوف يرضى ﴾ اى بما يعطيه الله عزوجل فى الآخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله اعلم

﴿ تفسير سورة والضحى وهى مكية واحدى عشرة آية ﴾

﴿ واربعون كلمة ومائة واثنان وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ والضحى ﴾ اختلفوا فى سبب نزول هذه السورة على ثلاثة اقوال * القول الاول (ق) عن جندب بن سفيان البجلى قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امرأة فقالت يا محمد انى لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك ليلتين او ثلاثا فانزل الله عزوجل والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وما قلى واخرجه الترمذى عن جندب قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غار فدميت اصبعه فقال النبى صلى الله عليه وسلم

هل انت الا اصبع دميت * وفى سبيل ما لقيت

قال فابطأ عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله عزوجل ماودعك ربك وما قلى وقيل ان المرأة المذكورة فى الحديث المتفق عليه هى ام جميل امرأة ابى لهب * القول الثانى قال المفسرون سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن ذى القرنين واصحاب الكهف فقال سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه * القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحى وجبريل عنه ان جروا كان فى بيته فلما نزل عليه عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا فى مدة احتباس الوحى

الحدثان (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه وهو كقوله تعالى لنبيه عليه السلام ولسوف يعطيك ربك فترضى

﴿ سورة والضحى مكية وهى احدى عشرة آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والضحى) المراد به وقت الضحى وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس وانما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا أو النهار كله لمقابلته بالليل فى قوله

(الا ابتغاء وجه ربه الاعلى) الا طلب رضا ربه الاعلى اعلى كل شئ (ولسوف يرضى) يعطى من الثواب والكرامة حتى يرضى وهو ابوبكر الصديق واصحابه

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الضحى وهى كلها مكية آياتها احد عشرة وكلماتها اربعون وحروفها مائة واثنان ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والضحى) يقول اقسم الله بالنهار كله

(والليل اذا سجى) سكن والمراد سكون الناس والاصوات فيه وجواب القسم (ماودعك ربك وماقلى) ماتركك منذ اختارك وما ابغضك منذ احبك والتوديع مبالغة فى الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك روى ان الوحى تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت وحذف الضمير من قلى لحذفه من الذاكرات فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فاوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف (وللآخرة خير لك من الاولى) اى ما اعد الله لك فى الآخرة من المقام المحمود والحوض المورود والخير الموعود خير مما اعجبك فى الدنيا وقيل وجه اتصاله بما قبله انه لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحى اليك وانك حبيب الله ولاترى كرامة اعظم من ذلك اخبره ان حاله فى الآخرة اعظم من ذلك لتقدمه على الانبياء وشهادة امته على الامم وغير ذلك (ولسوف يعطيك ربك) فى الآخرة من الثواب ومقام الشفاعة وغير ذلك (فترضى) ولما نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذا لاارضى قط وواحد من امتى فى النار واللام الداخلة على سوف لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ونحوه لاقسم فمن قرأ (الشفاعة)

بيانا ﴿ والليل اذا سجى ﴾ سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ﴿ ماودعك ربك ﴾ ماقطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ماتركك وهو جواب القسم ﴿ وماقلى ﴾ وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف اولزجره سائلا ملحا اولان جروا ميتا كان تحت سريره اولغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم ﴿ وللآخرة خير لك من الاولى ﴾ فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كانه لما بين انه تعالى لايزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعده ماهو اعلى واجل من ذلك فى الآخرة او ولنهاية امرك خير من بدايته فانه لايزال يتصاعد فى الرفعة والكمال ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ وعد شامل لما اعطاه من كمال

عنه فقيل اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل اربعون يوما فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام عليه قال النبى صلى الله عليه وسلم ياجبريل ماجئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل انى كنت اليك اشد شوقا ولكنى عبد مأمور ونزل وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله هذه السورة *قوله عز وجل والضحى قيل اراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله فى قوله والليل اذا سجى وقيل وقت الضحى وهى الساعة التى فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار فى الحر والبرد فى الصيف والشتاء ﴿ والليل اذا سجى ﴾ قال ابن عباس اقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل شئ بظلامه وقيل معناه سكن فاستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا قسم اقسم الله تعالى بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ماودعك ربك وما قلى ﴾ اى ماتركك ربك منذ اختارك ولا ابغضك منذ احبك وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤس الاى وقيل معناه وما قلى احدا من اصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة ﴿ وللآخرة خير لك من الاولى ﴾ اى الذى اعطاك ربك فى الآخرة خير لك واعظم من الذى اعطاك فى الدنيا وروى البغوى بسنده عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ قال ابن عباس هى

(والليل اذا سجى) اذا اظلم واسود (ماودعك ربك) ماتركك ربك منذ اوحى اليك (وماقلى) ماابغضك منذ احبك ولهذا كان القسم وهذا بعدما حبس الله عنه الوحى خمس عشرة ليلة لتركه الاستثناء فقال المشركون ودعه ربه وقلاه (وللآخرة خير لك من الاولى) يقول ثواب الآخرة خير لك من ثواب الدنيا (ولسوف يعطيك ربك) فى الآخرة من الشفاعة (فترضى)

النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخرله مما لايعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعدحذف المبتدأ والتقدير ولانت سوف يعطيك لاللقسم فانها لاتدخل على المضارع الامع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة ﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل وان تأخر ويجدك من الوجود

الشفاعة فى امته حتى يرضى (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه وقال اللهم امتى امتى وبكى فقال الله عزوجل ياجبريل اذهب الى محمد واسأله مايبكيك وهو اعلم فاتى جبريل وسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله ياجبريل اذهب الى محمد وقل له انا سنرضيك فى امتك ولانسوؤك (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وانى اختبأت دعوتى شفاعتى لامتى يوم القيامة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من امتى لايشرك بالله شيأ * عن عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتانى آت من عند ربى فخيرنى بين ان يدخل نصف امتى الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات لايشرك بالله شيأ اخرجه الترمذى قال حرب بن شريح سمعت جعفر ابن محمد بن على يقول انكم يامعشر اهل العراق تقولون ارجى آيه فى القرآن قل ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل فى معنى الآية ولسوف يعطيك ربك من الثواب فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وحمل الآية على ظاهرها من خيرى الدنيا والآخرة معا اولى وذلك ان الله تعالى اعطاه فى الدنيا النصر والظفر على الاعداء وكثرة الاتباع والفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة واعلى دينه وان امته خير الامم واعطاه فى الآخرة الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغيرذلك مما اعطاه فى الدنيا والآخرة ثم اخبر عن حاله صغيرا وكبيرا وقبل الوحى وذكر نعمه عليه واحسانه اليه فقال عزوجل ﴿ الم يجدك يتيما ﴾ اى صغيرا ﴿ فآوى ﴾ اى الم يعلمك الله يتيما من الوجود الذى هو بمعنى العلم والمعنى الم يجدك يتيما صغيرا حين مات ابوك ولم يخلف لك مالا ولامأوى فجعل لك مأوى تأوى اليه وضمك الى عمك ابى طالب حتى احسن تربيتك وكفاك المؤنة وذلك ان عبدالله مات ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبدالمطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه ابوطالب الى ان قوى واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا فى قريش عديم النظير فآواك اليه

الا مع نون التوكيد فتعين ان تكون لام ابتداء ولام الابتداء لاتدخل الاعلى المبتدأ والخبر فلابد من تقدير مبتدأ وخبر كاذكرنا كذا ذكره صاحب الكشاف وذكر صاحب الكشف هى لام القسم واستغنى عن نون التوكيد لان النون انما تدخل ليؤذن ان اللام لام القسم لالام الابتداء وقد علم انه ليس للابتداء لدخولها على سوف لان لام الابتداء لاتدخل على سوف وذكر ان الجمع بين حرف التأكيد والتأخير يؤذن بان العطاء كائن لامحالة وان تأخر ثم عدد عليه نعمه من اول حاله ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الاالحسنى وزيادة الخير ولا يضيق صدره ولايقل فقال (ألم يجدك يتيما) وهو من الوجود الذى بمعنى العلم والمنصوبان مفعولاه والمعنى الم تكن يتيما حين مات ابواك (فآوى) اى فآواك الى عمك ابى

حتى ترضى ثم ذكر منته عليه فقال (الم يجدك) يامحمد (يتيما) بلااب ولام (فآوى) فآواك الى عمك ابى طالب وكفى مؤنتك فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم

بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثاني اوالمصادفة ويتيما حال ﴿ ووجدك ضالا ﴾ عن علم الحكم والاحكام ﴿ فهدى ﴾ فعلمك بالوحي والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا في الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام اوحين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فأزال ضلالك عن عمك اوجدك

وايدك وشرفك بنبوته واصطفاك برسالته ﴿ ووجدك ضالا ﴾ اى عما انت عليه اليوم ﴿ فهدى ﴾ اى فهداك الى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا عن معالم النبوة واحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صبي صغير فرآه ابوجهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة مظلمة اذجاء ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفسك لا تدرى من انت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل الضلال هنا بمعنى الحيرة وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو في غار حراء في طلب مايتوجه به الى ربه حتى هداه الله لدينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل الله اليك فهداك لبيانه فهذا ماقيل في هذه الآية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة على ملة قومه فهداه الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبياء قبله منذ ولدوا نشؤا على التوحيد والايمان قبل النبوة وبعدها وانهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك ان قريشا عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وامر الجاهلية فانهم لم يجدوا لهم عليه سبيلا اذ لوكان فيه لما سكتوا عنه ولنقل ذلك فبرأه الله تعالى من جميع ماقالوه فيه وعيروه به ويؤكد هذا ماروى في قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى وذلك حين سافر مع عمه ابي طالب الى الشام فرأى بحيرا علامات النبوة فيه وهو صبي فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما ابغضت شيأ بغضهما ويؤكد هذا شرح صدره صلى الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج العلقة منه وقول جبريل هذا حظ الشيطان منك وملؤه حكمة وايمانا وقوله تعالى ماضل صاحبكم وما غوى وقال الزمخشري ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه على خلوهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دين قومه فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء والله اعلم * قوله عز وجل

(ووجدك)

طالب وضمك اليه حتى كفلك ورباك (ووجدك ضالا) اى غير عالم ولا واقف على معالم النبوة واحكام الشريعة وما طريقه السمع (فهدى) فعرفك الشرائع والقرآن وقيل ضل في طريق الشام حين خرج به ابو طالب فرده الى القافلة ولا يجوز ان يفهم به عدول عن حق ووقوع في غي فقد كان عليه السلام من اول حاله الى نزول الوحي عليه معصوما من عبادة الاوثان وقاذورات اهل

يا جبريل فقال جبريل ايضا (ووجدك) يامحمد (ضالا) بين قوم ضلال (فهدى) فهداك بالنبوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا جبريل فقال

﴿ووجدك عائلا﴾ فقيرا ذا عيال ﴿فاغنى﴾ بما حصل لك من ربح التجارة ﴿فاما اليتيم فلا تقهر﴾ فلاتغلبه على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه ﴿واما السائل فلاتنهر﴾ فلا تزجره

﴿ووجدك عائلا فاغنى﴾ يعنى فقيرا فاغناك بمال خديجة ثم بالغنائم وقيل ارضاك بما اعطاك من الرزق وهذه حقيقة الغنى (ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس * العرض بفتح العين والراء المال (م) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه وروى البغوى باسناد الثعلبى عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى عزوجل مسئلة ووددت انى لم اكن سألته قلت يارب انك آتيت سليمان بن داود ملكا عظيما و آتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك يتيما فآويتك قلت بلى يارب قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال الم اجدك عائلا فاغنيتك قلت بلى يارب زاد فى رواية الم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يارب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم ان يمن بانعامه على عبده والمن مذموم فى صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق تبارك وتعالى قلت انما حسن ذلك لانه سبحانه وتعالى قصد بذلك ان يقوى قلبه ويعده بدوام نعمه عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كأنه قال مالك تقطع رجاءك عنى الست الذى ربيتك و آويتك وانت يتيم صغير أتظنني تاركك ومضيعك كبيرا بل لابد وان اتم نعمتى عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق ثم اوصاه باليتامى والمساكين والفقراء فقال عزوجل ﴿فاما اليتيم فلا تقهر﴾ اى لاتحقر اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لاتقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب فى الجاهلية تفعل فى امر اليتامى يأخذون اموالهم ويظلمونهم حقوقهم روى البغوى بسنده عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ثم قال انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا ويشير باصبعيه (خ) عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما ﴿واما السائل فلا تنهر﴾ يعنى السائل على الباب يقول لاتزجره اذا سألك فقد كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق ولاتكهر بوجهك فى وجهه قال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعى السائل يريدنا الى الآخرة يجئ الى باب احدكم فيقول هل توجهون الى اهليكم بشئ وقيل السائل هو طالب العلم فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولايعبس

الفسق والعصيان (ووجدك عائلا) فقيرا (فاغنى) فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنائم (فاما اليتيم فلاتقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه (واما السائل فلا تنهر) فلاتزجره فابذل قليلا اورد جميلا وعن السدى المراد طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره

ايضا (ووجدك) يا محمد (عائلا) فقيرا (فأغنى) فأغناك بمال خديجة ويقال ارضاك بما اعطاك فقال النبى عليه السلام نعم ياجبريل فقال ايضا (فاما اليتيم فلاتقهر) فلا تظلمه ولاتحتقره (واما السائل فلا تنهر) فلاترده خائبا ولاتزجره

(وأما بنعمة ربك فحدث) اى حدث بالنبوة التى آتاك الله وهى اجل النعم والصحيح انها تعم جميع نعم الله عليه ويدخل تحته تعليم القرآن والشرائع والله اعلم ﴿سورة ألم نشرح مكية وهى ثمان آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم نشرح لك صدرك) استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح فكأنه قيل شرحنا لك صدرك ولذا عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى اى فسحناه بما اودعناه من العلوم والحكم حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين فأزلنا عنه الضيق والحرج الذى يكون

(واما بنعمة ربك) بالنبوة والاسلام (فحدث) الناس بذلك واخبرهم واعلمهم بذلك

﴿ومن السورة التى يذكر فيها ألم نشرح وهى كلها مكية آياتها ثمان وكلماتها سبع وعشرون وحروفها مائة وثلاثة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ألم نشرح لك صدرك) وهذا معطوف على قوله ووجدك عائلا فأغنى فقال ألم نشرح لك يا محمد صدرك قلبك للاسلام يقول الم تلين قلبك يوم الميثاق بالمعرفة والفهم والنصرة والعقل واليقين وغير ذلك ويقال ألم نوسع قلبك بالنبوت فقال النبى عليه السلام نعم فقال أيضا

﴿واما بنعمة ربك فحدث﴾ فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها * قال عليه السلام من قرأ سورة والضحى جعله الله سبحانه وتعالى فيمن يرضى لمحمد صلى الله عليه وسلم ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

﴿سورة ألم نشرح مكية وآيها ثمان﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ الم نفسحه حتى وسع مناجات الحق ودعوة الخلق

فى وجهه ولا ينهر ولا يلقى بمكروه ﴿واما بنعمة ربك فحدث﴾ قيل اراد بالنعمة النبوة اى بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التى آتاك الله وقيل النعمة هى القرآن امره ان يقرأه ويقرئه غيره وقيل اشكره * لما ذكره نعمه عليه فى هذه السورة من جبر اليتم والهدى بعد الضلالة والاغناء بعد العيلة والفقر امره ان يشكره على انعامه عليه والتحدث بنعمة الله تعالى شكرها * عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعطى عطاء فليجزبه ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من أثنى عليه فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور اخرجه الترمذى * وله عن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله * وله عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر * وروى البغوى باسناد الثعلبى عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة فى قراءة اهل مكة ان يكبر من اول سورة الضحى على رأس كل سورة حتى يختم القرآن فيقول الله اكبر وسبب ذلك ان الوحى لما احتبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزلت والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحى فاتخذوه سنة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿تفسير سورة ألم نشرح وهى مكية وثمان آيات وسبع وعشرون﴾

﴿كلمة ومائة وثلاثة أحرف﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ استفهام بمعنى التقرير اى قد فعلنا ذلك ومعنى الشرح الفتح بما يصده عن الادراك والله تعالى فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم

مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما (ووضعنا عنك وزرك) وخففنا عنك

اعباء النبوة والقيام بامرها وقيل هو زلة لاتعرف بعينها وهى ترك الافضل مع اتيان الفاضل والانبياء يعاتبون بمثلها ووضعه عنه ان غفر له والوزر الحمل الثقيل (الذى انقض ظهرك) اثقله حتى سمع نقيضه وهو صوت الانتقاض (ورفعنا لك ذكرك) ورفع ذكره ان قرن بذكر الله فى كلمة الشهادة والاذان والاقامة والخطب والتشهد وفى غير موضع من القرآن اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله والله ورسوله احق ان يرضوه وفى تسميته رسول الله ونبى الله ومنه ذكره فى كتب الاولين وفائدة لك ماعرف فى طريقة الابهام والايضاح لانه يفهم بقوله الم نشرح لك ان ثم مشروحا ثم اوضح بقوله صدرك ماعلم مبهما وكذلك ذكرك

(ووضعنا عنك وزرك) حططنا عنك اثمك (الذى أنقض ظهرك) اثقل ظهرك به يعنى الاثم ويقال أثقل ظهرك بالنبوة فقال النبى عليه السلام نعم فقال ايضا (ورفعنا لك ذكرك) صوتك

فكان غائبا حاضرا اوالم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وازلنا عنه ضيق الجهل او بما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ماكان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ماروى ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملاه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ماسبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ عبائك الثقيل ﴿ الذى انقض ظهرك ﴾ الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة او جهله بالحكم والاحكام اوحيرته اوتلقى الوحى او ماكان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم او من اصرارهم وتعديهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ بالنبوة وغيرها واى رفع مثل ان قرن اسمه باسمه تعالى فى كلمتى

للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التى تصده عن ادراك الحق وقيل معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان والموعظة والعلم والنبوة والحكمة وقيل هو شرح صدره فى صغره (م) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم اعاده الى مكانه وجاء الغلمان يسعون الى امه يعنى ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى اثر المخيط فى صدره ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ اى حططنا عنك وزرك الذى سلف منك فى الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وقيل الخطأ والسهو وقيل ذنوب امتك فأضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقيل المراد بذلك مااثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر فى اللغة الثقل تشبيها بوزر الجبل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذى ينقض ظهرك لوكان ذلك الوزر حاصلا فسمى العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول فى عصمة الانبياء قدتقدم مستوفى فى سورة طه عند قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ﴿ الذى انقض ظهرك ﴾ اى اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفى الذى يسمع من المحمل اوالرحل فوق البعير فمن حمل الوزر على ماقبل النبوة قال هو اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم بأمور كان فعلها قبل نبوته اذلم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها أوزارا وثقلت عليه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على مابعد النبوة قال هو ترك الافضل لان حسنات الابرار سيآت المقربين * وقوله عزوجل ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ روى البغوى باسناد الثعلبى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عن هذه الآية ورفعنا لك ذكرك قال قال الله عزوجل اذا ذكرت ذكرت معى قال

بالاذان والدعاء والشهادة ان تذكر كما اذكر فقال عليه السلام نعم فقال الله تعالى تعزية لنبيه بالفقر

الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه فى ملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالالقاب وانما زادلك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة ﴿فان مع العسر﴾ كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم ﴿يسرا﴾ كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك مايغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بمافى ان مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر للعسر واتصاله به اتصال المتقارنين ﴿ان مع العسر يسرا﴾ تكرير للتأكيد

ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر فلو ان عبدا عبد الله وصدقه فى كل شئ ولم يشهد ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله لم ينتفع من ذلك بشئ وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الاينادى اشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله وقال الضحاك لاتقبل صلاة الابه ولاتجوز خطبة الابه وقال مجاهد يريد التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبى مع اسمه * اذا قال فى الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله * فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره بأخذ ميثاقه على النبيين والزامهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره بان قرن اسمه باسمه فى قوله محمد رسول الله وفرض طاعته على الامة بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن يطع الله ورسوله فقد فاز ونحو ذلك مما جاء فى القرآن وغيره من كتب الانبياء ثم وعده باليسر والرخاء بعد الشدة والعناء وذلك انه كان فى شدة بمكة فقال تعالى ﴿فان مع العسر يسرا﴾ اى مع الشدة التى انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخاء بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا للحق الذى جئتهم به ﴿ان مع العسر يسرا﴾ وانما كرره لتأكيد الوعد وتعظيم الرجاء قال الحسن لمانزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لوكان العسر فى حجر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه ويخرجه انه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون فى معنى قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر وذكره بلفظ المعرفة وكرر اليسر بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثانى هو الاول واذا ذكرت اسما نكرة ثم اعادته كان الثانى غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثانى غير الاول واذا قلت كسبت درهما فانفقت الدرهم فالثانى هو الاول فالعسر فى الآية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ التنكير فكأنا يسرين فكأنه قال فان مع العسر يسرا ان مع ذلك العسر يسرا آخر وزيف ابوعلى الحسن بن يحيى الجرجانى صاحب النظم هذا القول وقال قد تكلم

وعنك وزرك (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) اى ان مع الشدة التى انت فيها من مقاساة بلاء المشركين يسرا باظهارى اياك عليهم حتى تغلبهم وقيل كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله فذكره ماانعم به عليه من جلائل النعم ثم قال ان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذى انتم فيه يسرا وجئ بلفظ مع لغاية مقاربة اليسر العسر زيادة فى التسلية ولتقوية القلوب وانما قال عليه السلام عند نزولها لن يغلب عسر يسرين لان العسر اعيد معرفا فكان واحدا لان المعرفة اذا اعيدت معرفة كانت الثانية عين الاولى

والشدة (فان مع العسر يسرا) مع الشدة الرخاء (ان مع العسر يسرا) مع الشدة الرخاء فذكر عسرا بين يسرين

اواستئناف وعدة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحتين اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف باللام فلا يتعدد سواء كان للعهد اوالجنس

الناس فى قوله ان يغلب عسر يسرين فلم يحصل منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسر واحد ويسران وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا فهذا لايوجب ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنين فمجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عزوجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنالك مالا حتى تكون كايسر اهل مكة فاغتم النبى صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه انما كذبوه لفقره فعدد الله نعمه عليه فى هذه السورة ووعده الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الغم فقال تعالى فان مع العسر يسرا اى لايحزنك الذى يقولون فان مع العسر الذى فى الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ماوعده وفتح عليه القرى القريبة ووسع ذات يده حتى كان يعطى المئين من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدأ فضلا آخر من امور الآخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من الفاء والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع العسر الذى فى الدنيا للمؤمن يسرا فى الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ماذكره فى الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ماذكره فى الآية الثانية فقوله لن يغلب عسر يسرين اى ان عسر الدنيا لن يغلب اليسر الذى وعده الله المؤمنين فى الدنيا واليسر الذى وعدهم فى الآخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الآخرة فدائم ابدا غير زائل اى لايجتمعان فى الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لاينقصان اى لايجتمعان فى النقص قال القشيرى كنت يوما فى البادية بحالة من الغم فالقى فى روعى بيت شعر فقلت

ارى الموت لمن اصبح * مغموم له اروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف فى الهواء

الا يا ايها المرء الـ * ـذى الهم به برح
وقد انشد بيتا لم * يزل فى فكره يسنح
اذا اشتد بك العسر * ففكر فى الم نشرح
فعسر بين يسرين * اذا ابصرته فافرح

قال فحفظت الابيات ففرج الله عنى وقال اسحق بن بهلول القاضى

فلاتيأس اذا اعسرت يوما * فقد ايسرت فى دهر طويل
ولاتظنن بربك ظن سوء * فان الله اولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار * وقول الله اصدق كل قيل

واليسر اعيد نكرة والنكرة اذا اعيدت نكرة كانت الثانية غير الاولى فصار المعنى ان مع العسر يسرين قال ابو معاذ يقال ان مع الامير غلاما ان مع الامير غلاما فالامير واحد ومعه غلامان واذا قال ان مع امير غلاما وان مع الامير الغلام فالامير واحد والغلام واحد واذا قيل ان مع امير غلاما وان مع امير غلاما فهما اميران وغلامان كذا فى شرح التأويلات

والعسر منكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد يغاير ما اريد بالاول ﴿ فاذا فرغت ﴾ من التبليغ ﴿ فانصب ﴾ فانصب فى العبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة او فاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء ﴿ والى ربك فارغب ﴾ بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافك وقرئ فرغب اى فرغب الناس الى طلب ثوابه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكانما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى

﴿ سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ والتين والزيتون ﴾ خصهما من بين الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فاضل

وقال احمد بن سليمان فى المعنى

توقع لعسر دهاك سرورا * ترى العسر عنك بيسر تسرى
فما الله يخلف ميعاده * وقد قال ان مع العسر يسرا

وقال غيره

وكل الحادثات اذا تناهت * يكون وراءها فرج قريب

* قوله عزوجل ﴿ فاذا فرغت فانصب ﴾ لما عدد الله على نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه السالفة بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وان لايخلى وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة اتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك فى الدعاء وارغب اليه فى المسئلة وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقيل اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب فى الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب انى لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا فى عمل دنياه ولا فى عمل آخرته * السبهلل الذى لا شئ معه وقيل السبهلل الباطل ﴿ والى ربك فارغب ﴾ اى تضرع اليه راغبا فى الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله تعالى فى جميع احوالك لا الى احد سواه والله اعلم

﴿ تفسير سورة والتين وهى مكية وثمان آيات وأربع وثلاثون ﴾

﴿ كلمة ومائة وخمسة أحرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عزوجل ﴿ والتين والزيتون ﴾ قال ابن عباس هو تينكم الذى تأكلون

وعن ابن عباس رضى الله عنهما فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد فى الدعاء واختلف انه قبل السلام او بعده ووجه الاتصال بما قبله انه لما عدد عليه نعمه السالفة ومواعيده الآتية بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ولا يخلى وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون

﴿ سورة والتين مكية وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(والتين والزيتون) اقسم

(فاذا فرغت) من الغزو والجهاد والقتال (فانصب) فى العباد ويقال اذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب فى الدعاء (والى ربك فارغب) وحوائجك الى ربك فارفع

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها التين وهى كلها مكية آياتها ثمان وكلماتها أربع وثلاثون وحروفها مائة وخمسون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) (و) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والتين والزيتون) يقول أقسم الله بالتين تينكم هذا والزيتون

بهما لانهما عجيبان من بين الاشجار المثمرة روى انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وقال نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وقال هى سواكى وسواك الانبياء قبلى وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو تينكم هذا وزيتونكم هذا وقيل هما جبلان بالشأم منبتاهما (وطور سينين) اضيف الطور

﴿ ٥٣٥ ﴾ وهو الجبل الى ﴿ سورة والتين ﴾

سينين وهى البقعة ونحو سينون يبرون فى جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب (وهذا البلد) يعنى مكة (الامين) من أمن الرجل امانة فهو امين وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وماظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والاولياء فنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذى نودى منه موسى ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد نبينا ومبعثه صلوات الله عليهم اجمعين او الاولان قسم بمهبط الوحى على عيسى والثالث على موسى والرابع على محمد عليه السلام وجواب القسم

لها وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع و يحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدد الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لادهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما الجبلان من الارض المقدسة اومسجدا دمشق وبيت المقدس او البلدان ﴿ وطور سينين ﴾ يعنى الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذى هو فيه ﴿ وهذا البلد الامين ﴾ اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين

وزيتونكم الذى تعصرون منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه غذاء ويشبه فواكه الجنة لكونه بلاعجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لايمكث فى المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغ واما الزيتون فانه من شجرة مباركة فيه ادام ودهن يؤكل ويستصبح به وشجرته فى اغلب البلاد ولايحتاج الى خدمة وتربية وينبت فى الجبال التى ليست فيها دهنية ويمكث فى الارض الوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على قدرة خالقهما لاجرم اقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الجبل الذى عليه دمشق والزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طورتينا وطورزيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هما مسجدان فالتين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وانما حسن القسم بهما لانهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايلياء وقيل التين مسجد نوح الذى بناه على الجودى والزيتون مسجد بيت المقدس ﴿ وطور سينين ﴾ يعنى الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه الصلاة والسلام وسينين اسم للمكان الذى فيه الجبل سمى سينين وسيناء لحسنه او لكونه مباركا وكل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سينين وسيناء ﴿ وهذا البلد الامين ﴾ يعنى الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لانه الحرم الذى يأمن فيه الناس فى الجاهلية والاسلام لاينفر صيده ولايعضد شجره ولاتلتقط لقطته الا لمنشد وهذه اقسام اقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى

زيتونكم هذا ويقال هما مسجدان بالشام ويقال هما جبلان بالشام ويقال التين هو الجبل الذى عليه بيت المقدس والزيتون هو الجبل الذى عليه دمشق (وطور سينين) وأقسم بجبل ثبير وهو جبل بمدين الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام وكل جبل هو الطور بلسان النبط وسينين هو الجبل الحسن الشجر (وهذا البلد الامين) واقسم بهذا

(لقد خلقنا الانسان) وهو جنس (فى احسن تقويم) فى احسن تعديل لشكله وصورته وتسوية اعضائه (ثم رددناه اسفل سافلين) اى ثم كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية ان رددناه اسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى اقبح من قبح صورة وهم اصحاب النار او اسفل من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل فى حسن الصورة والشكل حيث نكسناه فى خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكل سمعه وبصره وتغير كل شئ منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون) ودخل الفاء هنا دون سورة الانشقاق للجمع بين اللغتين والاستثناء على الاول متصل وعلى الثانى منقطع اى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى والزمنى فلهم ثواب غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة والخطاب فى (فما يكذبك

او المأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة ﴿ لقد خلقنا الانسان ﴾ يريد به الجنس ﴿ فى احسن تقويم ﴾ تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات فيه ﴿ ثم رددناه اسفل سافلين ﴾ بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل سافلين وهو النار وقيل الى ارذل العمر فيكون ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ منقطعا ﴿ فلهم اجر غير ممنون ﴾ لاينقطع اولا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له ﴿ فما يكذبك ﴾

﴿ لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ﴾ يعنى اعدل قامة واحسن صورة وذلك انه تعالى خلق كل حيوان منكبا على وجهه يأكل بفيه الا الانسان فانه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول ما كوله بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتميز والمنطق ﴿ ثم رددناه اسفل سافلين ﴾ يعنى الى الهرم وارذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير اسفل من هؤلاء جميعا لانه لا يستطيع حيلة ولايهتدى سبيلا لضعف بدنه وسمعه وبصره وعقله وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها اسفل من بعض ثم استثنى فقال تعالى ﴿ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ فانهم لايردون الى النار اوالى اسفل سافلين وعلى القول الاول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه اسفل سافلين فزال عقله وانقطع عمله فلا تكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها الى ايام الشيخوخة الهرم والضعف فانه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذى كانوا يعملون فى حالة الشباب والصحة وقال ابن عباس هم نفر ردوا الى ارذل العمر على زمن النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عذرهم واخبرهم ان لهم اجرهم الذى عملوا قبل ان تذهب عقولهم فعلى هذا القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة مايضر هذا الشيخ كبره اذا ختم الله له باحسن ما كان يعمل وروى عن ابن عباس قال الا الذين قرؤا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد الى ارذل العمر ﴿ فلهم اجر غير ممنون ﴾ يعنى غير مقطوع لانه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك اجر بغير عمل ثم قال الزاما للحجة ﴿ فما يكذبك ﴾ يعنى

البلد بلد مكة الامين من ان يهاج فيه على من دخل فيه (لقد خلقنا الانسان) هو الكافر الوليد بن المغيرة ويقال كلدة بن اسيد (فى احسن تقويم) يقول فى اعدل الخلق ولهذا كان القسم (ثم رددناه) فى الآخرة (اسفل سافلين) يعنى النار ويقال لقد خلقنا الانسان يعنى ولد آدم فى احسن تقويم فى احسن صورة اذا تكامل شبابه ثم رددناه اسفل سافلين الى ارذل العمر فلايكتب له بعد ذلك حسنة الا ماقد عمل فى شبابه وقوته (الا الذين آمنوا) بمحمد عليه السلام والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (فلهم اجر غير ممنون) غير منقوص ولا مكدر تجرى لهم الحسنات بعد الهرم والموت (فما يكذبك) ياوليد بن المغيرة ويقال يا كلدة بن اسيد ويقال فمن ذالذى يكذبك يا محمد

(ياايها)

اى فأى شئ يكذبك يامحمد دلالة اونطقا ﴿ بعد بالدين ﴾ بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على التفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب ﴿ أليس الله باحكم الحاكمين ﴾ تحقيق لماسبق والمعنى اليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على مامر مرارا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين مادام حيا فاذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

﴿ سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة ﴾

ياايها الانسان وهو خطاب على طريق الالتفات ﴿ بعد ﴾ اى بعد هذه الحجة والبرهان ﴿ بالدين ﴾ اى بالحساب والجزاء والمعنى فما الذى يلجئك ايها الانسان الى هذا الكذب الاتتفكر فى صورتك وشبابك ومبدأ خلقك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذى فعل ذلك قادر على ان يبعثنى ويحاسبنى فما الذى يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين ﴿ أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ اى بأقضى القاضين يحكم بينكم وبين اهل التكذيب يوم القيامة * عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ و لتين والزيتون فقرأ اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين اخرجه الترمذى وعن البراء ان النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فصلى العشاء الاخيرة فقرأ فى احدى الركعتين بالتين والزيتون فماسمعت احدا احسن صوتا اوقراءة منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ﴾
﴿ ومائتان وثمانون حرفا ﴾

قال اكثر المفسرين هذه السورة اول سورة نزلت من القرآن واول مانزل خمس آيات من اولها الى قوله مالم يعلم ﴿ ق ﴾ عن عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها انها قالت اول مابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة ولمسلم الصادقة فى النوم فكان لايرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل ان يرجع الى اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الوحى وفى رواية حتى فجاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ماانا بقارئ قال فاخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ قلت ماانا بقارئ فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت ماانا بقارئ فاخذنى فغطنى

القاطع والبرهان الساطع بالجزاء والمعنى ان خالق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه فى مراتب الزيادة الى ان يكمل ويستوى ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لاترى دليلا اوضح منه على قدرة الخالق وان من قدر على خلق الانسان وعلى هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك بالجزاء اولرسول الله اى فمن ينسبك الى الكذب بعد هذا الدليل فما بمعنى من (اليس الله باحكم الحاكمين) وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بماهم اهله وهو من الحكم والقضاء والله اعلم

﴿ سورة العلق مكية وهى تسع عشرة آية ﴾

(بعد) هذا الذى ذكرت لك من تحويل الخلق يعنى الشباب والهرم والبعث والموت ويقال فمن ذا الذى حملك على التكذيب ياكلدة بن اسيد ويا وليد بن المغيرة (بالدين) بحساب يوم القيامة (أليس الله بأحكم الحاكمين) بأعدل العادلين وبأفضل الفاضلين ان يحييك بعد الموت ﴿ قا وخا ٦٨ س ﴾ ياوليد ﴿ومن السورة التى يذكر فيها العلق وهى كلها مكية آياتها تسع عشرة وكلماتها اثنتان وسبعون وحروفها مائة واثنان وعشرون﴾

الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم حتى بلغ مالم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ترجف بوادره حتى دخل على خديجة بنت خويلد فقال زملونى زملونى فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم قال لخديجة اى خديجة مالى واخبرها الخبر قال لقد خشيت على نفسى قالت له خديجة كلا ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة اى ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة يا ابن اخى ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر مارأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ليتنى اكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودى وان يدركنى يومك حيا انصرك نصرا مؤزرا ثم لم يلبث ورقة ان توفى وفتر الوحى زاد البخارى قال وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جاشه وتقر عينه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا اوفى بذروة الجبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

فصل

فى هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ اول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر اول ما نزل من القرآن وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين فى اول سورة المدثر وهذا الحديث من مراسيل الصحابة لان عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل انها سمعتها من النبى صلى الله عليه وسلم اومن غيره من الصحابة ومرسل الصحابة حجة عند جميع العلماء الاما انفرد به الاستاذ ابو اسحق الاسفراينى وانما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحملها القوى البشرية فبدئ بأول علامات النبوة توطئة للوحى واما التحنث فقد فسر فى الحديث بالتعبد وهو تفسير صحيح لان اصل التحنث من الحنث وهو الاثم والمعنى انه فعل فعلا يخرج به من الاثم * وقولها فجاءه الحق اى جاءه الحق بالوحى بغتة * قوله فغطنى بالغين المعجمة والطاء المشالة المهملة اى عصرنى وضمنى ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ منى الجهد قال العلماء والحكمة فى الغط شغله عن الالتفات الى غيره والمبالغة فى صفاء قلبه ولهذا كرره ثلاثا * قوله زملونى زملونى كذا هو فى

(الروايات)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ اى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه سبحانه وتعالى او مستعينا به ﴿ الذى خلق ﴾ اى الذى له الخلق اوالذى خلق كل شئ ثم افرد ماهو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا

الروايات مكرر مرتين ومعناه غطونى بالثياب * وقولها حتى ذهب عنه الروع اى الفزع * قولها كلا ابشر فوالله لايخزيك الله ابدا يروى بضم الياء وبالخاء المعجمة من الخزى اى لايفضحك الله ولايكسرك ولايهينك ولايذلك وروى بفتح الياء وبالحاء المهملة وبالنون اى يحزنك من الحزن الذى هو ضد الفرح * وقولها وتحمل الكل اى الثقل والحوائج المهمة وتكسب المعدوم اى تعطى المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لايصيبك مكروه لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وحميد الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من مصارع السوء * قولها وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية وفى رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربى يكتب من الانجيل بالعربية ماشاءالله تعالى ان يكتب ومعناها صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف فى الانجيل فيكتب اى موضع شاء منه بالعبرانية ان اراد اوالعربية ان اراد ذلك * قوله هذا الناموس الذى نزل الله على موسى هو بالنون والسين المهملة يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام ومعنى الناموس صاحب خبر الخير انما سمى جبريل بذلك لان الله خصه بالوحى الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام * قوله ياليتنى فيها اى فى ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اى شابا قويا حتى ابالغ فى نصرتك وهو قوله وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا اى قويا بالغا * قولها ثم لم يلبث ورقة ان توفى اى فلم يلبث ان مات قبل ظهور النبى صلى الله عليه وسلم * قوله كى يتردى التردى الوقوع من علو وذروة الجبل اعلاه * قوله تبدى له اى ظهر له * قوله فيسكن لذلك جأشه اى قلبه وقيل الجأش هو ثبوت القلب عند الامر العظيم المهول وقيل الجأش هو ماثار من فزعه وهاج من حزنه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عزوجل ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك امر ان يبتدئ القراءة باسم الله تأديبا وقيل الباء على اصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك اى قل باسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون فى الآية دلالة على استحباب البداءة بالتسمية فى اول القراءة وقيل معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ماتحمله من النبوة واعباء الرسالة ﴿ الذى خلق ﴾ يعنى جميع الخلائق وقيل الذى حصل منه الخلق واستأثر به لاخالق سواه وقيل الذى خلق كل شئ

(بسم الله الرحمن الرحيم) عن ابن عباس ومجاهد هى اول سورة نزلت والجمهور على ان الفاتحة اول مانزل ثم سورة القلم (اقرأ باسم ربك الذى خلق) محل باسم ربك النصب على الحال اى اقرأ مفتتحا باسم ربك كانه قيل قل بسم الله ثم اقرأ الذى خلق ولم يذكر لخلق مفعولا لان المعنى الذى حصل منه الخلق واستأثر به لاخالق سواه اوتقديره خلق كل شئ فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات بتقديره اولى

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اقرأ) يقول اقرأ يامحمد القرآن وهذا اول مانزل به جبريل (باسم ربك) بامر ربك (الذى خلق)

وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال ﴿ خلق الانسان ﴾ او الذى خلق الانسان فابهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته ﴿ من علق ﴾ جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا مايدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته ﴿ اقرأ ﴾ تكرير للمبالغة والاول مطلق والثانى للتبليغ اوفى الصلاة ولعله لماقيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ ﴿ وربك الاكرم ﴾ الزائد فى الكرم على كل كريم فانه سبحانه وتعالى ينعم بلاعوض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة ﴿ الذى علم بالقلم ﴾ اى الخط بالقلم وقد قرئ به لتقيد به العلوم ويعلم به البعيد ﴿ علم الانسان مالم يعلم ﴾ بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الآيات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه وتعالى مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لماانعم عليه من ان نقله من

﴿ خلق الانسان ﴾ يعنى آدم وانما خص الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة ﴿ من علق ﴾ جمع علقة ولما كان الانسان اسم جنس فى معنى الجمع جمع العلق ولمشاكلة رؤس الآى ايضا ﴿ اقرأ ﴾ كرره تأكيدا وقيل الاول اقرأ فى نفسك والثانى اقرأ للتبليغ وتعليم امتك ثم استأنف فقال تعالى ﴿ وربك الاكرم ﴾ يعنى الذى لايوازيه كريم ولايعادله فى الكرم نظير وقد يكون الاكرم بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاؤه الشئ من غير طلب العوض فمن طلب العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه وجل جلاله وتعالى علاؤه وشأنه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك فى وصفه لانه اكرم الاكرمين وقيل الاكرم هو الذى له الابتداء فى كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد فلايعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم لانه يجزى بكل حرف عشر حسنات ﴿ الذى علم بالقلم ﴾ اى الخط والكتابة التى بها تعرف الامور الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لمافيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت العلوم ودونت الحكم وبها عرفت اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة مااستقام امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولا القلم لم يقم دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لايبقى قيل له فما قيده قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولاينوب اللسان عنه ﴿ علم الانسان مالم يعلم ﴾ قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فيكون المراد من ذلك معنى واحدا وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان مالم يكن يعلم وقيل علم آدم الاسماء كلها وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله

من بعض وقوله (خلق الانسان) تخصيص للانسان بالذكر من بين مايتناوله الخلق لشرفه ولان التنزيل اليه ويجوز ان يراد الذى خلق الانسان الا انه ذكر مبهما ثم مفسرا تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته (من علق) وانما جمع ولم يقل من علقة لان الانسان فى معنى الجمع (اقرأ وربك الاكرم) الذى له الكمال فى زيادة كرمه على كل كريم ينعم على عباده النعم ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال (الذى علم) الكتابة (بالقلم علم الانسان مالم يعلم) فدل على كمال كرمه بانه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة ومادونت العلوم ولاقيدت الحكم ولاضبطت اخبار الاولين ولاكتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولاهى لما استقامت امور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله دليل الا امر القلم

الخلائق (خلق الانسان) يعنى ولد آدم (من علق) من دم عبيط فقال النبى عليه السلام ما اقرأ ياجبريل فقرأ عليه جبريل اربع آيات من اول هذه السورة فقال له (اقرأ) القرآن يامحمد (وربك الاكرم) المتجاوز الحليم عن جهل العباد (الذى علم بالقلم) {علمه} الخط بالقلم (علم الانسان) يعنى الخط بالقلم (مالم يعلم) قبل ذلك ويقال علم الانسان يعنى آدم اسماء كل شئ مالم يعلمه قبل

اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى مايدل على معرفته عقلا ثم نبه على مايدل عليها سمعا ﴿كلا﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى﴾ اى رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد وقرأ قنبل بقصر الهمزة ﴿ان الى ربك الرجعى﴾ الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ﴿ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى﴾ نزلت فى ابى جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقيل له مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى

عليه وسلم * قوله عز وجل ﴿كلا﴾ اى حقا ﴿ان الانسان ليطغى﴾ اى يتجاوز الحد ويستكبر على ربه ﴿ان﴾ اى لان ﴿رآه استغنى﴾ اى رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلته الى منزلة اخرى فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى ابى جهل وكان قد اصاب مالا فزاد فى ثيابه ومركبه وطعامه فذلك طغيانه ﴿ان الى ربك الرجعى﴾ اى المرجع فى الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر ﴿أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى﴾ نزلت فى ابى جهل وذلك انه نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الصلاة (م) عن ابى هريرة قال قال ابوجهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه فقيل له مالك قال ان بينى وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لودنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله هذه الآية لاادرى افى حديث ابى هريرة اوشئ بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لاتطعه قال وامره بما امره به زاد فى رواية فليدع ناديه يعنى قومه (خ) عن ابن عباس قال قال ابوجهل لئن رأيت محمدا يصلى عند البيت لاطأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لوفعله لاخذته الملائكة زاد الترمذى عيانا ومعنى ارأيت تعجيبا للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة التنكير فى قوله عبدا تدل على انه كامل العبودية والمعنى ارأيت الذى ينهى اشد الخلق عبودية عن العبودية وهذا دأبه وعادته وقيل ان هذا الوعيد يلزم لكل من ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولايلزم منه عدم جواز المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة وفى الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهى عن ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولايلزم من ذلك ايضا عدم جواز منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء مصلحة الا ان يأذن فيه المولى

والحظ لكفى به (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (ان الانسان ليطغى) نزلت فى ابى جهل الى آخر السورة (ان رآه) ان رأى نفسه يقال فى افعال القلوب رأيتنى وعلمتنى ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع فى فعلها الجمع بين الضميرين (استغنى) هو المفعول الثانى (ان الى ربك الرجعى) تهديد للانسان من عاقبة الطغيان على طريق الالتفات والرجعى مصدر بمعنى الرجوع اى ان رجوعك الى ربك فيجازيك على طغيانك (ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى) اى ارأيت اباجهل ينهى محمدا

ذلك (كلا) حقا يامحمد (ان الانسان) يعنى الكافر (ليطغى) ليبطر فيرتفع من منزلة الى منزلة فى المطعم والمشرب والملبس والمركب (ان رآه استغنى) اذا رأى نفسه مستغنيا عن الله بالمال (ان الى ربك) يامحمد (الرجعى) مرجع الخلائق فى الآخرة ثم نزل فى شان ابى جهل بن هشام حيث اراد ان يطأ عنق النبى عليه السلام فى الصلاة فقال (ارأيت) يامحمد (الذى ينهى عبدا) يعنى محمد عليه السلام (اذا صلى) لله

عن الصلاة (ارأيت ان كان على الهدى) اى ان كان ذلك الناهى على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله (او امر بالتقوى) اوكان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد (ارأيت ان كذب وتولى) ارأيت ان كان ذلك الناهى مكذبا بالحق متوليا عنه كما نقول نحن (الم يعلم بان الله يرى) ويطلع على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب حاله وهذا وعيد وقوله الذى ينهى مع الجملة الشرطية مفعولا ارأيت وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى ألم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى وهذا كقولك ان اكرمتك اتكرمنى وارأيت الثانية مكررة زائدة للتوكيد (كلا) ردع لابى جهل عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة الاصنام ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وكتبها فى المصحف بالالف على حكم الوقف واكتفى بلام العهد عن الاضافة للعلم بأنها ناصية المذكور (ناصية) بدل من الناصية لانها وصفت بالكذب والخطأ بقوله (كاذبة خاطئة) على الاسناد المجازى

والدلالة على كمال عبودية المنهى ﴿ ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ﴾ ارأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله ﴿ ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى ﴾ والشرطية مفعوله الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه او آمرا بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما يقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه اوضلاله وقيل المعنى ارايت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه سبحانه وتعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال يا كافر اخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى اتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر بالتقوى فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل اولان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة ﴿ كلا ﴾ ردع للناهى ﴿ لئن لم ينته ﴾ عما هو فيه ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ بدل من الناصية وانما جاز

اوالزوج ﴿ أرأيت ان كان على الهدى ﴾ يعنى العبد المنهى وهو النبى صلى الله عليه وسلم ﴿ اوامر بالتقوى ﴾ يعنى بالاخلاص والتوحيد ﴿ ارأيت ان كذب ﴾ يعنى اباجهل ﴿ وتولى ﴾ اى عن الايمان وتقدير نظم الآية ارأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متول عن الايمان اى اعجب من هذا ﴿ الم يعلم ﴾ يعنى اباجهل ﴿ بأن الله يرى ﴾ يعنى يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد شديد وتهديد عظيم ﴿ كلا ﴾ اى لايعلم ذلك ابوجهل ﴿ لئن لم ينته ﴾ يعنى عن ايذاء محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ اى لنأخذن بناصيته فلنجرنه الى النار يقال سفعت بالشئ اذا اخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الرأس والسفع الضرب اى لنضربن وجهه فى النار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل ﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ اى صاحبها كاذب خاطئ قال ابن

(عباس) (أرايت ان كان على الهدى) وهو على الهدى يعنى النبوة والاسلام (اوأمر بالتقوى) وامر بالتوحيد (ارأيت ان كذب) وهو كذب بالتوحيد يعنى اباجهل (وتولى) عن الايمان (ألم يعلم) ابوجهل (بأن الله يرى) صنيعه بالنبى صلى الله عليه وسلم (كلا) حقا يا محمد (لئن لم ينته) لم يتب ابو جهل عن اذى النبى صلى الله عليه وسلم (لنسفعا بالناصية) لنأخذن ناصيته وهو مقدم رأسه (ناصية كاذبة) على الله (خاطئة) مشركة بالله

لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة ﴿ فليدع ناديه ﴾ اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت ﴿ سندع الزبانية ﴾ ليجروه الى النار وهى فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع اوزبنى على النسب واصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء ﴿ كلا ﴾ ردع ايضا للناهى ﴿ لا تطعه ﴾ واثبت انت على طاعتك ﴿ واسجد ﴾ ودم على سجودك ﴿ واقترب ﴾ وتقرب الى ربك وفى الحديث اقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد * عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله

﴿ سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس ﴾

عباس لمانهى ابوجهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابوجهل انتهرنى فوالله لاملان عليك هذا الوادى ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فجاء ابوجهل فقال الم انهك عن هذا فانصرف النبى صلى الله عليه وسلم فزبره فقال ابوجهل انك لتعلم مابها ناد اكثرمنى فانزل الله تعالى ﴿ فليدع ناديه سندع الزبانية ﴾ قال ابن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح ومعنى فليدع ناديه اى عشيرته وقومه فلينتصر بهم واصل النادى المجلس الذى يجمع الناس ولا يسمى ناديا مالم يكن فيه اهله سندع الزبانية يعنى الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس يريد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم يدفعون اهل النار اليها بشددة مأخوذ من الزبن وهو الدفع ﴿ كلا ﴾ اى ليس الامر على ماهو عليه ابوجهل ﴿ لا تطعه ﴾ اى فى ترك الصلاة ﴿ واسجد ﴾ اى صل لله ﴿ واقترب ﴾ اى من الله (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة عند الشافعى فيسن للقارئ والمستمع ان يسجد عند قراءتها يدل عليه ماروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت اخرجه مسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة القدر وهى مدنية وقيل انها مكية والقول الاول ﴾

خاطئ (فليدع ناديه سندع الزبانية) النادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم والمراد اهل النادى روى ان اباجهل مر بالنبى عليه السلام وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظله رسول الله عليه السلام فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزل والزبانية لغة الشرط الواحد زبنية من الزبن وهو الدفع والمراد ملائكة العذاب وعنه عليه السلام لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لابى جهل (لا تطعه) اى اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب الى ربك بالسجود فان اقرب مايكون العبد الى ربه اذا سجد كذا فى الحديث والله اعلم

﴿ سورة القدر مكية وقيل مدنية وهى خمس آيات ﴾

(فليدع ناديه) قومه واهل مجلسه (سندع الزبانية) يعنى ذبانية النار (كلا) حقا يامحمد (لا تطعه) يعنى ابا جهل فيما يأمرك انلا تصلى لربك (واسجد) لربك (واقترب) اليه بالسجود ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها القدر وهى كلها مكية آياتها خمس وكلماتها ثلاثون وحروفها مائة واحدى عشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (انا انزلناه فى ليلة القدر) عظم القرآن حيث اسند انزاله اليه دون غيره وجاء بضميره دون اسمه الظاهر للاستغناء عن التنبيه عليه ورفع مقدار الوقت الذى انزله فيه روى انه انزل جملة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ثم كان ينزله جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها والقدر بمعنى التقدير او سميت بذلك لشرفها على سائر الليالى وهى ليلة السابع والعشرين من رمضان كذا روى ابو حنيفة رحمه الله عن عاصم عن زر ان ابى بن كعب كان يحلف على ليلة القدر انها ليلة السابع والعشرين من رمضان وعليه الجمهور ولعل الداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها وهذا كاخفاء الصلاة الوسطى واسمه الاعظم وساعة الاجابة فى الجمعة ورضاه فى الطاعات وغضبه فى المعاصى وفى الحديث من ادركها يقول اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿انا انزلناه فى ليلة القدر﴾ الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه تعالى وعظم الوقت الذى انزل فيه بقوله

﴿أصح وهو قول الاكثرين قيل انها اول ما نزل بالمدينة وهى﴾

﴿خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿انا انزلناه﴾ يعنى القرآن كناية عن غير مذكور ﴿فى ليلة القدر﴾ وذلك ان الله تعالى انزل القرآن العظيم جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر فوضعه فى بيت العزة ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة فى مدة ثلاث وعشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقائع والحاجة اليه وقيل انما انزله الى السماء الدنيا لشرف الملائكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين الملائكة فهى لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام والارزاق والآجال وما يكون فى تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر الله ذلك فى بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله يظهر ذلك لملائكته ويأمرهم بفعل ما هو من وظيفتهم بان يكتب لهم ما قدره فى تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه انه يحدثه فى تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض فى الازل قيل للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر وقيل سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالى من قولهم لفلان قدر عند الامير اى منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملائكة فيها

فصل فى فضل ليلة القدر وما ورد فيها

(ق) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلماء فى وقتها فقال بعضهم انها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحى الرجلان انى خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (انا انزلناه) يقول انزلنا جبريل بالقرآن جملة واحدة على كتبة ملائكة سماء الدنيا (فى ليلة القدر) فى ليلة الحكم والقضاء ويقال فى ليلة مباركة بالمغفرة والرحمة ثم نزل بعد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما (وهذا)

وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان آخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال فى آخره فالتمسوها فى العشر الاواخر فى التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها وعامة الصحابة والعلماء فمن بعدهم على انها باقية الى يوم القيامة * روى عن عبد الله بن خنيس مولى معاوية قال قلت لابى هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت قال كذب من قال ذلك قلت هى فى كل شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقائها ووجودها اختلفوا فى محلها فقيل هى منتقلة تكون فى سنة فى ليلة وفى سنة اخرى فى ليلة اخرى هكذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة فى اوقاتها المختلفة وقال مالك والثورى واحمد واسحق وابو ثور انها تنتقل فى العشر الاواخر من رمضان وقيل بل تنتقل فى رمضان كله وقيل انها فى ليلة معينة لا تنتقل عنها ابدا فى جميع السنين ولا تفارقها فعلى هذا هى فى ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابى حنيفة وصاحبيه وروى عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها فى شهر رمضان ولكن اراد ان لا يتكل الناس وقال جمهور العلماء انها فى شهر رمضان واختلفوا فى تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلى فى اول ليلة من شهر رمضان وقيل هى ليلة سبعة عشر وهى الليلة التى كانت صبيحتها وقعة بدر يحكى هذا عن زيد بن ارقم وابن مسعود ايضا والحسن والصحيح الذى عليه الاكثرون انها فى العشر الاواخر من رمضان والله سبحانه وتعالى اعلم

ذكر الاحاديث الواردة فى ذلك

(ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان ويقول تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان (م) عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظنى بعض اهلى فنسيتها فالتمسوها فى العشر الاواخر من رمضان وذهب الشافعى الى انها ليلة احدى وعشرين (ق) عن ابى هريرة ان اباسعيد قال اعتكفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الاواسط فلما كانت صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فاتانا النبى صلى الله عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه وانا اريت هذه الليلة ورأيتنى اسجد فى ماء وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السماء فمطرنا فوالذى بعثه بالحق لقد هاجت السماء من آخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش ولقد رأيت على انفه وارنبته اثر الماء والطين وفى رواية نحوه الا انه قال حتى اذا كانت ليلة احدى وعشرين وهى الليلة التى يخرج من صبيحتها من اعتكافه قال من اعتكف معى فليعتكف العشر الاواخر وورد فى فضل ليلة القدر اثنان وعشرون حديثا عن عبد الله بن انيس قال كنت فى مجلس لبنى سلمة وانا اصغرهم فقالوا من يسأل لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك فى صبيحة احدى

وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ارسلني اليك رهط من بني سلمة يسألونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة فقلت ثنتان وعشرون فقال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاثا وعشرين اخرجه ابوداود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم ان ليلة القدر ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي ايضا (خ) عن الصنابحي انه سأل رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيأ قال اخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن عبد الله بن انيس قال قلت يارسول الله ان لي بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد الله فمرني بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته اخرجه ابوداود ولمسلم عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني اسجد صبيحتها في ماء وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف وان اثر الماء والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة اربع وعشرين (خ) عن ابن عباس قال التمسوها في اربع وعشرين وقيل هي في ليلة خمس وعشرين دليله قوله صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة سبع وعشرين يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وابن عباس واليه ذهب احمد (م) عن زر بن حبيش قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله ابن مسعود يقول من قام السنة اصاب ليلة القدر قال ابي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف ولا يستثني فوالله اني لاعلم اي ليلة هي هي الليلة التي امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وامارتها ان تطلع الشمس من صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر قال ليلة سبع وعشرين اخرجه ابوداود وقيل هي ليلة تسع وعشرين دليله قوله تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان وقيل هي ليلة آخر الشهر عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وانا اسمع فقال هي في كل رمضان اخرجه ابوداود قال وروى موقوفا عليه

ذكر ليال مشتركة

عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع وعشرين من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه ابوداود عن عتبة بن عبد الرحمن قال حدثني ابي قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة فقال ما انا بملتمسها بشئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين اوفي سبع يبقين اوفي خمس يبقين اوفي

(ثلاث)

﴿ وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر ﴾ انزله فيها

ثلاث يبقين او آخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلى فى العشرين من رمضان كصلاته فى سائر السنة فاذادخل العشر الاواخر اجتهد اخرجه الترمذى (خ) عن عبادة ابن الصامت قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم انى خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة * قوله فتلاحى رجلان اى تخاصم رجلان * قوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد رفع بيان وقتها ولوكان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتماسها (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هى فى العشر فى سبع مضين اوسبع يبقين يعنى ليلة القدر وفى رواية فى تاسعة تبقى فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى قال ابوعيسى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ليلة القدر انها ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين وتسع وعشرين وآخر ليلة من رمضان قال الشافعى كان هذا عندى والله اعلم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو مايسئل عنه يقال له نلتمسها فى كذا فقال التمسوها فى ليلة كذا قال الشافعى واقوى الروايات عندى فيها ليلة احدى وعشرين قال البغوى وبالجملة ابهم الله تعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا فى العبادة ليالى شهر رمضان طمعا فى ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة فى يوم الجمعة واخفى الصلاة الوسطى فى الصلوات الخمس واسمه الاعظم فى القرآن فى اسمائه ورضاه فى الطاعات ليرغبوا فى جميعها وسخطه فى المعاصى لينتهوا عن جميعها واخفى قيام الساعة ليجتهدوا فى الطاعات حذرا من قيامها ومن علاماتها ماروى عن الحسن رفعه انها ليلة بلجة سمحة لاحارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها بيضاء لاشعاع لها (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر ولمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد فى العشر الاواخر من رمضان مالايجتهد فى غيره (ق) عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله عزوجل ثم اعتكف ازواجه من بعده (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان * عن عائشة قالت قلت يارسول الله ان علمت ليلة القدر ماأقول فيها قال قولى اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى اخرجه الترمذى وقال الحديث حسن صحيح واخرجه النسائى وابن ماجه * قوله عزوجل ﴿ وما ادراك ماليلة القدر ﴾ اى اى شئ يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم لها والتشويق الى خيرها ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى ﴿ ليلة القدر خير من الف شهر ﴾ قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله

(وما ادراك ماليلة القدر) اى لم تبلغ درايتك غاية فضلها ثم بين له ذلك بقوله (ليلة القدر خير من الف شهر) ليس فيها ليلة القدر وسبب ارتفاع فضلها الى هذه الغاية مايوجد فيها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل امر حكيم وذكر فى تخصيص هذه المدة ان النبى صلى الله عليه السلام ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى

(وما ادراك) يا محمد اعظم اها (ما ليلة القدر) ما فضل ليلة القدر ثم بين فضلها فقال (ليلة القدر خير من الف شهر) يقول العمل فيها خير من العمل فى الف شهر ليس فيها

بان ابتدأ بانزاله فيها اوانزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نجو ما فى ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه فى فضلها وهى فى اوتار العشر الاخير من شهر رمضان ولعلها السابعة منها والداعى الى اخفائها ان يحيي من يريدها ليالى كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها اولتقدير الامور فيها كقوله سبحانه وتعالى فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير اولما روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فتعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم ﴾ بيان لماله فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض اوالسماء الدنيا اوتقربهم الى المؤمنين ﴿ من كل امر ﴾ من اجل كل امر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ اى من اجل كل انسان

(تنزل الملائكة) الى السماء الدنيا اوالى الارض (والروح) جبريل او خلق من الملائكة لاتراهم الملائكة الا تلك الليلة اوالرحمة (فيها باذن ربهم من كل امر) اى تنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وعليه وقف

عليه وسلم رجل من بنى اسرائيل حمل السلاح على عاتقه فى سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال يارب جعلت امتى اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله تبارك وتعالى ليلة القدر فقال ليلة القدر خير من الف شهر التى حمل فيها الاسرائيلى السلاح فى سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان النبى صلى الله عليه وسلم ارى اعمار الناس قبله اوماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر اعمار امته ان لايبلغوا من العمل مثل الذى يبلغ غيرهم فى طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خيرا من الف شهر اخرجه مالك فى الموطأ قال المفسرون معناه العمل الصالح فى ليلة القدر خير من العمل فى الف شهر ليس فيها ليلة القدر وانما كان كذلك لمايريد الله تعالى فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة * الوجه الثانى من فضلها قوله عزوجل ﴿ تنزل الملائكة ﴾ يعنى الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر ان الامر بخلاف ماقالوه وتبين حال المؤمنين وماهم عليه من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا مماقالوه ويستغفروا لهم لما يرون من تقصير قد يقع من بعضهم ﴿ والروح ﴾ يعنى جبريل عليه الصلاة والسلام قاله اكثر المفسرين وفى حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذاكانت ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم اوقاعد يذكر الله عزوجل ذكر ابن الجوزى وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لاتراهم الملائكة الا فى تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك الليلة ﴿ فيها ﴾ اى فى ليلة القدر ﴿ باذن ربهم ﴾ اى بامر ربهم ﴿ من كل امر ﴾ اى بكل امر من الخير والبركة وقيل بكل ما امر به وقضاه من كل امر * الوجه الثالث

ليلة القدر (تنزل الملائكة والروح) جبريل معهم (فيها) فى اول ليلة القدر (باذن ربهم) بامر ربهم (من كل امر

(سلام هى) ماهى الاسلامة خبر ومبتدأ اى لايقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة اوما
هى الاسلام لكثرة مايسلمون على المؤمنين قيل لايلقون مؤمنا ولا مؤمنة الاسلموا

﴿ سلام هى ﴾ اى ماهى الا سلامة اى لايقدر الله فيها الا السلامة ويقضى فى غيرها السلامة والبلاء اوماهى الاسلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين ﴿ حتى مطلع الفجر ﴾ اى وقت مطلعه اى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على انه كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر

﴿ سورة البينة مختلف فيها وآيها ثمان ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ﴾ اى اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله ومن للتبيين ﴿ والمشركين ﴾ وعبدة الاصنام ﴿ منفكين ﴾ عما كانوا عليه من دينهم اوالوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول ﴿ حتى تأتيهم

من فضلها قوله تعالى ﴿ سلام ﴾ اى سلام على اولياء الله واهل طاعته قال الشعبى هو تسليم الملائكة فى ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا اومؤمنة يسلمون عليه من ربه عز وجل وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدأ فقال تعالى سلام ﴿ هى ﴾ يعنى ليلة القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لايقدر الله فى تلك الليلة ولا يقضى الا السلامة وقيل ان ليلة القدر سالمة لايستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوأ اويحدث فيها اذى ﴿ حتى مطلع الفجر ﴾ اى ان ذلك السلام اوالسلامة تدوم الى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة لم يكن وتسمى سورة البينة وهى مدنية قاله الجمهور ﴾
﴿ وفى رواية عن ابن عباس انها مكية وهى ثمان آيات واربع ﴾
﴿ وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب ﴾ يعنى اليهود والنصارى ﴿ والمشركين ﴾ اى ومن المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل كتاب وسبب كفرهم ما احدثوه فى دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثانى المشركون اهل الاوثان الذين لاينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين فى قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ﴿ منفكين ﴾ اى منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين ﴿ حتى تأتيهم ﴾ اى حتى اتتهم

عليه فى تلك الليلة (حتى مطلع الفجر) اى الى وقت طلوع الفجر بكسر اللام حمزة وعلى وخلف وقد حرم من السلام الذين كفروا والله اعلم

﴿ سورة البينة مختلف فيها وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (لم يكن الذين كفروا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من اهل الكتاب) اى اليهود والنصارى واهل الرجل اخص الناس به واهل الاسلام من يدين به (والمشركين) عبدة الاصنام (منفكين) منفصلين عن الكفر وحذف لان صلة الذين تدل عليه (حتى تأتيهم

سلام) يقول يسلمون على اهل الصوم والصلاة من امة محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ويقال من كل امر سلام يقول من كل آفة سلامة تلك الليلة (هى) يقول فضلها وبركتها (حتى مطلع الفجر) يعنى الى الصبح

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها البينة وهى كلها مكية آياتها تسع وكلماتها خمس وثلاثون وحروفها مائة وتسعة واربعون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) يعنى اليهود والنصارى (والمشركين) مشركى العرب (منفكين) مقيمين على الجحود بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والاسلام (حتى تأتيهم

البينة﴾ الرسول والقرآن فانه مبين للحق او معجز الرسول باخلاقه والقرآن باعجازه من تحدى به ﴿رسول من الله﴾ بدل من البينة بنفسه او بتقدير مضاف اومبتدأ ﴿يتلو صحفا

لفظه مضارع ومعناه الماضي ﴿البينة﴾ اى الحجة الواضحة يعنى محمد صلى الله عليه وسلم اتاهم بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجاهلية ودعاهم الى الايمان فآمنوا فانقذهم الله من الجهالة والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية فيمن آمن من الفريقين قال الواحدى فى بسيطه وهذه الآية من اصعب ما فى القرآن نظما وتفسيرا وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين فى تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التى هى الرسول ثم انه تعالى لم يذكر انهم منفكون عماذا لكنه معلوم اذ المراد هو الكفر الذى كانوا عليه فصار التقدير لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة التى هى الرسول ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه الآية تقتضى انهم صاروا منفكين عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال بعد ذلك وماتفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وهذا يقتضى ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الاولى والثانية مناقضة فى الظاهر وهذا منتهى الاشكال فى ظنى قال والجواب عنه من وجوه اولها واحسنها الوجه الذى لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لاننفك عما نحن عليه من ديننا ولانتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وماتفرق الذين اوتوا الكتاب اى انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم مافرقهم عن الحق ولاأقرهم على الكفر الامجئ الرسول ونظيره فى الكلام مايقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه من الافعال القبيحة حتى يرزقنى الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وماغمست رأسك فى الفسق الابعد اليسار فيذكره ما كان يقول توبيخا والزاما قال الامام فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة مذكور حكاية عنهم وقوله وماتفرق الذين اوتوا الكتاب اخبار عن الواقع والمعنى ان الذى وقع كان بخلاف ما ادعوا وثانيها ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقدير يزول الاشكال الا ان تفسير لفظة حتى بهذا ليس من اللغة فى شئ وذكروا وجوها اخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى ﴿رسول من الله﴾ اى تلك البينة رسول من الله ﴿يتلو﴾ اى يقرأ الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿صحفا﴾ اى كتبا يريد ما تضمنه المصحف

البينة) الحجة الواضحة والمراد محمد صلى الله عليه وسلم يقول لم يتركوا كفرهم حتى يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث اسلم بعض وثبت على الكفر بعض (رسول من الله) اى محمد عليه السلام وهو بدل من البينة (يتلو) يقرأ عليهم (صحفا) قراطيس

البينة) بيان ما فى كتابهم فى كتاب اليهود والنصارى (رسول من الله) يعنى محمدا عليه السلام ولها وجه آخر يقول لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قبل مجيء محمد عليه السلام مثل عبدالله بن سلام واصحابه والمشركين بالله قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم مثل ابى بكر واصحابه منفكين منتهين عن الكفر والشرك حتى تأتيهم البينة يعنى جاءهم البينات رسول من الله يعنى محمدا عليه السلام (يتلو صحفا) يقرأ عليهم كتبا

مطهرة ﴾ صفته او خبره او رسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبرائيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لا يأتى ما فيها وانها لا يمسها الا المطهرون ﴿ فيها كتب قيمة ﴾ مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق ﴿ وما تفرق الذين اوتوا الكتاب ﴾ عما كانوا عليه بان آمن بعضهم او تردد فى دينه او عن وعدهم بالاصرار على الكفر ﴿ الا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ فيكون كقوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى ﴿ وما امروا ﴾ اى فى كتبهم بما فيها ﴿ الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ لا يشركون به

من المكتوب فيه وهو القرآن لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرأ عن ظهر قلبه لا عن كتاب ﴿ مطهرة ﴾ اى من الباطل والكذب والزور والمعنى انها مطهرة من القبيح وقيل معنى مطهرة معظمة وقيل مطهرة اى لا ينبغى ان يمسها الا المطهرون ﴿ فيها ﴾ اى فى الصحف ﴿ كتب ﴾ اى الآيات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الاحكام ﴿ قيمة ﴾ اى عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من اهل الكتاب فقال تعالى ﴿ وما تفرق الذين اوتوا الكتاب ﴾ يعنى فى امر محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ الا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾ يعنى جاءتهم البينة فى كتبهم انه نبى مرسل قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين فى تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا فى امره واختلفوا فيه فآمن به بعضهم وكفر به آخرون ثم ذكر ما امروا به فى كتبهم فقال تعالى ﴿ وما امروا ﴾ يعنى هؤلاء الكفار ﴿ الا ليعبدوا الله ﴾ اى وما امروا الا ان يعبدوا الله قال ابن عباس ما امروا فى التوراة والانجيل الا باخلاص العبادة لله موحدين له ﴿ مخلصين له الدين ﴾ الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الرياء وهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتداء الفعل الى انتهائه والمخلص هو الذى يأتى بالحسن لحسنه والواجب لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الآية على ان كل مأمور به فلابد وان يكون منويا فلا بد من اعتبار النية فى جميع المأمورات قال اصحاب الشافعى الوضوء مأمور به ودلت هذه الآية على ان كل مأمور به يجب ان يكون منويا فتجب النية فى الوضوء وقيل الاخلاص محله القلب وهو ان يأتى بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له ولا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا عرضا آخر حتى قالوا فى ذلك لا يجعل طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان لابد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية وقيل فى معنى مخلصين

(مطهرة) من الباطل (فيها) فى الصحف (كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة) فمنهم من انكر نبوته بغيا وحسدا ومنهم من آمن وانما افرد اهل الكتاب بعد ما جمع اولا بينهم وبين المشركين لانهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له ادخل فى هذا الوصف (وما امروا) يعنى فى التوراة والانجيل (الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) من غير شرك ونفاق

(مطهرة) من الشرك (فيها) فى كتب محمد عليه السلام (كتب قيمة) دين وطريق مستقيمة عادلة لا عوج فيها (وما تفرق الذين اوتوا الكتاب) ما اختلف الذين اعطوا الكتاب التوراة يعنى كعب بن الاشرف واصحابه فى محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن والاسلام (الا من بعد ما جاءتهم البينة) بيان ما فى كتبهم من صفة محمد عليه السلام ونعته (وما امروا) فى جملة الكتب (الا ليعبدوا الله) ليوحدوا الله (مخلصين له الدين) بالتوحيد

﴿حنفاء﴾ مائلين عن العقائد الزائغة ﴿ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة﴾ ولكنهم حرفوه وعصوا ﴿وذلك دين القيمة﴾ دين الملة القيمة ﴿ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها﴾ اى يوم القيامة اوفى الحال لملابستهم ما يوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لايوجب اشتراكهما فى نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما ﴿اولئك هم شر البرية﴾ اى الخليقة وقرأ نافع وابن ذكوان

له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين بقلوبهم رضا الله تعالى بالعبادة (م) عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لاينظر الى اجسامكم ولا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم ﴿حنفاء﴾ اى مائلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل حنفاء اى حجاجا وانما قدمه على الصلاة والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفاء اى مختونين محرمين لنكاح المحارم وقيل الحنيف الذى آمن بجميع الانبياء والرسل ولا يفرق بين احد منهم فمن لم يؤمن باشرف الانبياء وهو محمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف ﴿ويقيموا الصلوة﴾ اى المكتوبة فى اوقاتها ﴿ويؤتوا الزكوة﴾ اى المفروضة عند محلها ﴿وذلك﴾ اى الذى امروا به ﴿دين القيمة﴾ اى الملة المستقيمة والشريعة المتبوعة وانما اضاف الدين الى القيمة وهى نعته لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا الى الملة وقيل الهاء فى القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التى جرى ذكرها اى وذلك دين اصحاب الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد والمعنى وذلك دين القائمين لله بالتوحيد واستدل بهذه الآية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد اولا واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل قوله فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر ما للفريقين فقال تعالى ﴿ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين﴾ فان قلت لم قدم اهل الكتاب على المشركين قلت لان جنايتهم اعظم فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم كانوا يستفتحون به قبل بعثته ويقرون بنبوته فلما بعث انكروه وكذبوه وصدوه مع العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين فلهذا قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين اعظم جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع والنبوة والقيامة واهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى بين الفريقين فى العذاب قلت لما اراد اهل الكتاب الرفعة فى الدنيا بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اذلهم الله فى الدنيا وادخلهم اسفل سافلين فى الآخرة ولايمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم فى العذاب ﴿فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية﴾ اى هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا النار بسبب كفرهم قالوا فهل الى خروج من سبيل فقال بل تبقون

(حنفاء) مؤمنين بجميع الرسل مائلين عن الاديان الباطلة (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة) اى دين الملة القيمة (ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اولئك هم شر البرية

(حنفاء) مسلمين (ويقيموا الصلوة) يتموا الصلوات الخمس بعد التوحيد (ويؤتوا الزكوة) يعطوا زكاة اموالهم بعد ذلك ثم ذكر التوحيد ايضا فقال (وذلك) يعنى التوحيد (دين القيمة) دين الحق المستقيم لاعوج فيه والهاء ههنا قافية السورة ويقال ذلك يعنى التوحيد دين القيمة دين الملائكة ويقال دين الحنيفة ويقال ملة ابراهيم (ان الذين كفروا من اهل الكتاب) بمحمد عليه السلام والقرآن (والمشركين) بالله يعنى مشركى اهل مكة (فى نار جهنم خالدين فيها) مقيمين فى النار لايموتون ولا يخرجون منها (أولئك) اهل هذه الصفة (هم شر البرية) شر الخليقة

(خالدين)

البريئة بالهمزة على الاصل فى ابو شعيب ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ﴾ فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بن ما منحوا فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفها بما تزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد ﴿ رضى الله عنهم ﴾ استئناف بما يكون لهم زيادة على جزاءهم ﴿ ورضوا عنه ﴾ لانه بلغهم اقصى امانيهم ﴿ ذلك ﴾ اى المذكور من الجزاء والرضوان ﴿ لمن خشى ربه ﴾ فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خالدين فيها فكأنهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ﴾ يعنى انهم بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم الشرك استحقوا هذا الاسم ﴿ جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ قيل الرضا ينقسم الى قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به ان يكون ربا ومدبرا والرضا عنه فيما يقضى ويدبر قال السرى اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسأله الرضا عنك وقيل رضى الله اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة ﴿ ذلك ﴾ اى هذا الجزاء والرضا ﴿ لمن خشى ربه ﴾ اى لمن خاف ربه فى الدنيا وانتهى عن المعاصى (ق) عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بن كعب ان الله امرنى ان اقرأ عليك لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب قال وسمانى قال نعم فبكى وفى رواية البخارى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بن كعب ان الله امرنى ان اقرئك القرآن قال الله سمانى لك قال نعم قال وقد ذكرت عند رب العالمين قال نعم قال فذرفت عيناه

شرح غريب الحديث

امابكاء ابى فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تأهله لهذه النعمة العظيمة واعطائه تلك المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا عليه باسمه والثانى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة وقيل انما بكى خوفا من تقصيره فى شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضى الاختصار واما الحكمة فى امر النبى صلى الله عليه وسلم بالقراءة على ابى فهى ان يتعلم ابى القراءة من الفاظه صلى الله عليه وسلم وضبط اسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النعم المستعملة فى غيره فكانت قراءته على ابى ليتعلم ابى منه لا ليتعلم هو من ابى وقيل انما قرأ على ابى ليتسلم غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب الرتبة العالية ان يتعلم القرآن ممن هو دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابى والحث على الاخذ عنه وتقديمه فى ذلك فكان كذلك بعد النبى صلى الله عليه وسلم رأسا واماما

على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن) اقامة (تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم) بقبول اعمالهم (ورضوا عنه) بثوابها (ذلك) اى الرضا (لمن خشى ربه) وقوله خير البرية يدل على فضل

(ان الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن مثل عبد الله ابن سلام واصحابه وابى بكر واصحابه (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (اولئك) اهل هذه الصفة (هم خير البرية) خير الخليقة (جزاؤهم عند ربهم) ثوابهم عند ربهم (جنات عدن) مقصورة الرحمن معدن النبيين والمقربين (تجرى من تحتها) من تحت شجرها ومساكنها وغرفها (الانهار) انهار الخمر والماء والعسل واللبن (خالدين فيها) مقيمين فى الجنة لا يموتون ولا يخرجون منها (ابدا رضى الله عنهم) بايمانهم وباعمالهم (ورضوا عنه) بالثواب (قا وخا ٧٠ س) والكرامة (ذلك) الجنان والرضوان (لمن خشى ربه) لمن وحد

خير * عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرا سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مبيتا ومقيلا

﴿ سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اذا زلزلت الارض زلزالها ﴾ اضطرابها المقدر عند النفخة الاولى اوالثانية اوالممكن لها اواللائق بها فى الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف ﴿ واخرجت الارض اثقالها ﴾ مافى جوفها من الدفائن فى القراءة وغيرها وكان احد علماء الصحابة رضى الله عنهم اجمعين والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الزلزلة وهى مكية وقيل مدنية وهى ثمان آيات ﴾

﴿ وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة واربعون حرفا ﴾

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقل يا ايها الكافرون تعدل ربع القرآن اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ اذا زلزلت الارض زلزالها ﴾ اى تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة وقيل تتزلزل من شدة صوت اسرافيل حتى ينكسر كل ماعليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقى ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء وفى وقت هذه الزلزلة قولان احدهما وهو قول الاكثرين انها فى الدنيا وهى من اشراط الساعة والثانى انها زلزلة يوم القيامة ﴿ واخرجت الارض اثقالها ﴾ فمن قال ان الزلزلة تكون فى الدنيا قال اثقالها كنوزها وما فى بطنها من الدفائن والاموال فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ماروى عن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقى الارض افلاذ كبدها امثال الاسطوانة من الذهب والفضة فيجى القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجئ القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجئ السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيأ اخرجه مسلم * والافلاذ جمع فلذة وهى القطعة المستطيلة شبه مايخرج

...يومين من البشر على الملائكة لان ... احق ... الشقة فيهما من ... الله خلق وقيل اشتقاقها من البرا وهو التراب ولو كان كذلك ... قرؤا البريئة بالهمز كذا قاله الزجاج والله اعلم

﴿ سورة الزلزلة مختلف فيها وهى ثمان آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا زلزلت الارض زلزالها) اى حركت زلزالها الشديد الذى ليس بعده زلزال وقرئ بفتح الزاى فالمكسور مصدر والمفتوح اسم (واخرجت الارض اثقالها) اى كنوزها وموتاها جمع ثقل وهو متاع البيت جعل ما فى جوفها من الدفائن اثقالها

...ربه مثل ابى بكر الصديق واصحابه وعبد الله بن سلام واصحابه

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الزلزلة وهى كلها مكية آياتها تسع وكلماتها خمس وثلاثون كلمة وحروفها مائة حرف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

... باسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (اذا زلزلت الارض زلزالها) يقول ... زلزلت الارض زلزلة ... اضطربت الارض ... فتكسر ماعليها من الشجر والجبال والبنيان (واخرجت الارض اثقالها) اموالها وكنوزها

(وقال الانسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها احياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما تقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (يومئذ) بدل من اذا وناصبها (تحدث) اى تحدث الخلق (اخبارها) فحذف اول المفعولين لان المقصود ذكر تحديثها الاخبار لاذكر الخلق قيل ينطقها الله وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وفى الحديث تشهد على كل واحد بما عمل على ظهرها (بان ربك اوحى لها) اى تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها اى اليها وأمره اياها بالتحديث (يومئذ يصدر الناس) يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف (اشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار (ليروا اعمالهم) اى جزاء اعمالهم

(وقال الانسان) يعنى الكافر (مالها) تعجبا منها مما يرى من الهول (يومئذ) يوم تزلزلت الارض (تحدث اخبارها) تخبر الارض بما عمل عليها من الخير والشر (بأن ربك اوحى لها) اذن لها فى الكلام (يومئذ) يوم تتكلم الارض (يصدر) يرجع (الناس اشتاتا) فرقا فرقا فريق الى الجنة وهم المؤمنون وفريق الى النار وهم الكافرون (ليروا) ليجزوا (اعمالهم) ماعملوا عليها من الخير

اوالاموات جمع ثقل وهو متاع البيت ﴿ وقال الانسان مالها ﴾ لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها ﴿ يومئذ تحدث ﴾ تحدث الخلق بلسان الحال ﴿ اخبارها ﴾ ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله سبحانه وتعالى فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث واصل واذا منتصب بمضمر ﴿ بان ربك اوحى لها ﴾ اى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت به على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها فى ذلك تشفى من العصاة ﴿ يومئذ يصدر الناس ﴾ عن مخارجهم من القبور الى الموقف ﴿ اشتاتا ﴾ متفرقين بحسب مراتبهم ﴿ ليروا اعمالهم ﴾ جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء

من باطنها باقطاع كبدها لان الكبد مستور فى الجوف وانما خص الكبد لانها من اطيب مايشوى عند العرب من الجزور واستعار القئ للاخراج ومن قال بان الزلزلة تكون يوم القيامة قال اثقالها الموتى فتخرجهم الى ظهرها قيل ان الميت اذا كان فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه سميت الجن والانس بالثقلين لان الارض تثقل بهم احياء وامواتا ﴿ وقال الانسان مالها ﴾ اى مالها تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما فى بطنها وفى الانسان وجهان احدهما انه اسم جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من اشراط الساعة والمعنى انها حين وقعت لم يعلم الكل انها من اشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضا عن ذلك والثانى انه اسم للكافر خاصة وهذا على قول من جعلها زلزلة القيامة لان المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها والكافر جاحد لها فاذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الآية ﴿ يومئذ تحدث اخبارها ﴾ فيقول الانسان مالها والمعنى ان الارض تحدث بكل ما عمل على ظهرها من خير او شر فتشكو العاصى وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له * عن ابى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا فهذه اخبارها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح ﴿ بان ربك اوحى لها ﴾ اى امرها بالكلام واذن لها ان تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس اوحى اليها قيل ان الله تعالى يخلق فى الارض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما امر الله به وهذا مذهب اهل السنة * قوله تعالى ﴿ يومئذ يصدر الناس ﴾ اى عن موقف الحساب بعد العرض ﴿ اشتاتا ﴾ اى متفرقين فاخذ ذات اليمين الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار ﴿ ليروا اعمالهم ﴾ قال ابن عباس ليروا جزاء اعمالهم والمعنى [illegible] معناه

﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم وقرأها هشام باسكان الهاء ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران فى نقص الثواب والعقاب وقيل الآية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة اومن الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة اوالهباء * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ اذازلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

﴿سورة العاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة﴾

ليروا صحائف اعمالهم التى فيها الخير والشر وهو قوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة﴾ اى وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد ﴿خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيرا اوشرا فى الدنيا الا اراه الله اياه يوم القيامة فاما المؤمن فيرى حسناته وسيآته فيغفر الله له سيآته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته ويعذبه بسيآته وقال محمد بن كعب القرظى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره من كافر يرى ثوابه فى الدنيا فى نفسه وولده واهله وماله حتى يخرج يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره من مؤمن يرى عقوبته فى الدنيا فى نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قيل نزلت هذه الآية فى رجلين وذلك انه لما نزلت ويطعمون الطعام على حبه وكان احدهما يأتيه السائل فيستقل ان يطعمه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشئ يؤجر عليه انما يؤجر على ما يعطى ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة واشباه ذلك ويقول انما وعد الله النار على الكبائر وليس فى هذا اثم فانزل الله هذه الآية يرغبهم فى القليل من الخير ان يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم من اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكبر والاثم الصغير فى عين صاحبه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود احكم آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما انزل الله فيها شيأ الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتصدق عمر بن الخطاب وعائشة كل واحد منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت انما كان غرضهما تعليم الغير والا فهما من كرماء الصحابة رضى الله تعالى عنهم وقال الربيع ابن خيثم مر رجل بالحسن وهو يقرأ هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبى الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿تفسير سورة العاديات وهى مكية فى قول ابن مسعود وغيره﴾

(فمن يعمل مثقال ذرة) ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قيل هذا فى الكفار والاول فى المؤمنين وروى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال * خذا بطن هرشى اوقفاها فانه * كلا جانبى هرشى لهن طريق * وروى ان جد الفرزدق اتاه عليه السلام ليستقرئه فقرأ عليه هذه الآية فقال حسبى حسبى وهى احكم آية وسميت الجامعة والله اعلم

﴿سورة العاديات مختلف فيها وهى احدى عشرة آية﴾

والشر ثم نزل فى قوم كانوا يرون انهم لا يؤجرون على قليل من الخير ولا يأثمون على قليل من الشر فحثهم على القليل من الخير وحذرهم عن القليل من الشر فقال (فمن يعمل مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة اصغر ما يكون من النمل (خيرا يره) فى كتابه فيسره ويقال المؤمن يرى عمله فى الآخرة والكافر يرى عمله فى الدنيا (ومن يعمل مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة (شرا يره) يجده فى كتابه فيسوءه ويقال يرى المؤمن فى الدنيا والكافر فى الآخرة

ومن السورة التى يذكر فيها العاديات وهى كلها مكية آياتها احدى عشرة وكلماتها اربعون وحروفها مائة وثلاثة وستون ﴾ (مدنية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) (والعاديات ضبحا) قسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون عن ابن عباس رضى الله عنهما انه حكاه فقال اح اح وانتصاب ضبحا على يضبحن (فالموريات) تورى نار الحباحب وهى ما ينقدح من حوافرها (قدحا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فأورى وقدح فاصلد وانتصب قدحا ... ء نتصب بضبح (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحا) فى وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت (جمعا) من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة او للعدو الذى دل عليه والعاديات وعطف فأثرن على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن وجواب

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والعاديات ضبحا) وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى بنى كنانة فابطأ عليه خبرهم فاغتم بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فاخبر الله نبيه عن ذلك على وجه القسم فقال والعاديات ضبحا يقول اقسم الله بخيول الغزاة ضبحت انفاسهن من العدو (فالموريات قدحا) ... ين النار بحوافرهن قدحا كالقادح لا ينتفع ... لا ينتفع بنار ابى حباحب وكان ابو حباحب رجلا من العرب بخيل الناس ممن يكون فى ... لا يوقد نارا ... ولا لغيره حتى ينام كل ذى عين ثم يوقدها فاذا انتبه احد اطفأها لكى لا ينتفع بها (فالمغيرات صبحا) فاغرن ... (فأثرن به) هيجن بحوافرهن ويقال بعدوهن (نقعا) غبارا ... (فوسطن به) ... (جمعا) جمع ... وجه آخر والعاديات يقول اقسم الله بخيول الحجاج والبهم اذا جئن من عرفة الى مزدلفة صبحا ضبحت انفاسهن فالموريات قدحا يورين النار بالمزدلفة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والعاديات ضبحا﴾ اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات او ضبحا حال بمعنى ضابحة ﴿فالموريات قدحا﴾ فالتى تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فأورى ﴿فالمغيرات﴾ يغير اهلها على العدو ﴿صبحا﴾ اى فى وقته ﴿فأثرن﴾ فهيجن ﴿به﴾ بذلك الوقت ﴿نقعا﴾ غبارا او صياحا ﴿فوسطن به﴾ فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى متلبسات به ﴿جمعا﴾ من جموع الاعداء

﴿مدنية فى قول ابن عباس وهى احدى عشرة آية واربعون كلمة﴾

﴿ومائة وثلاثة وستون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عز وجل ﴿والعاديات ضبحا﴾ فيه قولان احدهما انها الابل فى الحج قال على كرم الله وجهه هى الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى وعنه قال كانت اول غزاة فى الاسلام بدرا وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد ابن الاسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا القول يكون معنى ضبحها مد اعناقها فى السير واصله من حركة النار فى العود ﴿فالموريات قدحا﴾ يعنى ان اخفاف الابل ترمى بالحجارة من شدة عدوها فيضرب الحجارة حجرا آخر فيورى النار وقيل هى النيران بجمع ﴿فالمغيرات صبحا﴾ يعنى الابل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع الى منى والسنة ان لا يدفع حتى يصبح والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير ﴿فأثرن به نقعا﴾ اى هيجن بمكان سيرها غبارا ﴿فوسطن به جمعا﴾ اى وسطن بالنقع جمعا وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى اقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعريضه بابل الحج للترغيب وفيه تقريع لمن لم يحج بعد القدرة عليه فان الكنود هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثانى فى تفسير والعاديات قال ابن عباس وجماعة هى الخيل العادية فى سبيل الله والضبح صوت ... اذا غدت قال ...

روى انه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف والمغيرات على الهوى والعاديات اذ ظهر لهن مثل انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ﴿ان الانسان لربه لكنود﴾ لكفور من كند النعمة كنودا اولعاص بلغة كندة اولبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم ﴿وانه على ذلك﴾ وان الانسان على كنوده ﴿لشهيد﴾ يشهد على نفسه لظهور اثره عليه اوان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا ﴿وانه لحب الخير﴾ المال من قوله تعالى ان ترك خيرا اى ملا ﴿لشديد﴾ لبخيل اولقوى مبالغ فيه ﴿افلا يعلم اذا بعثر﴾ بعث ﴿مافى القبور﴾ من الموتى وقرئ بحثر وبحث ﴿وحصل﴾ جمع محصلا فى الصحف اوميز ﴿مافى الصدور﴾

عباس وليس شئ من الحيوانات يضبح سوى الفرس والكلب والثعلب وانما تضبح هذه الحيوانات اذا تغير حالها من فزع او تعب وهو من قول العرب ضبحته النار اذا غيرت لونه فالموريات قدحا يعنى انها تورى النار بحوافرها اذا سارت فى الحجارة وقيل هى الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين فرسانها وقال ابن عباس هى الخيل تغزو فى سبيل الله ثم تأوى بالليل فيورى اصحابها نارا ويصنعون طعامهم وقيل هو مكر الرجال فى الحرب والعرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما والله لاقدحن لك ثم لاورين لك فالمغيرات صبحا يعنى الخيل تغير بفرسانها على العدو عند الصباح لان الناس فى غفلة فى ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به اى بالمكان نقعا اى غبارا فوسطن به جمعا اى دخلن به اى بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو وهم الكتيبة وهذا القول فى تفسير هذه الآيات اولى بالصحة واشبه بالمعنى لان الضبح من صفة الخيل وكذا ايراء النار بحوافرها واثارة الغبار ايضا وانما اقسم الله بخيل الغزاة لما فيها من المنافع الدينية والدنيوية الاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها فى سبيل الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى ﴿ان الانسان لربه لكنود﴾ اى لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعمة الله تعالى وقيل الكنود هو العاصى وقيل هو الذى يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير مأخوذ من الارض الكنود وهى التى لاتنبت شيأ وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى انسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذى انسته الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة ﴿وانه على ذلك لشهيد﴾ قال اكثر المفسرين وان الله على كونه كنودا الشاهد وقيل الهاء راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه بما صنع ﴿وانه﴾ يعنى الانسان ﴿لحب الخير﴾ اى المال ﴿لشديد﴾ اى لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوى شديد ﴿افلا يعلم﴾ يعنى هذا الانسان ﴿اذا بعثر﴾ اى اثير واخرج ﴿مافى القبور﴾ يعنى من الموتى ﴿وحصل مافى الصدور﴾ اى

القسم (ان الانسان لربه لكنود) لكفران (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) شهيد على نفسه وان الله على كنوده لشهيد على سبيل الوعيد (وانه لحب الخير لشديد) وانه لاجل حب المال لبخيل ممسك او انه لحب المال لقوى وهو لحب عبادة الله ضعيف (افلا يعلم) الانسان (اذا بعثر) بعث (مافى القبور) من الموتى وما بمعنى من (وحصل مافى الصدور)

فهن الموريات ويقال فالموريات قدحا فالنجيات عملا وهو الحج فالمغيرات صبحا اذا رجعن من المزدلفة الى منى غدوة فهن المغيرات فاثرن به بالمكان نقعا ترابا فوسطن به بعدوهن جمعا اقسم الله بهؤلاء الاشياء (ان الانسان) يعنى الكافر وهو قرط بن عبد الله بن عمرو ويقال ابو حباحب (لربه لكنود) يقول بنعمة ربه لكفور بلسان كندة ويقال بربه عاص بلسان حضرموت ويقال بخيل بلسان بنى مالك بن كنانة ويقال الكنود الذى يمنع رفده ويجيع عبده ويأكل وحده ولايعطى النائبة فى قومه (وانه على ذلك لشهيد) والله على صنعه لحافظ (وانه) يعنى قرط (لحب الخير لشديد) يقول يحب المال الكثير حبا شديدا (افلا يعلم) قرط ويقال ابو حباحب (اذا بعثر مافى القبور) اخرج مافى القبور من الاموات (وحصل مافى الصدور)

(ميز)

ميزما فيها من الخير والشر (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) لعالم فيجازيهم على اعمالهم من الخير والشر وخص يومئذ بالذكر
وهو عالم بهم في جميع الازمان لان الجزاء والله اعلم ﴿سورة القارعة

مكية وهى ثمان آيات﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(القارعة) مبتدأ (ما) مبتدأ ثان (القارعة) خبره والجملة خبر المبتدأ الاول وكان حقه ماهى وانما كرر تفخيما لشأنها (وماادراك ما القارعة) اى اى شئ اعلمك ماهى ومن اين علمت ذلك (يوم) نصب بمضمر دات عليه القارعة اى تقرع يوم (يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره بين مافى القلوب من الخير والشر والبخل والسخاوة (ان ربهم بهم) وباعمالهم (يومئذ) يوم القيامة (لخبير) لعالم

﴿ومن السورة التى يذكر فيها القارعة وهى كلها مكية آياتها ثمان وكلماتها ست وثلاثون كلمة وحرفها مائة واثنان وخمسون حرفا﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (القارعة ماالقارعة) يقول الساعة ما الساعة يعجبه بذلك وانما سميت القارعة لانها تقرع القلوب (ومالدراك) يامحمد (ماالقارعة) تعظيما لها ثم بينها فقال (يوم يكون الناس) يجول الناس بعضهم فى بعض (كالفراش المبثوث) المبسوط يجول بعضه فى بعض والفراش هو شئ يطير بين السماء والارض

من خير اوشر وتخصيصه لانه الاصل ﴿ان ربهم بهم يومئذ﴾ يوم القيامة ﴿لخبير﴾ عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شأنهم فى الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام * عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

﴿سورة القارعة مكية وآيها عشر﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿القارعة ماالقارعة ومالدريك ما القارعة﴾ سبق بيانه فى الحاقة ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ فى كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دل عليه القارعة ﴿فاما من ثقلت﴾ ...

﴿تفسير سورة القارعة وهى مكية وثمان آيات وست وثلاثون كلمة﴾

﴿ومائة واثنان وخمسون حرفا﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قوله عزوجل ﴿القارعة﴾ اصل القرع الصوت الشديد ومنه قوارع الدهر اى شدائده والقارعة من اسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ فى الصور مات جميع الخلائق من شدة صوت نفخته ﴿ما القارعة﴾ تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت القوارع فى الهول والشدة ﴿وما ادراك ما القارعة﴾ معناه لاعلم لك بكنهها لانها فى الشدة بحيث لايبلغها فهم احد وكيفما قدرت امرها فهى اعظم من ذلك ﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾ الفراش هذه الطير التى تراها تتهافت فى النار سميت بذلك لفرشها وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق فى البعث يتفرقون فيذهب كل واحد الى غير جهة الآخر والمبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد فقال كانهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد لكثرتهم قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فشبه

بمضمر دلت عليه القارعة ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف ذى الالوان ﴿المنفوش﴾ المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها فى الجو ﴿فاما من ثقلت موازينه﴾ بان ترجحت مقادير انواع حسناته ﴿فهو فى عيشة﴾ فى عيش ﴿راضية﴾ ذات رضى اى مرضية ﴿واما من خفت موازينه﴾ بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيآته على حسناته ﴿فامه هاوية﴾ فمأواه النار المحرقة والهاوية من اسمائها ولذلك قال ﴿وما ادريك ماهيه نار حامية﴾ ذات حمى * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

الناس عند البعث بالجراد لكثرتهم يموج بعضهم فى بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ اى كالصوف المندوف وذلك لانها تتفرق اجزاؤها فى ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند الندف وانما ضم بين حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على تأثير تلك القارعة فى الجبال العظيمة الصلبة الصلدة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق على قسمين فقال تعالى ﴿فاما من ثقلت موازينه﴾ يعنى رجحت موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذى له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل هو جمع ميزان وهو الذى له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن فى احسن صورة فتوضع فى كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى بسيآت الكافر فى اقبح صورة فتخف ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على سيآته دخل الجنة ومن ثقلت سيآته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخل الجنة او يعفو الله عنه بكرمه فيدخل الجنه بفضل الله وكرمه ورحمته واما الكافرون فقد قال فى حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روى عن ابى بكر الصديق انه قال انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا * قوله تعالى ﴿فهو فى عيشة راضية﴾ اى مرضية فى الجنة وقيل فى عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها ﴿واما من خفت موازينه﴾ اى رجحت سيآته على حسناته ﴿فامه هاوية﴾ اى مسكنه النار سمى المسكن اما لان الاصل فى السكون الامهات وقيل معناه فام رأسه هاوية فى النار والهاوية اسم من اسماء النار وهى المهواة التى لا يدرك قعرها فيهوون فيها على رؤسهم وقيل كان الرجل اذا وقع فى امر شديد يقال هوت امه اى هلكت حزنا وثكلا ﴿وما ادراك ماهيه﴾ يعنى الهاوية ثم فسرها فقال ﴿نار حامية﴾ اى حارة قد انتهى حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى اعلم

الوانها لونه من الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها والمنفوش منه تفرق اجزائها (فاما من ثقلت موازينه) باتباعهم الحق وهى جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها (فهو فى عيشة راضية) ذات رضا او مرضية (واما من خفت موازينه) باتباعه الباطل (فامه هاوية) فمسكنه ومأواه النار وقيل للمأوى ام على التشبيه لان الام مأوى الولد ومفزعه (وما ادراك ماهيه) الضمير يعود الى هاوية والهاء للسكت ثم فسرها فقال (نار حامية) بلغت النهاية فى الحرارة والله اعلم

مثل الجراد (وتكون) تصير (الجبال كالعهن المنفوش) كالصوف المندوف الملون (فاما من ثقلت موازينه) حسناته فى ميزانه وهو المؤمن (فهو فى عيشة راضية) فى جنة مرضية قد رضيها لنفسه (واما من خفت موازينه) وهو الكافر (فامه هاوية) جعل امه مأواه ومصيره الهاوية ويقال يهوى فى النار على هامته (وما ادراك) يا محمد (ماهيه) تعظيما لها ثم بينها فقال (نار حامية) حارة قد انتهى حرها

﴿ سورة التكاثر مختلف فيها وآيها ثمان ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الهيكم ﴾ شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل ﴿ التكاثر ﴾ التباهى بالكثرة ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموت بزيارة المقابر

﴿ تفسير سورة التكاثر مكية وهى ثمان آيات وثمان وعشرون كلمة ﴾

﴿ ومائة وعشرون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ الهاكم التكاثر ﴾ اى اشغلتكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة الله ربكم وما ينجيكم عن سخطه ومعلوم ان من اشتغل بشئ اعرض عن غيره فينبغى للمؤمن العاقل ان يكون سعيه وشغله فى تقديم الاهم وهو مايقربه من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر باخس المراتب والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التى هى سعادة الابد ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذمومة ما روى عن مطرف ابن عبدالله بن الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية الهاكم التكاثر فقال يقول ابن ادم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه ماله واهله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ اى حتى متم ودفنتم فى المقابر يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية الهاكم حرصكم على تكثير اموالكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم الموت وانتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية فى اليهود قالوا نحن اكثر من بنى فلان وبنو فلان اكثر من بنى فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت فى حيين من قريش وهما بنو عبد مناف وبنو سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا القادة والاشراف ايهم اكثر فقال بنو عبدمناف نحن اكثر سيدا واعز عزيزا واعظم نفرا واكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكاثرهم بنو عبدمناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنو سهم بثلاثة ابيات لانهم كانوا فى الجاهلية اكثر عددا فانزل الله هذه الآية وهذا القول اشبه بظاهر القرآن لان قوله حتى زرتم

(الهاكم التكاثر) شغلكم التبارى فى الكثرة والتباهى بها فى الاموال والاولاد عن طاعة الله (حتى زرتم المقابر) حتى ادرككم الموت على تلك الحال او حتى زرتم المقابر وعدد ثمه من فى المقابر من موتاكم

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها التكاثر وهى كلها مكية آياتها ثمان وكلماتها ثمان وعشرون وحروفها مائة وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الهاكم التكاثر) يقول شغلكم التفاخر بالحسب والنسب (حتى زرتم المقابر) وذلك ان بنى سهم وبنى عبد مناف تفاخروا ايهم اكثر عددا فكثرتهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم اهلكنا البغى فى الجاهلية فعدوا احياءنا واحياءكم وامواتنا وامواتكم ففعلوا فكثرهم بنو سهم فنزلت فيهم الهاكم التكاثر شغلكم التفاخر فى الحسب والنسب حتى زرتم المقابر حتى ذكرتم الاموات فى العدد ويقال شغلكم التكاثر بالمال والولد حتى تموتوا

(كلا) ردع وتنبيه على انه لا ينبغى للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه (ثم كلا سوف تعلمون) فى القبور (كلا) تكرير الردع للانذار

والتخويف (لو تعلمون) جواب لو محذوف اى لو تعلمون ما بين ايديكم (علم اليقين) علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور لما الهاكم التكاثر او لفعلتم ما لا يوصف ولكنكم ضلال جهلة (لترون الجحيم) هو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد لترون بضم التاء شامى وعلى (ثم لترونها) كرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل او الاول بالقلب والثانى بالعين (عين اليقين) اى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) عن الامن والصحة فيم افنيتموها عن ابن مسعود رضى الله عنه وقيل عن التنعم الذى شغلكم

روى ان بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغى اهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم فى طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعى لاخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت ﴿كلا﴾ ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغى له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة ﴿سوف تعلمون﴾ خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا وينتبهوا من غفلتهم ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ تكرير للتأكيد وفى ثم دلالة على ان الثانى ابلغ من الاول او الاول عند الموت او فى القبر والثانى عند النشور ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتفخيم ولا يجوز ان يكون قوله ﴿لترون الجحيم﴾ جوابا لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما وقرأ ابن عامر والكسائى لترون بضم التاء ﴿ثم لترونها﴾ تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار ﴿عين اليقين﴾ اى الرؤية التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ﴿ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ الذى الهاكم والخطاب مخصوص

المقابر يدل على امر مضى فكأنه تعالى يعجبهم من انفسهم ويقول مجيبا هب انكم اكثر منهم عددا فماذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال ﴿كلا﴾ اى ليس الامر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا ﴿سوف تعلمون﴾ وعيد لهم ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ كرره تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم اذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعنى الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعنى المؤمنين وصاحب هذا القول يقرأ الاولى بالياء والثانية بالتاء ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ اى علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعثه بعد الموت ﴿لترون الجحيم﴾ اللام تدل على انه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما اوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى انكم ترون الجحيم بابصاركم بعد الموت ﴿ثم لترونها﴾ يعنى مشاهدة ﴿عين اليقين﴾ وانما كرر الرؤية لتأكيد الوعيد ﴿ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم﴾ يعنى ان كفار مكة كانوا فى الدنيا فى الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لانهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره

وتدفنوا فى القبور (كلا) وهو رد عليهم ووعيد لهم (سوف تعلمون) ماذا يفعل بكم فى القبور (ثم كلا سوف تعلمون) ماذا يفعل بكم عند الموت (كلا لو تعلمون) ماذا يفعل بكم يوم القيامة (علم اليقين) علما يقينا ما تفاخرتم فى الدنيا (لترون الجحيم) يوم القيامة (ثم لترونها عين اليقين) (ثم)

عينا يقينا لستم عنها بغائبين يوم القيامة (ثم لتسئلن يومئذ) يوم القيامة (عن النعيم) عن شكر النعيم

بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذكل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار * عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله سبحانه وتعالى بالنعيم الذى انعم عليه فى دار الدنيا واعطى من الاجر كانما قرأ الف آية

ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لان الكفار لما الهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره سألهم عن ذلك وقيل ان هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الاولى لكن سؤال الكافر توبيخ وتقريع لانه ترك شكر ما انعم الله به عليه والمؤمن يسئل سؤال تشريف وتكريم لانه شكر ما انعم الله به عليه واطاع ربه فيكون السؤال فى حقه تذكرة بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روى عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الزبير يارسول الله واى نعيم نسئل عنه وانما هما الاسودان التمر والماء قال اما انه سيكون اخرجه الترمذى وقال حديث حسن واختلفوا فى النعيم الذى يسئل العبد عنه فروى عن ابن مسعود رفعه قال لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الامن والصحة * عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يسئل عنه العبد يوم القيامة من النعيم فيقال له الم نصح لك جسمك ونروك من الماء البارد اخرجه الترمذى وقال حديث غريب ﴿ م ﴾ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اوليلة فاذا هو بابى بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يارسول الله قال وانا والذى نفسى بيده لاخرجنى الذى اخرجكما فقوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الانصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا واهلا فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء اذجاء الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما احد اليوم اكرم اضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا واخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا النعيم واخرجه الترمذى باطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروى عن ابن عباس قال النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيم استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ والمال ﴿ خ ﴾ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل الذى يسئل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج اليه فانه لابد لكل احد من مطعم ومشرب

الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه وعن الحسن ما سوى كن يؤويه واثواب تواريه وكسرة تقويه وقد روى مرفوعا والله اعلم

ما تأكلون وما تشربون وما تلبسون وغير ذلك

﴿ سورة العصر مكية وآيها ثلاث ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعصر ﴾ قسم بصلاة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي مايضاف اليه من الخسران ﴿ ان الانسان لفى خسر ﴾ وملبس ومسكن وقيل يسئل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الاسلام فانه اكبر النعم وقيل يسأل عما انعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذى انقذكم به من الضلال الى الهدى والنور وامتن به عليكم والله اعلم

﴿ تفسير سورة العصر وهى مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل مدنية ﴾
﴿ وهى ثلاث آيات واربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ والعصر ﴾ قال ابن عباس هو الدهر قيل اقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد فى الحديث لاتسبوا الدهر فان الله هو الدهر وذلك لانهم كانوا يضيفون النوائب والنوازل الى الدهر فاقسم به تنبيها على شرفه وان الله هو المؤثر فيه فما حصل فيه من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل اراد بالعصر الليل والنهار لانهما يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لانهما خزانتان لاعمال العباد وقيل اراد بالعصر آخر طرفى النهار اقسم بالعشى كما اقسم بالضحى وقيل اراد صلاة العصر اقسم بها لشرفها ولانها الصلاة الوسطى فى قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى لماقيل هى صلاة العصر والذى فى مصحف عائشة رضى الله عنها وحفصة والصلوة الوسطى صلاة العصر وفى الصحيحين شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم فاتته صلاة العصر فكأنما وتر اهله وماله وقيل اراد بالعصر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقسم بزمانه كما اقسم بمكانه فى قوله لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد نبه بذلك على ان زمانه افضل الازمان واشرفها وجواب القسم قوله تعالى ﴿ ان الانسان لفى خسر ﴾ اى لفى خسران ونقصان قيل اراد بالانسان جنس الانسان بدليل قولهم كثر الدرهم فى ايدى الناس اى الدراهم وذلك لان الانسان لاينفك عن خسران لان الخسران هو تضييع عمره وذلك لان كل ساعة تمر من عمر الانسان اما ان تكون تلك الساعة فى طاعة او معصية فان كانت فى معصية فهو الخسران المبين الظاهر وان كانت فى طاعة فلعل غيرها افضل وهو قادر على الاتيان بها فكان فعل غير الافضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك انه لاينفك احد من خسران وقيل ان سعادة الانسان فى طلب الآخرة وحبها والاعراض عن الدنيا ثم ان الاسباب الداعية الى حب الآخرة خفية والاسباب الداعية الى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان اكثر الناس مشتغلين بحب

﴿ سورة العصر مختلف فيها وهى ثلاث آيات ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(والعصر) اقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلوة الوسطى صلوة العصر فى مصحف حفصة ولان التكليف فى ادائها اشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم او اقسم بالعشى كما اقسم بالضحى لما فيها من دلائل القدرة او اقسم بالزمان لما فى مروره من اصناف العجائب وجواب القسم (ان الانسان لفى خسر) اى جنس الانسان لفى خسران من تجاراتهم

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها العصر وهى كلها مكية آياتها ثلاث وكلماتها اربع عشرة وحروفها ثمانية وستون حرفا ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (والعصر) اقسم الله بنوائب الدهر يعنى شدائده ويقال بصلاة العصر (ان الانسان) يعنى الكافر (لفى خسر) لفى غبن وفى عقوبة عن ذهاب اهله ومنزله فى الجنة ويقال فى نقصان عمله بعد الهرم والموت

ان الانسان لفى خسران فى مساعيهم وصرف اعمارهم فى مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية ﴿وتواصوا بالحق﴾ بالثابت الذى لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل ﴿وتواصوا بالصبر﴾ عن المعاصى او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه وتعالى انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عد يؤدى الى خسران ونقص حظ او تكرما فان الابهام فى جانب الخسر كرم * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

﴿ سورة الهمزة مكية وآيها تسع ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا فى

الدنيا مستغرقين فى طلبها فكانوا فى خسار وبوار قد اهلكوا انفسهم بتضييع اعمارهم وقيل اراد بالانسان الكافر بدليل انه استثنى المؤمنين فقال تعالى ﴿الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعنى فانهم ليسوا فى خسر والمعنى ان كل ما مر من عمر الانسان فى طاعة الله تعالى فهو فى صلاح وخير وما كان بضده فهو فى خسر وفساد وهلاك ﴿وتواصوا﴾ اى اوصى بعض المؤمنين بعضا ﴿بالحق﴾ يعنى بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالايمان والتوحيد ﴿وتواصوا بالصبر﴾ اى على اداء الفرائض واقامة امر الله وحدوده وقيل اراد ان الانسان اذا عمر فى الدنيا وهرم لفى نقص وتراجع الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم تكتب اجورهم ومحاسن اعمالهم التى كانوا يعملونها فى شبابهم وصحتهم وهى مثل قوله لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الهمزة وهى مكية وتسع آيات وثلاثون كلمة ﴾

﴿ ومائة وثلاثون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ويل﴾ اى قبح وقيل هو اسم واد فى جهنم ﴿لكل همزة لمزة﴾ قال ابن عباس هم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقيل معناهما واحد وهو العياب المغتاب للناس فى بعضهم قال الشاعر

اذا لقيتك من كره تكاشرنى * وان تغيبت كنت الهامز اللمزا

وقيل بل يختلف معناهما فقيل الهمزة الذى يعيبك فى الغيب واللمزة الذى يعيبك فى

(الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا (وتواصوا بالحق) بالامر الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبلو به الله عباده وتواصوا فى الموضعين فعل ماض معطوف على ماض قبله والله اعلم

﴿ سورة الهمزة مكية وهى تسع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ويل) مبتدأ خبره (لكل همزة) اى الذى يعيب الناس من خلفهم (لمزة)

(الا الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (وعملوا الصالحات) الطاعات فيما بينهم وبين ربهم (وتواصوا بالحق) تحاثوا بالتوحيد ويقال بالقرآن (وتواصوا بالصبر) تحاثوا بالصبر على اداء فرائض الله واجتناب معاصيه والصبر على المرازى والمصيبات فانهم ليسوا كذلك

﴿ومن السورة التى يذكر فيها الهمزة وهى كلها مكية آياتها تسع وكلماتها اربع وثمانون وحروفها مائة واحد وستون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ويل) شدة عذاب ويقال ويل واد فى جهنم من قيح ودم ويقال جب فى النار (لكل همزة) مغتاب للناس من خلفهم (لمزة)

الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلايقـال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعود وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذى يأتى بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها فى الاخنس بن شريق فانه كان مغتابا اوفى الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صـلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ الذى جمع مالا ﴾ بدل من كل اوذم منصوب اومرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتشـديد للتكثير ﴿ وعدده ﴾ وجعـله عدة للنوازل او عده مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام ﴿ يحسب ان ماله اخلده ﴾ تركه خالدا فى الدنيا فأحبه كما يحب الخلود اوحب المال اغفله عن الموت اوطول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيـه تعريض بان المخلد هو السعى للآخرة

الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة الذى يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذى يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هوالذى يهمز بلسانه ويلمز بعينه وقيل الهمزة الذى يؤذى جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذى يرمق بعينه ويشـير برأسه ويرمز بحاجبه وقيل الهمزة المغتاب للناس واللمزة الطعان فى انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى اصل واحد وهوالطعن واظهار العيب واصل الهمز الكسر والقبض على الشئ بالعنف والمراد منه هنا الكسر من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكى الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم ليضحكوا منه وهما نعتان للفاعل على نحو سخرة وضحكة للذى يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت فى الاخنس بن شريق بن وهب كان يقع فى الناس ويغتابهم وقال محمد بن اسحق مازلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت فى امية بن خلف الجمحى وقيل نزلت فى الوليد بن المغـيرة كان يغتاب النبى صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه فى وجهه وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقيل هى عامة فى كل شخص هذه صفته كائنـا من كان وذلك لان خصوص السبب لايقدح فى عموم اللفـظ والحكم ومن قال انها فى اناس معينين قال ان كون اللفـظ عاما لاينافى ان يكون المراد منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى ان تحمل على العموم فى كل من هذه صفته ثم وصفه فقال تعالى ﴿ الذى جمع مالا ﴾ وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجرى مجرى السبب والعلة فى الهمز واللمز يعنى وهو باعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة الى مال هو اكثر منه كالشئ الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان يفتخر بالشئ الحقير ﴿ وعدده ﴾ احصاه من العدد وقيل هو من العدة اى استعده وجعله ذخيرة وغنى له ﴿ يحسب ان ماله اخلده ﴾ اى يظن انه يخلد فى الدنيا ولا يموت ليساره وعناه قال الحسن ما رأيت يقينا لاشك فيه اشبه بشك لايقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لايشكون فى الموت مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد

اى من يعيبهم مواجهة وبناء فعلة يدل على ان ذلك عادة منـه قيل نزلت فى الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل فى اميـة بن خلف وقيل فى الوليد ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح (الذى) بدل من كل اونصب على الذم (جمع مالا) جمع شامى وحمزة وعلى مبـالغة جمع وهو مطابق لقوله (وعدده) اى جعله عـدة لحوادث الدهر (يحسـب ان ماله اخلده) اى تركه خالدا فى الدنيـا لايموت اوهو تعريض بالعمل الصـالح وانه هو الذى اخلد صاحبه فى النعيم فاما المال فما اخلد

طعان لعـان فحـاش فى وجـوههم نزلت هذه الآية فى اخنس بن شريق ويقال فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يغتـاب النبى صلى الله عليه وسلم من خلفه ويطعن فى وجهه (الذى جمع مالا) فى الدنيا (وعدده) عـدد ماله ويقال عدد جماله (يحسب) يظن الكافر (ان ماله اخلده) يخلده فى الدنيا

احدا فيه (كلا) ردع له عن حسبانه (لينبذن) اى الذى جمع (فى الحطمة) فى النار التى شأنها ان تحطم كل مايلقى فيها (وما ادراك ما الحطمة) تعجيب وتعظيم (نار الله) خبر مبتدأ محذوف اى هى نار الله

﴿ كلا ﴾ ردع له عن حسبانه ﴿ لينبذن ﴾ اى ليطرحن ﴿ فى الحطمة ﴾ فى النار التى من شأنها ان تحطم كل مايطرح فيها ﴿ وما ادراك ما الحطمة ﴾ ما النار التى لها هذه الخاصية ﴿ نار الله ﴾ تفسير لها ﴿ الموقدة ﴾ التى اوقدها الله وما اوقده لايقدر غيره ان يطفئه ﴿ التى تطلع على الافئدة ﴾ تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما فى البدن واشده تألما ولانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة ﴿ انها عليهم مؤصدة ﴾ مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال

تحن الى اجبال مكة ناقتى * ومن دونها ابواب صنعاء موصده

وقرأ حفص وابو عمرو وحمزة بالهمزة ﴿ فى عمد ممددة ﴾ اى موثقين فى اعمدة ممدودة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص وقرأ الكوفيون غير حفص بضمتين

فى الدنيا ولايموت ﴿ كلا ﴾ رد عليه اى لايخلده ماله بل يخلده ذكر العلم والعمل الصالح ومنه قول على مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون مابقى الدهر وقيل معناه حقا ﴿ لينبذن ﴾ واللام فى لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن ﴿ فى الحطمة ﴾ اى فى النار وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها وسميت حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا ايها الهمزة اللمزة الذى يأكل لحوم الناس ويكسر من اعراضهم ان وراءك الحطمة التى تأكل اللحوم وتكسر العظام ﴿ وما ادراك ما الحطمة ﴾ اى نار لا كسائر النيران ﴿ نار الله ﴾ انما اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لها ﴿ الموقدة ﴾ اى لاتخمد ابدا عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة اخرجه الترمذى قال ويروى عن ابى هريرة موقوفا وهو اصح ﴿ التى تطلع على الافئدة ﴾ اى يبلغ المها ووجعها الى القلوب والمعنى انها تأكل كل شئ حتى تنتهى الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطف شئ فى بدن الانسان وانه يتألم بأدنى شئ فكيف اذا اطلعت عليه واستولت عليه ثم انه مع لطافته لايحترق اذ لو احترق لمات صاحبه وليس فى النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد والنيات الفاسدة ﴿ انها عليهم مؤصدة ﴾ اى مطبقة مغلقة ﴿ فى عمد ممددة ﴾ قال ابن عباس ادخلهم فى عمد فمدت عليهم بعماد وفى اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة بلغنا انها عمد يعذبون بها فى النار وقيل هى اوتاد الاطباق التى تطبق على اهل النار والمعنى انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت الابواب عليهم ثم سدت باوتاد من حديد من نار حتى يرجع

(الموقدة) نعتها (التى تطلع على الافئدة) يعنى انها تدخل فى اجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على افئدتهم وهى اوساط القلوب ولاشئ فى بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد الما منه بادنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه وقيل خص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة ومعنى اطلاع النار عليها انها تشتمل عليها (انها عليهم) اى النار او الحطمة (مؤصدة) مطبقة (فى عمد) بضمتين كوفى غير حفص الباقون. فى عمد وهما لغتان فى جمع عماد كاهاب واهب وحمار وحمر (ممددة) اى تؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق فى الحديث المؤمن كيس فطن وقاف متثبت لايعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة

(كلا) وهو رد عليه لايخلده (لينبذن) ليطرحن (فى الحطمة وما ادراك) يا محمد

(ما الحطمة) تعظيما لها ثم بينها له فقال (نار الله الموقدة) المستعرة على الكفار (التى تطلع على الافئدة) تأكل كل شئ حتى تبلغ الى القلب (انها) يعنى النار (عليهم) على الكفار (مؤصدة) مطبقة (فى عمد ممددة)

كحاطب الليل لايبالى من اين اكتسب وفيم انفق والله اعلم ﴿ سورة الفيل مكية وهى خمس آيات ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (ألم تر كيف فعل ربك) كيف فى موضع نصب بفعل لا بألم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام والجملة سدت مسد مفعولى تر وفى الم تر تعجيب اى عجب الله نبيه من كفر العرب وقد شاهدت هذه العظمة من آيات الله والمعنى انك رأيت آثار صنع الله بالحبشة وسمعت الاخبار به متواترا فقامت لك مقام المشاهدة (بأصحاب الفيل) روى ان ابرهة بن الصباح ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فحرقها فأغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره فلما جاء المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن هرول فارسل الله طيرا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر من يقع عليه ففروا وهلكوا وما مات ابرهة حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره ابو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وروى ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فيها فعظم فى عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لاهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وشرفكم فى قديم الدهر فالهاك عنه ذود اخذلك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيحميه

وقرئ عمد بسكون الميم مع ضم العين * عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم اجمعين

﴿ سورة الفيل مكية وهى خمس آيات ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ﴾ الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الوقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكأنه رآها ولذا قال كيف ولم يقل

عليهم غمها وحرها فلا ينفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح وممدودة صفة العمد اى مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الفيل وهى مكية وخمس آيات وعشرون كلمة ﴾

﴿ وستة وتسعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾ كانت قصة اصحاب الفيل على ماذكره محمد بن اسحق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدى ان النجاشى ملك الحبشة كان بعث ارباط الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح بن يكسوم فساخط ارباط فى امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع ارباط وطائفة مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارباط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشى على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة

يقول طباقها ممدودة الى العمل ويقال قعرها بعيد ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الفيل وهى كلها مكية آياتها خمس وكلماتها ثلاث وعشرون وحروفها ستة وسبعون حرفا ﴾ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (الم تر) يعنى الم تخبر فى القرآن يامحمد (كيف فعل ربك) كيف عذب ربك واهلك ربك (باصحاب الفيل) قوم النجاشى الذين ارادوا خراب بيت الله

مالان المراد تذكير مافيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله تعالى وقدرته وعزته وبيته وشرف رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم فانها من الارهاصات اذ روى انها وقعت فى السنة التى ولد فيها الرسول عليه الصلاة والسلام وقصتها ان ابرهة بن الصباح بصنعاء وكتب الى النجاشى انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف اليها حج العرب فسمع بذلك مالك بن كنانه فخرج اليها ليلا فدخل وتغوط فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ ذلك ابرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت سمع بالذى قلت فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فكتب الى النجاشى يخبره بذلك وسأله ان يبعث اليه بفيله وكان له فيل يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج ابرهة فى الحبشة سائرا الى مكة وخرج معهم الفيل فسمعت العرب بذلك فعظموه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذونفر بمن اطاعه من قومه فقاتلوه فهزمه ابرهة واخذ ذا نفر فقال يا ايها الملك استبقنى فان بقائى خير لك من قتلى فاستحياه واوثقه وكان ابرهة رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمى فى خثعم ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا فقال نفيل ايها الملك انى دليل بأرض العرب وهاتان يداى على قومى بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن مغيث فى رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت الذى بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس مات ابورغال وهو الذى يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اموال اصحاب الحرم واصاب لعبد المطلب مائتى بعير ثم ان ابرهة ارسل بحناطة الحميرى الى اهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم ابلغه ماارسلك به اليه اخبره انى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك ارسلنى اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا ان تقاتلوه انما جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولالنا به يد انا سنخلى بينه وبين ماجاءله فان هذا بيت الله الحرام وبيت ابراهيم خليله عليه الصلاة والسلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله مالنا به قوة قال فانطلق معى الى الملك فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذونفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا قال فما غناء رجل اسير لايأمن ان يقتل بكرة او عشية ولكن سأبعث الى انيس سائس الفيل فانه لى صديق فاسأله ان يصنع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عنده قال فارسل

الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف الى انيس فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد اصاب الملك له مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق لى احب ماوصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال يستأذن عليك وانا احب ان تأذن له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فأذن له وكان عبدالمطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه ابرهة عظمه واكرمه وكره ان يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك له فقال له عبدالمطلب حاجتى الى الملك ان يرد على مائتى بعير اصابها لى فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت اعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت الآن فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم وعصمتكم لاهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى فى مائتى بعير اصبتها لك قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمنعه منى قال فانت وذاك فامر بابله فردت عليه فلما ردت الابل على عبدالمطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى عبدالمطلب الكعبة واخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا ارجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا

ان عدوا لبيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال ايضا

لا هم ان العبد يمنع رحله فامنع رحالك

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم عدوا محالك

جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك

عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك

ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدالك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه فى بعض تلك الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس وقد تهيأ للدخول وهيأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم يرمثله فى العظم والقوة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال له ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك ببلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه بالمعول فى رأسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ففزعوه ليقوم فابى

ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوى اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبى جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشأم ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وارسل الله عز وجل طيرا من البحر امثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره امثال الحمص والعدس فلما غشين القوم ارسلنها عليهم فلم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل قوم اصابت وخرجوا هاربين لايهتدون الى الطريق الذى جاؤا منه ويتساءلون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفى ذلك يقول نفيل

فانك مارأيت ولن تراه * لدى حين المحصب مارأينا

حمدت الله اذ ابصرت طيرا * وحصب حجارة تلقى علينا

وكلهم يسائل عن نفيل * كان على للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم فى بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون فى كل منهل وبعث الله على ابرهة داء فى جسده فجعل تتساقط انامله كلما سقطت انملة تبعتها مدة من قيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقى من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك قال الواقدى واما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الاخر شجع فحصبوا اى رموا بالحصباء وقال بعضهم انفلت ابو يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير يحلق فوق رأسه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما انهاها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا بين يدى النجاشى قال امية بن ابى الصلت

ان آيات ربنا ساطعات * مايمارى فيهن الا الكفور

حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم مقاتل بن سليمان ان السبب الذى جرأ اصحاب الفيل ان فئة من قريش اججوا نارا حين خرجوا تجارا الى ارض النجاشى فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فنزلوا فاججوا النار واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا فانطلق الصريخ الى النجاشى فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وكان فى مكة يومئذ ابو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا تستقيم الامور برأيه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له عبد المطلب ماذا عندك فهذا يوم لايستغنى فيه عن رأيك فقال ابو مسعود اصعد بنا الى حراء فصعد الجبل فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها لله وقلدها نعلا واجعلها لله ثم ابثثها فى الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيأ فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد

وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا اكل طير فى منقاره حجر وفى رجليه حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر فى راس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم ترجدا فى اظهار اثر الجازم وكيف نصب

القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن صحن هذا البيت واراد هدمه فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة ايام فلما راى تبع ذلك كساه القباطى البيض وعظمه ونحرله جزورا فانظر نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشأت من شاطئ البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها قال اراها قد دارت على رؤسنا قال هل تعرفها قال والله ما اعرفها ماهى بنجدية ولا بتهامية ولا عربية ولا شامية قال ماقدرها قال اشباه اليعاسيب فى مناقيرها حصى كأنها حصى الحذف قد اقبلت كالليل يتبع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت الطير مافى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يؤنسا احدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم سامرين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر القوم فاذاهم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها حتى تقع فى دماغه وتخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فأسا من فؤسهم فحفر حتى اعمق فى الارض فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله فملاء ثم قال لابى مسعود اختر ان شئت حفرتى وان شئت حفرتك وان شئت فهمالك معا فقال ابو مسعود فاختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى ارى اجود المتاع فى حفرتى فهى لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس فتراجعوا واصابوا من فضلهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته القادة فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود فى اهاليهما فى غنى من ذلك المال ودفع الله عزوجل عن كعبته واختلفوا فى تاريخ عام الفيل فقيل كان قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاصح الذى عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل التفسير انه كان فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم * واما التفسير فقوله عزوجل الم تر اى الم تعلم وذلك لان هذه الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فكأنه صلى الله عليه وسلم علمه وشاهده يقينا فلهذا قال تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كانوا فيلة ثمانية وقيل اثنى عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذى كان يقال له محمود وقيل انما وحده لوفاق الآى وفى قصة اصحاب

بفعل لا بترك لما فيه من معنى الاستفهام ﴿ الم يجعل كيدهم ﴾ فى تعطيل الكعبة وتخريبها ﴿ فى تضليل ﴾ فى تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شأنها ﴿ وارسل عليهم طيرا ابابيل ﴾ جماعات جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ﴿ ترميهم بحجارة ﴾ وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك ﴿ من سجيل ﴾ من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير او الاسجال

الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته اذ يستحيل فى العقل ان طيرا تأتى من قبل البحر تحمل حجارة ترمى بها ناسا مخصوصين وفيها دلالة عظيمة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزة ظاهرة له وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعى الى توحيده واهلاك من سخط عليه وليس ذلك لنصرة قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل ان المراد بذلك نصر محمد صلى الله عليه وسلم فكأنه تعالى قال انا الذى فعلت مافعلت باصحاب الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدومك واذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف اتركك بعد ظهورك ﴿ الم يجعل كيدهم ﴾ يعنى مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة ﴿ فى تضليل ﴾ اى تضييع وخسار وابطال ما ارادوا اضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من تخريب البيت بل رجع كيدهم عليهم فخربت كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى ﴿ وارسل عليهم طيرا ابابيل ﴾ يعنى طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضها بعضا وقيل ابابيل اقاطيع كالابل المؤبلة وقيل ابابيل جماعات فى تفرقة قيل لا واحد لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها رؤس كرؤس السباع وقيل لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة احجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره لا تصيب شيأ الا هشمته ووجه الجمع بين هذه الاقاويل فى اختلاف اجناس هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل واحد بما بلغه من صفاتها والله اعلم * قوله عز وجل ﴿ ترميهم بحجارة ﴾ قال ابن مسعود صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره ﴿ من سجيل ﴾ قيل السجيل اسم عام للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون بما كتب الله فى ذلك الكتاب وقيل معناه من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط واصله سنك وكل فارسى معرب وقيل سجيل

(الم يجعل كيدهم فى تضليل) فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اى ضيعه يعنى انهم كادوا البيت اولا ببناء القليس ليصرفوا وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل كيدهم بارسال الطير عليهم (وارسل عليهم طيرا ابابيل) حزائق الواحدة ابالة قال الزجاج جماعات من ههنا وجماعات من ههنا (ترميهم) وقرأ ابو حنيفة رضى الله عنه يرميهم اى الله او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى (بحجارة من سجيل) هو معرب من سنك كل وعليه الجمهور اى الآجر

(الم يجعل كيدهم) صنيعهم (فى تضليل) فى اباطيل وتخسير (وارسل عليهم) سلط عليهم (طيرا ابابيل) متتابعة (ترميهم) ترمى عليهم (بحجارة من سجيل) من سنخ وحل مطبوخ مثل الآجر ويقال سجيل من سماء الدنيا

وهو الارسال اومن السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود اواكل حبه فبقى صفرا منه اوكتبن اكلته الدواب وراثته * قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفيل عافاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

﴿ سورة قريش مكية وآيها اربع ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لايلاف قريش ﴾ متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما فى الكلام الشديد ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ يعنى كزرع وتبن اكلته الدواب ثم راثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم وتفرقها بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا اكل فصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذى يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة قريش وهى مكية وقيل مدنية والاول اصح ﴾

﴿ وأكثر وهى أربع آيات وسبع عشرة كلمة وثلاثة ﴾

﴿ وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ لايلاف قريش ﴾ اختلفوا فى هذه اللام فقيل هى متعلقة بماقبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم بما صنع بالحبشة فقال فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش اى اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل ابى بن كعب هذه السورة وسورة الفيل واحدة ولم يفصل بينهما فى مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذى عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لاتعلق بينهما واجيب عن مذهب ابى بن كعب فى جعل هذه السورة والسورة التى قبلها سورة واحدة بان القرآن كالسورة الواحدة يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض ايضا باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا فى العلة الجالبة للام فى قوله لايلاف فقيل هى لام التعجب اى اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا البيت ثم امرهم بعبادته فهو كقوله على وجه التعجب اعجبوا لذلك وقيل هى متعلقة بما بعدها تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف اى ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة والايلاف من الفت الشئ الفا وهو بمعنى الائتلاف فيكون المعنى لايلاف

(فجعلهم كعصف مأكول) زرع اكله الدود

﴿ سورة قريش مكية وهى اربع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لايلاف قريش) متعلق بقوله فليعبدوا امرهم ان يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط اى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة او بماقبله اى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش يعنى ان ذلك الايلاف لهذا الايلاف وهذا كالتضمين فى الشعر وهو ان يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لايصح الا به وهما فى مصحف ابى سورة واحدة بلا فصل ويروى

(فجعلهم كعصف مأكول) كورق الذرع المدود اذا اكله الدود

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها قريش وهى كلها مكية آياتها اربع وكلمتها سبع عشرة وحروفها ثلاثة وسبعون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (لايلاف قريش) يقول مر قريشا ليألفوا

عن الكسائي ترك التسمية بينهما ﴿ ٥٧٥ ﴾ والمعنى انه اهلك {سورة قريش} الحبشة الذين قصدوهم

من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لاتحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجله ﴿ ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ اى الرحلة فى الشتاء الى اليمن قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولاتنقطعا وقيل هو من الفت كذا اى لزمته و آلفنيه الله اى الزمنيه الله وقريش هم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو من قريش ومن لم يلده النضر فليس بقرشى (م) عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم (م) عن جابر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش فى الخير والشر (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم * عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد هوان قريش اهانه الله اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب * عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا فأذق آخرهم نوالا اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والشدة * والنوال العطاء والخير وسموا قريشا من القرش والتقريش وهو الجمع والتكسب يقال فلان يقرش لعياله ويقترش لهم اى يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا وقال ابو ريحانة سأل معاوية عبدالله بن عباس لم سميت قريش قريشا قال لدابة تكون فى البحر هى من اعظم دوابه يقال لها القرش لاتمر بشئ من الغث والسمين الا اكلته وهى تأكل ولاتؤكل وتعلو ولاتعلى قال وهل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم وانشده شعر الجمحى

وقريش هى التى تسكن البحـ ـر بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو فى لجة البحـ ـر على سائر البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا تتـ ـرك فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا فى الكتاب حى قريش * يأكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم آخر الزمان نبى * يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الارض خيلة ورجالا * يحشرون المطى حشرا كميشا

وقيل ان قريشا كانو متفرقين فى غير الحرم فجمعهم قصى بن كلاب وانزلهم الحرم فاتخذوه مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا تجمعوا وسمى قصى مجمعا لذلك قال الشاعر

ابوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وقوله تعالى ﴿ ايلافهم ﴾ هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظم المنة فيه ﴿ رحلة الشتاء والصيف ﴾ قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون

ليتسامع الناس بذلك فيحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن فى رحلتيهم فلا يجترئ احد عليهم وقيل المعنى اعجبوا لايلاف قريش لالاف قريش شامى اى لمؤالفة قريش وقيل يقال الفته الفا والافا و قريش ولد النضر بن كنانة سموه بتصغير القرش وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم فسموه بذلك لشدتهم ومنعتهم تشبيها بها وقيل من القرش وهو الجمع والكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد (ايلافهم رحلة الشتاء والصيف) اطلق الايلاف ثم ابدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به واراد رحلتى الشتاء والصيف فافرد لامن الالباس وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء

على التوحيد ويقال اذكر نعمتى على قريش ايألفوا على التوحيد (ايلافهم) كايلافهم (رحلة الشتاء والصيف) على رحلة الشتاء الى اليمن والصيف الى الشام ويقال لا يشق التوحيد على قريش كما

وفي الصيف الى الشأم فيمتارون ويتجرون اوبمحذوف مثل اعجبوا اوبماقبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولاتطاق الابالنار فشبهوا بها لانها تأكل ولاتؤكل وتعلو ولاتعلى وصغر الاسم للتعظيم اواطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد عنه للتفخيم وقرأ ابن عامر لئلاف بغير الياء بعد الهمزة ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت

بالطائف فأمرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة في الشتاء الى اليمن لانها ادفأ ورحلة في الصيف الى الشأم وكان الحرم واديا مجدبا لازرع فيه ولاضرع وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكانوا لايتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشأم فاخصبت تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن الى مكة واهل البر حملوا على الابل والحمير فألقى اهل الساحل بجدة واهل البر بالمحصب واخصب الشأم فحملوا الطعام الى مكة والقوا بالابطح فامتار اهل مكة من قريب وكفاهم الله مؤنة الرحلتين جميعا وقال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا يقسمون ربحهم بين الغني والفقير حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي كان اول من حمل السمراء يعني القمح من الشأم ورحل اليهما الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم * منعوك من ضر ومن اكفاف
الرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هلم للاضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقائمين بكل وعد صادق * والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهماله ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الاصياف

قوله عز وجل ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين احدهما دفع ضر وهو ماذكره في سورة الفيل والثاني جلب نفع وهو ماذكره في هذه السورة ولما دفع الله عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى لما كفاهم امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو

الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لانهم اهل حرم الله فلايتعرض لهم وغيرهم يغار عليهم (فليعبدوا رب هذا البيت

لايشق عليهم رحلة الشتاء والصيف (فليعبدوا) فليوحد قريش (رب هذا البيت) رب هذه الكعبة

الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) التنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى اطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف اصحاب الفيل او خوف التخطف

الذى اطعمهم من جوع ﴾ اى بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ خوف اصحاب الفيل او التخطف فى بلدهم ومسايرهم او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لايلاف قريش اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

﴿ سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أرأيت ﴾ استفهام معناه التعجب وقرئ اريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصديرها بحرف الاستفهام سهل امرها وارأيتك بزيادة الكاف ﴿ الذى يكذب بالدين ﴾ بالجزاء او الاسلام والذى يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثانى قوله ﴿ فذلك الذى يدع اليتيم ﴾ يدفعه دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاءه عريانا يسأله من مال

﴿ الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ ومعنى الذى أطعمهم من جوع اى من بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد فى البر والبحر وقيل فى معنى الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجوع والجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت البلاد واخصبت اهل مكة بعد القحط والجهد فذلك قوله تعالى الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف اى بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم يتعرض لهم احد فى رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام والله اعلم

﴿ تفسير سورة الماعون وهى مكية وقيل نزل نصفها بمكة فى العاص بن وائل والنصف الثانى بالمدينة فى عبد الله بن ابى ابن سلول المنافق وهى سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمسة وعشرون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين ﴾ قيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى وقيل فى الوليد بن المغيرة وقيل فى عمرو بن عائذ المخزومى وفى رواية عن ابن عباس انها فى رجل من المنافقين ومعنى الآية هل عرفت الذى يكذب بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه ﴿ فذلك الذى يدع اليتيم ﴾ ولفظ ارأيت استفهام والمراد به المبالغة

من بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد اصابتهم شدة حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم عليه السلام

﴿ سورة الماعون مختلف فيها وهى سبع آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أرأيت الذى يكذب بالدين) اى هل رأيت الذى يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذى) يكذب بالجزاء هو الذى (يدع اليتيم) اى يدفعه

(الذى اطعمهم من جوع) اشبعهم من جوع سبع سنين ويقال دفع عنهم مؤنة الجوع ومؤنة الرحلتين الشتاء والصيف وكانوا يرتحلون فى كل سنة رحلتين رحلة الى اليمن بالشتاء ورحلة الى الشام بالصيف فدفع عنهم مؤنة ذلك (وآمنهم من خوف) من خوف العدو بان يدخل عليهم ويقال من خوف النجاشى واصحابه الذين ارادوا اخراب البيت وهذه معطوفة على السورة الاولى

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها ... قا وخا ٧٣ س) الماعون وهى كلها مكية آياتها سبع وكلماتها خمس وعشرون وحروفها مائة واحد عشر حرفا ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (ارأيت الذى يكذب بالدين) ويقال يكذب بحساب يوم القيامة وهو عاص بن وائل السهمى (فذلك الذى يدع اليتيم) يقول يدفع اليتيم عن حقه

نفسه فدفعه او ابوسفيان نحرجزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة اومنافق بخيل وقرئ يدع اى يترك ﴿ولايحض﴾ اهله وغيرهم ﴿على طعام المسكين﴾ لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون﴾ غافلون غيرمبالين بها ﴿الذين هم يراؤن﴾ يرون الناس اعمالهم

دفعا عنيفا بجفوة واذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة (ولايحض على طعام المسكين) ولايبعث اهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف اى لو آمن بالجزاء وايقن بالوعيد لخشى الله وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه دل انه مكذب بالجزاء ثم وصل به قوله (فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن

فى التعجب من حال هذا المكذب بالدين وهو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارأيت يا ايها الانسان او يا ايها العاقل هذا الذى يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذى يدع اليتيم اى يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به وقرئ يدعو بالتخفيف اى يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة ﴿ولايحض على طعام المسكين﴾ اى لايطعمه ولايأمر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره فلايأمر غيره بالاطعام * قوله تعالى ﴿فويل للمصلين﴾ يعنى المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى ﴿الذين هم عن صلوتهم ساهون﴾ روى البغوى بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت وقال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا عن الناس ويصلون فى العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراؤن وقال تعالى فى وصف المنافقين واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس وقيل ساه عنها لايبالى صلى اولم يصل وقيل لايرجون لها ثوابا ان صلوا ولايخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون عنها ويتهاونون بها وقيل هم الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عليها وقيل هم الذين لايصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها فى المنافقين والمؤمن قد يسهو فى صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لايتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن اذا سها فى صلاته تداركه فى الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله فى جميع اجزاء الصلاة وهذا لايصدر الا من المنافق الذى يعتقد انه لافائدة فى الصلاة فأما المؤمن الذى يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو فى الصلاة يعنى انه يصير ساهيا فى بعض اجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان اوحديث النفس وذلك لايكاد يخلو منه احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان السهو عن الصلاة من افعال المنافق والسهو فى الصلاة من افعال المؤمن ﴿الذين هم يراؤن﴾ يعنى يتركون الصلاة فى السر ويصلونها فى العلانية والفرق بين المنافق والمرائى ان المنافق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائى يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه من يراه انه من اهل الدين

ويقال يمنع حقه (ولايحض) لايحث ولا يحافظ (على طعام المسكين) على صدقة المساكين (فويل) شدة عذاب فى النار (للمصلين) للمنافقين ثم بينهم فقال (الذين هم عن صلوتهم ساهون) لاهون تاركون لها (الذين هم يراؤن) بصلاتهم اذا رأوا الناس صلوا واذا لم يروا لم يصلوا

{والصلاح}

ليروهم الثناء عليها ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ الزكاة اوما يتعاور فى العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عـدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين والموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليه الويل اوللسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ارأيت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

﴿ سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث ﴾

والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتدى به ويأمن على نفسه من الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ روى عن على انه قال هى الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة منع الزكاة وقال ابن مسعود الماعون الفأس والدلو والقدر واشباه ذلك وهى رواية عن ابن عبـاس ويدل عليه ماروى عنه قال كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر اخرجه ابو داود وقال مجاهد الماعون العـارية وقال عكرمة الماعون اعـلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية المتاع وقال محمد بن كعب القرظى الماعون المعروف كله الذى يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل اصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون مالايحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور فى البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الاشياء القليلة الحقيرة فان البخل بها فى نهاية البخل قال العلماء ويستحب ان يستكثر الرجل فى بيته مما يحتاج اليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله اعلم

﴿ تفسير سورة الكوثر وهى مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل ﴾
﴿ انها مدنية قاله الحسن وعكرمة وقتادة وهى ثلاث آيات وعشر ﴾
﴿ كلمات واثنان واربعون حرفا ﴾

ويظهرون للنـاس انهم يؤدون الفرائض ويمنعون الزكاة ومافيه منفعة وعن انس والحسن قالا الحمد لله الذى قال عن صـلاتهم ولم يقل فى صلاتهم لان معنى عن انهم سـاهون عنها سهو تركها وقـلة التفات اليها وذلك فعل المنـافقين ومعنى فى ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لايخلو عنه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره والمراآة مفاعلة من الاراءة لان المرائى يرائى النـاس عمـله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولايكون الرجل مرائيـا باظهار الفرائض فمن حقهـا الاعلان بها لقوله صلى الله عليه وسـلم ولاغمة فى فرائض الله والاخفاء فى التطوع اولى فان اظهره قاصـدا للاقتداء به كان جميلا والمـاعون الزكاة وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما يتعاور فى العادة بين الناس من القدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة رضى الله عنها الماء والنار والملح والله اعلم ﴿ سـورة الكوثر مكية وهى ثلاث آيات ﴾

(ويمنعون الماعون) المعروف ويقال الزكاة ويقال العوارى بين الناس مثل القدر والاوانى مما ينتفع به الناس وغير ذلك
﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الكوثر وهى كلها مكية آياتها ثلاث وكلماتها عشر وحروفها اثنان واربعون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ انا اعطيناك ﴾ وقرئ انطيناك ﴿ الكوثر ﴾ الخير المفرط الكثرة من العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ انا أعطيناك الكوثر ﴾ الكوثر نهر فى الجنة اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة اتباعه وامته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن ابى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه قال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير ان ناسا يزعمون انه نهر فى الجنة فقال سعيد النهر الذى فى الجنة من الخير الكثير الذى اعطاه الله اياه واصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمى كل شئ كثير فى العدد وكثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التى فضل بها على جميع الخلق فجميع ماجاء فى تفسير الكوثر فقد اعطيه النبى صلى الله عليه وسلم اعطى النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الاتباع والاسلام واظهاره على الاديان كلها والنصر على الاعداء وكثرة الفتوح فى زمنه وبعده الى يوم القيامة واولى الاقاويل فى الكوثر الذى عليه جمهور العلماء انه نهر فى الجنة كما جاء مبينا فى الحديث (ق) عن انس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما اضحكك يارسول الله قال انزلت على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل خير كثير هو حوض ترد عليه امتى يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتى فيقول ماتدرى ما احدث بعدك لفظ مسلم وللبخارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بى الى السماء اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ماهذا ياجبريل قال هذا الكوثر الذى اعطاك ربك فاذا طينه وطينته مسك اذفر شك الراوى * عن انس رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذلك نهر اعطانيه الله يعنى فى الجنة اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل فيه طير اعناقها كاعناق الجزور قال عمر ان هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلتها انعم منها اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح * عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل وابيض من الثلج اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود رضى الله عنهما قال سألت عائشة عن قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فقالت نهر اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(انا أعطيناك الكوثر) هو فوعل من الكوثر وهو المفرط الكثرة وقيل هو نهر فى الجنة احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الخير الكثير فقيل له ان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير

(بسم الله الرحمن الرحيم)
وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (انا اعطيناك الكوثر) يقول اعطيناك يامحمد الخير الكثير والقرآن منه ويقال الكوثر نهر فى الجنة اعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم

والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه السلام انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه السماء (ق) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضى مسيرة شهر ماؤه ابيض من اللبن وريحه اطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها لايظمأ ابدا زاد فى رواية وزواياه سواء (ق) عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امامكم حوضى مابين جنبيه كمابين جرباء واذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشأم بينهما مسيرة ثلاثة ايام وفى رواية فيه اباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مابين ناحيتى وفى رواية لابتى حوضى كمابين صنعاء والمدينة وفى رواية مثل مابين المدينة وعمان وفى رواية قال ان قدر حوضى كمابين ايلة وصنعاء من اليمن وان فيه من الاباريق كعدد نجوم السماء (م) عن ابى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما آنية الحوض قال والذى نفسى بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها الا فى الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ماعليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله مابين عمان الى ايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل (م) عن ثوبان رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لبعقر حوضى اذود الناس لاهل اليمن اضرب بعصاى حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامى الى عمان وسئل عن شرابه فقال اشد بياضا من اللبن و احلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة احدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا فرطكم على الحوض وايرفعن الى رجال منكم حتى اذا اهويت اليهم لاناولهم اختلجوا دونى فاقول اى ربى اصحابى فيقال انك لاتدرى مااحدثوا بعدك (ق) عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رفعوا الى اختلجوا دونى فلاقولن اى ربى اصحابى اصحابى فليقالن لى انك لاتدرى مااحدثوا بعدك وفى رواية ليردن على ناس من امتى الحديث وفى آخره فأقول سحقا لمن بدل بعدى (ق) عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهطان من اصحابى او قال من امتى فيحلون عن الحوض فاقول رب اصحابى فيقول انه لا علم لك بما احدثوا بعدك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى ولمسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على امتى الحوض وانا اذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابله قالوا يانبى الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون الى فاقول يارب هؤلاء من اصحابى فيجيبنى ملك فيقول وهل تدرى مااحدثوا بعدك (ق) عن ابى هريرة

خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد حافتاه

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاذودن رجالا عن حوضى كما تذاد الغريبة من الابل عن الحوض (م) عن حذيفة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضى لابعد من ايلة الى عدن والذى نفسى بيده لاذودن عنه الرجل كما يذود الرجل الابل الغريبة عن ابله قالوا يارسول الله وتعرفنا قال نعم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لاحد غيركم * عن زيد ابن ارقم رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما انتم الا جزء من مائة الف جزء ممن يرد على الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة او ثمانمائة اخرجه ابو داود

فصل فى شرح هذه الاحاديث وذكر مايتعلق بالحوض

قال الشيخ محيى الدين النووى قال القاضى عياض احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض والتصديق به من الايمان وهو على ظاهره عند اهل السنة والجماعة لايتأول ولايختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه الخلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وابى سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبدالله وعبدالله بن عمرو وعائشة وام سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وابى ذر وثوبان وانس وجابر بن سمرة ورواه غير مسلم من رواية ابى بكر الصديق وزيد بن ارقم وابى امامة وعبد الله بن زيد وابى برزة وسويد بن حبلة وعبد الله بن الصنابحى والبراء ابن عازب واسماء بنت ابى بكر الصديق وخولة بنت قيس وغيرهم قال الشيخ محيى الدين ورواه البخارى ومسلم ايضا من رواية ابى هريرة ورواه غيرهما من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقى فى كتابه البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرة قلت وقد اتفقا على اخراج حديث الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ماسبق ذكره فى الاحاديث وفيه بيان ما اتفقا عليه وانفرد به كل واحد منهما واخرجا ايضا حديث الحوض عن اسماء بنت ابى بكر الصديق وذكرها القاضى عياض فيمن خرج له فى غير الصحيحين قال القاضى عياض وفى بعض هذا ما يقتضى كون الحديث متواترا واما صفة الحوض ومقداره فقد قال فى رواية حوضى مسيرة شهر وفى رواية مابين جنبيه كما بين جرباء واذرح وفى رواية كما بين ايلة وصنعاء اليمن وفى رواية عرضه مثل طوله مابين عمان الى ايلة وفى رواية ان حوضى لابعد من ايلة الى عدن فهذا الاختلاف فى هذه الروايات فى قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يأت فى حديث واحد بل فى احاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها من النبى صلى الله عليه وسلم فى مواطن مختلفة ضربها النبى صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب ذلك على افهام السامعين لبعد مابين هذه البلاد

(المذكورة)

الزبرجد واوانيه من فضة لايظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده
المذكورة لاعلى التقدير الموضوع للتحديد بل لاعلام السامعين عظم بعد المسافة وسعة
الحوض وليس فى ذكر القليل من هذه المسافة منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره
وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلامعارضة ولامنافاة بينهما وكذلك القول فى آنية
الحوض من ان العدد المذكور فى الاحاديث على ظاهره وانها اكثر عددا من نجوم السماء
ولامانع يمنع من ذلك اذ قد وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول
فى الواردين الى الحوض الشاربين منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما انتم الا
جزء من مائة الف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به الحصر بهذا العدد المذكور وانما
ضرب به مثلا لاكثر العدد المعروف للسامعين ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم
من ورد شرب منه فهذا صريح فى ان جميع الواردين يشربون وانما يمنع منه الذين
يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيختلج
العبد منهم فاقول رب انه من امتى فيقول ماتدرى ما احدث بعدك وفى رواية وايرفعن
الى رجال منكم حتى اذا اهويت لاناولهم اختلجوا دونى فاقول اى رب اصحابى فيقول
انك لاتدرى ما احدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة فى الاحاديث السابقة
وهذا مما اختلف العلماء فى معناه وفى المراد به من هم فقيل المراد بهم المنافقون والمرتدون
فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبى صلى الله عليه
وسلم للسيما التى عليهم فيناديهم فيقال له ليس هؤلاء ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا
بعدك اى لم يكونوا على ماظهر من اسلامهم وقيل المراد بهم من اسلموا فى زمن النبى
صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده فى زمن ابى بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة
وهم اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبى صلى الله عليه وسلم لما كان يعرفه من ايمانهم
فى حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم اصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم
عن الاسلام واصحاب المعاصى الكبائر الذى ماتوا على التوحيد ولم يتوبوا من بدعتهم
ومعاصيهم الكبائر فعلى هذا القول لايقطع لهؤلاء المطرودين عن الحوض بالنار بل يجوز
ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير عذاب وقال ابو عمر بن
عبد البر كل من احدث فى الدين كالخوارج والروافض وسائر اصحاب الاهواء فهو من
المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون فى الجور وغمط الحق والمعلنون
بالكبائر فكل هؤلاء يخاف ان يكونوا ممن عنى بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم
يظمأ ابدا قال القاضى عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب
والنجاة من النار ويحتمل ان من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار
لايعذب فيها بالظما بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب
منه الا من ارتد وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين يأخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله
من شاء من عصاتهم وقيل انما يأخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله

واتباعه اوعلماء امته اوالقرآن ﴿ فصل لربك ﴾ فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهى عنها المرائى فيها شكرا لانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر ﴿ وانحر ﴾

شرح غريب الفاظ الاحاديث

قوله فيختلج العبد منهم اى ينتزع ويجذب منهم * قوله مابين جنبيه كمابين جرباء واذرح اما جرباء فبجيم ثم راء ساكنة ثم باء موحدة ثم الف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخارى فيها المد والقصر اولى وهى قرية من الشام واما اذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم راء ثم حاء مهملة وهى مدينة فى طرف الشام قريب من الشوبك واما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بليدة بالبلقاء من ارض الشام واما ايلة فبفتح الهمزة واسكان الياء المثناة تحت وفتح اللام مدينة معروفة فى طرف الشام على ساحل البحر متوسطة بين دمشق ومصر بينها وبين المدينة نحو خمس عشرة مرحلة وبينها وبين مصر ثمان مراحل والى دمشق اثنتا عشرة مرحلة وهى آخر الحجز واول الشام واما صنعاء فهى قاعدة اليمن واكبر مدنه وانما قيد باليمن فى الحديث لان بدمشق موضعا يعرف بصنعاء دمشق وقد تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافاة والجمع بين رواياتها * قوله يشخب فيه ميزابان هو بفتح الياء المثناة تحت وبالشين والخاء المعجمتين اى يسيل فيه وفى الحديث الآخر يغت بفتح الياء وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التاء المثناة فوق اى يدفق فيه ميزابان دفقا شديدا متتابعا * قوله انى لبعقر حوضى هو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل من الحوض اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض * قوله اذود الناس اى اضرب الناس لاهل اليمن بعصاى حتى يرفض عليهم معناه اطرد الناس عنه غير اهل اليمن ومعنى يرفض اى يسيل عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن * قوله انا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفاء والراء هو الذى يتقدم على الواردين ليصلح لهم الحياض والدلاء ونحوها من آلات الاستقاء والمعنى انا سابقكم الى الحوض كالمهيئ له * قوله سحقا اى بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة اذلا يقال للمؤمن سحقا بل يشفع قلت فى حديث انس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاءة يعنى نام نومة ثم رفع رأسه متبسما والله اعلم * قوله تعالى ﴿ فصل لربك وانحر ﴾ معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير الله تعالى وينحرون لغير الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلى له وينحر له متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر اى ضع يدك اليمنى على اليسرى فى الصلاة عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزى ومعنى الآية قد اعطيتك مالا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصتك بما لم اخص به احدا غيرك فاعبد ربك الذى اعطاك هذا العطاء الجزيل والخير الكثيرة واعزك وشرفك على كافة الخلق ورفع منزلتك

(فصل لربك) فاعبد ربك الذى اعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله (وانحر) لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لعبدة الاوثان فى النحر لها

(فصل لربك) شكرا لذلك (وانحر) استقبل بنحرك الى القبلة ويقال ضع يمينك على شمالك فى الصلاة ويقال استوف الركوع والسجود حتى يبدو نحرك ويقال فصل لربك صلاة يوم النحر وانحر البدن

البدن التي هي خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية ﴿ ان شانئك ﴾ ان من ابغضك لبغضه لك ﴿ هو الابتر ﴾ الذى لاعقب له اذ لايبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة مالا يدخل تحت الوصف * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر

﴿ سورة الكافرون مكية وآيها ست ﴾

فوقهم فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه ﴿ ان شانئك ﴾ يعنى عدوك ومبغضك ﴿ هو الابتر ﴾ يعنى هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت فى العاص بن وائل السهمى وذلك انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد وهو داخل فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس فى المسجد فلما دخل العاص قالوا له من الذى كنت تتحدث معه فقال ذاك الابتر يعنى به النبى صلى الله عليه وسلم وكان قد توفى ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وائل كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لاعقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت فى كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب ابن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر من قومه فقال انتم خير منه فنزلت فيه ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الآية ونزلت فى الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر اى المنقطع من كل خير قولهم فى النبى صلى الله هذا الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المنفردة يدق اسفلها وتسمى الصنبور وقيل هى النخلة التى تخرج فى اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنابر سعفات تنبت من جذع النخلة تضربها ودواؤها ان تقطع تلك الصنابر منها فاراد كفار مكة ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنبور ينبت فى جذع نخلة فاذا انقطع استراحت النخلة فكذا محمد اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذى لاولد له ولاعشيرة ولاناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى فى ذلك ورد عليهم اشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت الاعز الاشرف الاعظم والله اعلم بمراده

﴿ تفسير سورة قل يا أيها الكافرون وهى مكية وست آيات وست ﴾

(ان شانئك) اى من ابغضك من قومك بمخالفتك لهم (هو الابتر) المنقطع عن كل خير لا انت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك وذكرك مرفوع على المنابر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك فى الآخرة مايدخل تحت الوصف فمثلك لايقال له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة قيل نزلت فى العاص بن وائل سماه الابتر والابتر الذى لاعقب له وهو خبر ان وهو فصل

﴿ سورة الكافرين ست

(ان شانئك) يقول مبغضك (هو الابتر) ابتر عن اهله وولده وماله وعن كل خير لا يذكر بعد موته بخير وهو العاص بن وائل السهمى وانت تذكر بكل خير كلما اذكر وذلك انهم قالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم هو الابتر بعدما مات ابنه عبد الله

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الكافرون وهى كلها مكية آياتها ست وكلماتها

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قل يا ايها الكافرون ﴾ يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لايؤمنون

﴿ وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا ﴾

عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ اذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون عدلت له بربع القرآن ومن قرأ قل هو الله احد عدلت له بثلث القرآن اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل بربع القرآن ان القرآن مشتمل على الامر والنهى وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة على النهى عن عبادة غير الله تعالى وهى من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القرآن على هذا التقسيم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* قوله عز وجل ﴿ قل يا ايها الكافرون ﴾ الى آخر السورة نزلت فى رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمى والعاص بن وائل السهمى والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب بن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك فى دينا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذى جئت به خيرا كنا قد شركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذى بايدينا خيرا كنت قد شركتنا فى امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك قال حتى انظر ما يأتى من ربى فانزل الله قل يا ايها الكافرون الى آخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه اولئك الملا من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك وآذوه واصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا ابا الفضل لو ان ابن اخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنا بالهه فاتاه العباس فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت فى ابى جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بتبليغ الرسالة بجميع ما اوحى الله اليه فلما قال الله تعالى قل يا ايها الكافرون اداه النبى صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكأنه صلى الله عليه وسلم قال امرت بتبليغ جميع ما انزل الله على وكان فيما نزل عليه قل يا ايها الكافرون وقيل ان النفوس تأبى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظير ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر فكأنه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندى انما هو من عند الله عز وجل

(وقد)

آيات مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قل يا ايها الكافرون) المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله انهم لايؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقرأها عليهم فايسوا

ست وعشرون وحروفها اربعة وسبعون حرف ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (قل يا ايها الكافرون) وذلك ان المستهزئين هم العاص بن وائل السهمى والوليد ابن المغيرة واصحابهما قالوا استلم لآلهتنا يا محمد حتى نعبد الهك الذى تعبده فقال الله قل يا محمد لهؤلاء المستهزئين يا ايها الكافرون المستهزؤن بالله وبالقرآن

(لاعبد ماتعبدون) اى لست فى حالى هذه عابدا ماتعبدون (ولاانتم عابدون) الساعة (ما اعبد) يعنى الله (ولاانا عابد ماعبدتم) ولا اعبد فيالمستقبل من الزمان ماعبدتم (ولاانتم) فيما تستقبلون (عابدون ما اعبد) وذكر بلفظ ماالان المراد به الصفة اى لااعبد الباطل ولاتعبدون الحق اوذكر بلفظ ماليتقابل اللفظان ولم يصح فى الاول من وصح فى الثانى مابمعنى الذى (لكم دينكم ولى دين) لكم شرككم ولى توحيدى وبفتح الياء نافع وحفص وروى ان ابن مسعود رضى الله عنه دخل المسجد والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فقال له نابذيا ابن مسعود فقرأ قل ياايها الكافرون ثم قال له فى الركعة الثانية اخلص فقرأ قل هو الله احد فلما سلم قال يا ابن مسعود سل تجب والله اعلم

(لااعبد ما تعبدون) من دون الله من الاوثان (ولا انتم عابدون) تعبدون (مااعبد) وهذان فى المستقبل (ولا اناعابد ماعبدتم) من دون الله (ولاانتم عابدون ما اعبد) وهذان فى الماضى ويقال لا اعبد لا اوحد ما تعبدون ما توحدون من دون الله ولاانتم عابدون موحدون مااعبد مااوحد ولا اناعابد موحد ماعبدتم ماوحدتم من دون الله ولاانتم عابدون موحدون مااعبد مااوحد (لكم دينكم) عليكم دينكم الكفر والشرك بالله (ولى دين) الاسلام والايمان بالله ثم نسختها آية القتال وقاتلهم بعد ذلك

روى ان رهطا من قريش قالوا يامحمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت ﴿ لا اعبد ما تعبدون ﴾ اى فيما يستقبل فان لا لاتدخل الاعلى مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الاعلى مضارع بمعنى الحال ﴿ ولا انتم عابدون ما اعبد ﴾ اى فيما يستقبل لانه فى وزان لا اعبد ﴿ ولا انا عابد ماعبدتم ﴾ اى فى الحال اوفيما سلف ﴿ ولا انتم عابدون ما اعبد ﴾ اى وماعبدتم فى وقت ما انا عابده ويجوز ان يكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ماعبدت ليطابق ماعبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وانما قال مادون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذى والاخريان مصدريتان ﴿ لكم دينكم ﴾ الذى انتم عليه لاتتركونه ﴿ ولى دين ﴾ دينى الذى انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن فى الكفر ولامنع عن الجهاد ليكون منسوخا بآية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل

وقد انزل الله على قل ياايها الكافرون والمخاطبون بقوله ياايها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق فى علم الله انهم لايؤمنون ﴿ لا اعبد ما تعبدون ﴾ فى معنى الآية قولان احدهما انه لاتكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون لا افعل فى المستقبل ماتطلبونه منى من عبادة آلهتكم ﴿ ولا انتم عابدون ما اعبد ﴾ اى ولا انتم فاعلون فى المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهى ثم قال ﴿ ولا انا عابد ماعبدتم ﴾ اى ولست فى الحال بعابد معبودكم ﴿ ولا انتم عابدون ما اعبد ﴾ اى ولا انتم فى الحال بعابدين معبودى وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثانى للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما ان يكون للحال والاستقبال ولكن يختص احدهما بالحال والثانى بالاستقبال لانه اخبر اولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون فى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد فى الاستقبال وما بمعنى من اى من اعبد ويحتمل ان تكون بمعنى الذى اى الذى اعبد القول الثانى حصول التكرار فى الآية وعلى هذا القول يقال ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التوكيد اشد كان التكرار احسن ولاموضع احوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار راجعوا النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار فى هذا الموضع لان القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرر الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل فى دينك عاما فادخل فى ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم ﴿ لكم دينكم ولى دين ﴾ اى

من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة * عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

﴿ سورة النصر مدنية وآيها ثلاث ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اذا جاء نصر الله ﴾ اظهاره اياك على اعدائك ﴿ والفتح ﴾ فتح مكة وقيل المراد

لكم كفركم ولي اخلاصي وتوحيدي والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ماشئتم وهذه الآية منسوخة بآية القتال والله اعلم

﴿ تفسير سورة النصر وهي مدنية وثلاث آيات وسبع عشرة كلمة ﴾
﴿ وسبعة وسبعون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ اذا جاء نصر الله والفتح ﴾ يعني فتح مكة وكانت قصة الفتح على ماذكره محمد بن اسحق واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشرين سنة وقيل عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وانه من احب ان يدخل في عقد محمد صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بني بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم اسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الدئلي في بني الدئل من بني بكر حين بقيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاوروا واقتتلوا وردفت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم بكر بن صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يانوفل انا قد دخلنا الى الهك فقال كلمة عظيمة انه لا اله له اليوم يابني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم افلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما اهاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالس بين ظهراني الناس فقال

﴿ سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذاك قبل كونه من اعلام النبوة وروى انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع (جاء نصر الله والفتح) النصر الاعانة والاظهار على العدو والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب او على قريش وفتح مكة او جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها النصر وهي كلها مكية آياتها ثلاث وكلماتها ثلاث وعشرون وحروفها سبعة وسبعون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس في قوله تعالى (اذا جاء نصر الله) يقول اذا جاء نصر الله على اعدائه قريش وغيرهم (والفتح) فتح مكة

جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء

يارب انى ناشـد محمدا * حلف ابينا وابيه الا تلدا
قد كنتمو ولدا وكنا والدا * ثمت اسلمنـا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسـول الله قد تجردا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا * ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكـدا * وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا ان لست ادعو احدا * وهم اذل واقل عـددا
هم بيتونا بالوتير هجـدا * وقتلونا ركعا وسجـدا
فانصر هداك الله نصرا ابدا

فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول صلى الله عليـه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتشهد بنصر بنى كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كانكم بابى سفيان قد جاء يشدد فى العقد ويزيد فى المدة ومضى بديل بن ورقاء واصحابه حتى لقوا ابا سفيان بعسفان قد بعثه قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد فى العقد ويزيد فى المدة وقد رهبوا من الذى صنعوا فلما لقى ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يا بديل وظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت فى خزاعة فى هذا الساحل وفى بطن هذا الوادى قال وهل اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف منها النوى فعمد الى مبرك ناقته فاخـذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخل على ابنته ام حبيبة بنت ابى سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال اى بنيـة ارغبت بى عن هذا الفراش ام رغبت به عنى فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت رجل مشرك نجس لم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يا بنية بعدى شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيأ ثم ذهب الى ابى بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال انا اشفع لك الى النبى صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به ثم خرج فدخل على على بن ابى طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن

تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيأ

ابن على غلاما يدب بين يديها فقال ياعلى انك امس القوم بى رحما واقربهم منى قرابة وقد جئت فى حاجة فلا ارجعن كما جئت خائبا فاشفع لى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا اباسفيان لقد ارى عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر مانستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يابنت محمد هل لك ان تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر فقالت والله مابلغ بنى ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا اباالحسن انى ارى الامور قد اشتدت على فانصحنى قال والله لا اعلم شيأ يغنى عنك ولكنك سيد بنى كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال وترى ذلك مغنيا عنى شيأ قال لاوالله ما ظن ذلك ولكن لا اجد لك غيرذلك فقام ابوسفيان فى المسجد فقال ايها الناس انى قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ماوراءك قال جئت محمدا فكلمته فوالله مارد على شيأ ثم جئت ابن ابى قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته اعدى القوم ثم اتيت على بن ابى طالب فوجدته الين القوم وقد اشار على بشئ صنعته فوالله ما ادرى هل يغنى ذلك شيأ املاقالوا وماذاك قال امرنى ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجازذلك محمد قال لاقالوا ويلك والله مازاد على ان لعب بك فما يغنى عنك ماقلت قال لا والله ما وجدت غيرذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر على ابنته عائشة وهى تصلح بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اى بنية امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه قالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ما ادرى ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابى بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذى اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته فى تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة ابارهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدا الى مكة لعشر بقين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام النبى صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج افطر ثم مضى حتى نزل بمر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ولم يتخلف من الانصار والمهاجرين عنه احد فلما نزل بمر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش ولايأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايدرون ماهوفاعل خرج فى تلك الليالى ابوسفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا

(بعياله)

فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره

بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ليلتئذ واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه انه الهلاك لقريش الى آخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلى اجد حطابا اوصاحب لبن اوذا حاجة يدخل مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة قال العباس فوالله انى لاسير عليها والتمس ماخرجت له اذ سمعت كلام ابى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان وابوسفيان يقول مارأيت كالليلة نيرانا قط فقال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال ابوسفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها فعرفت صوته فقلت يا اباحنظلة فعرف صوتى فقال يا ابا الفضل فقلت نعم قال مالك فداك ابى وامى قلت ويحك يا اباسفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء بما لاقبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأمنه لك فردفنى ورجع صاحباه فخرجت اركض به على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظرون الى ويقولون عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا فقام الى فلما رأى اباسفيان على عجز البغلة قال ابوسفيان عدو الله الحمد لله الذى امكن منك بغير عقد ولاعهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته كما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطئ قال فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال يارسول الله هذا عدو الله ابوسفيان قد امكن الله منه بغير عقد ولاعهد فدعنى اضرب عنقه قال فقلت يارسول الله انى قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت برأسه وقلت والله لايناجيك الليلة احد دونى فلما اكثر عمر فى شأنه قلت مهلا ياعمر فوالله ما تصنع هذا الا انه رجل من بنى عبد مناف ولوكان من بنى عدى بن كعب ماقلت هذا فقال مهلا ياعباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الى من اسلام الخطاب لواسلم وماذاك الا لانى اعلم ان اسلامك كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به ياعباس الى رحلك فاذا اصبحت فأتنى به قال فذهبت به الى رحلى فبات عندى فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال ويحك يا اباسفيان الم يأن لك ان تعلم ان لااله الا الله وانى رسول الله قال بابى انت وامى ما احلمك واكرمك واوصلك والله لقد ظننت ان لوكان مع الله

اله غيره لقد اغنى عنى شيأ بعد قال ويحك يا ابا سفيان الم يأن لك ان تعلم انى رسول الله قال بابى انت وامى ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه فان فى النفس منها حتى الآن شيأ فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فتشهد شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان هذا رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل حتى تمر به جنود الله قال فخرجت به حيث امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت به قبيلة قال من هؤلاء ياعباس فاقول سليم فيقول مالى ولسليم ثم القبيلة فيقول من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالى ولمزينة حتى نفدت القبائل لاتمر قبيلة الا سألنى عنها فاذا اخبرته عنها فيقول مالى ولبنى فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرون والانصار لايرى منهم الا الحدق من الحديد فقال سبحان الله من هؤلاء ياعباس قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والانصار قال ما لاحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة والله ياابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما قلت ويحك انها النبوة قال فنعم اذا فقلت الحق الآن بقومك فحذرهم فخرج سريعا حتى اتى مكة فصرخ فى المسجد باعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قدجاءكم بمالا قبل لكم به قالوا فمه قال قال من دخل دار ابى سفيان فهو آمن قالوا ويحك وماتغنى عنا دارك قال من دخل المسجد فهو آمن ومن اغلق عليه بابه فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد قال وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة بعث فى اثرهما الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره ان يركز رايته باعلى مكة بالحجون وقال لا تبرح حيث امرتك ان تركز رايتى حتى آتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى ذى طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة عليه برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله عز وجل حين رأى ما اكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلى مكة وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبنى ان يدخلوا من اسفل مكة وبها بنو بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحرث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش ان يكونوا بأسفل مكة وان صفوان بن

(امية)

امية وعكرمة بن ابى جهل وسهيل بن عمرو اكانوا قدجمعوا ناسا بالخندمة ليقاتلوا وقال النبى صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لاتقاتلا الا من قاتلكما وامر سعد بن عبادة ان يدخل فى بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة اليوم يوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسمع ماقال سعد بن عبادة وما نأمن ان يكون له فى قريش صولة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى طالب ادركه بهذه الراية فكن انت الذى تدخل بها فلم يكن بأعلى مكة من قبل الزبير قتال واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبنى بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم الله ولم يكن بمكة قتال غيرذلك وقتل من المشركين اثنا عشر رجلا اوثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من المسلمين الارجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر وخنيس بن خالد بن الوليد شذا وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الى امرائه من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة ان لايقاتلوا الا من قاتلهم الا نفرا منهم سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة منهم عبدالله بن سعد بن ابى سرح وانما امر بقتله لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمأن اهل مكة فاستأمنه له وعبدالله بن خطل رجل من بنى تيم بن غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيأ فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان له قينتان تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتلهما معه والحويرث ابن نقيد بن وهب وكان ممن يؤذيه بمكة ومقيس بن صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصارى الذى قتل اخاه خطأ ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة مولاة لبنى عبدالمطلب وكانت ممن يؤذيه بمكة وعكرمة بن ابى جهل فأما عكرمة فهرب الى اليمن واسلمت امرأته ام حكيم بنت الحرث بن هشام فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت فى طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبدالله بن خطل فقتله سعيد ابن حريث المخزومى وابو برزة الاسلمى اشتراكا فى دمه واما مقيس بن صبابة فقتله نميلة بن عبدالله رجل من قومه واما قينتا ابن خطل فقتلت احداها وهربت الاخرى حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها واما سارة فتغيبت حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت حتى اوطأها رجل من الناس فرسا له فى زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها واما الحويرث بن نقيد فقتله على بن ابى طالب قالت ام هانئ لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فرالى رجلان من احمائى من بنى مخزوم وكانت عند هبيرة بن ابى وهب المخزومى قالت فدخل على على بن ابى طالب اخى فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة

وان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمان ركعات الضحى ثم انصرف الى فقال مرحبا واهلا بأم هانئ ماجاء بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر على بن ابى طالب فقال قد اجرنا من اجرت وامنا من امنت فلا نقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمأن الناس حتى جاء البيت فطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن فى يده فلما قضى طوافه دعا عثمان ابن طلحة واخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس فى المسجد فقال لااله الا الله وحده لاشريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل مأثرة اودم اومال يدعى فهى تحت قدمى هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الاوقتل الخطا شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل اربعون منها خلفة فى بطونها اولادها يامعشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالآباء الناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية ثم قال يامعشر قريش ماترون انى فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد وقدكان الله امكنه منهم عنوة فبذلك سموا اهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام اليه على بن ابى طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يارسول الله اجمع لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان ابن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك ياعثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه يأخذ على الناس فيبايعونه على السمع والطاعة فيما استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان بن امية يريد جدة ليركب منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحى يارسول الله ان صفوان بن امية سيد قومى قدخرج هاربا منك ليقذف بنفسه فى البحر فامنه يارسول الله فقال هو آمن قال يارسول الله اعطنى شيأ يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل بها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال ياصفوان فداك ابى وامى اذكرك الله فى نفسك ان تهلكها فهذا امان يارسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك به فقال ويلك اعزب عنى لاتكلمنى قال فداك ابى وامى افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس ابن عمتك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى اخافه على نفسى قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم انك امنتنى قال صدق قال فاجعلنى فى ذلك بالخيار شهرين قال انت بالخيار اربعة اشهر قال ابن هشام وبلغنى ان النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

(اذا)

﴿ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا ﴾ جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رأيت بمعنى ابصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت

اذا فتح الله عليه مكة ارضه وبلاده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشى يارسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبى صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم قال ابن اسحق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا (ق) عن ابى هريرة ان خزاعة قتلوا رجلا من بنى ليث عام الفتح بقتيل لهم فى الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين الا وانها لم تحل لاحد قبلى ولاتحل لاحد من بعدى الا وانما احلت لى ساعة من نهار الا وانها ساعتى هذه فلا ينفر صيدها ولايختلى خلاها ولايقطع شوكها ولاتحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفتدى واما ان يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام ابوشاه رجل من اهل اليمن فقال اكتبوا لى يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابى شاه قال الاوزاعى يعنى الخطبة التى سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم * واما التفسير فقوله تعالى اذا جاء نصر الله يعنى اذا جاءك يامحمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجئ النصر ان جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها اوتأخرها عنه فاذا جاء ذلك الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعنى فتح مكة فى قول جمهور المفسرين وقيل هو جنس نصر الله المؤمن وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب وهو كالسبب للفتح فلهذا ابدأ بذكر النصر وعطف عليه الفتح وقيل النصر هو اكمال الدين واظهاره والفتح هو الاقبال الذى هو تمام النعمة ﴿ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ﴾ يعنى زمرا وارسالا القبيلة باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمدا باهل الحرم وكان قد اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون فى دين الله افواجا بعد ان كانوا يدخلون واحدا واحدا واثنين اثنين وقيل اراد بالناس اهل اليمن (ق) عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية ودين الله هو الاسلام واضافه اليه تشريفا

(ورأيت الناس يدخلون) هو حال من الناس على ان رأيت بمعنى ابصرت او عرفت اومفعول ثان على انه بمعنى علمت (فى دين الله افواجا) هو حال من فاعل يدخلون وجواب اذا فسبح اى اذا جاء نصر الله اياك على من ناواك وفتح البلاد ورأيت اهل اليمن يدخلون فى ملة الاسلام جماعات كثيرة بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا او اثنين اثنين

(ورأيت الناس) اهل اليمن وغيرهم (يدخلون فى دين الله) الاسلام (افواجا) جماعات القبيلة باسرها فاعلم انك ميت

﴿ فسبح بحمد ربك ﴾ فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال احد حامدا له عليه اوفصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثماني ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده اوفأثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام ﴿ واستغفره ﴾ هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام انى استغفر الله فى اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله ﴿ انه كان توابا ﴾ لمن استغفر مذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعى لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

وتعظيما له كبيت الله وناقة الله * قوله ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ﴾ يعنى فانك حينئذ لاحق به (ق) عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعانى معهم قال وما رأيت انه كان دعانى يومئذ الا ليريهم قال ماتقولون فى قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيأ فقال لى اكذلك تقول ياابن عباس قال قلت لاقال فما هو قلت هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال عمر مااعلم منها الا ماتعلم (ق) عن عائشة قالت ماصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد ان انزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفرلى وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول فى ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفرلى يتأول القرآن وفى رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر القول من سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال اخبرنى ربى انى سأرى علامة فى امتى فاذا رأيتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده واستغفر الله واتوب اليه فقد رأيتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبى صلى الله عليه وسلم انه نعيت اليه نفسه وقال الحسن اعلم انه قد اقترب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة فى العمل الصالح قيل عاش النبى صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل فى معنى السورة اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح والتحميد والاستغفار فالاشتغال بهذه الطاعة يصير سببا لمزيد درجاتك فى الدنيا والآخرة وفى معنى التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لايليق بجلاله ثم احمده والثانى فصل لربك لان التسبيح جزء من اجزاء الصلاة ثم قيل عنى به صلاة الشكر

(فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامداله اوفصل له (واستغفره) تواضعا وهضما للنفس اودم على الاستغفار (انه كان) ولم يزل (توابا) التواب الكثير القبول للتوبة وفى صفة العباد الكثير الفعل للتوبة ويروى ان عمر رضى الله عنه لما سمعها بكى وقال الكمال دليل الزوال وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين والله اعلم

(فسبح بحمد ربك) فصل بامر ربك شكرا لذلك (واستغفره) من الذنوب (انه كان توابا) متجاوزا وحيا فنعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه السورة بالموت

(وهو)

لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه الصلاة والسلام مايبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهى كقوله اليوم اكملت لكم دينكم اولان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع * وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذاجاء اعطى من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة شرفها الله تعالى

﴿ سورة ابى لهب مكية وآيها خمس ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تبت ﴾ هلكت اوخسرت والتباب خسران يؤدى الى الهلاك ﴿ يدا ابى لهب ﴾ نفسه كقوله ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل انما خصتالانه عليه الصلاة والسلام لما نزل

وهو ماصلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هى صلاة الضحى وفى الآية دليل على فضيلة التسبيح والتحميد حيث جعل ذلك كافيا فى اداء ماوجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت مامعنى هذا الاستغفار وقد غفرله ماتقدم من ذنبه وماتأخر قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدى به غيره اذلايأمن كل واحد من نقص يقع فى عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبى صلى الله عليه وسلم مع عصمته وشدة اجتهاده ماكان يستغنى عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو من ترك الافضل والاولى لاعن ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على الانبياء يكون المعنى واستغفره لما عسى ان يكون قدوقع من تلك الامور منه وقيل المراد منه الاستغفار لذنوب امته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره بذلك فى قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة أبى لهب وهى مكية وخمس آيات وعشرون كلمة ﴾

﴿ وسبعة وسبعون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ (ق) عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبى صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى يابنى فهر يابنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ارسل رسولا لينظر ماهو فجاء ابولهب وقريش فقال ارأيتكم لواخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقى قالوا نعم ماجربنا عليك الاصدقا قال فانى لكم نذير بين يدى عذاب شديد فقال ابولهب تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابى لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفى رواية ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج الى البطحاء

﴿ سورة أبى لهب مكية وهى خمس آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبت يدا أبى لهب) التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اى هالكة من الهرم والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجر اليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها أبو لهب وهى كلها مكية آياتها خمس وكلماتها ثلاث وعشرون وحروفها سبعة وسبعون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (تبت يدا ابى لهب) وذلك انه لما قال الله لنبيه عليه السلام وانذر عشيرتك الاقربين فقال لهم بعدما دعاهم قولوا لااله الاالله فقال له عمه اخوابيه من امه واسمه عبدالعزى كنيته ابولهب تبالك يامحمد الهذادعوتنا فانزل الله فيه تبت يدا ابى لهب يقول خسرت يدا ابى لهب من كل خير

(وتب) وهلك كله اوجعلت يداه هالكتين والمراد اهلاك جملته كقوله بماقدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله * جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقدفعل * وقددلت عليه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد تب روى انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقى الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل اوب فقال عليه الصلاة والسلام يابني عبد المطلب يابني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بها دون الاسم اولكراهة اسمه فاسمه عبد العزى اولان مآله الى نار ذات لهب فوافقت حاله كنيته ابي لهب مكي (ما اغنى عنه ماله) ما للنفي (وما كسب) مرفوع وما موصولة اومصدرية اي ومكسوبه او وكسبه اي لم ينفعه ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروى انه كان يقول ان كان مايقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي

عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابولهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخراه وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته او لان اسمه عبدالعزى فاستكره ذكره ولانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله وليجانس قوله ذات لهب وقرأ ابن كثير ابي لهب بسكون الهاء وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابوطالب ﴿ وتب ﴾ اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقدفعل

ويدل عليه انه قرئ وقد تب اوالاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه ﴿ مااغنى عنه ماله ﴾ نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحلها النصب ﴿ وما كسب ﴾ وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع اوعمله الذي ظن انه ينفعه اوولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ميتا ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه

فصعد الجبل فنادى ياصباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليد صاحبها وجملة بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشئ عن كله وجميعه وقيل انه رمى النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فأدمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وابولهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي صلى الله عليه وسلم وكنى بأبي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف وتكرمة قلت فيه وجوه احدها انه كان مشهورا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى النار والنار ذات لهب وافقت حاله كنيته وكان جديرا بان يذكر بها ﴿ وتب ﴾ قيل الاول اخرج مخرج الدعاء عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وقيل تبت يدا ابي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني نفسه اي وقد اهلكت نفسه ﴿ مااغنى عنه ماله وما كسب ﴾ قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرباءه الى الله تعالى قال ابو لهب ان كان ماتقول ياابن اخي حقا فانا فتدي نفسي بمالي وولدي فانزل الله تعالى مااغنى عنه ماله اي اي شئ يغني عنه ماله اي مايدفع عنه عذاب الله وما كسب يعني من المال وكان صاحب مواش اي ماجمع من المال او ما كسب من المال اي ربح بعد رأس ماله وقيل وما كسب يعني ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جاء في الحديث ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم اخرجه الترمذي

(وتب) خسر نفسه عن التوحيد (مااغنى عنه) في الآخرة (ماله) كثرة ماله في الدنيا (وما كسب) يعني كثرة الاولاد (ثم)

(سيصلى نارا) سيدخل سيصلى البرجمى عن ابى بكر والـين للوعيد هوكائن لامحالة وان تراخى وقته (ذات لهب) توقد (وامرأته) هى ام جميل بنت حرب اخت ابى سفيان (حمالة الحطب) كانت تحمل حزمة من الشوك والحسك فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشى بالنميمة فتشعل نار العداوة بين الناس ونصب عاصم حمالة الحطب على الشتم وانا احب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل وعلى هذا يسوغ الوقف على امرأته لانها عطفت على الضمير فى سيصلى اى سيصلى هو وامرأته والتقدير اغنى حمالة الحطب وغيره رفع حمالة الحطب على انها خبر وامرأته اوهى حمالة (فى جيدها حبل من مسد) حال اوخبر آخر والمسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد اوغيرهما والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات لتجزع من ذلك ويجزع بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة والله اعلم

وقوعه ﴿ سيصلى نارا ذات لهب ﴾ اشتمال يريد نار جهنم وليس فيه مايدل على انه لايؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا ﴿ وامرأته ﴾ عطف على المستكن فى سيصلى اومبتدأ وهى ام جميل اخت ابى سفيان ﴿ حمالة الحطب ﴾ يعنى حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول عليه السلام وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة اوحزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم ﴿ فى جيدها حبل من مسد ﴾ اى مما مسد اى فتل ومنه رجل ممسود الخلق اى مجدوله وهو ترشيح للمجاز اوتصوير لها بصورة الحطابة التى تحمل الحزمة وتربطها فى جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها فى نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفى جيدها سلسلة من النار والظرف فى موضع الحال اوالخبر وحبل مرتفع به * عن النبى عليه السلام من

ثم اوعده بالنار فقال تعالى ﴿ سيصلى نارا ذات لهب ﴾ اى نارا تلتهب عليه ﴿ وامرأته ﴾ يعنى ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابى سفيان بن حرب عمة معاوية بن ابى سفيان وكانت فى نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ حمالة الحطب ﴾ قيل كانت تحمل الشوك والحسك والعضاه بالليل فتطرحه فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لتؤذيهم بذلك وهى رواية عن ابن عباس قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت مع كثرة مالها وشرفها فى نهاية البخل والخسة فكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها ويحتمل انها كانت تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاترى انها تستعين فى ذلك بأحد بل تفعله هى بنفسها وقيل كانت تمشى بالنميمة وتنقل الحديث وتلقى العداوة بين الناس وتوقد نارها كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغرى به وقيل حمالة الخطايا والآثام التى حملتها فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كانت كالحطب فى مصيرها الى النار ﴿ فى جيدها ﴾ اى عنقها ﴿ حبل من مسد ﴾ قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها ويكون سائرها فى عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل هو الذى كانت تحتطب به فبينما هى ذات يوم حاملة الحزمة اعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن

(سيصلى) سيدخل فى الآخرة (نارا ذات لهب) تشتعل وتغيظ (وامرأته) معه ام جميلة بنت حرث بن امية (حمالة الحطب) نقالة النميمة كانت تمشى بالنميمة بين المسلمين والكافرين ويقال كانت تأتى بالشوك فتطرحه فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم الى المسجد وطريق المسلمين (فى جيدها) فى عنقها فى النار (حبل من مسد) سلسلة من حديد ويقال فى عنقها رسن من ليف الذى اختنقت به وماتت

قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

﴿ سورة الاخلاص مختلف فيها وآيها اربع ﴾

يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت لها خرزات في عنقا وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الاخلاص وهي مكية وقيل مدنية وهي أربع آيات ﴾

﴿ وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا ﴾

﴿ فصل في فضلها ﴾

(خ) عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أيعجز أحدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا اينا يطيق ذلك يارسول الله فقال قل هو الله احد الله الصمد ثلث القرآن (م) عن ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزأ القرآن ثلاثة اجزاء فجعل قل هو الله احد جزأ من القرآن (م) عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ عليكم ثلث القرآن فقرأ قل هو الله احد الله الصمد حتى ختمها وقد ذكر العلماء رضي الله عنهم في كونه صلى الله عليه وسلم جعل سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن اقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القرآن العزيز لايعدو ثلاثة اقسام وهي الارشاد الى معرفة ذات الله تعالى وتقديسه اوصفاته واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القرآن لان منتهى التقديس في ان يكون واحدا في ثلاثة امور لايكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه قوله لم يلد ولايكون حاصلا ممن هو نظيره وشبيهه ودل عليه قوله ولم يولد ولايكون احد في درجته وان لم يكن اصلا له ولافرعا منه ودل عليه قوله ولم يكن له كفوا احد ويجمع ذلك كله قوله قل هو الله احد وجملته وتفصيله هو قولك لااله الاالله فهذا سر من اسرار القرآن المجيد الذي لاتتناهى اسراره ولا تنقضي عجائبه وقال الامام فخر الدين الرازي لعل الغرض منه ان يكون المقصود الاشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله جل جلاله وتعالى علاؤه وثناؤه ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت هذه السورة معادلة لثلث القرآن وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قيل معناه ان القرآن على ثلاثة انحاء قصص واحكام وصفات الله تعالى وقل هو الله احد متمحضة

﴿ سورة الاخلاص اربع آيات مكية عند الجمهور وقيل مدنية عند اهل البصرة ﴾

﴿ ومن السورة التي يذكر فيها الاخلاص وهي كلها مكية آياتها اربع وكلماتها خمس عشرة كلمة وحروفها سبعة واربعون حرفا ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (قل هو الله احد) هو ضمير الشان والله احد هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشأن هذا وهو ان الله واحد لاثانى له ومحل هو الرفع على الابتداء والخبر هو الجملة ولايحتاج الى الراجع لانه فى حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى انه هو المبتدأ فى المعنى وذلك ان قوله الله أحد هو الشأن الذى هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيد والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلابد مما يصل بينهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قالت قريش يامحمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت يعنى الذى سألتمونى وصفه هو الله تعالى وعلى هذا احد خبر مبتدأ محذوف اى هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد فقلبت الواو همزة لوقوعها طرفا والدليل على انه واحد من جهة العقل ان الواحد اما ان يكون فى تدبير العالم وتخليقه كافيا اولا فان كان كافيا كان الآخر ضائعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لايكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص ولان العقل يقتضى احتياج المفعول الى فاعل والفاعل الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عدد اولى من عدد فيفضى ذلك الى وجود اعداد لانهاية لها وذا محال فالقول بوجود الهين محال ولان احدهما اما ان يقدر على ان يستر شيأ من افعاله (قا وخا ٧٦ س) عن الآخر اولا يقدر فان قدر لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا ولانا لو فرضنا معدوما ممكن الوجود فان لم يقدر واحد منهما على ايجاده كان كل واحد منهما

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قل هو الله احد﴾ الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولاحاجة الى العائد لانها هى هو او لما سئل عنه اى الذى سألتمونى عنه هو الله اذ روى ان قريشا قالوا يامحمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت واحد للصفات فهى ثلث القرآن وجزء من ثلاثة اجزاء وقيل معناه ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن بغير تضعيف * قوله يتقالها يقال استقللت الشئ وتقللته اى عددته قليلا فى بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت قل هو الله احد سورة الاخلاص اما لانها خالصة لله تعالى فى صفته او لان قارئها قد اخلص الله التوحيد ومن فوائد هذه السورة ان الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهى متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل مايليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية وعدم النظير * عن انس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ كل يوم مائتى مرة قل هو الله احد محيت عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وفى رواية عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه فقرأ قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول الرب جل جلاله ياعبدى ادخل عن يمينك الجنة اخرجه الترمذى وقال حديث غريب * وعنه ان رجلا قال يارسول الله انى احب هذه السورة قل هو الله احد قال حبك اياها ادخلك الجنة اخرجه الترمذى * عن ابى هريرة قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله احد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله عز وجل ﴿قل هو الله احد﴾ عن ابى بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الله الصمد والصمد الذى لم يلد ولم يولد لانه ليس شئ يولد الا سيموت وليس شئ يموت الا سيورث وان الله لايموت ولايورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولاعديل وليس كمثله شى

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (قل هو الله احد) وذلك ان قريشا قالوا يامحمد صف لنا ربك من اى شئ هو من ذهب ام من فضة فانزل الله فى بيان صفته ونعته فقال قل يامحمد لقريش هو الله احد لاشريك له ولا ولد له

عاجزا والعاجز لايكون الها وان قدر احدهما دون الآخر فالآخر لايكون الها وان قدرا جميعا فاما ان يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا اوجده احدهما فاما ان يبقى الثانى قادرا عليه وهو محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول مزيلا قدرة الثانى فيكون عاجزا ومقهورا تحت تصرفه فلايكون الها فان قلت الواحد اذا اوجد مقدور نفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم ان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلت الواحد اذا اوجد مقدور نفسه فقد نفذت قدرته ومن نفذت قدرته لايكون عاجزا واما الشريك فما نفذت قدرته بل زالت قدرته بسبب قدرة الآخر فكان ذلك تعجيزا (الله الصمد) هو فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو وهو السيد المصمود اليه فى الحوائج والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد لاشريك له وهو الذى يصمد اليه كل مخلوق

(الله الصمد) السيد الذى قد انتهى سودده واحتاج اليه الخلائق ويقال الصمد الذى لايأكل ولايشرب ويقال الصمد الذى ليس باجوف ويقال الصمد الصافى (ابن) بلاعيب ويقال الصمد الدائم ويقال الصمد الباقى ويقال الصمد الكافى ويقال الصمد الذى ليس له مدخل ولا مخرج ويقال الصمد

بدل اوخبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقى مايكون منزه الذات عن انحناء التركيب والتعدد ومايستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لابد منه فى قل يا ايها الكافرون ولايجوز فى تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول عليه السلام وموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلايناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى ﴿ الله الصمد ﴾ السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اليه اذا قصده وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره

اخرجه الترمذى وقال وقد روى عن ابى العالية ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا انسب لنا ربك فأتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابى بن كعب وهذا اصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبى صلى الله عليه وسلم فقال عامر الام تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت هذه السورة واهلك الله اربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون وقد تقدم ذكرهما فى سورة الرعد وقيل جاء ناس من احبار اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فان الله تعالى انزل نعته فى التوراة فأخبرنا من اى شئ هو وهل يأكل ويشرب وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة قل هو الله احد يعنى الذى سألتمونى عنه هو الله الواحد فى الالوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبه والمثل والنظير وقيل لايوصف احد بالاحدية غير الله تعالى فلايقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل فى الاحد ولاينعكس وقيل ان الواحد يستعمل فى الاثبات والاحد فى النفى تقول فى الاثبات رأيت رجلا واحدا وفى النفى مارأيت احدا فتفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلايضاهيه احد والاحد هو المنفرد بالمعنى فلايشاركه فيه احد ﴿ الله الصمد ﴾ قال ابن عباس الصمد الذى لاجوف له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة ان الصمد الشئ المصمد الصاب الذى ليس فيه رطوبة ولارخاوة ومنه يقال السداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات الاجسام ويتعالى الله جل وعز عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول ان الصمد الذى ليس بأجوف معناه هو الذى لايأكل ولايشرب وهو الغنى عن كل شئ فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد بقوله الله الصمد التنبيه على انه تعالى بخلاف من أثبتوا له الالهية الاشارة بقوله تعالى ما المسيح

مطلقا وكل ماعداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى اوالدليل عليها ﴿ لم يلد ﴾ لانه لم يجانس ولم يفتقر الى مايعينه اويخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله او المسيح ابن الله اوليطابق قوله ﴿ ولم يولد ﴾ وذلك لانه لايفتقر الى شئ ولايسبقه عدم ﴿ ولم يكن له كفوا احد ﴾ اى ولم يكن احد يكافئه اى يماثله من صاحبة اوغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفى المكافاة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى كفؤا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لان المراد منها نفى اقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرأ

ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد الذى ليس بأجوف شيآن احدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثانى اشرف من الانسان واعلى منه وهو البارئ جل وعز وقال ابى بن كعب الصمد الذى لم يلد ولم يولد لان من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخارى فى افراده عن ابى وائل شقيق بن سلمة قال الصمد هو السيد الذى انتهى سودده وهى رواية عن ابن عباس ايضا قال هو السيد الذى كمل فيه جميع اوصاف السودد وقيل هو السيد المقصود فى جميع الحوائج المرغوب اليه فى الرغائب المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل فى جميع صفاته وافعاله وتلك دالة على انه المتناهى فى السودد والشرف والعلو والعظمة والكمال والاحسان وقيل الصمد الدائم الباقى بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذى ليس فوقه احد وهو قول على وقيل هو الذى لاتعتريه الآفات ولاتغيره الاوقات وقيل هو الذى لاعيب فيه وقيل الصمد هو الاول الذى ليس له زوال والآخر الذى ليس لملكه انتقال والاولى ان يحمل لفظ الصمد على كل ماقيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضى ان لايكون فى الوجود صمد سوى الله تعالى العظيم القادر على كل شئ وانه اسم خاص بالله تعالى انفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس كمثله شئ وهو السميع البصير * قوله عزوجل ﴿ لم يلد ولم يولد ﴾ وذلك ان مشركى العرب قالوا الملائكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فكذبهم الله عزوجل ونفى عن نفسه ماقالوا بقوله لم يلد يعنى كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة النسب من جميع الجهات فهو الاول الذى لم يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذى لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو الذى لم يكن له كفوا احد اى ليس له من خلقه مثل ولانظير ولاشبيه فنفى عنه بقوله ﴿ ولم يكن له كفوا احد ﴾ العديل والنظير والصاحبة والولد (خ) عن ابى هريرة ان النبى

صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لان كل مولود محدث وجسم هو قديم لا اول لوجوده اذ لو لم يكن قديما لكان حادثا لعدم الواسطة بينهما ولو كان حادثا لافتقر الى محدث وكذا الثانى والثالث فيؤدى الى التسلسل وهو باطل وليس بجسم لانه اسم للمتركب ولايخلو حينئذ من ان يتصف كل جزء منه بصفات الكمال فيكون كل جزء الها فيفسد القول به كما فسد بالهين او غير متصف بها بل باضدادها من سمات الحدوث وهو محال (ولم يكن له كفوا احد) ولم يكافئه احد اى لم يماثله سألوه ان يصفه لهم فاوحى اليه مايحتوى على صفاته تعالى فقوله هو الله اشارة الى انه خالق الاشياء وفاطرها وفى طى ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام الذى (لم يلد ولم يولد) يقول لم يرث ولم يورث ويقال لم يلد ليس له ولد فيرث ملكه ولم يولد وليس له والد فورث عنه الملك (ولم يكن له كفوا احد) يقول لم يكن له كفوا احد ليس له ضد

وفى ذلك وصفه بانه حى لان المتصف بالقدرة والعلم لابد وان يكون حيا وفى ذلك وصفه بانه سميع بصير مريد متكلم الى غير ذلك من صفات الكمال اذ لو لم يكن موصوفا بها لكان موصوفا باضدادها وهى نقائص وذا من امارات الحدوث فيستحيل اتصاف القديم بها وقوله احد وصف بالوحدانية ونفى الشريك وبانه المتفرد بايجاد المعدومات والمتوحد بعلم الخفيات وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غنى لايحتاج الى احد ويحتاج اليه كل احد وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة وقوله ولم يولد نفى للحدوث ووصف بالقدم والاولية وقوله ولم يكن له كفوا احد نفى ان يماثله شئ ومن زعم ان نفى الكفء، وهو المثل فى الماضى لايدل على نفيه للحال والكفار يدعونه فى الحال فقد تاه فى غيه لانه اذا لم يكن فيما مضى لم يكن فى الحال ضرورة اذ الحادث لايكون كفؤا للقديم وحاصل كلام الكفرة يؤل الى الاشراك والتشبيه والتعطيل والسورة تدفع الكل كما قررنا واستحسن سـيبويه تقديم الظرف اذا كان مستقرا اى خبرا لانه لما كان محتاجا اليه قدم ليعلم من اول الامر انه خبر لافضلة وتأخيره اذا كان لغوا اى فضلة لان التأخير مستحق للفضلات وانما قدم فى الكلام الافصح لان الكلام سيق لنفى المكافأة عن ذات البارى سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هـذا الظرف فكان الاهم تقديمه وكان ابو عمرو يستحب الوقف على احد ولا يستحب الوصل قال عبد الوارث على هذا ادركنا القراء واذا وصـل نون وكسر اوحذف التنوين كقراءة عزير ابن الله كفؤا بسكون الفاء والهمزة حمزة وخلف كفوا منقلة غير مهموزة حفص الباقون منقلة مهموزة وفى الحديث (هذه) من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن يشتمل على توحيد الله وذكر صفاته وعلى الاوامر والنواهى وعلى القصص والمواعظ وهذه السورة قد تجردت للتوحيد والصفـات فقد تضمنت ثلث القرآن وفيه دليل شرف علم التوحيد وكيف لايكون كذلك والعلم يشرف بشرف المعلوم ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله وصفاته ومايجوز عليه ومالايجوز عليه فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله اللهم احشرنا فى زمرة العالمين بك العاملين لك الراجين لثوابك الخائفين من عقابك المكرمين بلقائك وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل يارسول الله ماوجبت قال وجبت له الجنة ﴿ سورة الفلق مختلف فيها وهى خمس آيات ﴾

حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفؤا بالتخفيف وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك * وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه سمع رجلا يقرؤهـا فقال وجبت قيل يارسـول الله وماجبت قال وجبت له الجنة

﴿ سورة الفلق مختلف فيها وآيها خمس ﴾

صلى الله عليه وسلم قال قال الله عزوجل كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فقوله لن يعيدنى كما بدانى وليس اول الخلق باهون على من اعادته واما شتمه اياى فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ تفسير سورة الفلق وهى مدنية وقيل مكية والاول أصح وهى ﴾

﴿ خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة واربعة سبعون حرفا ﴾

(م) عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر آيات أنزلت

ولاند ولاشبه ولاعدل ولااحد يشاكله ويقال لم يكن له كفؤا احد فيمازه فى الملك والسلطان ﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الفلق وهى كلها مكية وقيل مدنية آياتها خمس وكلماتها ثلاث و عشرون وحروفها تسعة وستون حرفا ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قل اعوذ برب الفلق ﴾ مايفلق عنه اى يفرق عنـه كالفرق فعل بمعنى مفعول

هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظيم فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على كونهما من القرآن وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القرآن ايضا وانه من اول السورتين بعد البسملة وقد اجتمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه (خ) عن زر بن حبيش قال سألت أبي بن كعب عن المعوذتين قلت ياابا الوليد ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لى فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية مثلها ولم يذكر ابن مسعود عن عبد الله بن حبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فخرج فقال قل قلت ماأقول قال قل هو الله أحد الله الصمد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح تكفيك كل شئ وفى رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق مكة فاصبت خلوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل قلت ماأقول قال قل أعوذ برب الفلق حتى ختمها ثم قل أعوذ برب الناس حتى ختمها ثم قال ماتعوذ الناس بأفضل منهما اخرجه النسائى عن جابر بمثله ومعنى الطش والطشيش المطر الضعيف وهو قول أبى الدرداء

بسم الله الرحمن الرحيم

* قوله عز وجل ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبى صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا به حتى اخذ من مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من أسنان مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه (ق) عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ ولم يصنعه وفى رواية انه يخيل اليه فعل الشئ ومافعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله ودعاه ثم قال أشعرت ياعائشة ان الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه قلت وماذاك يارسول الله قال جاءنى رجلان فجلس احدهما عند رأسى والآخر عند رجلى ثم قال احدهما لصاحبه ماوجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم اليهودى من بنى زريق قال فيما ذا قال فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين هو قال فى بئر ذروان ومن الرواة من قال فى بئر بنى زريق فذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى اناس من اصحابه الى البئر فنظر اليها وعليها نخل ثم رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رؤس الشياطين قلت يارسول الله فاخرجه قال اما انا فقد عافانى الله وشفانى وخفت ان أثير على الناس منه شرا وفى رواية للبخارى

(بسم الله الرحمن الرحيم) (قل أعوذ برب الفلق) اى الصبح او الخلق او هو واد فى جهنم اوجب فيها

(بسم الله الرحمن الرحيم) وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (قل اعوذ برب الفلق) يقول قل يامحمد امتنع ويقال استعذ برب الفلق برب الخلق ويقال الفلق هو الصبح ويقال جب فى النار ويقال هو واد فى النار

وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمته العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويختص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النهار ومحاكاة فاتحة

انه كان يرى انه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذلك عن زيد بن ارقم قال سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى ذلك اياما فأتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقدلك عقدا في بئر كذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجاءبها فحلها فجعل كلما حل عقدة وجدلذلك خفة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما انشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط اخرجه النسائي وروى انه كان تحت صخرة في البئر فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم واسنان من مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كان مغروزا بالابر فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة الناس ست آيات فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال وروى انه لبث ستة اشهر واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان (م) عن ابي سعيد الخدري ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شئ يؤذيك ومن شر كل نفس اوعين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك

فصل وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وماقيل في السحر وماقيل في الرقى

قولها في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشئ ولم يصنعه قال الامام المازري مذهب اهل السنة وجمهور علماء الامة على اثبات السحر وانه له حقيقة كحقيقة غيره من الاشياء الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف مايقع منه الى خيالات باطلة لاحقائق لها وقد ذكره الله في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر مافيه اشارة الى انه مما يكفر به وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله لايمكن ان يكون مما لاحقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق او تركيب اجسام اوالمزج بين قوى لايعرفها الا الساحر وانه لافاعل الا الله تعالى ومايقع من ذلك فهو عادة اجراها الله تعالى على يد من يشاء من عباده فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضاء الله وقدره ام لا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف يأمر بالاستعاذة مع ان ماقدر لابد واقع وان لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة قلت كل ماوقع في الوجود هو بقضاء الله وقدره

يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان زال الله بظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذبه مايخافه ولفظ الرب ههنا اووقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية

والاستشفاء بالتعوذ والرقى من قضاء الله وقدره يدل على صحة ذلك ماروى الترمذى عن ابن ابى خزامة عن ابيه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله ارأيت رقى نسترقى بها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيأ قال هى من قدر الله تعالى قال الترمذى هذا حديث حسن وعن عمر نفر من قدر الله الى قدر الله تعالى

فصل

وقد انكر بعض المبتدعة حديث عائشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذى ادعاه باطل لان الدلائل القطعية والنقلية قدقامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيمايتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك وتجويز ماقام الدليل بخلافه باطل واما مايتعلق ببعض امور الدنيا وهو مايعرض للبشر فغير بعيد ان يخيل اليه من الامور الدنيا مالاحقيقة له وقد قيل انه كان يخيل وطئ زوجاته وليس بواطئ وهذا مثل مايتخيله الانسان فى المنام فلا يبعد ان يتخيله فى اليقظة ولاحقيقة له وقيل انه يخيل اليه انه فعله وما فعله ولكن لايعتقد صحة مايتخيله فتكون اعتقاداته على السداد قال القاضى عياض وقدجاءت فى بعض روايات هذا الحديث مبينة ان السحر انما سلط على بدنه وظواهر جوارحه لاعلى قلبه وعقله واعتقاده وليس فى ذلك مايوجب لبسا على الرسالة ولاطعنا لاهل الزيغ والضلالة * وقوله ماوجع الرجل قال مطبوب اى مسحور * قوله وجف طلعة ذكر روى بالباء وروى بالفاء وهو وعاء طلع النخل واما الرقى والتعاويذ فقد اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان بآيات من القرآن او اذا كانت وردت فى الحديث ويدل على صحته الاحاديث الواردة فى ذلك منها حديث ابى سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبى صلى الله عليه وسلم ومنها ماروى عن عبيد بن رفاعة الزرقى ان اسماء بنت عميس قالت يارسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افأسترقى لهم قال نعم فانه لوكان شئ سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذى وقال حديث صحيح وعن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول اعوذبالله من الجان وعين الانسان فلما نزلت المعوذتان اخذ بها وترك ماسواهما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب فهذه احاديث تدل على جواز الرقية وانما المنهى عنه منها ما كان فيه كفر اوشرك او مالايعرف معناه مما ليس بعربى لجواز ان يكون فيه كفر والله اعلم * واما التفسير فقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه

﴿ من شر ماخلق ﴾ خص عالم الخلق بالاستعاذة عنه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختيارى لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعى كاحراق النار واهلاك السموم ﴿ ومن شر غاسق ﴾ ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها ﴿ اذا وقب ﴾ دخل ظلامه فى كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ ومن

فى التعوذ ان القادر على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح كالمثال لمجئ الفرج فكما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح فكذلك الخائف يترقب مجئ النجاح وقيل ان تخصيص الصبح بالذكر فى هذا الموضع لانه وقت دعاء المضطرين واجابة الملهوفين فكانه يقول قل اعوذ برب الوقت الذى يفرج فيه هم المهمومين والمغمومين وروى عن ابن عباس ان الفلق سجن فى جهنم وقيل هو واد فى جهنم اذا فتح استعاذ اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب القادر عليه من شر عذابه وغيره وروى عن ابن عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه هذا التأويل ان الله تعالى فلق ظلمات بحر العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكانه قال قل اعوذ برب جميع الممكنات ومكون جميع المحدثات ﴿ من شر ماخلق ﴾ قيل يريد به ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان السحر لايتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذى شر وقيل من شر ماخلق من الجن والانس ﴿ ومن شر غاسق اذا وقب ﴾ عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا عائشة استعيذى بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل فى الخسوف او اخذ فى الغيبوبة وقيل سمى به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل فى المحاق وهو آخر الشهر وفى ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق الليل اذا وقب اى اقبل بظلمته من المشرق وقيل سمى الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما امر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الآفات ويقل الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا امر بالتعوذ من الثريا عند سقوطها ﴿ ومن شر النفاثات فى العقد ﴾ يعنى السواحر اللاتى ينفثن فى عقد الخيط حين يرقين عليها وقيل والمراد بالنفاثات بنات لبيد بن الاعصم اللاتى سحرن النبى صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريق قليل وقيل انه النفخ فقط واختلفوا فى جواز النفث فى الرقى والتعاويذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة

(والتابعين)

(من شر ما خلق) اى النار والشيطان وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية ويكون الخلق بمعنى المخلوق وقرأ ابو حنيفة رضى الله عنه من شر بالتنوين وما على هذا مع الفعل بتأويل المصدر فى موضع الجر بدل من شر اى شر خلقه اى من خالق شر او زائدة (ومن شر غاسق اذا وقب) الغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه ووقوبه دخول ظلامه فى كل شئ وعن عائشة رضى الله عنها اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فاشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده (ومن شر النفاثات فى العقد) النفاثات النساء او النفوس او الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق وهو دليل على بطلان قول المعتزلة فى انكار تحقق السحر

(من شر ماخلق) من شر كل ذى شر خلق (ومن شر غاسق اذا وقب) من شر الليل اذا دخل وادبر (ومن شر النفاثات) المهيجات الاخذات الساحرات النافخات (فى العقد

وظهور اثره (ومن شر حاسد ﴿ ٦٠٩ ﴾ اذا حسد) اى {سورة الفلق} اذا اظهر حسده وعمل

شر النفوس او النساء السواحر اللواتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روى ان يهوديا سحر النبى عليه الصلاة والسلام فى احدى عشرة عقدة فى وتر دسه فى بئر فمرض عليه الصلاة والسلام فنزلت المعوذتان واخبره جبرائيل بموضع السحر فارسل عليه السلام عليا كرم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة فى انه مسحور لانهم ارادوا به انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث فى العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد ﴿ ومن شر حاسد اذا حسد ﴾ اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرر منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة فى اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق مايخلو عن النور ومايضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات فان قواها النباتية من حيث انها تزيد فى طولها وعرضها وعمقها كانها تنفث فى العقد الثلاثة وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة * عن النبى عليه الصلاة والسلام لقد انزلت على سورتان ما انزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعنى المعوذتين

﴿ سورة الناس مختلف فيها وآيها ست ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

والتابعين ومن بعدهم ويدل عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات الحديث وانكر جماعة التفل والنفث فى الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغى للراقى ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد وقيل النفث فى العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب اليه ﴿ ومن شر حاسد اذا حسد ﴾ الحاسد هو الذى يتمنى زوال نعمة الغير وربما يكون مع ذلك سعى فلذلك امر الله تعالى بالتعوذ منه واراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبى صلى الله عليه وسلم او لبيد بن الاعصم وحده والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الناس وهى مدنية وقيل مكية والاول اصح وهى ﴾

﴿ ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

بمقتضاه لانه اذا لم يظهر فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وهو الاسف على الخير عند الغير والاستعاذة من شر هذه الاشياء بعد الاستعاذة من شر ما خلق اشعار بان شر هؤلاء اشد وختم بالحسد ليعلم انه شرها وهو اول ذنب عصى الله به فى السماء من ابليس وفى الارض من قابيل وانما عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه لان كل نفاثة شريرة فلهذا عرفت النفاثات ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد يكون محمودا كالحسد فى الخيرات والله اعلم

﴿ سورة الناس مختلف فيها وهى ست آيات ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ومن شر حاسد اذا حسد) لبيد بن الاعصم اليهودى اذا حسد النبى صلى الله عليه وسلم فسحره واخذه عن عائشة

﴿ ومن السورة التى يذكر فيها الناس وهى كلها مدنية آياتها ست (قا وخا ٧٧ س) وكلماتها عشرون وحروفها تسعة وسبعون ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم)

{ قل اعوذ برب الناس) اى مربيهم ومصلحهم (ملك النـاس) مالكم ومدبر امورهم (اله الناس) معبودهم ولم يكتف باظهار المضاف اليه مرة واحدة لان قوله ملك الناس عطف بيان لرب الناس لانه يقال لغيره رب الناس وملك الناس واما اله الناس فخاص لاشركة فيه وعطف البيان للبيان فكانه مظنة للاظهار دون الاضمار وانما اضيف الرب الى الناس خاصـة وان كان رب كل مخلوق تشريفا لهم ولان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صـدور الناس فكانه قيـل اعـوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم امورهم وهـو الههم ومعبودهم وقيل اراد بالاول الاطفال ومعنى الربوبية يدل عليه وبالثانى الشـباب ولفظ الملك المنبئ عن السياسة يدل عليه وبالثالث الشيوخ ولفظ الاله المنبئ عـن العبادة يدل عليه وبالرابع الصالحين اذ الشيطان مولع باغوائهم وبالخامس المفسدين لعطفه على المعوذ منه (من شر الوسواس) هو اسم بمعنى الوسوسـة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كالزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كانه وسوسة فى نفسه لانها شغله الذى هو عاكف عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسـة الصوت الخفى (الخناس) الـذى عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشـيطان وولى واذا غفل رجع ووسوس اليه (رأسه)

﴿ قل اعوذ ﴾ قرأ ورش فى السـورتين بحذف الهمزة ونقل حركتهـا الى اللام ﴿ برب الناس ﴾ لما كانت الاستعاذة فى السورة المتقدمة من المضـار البدنية وهى تعم الانسان وغيره والاستعاذة فى هذه السورة من المضـار التى تعرض للنفوس البشرية وتخصصها عمم الاضافة ثمة وخصصها بالناس ههنا فكأنه قيل اعوذ من الشر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك امورهم ويستحق عبادتهم ﴿ ملك الناس اله الناس ﴾ عطفا بيان له فان الرب قد لايكون ملكا والملك قد لايكون الها وفى هـذا النظم دلالة على انه تعالى حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر فى المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظـاهرة والباطنة ان له ربا ثم يتغلغل فى النظر حتى يتحقق انه غنى عن الكل وذات كل شئ له ومصارف امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لاغير ويتدرج فى وجوه الاسـتعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات اشعارا بعظم الافة المستعاذ منها وتكرير الناس لما فى الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان ﴿ من شر الوسـواس ﴾ اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس سمى بفعله مبالغة ﴿ الخناس ﴾ الذى عادته ان يخنس اى يتأخر اذ اذكر الانسـان

قوله عز وجل ﴿ قل اعوذ برب الناس ﴾ انما خصص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما امر بالاستعاذة من شر الوسواس فكانه قال اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم فانه هو الذى يعيذ من شرهم وقيل ان اشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر ﴿ ملك الناس اله الناس ﴾ انما وصف نفسه اولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لايكون ملكا فنبه بذلك على انه ربهم وملكهم ثم ان الملك لايكون الها فنبه بقوله اله الناس على ان الالهية خاصة بالله سبحانه وتعالى لايشاركه فيها احد والسبب فى تكرير لفظة الناس يقتضى مزيد شرفهم على غيرهم ﴿من شر الواس﴾ يعنى الشيطان ذا الوسواس والوسوسة الهمز والصوت الخفى ﴿الخناس﴾ يعنى الرجاع الذى من عادته ان يخنس اى يتأخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا غفل وسها وسوس واذا ذكر الله تعالى خنس الشيطان عنه وتأخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال

وباسناده عن ابن عباس فى قوله تعالى (قل اعوذ) يقول قل يا محمد امتنع ويقال استعيذ (برب الناس) بسيد الجن والانس (ملك الناس) مالك الجن والانس (اله الناس) خالق الجن والانس (من شر الوسواس) يعنى الشيطان (الخناس

﴿الذى يوسوس فى صدور الناس﴾ فى محل الجر على الصفة اوالرفع اوالنصب على الشتم وعلى هذين الوجهين يحسن الوقف على الخناس ﴿من الجنة والناس﴾ بيان للذى يوسوس على ان الشيطان ضربان جنى وانسى كماقال شياطين الانس والجن وعن ابى ذر رضى الله عنه انه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس روى انه عليه السلام سحر فمرض فجاءه ملكان وهو نائم فقال

احدهما لصاحبه ما باله فقال طب قال ومن طبه قال لبيد ابن اعصم اليهودى قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذى اروان فانتبه صلى الله عليه وسلم فبعث زبيرا وعليا وعمارا رضى الله عنهم فنزحوا ماء البئر واخرجوا الجف فاذا فيه مشاطة رأسه واسنان من مشطه واذا فيه وتر معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان السورتان فكلما قرأ جبريل آية انحلت عقدة حتى قام عليه السلام عند انحلال العقدة الاخيرة كانما نشط من عقال وجعل جبريل يقول باسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ولهذا جوز الاسترقاء بما كان من كتاب الله وكلام رسوله عليه السلام لا بما كان بالسريانية والعبرانية والهندية فانه لايحل اعتقاده ولااعتماد عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت اعمالنا واقوالنا ومن شر ماعملنا ومالم نعمل ونشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله ونبيه وصفيه ارسله

ربه ﴿الذى يوسوس فى صدور الناس﴾ اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها تساعد العقل فى المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذى الجر على الصفة اوالنصب اوالرفع على الذم ﴿من الجنة والناس﴾ بيان للوسواس اوللذى اومتعلق بيوسوس اى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد مايعم الثقلين وفيه تعسف

رأسه كرأس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويجذبه فاذا ذكر الله تعالى خنس واذا لم يذكر الله تعالى رجع ووضع رأسه على القلب فذلك قوله تعالى ﴿الذى يوسوس فى صدور الناس﴾ يعنى بالكلام الخفى الذى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر القلب ﴿من الجنة﴾ يعنى الجن ﴿والناس﴾ وفى معنى الآية وجهان احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن والانس ويدل عليه قول بعض العرب جاء قوم من الجن فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وقد سماهم الله تعالى رجالا فى قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الآية ان الوسواس الخناس يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثانى ان الوسواس الخناس قديكون من الجنة وهم الجن وقديكون من الانس فكما ان شيطان الجن قديوسوس للانسان تارة ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس قديوسوس للانسان كالناصح له فان قبل زاد فى الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكانه تعالى امر ان يستعاذ به من شر الجن والانس جميعا (ق) عن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم ينفث فيهما فيقرأ قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات * عن عائشة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وامسح عنه بيديه رجاء بركتهما أخرجه مالك فى الموطأ ولهما بمعناه (ق) عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاحسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل واطراف النهار ورجل آتاه الله مالا فهو

الذى) اذا ذكر الله خنس نفسه وسترها واذا لم يذكر (يوسوس فى صدور الناس) فى صدور الخلق (من الجنة والناس) يقول يوسوس فى صدور الجن كما يوسوس فى صدور الناس نزلت هاتان السورتان

الا ان يراد به الناسى كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى انزلها الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

ينفق منه آناء الليل واطراف النهار * عن ابن عباس قال قيل يارسول الله اى الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قيل وماالحال المرتحل قال الذى يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذى والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وصلى الله على محمد وعلى آله مصابيح الانام واصحابه مفاتيح دار السلام

فى شأن لبيد بن الاعصم اليهودى الذى سحر النبى فقرأ النبى صلى الله عليه وسلم على سحره ففرج الله عنهما فكأنما انشط من عقال

وقد تم طبع هذا التفسير الشريف فى شهر جمادى الاولى لسنة اربع وعشرين وثلثمأة والف من هجرة من له العز والشرف

فهرست الجلد السادس من التفسيرين الجليلين الاول المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل الثانى المسمى بلباب التأويل فى معانى التنزيل

صحيفه

٢ تفسير سورة الفتح
١٥ تفسير قوله عزوجل (لقد رضى الله عن المؤمنين) الآية
١٨ ذكر غزوة خيبر
٢٣ ذكر صلح الحديبية
٣٦ فصل فى فضل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٧ تفسير سورة الحجرات
٣٩ تفسير قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا لاترفعوا اصواتكم) الآية
٤٣ تفسير قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق) الآية
٤٨ فصل فى حكم قتال البغاة
٥١ تفسير قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) الآية
٥٩ تفسير سورة ق
٦٧ تفسير قوله عزوجل (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) الآية
٦٨ عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتزال جهنم يلقى فيها الحديث
فصل هذا الحديث من مشاهير احاديث الصفات
٧٠ تفسير قوله عزوجل (فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك) الآية
٧٣ تفسير سورة والذاريات
٧٥ تفسير قوله عزوجل (ان المتقين فى جنات وعيون) الآية
٧٦ عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا الحديث
فصل هذا الحديث من احاديث الصفات
٨٢ الجزء السابع والعشرون
٨٦ تفسير قوله عزوجل (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون) الآية
٨٨ تفسير سورة الطور
٩٨ تفسير سورة والنجم
١٠٠ تفسير قوله عزوجل (ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين اوادنى) الآية
١٠٤ فصل من كلام الشيخ محيي الدين النواوى فى معنى قوله تعالى ولقد رآه نزلة اخرى الخ
١١٠ تفسير قوله عزوجل (ولله مافى السموات ومافى الارض) الآية
١١٢ فصل فى بيان الكبيرة وحدها وتميزها عن الصغيرة
١٢٠ تفسير سورة القمر
١٣١ تفسير قوله عزوجل (انا كل شئ خلقناه بقدر) الآية

صحيفه

فصل فى سبب نزول الآية وماورد فى القدر وماقيل فيه
١٣٥ تفسير سورة الرحمن
١٥١ تفسير سورة الواقعة
١٧١ تفسير سورة الحديد
١٩٤ الجزء الثامن والعشرون
سورة المجادلة
١٩٦ فصل فى احكام الظهار وفيه مسائل
١٩٩ فصل فى احكام الكفارة ومايتعلق بالظهار وفيه مسائل
٢٠٣ تفسير قوله عزوجل (الم تر الى الذين نهوا عن النجوى) الآية
٢٠٥ تفسير قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس)
٢٠٨ تفسير قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا) الآية
٢١٤ تفسير سورة الحشر
٢٢٣ تفسير قوله عزوجل (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم) الآية
٢٢٨ تفسير قوله عزوجل (كمثل الشيطان اذقال للانسان اكفر) الآية
٢٣٣ تفسير قوله عزوجل (لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا) الآية
٢٣٦ تفسير سورة الممتحنة
٢٤٣ تفسير قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات) الآية
٢٥٠ تفسير سورة الصف
٢٥٦ تفسير سورة الجمعة
٢٦٠ تفسير قوله عزوجل (ياايها الذين آمنوا اذا نودى للصلوة) الآية
٢٦١ فصل فى فضل الجمعة واحكامها
٢٦٥ تفسير قوله عزوجل(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض) الآية
٢٦٧ ذكر الاحاديث الوارة الدالة على هذه الاحكام
٢٦٩ تفسير سورة المنافقين
٢٧١ تفسير قوله عزوجل (واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله) الآية
٢٧٢ ذكر القصة فى سبب نزول هذه الآية
٢٧٧ تفسير سورة التغابن
٢٨٤ تفسير سورة الطلاق
٢٨٥ فصل اعلم ان الطلاق فى حال الحيض والنفاس بدعة
٢٨٩ تفسير قوله عزوجل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) الآية
٢٩١ فصل فى حكم الآية

صحيفه	
٢٩٦	تفسير سورة التحريم
٢٩٧	شرح غريب الفاظ الحديثين ويتعلق بهما
٢٩٩	فصل اختلف العلماء فى لفظ التحريم
٣٠٠	عن ابن عباس قال لم ازل حريصا على ان اسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من ازواج النبى صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله عزوجل ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما الخ
٣٠٢	شرح بعض الفاظه
٣٠٤	تفسير قوله عز وجل (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا) الآية
٣٠٥	فصل وقال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب على الفور
٣١٢	الجزء التاسع والعشرون
	سورة الملك
٣٢٢	تفسير سورة ن
٣٢٤	تفسير قوله عزوجل (وانك لعلى خلق عظيم)
٣٢٥	فصل فى فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٣٤	عن ابى سعيد الخدرى ان ناسا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا الحديث
٣٣٥	فصل فى شرح الفاظ الحديث وما يتعلق به
٣٤١	تفسير سورة الحاقة
٣٥٢	تفسير سورة سأل سائل
٣٦١	تفسير سورة نوح عليه الصلاة والسلام
٣٧٠	تفسير سورة الجن
	فصل اختلف الرواة هل رأى النبى صلى الله عليه وسلم الجن
٣٨١	تفسير سورة المزمل
٣٨٣	تفسير قوله عزوجل (ورتل القرآن ترتيلا) الآية
	فصل عن قتادة قال سئل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٩٢	تفسير سورة المدثر
٤٠٨	تفسير سورة القيامة
٤١٣	فصل فى اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى فى الآخرة
٤١٧	تفسير سورة الانسان
٤٢٩	تفسير سورة المرسلات
٤٣٨	الجزء الثلاثون
	تفسير سورة النبأ

صحيفة

٤٤٦ تفسير سورة النازعات ٤٥٥ تفسير سورة عبس
٤٦١ تفسير سورة التكوير ٤٦٧ تفسير سورة الانفطار
٤٧٠ تفسير سورة المطففين ٤٧٨ تفسير سورة الانشقاق
٤٨٢ تفسير سورة البروج ٤٨٩ تفسير سورة الطارق
٤٩٣ تفسير سورة الاعلى ٤٩٧ تفسير سورة الغاشية
٥٠٢ تفسير سورة الفجر ٥٢١ تفسير سورة البلد
٥١٧ تفسير سورة الشمس ٥٢١ تفسير سورة والليل
٥٢٥ تفسير سورة والضحى ٥٣٠ تفسير سورة الم نشرح
٥٣٤ تفسير سورة والتين ٥٣٧ تفسير سورة العلق
٥٣٨ فصل فى هذا الحديث دليل صحيح صريح على ان سورة اقرأ اول ما نزل من القرآن
٥٤٣ تفسير سورة القدر
٥٤٤ فصل فى فضل ليلة القدر وماورد فيها
٥٤٥ ذكر الاحاديث الواردة فى ذلك
٥٤٩ تفسير سورة البينة
٥٤٦ ذكر ليال مشتركة
شرح غريب الحديث
٥٥٤ تفسير سورة الزلزلة ٥٥٦ تفسير سورة العاديات
٥٥٩ تفسير سورة القارعة ٥٦١ تفسير سورة التكاثر
٥٦٤ تفسير سورة العصر ٥٦٥ تفسير سورة الهمزة
٥٦٨ تفسير سورة الفيل ٥٧٤ تفسير سورة قريش
٥٠٧ تفسير سورة الماعون ٥٧٩ تفسير سورة الكوثر
٥٨٥ تفسير سورة الكافرون ٥٨٨ تفسير سورة النصر
٥٩٧ تفسير سورة ابى لهب ٦٠٠ تفسير سورة الاخلاص
٦٠٤ تفسير سورة الفلق
فصل وقبل الشروع فى التفسير نذكر معنى الحديث وماقيل فيه
٦٠٧ فصل وقد انكر بعض المبتدعة حديث عائشة الخ
٦٠٩ تفسير سورة الناس